

العقيدة الإسلامية ومذاهبها

تأليف

الأستاذ الدكتور

حطّان عبد الرحمن الدفري

كلية الشريعة والقانون - جامعة العلوم الإسلامية العالمية

المملكة الأردنية الهاشمية

طبعة مزينة ومنقحة



BOOKS - PUBLISHER

كتاب - ناشران بيروت

العقيدة الإسلامية ومذاهبها

المؤلف - Author

الأستاذ الدكتور قحطان عبد الرحمن الدوري

التصنيف - Classification

عقيدة إسلامية

القياس، عدد الصفحات - Pages, Size

816 P. - 17*24 cm

سنة الطباعة - Year

2012 A.D. - 1433 H.

بلد الطباعة - Printed in

لبنان - Lebanon

الطبعة - Edition

الثانية عن: كتاب - ناشرون

الغائبة من هذا الكتاب

All Rights Reserved



BOOKS - PUBLISHER

كتاب - ناشرون | Beirut - Lebanon
بيروت - لبنان

Mazraa, Ras Nabea, Mohamad Al Hout Street,
Katerji Building, First Floor, Beirut-Lebanon
Tel : +961 71 289 277-P.O.Box: 11- 374 Riyad Al-Soloh
E-mail: books.publisher@hotmail.com

جميع الحقوق محفوظة

١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م

العقيدة الإسلامية ومذاهبها

تأليف

الأستاذ الدكتور

قطان عبد الرحمن اللؤوي

كلية الشريعة والقانون - جامعة العلوم الإسلامية العالمية

المملكة الأردنية الهاشمية

طبعة مزيّدة ومُنقّحة



BOOKS - PUBLISHER

كتاب - ناشر | Beirut - لبنان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ الرَّحْمَنِ
الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٣﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ
وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٤﴾ اهْدِنَا الصِّرَاطَ
الْمُسْتَقِيمَ ﴿٥﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ
غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٦﴾



مُقَدِّمَةُ الطَّبْعَةِ الثَّالِثَةِ

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِهِ الْكَرِيمِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

لَقِيَ هَذَا الْكِتَابُ بِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى إِقْبَالاً وَاسِعاً مِنْ جُمْهُورِ الْقُرَّاءِ الْكَرَامِ، وَمِنْ طَلَبَةِ الْكُلِّيَّاتِ فِي جَامِعَاتٍ عَدِيدَةٍ فِي الْمَمْلَكَةِ الْأُرْدُنِّيَّةِ الْهَاشِمِيَّةِ وَالْعِرَاقِ وَغَيْرَهُمَا، فَتَفَدَّتِ الطَّبْعَةُ الثَّانِيَةُ مِنْهُ بِأَقَلِّ مِنْ سَبْعَةِ أَشْهُرٍ، وَذَلِكَ فَضْلاً مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وهَذَا مَا دَعَانِي إِلَى إِعَادَةِ طِبَاعَتِهِ، خِدْمَةً لِلْعِلْمِ وَطَلَبَتِهِ. أَسْأَلُهُ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَهُ خَالِصاً لَوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، إِنَّهُ سَمِيعٌ مُجِيبُ الدُّعَاءِ.

عَمَّانُ الْمَحْرُوسَةِ

١٩ / رَمَضَانَ / ١٤٣٢ هـ

١٩ / آبَ ٨ / ٢٠١١ م

الأستاذ الدكتور

فَحْطَانُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدُّورِيِّ

كُلِّيَّةُ الشَّرِيعَةِ وَالْقَانُونِ - جَامِعَةُ الْعُلُومِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْعَالَمِيَّةِ

عَمَّانُ - الْمَمْلَكَةُ الْأُرْدُنِّيَّةِ الْهَاشِمِيَّةِ



مُقَدِّمَةُ الطَّبْعَةِ الثَّانِيَةِ

الحمد لله ربَّ العالمين، والصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِهِ الْكَرِيمِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

نَفِذَتِ الطَّبْعَةُ الْأُولَى مِنْ هَذَا الْكِتَابِ، الَّذِي اعْتُمِدَ فِي تَدْرِيسِ الْعَقِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَمَذَاهِبِهَا فِي جَامِعَةِ آلِ الْبَيْتِ وَغَيْرِهَا. وَكَانَتْ طَبَاعَتُهَا بِحَرْفٍ شَكَا إِلَيَّ بَعْضُهُمْ صَعُوبَةَ قِرَاءَتِهِ لَصِغَرِهِ.

فَرَأَيْتُ أَنْ تَكُونَ طَبْعَتُهُ الثَّانِيَةَ بِحَرْفٍ أَكْبَرَ، مَعَ إِجْرَاءِ تَنْقِيحَاتٍ عَلَيْهِ، تَلْبِيَةً لِحَاجَةِ أَبْنَائِنَا الطَّلِبَةِ وَالْقُرَّاءِ الْكَرَامِ.

أَرْجُو اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يَجْعَلَهُ خَالِصًا لَوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، إِنَّهُ سَمِيعٌ مُجِيبُ الدَّعَاءِ. وَأَخِيرًا:

فَإِنَّ الشُّكْرَ مَوْضُوعٌ لَوْلَدِي الْعَزِيزِ الْمُدَقِّقِ (يَعْلَى) الطَّالِبِ فِي مَرَحَلَةِ الدِّرَاسَاتِ الْعِلْمِيَّةِ، قِسْمِ الْفِقْهِ وَأُصُولِهِ، الَّذِي بَذَلَ غَايَةَ جَهْدِهِ فِي إِخْرَاجِ هَذَا الْكِتَابِ بِهَذِهِ الْحُلَّةِ الْقَشِيبَةِ، وَاخْتِيَارِهِ الْحَرْفَ الْجَمِيلَ، وَمَتَابَعَةَ طَبَاعَتِهِ.

أَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُوفِّقَهُ لَخِدْمَةِ دِينِهِ وَأُمَّتِهِ، آمِينَ.

عَمَّانُ الْمَحْرُوسَةُ

١٤٣١هـ = ٢٠١٠م

الأستاذ الدكتور

قَحْطَانُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدُّورِيِّ

كُلِّيَّةُ الشَّرِيعَةِ وَالْقَانُونِ - جَامِعَةُ الْعُلُومِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْعَالَمِيَّةِ

عَمَّانُ - الْمَمْلَكَةُ الْأُرْدُنِّيَّةُ الْهَاشِمِيَّةُ



مُقَدِّمَةُ الطَّبَعَةِ الْأُولَى

الحمد لله ربَّ العالمين، والصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
الْغُرِّ الْمَيَامِينِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

جاءتِ الْأَدْيَانُ السَّمَاوِيَّةُ لِتُنْقِذَ الْعَقْلَ الْإِنْسَانِيَّ مِنْ مَهَاوِي الضَّلَالَةِ، وَدِيَاجِيرِ الظَّلَامِ.
وجاء الإسلام خاتمة الشرائع، دِينًا فِيهِ صَلَاحُ النُّفُوسِ وَرَاحَةُ الْقُلُوبِ وَانْتِظَامُ الْعَالَمِ.

لِذَلِكَ تَكْفَّلَ بَبَيَانِ الْأُمُورِ الَّتِي مِنْ شَأْنِهَا أَنْ تُنظَّمَ حَيَاةُ الْإِنْسَانِ مِنْ جَوَانِبِهَا
الثلاثة:

١- الْأُصُولُ الْعَقَائِدِيَّةُ، وَغَايَتُهَا إِثْبَاتُ الْعَقِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، بِإِيرَادِ الْحُجَجِ عَلَيْهَا
مِنَ الْأَدِلَّةِ الْيَقِينِيَّةِ، وَدَفْعِ الشُّبْهِ عَنْهَا.

٢- الْمَبَادِئُ الْأَخْلَاقِيَّةُ، وَغَايَتُهَا نَشْرُ الْفَضَائِلِ وَالْبَعْدُ عَنِ الرِّذَائِلِ، بِغَرَسِ الصِّفَاتِ
الَّتِي تَصْدُرُ عَنْهَا الْأَفْعَالُ الْخَيْرِيَّةُ فِي النُّفُوسِ، مِنْ: الْأَمَانَةِ، وَالْوَفَاءِ، وَالصَّدْقِ، وَالْعَدْلِ،
والتواضع، والتسامح، والتعاون، والتحابب... إلخ.

٣- الْأَحْكَامُ الْعَمَلِيَّةُ، وَغَايَتُهَا تَنْظِيمُ الْمَجْتَمَعِ فِي أَحْوَالِهِ كُلِّهَا، فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ،
بِتَنْظِيمِ عِلَاقَةِ الْإِنْسَانِ بِخَالِقِهِ فِي النَّظَامِ الرُّوحِيِّ، وَعِلَاقَةِ الْإِنْسَانِ بِأَخِيهِ الْإِنْسَانِ فِي
النَّظَامِ الْاجْتِمَاعِيِّ، وَعِلَاقَةِ الْإِنْسَانِ بِالْمَالِ فِي النَّظَامِ الْاِقْتِصَادِيِّ، وَعِلَاقَةِ الْإِنْسَانِ
بِرِئَاسَةِ الدَّوْلَةِ فِي النَّظَامِ السِّيَاسِيِّ....

وَبِذَلِكَ يَكُونُ الْإِسْلَامُ بَعْدْلَهُ وَرَحْمَتُهُ قَدْ شَمَلَ جَمِيعَ مَنَاحِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَوِيَّةِ

والأخروية. وهذا مصداق قوله تعالى في رَسُوله الكريم ﷺ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ - الأنبياء ١٠٧.

وموضوع كتابنا هذا هو الجانب الأول (علم العقيدة الإسلامية) الذي يُعنى بدراسة: الإلهيات، والنبيّيات، واليوم الآخر، ومذاهب المسلمين فيها.

وقد سمّى علماء الكلام هذا الجانب (أصول الدين)، لأنه أصل للمعارف الدينيّة الأخرى من المبادئ الأخلاقية والأحكام العمليّة.

وقد وقف المتكلمون طويلاً عند نصوص القرآن الكريم والسنة النبويّة الواردة في بيان العقائد، واختلفوا في فهم بعض النصوص، وكان هذا من أسباب ظهور مذاهب مُختلفة في تاريخنا الإسلامي من: خوارج وشيعة ومُرجئة وجبريّة وقدريّة ومُعترلة وأشاعرة وما تُريديّة وسلفيّة....

وكان من منهج الكلّيّة أن يدرس الطالب هذا الفكر الإسلاميّ العقديّ، ومذاهبه التي ظهرت منذ صدر الإسلام.

فدعاني هذا إلى تأليف كتاب في (العقيدة الإسلامية ومذاهبها) يُلبّي متطلبات المنهج المقرر، يقف به الطالب على أرض صلبة في ميادين الصراع الفكري في عالم اليوم، حيث يفهم به عقيدته الحقّة بأدلتها اليقينية، ويدرك المذاهب الإسلاميّة المُختلفة فيها، ليزبّ عنها الشبهات وما يثار حولها من دعاوى.

من أجل هذا اشتمل الكتاب على سبعة فصول:

الفصل الأول: مدخل إلى العقيدة الإسلامية، فيه: تعريفها، وأهميتها، وخصائصها، وأدلة إثباتها، ومنهج القرآن الكريم في عرضها، وحالة العقائد زمن الرسول مُحَمَّد ﷺ وبعده.

والثاني: المذاهب الإسلاميّة وتفسير نشأتها، وذكر أهمها مما قرره منهج الكلّيّة، ثم أصول الدين عند المذاهب الإسلاميّة وما اتفقوا عليه منها، وما اختلفوا فيه، وحقيقة ذلك الاختلاف.

والثالث: حقيقة الإيَّان وأهميته في الحياة.

والرابع: الإلهيَّات، وفيه: أدلَّة وجود الله تعالى، وصفاته بأنواعها وما يترتب عليها.

والخامس: النبويَّات، وفيه: بيَّان حاجة الإنسان إلى هُدي النبوة، والنبوة العامة، والخاصة وهي نبوة سيِّدنا مُحَمَّد ﷺ.

والسادس: اليوم الآخر ومشاهد القيامة.

والسابع: الكفر والتكفير، وحكم تكفير أهل القبلة، وجزاء المُرتدِّ.

وحاولتُ جَهْدَ إمكاني في هَذَا الكتاب أن أُرَكِّز الكلام في مادته العِلْمِيَّة، وأكثِر من العَزْوِ إلى المصادر المعتمدة الأَصِيلَةَ في مَذَاهِبِهَا الْمُخْتَلِفَةِ، مُثْقَلًا بِهَا هَوَامِشَ كَثِيرٍ مِنَ الصَّفَحَاتِ، حِرْصًا مِنِّي عَلَى أَنْ يَكُونَ مَرشِدًا نَافِعًا لِلطَّالِبِ فِي فَهْمِ عَقِيدَتِهِ، وَمُعِينًا لَهُ فِي كِتَابَةِ الأَبْحَاثِ العِلْمِيَّةِ المُقَارِنَةِ، وَالتَّعَرُّفِ عَلَى مَصَادِرِ المَعْلُومَاتِ عَنْ هَذِهِ الجُزْئِيَّاتِ الَّتِي تَضُمُّنَهَا الكِتَابُ، وَالْوُقُوفِ عَلَى مَا يَقُولُهُ أَصْحَابُ المَذَاهِبِ الأُخْرَى فِي المَسْأَلَةِ.

وعندئذٍ يَعْرِفُ الطَّالِبُ حَقِيقَةَ الاختلاف بينها، وَيَعْلَمُ أَنَّ ذَلِكَ الاختلاف ما كَانَ إِلَّا فِي مَسَائِلٍ فَرَعِيَّةٍ، لَا تَسْتَلْزِمُ تَكْفِيرَ أَحَدٍ لِالأُخَرِ، مَا دَامَ يُؤْمِنُ بِأَرْكَانِ العَقِيدَةِ الثَّلَاثَةِ الَّتِي تَتَّفَقُ عَلَيْهَا جَمِيعُ المَذَاهِبِ الإِسْلَامِيَّةِ، وَهِيَ: الإِيْمَانُ بِاللَّهِ، وَرِسُولُهُ، وَاليَوْمِ الآخرِ، لأنَّ هَدَفَنَا هُوَ أَنْ نَجْمَعَ وَلَا نُفَرِّقَ، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ - آلِ عِمْرَانَ ١٠٣.

إِلَّا أَنَّ البَعْضَ رَأَى جَهْلًا مِنْهُ أَنَّ هَذَا الاختلافَ بَيْنَ المَذَاهِبِ هُوَ اختلافٌ تَضَادٌّ لَا اختلافٌ تَنَوُّعٌ، فَدَعَاهُ إِلَى التَّعَصُّبِ لِمَذْهَبِهِ، وَعَظُمَتْ فِي نَفْسِهِ هَوَّةُ الخِلافِ بَيْنَ تِلْكَ المَذَاهِبِ، وَظَهَرَتْ الطَّائِفِيَّةُ المَقِيتَةُ، وَتَوَلَّدَتْ الفُرْقَةُ الدِّمِيَّةُ، مِمَّا أَدَّى إِلَى خِلافٍ مَرِيرٍ بَيْنَ المُسْلِمِينَ.

لَكِنْ تِلْكَ الْفُرْقَةُ نَبْذَهَا الْإِسْلَامُ، وَأَنْكَرَهَا الْعُلَمَاءُ، فَمَا كَانَتْ إِلَّا صَدَى لِأُمُورٍ خَارِجَةٍ عَنْ حَقِيقَةِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ كَالْأُمُورِ السِّيَاسِيَّةِ وَالْأَهْوَاءِ الشَّخْصِيَّةِ وَنَحْوِهَا. وَرَأَيْتُ أَنْ أَخْتَارَ لِهَذَا الْكِتَابِ الْحَرْفَ الْجَمِيلَ، وَأَنْ أَكْتُبَ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةَ الْكَرِيمَةَ بِخَطِّ الْمَصْحَفِ، وَأَنْ أَضْبِطَ بِالشَّكْلِ الْأَعْلَامَ وَكَثِيرًا مِنَ الْكَلِمَاتِ، حِرْصًا مِنِّي عَلَى سَلَامَةِ الْقِرَاءَةِ.

أَسْأَلُهُ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَ هَذَا الْعَمَلَ خَالِصًا لَوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَأَنْ يَنْفَعَ بِهِ، وَأَنْ يَجْمَعَ شَمْلَ الْمُسْلِمِينَ، وَيُوَحِّدَ كَلِمَتَهُمْ، لِيَكُونُوا مَصْدَرًا خَيْرًا لِلْعَالَمِ كَمَا كَانُوا فِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ. إِنَّهُ سَمِيعٌ مُجِيبُ الدَّعَاءِ.

الْمَفْرَقُ الْمَحْرُوسَةُ

١٤٢٧هـ = ٢٠٠٦م

الْأُسْتَاذُ الدُّكْتُورُ

قَحْطَانُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدُّورِيِّ

عَمِيدُ كَلِيَّةِ الدِّرَاسَاتِ الْفِقْهِيَّةِ وَالْقَانُونِيَّةِ - جَامِعَةِ آلِ الْبَيْتِ

الْمَفْرَقُ - الْمَمْلَكَةُ الْأُرْدُنِّيَّةُ الْهَاشِمِيَّةُ

الفصل الأول

المدخل إلى العقيدة الإسلامية

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: العقيدة الإسلامية وأدلة إثباتها:

تعريف العقيدة الإسلامية لغة واصطلاحاً.

أسماء علم العقائد.

علم العقائد أساس العلوم الشرعية.

أهمية العقيدة الإسلامية.

خصائص العقيدة الإسلامية.

أدلة إثبات العقيدة الإسلامية.

المبحث الثاني: منهج القرآن الكريم في عرض العقيدة الإسلامية.

المبحث الثالث: حالة العقائد زمن الرسول محمد ﷺ وبعده.

المبحث الأول العقيدة الإسلامية وأدلة إثباتها

تعريف العقيدة الإسلامية

العقيدة لغة: قال ابن فارس: (عقد) العين والقاف والذال أصل واحد، يدل على شدّ وشدّة وثوق، وإليه ترجع فروع الباب كلها^(١). ومن ذلك:

عَقَدَ الحَبْلَ والبيع والعهد يَعْقِد: شَدَّهُ^(٢).

وعاقدته مثل عاهدته، وهو العقد، والجمع العقود، قال تعالى: ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ - المائدة ١.

والعقد: عَقَدَ اليمين، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ﴾ - المائدة ٨٩.

وعُقْدَةُ النكاح وكلُّ شيء: وجوبه وإبرامه^(٣).

واعقدتُ كذا: عَقَدْتُ عليه القلبَ والضمير^(٤).

وهذه المعاني كلها دالة على الشدّ وهو نقيض الحلّ. قال الزبيدي: والذي صرح

(١) مُعْجَمُ مَقَائِيسِ اللُّغَةِ مادة (عقد) ج ٤ ص ٨٦.

(٢) الْقَامُوسُ الْمُحِيطُ مادة (عقد) ص ٣٨٣.

(٣) مُعْجَمُ مَقَائِيسِ اللُّغَةِ السَّابِقِ. وانظر: أَسَاسُ الْبَلَاغَةِ مادة (عقد)، والمُصْبَحُ الْمُنِيرُ مادة (عقدت) ص ٤٢١ والقَامُوسُ الْمُحِيطُ السَّابِقُ مادة (عقد).

(٤) الْمِصْبَاحُ الْمُنِيرُ السَّابِقِ.

به أئمة الاشتقاق أن أصل العقد نقيض الحَلّ...، ثم استعمل في أنواع العقود من البُيُوعَات وغيرها، ثم استعمل في التصميم والاعتقاد الجازم^(١).

والعَقِيدَةُ اضْطِلَاحاً: علم العقائد: هو علم يُقْتَدَرُ معه إثبات العقائد الدِّينِيَّةِ بإيراد الحُجَجِ ودفع الشُّبُهَةِ. والمُرَادُ بالعَقَائِدِ ما يقصد به نفس الاعتقاد دون العمل، وبالِدِّينِيَّةِ المنسوبة إلى دين مُحَمَّدٍ ﷺ^(٢).

أَسْمَاءُ عِلْمِ الْعَقَائِدِ

سُمِّيَ هَذَا الْعِلْمُ بِأَسْمَاءٍ عَدِيدَةٍ، مِنْهَا:

١ - الْفِقْهُ الْأَكْبَرُ. وهي تسمية الإمام أبي حَنِيفَةَ، وذكر أن: (الْفِقْهُ فِي الدِّينِ أَفْضَلُ مِنَ الْفِقْهِ فِي الْأَحْكَامِ، وَلَأنَّ يَتَفَقَّهَ الرَّجُلُ كَيْفَ يَعْبُدُ رَبَّهُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَجْمَعَ الْعِلْمَ الْكَثِيرَ)^(٣).

٢ - عِلْمُ التَّوْحِيدِ. وَسُمِّيَ بِهَذَا الْاسْمِ لِأَنَّهُ أَشْهَرُ مَبَاحِثِهِ وَأَهْمُهَا هُوَ مَبْحَثُ التَّوْحِيدِ^(٤).

٣ - أُصُولُ الدِّينِ^(٥). وَسُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ يَتَكَفَّلُ بَيَّانُ الْأُصُولِ الْاِعْتِقَادِيَّةِ، وَهِيَ مَا

(١) تاج العروس مادة (عقد) ج ٢ ص ٤٢٦.

(٢) الْمَوَاقِفُ لِلْإِيْجِيِّ ج ١ ص ٣٤ و ٣٨. وَعَرَفَهُ السَّعْدُ التَّفْتَّازَانِيُّ فِي الْمَقَاصِدِ ج ١ ص ١٦٣

بقوله: علم الكلام هو العلم بالعقائد الدِّينِيَّةِ عَنْ الْأَدَلَّةِ الْيَقِينِيَّةِ.

(٣) الْفِقْهُ الْأَبْسَطُ ص ٤٠.

وَالْفِقْهُ الْأَبْسَطُ هُوَ رِوَايَةُ أَبِي مَطِيْعٍ عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَهُوَ الْفِقْهُ الْأَكْبَرُ رِوَايَةُ أَبِي مَطِيْعٍ، وَعُرفَ بِالْفِقْهِ الْأَبْسَطِ تَمَيِّزاً لَهُ عَنِ الْفِقْهِ الْأَكْبَرِ رِوَايَةَ حَمَّادِ بْنِ أَبِي حَنِيفَةَ عَنْ أَبِيهِ.

(٤) شَرْحُ الْخَرِيدَةِ لِلدَّرْدِيرِ وَالصَّاوِي عَلَيْهِ ص ٢٦.

(٥) الْمَصْدَرُ السَّابِقُ.

وَقَدْ سَمِيَ الْبَغْدَادِيُّ كِتَابَهُ (أُصُولُ الدِّينِ)، وَكَذَلِكَ جِهَالُ الدِّينِ الْغَزْنَوِيُّ كِتَابَهُ (أُصُولُ الدِّينِ).

يتعلق بالإنبيات والنبويات واليوم الآخر.

وهذه التسمية مقابل علم الفقه الذي يتكفل ببيان الأحكام العملية الفرعية، ومقابل علم الأخلاق والسلوك^(١).

٤- علم الكلام. وسمي بذلك لأُمور منها:

أ- لأن مسألة كلام الله وخلق القرآن من أشهر مباحثه وأكثرها جدلاً، حتى كثر فيه الخصام^(٢).

ب- لأنه يورث قدرة على الكلام في تحقيق الشرعيات وإلزام الخصوم، مثله كمثّل علم المنطق بالنسبة للفلسفة^(٣).

ج- لأن أصحابه تكلموا في أمور سكت عنها أهل السلف من الصحابة والتابعين، كمسائل الصفات والقدر^(٤).

علم العقائد أساس العلوم الشرعية

جميع العلوم الشرعية مبنية على هذا العلم، لأنه إذا لم يثبت وجود صانع عالم قادر مُرسِل للرسل ومنزل للكتب لم يتصور علم التفسير والحديث ولا علم الفقه وأصوله. فكلها متوقفة على علم الكلام مقتبسة منه، والآخذ فيها بدونه كمن يبني على غير أساس^(٥).

(١) كتابنا: أصول الدين الإسلامي ص ١٥.

(٢) المواقف ج ١ ص ٦٠ وشرح العقائد النسفية للتفتازاني ص ١٥ والصاوي على الدردير السابق.

(٣) المواقف، وشرح العقائد النسفية، السابقان.

(٤) كتابنا: أصول الدين الإسلامي السابق.

(٥) المواقف، وشرحه للسيّد الشريف ج ١ ص ٥١.

ومن فَوَائِدِ دراسةِ هَذَا العلم:

- ١- الترقّي من خَضِيضِ التقليدِ إلى ذُرْوَةِ اليقين، وهي المنزلة العَالِيَةُ المُرَادَةُ بقوله تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ - المجادلة ١١.
 - ٢- إِرْشَادُ الْمُسْتَرَشِدِّينَ بِإِيضَاحِ السَّبِيلِ لَهُمْ إلى عَقَائِدِ الدِّينِ، وإِلْزَامُ المعاندين بِإِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ.
 - ٣- حَفَظُ عَقَائِدِ الدِّينِ عَنْ أَنْ تَزُلْهَا شُبُهَةُ الْمُبْطِلِينَ^(١).
- وهَذَا مَا تَضَمَّنَهُ تعريفُ الإِيْجِيَّ لَعِلْمِ الْعَقَائِدِ الْمُتَقَدِّمِ أَنْفَاءً.

أَهْمِيَةُ الْعَقِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ

تتجلى أهمية العَقِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي حَيَاةِ الْمُسْلِمِ بِمَا يَأْتِي:

- ١- تَحْرِيرُ الْإِنْسَانِ مِنَ الْعُبُودِيَّةِ لِغَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى. فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خَلَقَ الْإِنْسَانَ لِيَعْمَرَ الْأَرْضَ، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ - هود ٦١^(٢).
- وَجَعَلَهُ عَزَّ وَجَلَّ خَلِيفَةً لَهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ - البقرة ٣٠.
- وَسَخَّرَ لَهُ مَخْلُوقَاتِهِ، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ - لقمان ٢٠.
- وَجَهَّزَهُ بِمَلَكَاتٍ وَصِفَاتٍ لِيَقُومَ بِمَهْمَةِ خِلَافَتِهِ فِي الْأَرْضِ، فَخَلَقَ لَهُ الْعَقْلَ فَادْرَكَ مَا حَوْلَهُ، وَجَبَلَهُ عَلَى الْإِنَانِيَّةِ فَمَلَكَ الْمَالِ وَغَيْرِهِ، قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَأَحْضَرْتَ الْأَنْفُسَ أَلْسُنًا﴾ - النساء ١٢٨، وَأَوْدَعَ فِيهِ الْقُوَّةَ فَسَيَّطَرَ عَلَى الْآخَرِينَ، وَبَثَّ فِيهِ الْعَوَاطِفَ

(١) الْمَوَاقِفُ، وَشَرْحُهُ لِلسَّيِّدِ الشَّرِيفِ، السَّابِقَانِ.

(٢) اسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا: جَعَلَكُمْ عُمَارَهَا وَسُكَّانَهَا. / تَفْسِيرُ الْقُرْطُبِيِّ.

فأحبَّ وكره وغضب.

إلا أن هذه المَلَكات والصفات سلاح ذو حدين، فإن استُعملت على الوجه الصَّحِيح جاءت بالخَيْر الوفير، وإن استُعملت بالوجه الآخر جاءت بالشرِّ الويل، فصفة القوة مثلاً تدفع صاحبها إلى ظلم الآخرين استعبادهم وغصب أموالهم وانتهاك حرماهم، كما هو معروف في التاريخ، فكان ذلك مصدر شقاء بدل أن تكون مصدر راحة وسعادة.

لذلك لا بد من توجيه هذه الصفات إلى الوجهة الصالحة، والطريق الوحيد لذلك هو العقيدة، فإذا آمن الفرد بوجود الله تعالى ووحدانيته، وأنه لا قوة إلا قوته، وأنه الرقيب على عباده، والمحاسب لهم يوم القيامة على ما قدموه من عمل في حياتهم الدنيا، شعر هذا الفرد عندئذ بأنه عبد لهذا الإله، فتقلب تلك الصفات إلى وسائل للسعادة في الحياة، فتغدو نزعة التملك وسيلة لإقامة حياة عادلة، ونزعة القوة والبطش وسيلة إلى حراسة الحقوق، ونزعة العلم قُبساً هادياً. وعند ذلك ينزل المتكبرون عن عليائهم، ويرتفع المستضعفون عن ذلهم وصغارهم^(١).

وبذلك يتحرر الإنسان من العبودية لغير الله تعالى، قال عز وجل: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ - القصص ٨٨.

٢- تحرير العقل من التقليد الأعمى والأوهام، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ ١٠. وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير ١١ - لقمان.

والدعوة إلى التفكير وإعمال العقل، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ - الأنعام ٥٠، وقال عز وجل: ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ

(١) كبرى اليقنيات الكونية ص ٦٥-٦٦.

تَعْقِلُونَ ﴿ - آلِ عِمْرَانَ ١١٨ .

٣- الالتزام بما ورد في القرآن الكريم والسُّنَّة النبوية من أوامر، والانتهاز عن نواهيه، قال تعالى: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ - آلِ عِمْرَانَ ١٣٢، وقال عز وجل: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ - الأحزاب ٣٦ .

والاعتقاد بالله رباً وبمحمد ﷺ نبياً هو أساس محكم كتابه عز وجل، قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ - النساء ٦٥ .

٤- تربية الضمير اليقظ، الذي يغدو به صاحبه محاسباً نفسه عما قدم من أعمال، قال ﷺ: (حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا)^(١)، لأن الله تعالى يحاسب الناس على أعمالهم، قال سبحانه: ﴿ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ ﴾ - البقرة ٢٨٤ .

فيراقب الله سبحانه وتعالى على الدوام في عبادته وعمله وأكله وشربه وعلاقته بأسرته ومجتمعه، قال ﷺ: (اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَاتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ)^(٢) .

(١) حَدِيث: حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ... إلخ: ذكره الرَّازِيّ في شَرْحِ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى ص ٢٦٢. لَكِنَّهُ وَرَدَ فِي سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ فِي: ٣٤ كِتَابِ صِفَةِ الْقِيَامَةِ، ٥٩ بَاب، رَقْم ٢٤٥٩، ص ٤٠٢: (وَيُرَوَّى عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ: حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا، وَتَزَيَّنُّوا لِلْعُرْضِ الْأَكْبَرِ، وَإِنَّمَا يَخْفُ الْحِسَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ فِي الدُّنْيَا). وَرَوَى الْأَثَرُ أَيْضًا فِي الْكِتَابِ الْمَصْنُوفِ لِابْنِ أَبِي شَيْبَةَ فِي: ٣٣ كِتَابِ الزُّهْدِ، ٨ كَلَامِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، رَقْم ٣٤٤٤٨، ج ٧ ص ١١٥ بَلْفُظ: (عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَنَّهُ قَالَ فِي خُطْبَتِهِ: حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا، وَزِنُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُوزَنُوا، وَتَزَيَّنُّوا لِلْعُرْضِ الْأَكْبَرِ يَوْمَ تَعْرَضُونَ لَا يَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ).

(٢) حَدِيث: اتَّقِ اللَّهَ... إلخ: أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ

لأنه يعلم أن الله عزَّ وجلَّ يجزيه على كلِّ أَعْمَالِه، قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (٨) - الزلزلة.

فإذا كانت بيده أموال غيره مثلاً لا يخون ولا يغدر، لأنه يقول: إني أخاف الله. وبذلك يكون الإحساس بالمسؤولية والانضباط.

٥- تَهْذِيبُ السُّلُوكِ وَالْأَخْلَاقِ^(١). فيكون المسلم بتأثير العقيدة الإسلامية:

- عَزِيزَ النَّفْسِ، حَرًّا، شَجَاعًا لَا يَخْضَعُ إِلَّا لِلَّهِ تَعَالَى. قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ - المنافقون ٨، لأنه يرى أن الأجل بيده تعالى وحده.

- متواضعاً للمؤمنين، قال تعالى: ﴿أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ - المائدة ٥٤.

- غير مُتَكَبِّرٍ وَلَا فَخُورٍ، قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ - لقمان ١٨.

- مَحِبًّا لِلْآخِرِينَ بَارًّا بِهِمْ، قال ﷺ: (لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ)^(٢)، وقال ﷺ: (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يُسْلِمُهُ، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرَّج عن مسلم كربةً فرَّج الله عنه بها كربةً من كربة يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة)^(٣).

والبَيْهَقِيُّ فِي شُعَبِ الْإِيمَانِ عَنْ أَبِي ذَرٍّ. وَأَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالبَيْهَقِيُّ فِي شُعَبِ الْإِيمَانِ عَنْ مُعَاذٍ. وَأَخْرَجَهُ ابْنُ عَسَاكِرَ عَنْ أَنَسٍ. / الجامع الصغير ص ١٤.

(١) انظر تأثير العقيدة في الفرد والمجتمع في: الإيمان والحياة، والعقيدة الإسلامية وأسسها ص ٢٩ وعقيدة التوحيد في القرآن الكريم ص ٣٨.

(٢) حديث: لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ... إلخ: أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ وَالبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَهَ عَنْ أَنَسٍ. وَهُوَ صَحِيحٌ. / الجامع الصغير ص ٥٨٦.

(٣) حديث: المسلم أخو المسلم لا يظلمه... إلخ، في: صحيح مسلم في: ٤٥ كتاب البرِّ والصَّلة، ١٥ باب تحريم الظلم، رقم ٢٥٨٠، عن سالم عن أبيه (عبد الله بن عمر).

- مُؤَثَّرًا غَيْرَهُ عَلَى نَفْسِهِ فِي بَذْلِهِ وَعَطَائِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ - الحشر ٩، لَأَنَّهُ يَحْسِبُ أَنَّ الرِّزْقَ إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ.

- أَمْرًا بِالْمَعْرُوفِ وَنَاهِيًا عَنِ الْمُنْكَرِ وَصَبُورًا عَلَى الْبَلَاءِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَبْنِي أَقِمِ الصَّلَاةَ وَامْرُءٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ - لقمان ١٧.

- عَامِلًا مَتَقِنًا عَمَلَهُ وَمَخْلَصًا فِيهِ بَعِيدًا عَنِ التَّوَاكُلِ وَالتَّكَاسُلِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ - التوبة ١٠٥، وَقَالَ ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتْقِنَهُ) ^(١).

- قَدَوَةً وَمَثَالًا حَسَنًا فِي كُلِّ مَا يَقُولُ وَيَفْعَلُ، مَتَحَلِّيًا بِالْخُلُقِ الرَّفِيعِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، اقْتِدَاءً بِالرُّسُولِ مُحَمَّدٍ ﷺ الْأُسْوَةِ الْحَسَنَةِ لِلنَّاسِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ - الأحزاب ٢١، الْمَوْصُوفِ بِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ - القلم ٤.

وَبِذَلِكَ تَكُونُ الْعَقِيدَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ الْأَسَاسُ الْأَوَّلُ فِي بِنَاءِ شَخْصِيَّةِ الْمُسْلِمِ، فَيَكُونُ عَضْوًا نَافِعًا فِي الْمَجْتَمَعِ، يَهْدَفُ إِلَى مَرْضَاةِ اللَّهِ تَعَالَى فِي كُلِّ مَا يَقُومُ بِهِ مِنْ أَعْمَالٍ، وَيَجْعَلُ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْتَقِمُ﴾ - الْحُجُرَات ١٣ نُصَبَ عَيْنِهِ إِذَا فَاضَلَ بَيْنَ النَّاسِ.

فَإِذَا صَلَحَ حَالُ الْأَفْرَادِ صَلَحَتِ الْأُسْرَةُ ثُمَّ الْمَجْتَمَعُ، وَكَانَتِ الْأُمَّةُ عِنْدَئِذٍ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ - آلِ عِمْرَانَ ١١٠.

مَثَلُهَا فِي التَّرَاحُمِ وَالصَّلَةِ كَالْجَسَدِ الْوَاحِدِ، قَالَ ﷺ: (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ

(١) حَدِيثٌ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ... إلخ: رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي شُعَبِ الْإِيمَانِ، عَنْ عَائِشَةَ. / الْجَامِعُ الصَّغِيرُ لِلسُّنَنِ ص ١١٥ وَضَعْفُهُ.

وتراحهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى^(١).

تشهد على الأمم، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ - البقرة ١٤٣.

خصائص العقيدة الإسلامية

تتميز العقيدة الإسلامية بخصائص أهمها:

١ - مصدرها إلهي، وليس للبشر نصيب في وضع أسسها، فالقرآن الكريم كتاب الله وهو مصدر الشريعة الإسلامية الأول أنزله على الرسول محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ - النحل ٨٩.

وتكفل الله بحفظه حيث قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ - الحجر ٩.

فالعقيدة الإسلامية، وهي ركن الإسلام الأول، وحيي أوحى الله تعالى بها إلى رسوله الكريم ﷺ، فلا مجال للتغيير والتحريف، قال عز وجل: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا آتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَبْدِلَهُ مِنْ تِلْقَائِي نَفْسِي إِنِ اتَّبَعْتُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ﴾ - يونس ١٥، فلها قدسيته وهيبته في نفوس المسلمين، فتحترم وتطاع طاعة اختيارية لا إجبار عليها ولا إكراه.

(١) حديث: مثل المؤمنين... إلخ: رواه أحمد في مسنده ومسلم عن النعمان بن بشير. وهو صحيح. / الجامع الصغير ص ٤٩٨. واللفظ لمسلم في صحيحه، ٤٥ كتاب البر والصلة، ١٧ باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، رقم ٢٥٨٦، عن النعمان بن بشير.

بخلاف النُّظَرِيَّاتِ والأفكار والمبادئ المستوحاة من فكر البشر، التي يعترها التغيير والنقض المستمر من قبل الحَاكِمِ أو رجل الدِّينِ أو الآخرين.

٢- استقلالها عن غيرها من العَقَائِدِ، فهي قائمة بذاتها، مصدرها الرئيس كتاب الله العَزِيز وهو القرآن الكريم، ومصدرها الثاني السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ الْمُشَرَّفَةُ.

فهي لا تقرّ المادية الملحدة التي تجحد وجود الله تعالى، ولا الوثنية، ولا الاعتقاد بأكثر من إله، لأنها قائمة على تَوْحِيدِ الله المطلق، قال عزَّ وجلَّ: ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴾ (١١) عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَلَّى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٢﴾ - الْمُؤْمِنُونَ.

٣- ملاءمتها للفِطْرَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ، قال تعالى: ﴿ فَأَقَمَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا يَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ - الرُّومُ ٣٠. فالإسلام دين الفِطْرَةِ، والفِطْرَةُ كما قال ابن عَطِيَّة هي: (الْخِلْقَةُ والهيئة التي في نفس الطفل التي هي مَعْدُودَةٌ مُهَيَّأَةٌ لَأَنْ يُمِيزَ بِهَا مَصْنُوعَاتِ اللَّهِ تعالى، ويستدل بها على ربه جلَّ وعلا، ويعرف شرائعَهُ ويؤمن به، وقيل: الفِطْرَةُ: المِلَّةُ أو الدِّينُ) (١).

ومنه قوله ﷺ: (كل مولود يولد على الفِطْرَةِ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه...).

فلم يقل: أو يُسَلِّمَانِهِ، لأن الإسلام هو الفِطْرَةُ، لذا ورد في رِوَايَةٍ أُخْرَى: (يولد على المِلَّةِ)، وفي أُخْرَى (على هَذِهِ المِلَّةِ) (٢).

(١) تَفْسِيرُ الْمُحَرَّرِ الْوَجِيزِ ج ١١ ص ٤٥٣-٤٥٤.

(٢) شَرْحُ الْعَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّةِ ص ٣٣-٣٤ والروايتان الأخيرتان لمُسْلِمٍ.

وفي الهامش: حَدِيثُ: كل مولود على الفِطْرَةِ... إلخ: أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَأَحْمَدُ وَمَالِكٌ وَغَيْرُهُمْ.

٤- نصوصها النقلية لا يُعارضها العقل. مبدأ إثبات العقيدة الإسلامية وبيان قواعدها هو النص من القرآن الكريم والسنة النبوية، لكن لم يكن ذلك من باب الاعتقاد الأعمى، بل أقام عليه الأدلة من العقل، وطلب من البشر أن يفكروا لتمتلي نفوسهم إيماناً، فقال تعالى: ﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ - يونس ١٠١، وقال عز وجل: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ﴾ (١٠) ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (١١) - الذاريات.

وأقام القرآن الكريم الأدلة على وجوده تعالى ووحدانيته، والنبوة، واليوم الآخر وبعث الأجساد فيه من القبور، وعلى سائر جزئيات العقيدة.

وقد بين ابن تيمية: أنه لا يوجد قط نص صحيح يخالف العقل. وإذا وجدت المخالفة إما أن تكون مخالفة ظاهرة وإمكانية الجمع بينهما حاصلة، وإما أن تكون المخالفة ناشئة عن علة في العقل، كأن يكون صاحبه من أهل البدع والأهواء، فيحاول أن يلوي النص ليوافق عقله، وإما أن تكون المخالفة من جهة أن نسبة النقل إلى النبي ﷺ غير صحيحة^(١).

أدلة إثبات العقيدة الإسلامية

أدلة إثبات العقيدة الإسلامية نوعان: نقلية وعقلية.

أما الأدلة النقلية فهي نصوص القرآن الكريم، والسنة النبوية الثابتة عن رسول الله ﷺ.

وأما الأدلة العقلية فهي المبنية على البراهين اليقينية التي يقيمها العقل، وهي مبثوثة في ثنايا الكلام على مسائل العقيدة كلها.

(١) ممن كتب في هذه الخصائص: د. عبد الكريم زيدان: المدخل إلى دراسة الشريعة الإسلامية ص ٣٥ و د. محمد ملكاوي: عقيدة التوحيد في القرآن الكريم ص ٢٨. وكلام ابن تيمية في كتابه (درء تعارض العقل والنقل) المشهور باسم (موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول).

الأدلة النقليّة:

اتفق العلماء على أن المصدر الأول الذي ثبت به العقيدة الإسلامية هو القرآن الكريم والحديث المتواتر^(١)، وكلاهما قطعي الثبوت عن رسول الله ﷺ، بشرط أن تكون دلالة كل منهما قطعية صريحة لا تحمل التأويل.

ولكن العلماء اختلفوا في خبر الآحاد - وهو الذي يرويهِ راوٍ أو أكثر لم يبلغوا حد التواتر - هل تثبت به العقيدة أو لا؟ على أقوال:

القول الأول: أحاديث الآحاد لا تثبت بها العقيدة، وهي تفيد العمل بها دون العلم، أي: دون القطع. وهو مذهب أكثر أهل العلم وجمهُور أهل الفقه والنظر كما ذكر ابن عبد البر في التمهيد، وجاهير المسلمين من الصحابة والتابعين فمن بعدهم من المحدثين والفُقهاء وأصحاب الأصول كما ذكر النووي في شرح صحيح مسلم^(٢).

(١) الحديث المتواتر: هو ما رواه عن رسول الله ﷺ جمع يمتنع عادة أن يتواطأ أفرادُه على الكذب، لكثرتهم وأمانتهم واختلاف وجهاتهم وبيئاتهم، ورواها عن هذا الجمع جمعٌ مثله، حتى وصلت إلينا بسندٍ، كلُّ طبقةٍ من رواته جمعٌ لا يتفقون على كذب، من مبدأ التلقي عن الرسول ﷺ إلى نهاية الوصول إلينا. مثل السنن العملية في أداء الصلاة والصيام... / علم أصول الفقه لعبد الوهاب خَلاف ص ٤١.

(٢) وكذا حكاها في الإزْشاد والتقرُّب، وبه قال أبو حنيفة ومالك والشافعي والرواية المشهورة عن أحمد، وعليه أكثر الحنابلة، وبه قال ابن تيمية في منهاج السنة، والقرافي في تنقيح الفصول وشرحه، وأبو منصور البغدادِي في أصول الدين، والأسنوي، والبايجي في الإشارة وتحقيق المذهب وإحكام الفصول، وإمام الحرمين في البرهان والورقات، والغزالي في المستصفى، وأبي إسحاق الشيرازي في التبصرة واللمع، والخطيب البغدادِي في الكفاية، والفخر الرازي في المطالب العالية والمعالِم وأساس التقديس، وابن الأثير في مقدمة جامع الأصول، وابن الحاجب في منتهى الوصول، وصدر الشريعة في التنقيح وشرحه التوضيح، والسعد التفتازاني

ومن حجج هذا القول:

١- لو أفاد خبر الواحد العلم (القطع) لوجب تصديق كل خبر نسمعه، لكننا لا نصدق كل خبر نسمعه ولو كان ناقله ثقة، فهو لا يفيد العلم.

٢- لو أفاد خبر الواحد العلم لجاز نسخ القرآن ومتواتر السنة به، لكونه بمنزلة ما في إفادة العلم، لكن نسخ القرآن ومتواتر السنة به لا يجوز لضعفه عنهما، فدل أنه لا يفيد العلم.

٣- لو أفاد خبر الواحد العلم لجاز الحكم بشاهد واحد، ولم يحتج معه إلى شاهد ثانٍ، ولا إلى يمين عند عدمه، والحكم بشاهد واحد بمجرد غير جائز بالاتفاق، وذلك دليل على أنه لا يفيد العلم.

٤- ثبت عن بعض الصحابة رضي الله عنهم أنهم قد ردوا بعض الأحاديث الأحادية

في التلويح، والسمرقندي في ميزان الأصول، والبرزدوي وشارحه عبد العزيز البخاري، والسرخسي في أصوله، والجصاص في الفصول، وابن جزئي في تقريب الوصول إلى علم الأصول، وابن برهان في الوصول إلى الأصول، وابن السبكي في جمع الجوامع والمجلي عليه، وابن عبد الشكور في مسلم الثبوت، وابن عاصم في مرتقى الوصول وشارحه في نيل السؤل، وأبو الخطاب الحنبلي في التمهيد، وصفي الدين البغدادي الحنبلي في قواعد الأصول، وابن قدامة في روضة الناظر وحاشيته لابن بدران، والطوفي في البلبل في أصول الفقه، والسفاري في الحنبلي في لوائح الأنوار السنية، ومحمد عبده، ومحمد رشيد رضا في المنار، والصنعاني في إجابة السائل، والشنقيطي في مراقي الصعود، وغيرهم، وبهذا القول قال الإباضي قاطبة، والمعتزلة، والزيديّة، وجمهور الحنفيّة والشافعيّة، وجماعة من الظاهريّة.

وردت نصوص هؤلاء العلماء وغيرهم في كتاب السيف الحاد في الرد على من أخذ بحديث الآحاد في مسائل الاعتقاد لسعيد بن مبروك القنوبي ص ٦١-٧٨ و ص ٧-٨. وانظر: روضة الناظر لابن قدامة وشرحها نزهة الخاطر العاطر لابن بدران ج ١ ص ٢٦١ ولوائح الأنوار البهية ص ١٧-٢٠.

لمعارضتها ظَاهِرُ الْقُرْآنِ أو بعض الروايات الأخرى، فلو كانت أخبار الآحاد تفيد القطع لما ردّوها^(١).

القول الثاني: أخبار الآحاد يُحْتَجُّ بها في الْمَسَائِلِ الْعَقَدِيَّةِ، وأنها تفيد القطع. فهي تفيد العلم الظَّاهِرَ وَالْعَمَلَ معاً. وهو مَذْهَبُ كَثِيرٍ من أهل الأثر وبعض أهل النَّظَرِ كما قال ابن عبد البرِّ في التَّمْهِيدِ، وبعض الظَّاهِرِيَّةِ منهم ابن حَزْمٍ^(٢)، وذكره ابن تَيْمِيَّةَ عن الْقَاضِي عبد الوَهَّابِ الْمَالِكِيِّ وَالْإِسْفَرَائِينِيِّ وَالْقَاضِي أَبِي الطَّيِّبِ الطَّبْرِيِّ وابن فُورَكَ وآخرين^(٣).

ومن حجج هذا القول:

١- أن النَّبِيَّ ﷺ حين كان يَلْتَقِي الناس أفراداً وجماعات في موسم الحج كانوا يرجعون إلى بلدانهم، فيخبرون أقوامهم بما سمعوه منه عليه الصلاة والسلام، فدل على أن خبر الآحاد تقوم به الْحُجَّةُ في قضايا الْعَقَائِدِ كَالْقَضَايَا الْفُرْعِيَّةِ الْفِقْهِيَّةِ.

٢- أهل قُبَاءٍ أخذوا بخبر الْوَاحِدِ في التَّحَوُّلِ إِلَى الْقِبْلَةِ، وأقرهم الرَّسُولُ ﷺ على ذَلِكَ.

وَأُجِيبَ عَلَى هَذِهِ الْأَدِلَّةِ:

بأن الْأُصُولَ الْاِعْتِقَادِيَّةَ قد انتقلت عن طريق التواتر القطعي، لشيوع أمر الدعوة بحيث لم يُخَفَّ عَلَى أَحَدٍ.

(١) السَّيْفُ الْحَادِ السَّابِقُ ص ١٣-١٨ و ٧٥.

(٢) السَّيْفُ الْحَادِ السَّابِقُ. وفيه أيضاً: وبه قال بعض أهل الْحَدِيثِ كما ذكر النَّوَوِيُّ فِي شَرْحِ مُسْلِمٍ، وَالْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ الْكَرَابِيسِيُّ، وَبعض الْحَنَابِلَةِ، وذكر ابن خُوَيْزِمَنْدَادٍ مِنَ الْمَالِكِيَّةِ أن هَذَا الْقَوْلَ يُخْرِجُ عَلَى مَذْهَبِ مَالِكٍ. وَهَذِهِ أَسْمَاءُ وَارِدَةٌ فِي النُّصُوصِ الَّتِي اقْتَبَسَهَا الْفَنَوِيُّ فِي السَّيْفِ الْحَادِ مِنْ أَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ.

(٣) اخْتِصَارُ عُلُومِ الْحَدِيثِ ص ٣٦.

أما المسائل الفقهيّة فلا مانع من أن يبلغها واحد بالاتفاق^(١).

القول الثالث: إن ما أخرجه الشيخان البخاري ومسلم في صحيحيهما أو رواه أحدهما مقطوع بصحته، والعلم اليقيني النظري واقع به، وهو ما اختاره ابن الصلاح، واستثنى أحاديث قليلة تكلم عليها علماء الحديث^(٢).

قال النووي في التّقرير: خالف ابن الصّلاح المحققون والأكثر، فقالوا: يفيد الظن ما لم يتواتر^(٣).

والذي يظهر: أن كلام جمهور العلماء في أن العقائد لا تثبت بخبر الواحد، يراد به: أن الاعتقاد هو عقد القلب على الثابت الذي لا يمكن أن يطرأ عليه في وقت من الأوقات خطأ ولا وهم، وذلك لا يمكن حصوله إلا بنص الكتاب والمتواتر من سنة رسول الله ﷺ، بشرط أن تكون دلالة كل منهما نصاً صريحاً لا يحتمل التأويل، وما عدا ذلك لا يمكن الاعتماد عليه في باب الاعتقاد^(٤).

قال الشيخ محمّد شلتوت بعد أن نقل نصوصاً عن الغزالي والأسنوي والبرزدوي في أن رواية الأحاد تفيد الظن: وهكّذا نجد نصوص العلماء من متكلمين وأصوليين مجمعة على أن خبر الأحاد لا يفيد اليقين، فلا تثبت به العقيدة...، وليس معنى هذا أنه لا يُحدث علماً لإنسان ما، فإن من الناس من يحدث العلم في نفسه بما هو أقل من خبر الواحد الذي نتحدث عنه، ولكن لا يكون ذلك حجة على أحد، ولا تثبت به عقيدة يُكفر جاحدها، فإن الله تعالى لم يكلف عباده عقيدة من العقائد عن طريق من شأنه أن لا يفيد إلا الظن. ومن هنا يتأكد أن ما قررناه من أن أحاديث الأحاد لا تفيد عقيدة ولا

(١) السيف الحاد السابق ص ٥٧.

(٢) الباعث الحثيث ص ٣٦.

(٣) السيف الحاد السابق ص ٨٣ وما بعدها، وأورد نصوصاً في ذلك.

(٤) السيف الحاد ص ٢٣.

يَصَحُّ الاعتماد عليها في شأن المغيبات قولٌ مَجْمَعٌ عليه، وثابتٌ بحكم الضرورة العقلية التي لا مجال للخلاف فيها عند العقلاء^(١).

فقول العلماء: إن العقائد لا يقبل فيها إلا المتواتر، يريدون به أن العقائد هي ما يكفر جاحده^(٢).

وعليه: فإن من أنكر عَقِيدَةً ثبتت بدلالة ظنية في نص قطعي الثبوت، أو ثبتت بدلالة قطعية في نص ظني الثبوت كالأحاديث الآحاد، أو بدلالة ظنية في نص ظني الثبوت فإنه لا يكفر بذلك^(٣).

(١) الإسلام عَقِيدَةٌ وشريعة ص ٦٠-٦١.

(٢) الْمُخْتَصَرُ الْمُفِيدُ فِي شَرْحِ جَوْهَرَةِ التَّوْحِيدِ ص ١٧.

(٣) العَقِيدَةُ الإِسْلَامِيَّةُ وَأُسُسُهَا ص ٣٨.

(تَنْبِيْهُ): نصوص القرآن الكريم:

هي من جهة الورد (أي: ثبوتها عن النبي ﷺ): قطعية الثبوت كلها، فنجزم ونقطع بأن كل نص في القرآن هو النص الذي أنزله الله تعالى على رُسُوله الكريم، وبلغه الرَسُولُ ﷺ إلى الأمة.

ومن جهة الدلالة نوعان:

أ- قطعية الدلالة: مثل: قوله تعالى: ﴿فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ - النور ٢، فالنص قطعي الدلالة على أن حد الزنا لغير المُحْصَن مئة جلدة، لا أكثر ولا أقل.

ب- ظنية الدلالة: مثل: قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ - البقرة ٢٢٨، فلفظ القُرء يطلق في اللُّغة على الطهر وعلى الحيض، فالنص ليس قطعي الدلالة على معنى واحد منهما، لذلك اختلف الفقهاء فيه، ففسره الشافعية بالطهر، وفسره الحنفية بالحيض.

نصوص السُّنة النبوية:

هي من جهة الورد نوعان:

فالجُمهُور حين قالوا بأن العقائد لا تثبت بخبر الواحد أرادوا عدم تكفير من أنكر عقيدة ثبتت به.

والجُمهُور حين ذهبوا لهذا المذهب رأوا أن أخبار الآحاد متى صح إسنادها، وكانت متونها غير مستحيلة في العقل، كانت موجبة للعمل بها دون العلم، وكانت بمنزلة شهادة العدول عند الحاكم، يلزمه الحكم بها في الظاهر وإن لم يعلم صدقهم في الشهادة^(١).

أ- قطعية الورود: مثل: الحديث المتواتر.

ب- ظنية الورود: مثل: أخبار الآحاد.

ومن جهة الدلالة نوعان:

أ- قطعية الدلالة: مثل: قوله ﷺ: (بُني الإسلام على خمس...)، فالحديث نص قاطع الدلالة على أن أركان الإسلام خمسة، لا أكثر ولا أقل.

ب- ظنية الدلالة: مثل: قوله ﷺ: (لا يُصلِّيَنَّ أحدٌ منكم العصر إلَّا في بني قُريظة). فاختلف الصحابة فيه، فمنهم من صلى في الطريق، لأن صلاة العصر أدركته، ومنهم من أبى فلم يصل إلَّا في بني قُريظة أخذاً بلفظ الحديث. / انظر: علم أصول الفقه لعبد الوهاب خُلاف ص ٣٤-٤٢.

(١) أصول الدين للبغداديّ ص ١٢. وانظر نصوص بعض العلماء في ذلك في كتاب: السيف الحاد المتقدم.

المبحث الثاني

منهج القرآن الكريم في عرض العقيدة الإسلامية

للقرآن الكريم منهج واضح في عرض العقيدة، يتبين فيما يأتي:

١ - أعلى الله سبحانه وتعالى العقل، ورفع مكانته، وعظم مقامه.

قال عز وجل: ﴿فَفَهَّمْنَهَا سُلَيْمَنَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ - الأنبياء ٧٩.

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أُولُوا

الْأَلْبَابِ﴾ - البقرة ٢٦٩.

- ودعا إلى إعمال العقل، والنظر في ملكوت السموات والأرض:

قال سبحانه: ﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ - يونس ١٠١.

وقال عز وجل: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ -

العنكبوت ٢٠.

- وعاب القرآن الكريم على المعطّلين لعقولهم.

قال عز وجل على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ

مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ (٦٦) ﴿أَفِ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ

﴾ - الأنبياء. (٦٧)

- وعاب على من يكتفي بتقليد الآباء.

قال سبحانه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءِآبَاءَنَا أَوَلَوْ

كَانَ ءِآبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ - البقرة ١٧٠.

لذَلِكَ قَالَ الْإِمَامُ مُحَمَّدٌ عَبْدُهُ: (وَتَأَخَى الْعَقْلَ وَالدِّينَ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ فِي كِتَابٍ مُقَدَّسٍ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّ مُرْسَلٍ، بِتَصْرِيحٍ لَا يَقْبَلُ التَّأْوِيلَ) ^(١).

٢- عرض نظام الكون للتفكير به والتدبر بالآله.

قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۝﴾ - البقرة.

فَالْقُرْآنُ الْكَرِيمُ عَرَضَ هَذِهِ الْمَظَاهِرَ الْكَوْنِيَّةَ، كَالسَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَالْمَطَرِ وَالرِّيحِ، وَالنَّبَاتَاتِ بِأَشْكَالِهَا، وَالْمَخْلُوقَاتِ بِأَنْوَاعِهَا، لِيَتَدَبَّرَ الْإِنْسَانُ هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ، وَيَعْلَمَ أَنَّهَا لَمْ تَكُنْ مِنْ صَنْعِ الْبَشَرِ، بَلْ هِيَ مِنْ صَنْعِ اللَّهِ تَعَالَى الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، وَبِالتَّالِي يُلْزَمُ أَنْ يَتَجَهَّزَ الْإِنْسَانُ إِلَيْهِ بِالْعِبَادَةِ.

أَمَّا الْعَاجِزُ عَنِ الْخَلْقِ كَالْأَصْنَامِ وَالْمَخْلُوقَاتِ الْآخَرَى، فَلَا تَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ، قَالَ تَعَالَى:

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبٌ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ ۚ إِنَّكَ الْذِيكَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ ۚ وَإِنْ يَسْلُبْنَاهُمْ الذُّبَابَ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ۝﴾ - الحج ٧٣.

٣- ذَكَرَ أَصُولُ الْعَقِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي: الْإِلَهِيَّاتِ، وَالنَّبَوِيَّاتِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَأَقَامَ الْبُرْهَانَ عَلَيْهَا.

- فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هُوَ رَبُّ الْكَوْنِ، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ۝ مَلِكُ يَوْمِ الدِّينِ ۝﴾ - الفاتحة.

- وَاسْتَدَلَّ بِمَخْلُوقَاتِهِ عَلَى وَجُودِهِ تَعَالَى:

قَالَ تَعَالَى: ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۚ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي

ضَلَّلِ مُبِينٍ ﴿ - لقمان ١١ .

- وبرهن أنه واحد لا شريك له في قوله:

﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ - الأنبياء ٢٢ .

- ووصف نفسه بأوصاف الكمال. وسيأتي بيان ذلك تفصيلاً عند الكلام على الصفات الإلهية.

- وأرسل الرسل والأنبياء هداة للبشر الى طريق سعادتهم في الدنيا والآخرة.

قال عز وجل: ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ - آل عمران ١٦٤ .

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ - النحل ٣٦ .

- وأوجب الإيمان باليوم الآخر.

قال تعالى: ﴿ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثَنَ ﴾ - التغابن ٧ .

وأقام الدليل عليه بقوله عز وجل: ﴿ قَالَ مَن يُحْيِ الْعِظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ (٧٩) - يس .

٤ - حكى أقوال المخالفين، ورد عليهم بالبرهان.

- فرد على عبّاد الأصنام والأوثان بقوله عز وجل:

﴿ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ ۚ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ - العنكبوت ١٧ .

- وَرَدَّ عَلَى عِبَادِ الْكَوَاكِبِ وَالْقَمَرِ وَالشَّمْسِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى الْكُوكَبَ قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾
فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْنَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ
الصَّالِينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَنْقُومُ إِلَيَّ
بَرِيءٌ مِمَّا تَشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِلَيَّ وَجْهَتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا
مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ - الأنعام.

- وَرَدَّ عَلَى عِبَادِ الْمَلَائِكَةِ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ:

﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ
أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ - سبأ.
- وَرَدَّ عَلَى الْيَهُودِ بِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿ قُلْ يَأَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ
صَادِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ - الجمعة.

- وَرَدَّ عَلَى مَنْ اعْتَقَدَ أَنَّ الْمَسِيحَ إِلَهٌ يُعْبَدُ، بِقَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي آلِهَتَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ
قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي
وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمَ الْغُيُوبَ ﴿١١٦﴾ - المائدة.

- وَرَدَّ عَلَى مَنْ يَقُولُ بَأَنَّ اللَّهَ اتَّخَذَ وَلَدًا، بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ:

﴿ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿١٢﴾ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ
عَبْدًا ﴿١٣﴾ - مريم.

- وَرَدَّ عَلَى مَنْ كَرِهَ النُّبُوَّةَ وَكَفَّرَهُمْ، قَالَ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ

وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾
أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٥١﴾ - النساء.

- وَرَدَّ عَلَى مُنْكَرِي الْبَعْثِ وَالنَّشُورِ، قَالَ سُبْحَانَهُ:

﴿وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبْ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أَلَمْ يَأْتِ خَلْقَ حَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا
بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِيْ أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ - الرعد ٥.

٥- عَرَضَ الْعَقِيدَةَ بِأَسْلُوبٍ سَهْلٍ يَفْهَمُهُ الْأُمِّيُّ السَّادِجُ، وَالْعَالَمُ الْمُتَبَخَّرُ فِي
شَتَى الْعُلُومِ.

قال تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ ﴿٢٤﴾ أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾
فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَكْهَةً وَأَبَا ﴿٣١﴾ مَتَاعًا لَّكُمُ
وَلَا تَنْعَمَكُمُ ﴿٣٢﴾ - عَبَسَ.

٦- وَالْقُرْآنَ الْكَرِيمَ حِينَ يَعْرِضُ الْعَقِيدَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ الْحَقَّةَ، وَيُدَلِّلُ عَلَيْهَا
بِمُخْتَلَفِ الْبَرَاهِينِ، يَأْمُرُ أَنْ تَكُونَ الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ بِالطَّرِيقَةِ الْحَسَنَةِ مَعَ الْإِبْتَعَادِ عَنِ الْجَدَلِ
الْعَقِيمِ الَّذِي يُوْرثُ الْغَفْظَةَ وَالْبَغْضَاءَ.

قال تعالى: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَحَدِّ لَّهُمْ بِالَّتِي هِيَ
أَحْسَنُ﴾ - النَّحْلُ ١٢٥^(١).

وَصَوَّرَ الْإِمَامُ الْغَزَالِيُّ أَدْلَةَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِأَنَّهَا كَالْغِذَاءِ يَنْتَفِعُ بِهِ كُلُّ إِنْسَانٍ، وَكَالْمَاءِ
الَّذِي يَنْتَفِعُ بِهِ الصَّبِيُّ الرَّضِيعُ وَالرَّجُلُ الْقَوِيُّ^(٢).

(١) أشار إلى بعض هذه الفقرات الإمام مُحَمَّدُ عَبْدُهُ فِي رِسَالَةِ التَّوْحِيدِ ص ٨. وانظر أيضاً
كتابنا: أَسْوَْلُ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ ص ٢٧-٣١.

(٢) إْلْجَامُ الْعَوَامِ لِلْغَزَالِيِّ ص ٤٠.

المبحث الثالث

حالة العقائد زمن الرسول ﷺ وبعده

الرسول مُحَمَّد ﷺ مرجع المسلمين، يعودون إليه مستفسرين عن أمور دينهم ومستزيدين من علومه، ويجدون عنده الجواب الكافي.

ويأتيه المشركون وأهل الكتاب يسألون مجادلين ومعارضين.

وإجابته ﷺ إياهم تكون باللطف تارة، وبأسلوب لاذع تارة أخرى، وذلك حسب ما يقتضيه المقام.

لكنه ﷺ في كل إجاباته للمسلمين وغيرهم لا يسلك سبيل المراء والعناد^(١).

فعندما تلا الرسول ﷺ قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرَدُونَ﴾ (٨) لَوَكَاتُ هَؤُلَاءِ ءَالِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ (٩) لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ (١٠) - الأنبياء، سأله بعض المشركين: كل ما يُعبد من دون الله في جهنم مع من عبده؟ فنحن نعبد الملائكة، واليهود نعبد عزيراً، والنصارى تعبد عيسى بن مريم؟

فأجاب الرسول ﷺ: (كل من أحب أن يعبد من دون الله فهو مع من عبده، إنهم إنما يعبدون الشيطان ومن أمرهم بعبادته). وأنزل الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ (١١) لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ (١٢)﴾ - الأنبياء^(٢).

(١) التفكير الفلسفي في الإسلام لعبد الحليم مخمود ص ١١٩.

(٢) تفسير ابن كثير ص ٨٧٧.

وخرج رَسُولُ اللَّهِ ﷺ على أصحابه ذات يوم، وهم يتراجعون في القدر، فخرج مغضباً، حتى وقف عليهم فقال: يا قوم بهذا ضلت الأمم قبلكم، باختلافهم على أنبيائهم، وضربهم الكتاب بعضه ببعض، وإن القرآن لم ينزل لتضربوا بعضه ببعض، ولكن نزل القرآن فصدق بعضه بعضاً، ما عرفتم منه فاعملوا به، وما تشابه فآمنوا به^(١).

وقبض رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، واستمر صحابته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ على هديه من ذم العناد والجدل المقيت، والوقوف عند النص الثابت بالوحي.

ولم يسلكوا في الاحتجاج مسلك المتكلمين في تقسيماتهم، لا لعجز منهم عن ذلك، فلو علموا أن ذلك نافع لأفاضوا في تحرير الأدلة.

روي عن عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه سأل سائل عن آيتين متشابهتين، فعلاه بالدرّة.

وعلى هذا المنهج جرى التابعون وكبار الأئمة^(٢).

وظهرت بعد عصر الرسول ﷺ خلافات بين الصحابة في مسائل عملية كالخلافة، وقتال مانعي الزكاة... ونحوها^(٣).

لكن مسائل العقيدة لم نجد لهم خلافاً فيها، وما ورد في بعض الروايات من إجابة لبعض الأسئلة فغايتها هي إثبات العقيدة ودفع شبهة الخصم.

روي أن أبا موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ناظر القائلين: كيف يُقدّر عليّ شيئاً ثم

(١) التفكير الفلسفي في الإسلام ص ١١٩.

والحديث روي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده.

(٢) التفكير الفلسفي في الإسلام ص ١٢٥-١٢٦ ونقل عن إجماع العوام للغزالي. وانظر: إجماع

العوام ص ٤١ وأورد الغزالي في ص ٥٥ رواية عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) الفرق بين الفرق ص ١٤ والملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ١٢ وما بعدها. وانظر:

التبصير في الدين ص ١٧.

يعذبني عليه؟ فأجاب: قدّر حيث علم، وعذب حيث لم يظلم.

وأثرت عن الإمام عليّ رضي الله عنه آراء عديدة في ذات الله تعالى وصفاته، وفي القدر، وخلق القرآن^(١).

أما الاختلاف في الأصول فقد ظهر في أواخر أيام الصحابة رضي الله عنهم في العصر الأموي، كبدعة معبد الجهنّي وعيلان الدمشقيّ في القول بالقدر وإنكار إضافة الخير والشر إلى القدر، وخلق القرآن، والصفات الإلهيّة. ونسج على منوالهم وأصل بن عطاء وعمرو بن عبّيد في مقالاتهما الاعتزالية.

وطالع بعدهما شيوخ المعتزلة كتب الفلاسفة التي ترجمت أيام المأمون، فخلطت مناهجها بمناهج الكلام، وأفردتها فناً من فنون العلم، وسمتها باسم الكلام، الذي ظهرت فيه فنون المنطق والفلسفة.

فأبدع هؤلاء الشيوخ بدعاً في صفات الله تعالى كالكلام والإرادة، وفي أفعال العباد، والقول بالقدر.

ونبغ جهم بن صفوان وأظهر بدعته في الجبر.

وكان بين المعتزلة وبين السلف وبين الجبريّة منازعات سجلتها كتب الفرق وعلم الكلام^(٢).

ومن الاختلاف بالأصول مسألة مرتكب الكبيرة التي أثارها الخوارج، وجادل فيها المرجئة والمعتزلة وأهل السنة.

وألفت الكتب والرسائل في علم الكلام وخاصة في عهد العبّاسيين، من قبل أهل

(١) كتابنا: أصول الدين الإسلامي ص ٣٨ نقلاً عن نشأة الآراء والمذاهب والفرق الكلامية ليحيى حسن فرغل.

(٢) الملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ٢٢-٢٧.

السُّنَّة والمُعْتَزِلَة والجَبَرِيَّة والخَوَارِج والإِمَامِيَّة والزَّيْدِيَّة والإِبَاضِيَّة والظَّاهِرِيَّة.
وراج مَنَهَج النِّظَر العقلي في تَقْرِير العَقَائِد الدِّينِيَّة والدِّفاع عنها، الذي تميز به
المُعْتَزِلَة.

وظهر الأشعريّ ينصر مذهب أهل السُّنَّة، فردَّ على المُعْتَزِلَة وزلزل سُلْطَانَهُمْ.
فكان الأشاعرة وسطاً بين المُحَدِّثِينَ والمُعْتَزِلَة.
وظهر الماتريديّ ينصر مذهب أهل السُّنَّة أيضاً، ولكن كانت طريقته أقرب إلى
المُعْتَزِلَة، فكانت الماتريديَّة وسطاً بين الأشاعرة والمُعْتَزِلَة.

وبرز من متأخري الأشاعرة والماتريديَّة من توغَّل في كتب الفلسفة فخلط ما
كتبه من علم الكلام بالفلسفة، كما فعل البيضاويّ في كتابه طَوَالِع الأنوار، والإيجيّ في
المواقف، والتفتازانيّ في المَقاصِد وشرحه... إلخ، وذلك لأن العصر الذي عاشوا
فيه قد انتشرت فيه الثقافة الفلسفية، وأصبحت سمته البارزة. وعُلماء هذا العصر
درسوا علم الكلام وَفَقَّ الطريقة العقلية من بداية حياتهم التَّعْلِيمِيَّة، فاتخذوها مسلكاً
لهم في تأليف الكتب وحِجَاج الخصوم.

لكن تصدَّى لهذا المَنَهَج العقلي بعض الحنابلة، وخاصة شيخ الإسلام ابن تيمية
وتلميذه ابن قيم الجوزية.

وسيأتي تفصيل هذا الكلام عند دراسة الفرق الإسلامية.

وفي زماننا الحاضر ظهرت الكتابات المُخْتَلِفَة في علم الكلام، تعرض ما ذكره
المتقدمون بأسلوب ميسر خالٍ من التعقيد عموماً.

ومن تلك الدراسات ما هو مذهبيّ صِرف، ومنها ما هو مقارن، يعرض المسائل
العقديَّة في المذاهب الإسلامية المُخْتَلِفَة، ويوازن بين آرائها المتعددة، ملتصقاً بالجمع
بينها من أجل ردم الهوة المتوهمة بين المُسْلِمِينَ، معتمداً طريق النقل والعقل في
الاستدلال.

ومنها ما تعدَّى بالمقارنة إلى الفكر الغربي.

ومسلك المقارنة بين الآراء، والجمع بينها، والاستدلال لها بالنقل والعقل، هو مَنْهَجنا في هذا الكتاب.
وذلك:

لأن (الذي علينا اعتقاده - كما يقول الإمام مُحَمَّد عَبْدُهُ - أن الدين الإسلامي دين تَوْحِيد في العقائد، لا دين تفريق في القَوَاعِد، العقل من أشد أعوانه، والنقل من أقوى أركانه، وما وراء ذلك فنَزَعَاتُ شياطين...) ^(١).

(١) رسالة التَّوْحِيد لِمُحَمَّد عَبْدُهُ ص ٢٧.

الفصل الثاني

المذاهب الإسلامية

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تفسير نشأة المذاهب الإسلامية.

حديث افتراق الأمة.

المبحث الثاني: أهم المذاهب الإسلامية في العقائد:

الخوارج، الإباضية، الشيعة، المرجئة، القدرية،
الجبرية، المعتزلة، الأشاعرة، الماتريدية،
السلفية.

المبحث الثالث: أصول الدين عند المذاهب الإسلامية:

أهل السنة والجماعة.

الشيعة الإمامية الاثني عشرية.

المعتزلة.

المبحث الأول

تفسير نشأة المذاهب الإسلامية

بدأ ظهور المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد في عصر صدر الإسلام، ودأب مؤرخوها على تسميتها بالفرق الإسلامية، ودونوا في كتبهم آراء كل فرقة منها. واختلف العلماء في تفسير نشأة المذاهب الإسلامية، وذكروا أن من أسباب اختلاف المسلمين في العقائد ما يأتي:

١ - السبب السياسي: فحين توفي الرسول ﷺ اختلفوا في من هو أولى الناس بخلافته، وأذن الأنصار ورأسهم سعد بن عبادة للمهاجرين، حين قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: ولقد علمت يا سعد أن رسول الله ﷺ قال وأنت قاعد: قريش ولاة هذا الأمر، فبر الناس تبع لبرهم، وفاجرهم تبع لفاجرهم. قال له سعد: صدقت، نحن الوزراء، وأنتم الأمراء^(١).

واشتد الخلاف حول الخلافة بعد ذلك، وكانت النتيجة ظهور الخوارج والشيعة وغيرهم.

٢ - ورود المتشابه في القرآن الكريم: قال تعالى فيه: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ

(١) منهاج السنة لابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم ج ١ ص ٣٧١-٣٧٢. وقول أبي بكر رواه أحمد في مسنده - مسند الصديق. وهو في كتابي: الشورى بين النظرية والتطبيق ص ٢٣٢.

عِنْدَ رَبِّنَا وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا آلَ أُولَئِكَ الْآلِ كَلْبِ - آلِ عِمْرَانَ ٧.

واختلف العلماء في تفسير الآيات المتشابهة، فمنهم من توقّف فيها، ومنهم من أوّلها، والمؤولون اختلفوا في تأويلها، كاختلفا فهم في تفسير النصوص القرآنية والأحاديث الشريفة الأخرى، واختلفا فهم في إمكانية الجمع بينها.

والذي أراه أن هذا من أقوى الأسباب التي أدت إلى ظهور الفرق والمذاهب العقائدية.

٣- ترجمة كتب الفلسفة: وهذا أدى إلى ظهور المناهج الفلسفية في إثبات العقيدة الإسلامية ودراساتها، كما هو الحال عند المعتزلة والأشاعرة والماتريدية ومن وافقهم، الذين استخدموا الأقيسة المنطقية والدراسات الفلسفية، التي كانت مثار نقاش عند الرافضين لها من رجال المدرسة السلفية والرافضين لدراسة المنطق والفلسفة.

والمناهج الفلسفية جرّهم إلى دراسة مسائل لا يستطيع العقل البشري أن يقرر نتائجها كمسألة صفات الله تعالى، ومسألة قدرة العبد بجوار قدرة الرب، والبحث فيها يجرّ إلى اختلاف النظر لا محالة.

٤- مجاورة المسلمين لكثير من أهل الديانات السابقة: دخل في الإسلام أناس من المشركين واليهود والنصارى والمجوس وغيرهم، وأثاروا بين المسلمين ما كان يثار في ديانته من معتقدات في الجبر والاختيار وصفات الله تعالى وغيرها.

ومن هؤلاء من حسن إسلامه، لكن كان يعرض أفكاره ملتصاً بالفهم فقط. ومنهم من دخل في الإسلام ظاهرياً كالزنادقة، يريد إفساد عقيدة المسلمين، وإبطال دينهم. فكان ذلك سبباً في تشعب الآراء وظهور الفرق^(١).

(١) ممن كتب في أسباب اختلاف المسلمين في العقائد: أبو زهرة في تاريخ المذاهب الإسلامية ص ١٣ وما بعدها.

وذهب كثير من المستشرقين إلى أن العقل العربي مصاب أصالة باللاموضوعية، ومعاداة التجديد، والنظرة الجزئية، والفصل بين الأشياء، والميل إلى التكرار، وغياب التركيب ووحدة الموضوع، ومن ثم العجز عن إنشاء المذاهب الفلسفية الجامعة والإبداع الفكري.

وانتهوا إلى تعميم مؤداه: أن كل قضية فكرية في الإسلام أثمر ونتيجة لجانب من جوانب الفكر الأجنبي.

وهذه مجازفة خطيرة، وتحامل على المسلمين كبير، لأن الدراسات التحليلية المعاصرة أثبتت أن ظهور فكرة معينة في ثقافة أمة، ثم ظهور ذات الفكرة في دائرة ثقافية أخرى لا يعني أن الثانية متأثرة بالأولى، إلا إذا وجدت دلائل مادية قاطعة بذلك.

وليس من الصواب أن نرجع كل ظاهرة في بيئة ما إلى عوامل خارجية عنها، فنهمل بذلك العوامل الداخلية، فإنه لا فكرة من الأفكار ذات قيمة يكون لها سلطان على نفوس الناس إلا إذا كانت تمت إليهم بصلة، فإذا جاء عامل خارجي أيقظها، ولكنه لا يخلقها خلقاً.

فالعوامل الداخلية هي السبب الأول في نشأة المذاهب الإسلامية، أما العوامل الخارجية فهي أسباب ثانوية لاحقة^(١).

حديث افتراق الأمة

وردت عن الرسول محمد ﷺ أحاديث عديدة تفيد أن الأمة الإسلامية ستفترق فرقا عديدة، منها:

١ - قال رسول الله ﷺ: تفرقت اليهود على إحدى وسبعين أو اثنتين وسبعين

(١) دراسات في الفرق ص ٧-١٧.

فِرْقَةً، وَالنَّصَارَى مِثْلَ ذَلِكَ، وَتَفَرَّقَ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً^(١).

(١) حَدِيثٌ: تَفَرَّقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ... إلخ، فِي: سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ فِي: ٣٧ كِتَابُ الْإِيمَانِ، ١٨ بَابُ مَا جَاءَ فِي افْتِرَاقِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، رَقْمٌ ٢٦٤٠، ص ٤٢٨، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ. / انظر: عَارِضَةُ الْأَخْوَذِيِّ بِشْرَحِ صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ لِابْنِ الْعَرَبِيِّ ج ١٠ ص ١٠٨-١٠٩. قَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. قَالَ: وَفِي الْبَابِ عَنْ سَعْدٍ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو وَعَوْفِ بْنِ مَالِكٍ. وَنَحْوُ هَذَا اللَّفْظِ فِي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ فِي: كِتَابِ السُّنَّةِ، بَابِ شَرْحِ السُّنَّةِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ. / بَذَلُ الْمَجْهُودِ فِي حَلِّ أَبِي دَاوُدَ ج ١٨ ص ١١٦.

وَفِي سُنَنِ ابْنِ مَاجَةَ فِي: ٣٦ كِتَابُ الْفِتَنِ، ١٧ بَابُ افْتِرَاقِ الْأُمَمِ، رَقْمٌ ٣٩٩١، ج ٢ ص ١٣٢١، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ. / سُنَنِ ابْنِ مَاجَةَ بِشْرَحِ السُّنَدِيِّ ج ٤ ص ٣٥٢. وَقَالَ الشَّيْخُ شُعَيْبٌ فِي تَحْقِيقِهِ سُنَنِ ابْنِ مَاجَةَ ج ٥ ص ١٢٨: الْحَدِيثُ صَحِيحٌ لَغَيْرِهِ، وَهَذَا إِسْنَادٌ حَسَنٌ...، وَذَكَرَ مُخْرَجِيهِ.

وَفِي مُسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ، رَقْمٌ ٨٣٩٦، ج ١٤ ص ١٢٤، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ. طَبْعَةُ مُؤَسَّسَةِ الرِّسَالَةِ، قَالَ مُحَقِّقُهُ الشَّيْخُ شُعَيْبٌ: إِسْنَادُهُ حَسَنٌ، وَذَكَرَ هَؤُلَاءِ الْمَخْرَجِينَ وَغَيْرَهُمْ.

وَأُورِدَهُ الْمُقَرِّبِيُّ فِي الْخِطِّ ج ٢ ص ٣٤٥ نَحْوُ هَذَا اللَّفْظِ وَقَالَ: (أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ الْبَيْهَقِيُّ: حَسَنٌ صَحِيحٌ. وَأَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ وَابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ نَحْوَهُ، فَأَخْرَجَهُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ مِنْ طَرِيقِ الْفَضْلِ بْنِ مُوسَى عَنْ مُحَمَّدَ بْنِ عَمْرٍو عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ بِهِ، وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ كَثِيرٌ فِي الْأُصُولِ. وَقَدْ رَوَى عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ وَعَوْفَ بْنَ مَالِكٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِمِثْلِهِ. وَقَدْ احْتَجَّ مُسْلِمٌ بِمُحَمَّدَ بْنِ عَمْرٍو عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَاتَّفَقَا جَمِيعاً عَلَى الْإِحْتِجَاجِ بِالْفَضْلِ بْنِ مُوسَى وَهُوَ ثِقَةٌ).

وَالْحَدِيثُ فِي الْجَامِعِ الصَّغِيرِ، رَقْمٌ ١٢٢٣ قَالَ السُّيُوطِيُّ: رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَصَحَّحَهُ. / فَيُضْ الْقَدِيرُ ج ٢ ص ٢٠، قَالَ الْمُتَاوِيُّ: (وَكَذَا الْحَاكِمُ وَالْبَيْهَقِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ. قَالَ الزَّيْنُ الْعِرَاقِيُّ: فِي أَسَانِيدِهِ جَيَادٌ، وَرَوَاهُ الْحَاكِمُ مِنْ عِدَّةِ طَرُقٍ، ثُمَّ قَالَ: هَذِهِ أَسَانِيدٌ تَقُومُ بِهَا الْحُجَّةُ، وَعَدَهُ الْمُؤَلِّفُ مِنَ الْمُتَوَاتِرِ).

وَذَكَرَهُ الْبَغْدَادِيُّ فِي: الْفَرَقِ بَيْنَ الْفِرَقِ ص ٥ بِسَنَدِهِ، بَلْفِظٍ مُقَارِبٍ.

وقوله ﷺ: (على إحدى وسبعين أو اثنتين وسبعين فرقة) شك من الراوي، وورد في حديث عبد الله بن عمرو الآتي: (على ثنتين وسبعين ملّة) من غير شك^(١).

٢- قال رسول الله ﷺ: ... وإن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملّة، وتفرق أمتي على ثلاث وسبعين ملّة، كلهم في النار إلا ملّة واحدة. قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي^(٢).

(١) تُخفّة الأخوذِي للمباركفوري ج ٣ ص ٣٦٧.
(٢) حديث: وإن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملّة... إلخ، في: سنن الترمذي في: ٣٧ كتاب الإيمان، ١٨ باب ما جاء في افتراق هذه الأمة، رقم ٢٦٤١، ص ٤٢٨، عن عبد الله بن عمرو. قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب مفسر لا نعرفه مثل هذا إلا من هذا الوجه. / عارضة الأخوذِي ج ١٠ ص ١٠٩-١١٠.

والحديث في الجامع الصغير، رقم ٧٥٣٢، قال السيوطي: رواه الترمذي عن ابن عمرو، وضعفه. / فيض القدير ج ٥ ص ٣٤٧ وفيه: (قال الصدر المُنَاوِي: فيه عبد الرحمن بن زياد الإفريقي، قال الذهبي: ضعفه).

واعتمد هذا الحديث بعض كتاب الفرق الإسلامية، وذكره بألفاظ مقاربة لهذا الحديث مثل: المَلَطِي في التنبيه والردّ ص ١٢، والبغدادِي في الفرق بين الفرق ص ٦ بسنده، والإسفرائيني في التبصير في الدين ص ١٤، والشهرستاني في الملل والنحل ج ١ ص ٥، والشيخ عبد القادر في الغنية ج ١ ص ٩٤، والإيجي في المواقف ج ٨ ص ٣٧٦، والمقرئزي في الخطط ج ٢ ص ٣٤٥، والسفارييني في لوامع الأنوار البهية ج ١ ص ٩٢ ونقل عن ابن تيمية، وذكر رواه من الصحابة.

وذكر ابن المُرْتَضَى في المُنْبِي والأمل ص ٧٩: (في الأثر عنه ﷺ أنه قال: افرقت أمة أخي موسى على إحدى وسبعين فرقة كلها هالكة إلا فرقة واحدة وهي الناجية، وافرقت أمة أخي عيسى على اثنتين وسبعين فرقة كلها هالكة إلا فرقة واحدة، وستفرق أمتي إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها هالكة إلا فرقة واحدة. رواه عبد الله بن مسعود وأنس وعبد الله بن عباس. قال الإمام يحيى: وتلقته الأمة بالقبول). وانظر ص ١٨ أيضاً.

ولحديث افتراق الأمة أسانيد كثيرة عن رسول الله ﷺ^(١).

وعلى الرغم من أن البعض قد ضعف هذا الحديث^(٢)، فإن منهم من صححه أو

(١) من رُواة هذا الحديث:

أنس بن مالك، في سنن ابن ماجة في: ٣٦ كتاب الفتن، ١٧ باب افتراق الأمم، رقم ٣٩٩٣، ج ٢ ص ١٣٢٢. / سنن ابن ماجة بشرح السنيدي ج ٤ ص ٣٥٣. وقال الشيخ شعيب في تحقيقه سنن ابن ماجة ج ٥ ص ١٣٠: حديث صحيح. ومُسند أحمد رقم ١٢٢٠٨، ج ١٩ ص ٢٤١. ورقم ١٢٤٧٩، ج ١٩ ص ٤٦٢ طبعة الرسالة، وقال الشيخ شعيب محقق المسند عن كل منها: صحيح بشواهده، وذكر أن إسناده كل منهما ضعيف، وخرجهما. وذكره البغدادى في الفرق بين الفرق ص ٧ بسنده.

وعوف بن مالك، في سنن ابن ماجة، الباب السابق رقم ٣٩٩٢.

ومعاوية بن أبي سفيان، في سنن أبي داود، الباب السابق.

قال البغدادى: (رواه عن النبي ﷺ جماعة من الصحابة: أنس بن مالك، وأبي هريرة، وأبي الدرداء، وجابر، وأبي سعيد الخدري، وأبي بن كعب، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وأبي أمامة، ووائل بن الأسقع. وغيرهم. وقد روي عن الخلفاء الراشدين أنهم ذكروا افتراق الأمة بعدهم فرقا، وذكروا أن الفرقة الناجية منها فرقة واحدة، وسائرهما على الضلال في الدنيا والبنوار في الآخرة). / الفرق بين الفرق ص ٨-٩.

ورواه جابر بن زيد عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلهم إلى النار ما خلا واحدة نجية، وكلهم يدعي تلك الواحدة. / الجامع الصحيح مسند الربيع بن حبيب - شرح السليمي ج ١ ص ٦٧ وفيه تخريجه. وفي شرح الترتيب لمحمد بن عمر ج ١ ص ٦٣: حديث مشهور في كثير من كتب أصحابنا (أي: الإباضية) وغيرهم.

وعن علي بن أبي السكك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، فرقة منها ناجية، والباقيون هالكون، والناجون الذين يتمسكون بولايتهم، ويقتبسون من علمهم، ولا يعملون برأيهم، فأولئك ما عليهم من سبيل. / تفصيل وسائل الشيعة (آل البيت) للحر العاملي ج ٢٧ ص ٥٠ رقم ٣٣١٨١، و(الإسلامية) ج ١٨ ص ٣١ رقم ٣٣١٦٥.

(٢) مثل: الشيخ القرصاوي في فتاوى معاصرة ج ٣ ص ٧٦ واستشهد بطعن ابن الوزير فيه في

حَسَنَهُ، كما تقدم، ومنهم من جعل رواياته الكثيرة سبباً في نفي الرِّيَّة عنه، قال المَقْبِلِي: (وَحَدِيثُ افْتِرَاقِ الْأُمَّةِ إِلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، رَوَايَاتُهُ كَثِيرَةٌ، يَشَدُّ بَعْضُهَا بَعْضاً، بَحِيثٌ لَا تَبْقَى رِيَّةٌ فِي حَاصِلِ مَعْنَاهُ)^(١).

وقال الإمام يَحْيَى: (تَلَقَّتْهُ الْأُمَّةُ بِالْقَبُولِ)^(٢).

وفي تَفْسِيرِ (الْمِلَّةِ) الْوَارِدَةِ فِي الْحَدِيثِ قَوْلَانِ:

١- هي في الأصل: ما شرعه الله لعباده على ألسنة أنبيائه، ليتوصلوا به إلى القرب من حضرته تعالى، ثم اتسع لفظ (الْمِلَّةِ) فاستعمل في الملل الباطلة، فقيل: الكفر كُلُّهُ مِلَّةٌ وَاحِدَةٌ. فمعنى الحديث هو: أنهم يفترون فرقاً تتدين كل واحدة منها بخلاف ما تتدين به الأخرى، فتسمى طريقتهم مِلَّةً مجازاً^(٣).

٢- وقيل: المِلَّةُ هي كل فعل وقول، حقاً كان أو باطلاً، اجتمع عليه جماعة^(٤).

كتابه العواصم والقواصم ج ١ ص ١٨٦، وبتضعيف ابن حزم في الفصل ج ٣ ص ٢٩٢.

قال المؤلَّى حَسَنُ چَلْبِي في حاشيته على المَوَاقِف ج ٨ ص ٣٧٥: (طعن بعضهم في صحة هَذَا الخبر، فقال: إن أراد باثنتين وسبعين فِرْقَةً أَصُولُ الْأَدْيَانِ فَلَنْ يَبْلُغَ هَذَا الْعَدَدُ، وَإِنْ أَرَادَ الْفُرُوعَ فَإِنَّهَا تَتَجَاوَزُ هَذَا الْعَدَدَ إِلَى أَضْعَافِ ذَلِكَ. أَجَابَ الْإِمَامُ الرَّازِي: بِإِنْ الْمُرَادُ سِتْفَتَرَقِ أُمَّتِي فِي حَالِ مَا، وَلَيْسَ فِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنْ افْتِرَاقُهَا فِي سَائِرِ الْأَحْوَالِ لَا يَجُوزُ أَنْ يَزِيدَ وَيَنْقُصَ).

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية لأبي زُهْرَةَ ص ١١ نَقْلًا عَنِ الْعِلْمِ الشَّامِخِ لِلْمَقْبِلِيِّ.

(٢) الملل والنحل وشرحه المُنِيَّةُ وَالْأَمَلُ لابن المُرْتَضَى ص ١٨ و ٧٩.

(٣) فَيَضُ الْقَدِيرِ ج ٥ ص ٣٤٧ ونقل عن الطَّبَّيِّي. وهو في شَرْحِ الطَّبَّيِّي عَلَى الْمَشْكَاةِ

ج ٢ ص ٦٤٠. وانظر: مِرْقَاةُ الْمَفَاتِيحِ ج ١ ص ٤١٨ وَتُحْقَقةُ الْأَحْوَدِيِّ ج ٣ ص ٣٦٨ ونقل عن المِرْقَاةِ.

(٤) مِرْقَاةُ الْمَفَاتِيحِ لِلْقَارِي السَّابِقِ.

وَالْحَدِيثُ الشَّرِيفُ يَفِيدُ: أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَفَرَّقَتْ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً أَوْ مِلَّةً، وَكَذَلِكَ أُمَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ تَفْتَرِقُ كَذَلِكَ مَعَ زِيَادَةِ هَؤُلَاءِ فِي ارْتِكَابِ الْبَدْعِ بِدَرَجَةٍ^(١).

وَالْمُرَادُ بِالْأُمَّةِ أُمَّةُ الْإِجَابَةِ^(٢)، وَهُمْ أَهْلُ الْقِبْلَةِ، فَإِنْ اسْمُ الْأُمَّةِ مُضَافًا إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ يَتَبَادَرُ مِنْهُ أُمَّةُ الْإِجَابَةِ^(٣).

فَيَكُونُ الْمِلَّةُ الثَّلَاثُ وَالسَّبْعُونَ مَنْحَصِرَةً فِي أَهْلِ قِبَلَتِنَا^(٤).

وَاخْتَلَفُوا فِي تَفْسِيرِ الْعَدَدِ الثَّلَاثِ وَالسَّبْعِينَ عَلَى أَقْوَالٍ:

١ - هُوَ عَدَدُ أَصُولِ الْمَذَاهِبِ^(٥).

٢ - هُوَ الْعَدَدُ الَّذِي بَلَغَتْهُ هَذِهِ الْأَصُولُ فِي وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ، وَإِنْ زَادَتْ أَوْ نَقَصَتْ فِي أَكْثَرِ الْأَوْقَاتِ^(٦).

٣ - الْعَدَدُ مَحْمُولٌ عَلَى التَّكْثِيرِ^(٧).

(١) مِرْقَاةُ الْمِفَاتِيحِ السَّابِقِ.

(٢) فَيْضُ الْقَدِيرِ ج ٥ ص ٣٤٧ وَمِرْقَاةُ الْمِفَاتِيحِ ج ١ ص ٤١٨ وَشَرْحُ سُنَنِ ابْنِ مَاجَةَ لِلْسَّنْدِيِّ ج ٤ ص ٣٥٢ وَبَذَلُ الْمَجْهُودِ فِي حَلِّ أَبِي دَاوُدَ لِلْسَّهَارَنْغُورِيِّ ج ١٨ ص ١١٧.

وَذَكَرَ الْقَارِي أَنَّ تَفْسِيرَ الْأُمَّةِ بِأُمَّةِ الْإِجَابَةِ هُوَ الْأَظْهَرُ مِنَ التَّفْسِيرَيْنِ، وَنَقَلَ عَنِ الْأَبْهَرِيِّ أَنَّ هَذَا التَّفْسِيرُ هُوَ عِنْدَ الْأَكْثَرِ. / مِرْقَاةُ الْمِفَاتِيحِ السَّابِقِ.

وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِالْأُمَّةِ أُمَّةُ الدَّعْوَةِ، فَيَنْدَرِجُ جَمِيعُ أَرْبَابِ الْمِلَّةِ وَالنَّحْلِ الَّذِينَ لَيْسُوا عَلَى قِبَلَتِنَا فِي عَدَدِ الثَّلَاثِ وَالسَّبْعِينَ. / فَيْضُ الْقَدِيرِ، وَمِرْقَاةُ الْمِفَاتِيحِ، السَّابِقَانِ. وَنَقَلَ الْمُتَاوِيَّ عَنِ الْقَاضِي.

(٣) شَرْحُ سُنَنِ ابْنِ مَاجَةَ السَّابِقِ.

(٤) مِرْقَاةُ الْمِفَاتِيحِ السَّابِقِ. وَانْظُرْ: فَيْضُ الْقَدِيرِ السَّابِقِ.

(٥) فَيْضُ الْقَدِيرِ ج ٢ ص ٢٠ عَنِ الْمُحَقِّقِ الدَّوَّانِيِّ، وَبَذَلُ الْمَجْهُودِ ج ١٨ ص ١١٧.

(٦) فَيْضُ الْقَدِيرِ السَّابِقِ.

(٧) بَذَلُ الْمَجْهُودِ السَّابِقِ.

واختلفوا في تكامل هذه الفرق الثلاث والسبعين:

فقال بعضهم: لم يتكامل وجود هذه الفرق من أهل البدع بين المسلمين بعد، وإنما وجد بعضها، وستوجد جميعها قبل يوم القيامة، فإن ما أخبر به الرسول ﷺ كائن لا محالة.

وقال بعضهم: وجدت بتمامها في زمرة الإسلام، ووجب على المسلم أن يميز عقيدته عن عقائدهم الفاسدة. وعددها على نحو ما ورد في كتب الفرق^(١).

وقد بين الرسول ﷺ أن هذه الفرق كلها في النار، لفعلهم القبيح وابتداعهم، واستثنى منها الفرقة الناجية، وذكرها باسم: (الجماعة)، كما ورد في سنن أبي داود، وابن ماجة ومُسند أحمد. و(ما أنا عليه وأصحابي)، كما ورد في سنن الترمذي.

وفُسِّرَت (الجماعة) بأهل السنة والجماعة^(٢). أو بأنهم الموافقون لجماعة الصحابة، الآخذون بعقائدهم، المتمسكون برأيهم^(٣)، المقتفون آثارهم، والمهتدون بسيرتهم في الأصول والفروع^(٤)، من أهل العلم والفقه الذين اجتمعوا على اتباع آثاره ﷺ في النقيض والقطمير، ولم يتدعوا بالتحريف والتغيير^(٥).

وهذا هو الذي يميز أهل السنة عن غيرهم من أصحاب البدع، إذ كل مبتدع يزعم

(١) التبصير في الدين ص ١٥ وفيض القدير ج ٥ ص ٣٤٧.

(٢) فيض القدير ج ٢ ص ٢٠ ومِرْقَاة المفاتيح ج ١ ص ٤١٩ وبذل المجهود ج ١٨ ص ١١٨.

(٣) شرح سنن ابن ماجة للسنيدي ج ٤ ص ٣٥٣.

(٤) فيض القدير السابق ج ٢ ص ٢١ وج ٥ ص ٣٤٧. وانظر: مِرْقَاة المفاتيح السابق.

(٥) مِرْقَاة المفاتيح ج ١ ص ٤٢٠.

النقيض: النقطة في ظهر النواة. / القاموس المحيط مادة (نقره).

القطمير: شق النواة، أو القشرة التي فيها، أو القشرة الرقيقة بين النواة والتمرة. / القاموس المحيط مادة (القطمير).

أن فرقه هي الناجية دون غيرها^(١).

والتفرق المذموم الوارد بالحديث الشريف، هو التفرق بأصول الدين والعقائد، أي: في الإلهيات والنبؤات واليوم الآخر.

أما التفرق في فروع الفقه والاجتهادات في المسائل الفقهية فهو رحمة بالعباد من الله تعالى، وهو مفاد ما نسب إلى النبي ﷺ: (اختلاف أمتي رحمة)^(٢)، لأن المجتهدين فيما اختلفوا من فروع الحلال والحرام على قولين:

١- تصويب المجتهدين كلهم في فروع الفقه، فأصحاب المذاهب الفقهية كلهم مصيبون.

٢- تصويب واحد من المجتهدين في كل فرع، وتخطئة الباقي من غير تضليل أو تكفير للمخطئ فيه^(٣).

(١) فيض القدير ص ٢٠-٢١.

(٢) انظر: الفرق بين الفرق ص ١٠ وفيض القدير ج ٢ ص ٢٠ وج ٥ ص ٣٤٧ وبذل المجهود ج ١٨ ص ١١٧ وشرح سنن ابن ماجة للسندى ج ٤ ص ٣٥٢.

وحديث: اختلاف أمتي رحمة: قال السيوطي في الجامع الصغير: أخرجه (نضر المقدسي في الحجة، والبيهقي في الرسالة الأشعرية بغير سند، وأورده الحليمي والقاضي حسين وإمام الحرميين وغيرهم، ولعله خرّج في بعض كتب الحفاظ التي لم تصل إلينا). وانظر الكلام عليه في: فيض القدير شرح الجامع الصغير ج ١ ص ٢٠٩ رقم ٢٨٨ وكشف الخفاء والإلباس للعجلوني ج ١ رقم ١٥٣.

(٣) الفرق بين الفرق السابق.

ومسألة تصويب المجتهد وتخطئته مبسوطة بأدلتها في كتب أصول الفقه. وخلاصتها هي:

أن المجتهد فيه: إما أن يكون عقلياً أو شرعياً.

أولاً: فإن كان عقلياً (أي: في أصول الدين) ففيه قولان:

.....

١ - المصيب فيه واحد، ومن عداه مخطئ. وهو قول جُمهُور العُلَماء. ثم إن أذاه اجتهداه إلى ما يخالف ملة الإسلام فهو آثم كافر، وإلا فهو مبتدع فاسق.

٢ - كل مجتهد في العقليات مصيب، وهو قول الجاحظ وعبيد الله بن الحسن العنبري. فلا إثم على المجتهد في العقليات ما دام لم يصل إلى درجة العناد، لأنه بذل ما في وسعه، فهو معذور. ثانياً: وإن كان المجتهد فيه فقهياً شرعياً، فلا يخلو إما أن يكون قطعياً أو غير قطعي:

فإن كان قطعياً، مثل وجوب الصلاة والزكاة وتحريم الزنا والسرقه...، فالاجتهاد فيه غير جائز، لأنه أصبح أمراً معلوماً من الدين بالضرورة، فالمخطئ فيه آثم، ومُنكره كافر.

وإن كان غير قطعي، فقد اتفق العُلَماء على جواز الاجتهاد فيه، لكن اختلفوا هل أن كل مجتهد مصيب، أو أن المصيب فيه واحد فقط؟

ومنشأ هذا الاختلاف هو هل أن الله تعالى في كل مسألة حكماً معيناً قبل أن يجتهد فيها المجتهد، أو ليس فيها حكم معين، وإنما الحكم فيها هو ما وصل إليه المجتهد باجتهاده؟ ففيه قولان:

١ - إن الله في المسألة حكماً معيناً قبل اجتهاد المجتهد، من أصابه باجتهاده فهو المصيب، ومن لم يصبه فهو المخطئ، وبذلك لا يكون كل مجتهد مصيباً. وهو قول جُمهُور العُلَماء، والمعروف عن الأئمة الأربعة.

٢ - ليس لله في المسألة حكم معين قبل الاجتهاد، بل الحكم فيها هو ما وصل إليه كل مجتهد باجتهاده، وبذلك يكون كل مجتهد مصيباً. وهذا قول الباقلاني وأبي علي الجبائي وابنه أبي هاشم. / انظر: أصول الفقه لمحمد أبو النور زهير ج ٤ ص ١٩٨-١٩٩ وفيه الأدلة.

المبحث الثاني

أهم المذاهب الإسلامية في العقائد

في هذا المبحث بيان أهم المذاهب الإسلامية في العقائد، التي سماها مؤرخوها بالفرق الإسلامية، وهي:

الخوارج، والإباضية، والشيعة، والمرجئة، والقدرية، والجبرية، والمعتزلة، والأشاعرة، والماتريدية، والسلفية.

الخوارج

هم الذين خرجوا على الإمام علي رضي الله عنه بعد قبوله التحكيم في واقعة صفين.

أسماءهم

لهؤلاء تسميات عديدة منها:

١ - الخوارج: جمع خارج، وهو الذي خلع طاعة الإمام الحق، وأعلن عصيانه، ويسمي الفقهاء الخارج عن طاعة الإمام الحق: الباغي، وجمعه البغاة^(١)، واختلفوا في توجيه هذه التسمية:

فهم يقولون بأن سببها هو خروجهم في سبيل الله، لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ﴾

(١) تعليق محمد محيي الدين عبد الحميد على مقالات الإسلاميين للأشعري ج ١ ص ١٦٨ وتعليقه على الفرق بين الفرق للبغداديين ص ٧٢. وانظر: الملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ١٠٥ وشرح الحور العين ص ٢٥٤.

مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٠٠﴾ - النساء

أو لأنهم خرجوا على الإمام عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وحاربوه^(٢).

لَكِنْ قَالَ غَيْرُهُمْ: جَاءَتْ هَذِهِ التَّسْمِيَةُ لِأَنَّهُمْ: خَرَجُوا عَلَى النَّاسِ، أَوْ خَرَجُوا عَنِ الدِّينِ، أَوْ عَنِ الْحَقِّ^(٣).

٢- الْحَرَوْرِيَّةُ: نسبة إلى حَرَوْرَاءَ، وهي قَرْيَةٌ بظَاهِرِ الْكُوفَةِ، كانوا قد اجتمعوا فيها بعد رجوعهم من صِفِّين^(٤).

٣- الشُّرَاةُ: وهو جمعٌ، مفردُه: شارٍ، اسم فاعل من الشراء، مثل: قُضَاةٌ جَمْعٌ، مفردُه قاضٍ. وزعموا بأنهم سُمُّوا بِذَلِكَ لِأَنَّهُمْ بَاعُوا أَنْفُسَهُمْ لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى أَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ، يَشِيرُونَ بِذَلِكَ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَرِّبُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ - التوبة ١١١^(٥).

وَفَسَّرَ غَيْرُهُمْ هَذِهِ التَّسْمِيَةَ: بِأَنَّهَا مِنْ شَرِّ الشَّرِّ - مِنْ بَابِ رَضِيَ - إِذَا زَادَ وَتَفَاقَمَ. أَوْ مِنْ شَرِّ الرَّجُلِ - كَرَضِيَ - إِذَا غَضِبَ وَلَجَّ فِي الْخُصُومَةِ^(٦).

(١) دراسات في الفرق ص ٨٩.

(٢) مقالات الإسلاميين ج ١ ص ٦٤ و ٢٠٧ وشرح الحُور العَيْنِ السَّابِقِ، وتاج العروس مادة (خرج)، والغنية للشيخ عبد القادر ج ١ ص ٩٦ وفيه ذَكَرَ ألقاب الخوارج وتوجيهاتها.

(٣) تاج العروس السَّابِقِ، ودراسات في الفرق السَّابِقِ عن ابن مَنْظُور والزَّيْدِيِّ.

(٤) مقالات الإسلاميين ج ١ ص ٢٠٧ والفرق بين الفرق ص ٧٥ وشرح الحُور العَيْنِ ص ٢٥٤ وخطط المقرئ ج ٢ ص ٣٥٤ والمُنية والأمل ص ١٠٤.

(٥) تعليق مُحَمَّدٌ مُحْيِي الدِّينِ عبد الحميد على مقالات الإسلاميين للأشعري ج ١ ص ١٦٨. وتعليل التسمية في: مقالات الإسلاميين للأشعري ج ١ ص ٢٠٧ وشرح الحُور العَيْنِ ص ٢٥٤ والمُنية والأمل ص ١٠٤.

(٦) تعليق مُحَمَّدٌ مُحْيِي الدِّينِ السَّابِقِ، وأشار إلى صِحاح الجَوْهَرِيِّ.

٤- النَّوَاصِبُ: وهو جمع نَاصِبٍ أو نَاصِبِيٍّ، وهو الذي غَالَى في كره الإمام عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(١).

٥- الْمُحَكَّمَةُ: وَسُمُّوا بِذَلِكَ لِإِنْكَارِهِمُ التَّحَكُّيمَ فِي صِفَتَيْنِ، وَقَالُوا: لَا حَكَمَ إِلَّا اللَّهُ^(٢).

٦- الْمَارِقَةُ^(٣): أَي: الْمَارِقُونَ مِنَ الدِّينِ، لِحَدِيث: (يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ).

وهذه التسمية لا يَرْضونها، لا عِتْقَادَهُمْ أَنَّهُمْ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ، وَمُخَالَفَتُهُمْ هُمُ الْمُشْرِكُونَ أَوِ الْكَافِرُونَ^(٤).

٧- وَمِنْ أَسْمَائِهِمْ أَيْضاً الَّتِي اخْتَارُوهَا لِأَنْفُسِهِمْ: الْمُسْلِمُونَ، جَمَاعَةُ الْمُسْلِمِينَ، أَهْلُ الدَّعْوَةِ، أَهْلُ الْحَقِّ، أَهْلُ الْإِسْتِقَامَةِ^(٥).

(١) خَطَطَ الْمَقْرِيزِيُّ ج ٢ ص ٣٥٤ وَتَعْلِيْقُ مُحَمَّدٍ مُحْيِي الدِّينِ السَّابِقِ، وَأَشَارَ إِلَى خِطَطِ الْمَقْرِيزِيِّ. وَتَعْلِيْقُهُ عَلَى الْفَرْقِ بَيْنَ الْفَرْقِ لِلْبَغْدَادِيِّ ص ٧٢.

(٢) مَقَالَاتُ الْإِسْلَامِيِّينَ ج ١ ص ٢٠٧ وَشَرْحُ الْحُورِ الْعَيْنِ السَّابِقِ ص ٢٥٥ وَالْمُنْيَةُ وَالْأَمَلُ السَّابِقِ.

(٣) مَقَالَاتُ الْإِسْلَامِيِّينَ السَّابِقِ، وَالْمَلَلُ وَالنَّحْلُ لِلشَّهْرِسْتَانِيِّ ج ١ ص ١٠٧. وَشَرْحُ الْحُورِ الْعَيْنِ، وَالْمُنْيَةُ وَالْأَمَلُ، السَّابِقَانِ، وَتَعْلِيْقُ مُحَمَّدٍ مُحْيِي الدِّينِ عَلَى الْفَرْقِ بَيْنَ الْفَرْقِ لِلْبَغْدَادِيِّ ص ٧٢.

(٤) مَقَالَاتُ الْإِسْلَامِيِّينَ، وَالْمَلَلُ وَالنَّحْلُ لِلشَّهْرِسْتَانِيِّ، وَشَرْحُ الْحُورِ الْعَيْنِ، وَالْمُنْيَةُ وَالْأَمَلُ، السَّابِقَةُ، وَتَارِيخُ الْفَرْقِ الْإِسْلَامِيِّ لِلْغُرَابِيِّ ص ٢٦٥. وَسَيَأْتِي بَعْدَ قَلِيلٍ حَدِيثُ الْمُرُوقِ بِتَمَامِهِ.

(٥) الْبَعْدُ الْحَضَارِيُّ ص ٥٦.

آراء الخوارج

جميع الخوارج يقولون بما يأتي:

١- إكفار عليّ، وعُثمان، وأصحاب الجمل، والحكمين، ومن رضي بالتحكيم وصوّب الحكمين أو أحدهما^(١).

وجميعهم يشبّون إمامة أبي بكر وعمر، وينكرون إمامة عُثمان في وقت الأحداث التي نُقم عليه من أجلها، أي: بعد السنوات الست من حكمه، ويقولون بإمامة عليّ قبل أن يُحكّم، ويكفرونه بعده.

٢- إن الإمامة في قُرَيْش وغيرها، إذا كان القائم بها مستحقاً لذلك.

٣- القرآن مخلوق^(٢).

٤- الخروج على السلطان الجائر^(٣).

(١) الفرق بين الفرق ص ٧٣ والتبصير في الدين ص ٣٨. وانظر: مقالات الإسلاميين ج ١ ص ١٦٧ والملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ١٠٧ واعتقادات فرق المسلمين ص ٥١ والبدء والتاريخ ج ٥ ص ١٣٥ والمُنية والأمل ص ١٠٤.

ويلاحظ أن للإباضية رأياً غير هذا، تُثبتُه كتبهم، وسيأتي بعد قليل.

وقال جُمهُور الخوارج: إن من عصى الله تعالى فقد كفر، فكان كافراً، وحكمه أنه يخلد في النار، صَغِيرَةٌ كان ما فعل أو كَبِيرَةٌ. ومنهم من يقول هو مُشْرِك. ومنهم من فَرَّقَ بين الصَّغِيرَةِ وبين الكَبِيرَةِ، ويحكم بكفره وتخليده في النار بارتكاب الكَبِيرَةِ دون الصَّغِيرَةِ. وحكي عن نَجْدَةِ الحَنْفِيّ صاحب النجّدات من الخوارج أن صاحب الكَبِيرَةِ لا يخلد بل يُعَذَّب لا محالة، بقدر ذنبه ولا يجوز العفو عنه، ثم كان عاقبة أمره دخول الجنة. / تبصرة الأدلة ج ٢ ص ٧٦٧.

(٢) مقالات الإسلاميين ج ١ ص ٢٠٣-٢٠٤.

(٣) الفرق بين الفرق، والتبصير في الدين، والملل والنحل للشهرستاني، والبدء والتاريخ، السابقة.

فِرْقَ الْخَوَارِجِ

افترق الْخَوَارِجُ إِلَى فِرْقٍ عَدِيدَةٍ لَمْ يُتَّفَقْ عَلَى عَدْدِهِمْ، فَالْبَغْدَادِيُّ^(١) وَالْإِسْفَرَايِينِيُّ^(٢) ذَكَرَا أَنَّهُمْ عَشْرُونَ فِرْقَةً، لَكِنَّهُمَا عَدَّدَا أَكْثَرَ مِنْ عَشْرِينَ. وَذَكَرَ الْمَقْرِيزِيُّ أَنَّهُمْ عَشْرُونَ فِرْقَةً أَيْضًا، لَكِنَّهُ زَادَ بَعْدَ ذَلِكَ سَبْعَ فِرْقٍ^(٣). وَذَكَرَ الرَّازِيُّ أَنَّهُمْ إِحْدَى وَعَشْرُونَ فِرْقَةً^(٤). وَعَدَّدَ الْمُقَدِّسِيُّ إِحْدَى وَعَشْرِينَ فِرْقَةً مِنْهُمْ^(٥). وَذَكَرَ الْمَلْطِيُّ أَنَّهُمْ خَمْسَ وَعَشْرُونَ فِرْقَةً^(٦). وَذَكَرَ الْخَوَارِزْمِيُّ أَنَّهُمْ أَرْبَعَ عَشْرَةَ فِرْقَةً^(٧).

وَفِي أَصُولِ هَذِهِ الْفِرَقِ الَّتِي تَفْرَعُ مِنْهَا بَاقِيهَا اخْتِلَافٌ أَيْضًا مِنْ حَيْثُ الْعَدَدُ، مِنْهَا مَا ذَكَرَهُ الْإِسْفَرَايِينِيُّ أَنَّهَا سَبْعَةٌ وَهِيَ:

الْمُحَكَّمَةُ الْأُولَى، وَالْأَزَارِقَةُ، وَالنَّجْدَاتُ، وَالصُّفَرِيَّةُ، وَالْعَجَارِدَةُ، وَالْإِبَاضِيَّةُ، وَالشَّيْبِيَّةُ^(٨).

(١) الْفَرْقُ بَيْنَ الْفِرَقِ ص ٧٢. وَذَكَرَ أَنَّهُمْ عَشْرُونَ أَيْضًا الْإِنْجِيُّ فِي الْمَوَاقِفِ ج ٨ ص ٣٩٦.

(٢) التَّبْصِيرُ فِي الدِّينِ ص ٣٨.

وَالْاِخْتِلَافُ فِي الْعَدَدِ يَعُودُ إِلَى اعْتِبَارِهِمْ بَعْضَ الْفُرُوعِ أَصْلًا أَوْ عَدَمَهُ. وَانْظُرْ شَرْحَ الْمَوَاقِفِ لِلسَّيِّدِ الشَّرِيفِ السَّابِقِ.

(٣) خِطَطُ الْمَقْرِيزِيِّ ج ٢ ص ٣٥٤.

(٤) اعْتِقَادَاتُ فِرْقِ الْمُسْلِمِينَ ص ٥١-٦٦.

(٥) الْبَدءُ وَالتَّارِيخُ ج ٥ ص ١٣٤.

(٦) التَّنْبِيهُ وَالرَّدُّ ص ١٧٨.

(٧) مِفَاتِيحُ الْعُلُومِ ص ١٩.

(٨) التَّبْصِيرُ فِي الدِّينِ السَّابِقِ. وَجَعَلَهَا سَبْعًا أَيْضًا كُلُّ مَنْ: الْإِنْجِيُّ فِي الْمَوَاقِفِ ج ٨ ص ٣٩٢ وَالْكَرْمَانِيُّ فِي الْفِرْقِ الْإِسْلَامِيَّةِ ص ٦٢ وَالسَّفَارِينِيُّ فِي لَوَائِحِ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ١ ص ٨٦، لَكِنَّهُمْ ذَكَرُوا الْبَيْهَقِيَّةَ بَدَلًا مِنَ الشَّيْبِيَّةِ.

أَمَّا الشَّهْرَسْتَانِيُّ فِي الْمِلَلِ وَالنَّحْلِ ج ١ ص ١٠٧ فَقَدْ جَعَلَ كِبَارَ فِرْقِ الْخَوَارِجِ سِتًّا، فَذَكَرَ

١ - الْمُحَكِّمَةُ الْأُولَى: وهم الذين خرجوا على الإمام عليّ عند التَّحْكِيمِ، بعد أن كانوا معه في معركة صِفِّين^(١)، قالوا لِعَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما حَكَمَ الْحَكَمَيْنِ: إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ الْإِمَامُ حَقًّا فَلِمَ أَمَرْتَنَا بِالْمَحَارَبَةِ؟ ثم انفصلوا عنه بهذا السبب^(٢).

وأول من قال منهم (لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ) هو عُرْوَةُ بْنُ حُدَيْرٍ، ويقال له: عُرْوَةُ بْنُ أُدَيَّةَ، وقيل غيره، ونادوا بخلع عليّ ومعاوية.

وبعد رجوع عليّ من صِفِّين، اجتمعوا بحروراء، وكانوا اثني عشر ألفاً، وزعيمهم عبد الله بن الكوّاء وشبّث بن ربعيّ، وخرج إليهم الإمام عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وناظرهم، فاستأمن إليه ابن الكوّاء في ألف مقاتل.

واستمر الباقيون على ضلالهم، وخرجوا إلى النَّهْرَوَانِ، وأمروا عليهم عبد الله بن وَهْبُ الرَّاسِبِيِّ وَحُرْقُوصُ بْنُ زُهَيْرِ الْبَجَلِيِّ المعروف بذي الثُّدَيَّةِ، وبذي الْخُوَيْصِرَةِ. والتقوا بعبد الله بن خَبَّابِ بْنِ الْأَرْتِ بالمدائن وكان والياً عليها، فكلّمهم، فقتلوه وجرى دمه في النهر، وقتلوا ولده وجاريته، وعسكروا بالنَّهْرَوَانِ، وسار إليهم الإمام عليّ في أربعة آلاف من أصحابه، مُقَدِّمُهُمْ عَدِيّ بْنُ حَاتِمِ الطَّائِي، وناظرهم، ثم قاتلهم، وخرج حُرْقُوصُ فِي وَجْهِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قائلاً: وَاللَّهِ لَا نُرِيدُ بِقِتَالِكَ إِلَّا وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى، وَالنَّجَاةَ فِي الْآخِرَةِ، ثُمَّ تَلَا الْآيَةَ: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ۝١٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۝١٤﴾ - الكهف.

الثعالبية بدلاً من الشَّيْبِيَّةِ، ولم يذكر الْمُحَكِّمَةُ كِفْرَقَةً منها، لكنّه تَحَدَّثَ عنها بعد ذَلِكَ في كلامه عن الخوارج.

(١) الْمَلِكُ وَالنَّحْلُ لِلشَّهْرِسْتَانِيِّ ج ١ ص ١٠٦ واعتقادات فرق المسلمين ص ٥٢ والمواقف ج ٨ ص ٣٩٢ والفرق الإسلامية للكرمانيّ ص ٦٢. وانظر: التَّنبِيْهُ وَالرَّدُّ ص ٤٧ والبدء والتاريخ ج ٥ ص ١٣٥-١٣٧ وخطط المقرئيّ ج ٢ ص ٣٥٤.

(٢) اعتقادات فرق المسلمين السابق.

فحمل عليهم الإمام عليّ، وقتلهم، وقتل عبد الله بن وهب، وتبّعوا حُرْقُوصَ، فأمر الإمام عليّ بقتله، وكان له ثدي كالمرة، فقال الإمام عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: صدق الله وصدق رَسُولُه. وكان ذو الثُدَيَّةِ قد مرَّ على النَّبِيِّ ﷺ وهو يقسم غنائم بدر، فقال له: اعدِلْ يا مُحَمَّد. فقال عليه الصلاة والسلام: خَبَتْ وَخَسِرَتْ، إِنْ مَنْ يَعْدِلُ؟ ثم قال: يخرج من ضِئْضِئِ هَذَا قَوْمٌ يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ.

وخرج الخَوَارِج بعد ذَلِكَ في الْعِرَاق، وظل يقاتلهم الإمام عليّ إلى أن قتلوه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ومَذْهَبُهم هو تكفير عليّ، وعُثْمَان، وأصحاب الجَمَل، والحَكَمَيْن، ومن رَضِيَ بالْتَحْكِيم، وتكفير كل ذي ذنب ومعصية.

وظل الخَوَارِج على هَذَا الْمَذْهَب إلى أن ظهرت الْأَزْرَاقَةُ، فاختلَفوا عند ذَاكَ^(١).

٢- الْأَزْرَاقَةُ: أتباع نَافِعِ بْنِ الْأَزْرَقِ الْحَنْفِيِّ. وهم أَكْثَرُ الْخَوَارِجِ عِدْداً وَأَشَدَّ شَوْكَةً، وفارقوا الْمُحَكَّمَةَ الْأُولَى بِأُمُورٍ مِنْهَا:

أَنَّ الْأَزْرَاقَةَ يسمون مَخَالِفَهُمْ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ مُشْرِكاً، وَالْمُحَكَّمَةَ الْأُولَى يَقُولُونَ بَأَنَّهُ كَافِرٌ.

ومن آرائهم:

أ- أَنَّهُمْ يسمون مَنْ لَمْ يَهْجُرْ إِلَى دِيَارِهِمْ مِنْ مُوَافِقِيهِمْ مُشْرِكاً، وَإِنْ كَانَ عَلَى رَأْيِهِمْ.

ب- أَنَّهُمْ أَوْجَبُوا امْتِحَانَ مَنْ قَصَدَ عَسْكَرَهُمْ إِذَا ادَّعَى أَنَّهُ مِنْهُمْ، وَذَلِكَ بِأَنْ يَسْلُمُوهُ أَسِيراً مَنْ مَخَالِفِيهِمْ وَأَطْفَالَهُمْ فَيَأْمُرُوهُ بِقَتْلِهِ.

(١) الْفَرْقُ بَيْنَ الْفِرَقِ ص ٧٤-٨١ وَالتَّبْصِيرُ فِي الدِّينِ ص ٣٨. وَانْظُرْ: الْمِلَلَ وَالنَّحْلَ لِلشَّهْرَسْتَانِيِّ ج ١ ص ١٠٧. وَفِي الْكَامِلِ لِلْمُبَرِّدِ ج ٣ ص ٢٦٣: قَالَ الْأَخْفَشُ: حُرْقُوصٌ هُوَ ذُو الثُّدَيَّةِ.

وَحَدِيثٌ مُرْوَقُهُمْ مِنَ الدِّينِ، رَوَاهُ الشَّيْخَانُ وَغَيْرُهُمَا. وَسَيَأْتِي بَعْدَ قَلِيلٍ.

ج- أن أطفال مخالفيهم مُشْرِكُونَ، يخلدون في النار.

د- أنهم استباحوا قتل نساء مخالفيهم وقتل أطفالهم.

هـ- تحريم القعود عن الحَرْب، واعتبار القَعْدَة مُشْرِكِينَ^(١).

و- تصويب عبد الرَّحْمَنِ بن مُلْجَم في قتله الإمام عَلِيًّا.

ز- التَّقِيَّة عندهم غير جائزة في قول ولا عَمَل^(٢).

ح- قطع يد السارق من المَنَكِب، وإبطال رجم الزاني المُحْصَن^(٣).

٣- النَّجْدَات (النَّجْدِيَّة): أتباع نَجْدَة بن عَامِرِ الحَنْفِي. وكان نَجْدَة قد خرج من اليَمَامَة في نفر من أتباعه، يريد اللحاق بالأَزَارِقَة، فاستقبلهم نفر من عَسْكَرِ نَافِع، فأخبروه بما أحدثه نَافِع من تكفير القَعْدَة عنه وغير ذلك، وأنهم خالفوه، فأَمَرُوا نَجْدَة عليهم.

ثم اختلف النَّجْدَات على نَجْدَة لأُمُور، وانتهى أمره بقتله على يدهم.

وافترقوا ثلاث فِرَق، لِكُنْهِمْ يُجْمَعُونَ على قولهم: لا حاجة للناس إلى إِمَامٍ قَطُّ، وإنما عليهم أن يتناصفوا فيما بينهم، فإن رأوا أن ذَلِكَ لا يَتِمُّ إِلَّا بِإِمَامٍ يحملهم عليه فأقاموه جاز.

(١) الفِرَق بين الفِرَق ص ٨٢-٨٣ والتَّبْصِير في الدِّين ص ٤٢ والمِلَل والنَّحْل للشَّهْرَسْتَانِي ج ١ ص ١١١-١١٦. وانظر: مَقَالَاتُ الإِسْلَامِيَّين ج ١ ص ١٧٠ والتَّنْبِيْهِ والرَّد ص ١٧٨ والفَصْل لابن حَزْم ج ٥ ص ٥٢ واعتِقَادَاتُ فِرَقِ المُسْلِمِيَّين ص ٥٤ والبَدْء والتَّارِيخ ج ٥ ص ١٣٨ وَخِطَطُ المَقْرِزِي ج ٢ ص ٣٥٤ والمَوَاقِف ج ٨ ص ٣٩٢ والفِرَق الإِسْلَامِيَّة للكَرْمَانِي ص ٦٤-٦٦ والبعد الحَضَارِي ص ٥٣.

(٢) المِلَل والنَّحْل للشَّهْرَسْتَانِي، والفِرَق الإِسْلَامِيَّة للكَرْمَانِي، السَّابِقَان.

(٣) الفَصْل لابن حَزْم السَّابِق.

المَنَكِب: مجْتَمَعُ رَأْسِ العَضْد والكَتِف. / المِصْبَاحُ المُنِيرُ مادة (نكب).

وحكى الكَعْبِيُّ عنهم قولهم: إن التَّقِيَّةَ جائزة في القول والعمل كله وإن كان في قتل النفس.

واستحل نَجْدَةُ دماء أهل العهد والذِّمَّة وأموالهم في دار التَّقِيَّة، وحكم بالبراءة ممن حَرَّمَهَا^(١).

٤- الصُّفَرِيَّة (الأَصْفَرِيَّة): أتباع زياد بن الأصفر. وهم يقولون:

أ- بقول الأَزَارِقَةِ في أن أصحاب الذنوب مُشْرِكُونَ. وصاروا ثلاث فِرَق، وكلهم لا يبيحون قتل نساء مخالفيهم ولا أطفالهم، بخلاف الأَزَارِقَةِ الذين يبيحون ذَلِكَ.

ب- وكلهم يقولون أيضاً بموالاته عبد الله بن وَهْب الرَّاسِبِيِّ وَحُرْقُوص بن زُهَيْر وأتباعهما من المُحَكَّمَةِ الْأُولَى. ويقولون بإمامة أَبِي بِلَال مِرْدَاس الخارجي بعدهم، وهو أخو عُرْوَةَ بن حُدَيْر، ثم بإمامة عِمْرَان بن حِطَّان السَّدُوسِيِّ بعد أَبِي بِلَال. وعِمْرَان كان شاعراً ناسكاً شديداً في مذهب الصُّفَرِيَّة، وهو الذي رثى عبد الرَّحْمَنِ بن مُلْجَم قاتل الإمام عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(٢).

ج- وهم يجوزون التَّقِيَّة في القول دون العمل^(٣).

(١) المِلَل والنُّحُل للشَّهْرَسْتَانِي ج ١ ص ١١٦ ومَقَالَاتُ الْإِسْلَامِيِّين ج ١ ص ١٧٤ والْفِرَق بين الْفِرَق ص ٨٧ والتَّبْصِير في الدِّين ص ٤٣. وانظر: الْفَصْل لابن حَزْم ج ٥ ص ٥٣ واعتقادات فِرَق الْمُسْلِمِينَ ص ٥٥ والْبَدْء والتَّارِيخ ج ٥ ص ١٣٩ والمَوَاقِف ج ٨ ص ٣٩٣ والْفِرَق الْإِسْلَامِيَّة لِلْكَرْمَانِيِّ ص ٦٦ وَخِطَطُ الْمَقْرِيزِيِّ ج ٢ ص ٣٥٤. وأورد الْمُبَرِّد في الْكَامِل ج ٣ ص ٢٨٦-٢٨٩ رِسَالَةً نَجْدَةَ إِلَى نَافِعٍ بعد مفارقتها وجواب نافع له.

(٢) مَقَالَاتُ الْإِسْلَامِيِّين ج ١ ص ١٨٢ والْفِرَق بين الْفِرَق ص ٩٠ والتَّبْصِير في الدِّين ص ٤٤ والمِلَل والنُّحُل للشَّهْرَسْتَانِي ج ١ ص ١٣٤ والمَوَاقِف ج ٨ ص ٣٩٤ وَخِطَطُ الْمَقْرِيزِيِّ ج ٢ ص ٣٥٤.

(٣) اعتقادات فِرَق الْمُسْلِمِينَ ص ٦٥ وَشَرْح الْمَوَاقِف لِلْسَّيِّد الشَّرِيف السَّابِق.

٥- العَجَارِدَة: أتباع عبد الكريم بن عَجْرَد. وكانوا قد افترقوا فِرَقاً كثيرة بلغت عشر فِرَق، يجمعها القول بما يأتي:

أ- إن الطفل يُدعى إذا بلغ، وتجب البراءة منه قبل ذلك حتى يُدعى إلى الإسلام أو يصفه هو.

ب- لا يرون مال مخالفيهم فيئاً إلا بعد قتل صاحبه، بخلاف الأزارقة الذين استحلوا أموال مخالفيهم بكل حال. ثم افترقوا بعد ذلك إلى نحو خمس عشرة فِرقة.

ج- يرون الهجرة فضيلة لا فرضاً.

د- يكفرون بالكبائر^(١).

٦- الشَّيْبِيَّة: أتباع شَيْب بن يَزِيد الشَّيْبَانِي، أبو الصحاري، الذي خرج أيام الحَجَّاج.

أجاز شَيْب وأتباعه إمامة المرأة منهم إذا قامت بأمر الرعية كما ينبغي، وخرجت على مخالفيهم. وكان أتباعه يرون أن غزاة أم شَيْب كانت الإمام بعد قتل شَيْب إلى أن قتلت^(٢).

وزعموا أن الرجل يكون مسلماً إذا شهد أن لا إله إلا الله وأن مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وتَوَلَّى أَوْلِيَاءَ الله، وتَبَرَّأَ من أعدائه، وأَقَرَّ بما جاء من عند الله جُمْلَةً وإن لم يعلم سائر ما افترض الله سُبْحَانَهُ عليه مما سوى ذلك أفرض أم لا، فهو مُسْلِمٌ حتى يبتلى بالعمل به فيسأل^(٣).

(١) مَقَالَاتُ الإِسْلَامِيِّينَ ج ١ ص ١٧٧ والفرق بين الفرق ص ٩٣ والتَّبْصِيرُ فِي الدِّينِ ص ٤٥ والمِلَلُ والنَّحْلُ لِلشَّهْرَسْتَانِيِّ ج ١ ص ١٢٤ والفِصَلُ لابن حَزْم ج ٥ ص ٥٤ واعتقادات فرق المُسْلِمِينَ ص ٥٦ والبدء والتاريخ ج ٥ ص ١٣٨ والمواقف ج ٨ ص ٣٩٤.

(٢) الفرق بين الفرق ص ١٠٩ والتَّبْصِيرُ فِي الدِّينِ ص ٥٠ والمِلَلُ والنَّحْلُ لِلشَّهْرَسْتَانِيِّ ج ١ ص ١٢٣. وانظر: خَطَطُ الْمُقْرِئِيِّ ج ٢ ص ٣٥٥.

(٣) مَقَالَاتُ الإِسْلَامِيِّينَ ج ١ ص ١٩٤.

٧- الإباضية: رأس الإباضية هو: أبو الشعثاء جابر بن زيد الأزدي العُماني البصري، ولد سنة ٢١هـ لستين بقية من خلافة عمر، ورحل في طلب العلم، وصاحب الصحابي عبد الله بن عباس، وأخذ عن كثير من الصحابة رضي الله عنهم، قال: (أدركت سبعين رجلاً من أهل بدر، فحوت ما بين أظهرهم إلا البحر)، يريد ابن عباس لوفرة علمه.

أخذ عنه الكثير، منهم: أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي، الذي روى عنه الربيع بن حبيب كتاب الجامع الصحيح الذي هو عمدة كتب الإباضية في الحديث. توفي جابر سنة ٩٣هـ^(١).

وتابعه في الرأي عبد الله بن إياض التميمي المُرِّي، وهو الذي نُسب إليه المذهب، مع أن رأسه الحقيقي هو جابر بن زيد، وذلك لبروز ابن إياض في الجانب السياسي، وهو الذي انفصل عن نافع بن الأزرق. وتوفي قبل سنة ٨٦هـ^(٢).

(١) البعد الحضاري ص ٥٠ بالهامش.

وانظر ترجمة جابر بن زيد في: طبقات المشائخ بالمغرب للدرجيني ج ٢ ص ٢٠٥-٢١٤ والسير للشماخي ج ١ ص ٦٧-٧٢ وفيه توفي سنة ٩٦هـ، وأشار إليهما الجعبري في البعد الحضاري، وابن حجر في تهذيب التهذيب ج ١ ص ٢٧٩ طبعة مؤسسة الرسالة.

(٢) البعد الحضاري السابق ص ٥٢ بالهامش نقلاً عن البغطوري والبرادي.

قال المبرّد في الكامل ج ٣ ص ٢٧٥: (ثم خرجت خوارج لا ذكر لهم، كلهم قتل، حتى انتهى الأمر إلى الأزارقة، ومن ههنا افتقرت الخوارج فصارت على أربعة أضرب: الإباضية، وهم أصحاب عبد الله بن إياض، والصُفريّة... والبيّهسيّة... والأزارقة... وكانوا قبل على رأي واحد، لا يختلفون إلا في الشيء الشاذ من الفروع). وذكر المبرّد أيضاً في الكامل ج ٣ ص ٢٩١ مفارقة عبد الله بن إياض نافعاً.

وانظر ترجمة ابن إياض في: طبقات المشائخ بالمغرب للدرجيني ج ٢ ص ٢١٤ والسير للشماخي ج ١ ص ٧٢.

وقد رأى كُتَّابُ الْفِرَقِ مثل: الْأَشْعَرِيُّ^(١)، وَالْمَلَطِيُّ^(٢)، وَالْبَغْدَادِيُّ^(٣)،
وَالْإِسْفَرَايِينِيُّ^(٤)، وَابْنُ حَزْمٍ^(٥)، وَالشَّهْرَسْتَانِيُّ^(٦)، وَنَشْوَانُ الْحَمِيرِيِّ^(٧)، وَالرَّازِيُّ^(٨)،
وَالْمَقْدِسِيُّ^(٩)، وَالْإِيْجِيُّ^(١٠)، وَالكَرْمَانِيُّ^(١١)، وَالْمَقْرِيْزِيُّ^(١٢)، وَابْنُ الْمُرْتَضَى^(١٣): أَنَّ
الْإِبَاضِيَّةَ إِحْدَى فِرَقِ الْخَوَارِجِ، وَأُورِدُوا فِرَقَهُمْ وَأَرَآءَهُمْ.

وَكَانَ الْمُبَرِّدُ الَّذِي يَمِيلُ إِلَى الْخَوَارِجِ قَدْ ذَكَرَ أَنَّ الْإِبَاضِيَّةَ مِنَ الْخَوَارِجِ، ثُمَّ
انْفَصَلُوا عَنْهُمْ، كَمَا تَقَدَّمَ أَيْضًا عَنْ كِتَابِهِ الْكَامِلِ.

إِلَّا أَنَّ الْكُتَّابَ الْإِبَاضِيِّينَ يُنْكِرُونَ نِسْبَةَ الْإِبَاضِيَّةِ إِلَى الْخَوَارِجِ، وَيَقُولُونَ بِأَنَّ
لَا جَامِعَ بَيْنَهُمَا إِلَّا إنْكَارَ التَّحْكِيمِ^(١٤)، لِأَنَّهُمْ يَرَوْنَ أَنَّ التَّحْكِيمَ خَطَأً، فَالْإِمَامَ عَلِيٍّ

(١) مَقَالَاتُ الْإِسْلَامِيِّينَ ج ١ ص ١٨٣.

(٢) التَّنْبِيْهِ وَالرَّدَّ ص ١٧٨.

(٣) الْفَرْقُ بَيْنَ الْفِرَقِ ص ١٠٣.

(٤) التَّبْصِيرُ فِي الدِّينِ ص ٤٨.

(٥) الْفِصْلُ لَابْنِ حَزْمٍ ج ٥ ص ٥١.

(٦) الْمِلَلُ وَالنَّحْلُ لِلشَّهْرَسْتَانِيِّ ج ١ ص ١٣١.

(٧) شَرْحُ الْحُورِ الْعَيْنِ ص ٢٥٦.

(٨) اعْتِقَادَاتُ فِرَقِ الْمُسْلِمِينَ ص ٦٤.

(٩) الْبَدْءُ وَالتَّارِيخُ ج ٥ ص ١٣٤ و ١٣٨.

(١٠) الْمَوَاقِفُ ج ٨ ص ٢٩٤.

(١١) الْفِرَقُ الْإِسْلَامِيَّةُ لِلْكَرْمَانِيِّ ص ٦٨.

(١٢) خِطَطُ الْمَقْرِيْزِيِّ ج ٢ ص ٣٥٥.

(١٣) الْمُنْيَةُ وَالْأَمَلُ ص ١٠٤.

(١٤) الْفَرْقُ بَيْنَ الْإِبَاضِيَّةِ وَالْخَوَارِجِ لِأَبِي إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ أَطْفَيْشَ ص ٣٠ وَالْإِبَاضِيَّةُ بَيْنَ الْفِرَقِ
الْإِسْلَامِيَّةِ لِعَلِيِّ يَحْيَى مُعَمَّرَ ص ١٨٧، وَنَقَلَ نَصَّ أَبِي إِسْحَاقَ السَّائِقِ فِي ص ٥٤٠. وَانْظُرْ: الْبَعْدُ
الْحَضَارِيُّ ص ٤٦. وَنَقَلَ فِي ص ٦٠ وَمَا بَعْدَهَا نَصُوصًا مِنْ سِيرِ الشَّمَاخِيِّ عَنْ جَابِرِ بْنِ زَيْدٍ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو الإمام الحق، ما كان ينبغي له أن يقبله^(١).

ويرون أن الإباضية قد انفصلوا عن الخوارج بعد ظهور مقالة نافع بن الأزرق.

وذلك بعد أن اشتد عُبْدُ اللَّهِ بن زياد بن أبيه - والي البصرة لمعاوية - في حرب الخوارج المُحَكِّمَة، ظهر فريقان متعارضان:

الفريق الأول: فريق جابر بن زَيْد الذي حافظ على مسلك المُحَكِّمَة بأسلوب الكتمان، ومعه عبد الله بن إباض الذي كان يدافع علانية. وكانا يريان ألا سبيل إلى النجاة بحركتهم إلا بالعود عن الخروج إلى حرب المخالفين، والتَّركيز على الجانب الثقافي لحفظ تعاليم الإسلام.

والفريق الثاني: أتباع نافع بن الأزرق، الذين ذكرنا آراءهم سابقاً.

ومبدأ افتراقهما هو: أن المُسْلِمِينَ - الخوارج - بعد قتل أبي بلال مُرْدَاس بن حُدَيْر سنة ٦١ هـ اجتمعوا بِجَامِعِ البَصْرَة، وعزموا على الخروج، وفيهم عبد الله بن إباض ونافع بن الأزرق ووجوه المُسْلِمِينَ، فلما جَنَّ الليل سمع عبدُ اللَّهِ دَوِيَّ القُرَّاء وترنين المؤذنين وحنين المسبِّحين، فقال لأصحابه: أَعَنْ هَؤُلَاءِ أخرج؟ فَرَجَعَ وكنم أمره.

وبعدها تَبَرَّأَ الإباضية من نافع بن الأزرق، وهذا واضح مما كتبه عبد الله بن إباض إلى عبد الملك بن مَرْوَانَ: (إِنَّا بَرَاءٌ إِلَى اللَّهِ من ابن الأزرق وصنيعه وأتباعه)^(٢).

لذلك يرفض الإباضية تسميتهم بالخوارج رفضاً باتاً، لأنهم يعتبرون الخوارج

وعبد الله بن إباض، ومن الإزكوي عن عبد الله بن إباض أيضاً، وعن أبي زَكْرِيَّا يَحْيَى الجناوني، وأبي القاسم البرادي، وغيرهم، وهي تفيد أن الإباضية ليسوا من الخوارج.

(١) الإباضية بين الفرق الإسلامية لِعَلِيِّ يَحْيَى مُعَمَّر السَّابِق ص ١٨٦-١٨٧.

(٢) البعد الحضاري ص ٥١-٥٤ وانظر ص ٥٠٦. وانظر أيضاً: الإباضية بين الفرق الإسلامية لِعَلِيِّ يَحْيَى مُعَمَّر ص ٣٣٤ نقلاً عن الدليل والبرهان للوارجلاني.

هم المارقة من الدين^(١).

والذي أراه: أَنَّ قَوْلَ كُلِّ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ صَحِيحٌ:

فَكُتِّبَ الْفِرَقُ الْإِسْلَامِيَّةُ الْمَذْكُورِينَ يَرَوْنَ أَنَّ الْإِبَاضِيَّةَ مِنَ الْخَوَارِجِ، لِأَنَّهُمْ نَظَرُوا إِلَى مَبْدَأِ نَشَأَتِهِمْ، حَيْثُ كَانُوا مَعَهُمْ ثُمَّ انْفَصَلُوا عَنْهُمْ.

وَكُتِّبَ الْإِبَاضِيَّةُ يَرَوْنَ أَنَّ الْإِبَاضِيَّةَ لَيْسُوا مِنَ الْخَوَارِجِ، لِأَنَّهُمْ نَظَرُوا إِلَى نِهَآيَةِ أَمْرِهِمْ بَعْدَ انْفَصَالِهِمْ مِنَ الْخَوَارِجِ، لَا سِيَّمَا وَأَنَّ كُلًّا مِنَ الْفَرِيقَيْنِ لَا يُنْكِرُ مَا ادَّعَاهُ الْآخَرُ بِالْمَفْهُومِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ. فَالْخِلَافُ بَيْنَهُمَا غَيْرُ حَقِيقِي.

وَمِنْ آرَاءِ الْإِبَاضِيَّةِ، أَنَّهُمْ:

أ- يَعْتَبِرُونَ دَارَ الْمَخَالِفِينَ دَارَ تَوْحِيدٍ، عَدَا مُعَسَّكَرِ السُّلْطَانِ، فَإِنَّهُ دَارُ حَرْبٍ لَا دَارَ شَرِكٍ.

ب- لَا يَقُولُونَ بِالْإِسْتِعْرَاضِ. وَالْإِسْتِعْرَاضُ هُوَ قَتْلُ كُلِّ الْمَخَالِفِينَ بِإِعْتِبَارِهِمْ مُشْرِكِينَ.

ج- لَا يَسْتَحِلُّونَ مِنَ الْمَحَارِبِينَ إِلَّا دِمَاءَهُمْ، فَلَا سَبْيَ وَلَا غَنِيمَةَ.

د- يَقَرَّرُونَ مَبْدَأَ الْقَعُودِ عَنِ الثَّوْرَةِ، وَاسْمُوا ذَلِكَ بِمَسْلُكِ الْكُتْمَانِ، حَيْثُ لَا يُجِيزُونَ الْخُرُوجَ إِلَّا إِذَا صَارَ عَدَدُهُمْ نِصْفَ عَدَدِ الْعَدُوِّ، وَكَذَا الْعُدَّةُ وَالطَّاقَةُ^(٢).

(١) البعد الحضاري السابق.

(٢) البعد الحضاري ص ٥٥-٥٦. وَقَدْ فَصَّلَ عَلَيَّ يَحْيَى مُعَمَّرٌ فِي: الْإِبَاضِيَّةُ بَيْنَ الْفِرَقِ الْإِسْلَامِيَّةِ ص ٣٤٠-٣٥٠ أَنْوَاعُ الدَّارِ، فَذَكَرَ:

أ- الدار دار إسلام ومُعَسَّكَرُ السُّلْطَانِ مُعَسَّكَرُ إِسْلَامٍ، إِذَا كَانَ الْوَطَنُ مُسْلِمًا، وَأُمَّتُهُ وَدَوْلَتُهُ مُسْلِمَةً تَعْمَلُ بِحُكْمِ اللَّهِ.

ب- الدار دار إسلام، ومُعَسَّكَرُ السُّلْطَانِ مُعَسَّكَرُ إِسْلَامٍ إِلَّا أَنَّهُ مُعَسَّكَرٌ بَغِيٌّ وَظَلَمٌ، إِذَا كَانَ الْوَطَنُ مُسْلِمًا، وَأُمَّتُهُ وَدَوْلَتُهُ مُسْلِمَةً لَكِنِهَا لَا تُحْكَمُ بِالْإِسْلَامِ.

ج- الدار دار إسلام ومُعَسَّكَرُ السُّلْطَانِ مُعَسَّكَرُ كُفْرٍ، إِذَا كَانَ الْوَطَنُ مُسْلِمًا، وَالْأُمَّةُ

وواضح أن هذه الآراء جميعها مخالفة لما ذهب إليه الأزارقة.

هـ- الكفر عندهم نوعان:

أولهما: كفر نعمة، ويسمى كفر نفاق، وهو الذي تجري على صاحبه أحكام الموحدين^(١)، وهو مرادف للفسق والفجور والعصيان^(٢).

والثاني: كفر شرك وجحود، ويخرج به الإنسان من الملة الإسلامية^(٣).

عِبَادَةُ الْخَوَارِجِ

مع ما تقدم للخوارج من آراء تعج بالقسوة والعنف والتهور، إلا أنهم تميزوا بصفات متناقضة كالشدد في العبادة.

ففيهم قال النبي ﷺ: (يَخْرُجُ فِيكُمْ قَوْمٌ تَحْقِرُونَ صَلَاتَكُمْ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَكُمْ مَعَ صِيَامِهِمْ، وَعَمَلَكُمْ مَعَ عَمَلِهِمْ، وَيَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ...) (٤).

مُسْلِمَةً، والدولة الحاكمية مستعمرة مُشْرِكَة كتابية أو غير كتابية.

د- الدار دار كفر ومُعَسْكَرُ السُّلْطَانِ مُعَسْكَرُ كُفْرٍ، إذا كان الوطن للمُشْرِكِينَ تسكنه أُمَّة مُشْرِكَة، وتحكمه دولة مُشْرِكَة.

وانظر هذه الآراء وغيرها في: تُحْفَةُ الْأَعْيَانِ لِلْسَّالِمِيِّ ص ٨١-٨٥ عند ذكره (باب في عَقِيدَةِ أَهْلِ عُمَانَ).

(١) مُخْتَصَرُ تَارِيخِ الْإِبَاضِيَّةِ لِلْبَارُونِي ص ٧٤.

(٢) الْبَعْدُ الْحَضَارِيُّ ص ٥١٢.

(٣) مُخْتَصَرُ تَارِيخِ الْإِبَاضِيَّةِ لِلْبَارُونِي السَّابِق.

(٤) حَدِيثٌ: يَخْرُجُ فِيكُمْ قَوْمٌ تَحْقِرُونَ... إلخ، في: صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ في: ٦٦ كتاب فَضَائِلِ الْقُرْآنِ، ٣٦ باب من رَأَى بِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، رقم ٥٠٥٨، عن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ.

وعن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَقْسِمُ قَسْمًا، أَتَاهُ ذُو الْخُوَيْصِرَةِ، وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اعْدِلْ. فَقَالَ: وَيْلَكَ وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ اَعْدِلْ، قَدْ خَبْتُ وَخَسِرْتُ إِنْ لَمْ أَكُنْ اَعْدِلُ، فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْذَنْ لِي فِيهِ فَأَضْرِبْ عَنْقَهُ؟ فَقَالَ: دَعَهُ، فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيهِمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ... آيَتُهُمْ رَجُلٌ أَسْوَدُ، إِحْدَى عِصْدِيهِ مِثْلُ ثَدْيِ الْمَرَأَةِ، أَوْ مِثْلُ الْبِضْعَةِ تَدْرَدُرُ، وَيَخْرُجُونَ عَلَى حِينٍ فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ.

قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: فَأَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُ هَذَا الْحَدِيثَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَشْهَدُ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ قَاتَلَهُمْ وَأَنَا مَعَهُ، فَأَمَرَ بِذَلِكَ الرَّجُلِ فَالْتُمَسَ، فَأَتَيْ بِهِ، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَيْهِ عَلَى نَعْتِ النَّبِيِّ ﷺ الَّذِي نَعْتُهُ^(١).

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى بِنَحْوِ هَذَا اللَّفْظِ وَزَادَ: قَالَ: فَنَزَلَتْ فِيهِ: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ - التوبة ٥٨^(٢).

فَقَوْلُهُ ﷺ فِيهِمْ: (يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ) دَلِيلٌ عَلَى شِدَّةِ تَدْيُنِهِمْ وَعِبَادَتِهِمْ.

(١) حَدِيثٌ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ... إلخ، فِي: صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ فِي: ٦١ كِتَابِ الْمَنَاقِبِ، ٢٥ بَابِ عَلَامَاتِ النَّبُوَّةِ فِي الْإِسْلَامِ، رَقْمٌ ٣٦١٠، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ.

وَنَحْوُهُ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ فِي: ٧٨ كِتَابِ الْأَدَبِ، ٩٥ بَابِ مَا جَاءَ فِي قَوْلِ الرَّجُلِ وَيْلَكَ، رَقْمٌ ٦١٦٣، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ. وَمَوَاضِعُ أُخَرِ.

وَالْحَدِيثُ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ فِي: ١٢ كِتَابِ الزَّكَاةِ، ٤٧ بَابِ ذِكْرِ الْخَوَارِجِ وَصِفَاتِهِمْ، رَقْمٌ ١٠٦٤، ج ٢ ص ٧٤٤، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ.

وَالْبِضْعَةُ: قِطْعَةُ اللَّحْمِ. تَدْرَدُرُ: تَذْهَبُ وَتُجِيءُ.

وَانْظُرْ: التَّبْصِيرُ فِي الدِّينِ ص ٤١.

(٢) الرِّوَايَةُ مَعَ الزِّيَادَةِ فِي: صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ فِي: ٨٨ كِتَابِ اسْتِثْنَاءِ الْمُتَرَدِّينَ، ٧ بَابِ مَنْ تَرَكَ قِتَالَ الْخَوَارِجِ لِلتَّلَافِ، رَقْمٌ ٦٩٣٣، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ.

وَعُرْوَةُ بْنُ حُدَيْرٍ وَيَسْمَى (ابن أُدَيَّةَ)، وهو أول من حَكَّمَ، حين أُتِيَ به إلى زياد بن أبيه، وسأله أسئلة، ثم أمر به، ففُضِرَت عنقه، دعا مولاه، وقال له: صِفْ لي أموره، فقال: أَأُطْنِبُ أم أَخْتَصِرُ؟ فقال: بل اختَصِرْ.

فقال: ما أتيته بطعام بنهار قَطُّ، ولا فَرَشْتُ له فراشاً بليل قَطُّ. يريد أنه صائم النهار، قائم الليل دائماً^(١).

وحين خرج الخَوَارِج على عَلِيٍّ بعد التَّحْكِيمِ، ونزلوا حَرُورَاءَ، وَجَّهَ إليهم عبد الله بن العَبَّاسِ، فلما صار إليهم رَحَّبُوا به وأكرموه، فرأى منهم جِباهاً قَرِحَةً لطول السجود، وأيدياً كَثِفَتِ الإبل، وعليهم قُمْصٌ مُرَحَّضَةٌ، وهم مُشْمَرُونَ^(٢).

وذكر أن الصُّفَرِيَّةَ قد سُمُّوا بِذَلِكَ - في أحد الأقوال وأكثر المتكلمين عليه - لأنهم قوم نَهَكْتَهُم العِبَادَةَ، فاصفَرَّت وجوههم^(٣).

وخطبَ أبي حَمْزَةَ يَحْيَى بن المُخْتَار الشَّارِي، المُتَوَفَّى سنة ١٣٠ هـ، تُصَوِّر ما كان عليه هُؤُلَاءِ من اجتهاد كبير في العِبَادَةِ^(٤).

(١) الكَامِلُ لِلْمُبَرِّد ج ٣ ص ١٨١. وانظر: المَلِك والنَّحْل للشَّهْرَسْتَانِي ج ١ ص ١١١ وقال: هُذِهِ معاملته واجتهاده، وَذَلِكَ خِشْتُهُ واعتقاده. وانظر أيضاً تَعْلِيْقُ مُحَمَّدٍ مُحْيِي الدِّين عبد الحميد على الفَرْقِ بين الفَرْقِ لِلْبَغْدَادِيِّ ص ٧٤ الهامش نُقْلًا عن المَعَارِف لابن قُتَيْبَةَ.

(٢) الكَامِلُ لِلْمُبَرِّد ج ٣ ص ٢١١. وفي هامشه:

قَرِحَةٌ: بها قروح. ثَفَنَاتُ الإبل: ما يصيب الأرض منها إذا بركت. مُرَحَّضَةٌ: مغسولة.

(٣) الكَامِلُ لِلْمُبَرِّد ج ٣ ص ٢٧٥ و ٣٠٤.

(٤) قال أبو حَمْزَةَ الشَّارِي: يا أهل الحِجَاز أتعَبُونَنِي بِأَصْحَابِي وتزعمون أنهم شباب؟ وهل كان أصحاب رَسُولِ اللَّهِ إِلَّا شَبَاباً... شبابٌ والله مُكْتَهِلون في شبابهم، غَضِيضَةٌ عن الشرِّ أعينُهُم، ثَقِيلَةٌ عن الباطل أرجلُهُم، أَنْضَاءُ عِبَادَةٍ، وَأَطْلَاحُ سَهَرٍ، ينظر الله إليهم في جوف الليل منحنيةً أصلاًبُهُم على أجزاء القرآن، كلما مر أحدهم بآية من ذكر الجنة بكى شوقاً إليها، وإذا مر بآية من ذكر النار شَهِقَ شَهَقَةً كأن زفير جهنم بين أذنيه، مُوَصُّولٌ كَلَالُهُم بِكَلَالِهِم، كَلال الليل بكَلال النهار، قد أكلت الأرض رُكَبَهُم وأيديَهُم وأنوفَهُم وجِباهُم، واستقلُّوا ذَلِكَ في

إِلَّا أَنْ اجْتِهَادَ الْخَوَارِجِ فِي الْعِبَادَةِ لَا يُغْنِيهِمْ، لِأَنَّهُمْ خَرَجُوا عَلَى طَاعَةِ الْإِمَامِ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَطَاعَةِ الْإِمَامِ الْحَقِّ مَفْرُوضَةٌ عَلَى النَّاسِ بِالنُّصُوصِ الثَّابِتَةِ الْكَثِيرَةِ، وَمِنْهَا:

- قوله ﷺ: (مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَلْيَصْبِرْ، فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ شِبْرًا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً).

- وقوله ﷺ: (اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، وَإِنْ اسْتَعْمَلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ كَانَ رَأْسَهُ زَيْبَةً).

- وقوله ﷺ: (مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةِ لَقِيَّ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا حُجَّةَ لَهُ، وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً)^(١).

جَنَّبَ اللَّهُ، حَتَّى إِذَا رَأَوْا السَّهَامَ قَدْ فُوقَتْ، وَالرَّمَاحَ قَدْ أُشْرِعَتْ، وَالسُّيُوفَ قَدْ انْتَضَيْتْ، وَرَعَدَتْ الْكُتَيْبَةُ بِصَوَاقِ الْمَوْتِ وَبَرَقَتْ، اسْتَخَفُّوا بِوَعِيدِ الْكُتَيْبَةِ لَوَعْدِ اللَّهِ، وَمَضَى الشَّابُّ مِنْهُمْ قُدُمًا حَتَّى اخْتَلَفَتْ رِجْلَاهُ عَلَى عُتْقِ فَرَسِهِ، وَتَخَضَّبَتْ بِالدَّمَاءِ مَحَاسِنَ وَجْهِهِ، فَاسْرَعَتْ إِلَيْهِ سَبَاعُ الْأَرْضِ، وَانْحَطَّتْ عَلَيْهِ طَيْرُ السَّمَاءِ، فَكَمَ مِنْ عَيْنٍ فِي مَنْقَارٍ طَائِرٍ طَالَمَا بَكَى صَاحِبُهَا فِي جَوْفِ اللَّيْلِ مِنْ خَوْفِ اللَّهِ، وَكَمَ مِنْ كَفٍّ زَالَتْ عَنْ مِعْصَمِهَا طَالَمَا اعْتَمَدَ عَلَيْهَا صَاحِبُهَا فِي جَوْفِ اللَّيْلِ بِالسَّجُودِ لِلَّهِ. / الْبَيَانُ وَالتَّبَيُّنُ لِلْجَاحِظِ ج ٢ ص ١٢٤-١٢٥. وفي هامشه:

أَطْلَاح: جَمْعُ طَلْحٍ، وَهُوَ الْمَعْيِي (فِي الْقَامُوسِ الْمُحِيطِ مَادَّةُ الطَّلْحِ: الطَّلْحُ بِالْكَسْرِ كَالطَّلِيحِ، الْمَهْزُولِ، وَالرَّاعِي الْمُعْيِي).

فُوقَتْ: جَعَلَتْ لَهَا الْأَفْوَاقَ. وَالْفُوقُ بِالضَّمِّ: مَوْضِعُ الْوَتَرِ مِنَ السَّهْمِ.

(١) انظر هذه الأحاديث والكلام عن طاعة الإمام وضوابطها في كتابي: الشُّورَى بَيْنَ النَّظَرِيَّةِ وَالتَّطْبِيقِ ص ٨٢ وما بعدها.

وَحَدِيثُ: مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا... إلخ، في: صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ في: كِتَابِ الْفِتَنِ، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ سَتَرُونَ بَعْدِي أُمُورًا تُنْكَرُونَهَا، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ.

وَحَدِيثُ: اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا... إلخ، في: صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ في: كِتَابِ الْأَحْكَامِ، بَابُ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لِلْإِمَامِ مَا لَمْ تَكُنْ مَعْصِيَةً، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ.

وَحَدِيثُ: مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ... إلخ، في: صَحِيحِ مُسْلِمٍ في: كِتَابِ الْإِمَارَةِ، بَابُ الْأَمْرِ بِلِزُومِ الْجَمَاعَةِ عِنْدَ ظُهُورِ الْفِتَنِ...، عَنْ ابْنِ عُمَرَ.

الشَّيْعَةُ

الشَّيْعَةُ فِي أَصْلِ اللُّغَةِ: الْأَتْبَاعُ وَالْأَنْصَارُ، وَكُلُّ قَوْمٍ اجْتَمَعُوا عَلَى أَمْرٍ فَهُمْ شَيْعَةٌ.

وَشَايَعْتَهُ عَلَى الْأَمْرِ مُشَايَعَةٌ: تَابَعْتَهُ مُتَابَعَةً، وَزناً وَمَعْنَى^(١). وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فِي شَيْعِ الْأَوَّلِينَ﴾ - الْحَجَرُ ١٠، وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِنَّ مِنْ شَيْعِهِ لِابْرَهِيمَ﴾ - الصَّافَاتِ ٨٣^(٢).

وَفِي الْأَصْطِلَاحِ: الشَّيْعَةُ هُمُ الَّذِينَ شَايَعُوا عَلِيّاً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى الْخُصُوصِ، وَقَالُوا بِإِمَامَتِهِ نَصّاً وَوَصِيَّةً، إِمَّا جَلِيّاً وَإِمَّا خَفِيّاً.

واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو بتقيّة من عنده^(٣).

وَالشَّيْعَةُ ظَهَرَتْ حَرَكَةً سِيَاسِيَّةً بِصُورَةٍ وَاضِحَةٍ بَعْدَ مَقْتَلِ الْإِمَامِ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِيَدِ الْخَوَارِجِ، وَقَدْ كَانَتْ بِذَوْرَهَا قَدْ ظَهَرَتْ حِينَ الْاِخْتِلَافِ عَلَى الْإِمَامَةِ.

فِرَقُ الشَّيْعَةِ

وَالشَّيْعَةُ فِرَقٌ كَثِيرَةٌ بَلَّغَتْ فِي قَوْلِ الْمَقْرِزِيِّ ثَلَاثِينَ فِرْقَةً^(٤)، تَنْدَرُجُ تَحْتَ ثَلَاثَةِ

(١) الْمِصْبَاحُ الْمُتَبَرِّقُ، وَالْقَامُوسُ الْمُحِيطُ، وَكِلَاهُمَا مَادَّةُ (شَاع).

(٢) شَرْحُ الْحُورِ الْعَيْنِ ص ٢٣٢.

(٣) الْمِلَلُ وَالنَّحَلُ لِلشَّهْرِسْتَانِيِّ: ج ١ ص ١٤٤ وَالْفِرَقُ الْإِسْلَامِيَّةُ لِلْكَرْمَانِيِّ ص ٣٣ وَشَرْحُ الْمَوَاقِفِ لِلسَّيِّدِ الشَّرِيفِ ج ٨ ص ٣٨٤. وَانْظُرْ: مَقَالَاتُ الْإِسْلَامِيِّينَ ج ١ ص ٦٥ وَمُقَدِّمَةُ ابْنِ خَلْدُونٍ ص ١٨٣.

(٤) خِطَطُ الْمَقْرِزِيِّ ج ٢ ص ٣٥١.

أصناف هي: الغلاة، والزيدية، والإمامية. وهذا تصنيف الأشعري^(١)، وابن حزم^(٢)، والإيجي^(٣)، والكرماني^(٤)، والسفاري^(٥).

أما التصنيفات الأخرى التي ذكرها كتاب الفرق الآخرون^(٦) فهي مندرجة في هذه الأصناف الثلاثة.

- (١) مقالات الإسلاميين ج ١ ص ٦٦ و ٨٨ و ١٣٦.
- (٢) الفصل لابن حزم ج ٥ ص ٣٥ وفيه: أهل الشُّع من الشيعة ثلاث: الجارودية من الزيدية، والإمامية من الرافضة، ثم الغالية.
- (٣) المواقف ج ٨ ص ٣٨٥.
- (٤) الفرق الإسلامية للكرماني ص ٣٣.
- (٥) لوامع الأنوار البهية ج ١ ص ٨٠.
- (٦) من ذلك:

ثلاثة أصناف هي: الزيدية، والإمامية، والباطنية، وهو تصنيف ابن المرتضى في المنية والأمل ص ٨٩.

ثلاثة أصناف أيضاً هي: الزيدية، والإمامية، والكيسانية. وهو تصنيف الإسفراييني في التبصير ص ٢٤ ونشوان في شرح الحور العين ص ٢٣٥ والرازي في اعتقادات فرق المسلمين ص ٧٧.

أربعة أصناف هي: الزيدية، والإمامية، والكيسانية، والغلاة. وهو تصنيف البغدادي في الفرق بين الفرق ص ٢١.

خمس أصناف هي: الزيدية، والإمامية، والكيسانية، والغلاة، والإسماعيلية. وهو تصنيف الشهرستاني في الملل والنحل ج ١ ص ١٤٥.

سنة أصناف هي: السبئية، والسحابية، والغرابية، والكاملية، والزيدية، والإمامية. وهو تصنيف نشوان في شرح الحور العين ص ٢٠٦.

وأرجع المقدسي في البدء والتاريخ ج ٥ ص ١٢٤ ما ذكره من فرق الشيعة إلى: الزيدية، والإمامية.

● الصنف الأول: الغُلاة:

وَهُؤُلَاءِ غَلَوَا فِي حَقِّ الْأَيْمَّةِ، حَتَّى أَخْرَجُوهُمْ مِنْ حُدُودِ الْبَشَرِ، وَحَكَمُوا فِيهِمْ بِأَحْكَامِ الْإِلَهِيَّةِ.

وَمِنَ الْمَبَادِئِ الَّتِي ظَهَرَتْ فِي فِرْقِهِمْ هِيَ: التَّشْبِيهِ، وَالْحُلُولُ، وَالتَّنَاسُخُ، وَالْبَدَاءُ، وَالتَّأْوِيلُ، وَالْإِلْحَادُ^(١).

١ - التَّشْبِيهِ وَالتَّجْسِيمُ، وَهُوَ تَشْبِيهِ ذَاتِ الْبَارِي عَزَّ وَجَلَّ بِذَاتِ غَيْرِهِ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ، وَتَشْبِيهِ صِفَاتِهِ تَعَالَى بِصِفَاتِ غَيْرِهِ. أَيْ: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَلَى صُورَةِ الْإِنْسَانِ عَضْوًا فَعَضْوًا.

وَمِنَ فِرْقِهِمُ الْقَائِلَةُ بِالتَّشْبِيهِ وَالتَّجْسِيمِ:

الْبَيَانِيَّةُ: أَتْبَاعُ بَيَانَ بْنِ سَمْعَانَ التَّمِيمِيِّ، الَّذِي زَعَمَ أَنَّ مَعْبُودَهُ إِنْسَانٌ مِنْ نُورٍ، عَلَى صُورَةِ الْإِنْسَانِ فِي أَعْضَائِهِ، وَأَنَّهُ يَفْنَى كُلَّهُ إِلَّا وَجْهَهُ^(٢).

وَالْمُغِيرِيَّةُ: أَتْبَاعُ الْمُغِيرَةِ بْنِ سَعِيدِ الْعِجْلِيِّ، الَّذِي زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى صُورَةً وَجِسْمَ ذُو أَعْضَاءٍ عَلَى مِثْلِ حُرُوفِ الْهَجَاءِ، وَصُورَتَهُ صُورَةُ رَجُلٍ مِنْ نُورٍ، عَلَى رَأْسِهِ تَاجٌ مِنْ نُورٍ، وَلَهُ قَلْبٌ تَنْبَعُ مِنْهُ الْحِكْمَةُ^(٣).

وَالْمَنْصُورِيَّةُ: أَتْبَاعُ أَبِي مَنْصُورِ الْعِجْلِيِّ، الَّذِي شَبَّهَ نَفْسَهُ بِرَبِّهِ، وَزَعَمَ أَنَّهُ صَعِدَ

(١) انظر هُذِهِ الْمَبَادِئُ فِي: الْمَلَلِ وَالنَّحْلِ لِلشَّهْرَسْتَانِيِّ ج ١ ص ١٧٦ وما بعدها. وَذَكَرْتُهَا فِي كِتَابِي: الْحُرُكَاتُ الْهَدَّامَةُ فِي الْإِسْلَامِ ص ١٣ وما بعدها.

(٢) الْفَرْقُ بَيْنَ الْفِرْقِ ص ٢٢٦ وَمَقَالَاتُ الْإِسْلَامِيِّينَ ج ١ ص ٦٧ وَالْمَوَاقِفُ ج ٨ ص ٣٨٥.

(٣) الْمَلَلُ وَالنَّحْلُ لِلشَّهْرَسْتَانِيِّ ج ١ ص ١٨٠. وَانْظُرْ: الْفَرْقُ بَيْنَ الْفِرْقِ، وَالْمَوَاقِفُ، السَّابِقِينَ.

إلى السماء، وزعم أيضاً أن الله مسح يده على رأسه، وقال له: يا بُنَيَّ بَلِّغْ عَنِّي^(١)، ثم أهبطه الأرض، فهو الكسف الساقط من السماء^(٢)، المذكور في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾ - الطُّور ٤٤.

٢- الحُلُول: وهو أن يُحَلَّ الله سُبحَانَهُ بذاته أو بروحه في البشر، والحُلُول قد يكون بجزءٍ كإشراق الشمس في كوة، وقد يكون الحُلُول بكُلٍّ كظهور مَلَكٍ بشخص^(٣). ومذهب الحُلُول مذهب قديم، وهو يوافق قول النَّصَارَى في عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَام^(٤).

ومن فَرَقَهُم القائلة بالحُلُول:

السَّبَبِيَّة: أتباع عبد الله بن سَبَأ، الذي زعم أن عَلِيًّا نَبِيًّا، ثم غلا فيه حتى زعم أنه إلهٌ بحُلُول روح الإله فيه، ولما سمع الإمام عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بهم أمر بإحراق قوم منهم، وخشي الفتنة، فنفى ابن سَبَأ إلى المدائن، فلما قُتِلَ عَلِيٌّ، زعم ابن سَبَأ أن المقتول لم يكن عَلِيًّا، وإنما كان شيطاناً تصوّر للناس في صورة عَلِيٍّ، وأن عَلِيًّا صَعِدَ إلى السماء كما صَعِدَ إليها عِيسَى بن مريم عَلَيْهِ السَّلَام.

وزعم بعض السَّبَبِيَّة أن عَلِيًّا في السحاب، وأن الرعد صوته والبرق سوطه. ومن سمع منهم صوت الرعد قال: عليك السَّلام يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ^(٥).

-
- (١) الفرق بين الفرق السابق، والمواقف ج ٨ ص ٣٨٦ وفرق الشيعة للنَّبَختِيِّ ص ٣٨.
 - (٢) المِلَل والنحل للشَّهْرَسْتَانِي ج ١ ص ١٨٢. وانظر: التَّبصِير في الدِّين ص ١٠٥ ومَقَالَات الإسلاميين ج ١ ص ٧٤ والمَقَالَات والفرق للقمِّي ص ٤٧ والمواقف السابق.
 - (٣) المِلَل والنحل للشَّهْرَسْتَانِي ج ١ ص ١٧٨.
 - (٤) مُقَدِّمَةُ ابن خَلْدُون ص ١٨٤.
 - (٥) الفرق بين الفرق ص ٢٣٣ و ٢٥٥ والبَدء والتاريخ ج ٦ ص ١٢٥ والتَّبصِير في الدِّين ص ١٠٣ والفصل لابن حَزْم ج ٥ ص ٣٦ والمواقف ج ٨ ص ٣٨٥. وانظر: فرق الشيعة للنَّبَختِيِّ ص ٢٢ ونشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ج ٢ ص ٣٦.

وَالْبَيَانِيَّةُ: حَيْثُ زَعَمَ بَيَّانُ بْنُ سَمْعَانَ أَنَّهُ كَانَ إِلَهًا^(١).

وَالْعُمَيْرِيَّةُ: أَتْبَاعُ عُمَيْرِ بْنِ بَيَّانِ الْعَجَلِيِّ، الَّذِينَ عَبْدُوا جَعْفَرَ الصَّادِقَ، وَسَمَوْهُ رَبًّا^(٢).

وَالْأَبُو مُسْلِمِيَّةُ: أَتْبَاعُ أَبِي مُسْلِمِ الْخُرَّاسَانِيِّ، الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّ أَبَا مُسْلِمٍ صَارَ إِلَهًا بِحُلُولِ رُوحِ الْإِلَهِ فِيهِ^(٣).

وَالْحَلَمَانِيَّةُ: أَتْبَاعُ أَبِي حَلَمَانَ الدَّمَشْقِيِّ الْفَارِسِيِّ، الَّذِينَ قَالُوا بِحُلُولِ الْإِلَهِ فِي الْأَشْخَاصِ الْحَسَنَةِ، وَكَانَ مَعَ أَصْحَابِهِ إِذَا رَأَوْا صُورَةَ حَسَنَةَ سَجَدُوا لَهَا، يُوَهِّمُونَ أَنَّ الْإِلَهَ قَدْ حَلَّ فِيهَا^(٤).

وَالشَّرِيعِيَّةُ: أَتْبَاعُ الشَّرِيعِيِّ، الَّذِي زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ حَلَّ فِي خَمْسَةِ أَشْخَاصٍ، وَهُمْ: النَّبِيُّ وَعَلِيٌّ وَفَاطِمَةُ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ، وَزَعَمُوا أَنَّ هَؤُلَاءِ الْخَمْسَةَ آلُهِ^(٥).

وَالْمُقَنَّنِيَّةُ: وَرَاءَ نَهْرِ جَيْحُونَ، الَّذِينَ ادَّعَوْا أَنَّ الْمُقَنَّعَ إِلَهُ^(٦).

وَالْعَذَافِرَةُ: الَّذِينَ قَالُوا بِالْهَيْئَةِ ابْنِ أَبِي الْعَذَافِرِ^(٧).

(١) الْفَرْقُ بَيْنَ الْفِرَقِ ص ٢٣٧. وَفِي ص ٢٤٣ أَنَّ مِنْهُمْ الْحَرْبِيَّةَ حَيْثُ زَعَمُوا أَنَّ زَعِيمَهُمْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو بْنَ حَرْبِ الْكِنْدِيِّ إِلَهُ. وَالتَّبْصِيرُ فِي الدِّينِ ص ١٠٤.

(٢) الْفَرْقُ بَيْنَ الْفِرَقِ ص ٢٤٩.

(٣) الْفَرْقُ بَيْنَ الْفِرَقِ ص ٢٥٧.

(٤) الْفَرْقُ بَيْنَ الْفِرَقِ ص ٢٥٩ وَالتَّبْصِيرُ فِي الدِّينِ ص ١١٠.

(٥) الْفَرْقُ بَيْنَ الْفِرَقِ ص ٢٥٢ وَمَقَالَاتُ الْإِسْلَامِيِّينَ ج ١ ص ٨٣ وَالتَّبْصِيرُ فِي الدِّينِ ص ١٠٧.

(٦) الْفَرْقُ بَيْنَ الْفِرَقِ ص ٢٢٦ وَالتَّبْصِيرُ فِي الدِّينِ ص ١٠٩ وَاعْتِقَادَاتُ فِرَقِ الْمُسْلِمِينَ ص ١٢٣.

(٧) الْفَرْقُ بَيْنَ الْفِرَقِ ص ٢٢٧ وَالتَّبْصِيرُ فِي الدِّينِ ص ١١٢.

والإسماعيلية: الذين يقولون بوقف الحُلُول على الأئمة، لذلك يخاطب الشاعر ابن هانئ الأندلسي الخليفة الفاطمي المعز لدين الله:

ما شئت لا ما شاءت الأقدارُ فاحكمْ فأنْتَ الواحدُ القَهَّارُ^(١)

٣- التناسخ: وهو ردّ الروح إلى بدن غير البدن الأول^(٢).

ومن فرق الغلاة القائلين به:

البيانية: أتباع بيان بن سَمْعَان، القائل: إن روح الإله تناسخت في الأنبياء والأئمة، حتى صارت إلى أبي هاشم عبد الله بن مُحَمَّد بن الحنفية، ثم انتقلت إليه منه - يعني نفسه - فادعى لنفسه الربوبية على مذاهب الحلولية^(٣).

والجناحية: أتباع عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جَعْفَر بن أبي طَالِب، الذي زعم أنه ربّ، وأن روح الإله كانت في آدم، ثم في شيت، ثم دارت في الأنبياء والأئمة إلى أن انتهت إلى عليّ، ثم دارت في أولاده الثلاثة، ثم صارت إلى عبد الله بن معاوية^(٤).

والقائلون بالتناسخ يُنكرون يوم الحساب، ويقولون: (ليس قيامة ولا آخرة، وإنما هي أرواح تناسخ في الصُّور، فمن كان مُحْسِنًا جُوزِيَ بأن يُنقل روحه إلى جسد لا يلحقه فيه ضرر ولا ألم، ومن كان مُسِيئًا جُوزِيَ بأن يُنقل روحه إلى أجساد يلحق الروح في كونه فيها الضرر والألم، وليس شيء غير ذلك، وأن الدنيا لا تزال أبدًا هَكَذَا)^(٥).

(١) تبيين المعاني في شرح ديوان ابن هاني ص ٣٦٥.

(٢) الغلو والفرق الغالية ص ١٢٩ نُقلًا عن ابن سينا. وانظر: الكلّيات لأبي البقاء ص ٣٠٥ وكشاف اصطلاحات الفنون ج ١ ص ٥١٢.

(٣) الفرق بين الفرق ص ٢٣٧.

(٤) الفرق بين الفرق ص ٢٤٦.

(٥) مقالات الإسلاميين ج ١ ص ١١٩.

٤ - الْبَدَاءُ: وَلَهُ مَعَانٍ:

- الْبَدَاءُ فِي الْعِلْمِ: هُوَ أَنْ يَظْهَرَ لَهُ تَعَالَى خِلَافُ مَا عَلِمَ.
 - الْبَدَاءُ فِي الْإِرَادَةِ: هُوَ أَنْ يَظْهَرَ لَهُ تَعَالَى صَوَابٌ عَلَى خِلَافِ مَا أَرَادَ وَحَكَمَ.
 - الْبَدَاءُ فِي الْأَمْرِ: هُوَ أَنْ يَأْمُرَ بِشَيْءٍ، ثُمَّ يَأْمُرَ بِشَيْءٍ آخَرَ بَعْدَهُ بِخِلَافِ ذَلِكَ^(١).
- قَالَ الْغُلَاةُ: (إِنَّ اللَّهَ تَبَدُّو لَهُ الْبَدَاوَاتِ، وَأَنَّهُ يَرِيدُ أَنْ يَفْعَلَ الشَّيْءَ فِي وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ، ثُمَّ لَا يُحْدِثُهُ، لَمَّا يَحْدُثُ لَهُ مِنَ الْبَدَاءِ)^(٢).

وَالْمُخْتَارُ بْنُ أَبِي عُبَيْدٍ الثَّقَفِيُّ، الَّذِي كَانَ خَارِجِيًّا، ثُمَّ صَارَ زُبَيْرِيًّا، ثُمَّ صَارَ شَيْعِيًّا وَكَيْسَانِيًّا، قَالَ بِإِمَامَةِ مُحَمَّدَ بْنِ الْحَنَفِيَّةِ بَعْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَقِيلَ: بَعْدَ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وَإِنَّمَا صَارَ الْمُخْتَارُ إِلَى الْقَوْلِ بِالْبَدَاءِ، لِأَنَّهُ كَانَ يَدَّعِي عِلْمَ مَا يَحْدُثُ مِنَ الْأَحْوَالِ إِمَّا بِوَحْيٍ يُوحَى إِلَيْهِ، وَإِمَّا بِرِسَالَةٍ مِنْ قَبْلِ الْإِمَامِ. فَكَانَ إِذَا وَعَدَ أَصْحَابَهُ بِكَوْنِ شَيْءٍ وَحْدُوهُ حَادِثَةً، فَإِنْ وَافَقَ كَوْنُهُ قَوْلَهُ، جَعَلَهُ دَلِيلًا عَلَى صَدْقِ دَعْوَاهُ، وَإِنْ لَمْ يُوَافِقْ قَالَ: قَدْ بَدَأَ لِرَبِّكُمْ^(٣).

وَحِينَ أُخْرِجَ جَيْشُهُ لِقِتَالِ مُضْعَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ وَعَدَهُمْ بِالنَّصْرِ، لَكِنْ حِينَ انْهَزَمَ جَيْشُهُ، وَقُتِلَ أَكْثَرُ قَوَادِهِ، قَالُوا لَهُ: لِمَاذَا تَعِدُنَا بِالنَّصْرِ عَلَى عَدُونَا؟ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَانَ قَدْ وَعَدَنِي ذَلِكَ، لَكِنَّهُ بَدَأَ لَهُ. وَاسْتَدَلَّ بِالآيَةِ: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ﴾ - الرِّعْدَ ٣٩. قَالَ الْبَغْدَادِيُّ: فَهَذَا سَبَبُ قَوْلِ الْكَيْسَانِيَّةِ بِالْبَدَاءِ^(٤).

٥ - التَّأْوِيلُ: وَهُوَ صَرْفُ الْكَلَامِ عَنْ ظَاهِرِهِ إِلَى وَجْهِ يَحْتَمِلُهُ، أَوْجِبُهُ بُرْهَانٌ قَطْعِي فِي الْقَطْعِيَّاتِ وَظَنِّي فِي الظَّنِّيَّاتِ.

- (١) الْمِلَلُ وَالنَّحَلُ لِلشَّهْرِسْتَانِيِّ ج ١ ص ١٤٨ طَبْعَةُ مُحَمَّدَ سَيِّدِ كِيلَانِي.
- (٢) مَقَالَاتُ الْإِسْلَامِيِّينَ ج ١ ص ١١٣.
- (٣) الْمِلَلُ وَالنَّحَلُ لِلشَّهْرِسْتَانِيِّ ج ١ ص ١٤٥-١٤٧. وَانْظُرْ: الْكَامِلُ لِلْمُبَرِّدِ ج ٣ ص ٢٦٤.
- (٤) الْفَرْقُ بَيْنَ الْفِرَقِ ص ٥١.

والتفسير: هو بيان معنى اللفظة القريبة أو الخفية^(١).

وطريقة التأويل بشرطها هي الأقرب إلى الحق، كما رأى العزّ بن عبد السلام. ويعني بشرطها أن يكون على مقتضى لسان العرب^(٢).

أما التأويل الذي ذهب إليه كثير من فرق الغلاة، تأييداً لدعواها مع اصطدامها بالأصول التي وردت في ظاهر القرآن والسنة، فهو التأويل المرفوض.

ومنه:

تأول الخطابية قوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ، سَجِدِينَ﴾ - ص ٧٢، قالوا: فهو آدم ونحن ولده. وعبدوا أبا الخطاب، وزعموا أنه إله، وزعموا أن جعفر الصادق إلههم أيضاً، إلا أن أبا الخطاب أعظم منه وأعظم من علي^(٣).

وقال أبو منصور العجلي: إن الميتة والدم ولحم الخنزير والخمر والميسر وغير ذلك من المحارم حلال، وقال: لم يجرم الله ذلك علينا، ولا حرّم شيئاً تقوى به أنفسنا، وإنما هذه الأشياء أسماء رجال حرّم الله سبحانه ولايتهم، وتأول في ذلك قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾ - المائدة ٩٣، وأسقط الفرائض، وقال: هي أسماء رجال أوجب الله ولايتهم^(٤).

٦- نزعات الإلحاد والإباحية والتحلل من الأخلاق والدين: فحمزة بن عمارة نكح ابنته، وأحل جميع المحارم، وقال: من عرف الإمام فليصنع ما شاء، فلا إثم عليه^(٥).

(١) تهذيب الأسماء واللغات م ٢ ص ١٥.

(٢) المسامرة بشرح المسامرة ص ٣٧.

(٣) مقالات الإسلاميين ج ١ ص ٧٧.

(٤) مقالات الإسلاميين ج ١ ص ٧٥.

(٥) فرق الشيعة للنوبختي ص ٢٨ والمقالات والفرق للقمي ص ٣٤.

وَالْمَعْمَرِيَّةُ مِنَ الْخَطَايَا اسْتَحْلُوا الْخَمْرَ وَالزَّانَا وَسَائِرَ الْمَحْرَمَاتِ، وَتَرَكُوا الصَّلَاةَ وَالزَّكَاةَ وَالصِّيَامَ وَالْحَجَّ، مَتَأَوَّلِينَ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾ - النساء ٢٨، وَقَالُوا لَهُ: خَفَّفْ يَا أَبَا الْخَطَّابِ وَضَعْ عَنَّا الْأَغْلَالَ وَالْأَصَارَ، يَرِيدُونَ الصَّلَاةَ وَالزَّكَاةَ وَالصِّيَامَ وَالْحَجَّ. فَمَنْ عَرَفَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْإِمَامَ فَلْيَصْنَعْ مَا أَحَبَّ^(١).

وَالْجَنَاحِيَّةُ كَفَرُوا بِالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَاسْتَحْلُوا الْخَمْرَ وَالْمَيْتَةَ وَالزَّانَا وَاللُّوَاطِ وَسَائِرَ الْمَحْرَمَاتِ، وَأَسْقَطُوا وَجُوبَ الْعِبَادَاتِ.

وَقَالُوا الْعِبَادَاتُ الْمَذْكُورَةُ فِي الْقُرْآنِ هِيَ كُنَايَاتُ عَمَلٍ تَجِبُ مَوَالَتُهُمْ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ عَلِيٍّ.

وَالْمَحْرَمَاتُ الْمَذْكُورَةُ فِي الْقُرْآنِ هِيَ كُنَايَاتُ عَمَلٍ يَجِبُ بَغْضُهُمْ كَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ وَطَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ وَعَائِشَةُ^(٢).

وَفِي رِسَالَةِ عَبْدِ اللَّهِ الْمَهْدِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ الْقَيَّرَوَانِيِّ إِلَى سُلَيْمَانَ بْنِ الْحَسَنِ الْجَنَابِيِّ: إِنِّي أُوصِيكَ بِتَشْكِيكِ النَّاسِ فِي الْقُرْآنِ وَالتَّوْرَةِ وَالزَّبُورِ وَالْإِنْجِيلِ، وَبَدْعُوهُمْ إِلَى إِبْطَالِ الشَّرَائِعِ، وَإِلَى إِبْطَالِ الْمَعَادِ وَالنَّشُورِ، وَإِبْطَالِ الْمَلَائِكَةِ فِي السَّمَاءِ، وَإِبْطَالِ الْجَنِّ فِي الْأَرْضِ^(٣).

وَأَبُو مَنْصُورٍ الْعِجْلِيُّ صَاحِبُ فِرْقَةِ الْمَنْصُورِيَّةِ يَقُولُ: إِنْ الرِّسْلَ لَا تَنْقُطُ أَبَدًا،

(١) فِرْقَةُ الشَّيْعَةِ لِلنَّوْخِيَّةِ ص ٤٢-٤٣. وَانْظُرْ: الْمَقَالَاتُ وَالْفِرَقُ لِلْقُمِّيِّ ص ٥١. وَانْظُرْ أَيْضًا: مَقَالَاتُ الْإِسْلَامِيِّينَ ج ١ ص ٧٨ وَالْفِرَقُ بَيْنَ الْفِرَقِ ص ٢٤٨.

(٢) الْفِرَقُ بَيْنَ الْفِرَقِ ص ٢٤٦. وَانْظُرْ: الْمَوَاقِفُ ج ٨ ص ٣٨٦.

(٣) الْفِرَقُ بَيْنَ الْفِرَقِ ص ٢٩٦ وَالتَّبَصُّيرُ فِي الدِّينِ ص ١٢٠.

وَعَبِيدُ اللَّهِ هُوَ جَدُّ مَلُوكِ الدَّوْلَةِ الْعَبِيدِيَّةِ (الْفَاطِمِيَّةِ) بِمِصْرَ، مَاتَ سَنَةَ ٣٢٢ هـ. وَالْجَنَابِيُّ الْقِرْمِطِيُّ قَالَعَ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ سَنَةَ ٣١٧ هـ. / هَامِشُ التَّبَصُّيرِ فِي الدِّينِ.

والرَّسَالَةُ لَا تَنْقُطُ^(١).

وسُمِّيتْ هَذِهِ الْفِرْقُ بِالْعُلَاةِ أَوْ الْغَالِيَةِ، لِأَنَّهُمْ عَلَوْا فِي عَلَيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَقَالُوا فِيهِ قَوْلًا عَظِيمًا^(٢).

وَقَدْ كَفَرَتْهُمْ فِرْقُ الْمُسْلِمِينَ جَمِيعًا، لخروجهم عن الإسلام بشكل سافر، حتى أن ابن بابويه القميّ الشيعيّ الإماميّ قال فيهم: (اعْتَقَدْنَا فِي الْعُلَاةِ وَالْمَفُوضَةِ أَنَّهُمْ كَفَّارٌ بِاللَّهِ جَلَّ اسْمُهُ، وَأَنَّهُمْ شَرُّ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسِ).

وحكم الشيخ المفيد من الإمامية أيضاً بضلالهم وكفرهم وخروجهم عن الإسلام. وقال بعده: حكم فيهم أمير المؤمنين عليه السلام بالكفر والقتل والتحريق بالنار، وقضت الأئمة عليهم السلام بالإكفار والخروج عن الإسلام^(٣).

وأصل دعوة العُلَاةِ مبني على إبطال الشرائع، وذلك:

لأن الغيارية، وهم طائفة من المجوس راموا تأويل الشرائع، حين سادت شوكة الإسلام، على وجوه تعود إلى قَوَاعِدِ أسلافهم، فاجتمعوا وتذاكروا ما كان عليه أسلافهم من الملك، وقالوا لا سَبِيلَ لَنَا إِلَى دَفْعِ الْمُسْلِمِينَ بِالسَّيْفِ لَغْلَبَتِهِمْ وَاسْتِيلَائِهِمْ عَلَى الْمَمَالِكِ، لَكِنَّا نَحْتَالُ بِتَأْوِيلِ شَرَائِعِهِمْ إِلَى مَا يَعُودُ إِلَى قَوَاعِدِنَا، وَنَسْتَدْرَجُ بِهِ الضَّعَفَاءَ مِنْهُمْ، فَإِنْ ذَلِكَ يُوْجِبُ اخْتِلَافَهُمْ وَاضْطِرَابَ كَلِمَتِهِمْ^(٤).

(١) الْمَلَلُ وَالنَّحْلُ لِلشَّهْرَسْتَانِيِّ ج ١ ص ١٨٢.

(٢) مَقَالَاتُ الْإِسْلَامِيِّينَ ج ١ ص ٦٦.

(٣) دراسات في الفرق ص ٧٦ نَقْلًا عَنْ عَقَائِدِ الْإِمَامِيَّةِ لِابْنِ بَابَوَيْهِ - بَابُ نَفْيِ الْغُلُوِّ، وَتَضَحُّيْهِ عَقَائِدِ الْإِمَامِيَّةِ لِلشَّيْخِ الْمُفِيدِ - بَابُ الْغُلُوِّ وَالتَّفْوِيزِ. وَانْظُرْ مُقَدِّمَةَ فِرْقِ الشَّيْعَةِ لِلنُّوْبَخْتِيِّ الَّتِي كَتَبَهَا مُحَمَّدٌ صَادِقُ آلِ بَحْرِ الْعُلُومِ.

(٤) الْمَوَاقِفُ وَشَرْحُهُ لِلسَّيِّدِ الشَّرِيفِ ج ٨ ص ٣٨٩. وَانْظُرْ نَحْوَ ذَلِكَ: الْفَصْلُ لِابْنِ حَزْمٍ ج ٢ ص ٢٧٣ وَتَلْبِيسُ إِبْلِيسَ ص ١٠٣ وَخِطَطُ الْمُقْرِئِيِّ ج ٢ ص ٣٦٢ وَالْمُنْيَةُ وَالْأَمَلُ ص ٩٦ وَرَدَّ مُحَمَّدُ عَبْدُهُ عَلَى هَانُوتُو - الْأَعْمَالُ الْكَامِلَةُ لِلْإِمَامِ مُحَمَّدَ عَبْدُهُ ج ٣ ص ٢١٠.

● الصنف الثاني من أصناف الشيعة: الزيدية:

وهم أتباع زيد بن عليّ زين العابدين بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، الذين قالوا بإمامته^(١).

وكان زيد قد بايعه خمسة آلاف من أهل الكوفة، فقاتل بهم أمير الكوفة يوسف بن عمر الثقفي عامل هشام بن عبد الملك، فسمع فيهم من يطعن بأبي بكر وعمر، فأنكر زيد ذلك عليهم، وقال: أثنى عليهما جدي عليّ. فخرجوا عليه، ورفضوه، فسموا رافضة، وهجروه كلهم، ولم يبق مع زيد إلا نصر بن خزيمة العبسي، ومعاوية بن إسحاق بن زيد بن حارثة، مع مقدار مائتي رجل، فقتلوا جميعاً مع زيد، وذلك سنة ١٢٢هـ = ٧٣٨م. وهرب ابنه يحيى بن زيد إلى خراسان، وصار إلى ناحية جورجان، وخرج على نصر بن سيار والي خراسان، فبعث نصر إليه قائده سلم بن أخوز المازني في ثلاثة آلاف مقاتل، فاستشهد يحيى بن زيد، وذلك سنة ١٢٦هـ، وقبره بجورجان^(٢).

(١) مقالات الإسلاميين ج ١ ص ١٣٦ والتنبية والرد ص ٣٣ والفرق بين الفرق ص ٢٢ والتبصير في الدين ص ٢٥ وشرح الحور العين ص ٢٣٥ والملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ١٥٣ واعتقادات فرق المسلمين ص ٧٧ والمنية والأمل ص ٨٩ والمواقف ج ٨ ص ٣٩١ والفرق الإسلامية للكرمانى ص ٥٧ وخطط المقرئ ج ٢ ص ٣٥٢ ومقدمة ابن خلدون ص ١٨٤ والزيدية للأكوع ص ١٤ نقلاً عن فهرست ابن النديم، والملل والنحل لابن المرتضى، والرحيق للجنداري، وأوائل المقالات للشيخ المفيد.

(٢) مقالات الإسلاميين ج ١ ص ١٣٧ والتبصير في الدين ص ٢٦. وانظر: الفرق بين الفرق ص ٣٥ والغنية للشيخ عبد القادر ج ١ ص ٩٨ والملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ١٥٥ وشرح الحور العين ص ٢٣٨ واعتقادات فرق المسلمين السابق.

وانظر: الزيدية للأكوع السابق ص ١٨، ونقل نصوصاً عن علماء الزيدية كالإمام الهادي، والمقبلي، وأيضاً عن عيسى بن يوسف، وغيرهم، في إطلاق زيد اسم (الرافضة) على من تبرا من أبي بكر وعمر. ونقل الإجماع على هذه التسمية: مجد الدين المؤيدي مفتي اليمن في تقديمه

فِرَق الزَّيْدِيَّة:

انقسمت الزَّيْدِيَّة إلى فِرَق عديدة، اختلف الباحثون في عدّها^(١)، أشهرها:

١ - الجَارُودِيَّة: أتباع أبي الجَارُود زِيَاد بن المُنْذِر العَبْدِي الكُوفِي الهَمْدَانِي، الأعمى. وهو الذي سماه الإمام الباقر (سُرْحُوبًا)، وفسّره بأنه شيطان يسكن البحر، توفي سنة ١٥٠ هـ وقيل سنة ١٦٠ هـ، وزعموا: أن النَّبِي ﷺ نصَّ على عَلِي بن أَبِي طَالِب

لكتاب الزَّيْدِيَّة لِعَلِي بن عبد الكريم الفضيل صفحة هـ. وانظر أيضاً هذه التسمية وسببها هذا في المَصَابِيح لأبي العَبَّاس أَحْمَد بن إِبراهيم من عُلَمَاء الزَّيْدِيَّة ص ٣٩٠-٣٩٢ وأورد عدة روايات في ذلك، وأيضاً في المُنِيَّة والأَمَل لابن المُرْتَضَى ص ٩٣-٩٤ وتاج العروس مادة (رفض).
(١) اختلف الباحثون في عدد فرق الزَّيْدِيَّة على النحو الآتي:

ثلاث فِرَق وهي: الجَارُودِيَّة، والسُّلَيْمَانِيَّة (الجَرِيرِيَّة)، والبُتْرِيَّة (الأبْترِيَّة، الصَّالِحِيَّة): وهو قول البَغْدَادِي في الفِرَق بين الفِرَق ص ٢٢ والإسْفَرَايِينِي في التَّبْصِير في الدِّين ص ٢٤ والشَّهْرَسْتَانِي في المِلَل والنحل ج ١ ص ١٥٧ والِرَّازِي في اعتقادات فِرَق المُسْلِمِينَ ص ٧٧ والإيجِي في المَوَاقِف ج ٨ ص ٣٩١ والكرَمَانِي في الفِرَق الإسلامية ص ٥٧ ونَشَوَان في شَرْح الحُور العِين ص ٢٠٧.

أربع فِرَق: الجَارُودِيَّة، والجَرِيرِيَّة، والبُتْرِيَّة، واليَعْقُوبِيَّة. وهو قول المُقْرِزِي في الخِطَط ج ٣ ص ٤١١.

ست فِرَق: الجَارُودِيَّة (افترقت فرقتين وثلاث فِرَق)، والسُّلَيْمَانِيَّة، والبُتْرِيَّة، والنعيمية، وفرقة ذكر رأيها دون اسمها، واليَعْقُوبِيَّة. وهو قول الأشْعَرِي في مَقَالَات الإسلاميين ج ١ ص ١٤٠-١٤٥. وذكر ابن المُرْتَضَى في المُنِيَّة والأَمَل ص ٨٩ أنهم ست فِرَق. وانظر: الغُنيَّة للشيخ عبد القادر ج ١ ص ٩٨.

ثمانِي فِرَق: الجَارُودِيَّة، والمرثدية، والأبرقية، واليَعْقُوبِيَّة، والعميمية، والأبْترِيَّة، والجَرِيرِيَّة، واليَمَانِيَّة. وهو قول أبي عيسى مُحَمَّد بن هارون الوراق وغيره، على ما ذكره المَسْعُودِي في مروج الذهب، نقله مُحَمَّد مُحْيِي الدِّين عبد الحميد في هامش مَقَالَات الإسلاميين للأشْعَرِي.

بالوصف الذي لا يوجد إلّا فيه كإيتاء الزكاة حال الركوع، لا بالتسمية، فكان هو الإمام من بعده، وأن الصّحابة كفروا بتركهم بيعة عليّ، وبتنصيبهم أبا بكر.

ثم الحسن من بعد عليّ هو الإمام، ثم الحسين هو الإمام من بعد الحسن^(١).

٢- السُّلَيْمَانِيَّة (الجَرِيرِيَّة): أتباع سُلَيْمَانَ بْنِ جَرِيرِ الزَّيْدِيِّ، الذي قال: إن الإمامة شورى، وإنها تصلح بعقد رجلين من خيار المسلمين.

وأجاز إمامة المفضول وإن كان الفاضل أفضل في كل حال. وأثبت إمامة أبي بكر وعمر، وزعم سُلَيْمَانُ أَنَّ الْأُمَّةَ تَرَكْتَ الْأَصْلَحَ فِي الْبَيْعَةِ لهُمَا، لِأَنَّهُ عَلِيًّا أَوْلَى بِالْإِمَامَةِ مِنْهُمَا، إِلَّا أَنَّ الْخَطَأَ فِي بَيْعَتِهِمَا لَمْ يَوْجِبْ كُفْرًا وَلَا فُسْقًا.

وَكَفَرَ سُلَيْمَانُ عُثْمَانَ بِالْأَحْدَاثِ الَّتِي نَقَمَهَا النَّاقِمُونَ مِنْهُ^(٢).

٣- الْبُتْرِيَّة (الْأُبْتَرِيَّة): أتباع رجلين: أحدهما: الحسن بن صالح بن حيّ، والآخر: كثير النّوّاء الملقّب بالأبتر.

(١) مَقَالَاتُ الْإِسْلَامِيِّينَ ج ١ ص ١٤٠ وهامشها، والفرق بين الفرق ص ٣٠ والممل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ١٥٧. والفصل لابن حزم ج ٤ ص ١٥٧ والمُنية والأمل ص ٩٠ والزيدية للأكوع ص ٢٤ والمصادر السابقة.

(والشُّرْحُوب: ابن آوى أو شيطان أعمى يسكن) في (البحر)، وهو (لقب أبي الجارود إمام الطائفة (الجارودية)، من غلاة الزيدية، يتجاهرون بسبّ الشيخين، برأهما الله مما قالوا، وهم موجودون بصنعاء اليمن، (لقبه به) الإمام أبو عبد الله مُحَمَّد (الباقر). / تاج العروس شرح القاموس المحيط - مادة (سرحب)، طبعة الكويت.

وانظر تلقيب الإمام الباقر أبا الجارود بالشُّرْحُوب في: فرق الشيعة للتوبختي ص ٥٥.

(٢) مَقَالَاتُ الْإِسْلَامِيِّينَ ج ١ ص ١٤٣ والفرق بين الفرق ص ٣٢ والتبصير في الدين ص ٢٥ والممل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ١٥٩ وشرح الحور العين ص ٢٠٧ واعتقادات فرق المسلمين ص ٧٨ والمواقف ج ٨ ص ٣٩٢ والفرق الإسلامية للكرمانبي ص ٥٩ وخطط المقرئ ج ٢ ص ٣٥٢ والزيدية للأكوع ص ٢٧. وانظر: فرق الشيعة للتوبختي ص ٩.

وقولهم كقول سُلَيْمَانَ بْنِ جَرِيرٍ، إِلَّا أَنَّهُمْ تَوَقَّفُوا فِي عُثْمَانَ، وَلَمْ يُقَدِّمُوا عَلَى ذِمَّةِ وَلَا عَلَى مَدْحِهِ^(١).

وفرقنا السُّلَيْمَانِيَّةَ وَالْبُتْرِيَّةَ تُكْفِّرَانِ فِرْقَةَ الْجَارُودِيَّةِ، لِأَنَّ الْجَارُودِيَّةَ تُكْفِّرُ أَبَا بَكْرَ وَعُمَرَ. وَالْجَارُودِيَّةُ تُكْفِّرُ السُّلَيْمَانِيَّةَ وَالْبُتْرِيَّةَ، لِتَرْكِهِمَا تَكْفِيرَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ^(٢).

آراء الزَيْدِيَّةِ:

١- أَجْمَعَتِ الزَّيْدِيَّةُ عَلَى أَنَّ أَصْحَابَ الْكِبَائِرِ كُلَّهُمْ مُعَذَّبُونَ فِي النَّارِ، مُخَلَّدُونَ أَبَدًا، لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا^(٣). فَهَمُ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ كَالْخَوَارِجِ^(٤)، وَالْقَدَرِيَّةِ^(٥).

٢- أَجْمَعُوا عَلَى تَصْوِيبِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فِي حَرْبِهِ، وَعَلَى تَخْطِئَةِ مَنْ خَالَفَهُ^(٦). وَأَنَّ عَلِيًّا كَانَ مُصِيبًا فِي تَحْكِيمِهِ الْحَكَمَيْنِ^(٧).

(١) مَقَالَاتُ الْإِسْلَامِيِّينَ ج ١ ص ١٤٤ وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْفِرَقِ ص ٣٢ وَالتَّبَصُّيرُ فِي الدِّينِ ص ٢٥ وَشَرْحُ الْحُورِ الْعَيْنِ ص ٢٠٧ وَالْفَرْقُ الْإِسْلَامِيَّةُ لِلْكَرْمَانِيِّ السَّابِقِ ص ٦٠ وَالْمُنْيَةُ وَالْأَمَلُ ص ٩٠. وَذَكَرَهُمُ النَّوْبُخْتِيُّ فِي فِرْقِ الشَّيْعَةِ ص ١٣. وَذَكَرَ فِي ص ٥٧ أَنَّهُمْ يَنْتَقِصُونَ عُثْمَانَ.

وَجَعَلَهَا الشَّهْرَسْتَانِيُّ فِي الْمَلِكِ وَالنَّحْلِ ج ١ ص ١٦١ فِرْقَتَيْنِ: (الصَّالِحِيَّةُ أَصْحَابُ الْحَسَنِ بْنِ صَالِحِ بْنِ حَيٍّ، وَالْبُتْرِيَّةُ أَصْحَابُ كَثِيرِ النَّوَاءِ الْأَبْتَرِ، وَهُمَا مُتَّفِقَانِ فِي الْمَذْهَبِ).

وَسَاهَا الرَّازِيُّ فِي اعْتِقَادَاتِ فِرْقِ الْمُسْلِمِينَ ص ٧٨: الصَّالِحِيَّةُ. وَفِي الْمَوَاقِفِ لِلْإِيْجِيِّ ج ٨ ص ٣٩٢: بَتِيرُ الثُّومِيِّ. وَخَطَطُ الْمَقْرِزِيِّ ج ٢ ص ٣٥٢. وَانْظُرْ: الزَّيْدِيَّةُ لِلْأَكْوَعِ ص ٢٧.

(٢) الْفَرْقُ بَيْنَ الْفِرَقِ ص ٣٤ وَالتَّبَصُّيرُ فِي الدِّينِ السَّابِقِ.

(٣) مَقَالَاتُ الْإِسْلَامِيِّينَ ج ١ ص ١٤٩ وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْفِرَقِ ص ٣٤ وَالتَّبَصُّيرُ فِي الدِّينِ ص ٢٥.

(٤) الْفَرْقُ بَيْنَ الْفِرَقِ، وَالتَّبَصُّيرُ فِي الدِّينِ، السَّابِقَانِ.

(٥) التَّبَصُّيرُ فِي الدِّينِ السَّابِقِ.

(٦) مَقَالَاتُ الْإِسْلَامِيِّينَ السَّابِقِ.

(٧) مَقَالَاتُ الْإِسْلَامِيِّينَ السَّابِقِ ص ١٥٠.

٣- أجمعوا على محاربة أئمة الجور، وإزالة الظلم، وإقامة الحق^(١). واعتبر زيد الخروج شرطاً في كون الإمام إماماً^(٢).

٤- مع اعتقادهم بأن الإمام علياً هو أفضل الصحابة، إلا أنهم يقولون بشرعية خلافة أبي بكر وعمر، ولم يتبرؤوا منهما، لا اعتقادهم بجواز إمامة المفضول مع وجود الأفضل، عدا الجارودية منهم^(٣).

٥- لا يشترط أن يكون الإمام معصوماً، ولم يجوزوا ثبوت الإمامة في غير أولاد فاطمة رضي الله عنها، فأجازوا أن يكون إماماً كل فاطمي، سواء كان من أولاد الحسن أم الحسين، إذا كان عالماً زاهداً شجاعاً سخيّاً^(٤).

٦- يرجع زيد في أصول الدين إلى الاعتزال، لأن زيدا رضي الله عنه تتلمذ لواصل بن عطاء شيخ المعتزلة^(٥)، ولم يخالفه إلا في أصل (المنزلة بين المنزلتين)^(٦).

(١) مقالات الإسلاميين السابق، والمنية والأمل ص ٨٩.

(٢) الملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ١٥٥.

(٣) الملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ١٥٤ و ١٥٧ والزيدية للأكوع ص ١٦-٢٢. وانظر: المنية والأمل ص ٨٩.

(٤) الملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ١٥٣. وانظر: المنية والأمل السابق.

(٥) الملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ١٥٤، والمواقف ج ٨ ص ٣٩٢ قال: (وأكثرهم في زماننا مقلدون، يرجعون في الأصول إلى الاعتزال، وفي الفروع إلى مذهب أبي حنيفة إلا في مسائل قليلة). والزيدية للأكوع ص ١٥ ونقل عن طبقات المعتزلة للإمام المهدي بن المرتضى رواية في ذلك، وهي واردة عند القاضي عبد الجبار في فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، والحاكم أيضاً.

(٦) الزيدية للأكوع هامش ص ١٥، وفيه: (قال ابن يزداد: كان زيد بن علي لا يخالف المعتزلة إلا في المنزلة بين المنزلتين).

وَرَدَّ هَذَا الْقَوْلَ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْوَزِيرِ^(١)، وَعَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْكَرِيمِ الْفَضِيلِ^(٢).

أما في الفروع الفقهيّة فإنهم يرجعون إلى مذهب أبي حنيفة إلا في مسائل قليلة^(٣). وقد يكون سببه أن أبا حنيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان يفتي سراً بوجوب نصرته الإمام زيد، وحمل المال إليه^(٤).

● الصنف الثالث من أصناف الشيعة: الإمامية:

وسبب هذه التسمية هو: إجماع فرقه على أن النبي ﷺ نصّ على استخلاف عليّ بن أبي طالب باسمه، وأظهر ذلك وأعلنه.

وأن أكثر الصحابة ضلوا بتركهم الاقتداء به، بعد وفاة النبي ﷺ^(٥)،

(١) نقل هذا الردّ الأكوغ في الزيدية هامش ص ١٦ عن كتاب الوزير العواصم والقواصم، وفيه قال الوزير: (فهذا من الأباطيل بغير شك، ولعله من أكاذيب الروافض).

(٢) الزيدية لعليّ بن عبد الكريم ص ٢١ وذكر أن زيداً لم يكن مُعتزلياً ولا أخذ العلم عن واصل، وإنما أخذه عن أبيه وأخيه الباقر وعلماء المدينة المنورة، وإذا نسب إلى فرقة فهي فرقة (العدلية) القائلة بالعدل والتوحيد ونفي الجبر والتشبيه، التي نسب إليها القاضي عبد الجبار وابن المرتضى كلّ الخلفاء الراشدين وغيرهم من الصحابة.

(٣) المواقف السابق.

(٤) دراسات في الفرق ص ٦٦ نقلاً عن الكشاف للزمخشري ج ١ ص ٦٤ ونقل نحوه عن أبي الفرج الأصبهاني في مقاتل الطالبيين ص ١٠٧. وانظر: تاريخ المذاهب الإسلامية ص ٤٣، وفي ص ٣٦٤ أشار إلى المناقب للبرزاني.

وانظر في الزيدية أيضاً: تاريخ الفرق الإسلامية للغرابي ص ٢٨٩ وفي علم الكلام - الزيدية لأحمد مخمّود صبحي ج ٣ ص ٦٠.

(٥) مقالات الإسلاميين ج ١ ص ٨٩ والتبصير في الدين ص ٣٥ وتبصرة الأدلة ج ٢ ص ٨٢٨ وما بعدها. وشرح الحور العين ص ٢٠٦ والملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ١٦٣ واعتقادات فرق المسلمين ص ٨٥ والفرق الإسلامية للكرمانلي ص ٦١ وشرح المواقف للسيد الشريف

فكفروا^(١).

وهم فِرَق كثيرة من أشهرها: الإِسْمَاعِيلِيَّة، والإِمَامِيَّة الاثْنَا عَشَرِيَّة.

أولاً: الإِسْمَاعِيلِيَّة (السَّبْعِيَّة):

سُميت هَذِهِ الْفِرْقَةُ بِالْإِسْمَاعِيلِيَّةِ نِسْبَةً إِلَى إِسْمَاعِيلِ بْنِ الْإِمَامِ جَعْفَرِ الصَّادِقِ^(٢).

وَالْإِسْمَاعِيلِيَّةُ يَقُولُونَ بِأَنَّ الْإِمَامَ جَعْفَرَ الصَّادِقَ قَدْ نَصَّ عَلَى أَنْ إِسْمَاعِيلَ هُوَ الْإِمَامُ بَعْدَهُ، وَجَعَلَ الْوَصِيَّةَ إِلَيْهِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ إِسْمَاعِيلَ هُوَ أَسْنُ أَوْلَادِهِ وَآثَرِهِمْ عِنْدَهُ^(٣).

وَاخْتَلَفَتْ الْإِسْمَاعِيلِيَّةُ فِي وَفَاةِ إِسْمَاعِيلِ فِي حَيَاةِ أَبِيهِ عَلَى أَقْوَالٍ مِنْهَا:

الْقَوْلُ الْأَوَّلُ: إِنَّ إِسْمَاعِيلَ حَيٌّ لَمْ يَمُتْ، وَلَا يَمُوتُ حَتَّى يَمْلِكَ الْأَرْضَ، وَيَكُونَ

ج ٨ ص ٣٩٢ وَالْمُنِيَّةُ وَالْأَمَلُ ص ٩٥ وَخَطَطُ الْمَقْرِيزِيِّ ج ٢ ص ٣٥١ وَكَشَافُ اصْطِلَاحَاتِ الْفُنُونِ ج ١ ص ٢٦٠.

(١) الْمَصَادِرُ السَّابِقَةُ عدا: مَقَالَاتُ الْإِسْلَامِيِّينَ، وَتَبْصِرَةُ الْأَدِلَّةِ، وَشَرْحُ الْحُورِ الْعَيْنِ.

(٢) فِرَقُ الشَّيْعَةِ لِلتَّوْبِخْتِيِّ ص ٦٧ وَمَقَالَاتُ الْإِسْلَامِيِّينَ ج ١ ص ١٠٠ وَالْفِرَقُ بَيْنَ الْفِرَقِ ص ٦٢ وَالْمِلَلُ وَالنَّحْلُ لِلشَّهْرَسْتَانِيِّ ج ١ ص ١٧٠ وَالتَّبْصِيرُ فِي الدِّينِ ص ٣٣ وَشَرْحُ الْحُورِ الْعَيْنِ ص ٢١٦ وَاعْتِقَادَاتُ فِرَقِ الْمُسْلِمِينَ ص ٨١ وَالْفِرَقُ الْإِسْلَامِيَّةُ لِلْكَرْمَانِيِّ ص ٥٢ وَمُقَدِّمَةُ ابْنِ خَلْدُونِ ص ١٨٨ وَكَشَافُ اصْطِلَاحَاتِ الْفُنُونِ ج ١ ص ١٨٩ وَ ٩٢٧.

وَمِنْ أَسْمَائِهِمْ أَيْضاً: الْبَاطِنِيَّةُ: لِقَوْلِهِمْ إِنَّ كُلَّ ظَاهِرٍ بَاطِنٌ، وَالسَّبْعِيَّةُ: لِاعْتِقَادِهِمْ أَنَّ أَدْوَارَ الْإِمَامَةِ سَبْعَةٌ، وَالتَّعْلِيمِيَّةُ: لِإِبْطَالِهِمُ النَّظَرَ وَالْاِكْتِفَاءَ بِتَعْلِيمِ الْإِمَامِ الْمَعْصُومِ. / الْمِلَلُ وَالنَّحْلُ لِلشَّهْرَسْتَانِيِّ ج ١ ص ١٩٩ وَمَا بَعْدَهَا. وَفَضَائِحُ الْبَاطِنِيَّةِ ص ١٧ وَبَيَانُ مَذْهَبِ الْبَاطِنِيَّةِ وَبَطْلَانُهُ لِلدَّيْلَمِيِّ ص ٢١ وَالْمَوَاقِفُ ج ٨ ص ٢٨٨ وَالْفِرَقُ الْإِسْلَامِيَّةُ لِلْكَرْمَانِيِّ ص ٤٩ وَكَشَافُ اصْطِلَاحَاتِ الْفُنُونِ السَّابِقِ، وَالْإِسْمَاعِيلِيَّةُ لِإِحْسَانِ إِلَهِيِّ ظَهِيرِ ص ٩٩-١٠٠.

(٣) شَرْحُ الْحُورِ الْعَيْنِ السَّابِقِ، وَدَرَسَاتُ فِي الْفِرَقِ ص ٦٦-٦٧.

إماماً بعد أبيه، وأظهر موته تقيّة من خلفاء بني العباس، حتى لا يُقصد بالقتل.

القول الثاني: إن موت إسماعيل صحيح، وإن النص لا يرجع القهقري، والفائدة من النص بقاء الإمامة في أولاد المنصوص عليه دون غيره، فلا تكون إلا في الأعقاب، ولا تنتقل من أخ إلى أخيه بعد الحسن والحسين عليهما السلام. وهو قول المباركية.

وعليه فإن الإمام برأيهم بعد جعفر هو حفيده محمد بن إسماعيل، بوصية من جدّه جعفر، فصار محمد ولي عهد جده جعفر، دون عمومه، فلما مات جعفر استحق محمد الإمامة بعده بذلك^(١).

ثم افرقت الإسماعيلية إلى شعبتين رئيسيتين هما^(٢):

الشعبة الأولى: وقفت في موت محمد بن إسماعيل الملقب بالمكتوم، أي المستور، وقالت برجعته بعد موته، وانتظرته مهدياً يبعث، وهؤلاء هم القرامطة، نسبة إلى رئيس لهم من الأنباط يلقب (قرمطويه)^(٣)، ومن آرائهم:

(١) الملل والنحل للشهرستاني، وشرح الحور العين، السابقان. وانظر: فرق الشيعة للنوبختي، ومقالات الإسلاميين، والفرق بين الفرق، السابقة.

والمباركية: نسبة إلى رئيسهم (المبارك) مولى إسماعيل بن جعفر. قاله النوبختي في فرق الشيعة ص ٦٨-٦٩. وانظر: مقالات الإسلاميين ص ١٠١ والفرق بين الفرق ص ٦٤ والملل والنحل للشهرستاني ص ١٧٠-١٧١ و٢٠٠ وشرح الحور العين ص ٢١٦.

(٢) دراسات في الفرق ص ٦٧.

(٣) ذكر ابن الجوزي في كتابه تليس إبليس ص ١١٠ قولين في سبب هذه التسمية هما:

١- أن رجلاً من ناحية خوزستان، قدم الكوفة، ودعا إلى إمام من أهل البيت، ونزل على رجل اسمه (كرميتة)، ومعناه بالنبطية حاد العين، فسمي باسم من نزل عنده (كرميتة)، ثم خفف ف قيل: قَرْمُط.

٢- نسبة إلى رجل يقال له: حمدان قَرْمُط، أحد دُعائهم. وقيل: إنها عرف حمدان هذا بقَرْمُط، من أجل قصر قامته وقصر رجليه وتقارب خطوه. وكان ابتداء أمره سنة ٢٦٤هـ.

- ١- لا يكون بعد النبي مُحَمَّد ﷺ إلا سبعة أئمة هم: عَلِيّ بن أَبِي طَالِب وهو إمام رَسُول، والحسن، والحسين، وَعَلِيّ بن الحسين، ومُحَمَّد بن عَلِيّ، وجَعْفَر بن مُحَمَّد، ومُحَمَّد بن إِسْمَاعِيل بن جَعْفَر وهو الإمام القائم المَهْدِيّ وهو رَسُول.
- ٢- أن النبي مُحَمَّد ﷺ انقطعت عنه الرّسالة في حياته في اليوم الذي أمر فيه بنصب عَلِيّ بن أَبِي طَالِب للناس بغدير خُم، فصارت الرّسالة في ذلك اليوم في عَلِيّ.
- ٣- مُحَمَّد بن إِسْمَاعِيل حيّ لم يمت، وأنه في بلاد الرُّوم، وأنه القائم المَهْدِيّ، ومعنى القائم عندهم أنه يُبعث بالرّسالة وبشريعة جديدة ينسخ بها شريعة مُحَمَّد ﷺ.
- ٤- مُحَمَّد بن إِسْمَاعِيل من أولي العزم من الرُّسل، وهم عندهم سبعة: نُوح، وإِبْرَاهِيم، ومُوسَى، وعيسى، ومُحَمَّد، وَعَلِيّ، ومُحَمَّد بن إِسْمَاعِيل.
- وأن مُحَمَّد بن إِسْمَاعِيل هو خاتم النبيّين، والذي حكاه الله عزّ وجلّ.
- ٥- الله تعالى جعل لِمُحَمَّد بن إِسْمَاعِيل جنة آدم، ومعناها عندهم الإباحة للمحارم، وجميع ما خلق في الدنيا.
- ٦- استحلوا استعراض الناس بالسيف وقتلهم، وأخذ أموالهم، والشهادة عليهم بالكفر، واستحلوا سبي النساء وقتل الأطفال.
- ٧- أوجبوا قتل من قال بالإمامة ممن ليس على قوْلهم، وخاصة من قال بإمامة مُوسَى بن جَعْفَر وولده من بعده^(١).

وانظر: هامش ص ٧٢ من فِرَق الشّيعَة للنّوْبَخْتِيّ نقلًا عن ابن الجوزي، والفهرست لابن النّديم ص ٢٦٥.

(١) فِرَق الشّيعَة للنّوْبَخْتِيّ ص ٧٢-٧٦.

وانظر عن القرامطة: مقالات الإسلاميين ج ١ ص ١٠٠-١٠١ والتّنبية والرّد ص ٢٠ والفرق بين الفرق ص ٢٨٢.

والشعبة الثانية: سادت الإمامة من بعد إسماعيل في أئمة مستورين، أولهم ابنه مُحَمَّد المَكْتُوم، إلى أن ظهر الإمام الشَّرْعِي في شخص عُبَيْد الله المَهْدِي، مؤسس الدولة الفاطمية في المَغْرِب، الذي هو أول الأئمة الظَّاهِرِينَ^(١)، المُتَوَفَّى سنة ٣٢٢هـ^(٢).

وخلال القرن الخامس الهجري صارت الإسماعيلية فرقةً مُخْتَلِفَةً:

فكان الانشقاق الأول سنة ٤١١هـ = ١٠٢١م عندما أعلن الحاكم بأمر الله بأن التجسد الإلهي قد حلَّ فيه، ثم اختفى، وقيل: إنه مات مقتولاً.

لكن أتباعه وهم الدروز يعتقدون بأنه لم يمِت، وأنه سيعود، فهو الإمام المنتظر عندهم.

ثم كان الانشقاق الآخر بعد وفاة المستنصر بالله سنة ٤٨٧هـ = ١٠٩٤م، حيث أكره ابنه الأكبر نِزَار على التخلي عن الإمامة، على خلاف عقيدة الإسماعيلية في لزوم تولية ابنه الأكبر، وذلك بتدبير من وزير المستنصر الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالي، الذي بادر بإجلاس ابن المستنصر الأصغر المستعلي، لكونه ابن اخت له، وأجلسه على عرش الخلافة، وكان بين الأخوين محاربات، انتهت بالقبض على نِزَار، وسجنه، ومات في السجن.

فانشقت الإسماعيلية إلى فرعين رئيسيين:

أولهما: المستعلية، نسبة إلى المستعلي أبي القاسم أحمد، المُتَوَفَّى سنة ٤٩٥هـ. وانتقل مركز دعوتها بعد سقوط الدولة الفاطمية في مِصر على يد صلاح الدين الأيوبي، إلى اليمَن، ثم إلى الهند، وحدث لها انشقاقات عديدة. ومنها فرقة (البُهْرة) الموجودون الآن في الهند^(٣).

(١) مُقَدِّمَةُ ابن خَلْدُون ص ١٨٨ ودراسات في الفِرَق ص ٦٧.

(٢) الإسماعيلية لإحسان إلهي ظهير ص ١٠١-١٢١ في ترجمة المَهْدِي.

(٣) دراسات في الفِرَق ص ٧٠، والإسماعيلية لإحسان إلهي ظهير ص ١٥٨ وفيها ترجمة

الفرع الثاني: النزارية. وكان بعد مقتل نزار واعتلاء أخيه المستعلي العرش، نُقل ابنه القاصر المهدي من قبل أتباعه إلى بلاد فارس، فنشأ خفية على يد كبير الدعاة الحسن بن الصَّبَّاح.

وبقية هذه الفرقة تعرف اليوم في الهند بالخوجا، أو المولى، وزعيمهم الأغاخان، ومن أسلافهم الحشاشون^(١).

وأهم الرجال الذين قامت على أيديهم دعوة الإسماعيلية، وأوجدوا عقائدها، وصارت أساساً لأتباع الإسماعيلية فيما بعدهم:

أبو الخطاب مُحَمَّد بن أبي زَيْنب مقلص الأجدع، مولى بني أسد، الذي ادَّعى أنه قيم الإمام جعفر الصادق ووصيه من بعده، وأتباعه هم الخطَّابية.

وميمون القداح بن ديصان الثنويّ الأهوازي، وابنه عبد الله بن ميمون، وكلهم من الغلاة، تستروا بالتشيع والعلم، وصار لهم دعاة، وظهر منهم التعطيل والإباحة^(٢). وقد تبرأ منهم الأئمة جعفر الصادق وغيره.

المستعلي، وكذا في ص ٧٣٥ وأشار إلى اتعاظ الحنفا للمقرزي، والنجوم الزاهرة، وتاريخ ابن إياس، والكامل لابن الأثير.

(١) دراسات في الفرق ص ٧١. وانظر: الإسماعيلية لإحسان إلهي ظهير ص ١٥٩ نقلاً عن النجوم الزاهرة و ص ٧٣٦ نقلاً عن اتعاظ الحنفا للمقرزي. وانظر أيضاً: دائرة المعارف الإسلامية - ترجمة: أحمد الشنتاوي ورفاقه ج ٢ ص ١٨٧-١٩٥ مادة (الإسماعيلية).

(٢) الإسماعيلية لإحسان إلهي ظهير ص ٨٤ ونقل في ص ١٧٢ عن ابن النديم. وانظر: بيان مذهب الباطنية وبطلانه للدليمي ص ٢٠.

كان إسماعيل بن جعفر قد خدعته آراء الخطَّابية، فسلك مسلكهم، روى الكشي والمامقاني والهمداني من علماء الإمامية: أنه كان يشرب معهم الخمر، وكان أبو الخطاب يكتئب بأبي إسماعيل، لذا تبرأ الإمام جعفر الصادق منه ومن أبي الخطاب والخطَّابين. / الإسماعيلية لإحسان إلهي ظهير ص ٥٦-٦٢.

عقائد الإسماعيلية:

الكتابة في عقائد الإسماعيلية أمر عسير، لأن كتبهم نوعان:

١- كتب الظاهر، وهي التي كتبت للناس عامة، إسماعيليين وغيرهم، وهذه مسورة متداولة، وهي لا تمثل عقائدهم الحقيقية.

٢- كتب الباطن، وهي التي لا يطلع عليها إلا الخاصة المتعمقون في فهم عقيدتهم، بل إن هؤلاء المتعمقين لا يسمح لهم باقتنائها إلا بعد أخذ العهود والمواثيق على أن لا يعطوها لأحد، ولا يخبروا بها فيها^(١).

والفرق بينهما كبير، ومن الأمثلة على ذلك أن الداعي الإسماعيلي المطلق إدريس عماد الدين ذكر في كتابه الظاهري: أن محمد بن إسماعيل لما مات أبوه إسماعيل بن جعفر كان عمره ستاً وعشرين سنة^(٢).

لكنه في كتابه السري يقول بأن عمره كان ثلاث سنين^(٣).

وبيان عقيدتهم فيما يأتي:

١- عقيدتهم في الله تعالى:

التوحيد عندهم هو تجريد الله عن جميع الأسماء والصفات، فالله تعالى لا يوصف

(١) الإسماعيلية لإحسان إلهي ظهير ص ٢٦٨ وضرب أمثلة من تلك العهود من كتاب المبدأ والمعاد للداعي الإسماعيلي حسين بن علي بن الوليد، وذكر في ص ١٠ نماذج منها من كتاب الأنوار اللطيفة للداعي الإسماعيلي طاهر بن إبراهيم الحارثي المتوفى سنة ٥٤٨هـ، ومن صاحب مسائل مجموعة من الحقائق العالية والدقائق والأسرار السامية لداع إسماعيلي كبير، والمؤيد الشيرازي المتوفى سنة ٤٧٠هـ، وظاهر سيف الدين الداعي المطلق لفرقة البهرة.

(٢) الإسماعيلية لإحسان إلهي ظهير ص ٢٠ وأشار إلى عيون الأخبار ص ٣٥١ للداعي إدريس.

(٣) الإسماعيلية لإحسان إلهي ظهير ص ٢١ وأشار إلى زهر المعاني ص ٤٧ من المنتخب.

بوصف، ولا يسمى باسم.

والله عز وجل ليس بموجود ولا معدوم^(١). وهذا النفي دعاهم إلى اختراع آلهة أخرى لإطلاق الأسماء والصفات الواردة في القرآن والسنة عليها، فقالوا: (إن جميع صفات الشرف والجلالة وما يعبر به في جميع اللغات من الإشارات بنعوت الإلهية فإنها واقعة على العقل الأول)^(٢).

والعقل الأول يقال له: العقل الكلي، والموجود الأول، والمبدء الأول، والسابق، والقلم، والكلمة، وهذا متصف بصفات الخالق والرازق والمصور والباري... وبماثله في العالم السفلي: الناطق، وهو النبي.

والعقل الثاني يطلق عليه: النفس الكلية، واللوح، والمبدء الثاني، والتالي. وبماثله: الأساس، وهو الوصي^(٣).

قال الحامدي بأن علياً رضي الله عنه هو الله الخالق الباري المصور^(٤).

وزعموا أن علياً رضي الله عنه قال عن نفسه: (أنا أحيي وأميت، وأخلي وأرزق، وأبرئ الأكمه والأبرص، وأنبئكم بما تأكلون وتدخرون في بيوتكم)^(٥). وغير ذلك من الأقوال

(١) الإسماعيلية لإحسان إلهي ظهير ص ٢٧٧. ونقل ذلك عن المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي داعي الدعاة الإسماعيلية للإمام الإسماعيلي المستنصر في كتابه الباطني المجالس المؤيدية، ونقل عنه إبراهيم بن الحسين الحامدي في كتابه الباطني كنز الولد، والكرماني أحمد حميد الدين في كتابه راحة العقل وغيرهم.

(٢) الإسماعيلية لإحسان إلهي ظهير ص ٢٨٥. نقلاً عن رسالة المبدأ والمعاد للحسين بن علي ابن الوليد، ونحوه عن الصوري وطاهر الحارثي، والكرماني، وغيرهم من دعاة الإسماعيلية.

(٣) الإسماعيلية لإحسان إلهي ظهير ص ٢٨٦-٢٨٨، وأورد نصوصاً عن النعمان القاضي والحامدي والسجستاني.

(٤) الإسماعيلية لإحسان إلهي ظهير ص ٢٩٨ نقلاً عن كنز الولد للحامدي ص ٢٢١.

(٥) الإسماعيلية لإحسان إلهي ظهير ص ٢٩٩ نقلاً عن زهر المعاني للداعي المطلق إدريس

الكثيرة الماثلة لها.

والشرك عندهم هو الدعوة إلى غير الإمام، لا إلى غير الله تعالى^(١).

٢- عقيدتهم في النبي:

النبي عندهم هو الناطق، ويتحلّى باثنتي عشرة خصلة هي أن يكون:

تام الأعضاء، جيد الفهم، جيد اللفظ، فطناً ذكياً، حسن العبارة، محباً للعلم والإفادة، محباً للصدق، غير شره في الأكل والشرب والنكاح، كبير النفس، زاهداً في الدنيا، محباً للعدل، قوي العزيمة.

قالوا: إذا اجتمعت هذه الخصال في واحد من البشر في وقت من الزمان، فإن ذلك الشخص هو المبعوث وصاحب الزمان.

فالنبوّة عندهم مكتسبة، والإنسان يستطيع أن يكون نبياً بالرياضات والمجاهدة^(٢).

وقالوا: القرآن من كلام الرّسول المركب من خطرات النفس^(٣).

وردّ عليهم يحيى بن حمزة العلويّ بأن قولهم في النبوّة قريب من مذهب الفلاسفة، ولكنهم ضعفوا عن معقول كلام الفلاسفة فخطبوا فيه، وفصل القول في

(١) الإسماعيلية لإحسان إلهيّ ظهير ص ٢٨٩ نقلاً عن الكشف لجعفر بن منصور اليماني ص ١٦٦.

(٢) الإسماعيلية لإحسان إلهيّ ظهير ص ٣٢١-٣٢٢ نقلاً عن رسائل إخوان الصفا ج ٤ ص ١٢٩ و ١٣٥.

(٣) الإسماعيلية لإحسان إلهيّ ظهير ص ٣٢٩-٣٣٨ ونقل في ذلك نصوصاً عديدة من دعاة الإسماعيلية، مثل: الحارثي اليماني في الأنوار اللطيفة ص ١٢٦ و ١٦٠-١٦١ والحامدي في كنز الولد ص ٢٠٦-٢٠٧ و ٢١٧ و ٢١٩ وجعفر بن منصور اليماني في سرائر النطقاء ص ٢٠٩ مخطوط، والشيرازي في المجالس المؤيديّة ص ١٥٢.

الرد عليهم^(١).

٣- عقيدتهم في الوصاية والوصي:

يقول الإسماعيلية بأن لكل نبي وصياً، ووصي رسول الله مُحَمَّد ﷺ هو عليّ رضي الله عنه. واختلفوا فيها على قولين:

أ- المساواة بين النبي والوصي، بدون تفضيل واحد على آخر. فرووا عن عليّ رضي الله عنه قوله: (أنا ومُحَمَّد من نور واحد، من نور الله تعالى، أمر الله ذلك النور أن ينشق إلى نصفين، فقال للنصف الأول: كن مُحَمَّدًا، وللنصف الثاني: كن عليًّا)^(٢).

ب- الوصي أفضل من النبي، فعليّ أفضل من مُحَمَّد ﷺ، لأنه هو مقصود الدعوة ومُرادها، ولم تكن دعوة الرسول مُحَمَّد ﷺ إلا إليه، كما لم يؤخذ الميثاق من جميع الأنبياء والمرسلين إلا للإقرار به وبوصايته وولايته، ولا تُقبل العبادة إلا باتباعه وبإقرار ولايته^(٣).

٤- عقيدتهم في الإمامة (ويعبر عنها أحياناً بالولاية):

يرى الإسماعيلية أن الإمامة فرض من الله سبحانه وتعالى، فلا يتم الدين إلا به، ولا يصح الإيذان بالله والرسول إلا بالإيمان بالإمام^(٤).

(١) الإسماعيلية لإحسان إلهي ظهير ص ٣٤٤-٣٤٧.

(٢) الإسماعيلية لإحسان إلهي ظهير ص ٣٥٠ ونقل رواية عليّ عن الحارثي في الأنوار اللطيفة، وذكر نصوصاً في ذلك عن عليّ بن الوليد في تاج العقائد، وداعي الدعوة إدريس عماد الدين في زهر المعاني، والحسين بن عليّ بن الوليد في المبدأ والمعاد، وأبي يعقوب السجستاني في إثبات النبوات، والداعي حاتم بن عمران، والكرماني في راحة العقل، وهبة الله الشيرازي.

(٣) الإسماعيلية لإحسان إلهي ظهير ص ٣٦٠، ونقل ذلك عن جعفر بن منصور اليماني، والحسن بن نوح الهندي، والحامدي، وغيرهم.

(٤) الإسماعيلية لإحسان إلهي ظهير ص ٣٦٧ ونقل في ذلك نصوصاً عن القاضي

ومن مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية^(١).

ولا تخلو الأرض من إمام أبداً، ظاهراً كان أم مستوراً^(٢).

قال قاضيهما النعمان بن محمد: لا يكون أحد إماماً إلا من أولاد عليّ، الحسن والحسين، ثم في أولاد الحسين، لا في أولاد الحسن، ثم في أولاد إسماعيل بن جعفر، لا في أولاد أحد غيره^(٣).

وكان الإسماعيلية يخاطبون أئمتهم مخاطبة العبد لربه، قال ابن هانئ الأندلسي يخاطب المعز الإسماعيلي:

ما شئت لا ما شاءت الأقدارُ فاحكم فأنْتَ الواحدُ القهارُ^(٤)

٥- والإسماعيلية يقولون بالحلول والتناسخ، وهو عين ما يعتقده الهندوس. وما ذكروا في ذلك: (أن كل دابة في الأرض وفي السماء قد كانت أمماً قبلكم، وأن عدونا ليمسخ في كل شيء خالف الصورة الإنسانية، حتى إذا عاد أحدهم يقتل ألف قتلة، ويدبح ألف ذبحة، ويموت ألف ميتة، وأما أولياء الله وأتباعهم المؤمنون فقد خلصهم

النعمان بن محمد في الدعائم وتأويل الدعائم، وشرف عليّ الإسماعيلي في عُيُون المَعَارِف، وأحمد حميد الدين الكرمانلي في المصابيح في إثبات الإمامة، والمؤيد الشيرازي، وجعفر بن منصور اليماني، وغيرهم.

(١) الإسماعيلية لإحسان إلهي ظهير ص ٣٧٣ نقلاً عن المجالس المؤيدية للشيرازي ص ١١٩.

(٢) الإسماعيلية لإحسان إلهي ظهير ص ٣٧٤ نقلاً عن تاج العقائد لعليّ بن محمد بن الوليد المتوفى سنة ٦١٢هـ، ونقل نحوه من قول حسن بن نوح، وحاتم بن إبراهيم، وأبي يعقوب السجستاني، وغيرهم من دعاة الإسماعيلية.

(٣) الإسماعيلية لإحسان إلهي ظهير ص ٣٧٥ نقلاً عن دعائم الإسلام للقاضي النعمان.

(٤) الإسماعيلية لإحسان إلهي ظهير ص ٣٨٤ ونقل في ذلك نصوصاً كثيرة في هذا المعنى عن دعاة الإسماعيلية.

الله من المسوخية، وجعل ذلك عقوبة لأعدائهم...^(١).

٦- والإسماعيلية يعتقدون بتحريف القرآن الكريم. ومن أمثلة ذلك: ما قال جعفر بن منصور اليماني: (وقد خاب من حمل ظملاً ظلم آل محمد) هكذا أنزلت هذه الآية^(٢).

٧- والإسماعيلية يقولون بتكفير الصحابة، وعلى رأسهم أبو بكر وعمر وعثمان^(٣).

٨- والإسماعيلية يعتقدون بأن محمد بن إسماعيل نسخ شريعة محمد ﷺ، وهذا ما صرح به المعز لدين الله الإمام الإسماعيلي الرابع في دور الظهور، وذلك في دعائه يوم السبت الذي يقول به: (... وعلى القائم بالحق والناطق بالصدق، التاسع من جده الرسول، والثامن من أبيه الكوثر، السابع من آبائه الأئمة من البررة... الذي شرفته وعظمته وكرّمته، وختمت به عالم الطبائع، وعطّلت بقيامه ظاهر شريعة محمد...). والمعزّ إمام معصوم حسب زعمهم، وحائز على مرتبة الألوهية^(٤).

(١) الإسماعيلية لإحسان إلهي ظهير ص ٤١٨-٤٤١ وأورد نصوصاً كثيرة عن دعاة الإسماعيلية من أقوالهم بالتناسخ. وهذا النص في ص ٤٣٩.

(٢) الإسماعيلية لإحسان إلهي ظهير ص ٤٦٥ نقلاً عن كتاب الكشف لجعفر بن منصور ص ٧٨ ونقل قولهم بتحريف القرآن من أساس التأويل للقاضي النعمان.

(٣) الإسماعيلية لإحسان إلهي ظهير ص ٤٦٦ ونقل نصوصاً عن جعفر اليماني في كتابيه الكشف ص ١٢٥ وسرائر النطقاء، والقاضي النعمان في أرجوزته ص ٩٩ وكتابه المجالس والمسائرات ص ٣٧٩، والمؤيد الشيرازي في المجالس المؤيدية ج ٢ ص ١٣٦، والكرماني في راحة العقل ص ٥٠٠، والحامدي في كنز الولد ص ٩٩، وحسن بن نوح الهندي في الأزهار ص ٢٢١، والسجستاني في إثبات النبوءات ص ١٥٩، وضياء الدين في مزاج التسليم ص ٣٣٥.

(٤) الإسماعيلية لإحسان إلهي ظهير ص ٥٥٠-٥٥٢ نقلاً عن أدعية الأيام السبعة للمعز لدين الله.

لذلك عطل الإسماعيلية الشريعة، ورفعوا التكاليف، وأسقطوا الظاهر كالصلاة والزكاة والحج والصوم والجهاد^(١)، وأباحوا المحرمات، وسبوا الأنبياء، وقتلوا المسلمين^(٢).

لذا أفتى العلماء بارتدادهم وزندقتهم كما قال القاضي عياض: (أجمع العلماء بالقيروان أن حال بني عبّيد حال المرتدين والزنادقة)^(٣).

وقال البغدادي: (والذي صح عندي من دين الباطنية - وهو من أسماء الإسماعيلية - أنهم دهرية زنادقة، يقولون بقدّم العالم، وينكرون الرسول والشرائع

(١) وأولوا ما ورد من نصوص في القرآن الكريم حسب رأيهم، فقالوا: القيامة هي قيام القائم، والأنهار أمثال ما يجري من العلماء من نشر الفوائد العلمية في مستفيدهم، والجنة هي البقاء والمعرفة في العالم المعقول، واللذات في العالم المحسوس، والصلاة هي الطاعة لأمر المؤمنين علي والأئمة من أولاده، أو الاتصال بالإمام أو... / الإسماعيلية لإحسان إلهي ظهير ص ٤١١ وما بعدها، ونقل نصوصاً عن دعاة الإسماعيلية في ذلك. وانظر: الثنية والأمل ص ٩٦ وما بعدها.

(٢) الإسماعيلية لإحسان إلهي ظهير ص ٥٦٠-٥٦٣ نقلاً عن سير أعلام النبلاء للذهبي ج ١٥ ص ١٥٢ والبيان المغرب للمراكشي ج ١ ص ٢١٦.

وفيه: نقل الذهبي عن القاضي عبد الجبار قوله: (إن القائم أظهر سب الأنبياء، وكان مناديه يصيح: العنوا الغار وما حوى، وأباد عدة من العلماء وكان يناصر قرامطة البحرين، ويأمرهم بإحراق المساجد والمصاحف).

ونقل إحسان إلهي ظهير في ص ٥٦٦: رسالة المعز لدين الله إلى القرمطي حسن الأعصم يُقر فيها آباءه وأسلافه على ما كانوا عليه من القتل والفتنة وإباحة المحظورات وقلع الحجر الأسود ونهب الحجاج....

(٣) الإسماعيلية لإحسان إلهي ظهير ص ٥٦٤ وما بعدها نقلاً عن ترتيب المدارك للقاضي عياض، وسير أعلام النبلاء ج ١٥ ص ١٥١، وفيها شهادات العلماء نقلها الذهبي، وأبو زيد الدباغ في كتابه معالم الإيوان، وأبو الحسن القاسبي في الملخص، والمراكشي صاحب البيان المغرب.

كلها، ليلها إلى استباحة كل ما يميل إليه الطبع).

وكتب الإمام الغزالي كتابه فضائح الباطنية، ردّ فيه على مقالاتهم، وأوجب تحطّتهم وتضليلهم، وألزم تكفيرهم والتبري منهم، وكذلك مُحَمَّد بن الحسن الدّيلمّي في كتابه بيان مذهب الباطنية وبطلانه^(١).

ثانياً: الإمامية الاثنا عشرية:

وهم أكثرية الشيعة. ويختصون بأرائهم الآتية:

١ - الإمامة واجبة مستمرة:

الإمامة أصل من أصول الدين، ولا يتم الإبان إلا بالاعتقاد بها، وهي استمرار للنبوّة. والدليل الذي يوجب إرسال الرسل وبعث الأنبياء هو نفسه يوجب أيضاً نصب الإمام بعد الرسول.

ولا يجوز أن يخلو عصر من العصور من إمام مفروض الطاعة، منصوب من الله تعالى، سواء أطاعه الناس أم لم يطيعوه، وسواء كان حاضراً أم غائباً عن أعين الناس. ولا فرق بين طول الغيبة وقصرها^(٢).

٢ - عصمة الإمام:

الإمام كالنبي يجب أن يكون معصوماً من جميع الرذائل والفواحش، ما ظهر منها

(١) دراسات في الفرق ص ٧٢-٧٤. وقول البغدادي في كتابه الفرق بين الفرق ص ٢٩٦، وكتابا الغزالي والدّيلمّي مطبوعان متداولان.

(٢) عقائد الإمامية ص ٦٥-٦٦. وأصل الشيعة وأصولها ص ٥٨-٥٩.

والإمامة أصل من أصول الدين وركنه وهو قول عامة الإمامية الاثني عشرية، ويرتب عليه أن من ينكرها يخرج من الدين.

لكن ذهب بعض الإمامية إلى اعتبارها أصلاً من أصول المذهب، ويرتب عليه أن من ينكرها يخرج من المذهب فلا يكون شيعياً، ولكنه يبقى على إسلامه. وسيأتي هذا في الأصل الدّيني والأصل المذهبي.

وما بطن، من سن الطفولة إلى الموت، عمداً وسهواً. كما يجب أن يكون معصوماً من السهو والخطأ والنسيان، لأن الأئمة حفظوا الشرع، فحالفهم في ذلك حال النبي^(١).

ولما كان الإمام كالنبي، فيجب أن يكون أفضل الناس في صفات الكمال من شجاعة وكرم وعفة وصدق وعدل وتدبير وحكمة....

ويتلقى المعارف والأحكام الإلهية وجميع المعلومات من طريق النبي أو الإمام من قبله، وإذا استجد شيء لا بد أن يعلمه من طريق الإلهام بالقوة القدسية التي أودعها الله تعالى فيه، فإن توجهه إلى شيء وشاء أن يعلمه على وجهه الحقيقي لا يخطأ فيه ولا يشبهه، ولا يحتاج إلى البراهين العقلية، ولا إلى تلقينات المعلمين^(٢).

فهم أولو الأمر، والشهداء على الناس، وأبواب الله، وأمرهم هو أمر الله تعالى، ونهيهم نهيه، فطاعتهم طاعته، ومعصيتهم معصيته^(٣).

ويترتب على القول بالعصمة أمران:

أ- إثبات أن الإمامة ليست من المصالح الدنيوية التي تفوض إلى نظر الأمة، بل هي ركن الدين، ولا يجوز لنبي إغفالها ولا تفويضها إلى الأمة، بل يجب أن يعين الإمام لها عن طريق الوحي أو الإلهام الموجب للعلم اليقيني.

ب- هذا القول يتضمن إبطال خلافة الراشدين الثلاثة الذين سبقوا علياً رضي الله عنهم، لأنهم لم يتصفوا بالعصمة بالإجماع.

لذا حاول علماء الشيعة الدفاع عن عصمة الأئمة بكل ما أوتوا من حجج.

(١) عقائد الإمامية ص ٦٧. والباب الحادي عشر، وعليه شرح النافع ص ٤١ ومفتاح الباب ص ١٨٢، وتجريد الاعتقاد وشرحه كشف المراد ص ٣٩٠ والمنية والأمل ص ٩٥. وانظر: عصمة الأئمة عند الشيعة لأنور الباز.

(٢) عقائد الإمامية ص ٦٧-٦٨.

(٣) عقائد الإمامية ص ٦٩-٧٠.

ولم يشذَّ عن هذا الرأي سوى ابن بابويه القميّ، المتوفى سنة ٣٨١هـ، ومحمّد بن الحسن بن حمد بن الوليد، المتوفى سنة ٣٤٣هـ، حيث أجازا صدور الخطأ عن الإمام سهواً. وقد رده أئمة الشيعة بقوة، منهم الشيخ المفيد إذ ألف رسالة ردّها فيها على من زعم أن النبيّ أو الإمام يسهو^(١).

٣- النص والتعيين:

وعندهم أن الإمامة لا تكون إلا بالنص من الله تعالى على لسان النبيّ أو لسان الإمام الذي قبله، وليست هي بالاختيار والانتخاب من الناس. وفي الحديث: (من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية)^(٢).

لأن الإمامة مشروطة بالعصمة، وكل ما هو مشروط بالعصمة يجب أن يكون منصوباً عليه، فالإمامة يجب أن يكون منصوباً عليها^(٣).

وهم يقولون بأن الأئمة اثنا عشر إماماً، وهم على التسلسل الآتي:

عليّ بن أبي طالب المتوفى سنة ٤٠هـ، ثم الحسن بن عليّ المتوفى سنة ٥٠هـ، ثم الحسين بن عليّ المتوفى سنة ٦١هـ، وبعده في ولده دون الحسن، وهم: عليّ زين العابدين بن الحسين المتوفى سنة ٩٥هـ، ثم محمد الباقر بن عليّ المتوفى سنة ١١٤هـ، ثم جعفر الصادق بن محمد المتوفى سنة ١٤٨هـ، ثم موسى الكاظم بن جعفر المتوفى سنة ١٨٣هـ، ثم عليّ الرضا بن موسى المتوفى سنة ٢٠٣هـ، ثم محمد الجواد بن عليّ المتوفى سنة ٢٢٠هـ، ثم عليّ الهادي بن محمد المتوفى سنة ٢٥٤هـ،

(١) دراسات في الفرق ص ٤٧-٤٩.

(٢) عقائد الإمامية ص ٦٦ وانظر ص ٧٤. وانظر: أصل الشيعة وأصولها ص ٥٨ والباب الحادي عشر، وعليه شرح النافع ص ٤٣ ومفتاح الباب ص ١٨٦، وتجريد الاعتقاد وشرحه كشف المراد ص ٣٩٢.

(٣) مفتاح الباب السابق. وانظر: النافع، وتجريد الاعتقاد وشرحه كشف المراد، السابقة.

ثم الحسن العسكري بن عليّ المتوفى سنة ٢٦٠هـ، ثم محمد المهدي المنتظر بن الحسن المولود سنة ٢٥٦هـ. ومحمد المهدي هو الحجة في عصرنا، الغائب المنتظر، وهو لا يزال حياً، وسيخرج يملأ الأرض عدلاً بعد أن ملئت جوراً وفساداً^(١).

وهم يقولون بالرجعة، وهي:

أن الله تعالى يعيد قوماً من الأموات إلى الدنيا في صورهم التي كانوا عليها، فيعزّز فريقاً ويذلّ فريقاً آخر، وذلك عند قيام المهدي المنتظر.

ولا يرجع إلا من علت درجته في الإيثار أو من بلغ الغاية من الفساد، ثم يصيرون بعد ذلك إلى الموت، ومن بعده إلى النشور^(٢).

٤- وهم يقولون بالتقية، وقد رووا عن الإمام الصادق قوله: (التقية ديني ودين آبائي) و(من لا تقية له لا دين له).

والتقية هي: أن كل إنسان إذا أحس بالخطر على نفسه أو ماله بسبب نشر معتقده أو التظاهر به لا بد أن يتكتم ويتقي في مواضع الخطر، وذلك دفعاً للضرر عنه وعن أتباعه وحقناً لدمهم.

وللتقية أحكام، من حيث وجوبها وعدم وجوبها بحسب اختلاف مواقع خوف الضرر، مذكورة في أبواب الفقه، وليست هي واجبة على كل حال، بل يجب خلافها أحياناً، كما في إظهار الحق والتظاهر به خدمة للإسلام^(٣).

(١) عقائد الإمامية ص ٧٦ و٧٨. وانظر: الباب الحادي عشر، وعليه: شرح النافع ص ٥٠ ومفتاح الباب ص ٢٠٠، وكشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد ص ٤٢٢.

(٢) عقائد الإمامية ص ٨٠.

(٣) عقائد الإمامية ص ٨٤-٨٥. وانظر: أصل الشيعة وأصولها ص ١٥٠ ودراسات في الفرق

الْمُرْجِئَةُ

الْمُرْجِئَةُ لَفْظَةٌ مَأْخُوذَةٌ مِنَ الْإِرْجَاءِ، يُقَالُ: أَرْجَيْتُهُ وَأَرْجَأْتُهُ. وَلِلْإِرْجَاءِ مَعْنِيَانِ:
 الْمَعْنَى الْأَوَّلُ: التَّأْخِيرُ وَالْإِمْهَالُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ - الْأَعْرَافُ ١١١،
 أَي: أَمِهْلْهُ وَأَخَّرْهُ. وَسُمِّيَتِ الْمُرْجِئَةُ بِذَلِكَ لَمَّا يَأْتِي:
 أ- لَأَنَّهُمْ يُؤْخَرُونَ صَاحِبَ الْكَبِيرَةِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَلَا يَقْضَى عَلَيْهِ بِحُكْمِ فِي الدُّنْيَا
 مِنْ كَوْنِهِ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَوْ مِنْ أَهْلِ النَّارِ^(١).

ب- أَوْ لَأَنَّهُمْ يُؤْخَرُونَ الْعَمَلَ عَنِ النِّيَّةِ وَالْعَقْدِ^(٢).
 ج- أَوْ لَأَنَّهُمْ يُؤْخَرُونَ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ الدَّرَجَةِ الْأُولَى إِلَى الرَّابِعَةِ^(٣).
 الْمَعْنَى الثَّانِي: إِعْطَاءُ الرِّجَاءِ، وَذَلِكَ:

أ- لَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ: لَا يَضُرُّهُمُ الْإِيمَانُ مَعْصِيَةً، كَمَا لَا يَنْفَعُ مَعَ الْكُفْرِ طَاعَةٌ^(٤). فَهُمْ
 يَرْجُونَ لِأَصْحَابِ الْمَعَاصِي الثَّوَابَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى^(٥).

(١) الْمِلَالُ وَالنَّحْلُ لِلشَّهْرَسْتَانِيِّ ج ١ ص ١٣٧. وَنَحْوُهُ فِي: خِطَطُ الْمُقْرِيزِيِّ ج ٢ ص ٣٤٩
 وَالْمُنْيَةُ وَالْأَمَلُ ص ١١٣ وَشَرْحُ الْحُورِ الْعَيْنِ ص ٢٥٧.

(٢) الْمِلَالُ وَالنَّحْلُ لِلشَّهْرَسْتَانِيِّ السَّابِقِ، وَفِي الْفَرْقِ بَيْنَ الْفَرْقِ ص ٢٠٢: (لَأَنَّهُمْ أَخَرُوا الْعَمَلَ
 عَنِ الْإِيمَانِ). وَنَحْوُهُ قَالَ الْإِسْفَرَايِينِيُّ فِي التَّبْصِيرِ فِي الدِّينِ ص ٨٣. وَانْظُرْ أَيْضاً: شَرْحُ الْمَوَاقِفِ
 لِلْسَّيِّدِ الشَّرِيفِ ج ٨ ص ٣٩٦ وَالْفَرْقُ الْإِسْلَامِيَّةُ لِلْكَرْمَانِيِّ ص ٨١.

(٣) الْمِلَالُ وَالنَّحْلُ لِلشَّهْرَسْتَانِيِّ السَّابِقِ.

(٤) الْمِلَالُ وَالنَّحْلُ لِلشَّهْرَسْتَانِيِّ السَّابِقِ، وَشَرْحُ الْمَوَاقِفِ لِلْسَّيِّدِ الشَّرِيفِ السَّابِقِ قَالَ:
 (وَعَلَى هَذَا يَنْبَغِي أَنْ لَا يَهْمَزُ لَفْظُ الْمُرْجِئَةِ)، وَالْفَرْقُ الْإِسْلَامِيَّةُ لِلْكَرْمَانِيِّ، وَخِطَطُ الْمُقْرِيزِيِّ،
 السَّابِقَانِ. وَانْظُرْ: التَّبْصِيرُ فِي الدِّينِ ص ٨٣.

(٥) خِطَطُ الْمُقْرِيزِيِّ السَّابِقِ. قَالَ النَّسْفِيُّ فِي تَبْصِيرَةِ الْأَدَلَّةِ ج ٢ ص ٧٦٦: (زَعَمَتِ الْمُرْجِئَةُ أَنْ
 أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَا يَعْقَبُ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْكِبَائِرِ، وَكَمَا أَنَّ الْحَسَنَةَ لَا تَنْفَعُ مَعَ الْكُفْرِ، فَالْسَّيِّئَةُ لَا

ب- أو لأنهم جعلوا الفاسق راجياً للغفران، ولم يُؤيِّسوه من الرحمة، حيث مات على فسقه. قال ابن المُرْتَضَى: فهذا عندي هو الوجه في تسميتهم مُرَجَّة^(١).

نشأة المُرَجَّة

نواة هذه الفرقة كانت بين الصَّحَابَةِ الأوائل الذين امتنعوا عن الدخول في النزاع أواخر عهد عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مثل: أَبِي بَكْرَةَ، وعبد الله بن عُمَرَ، وعِمْرَان بن الحُصَيْن. رَوَى أَبُو بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (سَتَكُونُ فِتْنٌ، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي إِلَيْهَا، أَلَا فَإِذَا نَزَلَتْ أَوْ وَقَعَتْ، فَمَنْ كَانَ لَهُ إِبِلٌ فَلْيَلْحَقْ بِإِبِلِهِ، وَمَنْ كَانَ لَهُ غَنَمٌ فَلْيَلْحَقْ بِغَنَمِهِ، وَمَنْ كَانَ لَهُ أَرْضٌ فَلْيَلْحَقْ بِأَرْضِهِ. قَالَ: فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ إِبِلٌ وَلَا غَنَمٌ وَلَا أَرْضٌ؟ قَالَ: يَعْمِدُ إِلَى سَيْفِهِ فَيَدُقُّ عَلَى حَدِّهِ بِحَجَرٍ، ثُمَّ لَيَنْجُ إِنْ اسْتَطَاعَ النِّجَاةَ)^(٢).

تضرع الإيمان).

(١) المُنِيَّةُ وَالْأَمَلُ السَّابِقُ. وَرَدَّ فِيهِ عَلَى تَفْسِيرِ الشَّهْرَسْتَانِيِّ لِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ - الأعراف ١١١، قَالَ: (التَّحْقِيقُ أَنَّ قَوْلَكَ أَرْجُ زَيْدًا أَيْ اجْعَلْهُ رَاجِيًا، كَمَا تَقُولُ: أَصْلَحْ كَذَا، أَيْ: اجْعَلْهُ صَالِحًا، لَا بِمَعْنَى أَعْطَاهُ رَجَاهُ كَمَا ذَكَرَ الشَّهْرَسْتَانِيُّ، فَيَكُونُ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾: اجْعَلْهُمَا رَاجِيَيْنَ لِلْإِجَابَةِ مِنْكَ، وَخِذْ فِي الْعَمَلِ فِي إِبْطَالِ حُجَّتِهِمَا فِي مَدَّةِ رَجَائِهِمَا).

أَقُولُ: الشَّهْرَسْتَانِيُّ أورد الآية شاهداً على المعنى الأول: التَّأخِيرُ، ولم يوردها على الثاني.

(٢) فجر الإسلام ص ٢٨٠ وتاريخ المذاهب الإسلامية ص ١١٩.

وأورد د. حُسَيْنَ عَطْوَانَ فِي الْفَرْقِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي بِلَادِ الشَّامِ فِي الْعَصْرِ الْأُمَوِيِّ ص ١٦-٢٢ الروايات: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ نَقْلًا عَنْ طَبَقَاتِ ابْنِ سَعْدٍ وَتَذَكُّرَةِ الْحَفَّازِ، وَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ الْحُصَيْنِ نَقْلًا عَنْ طَبَقَاتِ ابْنِ سَعْدٍ، وَعَنْ أَبِي بَكْرَةَ تُفَيْعِ بْنِ الْحَارِثِ الثَّقَفِيِّ نَقْلًا عَنْ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ وَأَبِي دَاوُدَ وَابْنِ مَاجَةَ. وَنَقَلَ رَوَايَاتٍ أُخْرَى فِي ذَلِكَ.

وَحَدِيثُ أَبِي بَكْرَةَ بَلْفُظٍ آخَرٍ فِي: الْجَامِعِ الصَّغِيرِ ص ٢٨٧ وَفِيهِ: (أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ وَالْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ. وَهُوَ صَحِيحٌ).

ولما ظهرت الفتن والحروب بين المسلمين في صدر الإسلام، رأى قوم أن لا يغمسوا أيديهم فيها، ولا يحكموا بتخطئة أحد منهم أو تصويبه.

رَوَى ابن عَسَاكِر في تَوْضِيح رأيهم: (أنهم هم الشُّكَّاك الذين شَكُّوا وكانوا في المَعَازِي، فلما قدموا المَدِينَةَ بعد قتل عُثْمَانَ، وكان عهدهم بالناس وأمرهم وَاحِد ليس بينهم اختلاف، قالوا: تَرَكْنَاكم وأمركم وَاحِد، ليس بينكم اختلاف، وقدمنا عليكم وأنتم مُخْتَلِفُونَ، فبعضكم يقول: قتل عُثْمَان مَظْلُومًا، وكان أَوْلَى بِالْعَدْلِ أصحابه، وبعضكم يقول: كان عَلِيٌّ أَوْلَى بِالْحَقِّ وأصحابه، كلهم ثِقَّة وعندنا مصدق، فنحن لا نتبرأ منهما ولا نلعنهما، ولا نشهد عليهما، ونرجئ أمرهما إلى الله، حتى يكون الله هو الذي يحكم بينهما).

وكان الخَوَارِج: قد كَفَرُوا عَلِيًّا وَعُثْمَانَ والقائلين بالتَّحْكِيم. والشَّيْعَة: كَفَرُوا أبا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ ومن ناصرهم. وكلاهما كَفَرَ الْأُمَوِيَّين. وَالْأُمَوِيُّون قاتلوا الفريقين، ورأوا أنهم مبطلون.

فظهرت فرقة المُرْجئة تسالم الجميع، ولا تُكْفِر طائفة منهم، فهي تقول: بأن الخَوَارِج والشَّيْعَة وَالْأُمَوِيَّين مُؤْمِنُونَ، وبعضهم مَخْطِئٌ وبعضهم مُصِيبٌ، ولسنا نستطيع أن نعيّن المصيب، ولكن نترك أمرهم جميعاً إلى الله تعالى الذي يعرف سرائر الناس ويحاسبهم على ما اقترفوا^(١).

قيل: أول من وضع الإرجاء أبو مُحَمَّد الحَسَن بن مُحَمَّد المعروف بابن الحَنَفِيَّة بن عَلِيٍّ بن أَبِي طَالِبٍ، وتكلم فيه.

وكان الحَسَن بن مُحَمَّد بن الحَنَفِيَّة يكتب كتبه إلى الأمصار، يدعو إلى الإرجاء، إلا أنه لم يؤخر العمل عن الإيمان كما قال بعضهم، بل قال: أداء الطاعات وترك المعاصي ليس من الإيمان لا يزول بزوالها.

(١) فجر الإسلام ص ٢٧٩-٢٨٠. وانظر: تاريخ المذاهب الإسلامية ص ١١٩.

وقال ابن قُتَيْبَةَ: أول من وضع الإرجاء بالبَصْرَةَ حَسَّان بن بِلَال بن الْحَارِث المَزْنِيّ.

وذكر بعضهم أن أول من وضع الإرجاء أبو سُلت السَّمَّان، ومات سنة اثنتين وخمسين ومائة^(١).

وَحُجَّةُ المُرَجَّةِ عَلَى إرجاء أهل الكبائر من مِلَّةِ مُحَمَّد ﷺ إِلَى الله تعالى، ولا يقطعون عَلَى العفو عنهم ولا عَلَى تعذيبهم هي:

أ- قوله تعالى: ﴿وَأَخْرُوكَ مُرَجَّونَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ - التوبة ١٠٦.

ب- إخلاف الوعد كذب، وإخلاف الوعيد عفو وتفضُّل وكرم.

فلو تهدد رجل بالعذاب أحد رعيته أساء إليه، ثم عفا عنه وأخلف وعيده، ما كان يسمى كاذباً عند الْعَرَبِ، واحتجوا بقول الشاعر عَامِر بن الطَّفِيل:

ولا يَرْهَبُ ابْنُ الْعَمِّ مَنِي صَوْلَتِي ولا إِحْنَتِي من قوله المتهدّد
وَإِنِّي إِذَا أَوْعَدْتُهُ وَوَعَدْتُهُ لَمْخَلِفٌ مِيعَادِي وَمُنْجِزٌ مَوْعِدِي

قالوا: فجائز أن يخلف الله وعيده في القرآن، ولا يعذب أحداً من أهل الكبائر من المُسْلِمِينَ، ويجوز أن يعذبهم بقدر ذنوبهم، وأرجوا الأمر في ذَلِكَ إِلَى الله تعالى^(٢).

(١) خَطَطُ المَقْرِزِيّ ج ٢ ص ٣٥٠. والقول بأن الْحَسَن بن مُحَمَّد أول من تكلم في الإرجاء في شَرْحِ أَصُولِ اعْتِقَادِ أَهْلِ السُّنَّةِ والْجَمَاعَةِ ج ٥ ص ٢٩٠. وفي ص ٢٨٩: عن قَتَادَةَ قال: إنما حدث هَذَا الإرجاء بعد هزيمة ابن الْأَشْعَث. وانظر: تاريخ الْفِرَقِ الْإِسْلَامِيَّةِ لِلْعُرَابِيِّ ص ٢٠.

(٢) شَرْحُ الْحُورِ الْعَيْنِ ص ٢٥٧. وانظر: مَقَالَاتُ الْإِسْلَامِيِّينَ ج ١ ص ٢٢٨.

الصُّوْلَةُ: السُّطُوَّةُ والقَهْرُ فِي الْحَرْبِ ونحوها. الإْحْنَةُ: الحقد والغضب.

فِرْقُ الْمُرْجِئَةِ

افترقت الْمُرْجِئَةُ إِلَى اثْنَتَيْ عَشْرَةَ فِرْقَةً، وَهُوَ مَا قَالَه الْأَشْعَرِيُّ^(١)، وَالْمَلْطِيُّ^(٢).
وَلِكُتَّابِ الْفِرَقِ تَقْسِيمَاتٌ أُخْرَى مِثْلُ:

الْمُرْجِئَةُ ثَلَاثَةُ أَصْنَافٍ:

١- قَالُوا بِالْإِرْجَاءِ فِي الْإِيمَانِ وَبِالْقَدَرِ (الْاِخْتِيَارِ فِي الْأَعْمَالِ) عَلَى مَذَاهِبِ الْقَدَرِيَّةِ الْمُعْتَزَلَةِ، مِثْلُ: غِيْلَان، وَأَبِي شَمْرٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ شَيْبِ بْنِ الْبَصْرِيِّ، وَصَالِحُ قُبَّة.

٢- قَالُوا بِالْإِرْجَاءِ فِي الْإِيمَانِ وَبِالْجَبْرِ فِي الْأَعْمَالِ عَلَى مَذَهَبِ الْجَهْمِيَّةِ أَتْبَاعِ جَهْمِ بْنِ صَفْوَانَ.

٣- قَالُوا بِالْإِرْجَاءِ الْمَحْضِ، لَا يَقُولُونَ بِالْجَبْرِ وَلَا بِالْقَدَرِ، فَهَمُ الْمُرْجِئَةُ الْخَالِصَةُ. وَهَمُ خَمْسُ فِرَقٍ: الْيُونُسِيَّةُ، أَتْبَاعُ يُونُسَ بْنِ عَوْنِ النُّمَيْرِيِّ. وَالْغَسَّائِيَّةُ، أَتْبَاعُ غَسَّانِ الْمُرْجِيِّ. وَالتُّومَنِيَّةُ، أَتْبَاعُ أَبِي مُعَاذِ التُّومَنِيِّ. وَالتَّوْبَانِيَّةُ، أَتْبَاعُ أَبِي ثَوْبَانَ الْمُرْجِيِّ. وَالْمَرِيْسِيَّةُ، أَتْبَاعُ بَشْرِ بْنِ غِيَاثِ الْمَرِيْسِيِّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٢١٨ هـ^(٣).

(١) مَقَالَاتُ الْإِسْلَامِيِّينَ ج ١ ص ٢١٣.

(٢) التَّنْبِيْهُ وَالرَّدُّ ص ١٤٦.

(٣) الْفِرْقُ بَيْنَ الْفِرَقِ ص ٢٠٢ وَالتَّبَصُّيرُ فِي الدِّينِ ص ٨٣. وَأَشَارَ نَشَوَانُ فِي شَرْحِ الْحُورِ الْعَيْنِ ص ٢٥٧ إِلَى الصَّنْفَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ.

وَذَكَرَ الشَّهْرَسْتَانِيُّ فِي الْمَلَلِ وَالنَّحْلِ ج ١ ص ١٣٧: الْمُرْجِئَةُ أَرْبَعَةُ أَصْنَافٍ: مُرْجِئَةُ الْخَوَارِجِ، وَمُرْجِئَةُ الْقَدَرِيَّةِ، وَمُرْجِئَةُ الْجَبَرِيَّةِ، وَالْمُرْجِئَةُ الْخَالِصَةُ. وَذَكَرَ أَقْسَامَ الْمُرْجِئَةِ الْخَالِصَةِ الْخَمْسَةَ، لَكِنْ ذَكَرَ: الْعُبَيْدِيَّةُ أَصْحَابُ عُبَيْدِ الْمُكْتَبِ، بِدَلَالَةٍ مِنَ الْمَرِيْسِيَّةِ. وَلِعُبَيْدِ الْمُكْتَبِ تَرْجُمَةٌ فِي تَهْذِيبِ التَّهْذِيبِ.

وَذَكَرَ الْإِنْجِي فِي الْمَوَاقِفِ وَشَرْحِهِ لِلْسَيِّدِ الشَّرِيفِ ج ٨ ص ٣٩٦ أَقْسَامَ الْمُرْجِئَةِ الْخَالِصَةِ

وَعَدَّ بَعْضُ أَصْحَابِ الْمَقَالَاتِ الْإِمَامَ أَبَا حَنِيفَةَ مِنْ مُرْجئة أَهْلِ السُّنَّةِ. والسبب

فيه:

١- أن الإمام أبا حَنِيفَةَ كان يقول: الإيمان هو التَّصَدِّيقُ بالقلب، وهو لا يَزِيدُ ولا ينقص، فظنوا به أنه يؤخر العَمَلَ عن الإيمان، وليس كذلك إذا عرف عن الإمام أبي حَنِيفَةَ المُبَالَغَةَ في العَمَلِ والاجتهاد فيه.

٢- أن الإمام أبا حَنِيفَةَ كان يخالف القَدَرِيَّةَ والمُعْتَزِلَةَ في الصدر الأول، والمُعْتَزِلَةَ والوعيدية من الخَوَارِج كانوا يلقبون كلَّ من خالفهم في القدر مُرْجئاً^(١).

كتقسيم الشَّهْرَسْتَانِي، لَكِنْ فيه: عُيِّدَ المكذب. وورد في الفِرَقِ الإسلامية للكُرْمَانِي ص ٨١- ٨٦ مثل ما ذكره الإِنِجِي.

وذكر الرَّازِي في اعتقادات فِرَقِ المُسْلِمِينَ ص ١٠٧ أقسام المُرْجئة الخالصة كتقسيم البَغْدَادِي لَكِنَّه ذكر الخالدية بدلاً من المَرِيسِيَّة.

أما المَقْرِيْزِي في الخطَّ ج ٢ ص ٣٥٠ فقد ذكر أن المُرْجئة بعد الحَسَن بن مُحَمَّد بن الحَنَفِيَّة صارت أربعة أنواع: مُرْجئة الخَوَارِج، ومُرْجئة القَدَرِيَّة، ومُرْجئة الجَبَرِيَّة، ومُرْجئة الصَّالِحِيَّة.

وذكر السَّفَارِينِي في لَوَامِعِ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّة ج ١ ص ٨٩ ست فرق هي: الْيُونُسِيَّة، وَالْعُبَيْدِيَّة (أَتْبَاعُ عُبَيْدِ الْمُكْتَبِ)، وَالْعَسَانِيَّة، وَالثَّوْبَانِيَّة، وَالتَّوْمِينِيَّة، وَالنَّجَارِيَّة.

(١) الْمَلَلُ وَالنَّحْلُ لِلشَّهْرَسْتَانِي ج ١ ص ١٣٩. ونقله السَّيِّدُ الشَّرِيفُ فِي شَرْحِ الْمَوَاقِفِ ج ٨ ص ٣٩٧ عن الْأَمْدِي. ونقله أَبُو زُهْرَةَ عَنِ الشَّهْرَسْتَانِي فِي تَارِيخِ الْمَذَاهِبِ الْإِسْلَامِيَّة ص ١٢٢. وانظر تَعْلِيْقَ مُحَمَّدٍ مُحْيِي الدِّينِ عَبْدِ الْحَمِيدِ عَلَى مَقَالَاتِ الْإِسْلَامِيِّينَ ج ١ ص ٢١٩-٢٢٠. وانظر قول بعض من أسند الإِرْجَاءَ إِلَى الْإِمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ فِي شَرْحِ أَصُولِ اعْتِقَادِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ ج ٥ ص ٢٨٤.

وَفِي الْمَوَاقِفِ وَشَرْحِهِ لِلْسَّيِّدِ الشَّرِيفِ ج ٨ ص ٣٩٧: (إِنْ عَسَانَ الْمُرْجِيَّ كَانَ يَنْقَلُ الْإِرْجَاءُ عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ وَيَعُدُّهُ مِنَ الْمُرْجئة. وهو افتراء عليه، قصد به عَسَانُ تَرْوِيجِ مَذْهَبِهِ بِمُوَافَقَةِ رَجُلٍ كَبِيرٍ مَشْهُورٍ).

فمن قال إن الإمام أبا حَنِيفَةَ من المُرْجِيَّة، أراد المعنى اللُّغَوِيَّ من الإرجاء وهو التَّأخِيرُ، لأنه يؤخر العَمَلَ عن الإيمان، ولم يرد المعنى العرفي المصطلح عليه في علم الكلام^(١)، لأن أبا حَنِيفَةَ من يقول بعدم القطع بالعقاب، وبتفويض الأمر إلى الله، يغفر

(١) تَعْلِيْقُ مُحَمَّدٍ مُحْيِي الدِّينِ عَبْدِ الْحَمِيدِ السَّابِقِ، وفيه:

الذي أطلق على أبي حَنِيفَةَ لفظ الإرجاء فريقان:

أولهما: بعض المُحَدِّثِينَ، وذلك لأنه يخالفهم في تحديد معنى الإيمان، فهم يجعلون الإيمان مؤلفاً من ثلاثة أركان هي: التَّصَدِيقُ بالقلب، والإقرار باللسان، والعَمَلُ بالجوارح. أما أبو حَنِيفَةَ فيقصر الإيمان على الرُّكْنِ الأول وهو التَّصَدِيقُ، فسموه مُرْجِئاً، بمعنى أنه أخر العَمَلَ في المرتبة. والفريق الثاني: جُمهُورُ الْمُعْتَزِلَةِ، وذلك لأنه كان يخالفهم في حكم مرتكب الكَبِيرَةِ من المؤمنين، فهم يحكمون على مرتكب الكَبِيرَةِ بالخلود في النار جزماً. أما أبو حَنِيفَةَ فلا يحكم عليه بشيء، ويقول: إن أمره مفوض إلى الله، فسموه مُرْجِئاً، لأنه أخر الحكم عليه ولم يجزم بعقابه.

وقال الشيخ ظَفَرُ التَّهَانَوِيِّ في قَوَاعِدِ فِي عُلُومِ الْحَدِيثِ ص ٢٣٣-٢٣٥ معلقاً على ما نقله عن ابن حَجَرٍ في مُقَدِّمَةِ الْفَتْحِ: (لا يخفى أن الإرجاء بمعنى تأخير القول في الحكم في تصويب إحدى الطائفتين اللتين تقاتلوا بعد عُثْمَانَ ليس من الضلالة في شيء، بل هو والله الورع والاحتياط، والسكوت عما جرى في الصَّحَابَةِ وشجر بينهم أُولَى، فليس كل من أطلق عليه الإرجاء متهماً في دينه وخارجاً عن السُّنَّة، بل لا بد من الفحص عن حاله، فإن كان لإرجائه أمر الصَّحَابَةِ - الذين تقاتلوا فيما بينهم - إلى الله، وتوقفه عن تصويب إحدى الطائفتين فهو من أهل السُّنَّة ومن حزب الـوَرَعين حتماً. ومن أطلق عليه ذَلِكَ التَّأخِيرُ لقوله بعدم إضرار المعاصي فهو الذي يتهم في دينه). ثم أورد كلام التَّفْتَازَانِيِّ في شَرْحِ الْمَقَاصِدِ، وابن حَجَرِ الْمَكِّيِّ في الفصل السابع والثلاثين من كتابه الْخَيْرَاتُ الْحَسَنَاتِ، والآمِدِيِّ، ثم قال: (قلت: وإطلاق الإرجاء من المُحَدِّثِينَ على من لا يقول بزيادة الإيمان ونقصانه، ولا بدخول العَمَلَ في حقيقته، كثير، وهو ليس بطعن في الحقيقة على ما لا يخفى على مَهَرَّةِ الشَّرِيعَةِ، فإن النزاع في ذَلِكَ لفظي، كما حَقَّقَهُ الْمُحَقِّقُونَ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ).

وانظر في الإرجاء: الرفع والتكميل للكنوزي ص ٣٥٢ وما بعدها، وتعليق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة على كتاب قَوَاعِدِ فِي عُلُومِ الْحَدِيثِ ص ٢٣٥-٢٣٩.

إن شاء ويعذب إن شاء، وهو إرجاء بمعنى أنه تأخير للأمر وعدم جزم بالعقاب أو الثواب، وهو مذهب أهل الحق^(١).

فإرجاء العمل من أن يكون من أركان الإيمان الأصلية هو السُّنَّة، وأما الإرجاء الذي يُعدُّ بدعة فهو قول من يقول: لا تضر مع الإيمان معصية. وأصحابنا أبرياء من مثل هذا القول^(٢).

آراء المُرَجَّة

١ - إن الإيمان هو التَّصَدِيقُ بالقلب فقط، أما الأَعْمَالُ الظَّاهِرَةُ فليست جزء من الإيمان. فمن آمن بالله ورسوله وارتكب الكبيرة وترك الفرائض فهو مؤمن.

بل غلا بعض المُرَجَّة فقالوا: (الإيمان الاعتقاد بالقلب وإن أعلن الكفر بلسانه، وعبد الأوثان أو لزم اليهودية والنصرانية في دار الإسلام، وعبد الصليب وأعلن التثليث في دار الإسلام، ومات على ذلك، فهو مؤمن كامل الإيمان عند الله عز وجل، ولي الله عز وجل، من أهل الجنة).

فهم لا يجزمون بكفر النَّصَارَى واليهود، لأن الإيمان محله القلب، ولا يطلع عليه إلا الله، وذلك يدعو إلى مسالة الناس جميعاً^(٣).

(١) شَرْحُ الْمَقَاصِدِ لِلتَّفْتَازَانِيِّ ج ٥ ص ١٥٦ ونقله التَّهَانَوِيُّ فِي قَوَاعِدِ عُلُومِ الْحَدِيثِ ص ٢٣٤. قَالَ النَّسْفِيُّ فِي تَبْصِرَةِ الْأَدِلَّةِ ج ٢ ص ٧٦٦: (كَانَ أَبُو حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ يَسْمَى مُرَجِّئاً لِتَأْخِيرِهِ أَمْرَ صَاحِبِ الْكِبِيرَةِ إِلَى مَشِيئَةِ اللَّهِ. وَالْإِرْجَاءُ هُوَ التَّأْخِيرُ).

(٢) تَأْنِيبُ الْخَطِيبِ لِلْكُوثَرِيِّ ص ٩١ ونقله عنه التَّهَانَوِيُّ فِي قَوَاعِدِ عُلُومِ الْحَدِيثِ ص ٢٣٨.

(٣) فَجَرُ الْإِسْلَامِ ص ٢٨١ ونقل قول غلاة بعض المُرَجَّة عن ابن حزم، ونقله أبو زهرة في تاريخ المذاهب الإسلامية ص ١٢٠ عن الفصل لابن حزم، وقول ابن حزم في الفصل ج ٥ ص ٧٣.

وَمِنَ الْمُرْجِئَةِ مَنْ يَقُولُ: مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، وَحَرَّمَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ، وَأَحَلَّ مَا أَحَلَّ اللَّهُ، دَخَلَ الْجَنَّةَ إِذَا مَاتَ، وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ وَقَتَلَ وَشَرَبَ الْخَمْرَ وَقَذَفَ الْمُحْصَنَاتَ، وَتَرَكَ الصَّلَاةَ وَالزَّكَاةَ وَالصِّيَامَ، إِذَا كَانَ مُقِرًّا بِهَا يُسَوِّفُ التَّوْبَةَ، لَمْ يَضُرَّهُ وَقُوعُهُ عَلَى الْكِبَائِرِ وَتَرْكُهُ لِلْفَرَائِضِ وَرُكُوبُهُ الْفَوَاحِشَ.

وَإِنْ فَعَلَ ذَلِكَ اسْتَحْلَالًا كَانَ كَافِرًا بِاللَّهِ مُشْرِكًا، وَخَرَجَ مِنْ إِيْمَانِهِ وَصَارَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ. بِدَلِيلٍ:

أ- قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ - النِّسَاءُ ٤٨ و ١١٦، فَقَالُوا: الْكَافِرُ وَحْدَهُ لَا يَغْفِرُ لَهُ، وَمَا دُونَ الْكُفْرِ مَغْفُورٌ لِأَهْلِهِ.

قَالَ الشَّاعِرُ ثَابِتُ قُطَنَةَ، وَهُوَ مَنْ اشْتَهَرَ عَنْهُ الْقَوْلُ بِالْإِرْجَاءِ، فِي قَصِيدَتِهِ الَّتِي نَقَلَهَا أَحْمَدُ أَمِينٌ فِي فَجْرِ الْإِسْلَامِ ص ٢٨٢ عَنْ كِتَابِ الْأَغَانِي لِأَبِي الْفَرَجِ الْأَصْبَهَانِيِّ:

الْمُسْلِمُونَ عَلَى الْإِسْلَامِ كُلُّهُمْ وَالْمُشْرِكُونَ اسْتَوَوْا فِي دِينِهِمْ قَدَدًا

قَالَ الْمَلْطِيُّ فِي التَّنْبِيهِ وَالرَّدِّ ص ١٤٦: (مِنَ الْمُرْجِئَةِ مَنْ يَقُولُ: مَنْ شَهِدَ شَهَادَةَ الْحَقِّ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَإِنْ عَمَلَ أَيْ عَمَلَ، كَمَا لَا يَنْفَعُ مَعَ الشَّرِكِ حَسَنَةً، كَذَلِكَ لَا يَضُرُّ مَعَ التَّوْحِيدِ سَيِّئَةٌ. وَزَعَمُوا أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَبَدًا وَإِنْ رَكِبَ الْعِظَائِمَ، وَتَرَكَ الْفَرَائِضَ، وَعَمِلَ الْكِبَائِرَ). وَذَكَرَ الْمَلْطِيُّ رَدُّدًا عَلَى هَذَا الْقَوْلِ.

وَقَالَ أَيْضًا فِي ص ١٤٩: (وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: إِنَّ الْإِيْمَانَ مَعْرِفَةٌ بِالْقَلْبِ، لَا فِعْلٌ لِّلِّسَانِ، وَلَا عَمَلٌ بِالْبَدَنِ، وَمَنْ عَرَفَ اللَّهَ بِقَلْبِهِ أَنَّهُ لَا شَيْءَ كَمِثْلِهِ، فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَإِنْ صَلَّى نَحْوَ الْمَشْرِقِ أَوْ الْمَغْرِبِ وَرَبَطَ فِي وَسْطِهِ زُنَّارًا).

وَذَكَرَ الشَّاعِرُ ثَابِتُ قُطَنَةَ، أَنَّ الذَّنْبَ مِثْلَ عَظَمِ لَا يَذْهَبُ بِالْإِيْمَانِ، قَالَ:

وَلَا أَرَى أَنَّ ذَنْبًا بَالِغٌ أَحَدًا مِثْلَ النَّاسِ شَرِكًا إِذَا مَا وَحَدُوا الصَّمَدَا

فَجَرِ الْإِسْلَامِ ص ٢٨٢ عَنْ كِتَابِ الْأَغَانِي لِأَبِي الْفَرَجِ الْأَصْبَهَانِيِّ.

ب- وقوله ﷺ: (من قال لا إله إلا الله دخل الجنة، وإن زنى وإن سرق وقتل) (١).

وكل المُرَجَّة يقولون: إنه ليس في أحد من الكفار إيمان بالله عز وجل (٢).

وأكثر المُرَجَّة لا يُكفِّرون أحداً من المتأولين، ولا يُكفِّرون إلا من أجمعت الأمة على إكفاره (٣).

وقد ردَّت الفرَق الأخرى عليهم، حتى قال الإمام زيد بن علي بن الحسين رضي الله عنهم: (أبرأ من المُرَجَّة الذين أطمعوا الفساق في عفو الله تعالى) (٤).

٢- الإيمان لا يزيد ولا ينقص. وإيمان الملائكة والأنبياء والأئم وعلماء الناس وجهاهم واحد، لا يزيد منه شيء على شيء أصلاً (٥).

قال بعضهم: إن إيمانهم قائم أبداً، لا يزيد، وإن عمل الحسنات العظام وورع في الدين وترك الحرام وحج البيت دائماً وصلّى أبداً أو صام.

ولا ينقص، وإن عمل السيئات والكبائر والفواحش وركب الحرام جاهراً، أو ترك الصلاة ولم يصم ولم يحج أبداً (٦).

(١) التَّنْبِيه والردّ ص ٤٣، وانظر ص ١٤٦.

وفي الجامع الصغير للسيوطي ص ٥٣٦: (من قال لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة)، رواه البزار عن أبي سعيد. وصححه السيوطي.

(٢) مقالات الإسلاميين ج ١ ص ٢٢٢.

(٣) مقالات الإسلاميين ج ١ ص ٢٢٥. وانظر الخلاف في ذلك في: ص ٢٣٢.

(٤) تاريخ المذاهب الإسلامية ص ١٢٢. وانظر: فجر الإسلام ص ٢٩٣.

(٥) التَّنْبِيه والردّ ص ٤٣. وهو قول غيلان الدمشقي. / الفرق بين الفرق ص ٢٠٧. أما غسان المُرَجِّي فقال: يزيد ولا ينقص. / الفرق بين الفرق ص ٢٠٣ والمِلل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ١٣٩.

(٦) التَّنْبِيه والردّ ص ١٥٤ وحكي أقوالاً أخرى لبعض أصنافهم.

٣- لَا يُسْفِكُ دَمَ أَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا دَفَاعاً عَنْ نَفْسِهِ، قَالُوا: وَإِذَا اشْتَبَهَتْ الْأُمُورُ، وَكَفَرَتْ كُلُّ طَائِفَةٍ أُخْتَهَا فِيمَا فَعَلَتْ، أَرْجَأْنَا أَمْرَهُمْ جَمِيعاً إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ.

أما الْجَوْرُ الْبَيِّنُ وَالْأَعْمَالُ الظَّاهِرَةُ فنصدر أَحْكَامَنَا عَلَيْهَا فِي صِرَاحَةٍ، وَبَيِّنِ الْخَطَأَ فِيهَا مِنَ الصَّوَابِ، فَالْخَوَارِجُ أَخْطَؤُوا إِذْ حَكَمُوا عَلَى عَلِيٍّ وَعُثْمَانَ بِالْكَفْرِ، فَإِنَّهُمَا عَبْدَانِ لِلَّهِ لَمْ يُشْرِكَا بِهِ مِنْذُ عَرَفَاهُ، وَلَكِنْ كَانَ بَيْنَهُمَا شَغْبٌ لَمْ يَخْرُجْ بِهِمَا عَنِ الْإِيمَانِ، فَتَتْرَكَ أَمْرَهُمَا لِلَّهِ يَقْدِرُ عَمَلَهُمَا وَيَكْفِيهِ عَلَيْهِ.

وَهَذَا مَا قَالَهُ الشَّاعِرُ ثَابِتٌ قُطْنَةَ فِي قَصِيدَتِهِ^(١).

(١) فجر الإسلام ص ٢٨٢ وأورد قصيدة ثابِتٍ قُطْنَةَ من كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني، منها:

يَا هِنْدُ فَاسْتَمْعِي لِي إِنَّ سِيرَتَنَا	أَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ لَمْ نُشْرِكْ بِهِ أَحَدًا
نَرْجِي الْأُمُورَ إِذَا كَانَتْ مُشَبَّهَةً	وَنَصْدُقُ الْقَوْلَ فِيمَنْ جَارَ أَوْ عَنَدًا
لَا نَسْفِكُ الدَّمَ إِلَّا أَنْ يُرَادَ بِنَا	سَفْكُ الدَّمَاءِ طَرِيقًا وَاحِدًا جَدًّا
مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ فِي الدُّنْيَا فَإِنْ لَهُ	أَجْرُ التَّقِيِّ إِذَا وَفَّى الْحِسَابَ غَدًا
كُلُّ الْخَوَارِجِ مُخْطِئٌ فِي مَقَالَتِهِ	وَلَوْ تَعَبَّدَ فِيمَا قَالَ وَاجْتَهَدَا
أَمَّا عَلِيٌّ وَعُثْمَانُ فَإِنَّهُمَا	عَبْدَانِ لَمْ يُشْرِكَا بِاللَّهِ مُذْ عَبَدَا
وَكَانَ بَيْنَهُمَا شَغْبٌ وَقَدْ شَهِدَا	شَقَّ الْعَصَا وَبَعَيْنَ اللَّهِ مَا شَهِدَا
يَجْزِي عَلِيًّا وَعُثْمَانًا بِسَعْيِهِمَا	وَلَسْتُ أَدْرِي بِحَقِّ آيَةٍ وَرَدَا
اللَّهُ يَعْلَمُ مَاذَا يَحْضُرَانِ بِهِ	وَكُلُّ عَبْدٍ سِيلَقِي اللَّهِ مِنْفَرَدًا

القَدَرِيَّة

القَدَرِيَّة: فِرقة تقول بالقَدَر، أي: إسناد أفعال العباد إلى قَدَرهم^(١)، فالعباد هم الذين يخلقون أفعالهم ويختارونها.

مصدر آرائهم

اختلفوا فيه على قولين:

١- مصدر خارجي، وذلك لأن القَدَرِيَّة نقلوها عن الأفكار النَّصْرَانِيَّة والفلسفة الرُّومَانِيَّة، وذكر أنهم أخذوا من كتابات يوحنا الدَّمَشَقِيِّ في اللاهوت والفلسفة. وهو قول بعض المستشرقين وغيرهم^(٢).

٢- مصدر داخلي، وهو النَّظَر في نصوص القرآن الكريم والسُّنة النَّبَوِيَّة.

فقد وردت آيات ظاهرها الجَبَر مثل:

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ

(١) تَفْسِيرُ الْقَدَرِ لِلْسَيِّدِ الشَّرِيفِ فِي: شَرْحِ الْمَوَاقِفِ ج ٨ ص ٣٧٨. وَعَرَفَهُ الْأَشْعَرِيُّ فِي الْإِبَابَةِ ص ١٩٧ بقوله: (الْقَدَرِيُّ هُوَ مَنْ يَثْبِتُ الْقَدَرَ لِنَفْسِهِ دُونَ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَنَّهُ يَقْدَرُ أَفْعَالَهُ دُونَ خَالِقِهِ، وَكَذَلِكَ هُوَ فِي اللُّغَةِ).

(٢) الْفِرْقُ الْإِسْلَامِيَّةُ فِي بِلَادِ الشَّامِ ص ٢٧ وأشار إلى سبيل، وكارل بروكلمان، وغورديه، واوليري، وفيليب حتي، وأسَد رستم. وبهذا الرأي قال الْغُرَابِيُّ فِي تَارِيخِ الْفِرْقِ الْإِسْلَامِيَّةِ ص ٣٦.

ويوحنا الدَّمَشَقِيُّ هُوَ سَرَجُونُ بْنُ مَنْصُورِ الرُّومِيِّ، مِنْ مَوَالِي مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، تَوَلَّى دِيوَانَ الْخَرَاجِ لِمُعَاوِيَةَ وَابْنِهِ يَزِيدَ وَلِمُعَاوِيَةَ بْنِ يَزِيدَ، وَلَمَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ وَابْنَهُ عَبْدَ الْمَلِكِ، وَفِي أَيَّامِهِ مَاتَ. / الْفِرْقُ الْإِسْلَامِيَّةُ فِي بِلَادِ الشَّامِ ص ٢٧-٢٨.

رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ - هود ٣٤.

وقوله ﷺ في حَدِيثِ جَابِرٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: (لا يؤمن عبدٌ حتى يؤمن بالقَدَرِ خَيْرُهُ وشرُّه، وحتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه).

وفي القرآن آيات ظاهرها الاختيار، وأن الإنسان مسؤول عن عمله مثل:

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ - الكهف ٢٩.

وهذا التفكير في هذه النصوص هو الذي أدى إلى ظهور هذه المشكلة والنقاش فيها. وهذا قول أحمد أمين^(١).

سبب تسمية القَدَرِيَّة

القَدَرِيَّة نسبة إلى القَدَر. وسبب هذه النسبة، مع أنهم نفوا القَدَر (بمعنى العلم والتقدير) عن الله تعالى، هو:

١ - لأنهم حين نفوا القَدَر عن الله تعالى، أثبتوه للعبد، فجعلوا كل شيء لإرادة الإنسان وقدرته المستقلة عن إرادة الله تعالى، فكأنهم أعطوا الإنسان سُلْطَانًا على القَدَر.

فمَعْبَدُ الْجَهَنِّيِّ وهو رأسهم ردَّ على من تعلل في المعصية بالقدر بقوله: (لا قَدَر والأمرُ أنْفٌ)، أي: أن الأمور يستأنف العلم بها، وبالتالي تستأنف إرادتها، وبهذا نفى الإرادة الأزلية والعلم الأزلي، ليخرج فعل الإنسان عن نطاق القدرة الإلهية^(٢).

(١) فجر الإسلام ص ٢٨٣-٢٨٤. ونقله د. حُسَيْنُ عطوان في المصدر السابق ص ٢٩.

(٢) تاريخ المذاهب الإسلامية ص ١١٠-١١١.

في صَحِيحِ مُسْلِمٍ، أول كتاب الإيمان: (عن ابن بُرَيْدَةَ، عن يَحْيَى بن يَعْمَرٍ، قال: كان أول من قال في القَدَر بالبصرة مَعْبَدُ الْجَهَنِّيِّ، فانطلقت أنا وحُمَيْدُ بن عبد الرَّحْمَنِ الْجَمِيرِيُّ حَاجِّينَ أو مُعْتَمِرِينَ، فقلنا: لو لَقِينَا أَحَدًا من أصحاب رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فسألناه عما يقول هؤلاء في القَدَر، فوفق لنا عبدُ الله بن عُمَرُ بن الخطَّاب داخلًا المسجد، فاكتنفتُهُ أنا وصاحبي، أَحَدُنَا

٢- القدرية من قبيل النسبة إلى الضد، إذ قد يسمى الشيء بضده^(١)، كسمية الأعمى بالبصير، فهم نسبوا إلى القدر وهم نفاته.

رجال القدرية

رُوي عن الأوزاعي: أن أول من نطق في القدر رجل من أهل العراق، يقال له: سُوسن، كان نصرانياً فأسلم، ثم تنصر، فأخذ عنه معبد الجهني، وأخذ غيلان عن معبد^(٢).

فكان معبد أول من تكلم في القدر^(٣)

عن يمينه والآخر عن شماله، فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إليّ، فقلت: أبا عبد الرحمن إنه قد ظهر قبلنا ناسٌ يقرؤون القرآن ويتفقرون العلم، وذكر من شأنهم، وأنهم يزعمون أن لا قدر، وأن الأمر أنف. قال: فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم، وأنهم براء مني. والذي يخلف به عبد الله بن عمر، لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه، ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر، ثم قال: حدّثني أبي عمر بن الخطّاب...، وساق حديث جبريل في الإيمان والإسلام والإحسان، وفيه: (وتؤمن بالقدر خيره وشره).

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية ص ١١١.

(٢) تهذيب الكمال ج ٧ ص ١٦٩ وتهذيب التهذيب ج ٤ ص ١١٦. ونحوه ما ذكره ابن نباتة في سرح العيون ص ٢٩٠. ونقله عن ابن نباتة كل من: أحمد أمين في فجر الإسلام ص ٢٨٥ ومحمد أبو زهرة في تاريخ المذاهب الإسلامية ص ١١١.

وقال المزي في تهذيب الكمال: (معبد الجهني البصري، يقال: إنه ابن عبد الله بن عكيم الجهني، ويقال: ابن عبد الله بن عويمر، ويقال: ابن خالد. والصحيح أنه لا ينسب).

(٣) تهذيب الكمال السابق، وفيه: هو قول أبي حاتم وأبي زرعة والغساني. وفي هامشه: نقله مُحَقِّقُهُ عن البخاري في الضعفاء الصغير وابن حبان في المجروحين، والذهبي في الميزان.

وزاد ابن حجر في تهذيب التهذيب ج ٤ ص ١١٦-١١٧ عن الدارقطني. وتقريب التهذيب ص ٥٣٩ والذهبي: الكاشف ج ٢ ص ٢٧٩ والمعارف لابن قتيبة ص ٤٨٤ في ترجمة غيلان. ونسبه إلى القدرية: ابن قتيبة أيضاً في المعارف ص ٥٤٧ و٦٢٥.

بِالْبَصْرَةِ^(١). وهو من التَّابِعِينَ^(٢)، ثِقَّةٌ فِي الْحَدِيثِ^(٣)، لَكِنَّهُ كَانَ رَأْسًا فِي الْقَدَرِ^(٤)، فَحَذَّرَ الْعُلَمَاءُ مِنْهُ^(٥). قَتَلَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ بِدِمَشْقَ سَنَةَ ٨٠ هـ^(٦).

وَعَيَّلَانَ الدَّمَشَقِيِّ^(٧)، كَانَ وَالِدُهُ مَوْلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ^(٨).

أَخَذَ الْقَوْلَ بِالْقَدَرِ عَنْ مَعْبَدِ الْجُهَنِيِّ كَمَا قَدَمْنَا آنِفًا عَنْ الْأَوْزَاعِيِّ^(٩).

(١) تَهْذِيبُ الْكَمَالِ السَّابِقِ عَنْ أَبِي حَاتِمٍ، وَكَذَا تَهْذِيبُ التَّهْذِيبِ، وَتَقْرِيبُ التَّهْذِيبِ، وَالْكَاشَفُ، السَّابِقَةُ.

فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ، أَوَّلُ كِتَابِ الْإِيمَانِ: عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ قَالَ: كَانَ أَوَّلُ مَنْ قَالَ فِي الْقَدَرِ بِالْبَصْرَةِ مَعْبَدُ الْجُهَنِيِّ.

(٢) تَهْذِيبُ الْكَمَالِ السَّابِقِ عَنْ ابْنِ سَعْدٍ، وَكَذَا فِي تَهْذِيبِ التَّهْذِيبِ السَّابِقِ عَنْ ابْنِ سَعْدٍ وَالْعَجَلِيِّ.

(٣) تَهْذِيبُ الْكَمَالِ السَّابِقِ، وَفِيهِ: وَثَّقَهُ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ، وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ: كَانَ صَدُوقًا فِي الْحَدِيثِ. وَقَالَ ابْنُ حَجَرٍ فِي تَهْذِيبِ التَّهْذِيبِ ج ٤ ص ١١٧: قَالَ الْعَجَلِيُّ: ثِقَّةٌ كَانَ لَا يُتَّهَمُ بِالْكَذِبِ. وَفِي تَقْرِيبِ التَّهْذِيبِ ص ٥٣٩: صَدُوقٌ مُبْتَدِعٌ. وَقَالَ الذَّهَبِيُّ فِي الْكَاشَفِ ج ٢ ص ٢٧٩: صَدُوقٌ.

(٤) تَهْذِيبُ الْكَمَالِ السَّابِقِ عَنْ أَبِي حَاتِمٍ، وَفِي هَامِشِهِ: عَنِ الْجَوْزْجَانِيِّ فِي أَحْوَالِ الرِّجَالِ. وَنَقَلَهُ ابْنُ حَجَرٍ فِي تَهْذِيبِ التَّهْذِيبِ ج ٤ ص ١١٧ عَنِ الْجَوْزْجَانِيِّ.

(٥) تَهْذِيبُ الْكَمَالِ السَّابِقِ عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ وَطَاوُسٍ وَغَيْرِهِمَا. وَتَهْذِيبُ التَّهْذِيبِ السَّابِقِ.

(٦) تَهْذِيبُ الْكَمَالِ السَّابِقِ عَنِ الْعَسَائِيِّ وَسَعِيدِ بْنِ كَثِيرٍ وَغَيْرِهِ، وَتَهْذِيبُ التَّهْذِيبِ، وَالْكَاشَفُ، السَّابِقَانِ.

(٧) الْكَامِلُ فِي التَّارِيخِ ج ٥ ص ٢٦٣ وَفِيهِ: أَنَّ اسْمَ أَبِيهِ: يُؤُسُّ أَوْ مُسْلِمٌ. وَكُنْيَةُ عَيَّلَانَ هِيَ أَبُو مَرْوَانَ. وَسَرَحُ الْعُيُونِ ص ٢٨٩ وَفِيهِ: عَيَّلَانَ بْنُ يُؤُسٍّ. وَالْمُنْيَةُ وَالْأَمَلُ ص ١٣٧ وَفِيهِ: إِنَّ اسْمَ أَبِيهِ هُوَ: مُسْلِمٌ أَوْ مَرْوَانَ. وَفِي الْمَعَارِفِ لِابْنِ قُتَيْبَةَ ص ٤٨٤: كَانَ يَكْنَى أَبُو مَرْوَانَ.

(٨) سَرَحُ الْعُيُونِ، وَالْمُنْيَةُ وَالْأَمَلُ، السَّابِقَانِ.

(٩) قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ فِي الْمَعَارِفِ ص ٤٨٤: (كَانَ قَدَرِيًّا لَمْ يَتَكَلَّمْ أَحَدٌ فِي الْقَدَرِ قَبْلَهُ وَدَعَا إِلَيْهِ إِلَّا

اختاره عبد الملك بن مروان مؤدباً لولده سعيد.

وقربه عمر بن عبد العزيز، واستمع إلى مواعظه، لكن عمر جفاه حين ظهرت مقالته بالقدر، بعد أن ناقشه واستتابه، فأمسك عن الكلام فيه.

ثم كان من خاصة هشام بن عبد الملك، وفي أيامه رجع إلى القول بالقدر، ودعا إليه، وكان ينكر سياسة بني أمية، فقتله هشام أخيراً^(١)، وذلك بعد سنة ١٠٥هـ^(٢).

قال الأوزاعي: قدم علينا غيلان القدري في خلافة هشام بن عبد الملك، فتكلم غيلان وكان رجلاً مفوهاً، ثم أكثر الناس الواقعة فيه والسعاية بسبب رأيه في القدر، وأحفظوا هشام بن عبد الملك عليه، فأمر بقطع يديه ورجليه وقلبه وصلبه^(٣).

وقدّمنا أن من رجال المرجئة القدرية مع غيلان أيضاً: أبو شمر، ومحمد بن

معبّد الجهنّي... وروى بسنده عن الأوزاعي أنه قال: أول من تكلم في القدر معبّد الجهنّي، ثم غيلان بعده).

وفي المنيّة والأمل السابق: أخذ المذهب عن الحسن بن محمد بن الحنفية. قال ابن نباتة في سرح العيون ص ٢٨٩: وغيلان أول من تكلم في القدر.

(١) الفرق الإسلامية في بلاد الشام ص ٣٥. وانظر: الكامل ج ٥ ص ٢٦٣.

وأورد مناقشة عمر بن عبد العزيز لغيلان وصاحبه: الملقط في التنبيه والرد ص ١٦٨ وابن نباتة السابق ص ٢٩٠، ونحوها في فجر الإسلام ص ٢٨٥ وتاريخ المذاهب الإسلامية ص ١١٢. وأشار إليها الغرابي في تاريخ الفرق ص ٤٠ نقلاً عن ابن نباتة.

وبعض الروايات تشير إلى أن سبب قتله هو قوله بالقدر، وتشير روايات أخرى إلى أن قتله كان سياسياً كرواية ابن المرتضى في المنيّة والأمل.

وذكر ابن قتيبة في المعارف ص ٤٨٤ مقتل عليّ بن هشام بن عبد الملك.

(٢) الأعلام للزركلي ج ٥ ص ١٢٤. وذكر أن المصادر لم تؤرخ مقتله، وحدّد هذا التاريخ بناءً على أن الذي صلبه هو هشام بن عبد الملك، وخلافته كانت سنة ١٠٥هـ.

(٣) فجر الإسلام ص ٢٨٥.

شَيْب، وصالح قُبَّة.

كان غَيْلَان الدَّمَشْقِيَّ وصالح بن سُؤَيْد من زعماء القَدَرِيَّة، بَشَّرَ بِالْمَذْهَبِ وانتصرا له. فَقَادَ القَدَرِيَّةَ بعدهما رؤساء كثيرون في خِلَافَةِ الوَلِيد بن يَزِيد بن عبد الملك، وانتصر لهم يَزِيد بن الوَلِيد بن عبد الملك، واستوعبهم، وجنَّدَهم لعزل ابن عمه الوَلِيد بن يَزِيد وخلعه.

قال الشَّافِعِيُّ: (لما ولي يَزِيد بن الوَلِيد دعا الناس إلى القَدَر، وحلهم عليه، وقَرَّبَ أصحاب غَيْلَان).

واعتنق مَذْهَبَ القَدَرِيَّةِ جماعات من القبائل الرَّبَعِيَّة واليَمَانِيَّة الشَّامِيَّة المخالفة لبني أُمَيَّة، لأنهم أبعادوا عن المناصب السياسية الكَبِيرَةَ.

لَكِنَّهُمْ بعد موت يَزِيد بن الوَلِيد تقلَّص سُلْطَانُهُمْ، وضَيَّقَ عليهم مَرْوَان بن مُحَمَّد، لاَعْتِقَادَهُ أَنَّهُمْ هم الذين قتلوا الوَلِيد بن يَزِيد، وفرَّ منهم البعض وانضم إلى الدعوة العَبَّاسِيَّة^(١).

ونقل المؤرخون بعض المناقشات معهم:

فحاور عُمَر بن عبد العَزِيز غَيْلَان وصالحاً.

وحاور إِيَّاس بن مُعَاوِيَةَ الفَقِيه البَصْرِيَّ غَيْلَان في مجلس عُمَر بن عبد العَزِيز.

وجادل هِشَام بن عبد الملك غَيْلَان، واستعان ببعض الفُقَهَاء عليه مثل: مَيْمُون بن مِهْرَان فقيه الجزيرة، والأَوْرَاعِيَّ فقيه الشَّام. وجادله رِبِيعَةُ الرَّأْي فقيه المَدِينَةِ، المُتَوَفَّى سنة ١٣٦ هـ.

وردَّ عليهم العُلَمَاء، وكتب عُمَر بن عبد العَزِيز بلزوم استتابتهم، فإن تابوا خُلِّيَ

(١) الفَرَقُ الإِسْلَامِيَّةُ في بلاد الشَّام ص ٤١ وما بعدها، وأورد أساء عدد كَبِير من زعماء تلك القبائل.

سَيِّلَهُمْ وَإِلَّا تُفُوا مِنْ دِيَارِ الْمُسْلِمِينَ.

واستحسن فقهاء الشام قتل غيلان، منهم: رجاء بن حيوة، وعبدادة بن نسي، ونمير بن أوس الأشعري^(١).

آثار القدرية

وبعد مكافحة الخلفاء لهم، ومحاربة علماء أهل السنة إياهم، هل ذابت آثارهم؟ في ذلك قولان:

١ - ذابت آثارهم، ولم تبق لهم شخصية مستقلة، لكن بقيت آراؤهم في أفكار المعتزلة، وكثيراً ما يسمى المعتزلة بالقدرية. وهو قول أحمد أمين^(٢).

٢ - إن هذا المذهب لم يمت ولم يذب في غيره، بل دام بعد ذلك بين أهل البصرة قروناً طويلاً، وتحول عند طائفة منهم إلى ما يشبه مذهب الثنوية الذين جعلوا العالم محكوماً بقوتين: النور والظلمة، وجعلوا الخير إلى النور، والشر إلى الظلمة.

فالقدرية نسبوا إلى الله فعل الخير، ولأنفسهم فعل الشر، من غير أن يكون لله إرادة، بل معاندين ذلك إرادته. وهو قول الشيخ أبي زهرة^(٣).

(١) الفرق الإسلامية في بلاد الشام ص ٥٧ وما بعدها.

في سرح العيون لابن نباتة ص ٢٩٠: (روي أن غيلان وقف يوماً على ربيعة، فقال له: أنت الذي تزعم أن الله يحب أن يعصى؟ فقال له ربيعة: أنت الذي تزعم أن الله يعصى قسراً).

وأورد ابن نباتة بعض أخباره مع عمر بن عبد العزيز ومكحول وهشام بن عبد الملك والأوزاعي.

(٢) فجر الإسلام ص ٢٨٧، ونقله عنه د. حسين عطوان في: الفرق الإسلامية في بلاد الشام ص ٧٩.

(٣) تاريخ المذاهب الإسلامية ص ١١٥.

وَيَدُلُّ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ تِلْكَ الْمُنَاطَرَةُ الَّتِي ذَكَرَهَا ابْنُ قَيْمٍ الْجَوْزِيَّةَ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٧٥١ هـ، وَإِنْ كَانَتْ صَوْرِيَّةً، وَالتِّي ذَكَرَهَا فِي كِتَابِهِ شِفَاءَ الْعَلِيلِ، وَالتِّي يَقَرُّرُ بِهَا رَأْيُ شَيْخِهِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٧٢٨ هـ أَنَّ أَعْمَالَ الْعَبْدِ تَسْنَدُ إِلَيْهِ، وَأَنَّ الْخَالِقَ لَهَا هُوَ اللَّهُ تَعَالَى^(١).

آرَاءُ الْقَدَرِيَّةِ

لِرِجَالِ الْقَدَرِيَّةِ آرَاءُ ذَكَرْتَهَا كُتُبُ الْمَقَالَاتِ وَالْفِرَقِ، يَخْتَلِفُ بَعْضُهُمْ عَنِ الْآخَرِ فِيهَا، وَمِنْ أَشْهَرِهِمْ غِيْلَانُ، وَمِنْ آرَائِهِ:

١ - الْقَدَرُ خَيْرُهُ وَشَرُّهُ مِنَ الْعَبْدِ^(٢).

فَهُوَ يَقُولُ بِالْإِخْتِيَارِ، أَي: أَنَّ الْعَبْدَ قَادِرٌ عَلَى أَعْمَالِ نَفْسِهِ، فَهُوَ الَّذِي يَأْتِي الْخَيْرَ بِإِرَادَتِهِ وَقُدْرَتِهِ، وَيَتْرَكُ الشَّرَّ، أَوْ يَفْعَلُهُ بِإِخْتِيَارِهِ أَيْضًا، وَلَيْسَ لِلْقَدَرِ سُلْطَانٌ عَلَيْهِ^(٣).

لِذَلِكَ ذَهَبَ الْقَدَرِيَّةُ إِلَى إِثْبَاتِ الْقُدْرَةِ لِلْعَبْدِ فِي إِثْبَاتِ الْخَلْقِ وَالْإِيجَادِ، وَأَنَّهُ لَا يَحْتَاجُ فِي ذَلِكَ إِلَى مُعَاوَنَةٍ مِنْ جِهَةِ اللَّهِ تَعَالَى^(٤). فَهُوَ مُخَيَّرٌ غَيْرُ مُسَيَّرٍ.

وَيُؤَافِقُهُ الْمُعْتَزِّلَةُ بِهَذَا الْقَوْلِ.

٢ - الْإِيمَانُ هُوَ الْمَعْرِفَةُ الثَّانِيَّةُ بِاللَّهِ (أَي: الْمَعْرِفَةُ الْمَكْتَسِبَةُ، أَي: النَّاشِئَةُ عَنِ النَّظَرِ وَالِاسْتِدْلَالِ)، وَالْمَحَبَّةُ وَالْخُضُوعُ لَهُ وَالْإِقْرَارُ بِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ وَبِمَا جَاءَ بِهِ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(١) تَارِيخُ الْمَذَاهِبِ الْإِسْلَامِيَّةِ ص ١١٦. وَانْظُرْ: كِتَابُ شِفَاءِ الْعَلِيلِ لِابْنِ الْقَيْمِ ص ٢٨٢. وَأَشَارَ إِلَيْهَا مُحَمَّدٌ سَلَامٌ مَذْكُورٌ فِي مَنَاهِجِ الْجَهْدِ ص ٤٩٣.

(٢) الْمِلَلُ وَالنَّحْلُ لِلشَّهْرَسْتَانِيِّ ج ١ ص ١٤٠ وَقَدِمْنَا أَنَّ غِيْلَانَ مِنْ مُرْجَةِ الْقَدَرِيَّةِ.

(٣) تَارِيخُ الْفِرَقِ الْإِسْلَامِيَّةِ لِلْعُرَاقِيِّ ص ٣٣.

(٤) خِطَطُ الْمَقْرِيزِيِّ ج ٢ ص ٣٤٩.

أما المعرفة الأولى فهي فطرية ضرورية كعلمه بأن للعالم صانعاً، وهذه المعرفة لا تسمى إيماناً^(١).

وغيلان تابع قول أبي ثوبان المُرْجِي وأتباعه، كما قال الشَّهْرَسْتَانِي^(٢).

فالعبد إذا حقق الإيمان بالقول والمعرفة فلا يكون مطالباً بعد هذا بالعمل، إلا على سبيل التراخي، وأن هذا التراخي لا يضر إيمانه، لأنه تحقق بالقول والمعرفة^(٣). وهو يوافق المُرْجِيَّة بهذا القول.

٣- الإيمان لا يزيد ولا ينقص، ولا يتفاضل الناس فيه^(٤). وهذا هو قول المُرْجِيَّة.

٤- القرآن مخلوق^(٥)، وليس قديماً. وبهذا قال المَعْتَزَلَة.

(١) الملل والنحل للشَّهْرَسْتَانِي ج ١ ص ١٤٣.

(٢) الملل والنحل للشَّهْرَسْتَانِي ج ١ ص ١٤٠.

ومقالة أبي ثوبان هي: أن الإيمان هو الإقرار والمعرفة بالله وبرسله وبكل ما يجب في العقل فعله، وما جاز في العقل أن لا يفعل فليست المعرفة به من الإيمان. / الفرق بين الفرق ص ٢٠٤ ومقالات الإسلاميين ج ١ ص ٢١٦ والملل والنحل للشَّهْرَسْتَانِي ج ١ ص ١٣٩ والمواقف ج ٨ ص ٣٩٧ وخطط المقرئ ج ٢ ص ٣٥٠.

فأوجب الإيمان بالعقل قبل ورود الشرع بوجوبه. / الفرق بين الفرق، وخطط المقرئ، السابقان.

وأخر العمل كله عن الإيمان. / الملل والنحل للشَّهْرَسْتَانِي، والمواقف، السابقان.

(٣) تاريخ الفرق الإسلامية للغرابي ص ٣٣-٣٤.

(٤) الفرق بين الفرق ص ٢٠٧.

(٥) سرح العيون ص ٢٨٩ وفيه: وغيلان أول من تكلم في القدر وخلق القرآن في الإسلام. والفرق الإسلامية في بلاد الشام ص ٣٧ عن ابن نباتة، وتاريخ الفرق الإسلامية للغرابي ص ٣٤.

٥- نفي الصفات ^(١) الثُّبُوتِيَّة، كالعلم والقدرة والإرادة، أي: أن هَذِهِ الصفات عَيْنُ الذات وليست غيرها.

لذا سماه الْأَشَاعِرَةُ بِالْمَعْطَلِّ، والتعطيل عند الْأَشَاعِرَةِ هو نفي الصفات. أما الْمُعْتَزَلَةُ فهم يقولون بأنه من القائلين بِتَوْحِيدِ اللَّهِ وَعَدْلِهِ، ومعْنَى التَّوْحِيدِ عند الْمُعْتَزَلَةِ هو عدم القول بأن الصفات الثُّبُوتِيَّة غير الذات، بل هي عينها ^(٢). ونفي الصفات هو قول الْمُعْتَزَلَةِ.

٦- الْإِمَامَةُ تَصْلُحُ فِي غَيْرِ قُرَيْشٍ، وكل من كان قائماً بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ كان مستحقاً لها، وإنها لا تثبت إِلَّا بِإِجْمَاعِ الْأُمَّةِ ^(٣). وَغَيْلَانُ يُوَافِقُ الْخَوَارِجَ بِهَذَا الْقَوْلِ.

(١) المصادر السَّابِقَةُ.

(٢) تاريخ الْفِرَقِ الْإِسْلَامِيَّةِ لِلْغُرَابِيِّ السَّابِقِ. وذكر قوله بِالْعَدْلِ وَالتَّوْحِيدِ ابْنَ الْمُرْتَضَى فِي الْمُنْيَةِ وَالْأَمَلِ ص ١٣٧ وأشار إِلَيْهِ الْغُرَابِيُّ بِالْهَامِشِ.

التعطيل: اضْطِرَاحٌ وَضَعَهُ السَّلَفُ وَضَمًّا لِلْمُعْتَزَلَةِ وَسَالِفِيهِمْ، ومعناه: إنكار الصفات القديمة القائمة بالذات. / نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ج ١ ص ٣٣١.

(٣) الْمَلِكُ وَالنَّحْلُ لِلشَّهْرَسْتَانِيِّ ج ١ ص ١٤٠ وتاريخ الْفِرَقِ الْإِسْلَامِيَّةِ لِلْغُرَابِيِّ السَّابِقِ.

الجبرية

الجبر: هو نفي الفعل حقيقةً من العبد، وإضافته إلى الرب تعالى^(١).

والجبرية: هم القائلون بأن الإنسان مُسَيَّر غير مُخَيَّر.

وأشهر رجال الجبرية هو: الجعد بن درهم، وهو من التابعين^(٢)، الموالى^(٣). أصله من خراسان^(٤)، وقيل من أهل حرّان^(٥). كان يسكن دمشق^(٦)، ويُعلم مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية، فنسب إليه، فقيل له: مروان الجعدي^(٧). ويُروى أن أم مروان كانت أمة، وكان الجعد أخاها^(٨).

والجعد أول من تكلم بخلق القرآن من أمة محمد ﷺ بدمشق، فطلبه بنو أمية،

(١) الملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ٧٢ واعتقادات فرق المسلمين ص ١٠٣ والفرق الإسلامية للكرماني ص ٨٩. وقال الإيجي في المواقف ج ٨ ص ٣٩٨: (الجبر: إسناد فعل العبد إلى الله).

(٢) ميزان الاعتدال ج ١ ص ٣٩٩ ونقله ابن حجر في لسان الميزان ج ٢ ص ١٠٥.

(٣) قيل: هو مولى سويد بن غفلة. / الأنساب للسمعي ج ٣ ص ٢٦٥ واللباب لابن الأثير ج ١ ص ٢٨٢.

وقيل: هو مولى بني مروان بن الحكم. / سرح العيون ص ٢٩٣ والبداية والنهاية ج ٩ ص ٣٥٠.

(٤) البداية والنهاية السابق.

(٥) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر: ابن منظور ج ٦ ص ٥٠.

(٦) مختصر تاريخ دمشق، وسرح العيون، والبداية والنهاية، والأنساب للسمعي، السابقة.

(٧) سرح العيون السابق. وانظر: الأنساب للسمعي، ومختصر تاريخ دمشق، والبداية والنهاية، السابقة، والفهرست لابن النديم ص ٤٧٢.

(٨) سرح العيون السابق.

فهرب من دِمَشْق وسكن الكُوفَةَ، فلقية جَهْم بن صَفْوَانَ، وأخذ عنه القول بخلق القرآن^(١).

أخذ الجَعْدُ بن دِرْهَم بدعته من بَيَّان بن سَمْعَانَ، وأخذها بَيَّان عن طالوت ابن أُخْت لَبِيد بن أَعْصَم زوج ابنته، وأخذها لَبِيد بن أَعْصَم الساحر الذي سحر رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عن يَهُودِيٍّ بِالْيَمَنِ^(٢). وقيل أخذها من الصابئة الفَلَّاسِيفَة من أهل حَرَّان^(٣).

قتله خالد بن عبد الله القَسْرِيّ، وَالِي هِشَام بن عبد الملك على العِرَاق، يوم الأضحى سنة ١٢٤ هـ^(٤)، بالكُوفَة^(٥)، وقيل بَوَاسِط^(٦). وهما بلدان قد يذكر أحدهما فيراد به الآخر، لتقاربهما.

وكان ذَلِكَ بعد استفتاء عُلَمَاء زمانه من السَّلَف الصالح^(٧).

ومن آراء الجَعْد بن دِرْهَم:

١ - قوله بخلق القرآن^(٨)، قالوا: هو أول من قال بِذَلِكَ من أُمَّة مُحَمَّد ﷺ

(١) سَرَحُ الْعُيُونِ، وَمُخْتَصَرُ تَارِيخِ دِمَشْق، وَالبِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ، السَّابِقَةُ. وذكر عبد الرَّحْمَنِ بن أَبِي حَاتِمٍ عن أبيه أن الجَعْدَ أول من أتى بخلق القرآن سنة ثَيْفٍ وعشرين ومائة. / سَرَحُ أَصُولِ اعْتِقَادِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ ج ٣ ص ١٦.

(٢) البِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ ج ٩ ص ٣٥٠ نَقْلًا عن ابن عَسَاكِرٍ وغيره. وانظر: مُخْتَصَرُ تَارِيخِ دِمَشْق ج ٦ ص ٥١ وفيه: أَبَان بن سَمْعَانَ.

(٣) سَرَحُ الْعَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّةِ لابن أَبِي الْعِزِّ ص ٧٩٥.

(٤) مُخْتَصَرُ تَارِيخِ دِمَشْق السَّابِقِ. وانظر: الْأَنْسَابَ لِلسَّمْعَانِيِّ، وَالبُّبَابَ لابن الْأَثِيرِ، وَسَرَحُ الْعُيُونِ، وَالبِدَايَةَ وَالنِّهَايَةَ، وَالفَهْرِسْتَ لابن النَّدِيمِ، السَّابِقَةُ، وَشَذَرَاتُ الذَّهَبِ ج ١ ص ١٦٩.

(٥) مُخْتَصَرُ تَارِيخِ دِمَشْق، وَسَرَحُ الْعُيُونِ، وَالبِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ، السَّابِقَةُ.

(٦) الْأَنْسَابَ لِلسَّمْعَانِيِّ، وَشَذَرَاتُ الذَّهَبِ، السَّابِقَانِ.

(٧) سَرَحُ الْعَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّةِ لابن أَبِي الْعِزِّ ص ٧٩٤.

(٨) مُخْتَصَرُ تَارِيخِ دِمَشْق ج ٦ ص ٥٠ وَسَرَحُ الْعُيُونِ ص ٢٩٣ وَالبِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ ج ٩ ص ٣٥٠. وفي الكَامِلِ لابن الْأَثِيرِ ج ٥ ص ٢٦٣: أظهر مقالته بخلق القرآن أيام هِشَام بن عبد الملك.

بدمشق^(١).

٢- قوله بنفي الصفات، قالوا: الجعد من أول من نفى الصفات^(٢).

فزعم أن الله تعالى لم يتخذ إبراهيم خليلاً، ولم يكلم موسى تكليماً^(٣). وكان الجعد يكثر من سؤال وهب بن منبه عن صفات الله تعالى، فحذره وهب قائلاً له: إني لأظنك من الهالكين، لو لم يخبرنا الله في كتابه أن له يداً ما قلنا ذلك، وأن له عيناً ما قلنا ذلك...^(٤).

قال غيلان الدمشقي: كلمت جعداً فوجدته معطلاً^(٥).

لذلك: عد مبتدعاً ضالاً^(٦)، وضالاً مضالاً^(٧).

ولم يبق للجعد من الآراء إلا القليل.

ولكن تلميذه الجهم بن صفوان هو الذي نسبت إليه آراء الجبرية، حتى أطلقوا اسم (الجهمية) على الجبرية.

(١) سرح العيون السابق.

(٢) شذرات الذهب ج ١ ص ١٦٩.

(٣) الأنساب للسمعي ج ٣ ص ٣٩٣ ومختصر تاريخ دمشق ج ٦ ص ٥١ والكمال ج ٥ ص ٢٦٣ وسرح العيون ص ٢٩٤ وميزان الاعتدال ج ١ ص ٣٩٩ ونقله عنه ابن حجر في لسان الميزان ج ٢ ص ١٠٥. وذكر ابن كثير في البداية والنهاية ج ٩ ص ٣٥٠ ذلك عن البخاري وابن أبي حاتم والبيهقي وعبد الله بن أحمد وابن عساكر. وانظر: شذرات الذهب السابق.

(٤) البداية والنهاية السابق.

(٥) الفرق الإسلامية في بلاد الشام ص ٨٦ نقلاً عن أنساب الأشراف.

وتقدم في آراء القدرية معنى التعطيل وهو نفي الصفات.

(٦) ميزان الاعتدال السابق، ونقله عنه ابن حجر في لسان الميزان السابق.

(٧) مغني الضعفاء ج ١ ص ١٣١ رقم ١١٢٨ ونقله عنه ابن العماد في شذرات الذهب ج ١ ص ١٦٩.

وَجَهُمُ بْنُ صَفْوَانَ الرَّاسِبِيِّ، كُنْيَتُهُ أَبُو مُحَرَّرٍ، وَهُوَ مَوْلَى بَنِي رَاسِبٍ مِنَ الْأَزْدِ^(١).
وَلَقِبَ بِالسَّمَرَقَنْدِيِّ^(٢)، وَالْخَزَرِيِّ^(٣)، وَالتَّرْمِذِيِّ^(٤). قِيلَ: إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ بَلْخٍ ظَهَرَتْ
بِدْعَتُهُ بِتَرْمِذٍ^(٥).

أَخَذَ مَقَالَتَهُ مِنَ الْجَعْدِ بْنِ دِرْهَمٍ^(٦).

وَقِيلَ: اشْتَقَّ كَلَامَهُ مِنْ كَلَامِ السُّمَنِیَّةِ، وَهُمْ صَنَفٌ مِنَ الْعَجَمِ بِنَاحِيَةِ خُرَاسَانَ،
وَكَانُوا شَكَّكَوهُ فِي دِينِهِ حَتَّى تَرَكَ الصَّلَاةَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، وَقَالَ: لَا أَصْلِي لِمَنْ لَا أَعْرِفُهُ، ثُمَّ
اشْتَقَّ هَذَا الْكَلَامَ، وَبَنَى عَلَيْهِ مِنْ بَعْدِهِ^(٧).

- (١) الْفَصْلُ لَابِنْ حَزْمٍ ج ٢ ص ٢٩٦ وَسِيرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ ج ٦ ص ٢٦ وَالْبِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ ج ١٠ ص ٢٦ وَلِسَانُ الْمِيزَانِ ج ٢ ص ١٤٢.
- (٢) الْفَصْلُ لَابِنْ حَزْمٍ السَّابِقِ، وَمِيزَانُ الْأَعْتِدَالِ ج ١ ص ٤٢٦، وَنَقْلُهُ عَنْهُ ابْنُ حَجَرٍ فِي لِسَانِ الْمِيزَانِ السَّابِقِ، وَسِيرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ السَّابِقِ، وَالْمُغْنِي فِي الضَّعْفَاءِ ج ١ ص ١٣٨ رَقْم ١٢٠١.
- (٣) الْبِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ ج ٩ ص ٣٥٠.
- (٤) مُخْتَصَرُ تَارِيخِ دِمَشْقَ ج ٦ ص ٥١ وَالْبَدْءُ وَالتَّارِيخُ ج ٥ ص ١٤٦ وَتَبْصِرَةُ الْأَدْلَةِ ج ٢ ص ٥٩٤ وَالتَّمْهِيدُ لِلْإِمْلِيَّةِ ص ٩٧ وَشَرْحُ الْحُورِ الْعَيْنِ ص ٢٠٠ و ٣٠٩ وَاعْتِقَادَاتُ فِرْقِ الْمُسْلِمِينَ ص ١٠٣ وَالْبِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ السَّابِقِ، وَخَطُّ الْمَقْرِيزِيِّ ج ٢ ص ٣٤٩ وَشَرْحُ الْمَوَاقِفِ لِلسَّيِّدِ الشَّرِيفِ ج ٨ ص ٣٩٨.
- (٥) الْأَنْسَابُ لِلْسَّمْعَانِيِّ ج ٣ ص ٣٩٢، وَفِي الْمِلَلِ وَالنَّحْلِ لِلشَّهْرَسْتَانِيِّ ج ١ ص ٧٣: ظَهَرَتْ بِدْعَتُهُ بِتَرْمِذٍ.
- (٦) سَرْحُ الْعُيُونِ ص ٢٩٣ وَمُخْتَصَرُ تَارِيخِ دِمَشْقَ ج ٦ ص ٥٠ وَالْبِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ ج ٩ ص ٣٥٠ وَشَذَرَاتُ الذَّهَبِ ج ١ ص ١٦٩ وَالْأَنْسَابُ لِلْسَّمْعَانِيِّ ج ٣ ص ٣٩٣ نَقْلًا عَنْ قُتَيْبَةَ بْنِ سَعِيدٍ، وَاللُّبَابُ لَابِنْ الْأَثِيرِ ج ١ ص ٣١٧.
- (٧) التَّنْبِيهُ وَالرَّدُّ ص ٩٩. وَانْظُرْ: شَرْحُ أُصُولِ اعْتِقَادِ أَهْلِ الشُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ ج ٣ ص ١٢ وَشَرْحُ الْعَقِيدَةِ الطَّحَاوِيِّ لَابِنْ أَبِي الْعِزِّ ص ٧٩٥.

وَنَفَى صَحَّةَ هَذِهِ الرِّوَايَةِ النِّشَارُ فِي كِتَابِهِ نَشَأَ الْفِكْرِ الْفَلَسْفِيِّ فِي الْإِسْلَامِ ج ١ ص ٣٣٥ وَرَأَى أَنَّهَا مِنْ وَضْعِ الْحَشَوِيَّةِ عَلَيْهِ، لِأَنَّ جَهْمًا غَالِيًّا فِي التَّنْزِيهِ، وَأَعْدَاؤُهُ الْحَشَوِيَّةَ غَالُوا فِي التَّشْبِيهِ وَالتَّجْسِيمِ.

أقام الجَهْم بِلَخ، وكان يصلي مع مُقاتِل بن سُلَيْمَانَ، المفسّر المشهور، في مسجده، ويتناظران، حتى نفى إلى تَرْمَذ^(١).

وكان مُقاتِل مَثْبَتاً للصفات، وجَهْم نافياً لها^(٢).

اتخذَه الحَارِث بن سُرَيْج التَّمِيمِي كاتباً له وداعياً. ولما اشتد الخلاف بين الحَارِث وبين نَصْر بن سَيَّار أمير مَرَوْ بخراسان، أرسل نَصْر سَلَمَ بن أَحْوَز المازني لقتاله، فقتل جَهْم في المعركة، وقيل: بل وقع أسيراً، فأوقف بين يدي سَلَمَ بن أَحْوَز، فطلب جَهْم العَفْو، فقال له سَلَمَ: (لو ملأت هذه الملاءة كواكب، وأنزلت عيسى بن مريم، ما نجوت، والله ولو كنت في بطني لشققت بطني حتى أقتلك)، فقتله، وكان ذلك في سنة ١٢٨هـ^(٣).

قتله بمرّو^(٤)، على شطّ نهر بِلَخ^(٥)، وقبره بمرّو^(٦).

(١) البداية والنهاية ج ٩ ص ٣٥٠.

(٢) تاريخ الفرق الإسلامية للغرابي ص ٢٢.

(٣) البداية والنهاية ج ١٠ ص ٢٦-٢٧. وعزا ابن حجر في لسان الميزان ج ٢ ص ١٤٢ جواب سَلَمَ إلى نَصْر بن سَيَّار.

وذكر خبر مقتل جَهْم على يد سَلَمَ في: مقالات الإسلاميين ج ١ ص ٣٣٨ والفرق بين الفرق ص ٢١٢ والفصل لابن حزم ج ٢ ص ٢٩٧ والتبصير في الدين ص ٩١ والبدء والتاريخ ج ٥ ص ١٤٦ والملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ٧٣ وشرح الحور العين ص ٣٠٩ والمئنة والأمل ص ١٠٧ والأنساب للسمعاني ج ٣ ص ٣٩٢ واللباب لابن الأثير ج ١ ص ٣١٧ ومختصر تاريخ ابن عساكر ج ٦ ص ٥١ عن الغسيلي، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ج ٣ ص ١٢ و١٤ و١٥ وسير أعلام النبلاء ج ٦ ص ٢٧.

(٤) مقالات الإسلاميين، والبدء والتاريخ، والملل والنحل للشهرستاني، وشرح الحور العين، والبدية والنهاية، والأنساب للسمعاني، السابقة، والفرق الإسلامية للكرمانلي ص ٩٠.

(٥) شرح الحور العين السابق.

(٦) مختصر تاريخ دمشق ج ٦ ص ٥١ عن الغسيلي.

وقيل: قتله سَلَمَ بِأَصْبَهَانَ^(١).

قال ابن المُرتَضَى: وكان وَاصِلُ بن عَطَاءَ بعث إليه تلميذاً له يَنَظُرُهُ فقطعه، وأظهر الرجوع عن مَذْهَبِهِ، ولما رجع إلى البَصْرَةِ عاد جَهْمُ إلى أقواله الفاسدة^(٢). وقال فيه الذَّهَبِيُّ: الضالُّ المبتدع زرع شراً عَظِيماً^(٣). وقال فيه أيضاً بأنه: أَسُّ الضلالة^(٤).

آراء الجَبَرِيَّةِ

يمثل الجَهْمُ بن صَفْوَانَ وأستاذَه الجَعْدُ بن دِرْهَمَ آراءَ فرقة الجَبَرِيَّةِ الخالصة، وهذه الآراء هي:

١ - زعم جَهْمُ أن الإيمان هو المَعْرِفَةُ بالله فقط، وأن الكفر هو الجهل بالله فقط^(٥). والإيمان والكفر لا يكونان إلا في القلب دون غيره من الجوارح.

فإذا عرف الإنسان الله، ثم جحدَه بِلِسَانِهِ، لا يكفر بجحدِهِ، وعَمَلُ الجوارح ليس

(١) مُخْتَصَرُ تَارِيخِ دِمَشْقَ، وَالبِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ، السَّابِقَانِ، وَشَرْحُ أَصُولِ اعْتِقَادِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ ج ٣ ص ١٢.

(٢) الْمُئْنَةُ وَالْأَمَلُ السَّابِقُ.

(٣) مِيزَانُ الِاعْتِدَالِ ج ١ ص ٤٢٦ ونقله عنه ابن حَجَرٍ فِي لِسَانِ الْمِيزَانِ ج ٢ ص ١٤٢ وَفِي الْمُغْنِيِّ فِي الضَعْفَاءِ ج ١ ص ١٣٨: الْمُبْتَدِعُ.

(٤) سِيرَ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ ج ٦ ص ٢٦.

(٥) مَقَالَاتُ الْإِسْلَامِيِّينَ ج ١ ص ٣٣٨ وَص ٢١٤ وَالفَرْقُ بَيْنَ الْفِرْقِ ص ٢١١. وانظر: الْغُنْيَةُ

لِلشَّيْخِ عَبْدِ الْقَادِرِ ج ١ ص ١٠٢. وَقَالَ الْمَقْدِسِيُّ فِي الْبَدْءِ وَالتَّارِيخِ ج ٥ ص ١٤٦: (وَالْإِيمَانُ

بِالْمَعْرِفَةِ وَالْقَلْبُ فَقَطْ دُونَ الْإِقْرَارِ وَالْعَمَلِ). وَقَالَ نَشَوَانٌ فِي شَرْحِ الْحُورِ الْعَيْنِ ص ٣١٠:

(الْإِيمَانُ هُوَ الْمَعْرِفَةُ دُونَ الْإِقْرَارِ وَدُونَ سَائِرِ الطَّاعَاتِ). وَقَالَ ابْنُ الْمُرتَضَى فِي الْمُئْنَةِ وَالْأَمَلِ

ص ١٠٧: (زَعَمُوا أَنَّ الْإِيمَانَ الْمَعْرِفَةُ فَقَطْ). وَقَالَ الْمُقْرِيزِيُّ فِي الْخِطَطِ ج ٢ ص ٣٤٩: (إِنْ مِنْ

عَرَفَ اللَّهُ وَلَمْ يَنْطِقْ بِالْإِيمَانِ لَمْ يَكْفِرْ، لِأَنَّ الْعِلْمَ لَا يَزُولُ بِالصَّمْتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ مَعَ ذَلِكَ).

من الإيـان^(١).

قال ابن حزم: قال جهم: الإيـان عقد بالقلب فقط، وإن أظهر الكفر والتثليث بلسانه، وعبد الصليب في دار الإسلام بلا تقيّة^(٢).
ورُدّ:

بأن هذا القول يعني أن فرعون وقومه كانوا مؤمنين، لأنهم عرفوا الله وجحدوه، قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ - النمل ١٤، وأن إبليس كامل الإيـان، لأنه عرف الله، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ - الحجر ٣٦^(٣).

٢- قال جهم: الإيـان لا يتبعّض، أي: لا ينقسم إلى عقد وقول وعمل، ولا يتفاضل أهله فيه^(٤)، فإيـان الأنبياء وإيـان الأمة على نمط واحد، إذ المعارف لا تتفاضل^(٥).
٣- قال جهم بالإجبار والاضطرار إلى الأعمال، وأنكر الاستطاعات كلها^(٦).

(١) مقالات الإسلاميين ج ١ ص ٢١٤ والملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ٧٤.

(٢) الفصل لابن حزم ج ٢ ص ٢٦٦ وسير أعلام النبلاء ج ٦ ص ٢٧ نقلاً عن ابن حزم.

قال ابن حزم: قال جهم: الإيـان عقد بالقلب، وإن أعلن الكفر بلسانه بلا تقيّة، وعبد الأوثان أو لزم اليهودية أو النصرانية في دار الإسلام، وعبد الصليب، وأعلن التثليث في دار الإسلام، ومات على ذلك، فهو مؤمن كامل الإيـان عند الله عز وجل، وليّ الله تعالى، من أهل الجنة. / الفصل لابن حزم ج ٥ ص ٧٣.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العزّ ص ٤٦٠-٤٦١.

(٤) مقالات الإسلاميين ج ١ ص ٢١٤ والملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ٧٤.

(٥) الملل والنحل للشهرستاني السابق.

(٦) الفرق بين الفرق ص ٢١١ والملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ٧٣ والأنساب

للسمعاني ج ٣ ص ٣٩٣ واعتقادات فرق المسلمين ص ١٠٤ والمواقف وشرحه ج ٨ ص ٣٩٨ وخطط المقرئ ج ٢ ص ٣٤٩.

فلا فعل لأحد في الحقيقة إلا الله وحده. فالله سُبْحَانَهُ هو الفاعل، وإن الناس إنما تنسب إليهم أفعالهم على المجاز، كما يقال: تحركت الشجرة، ودارَ الفلك، وزالت الشمس، وإنما فعل ذلك بالشجرة والفلك والشمس الله سُبْحَانَهُ، إلا أنه خلق للإنسان قوة كان بها الفعل، وخلق له إرادة للفعل واختياراً له منفرداً بذلك، كما خلق له طولاً كان به طويلاً، ولونا كان به متلوناً^(١).

فالإنسان مُسَيَّرٌ غير مُخَيَّرٍ، أي: أن الإنسان مجبور لا اختيار له ولا قدرة، وأنه لا يستطيع أن يعمل غير ما عمل، وأن الله قَدَّرَ عليه أعمالاً لا بد أن تصدر منه، وأن الله يخلق فيه الأفعال كما يخلق في الجهاد.

والله قَدَّرَ لفلان فعل كذا وقَدَّرَ له أن يثاب، وقَدَّرَ على الآخر المعصية وقَدَّرَ أن يعاقب^(٢).

وأكفرت القدرية جَهِماً في قوله بأن الله تعالى خَالِقُ أَعْمَالِ الْعِبَاد^(٣).

(١) مَقَالَاتُ الْإِسْلَامِيِّينَ ج ١ ص ٣٣٨. وانظر: الْفَرْقُ بَيْنَ الْفِرْقِ ص ٢١١ وَأَصُولُ الدِّينِ لِلْبَغْدَادِيِّ ص ٣٣٣ وَالتَّبَصُّيرُ فِي الدِّينِ ص ٩٠ وَتَبْصِرَةُ الْأَدْلَةِ ج ٢ ص ٥٩٤ وَالتَّمْهِيدُ لِلْأَمَشِيِّ ص ٩٧ وَالْمَلَكُ وَالتَّحَلُّ لِلشَّهْرِسْتَانِيِّ السَّابِقِ، وَالبَدْءُ وَالتَّارِيخُ ج ٥ ص ١٤٦ وَشَرْحُ الْحَوَرِ الْعَيْنِ ص ٣١٠ وَالمُنْيَةُ وَالْأَمَلُ ص ١٠٧.

قال جَهِمٌ: إن الإنسان ليس يقدر على شيء، ولا يوصف بالاستطاعة، وإنما هو مجبور في أفعاله، لا قدرة له ولا إرادة ولا اختيار، وإنما يخلق الله تعالى الأفعال فيه على حسب ما يخلق في سائر الجهادات، وينسب إليه الأفعال مجازاً كما ينسب إلى الجهادات، كما يقال: أثمرت الشجرة، وجرى الماء، وتحرك الحجر، وطلعت الشمس، وغربت، وتغيمت السماء، وأمطرت، وأزهرت الأرض، وأنبتت، إلى غير ذلك. والثواب والعقاب جَبَرٌ كما أن الأفعال جَبَرٌ، قال: وإذا ثبت الجبر فالتكليف أيضاً كان جبراً. / الملل والنحل للشَّهْرِسْتَانِيِّ السَّابِقِ، وتاريخ المذاهب الإسلامية ص ١٠٢ نُقْلًا عَنِ الْمَلِكِ وَالتَّحَلُّ لِلشَّهْرِسْتَانِيِّ.

(٢) فجر الإسلام ص ٢٨٦. وانظر: مناهج الاجتهاد في الإسلام ص ٤٩١.

(٣) الْفَرْقُ بَيْنَ الْفِرْقِ ص ٢١٢ وَالتَّبَصُّيرُ فِي الدِّينِ ص ٩١ وَخِطَطُ الْمَقْرِيزِيِّ ج ٢ ص ٣٤٩.

وقد ردّ العلّماء على القول بالجبر، بحُجّة: أنه يدعو إلى التعطيل، وترك العمل والركون إلى القدر^(١)، وأنه لو صح الجبر لبطلت الشرائع، وبطل الأمر والنهي، ويلزم من بطلان ذلك بطلان الثواب والعقاب^(٢).

ورسالة عبد الله بن عباس التي خاطب بها جبرية أهل الشام، ورسالة الحسن بن عليّ بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُمُ التي بعثها إلى قوم من أهل البصرة ادّعوا الجبر، صريحتان في الرد على من يقول بالجبر^(٣)، وتبعهما العلّماء يردون على آرائهم بالتفصيل.

٤- قال جهم بنفي الصفات الإلهية^(٤)، التي تؤدي إلى تشبيهه بمخلوقاته.

قال جهم: لا أقول: إن الله سبحانه شيء، لأن ذلك تشبيه له بالأشياء^(٥).

وامتنع من وصف الله تعالى بأنه حي أو عالم أو مُريد، وقال: لا أصفه بوصف يجوز إطلاقه على غيره كشيء وموجود وحي وعالم ومُريد ونحو ذلك.

(١) فجر الإسلام ص ٢٨٧.

(٢) شفاء العليل لابن القيم ص ٢٦٢، ونقله مُحَمَّد سَلَام مَدْكُور في مناهج الاجتهاد في الإسلام ص ٤٩٢. وانظر: تَبَصُّرَة الأدلّة ج ٢ ص ٥٩٦ وفيه أدلّة أخرى.

(٣) الرسائل ذكرهما ابن المُرْتَضَى في المُنْيَة والأمل ص ١٢٩-١٣٠ وذكرهما أبو زُهْرَة في تاريخ المذاهب الإسلامية ص ١٠٣.

ولابن القيم في كتابه شفاء العليل ص ٢٦٢-٢٨١ مُنَاطَرَة متصوّرة بين جبريّ وسُنّيّ، فيها إلزامات واضحة للجبرية. ذكر بعض فقراتها أبو زُهْرَة في تاريخ المذاهب الإسلامية ص ١٠٦.

(٤) الملل والنحل للشَّهْرَسْتَانِيّ ج ١ ص ٧٣ وسير أعلام النبلاء ج ٦ ص ٢٦ وخطّ المَقْرِزِيّ ج ٢ ص ٣٤٩ و٣٥١ وفجر الإسلام ص ٢٨٧.

(٥) مقالات الإسلاميين ج ١ ص ٣٣٨ والفرق بين الفرق ص ٢١١ والتبصير في الدين ص ٩٠ والأنساب للسَّمْعَانِيّ ج ٣ ص ٣٩٢-٣٩٣ والبَدْء والتاريخ ج ٥ ص ١٤٦ وشرح الحُور العين ص ٢٠٠ وقال المَقْدِسِيّ ونَشْوَان: (ولكنه منشئ الشيء). واعتقادات فرق المسلمين ص ١٠٤.

لَكِنْ وصفه بأنه قَادِرٌ، وموجد، وفاعل، وخَالِقٌ، ومُخْبِيٌّ، ومُؤْمِتٌ، لأن هذه الأوصاف مُخْتَصَّةٌ به وحده^(١).

فأثبت لله صفتي الفعل والخلق فقط، ولا يَصِحُّ أن تتصف المخلوقات بهاتين الصفتين، وإذا انتفى عن المخلوقات هاتان الصفتان لا يكونون مُخْتَارِينَ بل مَجْبُورِينَ في أفعالهم، وهذا أساس قوله بالجبر^(٢).

وبهذا القول وافق القَدَرِيَّةَ، ووَافَقَهُ الْمُعْتَزِلَةُ.

٥- قال جَهْمُ: القرآن مخلوق^(٣).

لأنه قال بحدوث كلام الله تعالى، ولم يسم الله تعالى متكلماً به^(٤). وكان يقول: كلام الله حادث، ولكن لا يجوز أن يسمى متكلماً بكلامه^(٥).

فنفى أن يكون سُبحَانَهُ متكلماً، لأن الكلام من صفات المخلوقات، فلا يوصف الله به لهذا، وأيضاً يلزم من اتصافه بصفة الكلام أن تكون له آلة الكلام، فيكون مشابهاً للحوادث، ومحال على الله مشابته الحوادث، ولما كان القرآن كلاماً وهو مضاف إلى الله سُبحَانَهُ، فلا تكون إضافته له إلا على معنى أنه مخلوق له لا كلام له، لأن هذا يؤدي إلى المشابهة المستحيلة عليه، وإذن يكون القرآن مخلوقاً لله^(٦). وهو قول القَدَرِيَّةِ والمُعْتَزِلَةِ، والجَعْد بن دِرْهَم من الجَبَرِيَّةِ.

(١) الفرق بين الفرق، والتبصير في الدين، السابقان، والملل والنحل للشَّهْرَسْتَانِي ج ١ ص ٧٣. وانظر: الأنساب للشماعني السابق، واللُّبَاب لابن الأثير ج ١ ص ٣١٧ والمواقف ج ٨ ص ٣٩٨ وخطط المقرئبي السابق ص ٣٤٩. وانظر: فجر الإسلام السابق.

(٢) تاريخ الفرق الإسلامية للغرابي ص ٢٥، وانظر ص ٣٢.

(٣) مقالات الإسلاميين السابق، والملل والنحل للشَّهْرَسْتَانِي ج ١ ص ٧٤ والمواقف ج ٨ ص ٣٩٩ وخطط المقرئبي ج ٢ ص ٣٤٩ و٣٥١ وسير أعلام النبلاء ج ٦ ص ٢٧.

(٤) الفرق بين الفرق ص ٢١٢.

(٥) التبصير في الدين ص ٩١.

(٦) تاريخ الفرق الإسلامية للغرابي ص ٢٥.

٦- قال جهم: علم الله سبحانه حادث^(١).

ولا يقال: إن الله سبحانه لم يزل عالماً بالأشياء قبل أن تكون^(٢). فهو تعالى لا يعلم ما يكون حتى يكون^(٣).

٧- تفرد جهم بالقول بأن الجنة والنار تبيدان وتفتنان^(٤)، ويفنى أهلها^(٥).

قال الغرابي: وأظن أنه ذهب إلى هذا الرأي، لأن إثبات البقاء الدائم للنعيم والعذاب الآخرين فيه مشاركة لله في اتصافه بصفة البقاء، وبما أن مشاركة شيء من المخلوقات في صفة من صفاته محال فبقاء نعيم الآخرة وعذابها محال^(٦).

(١) مقالات الإسلاميين السابق، والفرق بين الفرق ص ٢١١ والفصل لابن حزم ج ٢ ص ٢٩٣ وج ٥ ص ٧٣ والتبصير في الدين ص ٩٠ والبدء والتاريخ ج ٥ ص ١٤٦ وقال تشوان في شرح الحور العين ص ٢٠٠: (زعموا أن العالم مُحدث) وهو تحريف. وفي كتاب اعتقادات فرق المسلمين ص ١٠٤: (إن الله تعالى مُحدث) فسقط لفظ (علم) بعد (إن). والمواقف وشرحه للسيد الشريف ج ٨ ص ٣٩٨ وخطط المقرئ ج ٢ ص ٣٤٩.

(٢) مقالات الإسلاميين السابق.

(٣) التبصير في الدين ص ٩٠ والفصل لابن حزم ج ٥ ص ٧٣. وانظر: الملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ٧٣ والمواقف ج ٨ ص ٣٩٨.

(٤) مقالات الإسلاميين السابق. والتنبيه والرد ص ٩٨ وفيه مقالات أخرى للجهمية و ص ١٤٠ والفرق بين الفرق ص ٢١١ والفصل لابن حزم ج ٤ ص ١٤٥ وج ٥ ص ٧٣ والتبصير في الدين ص ٩٠ والبدء والتاريخ ج ٥ ص ١٤٦ والملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ٧٤ وشرح الحور العين ص ٣١٠ والمواقف ج ٨ ص ٣٩٩ والفرق الإسلامية للكرمانلي ص ٩١ وخطط المقرئ ج ٢ ص ٣٤٩.

(٥) الفصل لابن حزم، والمواقف، والفرق الإسلامية للكرمانلي، وخطط المقرئ، السابقة.

(٦) تاريخ الفرق الإسلامية للغرابي ص ٢٥.

وأشار إلى هذه الآراء أيضاً: أبو زهرة في تاريخ المذاهب الإسلامية ص ١٠٥ ود. حسين عطوان في الفرق الإسلامية في بلاد الشام ص ٨٣ وما بعدها.

٨- كان جَهْم يتحل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر^(١).

فحمل السلاح وقاتل السلطان، وخرج مع الحارث بن سريج على نصر بن سيار، فقتله سلم بن أخوز المازني^(٢). ويبدو أن قتله كان سياسياً.

قال البغدادي: وأتباعه اليوم بنهاوند، وخرج إليهم في زماننا إسماعيل بن إبراهيم بن كبوس الشيرازي الديلي، فدعاهم إلى مذهب شيخنا أبي الحسن الأشعري، فأجابه قوم منهم، وصاروا مع أهل السنة يداً واحدة، والحمد لله على ذلك^(٣).

وقال الإسفرايني: وأكثر أتباعه اليوم بنواحي ترمذ^(٤).

وأهل السنة يكفرونهم لقولهم: بأن علم الله حادث، وأنه لا يعلم ما يكون حتى يكون، وأن كلامه حادث^(٥).

وكفره أهل السنة بنفي الصفات وخلق القرآن ونفي الرؤية^(٦).

قال ابن المرتضى: انقطع أثره بموته، حتى أحيأ بعض المتأخرين من المجبرة بعض ذلك، وليس للجهمية أتباع الآن^(٧).

(١) مقالات الإسلاميين ج ١ ص ٣٣٨ وشرح الحور العين ص ٣٠٩. قال المقرئ في

الخط ج ٢ ص ٣٤٩: انفرد بجواز الخروج على السلطان الجائر.

(٢) الفرق بين الفرق ص ٢١٢ والتبصير في الدين ص ٩١.

(٣) الفرق بين الفرق ص ٢١٢.

(٤) التبصير في الدين ص ٩١.

(٥) التبصير في الدين السابق.

(٦) خطط المقرئ ج ٢ ص ٣٤٩ و٣٥١. وورد في الملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ٧٤

والمواقف للإيجي وشرحه للسيد الشريف ج ٨ ص ٣٩٩: وافقوا المعتزلة في نفي الرؤية،

وإثبات خلق الكلام، وإيجاب المعارف بالعقل قبل ورود الشرع.

(٧) المنية والأمل ص ١٠٧.

الْمُعْتَزَلَةُ

تسميتهم

اختلفوا في سبب تسميتهم بِالْمُعْتَزَلَةِ على أقوال أهمها:

١- حين سُئِلَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ، الْمُتَوَفَّى سنة ١١٠ هـ، عن صاحب الْكِبِيرَةِ هل يكفر؟ تفكّر الْحَسَنُ، وقبل أن يجيب قال وَاصِلُ بْنُ عَطَاءٍ، الْمُتَوَفَّى سنة ١٣١ هـ: أنا لا أقول إن صاحب الْكِبِيرَةِ مُؤْمِنٌ مطلق، ولا كافر مطلق، بل هو في مَنْزِلَةٍ بَيْنَ الْمَنْزِلَتَيْنِ، لا مُؤْمِنٌ ولا كافر.

فاعتزل إلى أُسْطُوَانَةٍ من أُسْطُوَانَاتِ الْمَسْجِدِ يقرر ما أجاب به، فقال الْحَسَنُ: اعتزل عنا وَاصِلُ. فسمي هو وأصحابه مُعْتَزَلَةً^(١).

وفي رِوَايَةٍ: المعتزل هو وَاصِلُ بْنُ عَطَاءٍ وانضم إليه عَمْرُو بْنُ عَبِيدٍ، الْمُتَوَفَّى سنة ١٤٤ هـ، فسمي أتباعهما بِالْمُعْتَزَلَةِ^(٢).

(١) الْمِلَلُ وَالنَّحْلُ لِلشَّهْرَسْتَانِيِّ ج ١ ص ٤٢.

وذكر هذا السبب في: الْفَرْقُ بَيْنَ الْفِرَقِ ص ١١٨ وَالتَّبَصُّيرُ فِي الدِّينِ ص ٥٨ وَالبَدْءُ وَالتَّارِيخُ ج ٥ ص ١٤٢ وَالتَّمْهِيدُ لِلْأَمْشِيِّ ص ١٢٢ وَالْغُنْيَةُ لِلشَّيْخِ عَبْدِ الْقَادِرِ ج ١ ص ١٠٣ وَالْأَنْسَابُ لِلْسَّمْعَانِيِّ ج ١١ ص ٣٩٢ مادة (الْمُعْتَزَلِيُّ)، وَالْمَوَاقِفُ ج ٨ ص ٣٧٧ وَالفَرْقُ الْإِسْلَامِيَّةُ لِلْكَرْمَانِيِّ ص ٦ وَالمُنْيَةُ وَالْأَمَلُ ص ١٢٢ ونقل عن الْمِلَلِ وَالنَّحْلِ لِلشَّهْرَسْتَانِيِّ. وانظر: خِطَطُ الْمَقْرِيزِيِّ ج ٢ ص ٣٤٦.

(٢) شَرْحُ الْأُصُولِ الْخَمْسَةِ ص ١٣٨ وَالفَرْقُ بَيْنَ الْفِرَقِ، وَالتَّبَصُّيرُ، وَالْمِلَلُ وَالنَّحْلُ، وَالمُنْيَةُ وَالْأَمَلُ ص ١٢٣ عن الْمِلَلِ وَالنَّحْلِ لِلشَّهْرَسْتَانِيِّ، وَالْأَنْسَابُ لِلْسَّمْعَانِيِّ ج ١١ ص ٣٩٣.

وفي رواية أخرى: أن معتزل مجلس الحسن البصري هو عمرو بن عبيد^(١).
وفي رواية أخرى: أن واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد لما أحدثا مذهباً اعتزلا
حلقة الحسن البصري وجلسا ناحية في المسجد^(٢).

وهذه التسمية عادية لا تدل في أول إطلاقها لا على مدح ولا على ذم، ولا تدل
على اتصالها بمبدأ معين من مبادئ المعتزلة، لكنها أصبحت فيما بعد صفة ذم بعد أن
أظهروا آراءهم.

وإنما شاعت لأنها صدرت من الحسن البصري ذي المنزلة العظيمة في نفوس
تلاميذه خاصة والمسلمين عامة، وكلمة العظيم تكتسب الشهرة دائماً^(٣).

وهذا السبب هو المشهور في تسميتهم بالمعتزلة.

وقيل: إن تسميتهم بذلك حدثت بعد الحسن، وذلك أن عمرو بن عبيد، لما مات
الحسن وجلس قتادة مجلسه، اعتزله في نفر معه، فسماهم قتادة: المعتزلة^(٤).

(١) المعارف لابن قتيبة ص ٤٨٣ وفيه: (كان عمرو بن عبيد يرى رأي القدر ويدعو إليه، واعتزل الحسن هو وأصحاب له، فسماهم المعتزلة)، والأنساب للسمعاني السابق، وشرح الحور العين ص ٢٥٩ عن المعارف لابن قتيبة، وفي خطط المقرئ ج ٢ ص ٣٤٦: (قال ابن منبه: اعتزل عمرو بن عبيد وأصحاب له الحسن، فسماهم المعتزلة).

(٢) اعتقادات فرق المسلمين ص ٢٨-٢٩. ونقله ابن المرتضى في المنية والأمل ص ١٢٢ عن المعارف. لكني لم أجد لواصل ذكراً في المعارف المطبوع.

(٣) تاريخ الفرق الإسلامية للغرابي ص ٥١.

(٤) خطط المقرئ ج ٢ ص ٣٤٦. وفي المنية والأمل ص ١٢٣: (قيل: لقول قتادة، وكان من أصحاب الحسن: ما يصنع المعتزلة؟ فكان تسميتهم بالمعتزلة). وذكر في ص ١٢٤ رواية عن عثمان الطويل عن قتادة.

قال أبو عمرو بن العلاء: كان قتادة يدور البصرة أعلاها وأسفلها بغير قائد، فدخل مسجد البصرة، فإذا بعمرو بن عبيد ونفر معه قد اعتزلوا من حلقة الحسن البصري، وحلقوا وارتفعت

٢- سبب هذه التسمية سياسي، إذ أطلقت على من اعتزل علياً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وامتنع من محاربته والمحاربة معه بعد دخولهم في بيعته والرضا به، مثل: سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ وعبد الله بن عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَمُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ الْأَنْصَارِيِّ وَأَسَامَةَ بْنُ زَيْدٍ، الذين قالوا: لا يحل قتال عليٍّ ولا القتال معه.

فُسِمِي هَؤُلَاءِ بِالْمُعْتَزِلَةِ، وصاروا أسلاف الْمُعْتَزِلَةِ^(١).

وقيل: هم جَمَاعَةٌ من أصحاب عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، سموا أنفسهم مُعْتَزِلَةً، عندما بايع الحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَسَلَّمْ إِلَيْهِ الْأَمْرَ، فاعتزلوا الحَسَنَ وَمُعَاوِيَةَ وَجَمِيعَ النَّاسِ، وَلَزَمُوا مَنَازِلَهُمْ وَمَسَاجِدَهُمْ، وَقَالُوا: نَشْتَغِلُ بِالْعِلْمِ وَالْعِبَادَةِ، فَسَمَوْا بِذَلِكَ مُعْتَزِلَةً^(٢).

٣- إِنْ الْمُعْتَزِلَةُ الْأَوَائِلُ كَانُوا مِنَ الزُّهَادِ الَّذِينَ اعْتَزَلُوا النَّاسَ. وَهُوَ رَأْيُ كَوْلْدَزِيهِر^(٣).

أَصَوَاتُهُمْ، فَأَمَّهُمْ وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّهَا حَلَقَةُ الْحَسَنِ، فَلَمَّا صَارَ مَعَهُمْ عَرَفَ أَنَّهَا لَيْسَتْ هِيَ، فَقَالَ: إِنَّمَا هَؤُلَاءِ الْمُعْتَزِلَةُ، ثُمَّ قَامَ عَنْهُمْ، فَمُذْ يَوْمَئِذٍ سُمُوا (الْمُعْتَزِلَةَ). / وَفَيَاتُ الْأَعْيَانِ ج ٤ ص ٨٥.

وذكر الحادثة د. عِرْفَانُ فِي دَرَسَاتِ فِي الْفِرَقِ ص ١٠٥ نَقْلًا عَنْ وَفَيَاتِ الْأَعْيَانِ - تَرْجُمَةُ (قَتَادَةَ)، وَعُيُونُ الْأَخْبَارِ، وَالْجَرْحُ وَالتَّعْدِيلُ ٣ / ٢ / ١٣٣، وَالْمُنْيَةُ وَالْأَمَلُ.

(١) الْمَقَالَاتُ وَالْفِرَقُ لِلْقُمِّيِّ ص ٤ وَفِرَقُ الشَّيْعَةِ لِلنَّبَوَيْحِيِّ ص ٥.

وهذا قريب مما ذكره الشيخ عبد القادر في الغنية ج ١ ص ١٠٣ إذ قال: (وقيل لاعتزالهم أقاويل المسلمين، لأن الناس كانوا مختلفين في مرتكب الكبيرة، فقال بعضهم: هم مؤمنون بما معهم من الإيمان، وقال بعضهم: هم كفارون، فأحدث وأصل بن عطاء قولاً ثالثاً، وفارق المسلمين واعتزل المؤمنين، فقال: ما هم بمؤمنين ولا كافرين، فسُموا بذلك الْمُعْتَزِلَةَ).

(٢) التَّنْبِيْهُ وَالرَّدُّ ص ٣٦.

(٣) دَرَسَاتُ فِي الْفِرَقِ ص ١٠٨ نَقْلًا عَنْ الْعَقِيْدَةِ وَالشَّرِيعَةِ فِي الْإِسْلَامِ لَكَوْلْدَزِيهِر.

وذكرت هذه الأسباب وغيرها في: فجر الإسلام ص ٢٨٨ وتاريخ الفرق الإسلامية

أُصُولُ الْمُعْتَزَلَةِ الْخَمْسَةِ

قال أبو الحُسَيْن الحَيَّاطُ الْمُعْتَزَلِيُّ: (وليس يستحق أحد منهم اسم الاعتزال حتى يجمع القول بالأُصُولَ الخمسة: التَّوْحِيدُ، والعَدْلُ، والوعد والوعيد، والمَنْزِلَةُ بين المَنْزِلَتَيْنِ، والأمر بالمعروف والنهي عن المُنْكَرِ، فإذا كملت في الإنسان هَذِهِ الخصال الخمس فهو مُعْتَزَلِيٌّ)^(١).

● الأصل الأول: التَّوْحِيدُ.

التَّوْحِيدُ في اصطلاح المتكلمين: هو (العلم بأن الله تعالى وَاحِدٌ لا يشاركه غيره فيما يستحق من الصفات نفياً وإثباتاً على الحَدِّ الذي يستحقه، والإقرار به).

ولا بد من اعتبار هَذَيْنِ الشرطين: العلم، والإقرار جميعاً، لأنه لو علم ولم يُقَرَّ، أو أقر ولم يعلم، لم يكن موحداً^(٢).

وقد بنى الْمُعْتَزَلَةُ على هَذَا الأصل ما يأتي:

١ - نفي الصفات الإلهية (صفات المعاني) القديمة القائمة بذاته تعالى، فقالوا بإثبات ذات هي بعينها صفة، أو صفة هي بعينها ذات، دفعا للقول بتعدد الآلهة.

للغُرَابِيِّ ص ٤٨ وتاريخ المذاهب الإسلامية ص ١٢٥ ونشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ج ٢ ص ٣٧٣ وفي علم الكلام - الْمُعْتَزَلَةُ ص ١٠٥ وإسلام بلا مذاهب ص ٣٩٩ والمُعْتَزَلَةُ لِعَوَادِ الْمُعْتِقِ ص ١٤. وانظر: الغنية للشيخ عبد القادر ج ١ ص ١٠٣.

(١) الانتصار ص ١٢٦-١٢٧. ونقله عنه: أبو زُهْرَةَ في تاريخ المذاهب الإسلامية ص ١٢٥ و د. عِرْفَان في دراسات في الفرق ص ١١٣ و د. أحمد مُحَمَّدٌ صبحي في الْمُعْتَزَلَةُ ص ١١٩.

وانظر قول الْمُعْتَزَلَةُ بهذه الأُصُولَ الخمسة في: مقالات الإسلاميين ج ١ ص ٣٣٧-٣٣٨ والتنبية والرد ص ٣٦ وشرح الأُصُولَ الخمسة ص ١٢٣ والبدء والتاريخ ج ٥ ص ١٤٢.

(٢) شرح الأُصُولَ الخمسة ص ١٢٨.

ومنها قولهم بخلق القرآن، لأن صفة الكلام مخلوقة عندهم.

٢- استحالة رؤية الله عزَّ وجلَّ في الآخرة من قِبَلِ الْمُؤْمِنِينَ^(١).

وسياقي تفصيل القولين في هاتين المسألتين عند كلامنا عن الصفات الإلهية والرؤية.

وردوا بهذا الأصل على من خالف في التَّوْحِيد، ونفى عن الله تعالى ما يجب إثباته، وأثبت ما يجب نفيه عنه، واعتبروه كافراً^(٢).

لذا قالوا: بتكفير المُلْحِدة، والمُعْطِلة، والدَّهْرِيَّة، والمُشَبِّهة^(٣)، والثنوية.

● الأصل الثاني: العَدْل^(٤).

العَدْلُ الإلهيُّ هو ما يقتضيه العقل من الحكمة، وهو إصدار الفعل على وجه الصواب والمصلحة^(٥).

والمُرَاد من وصف الله تعالى بأنه عَدْلٌ هو:

أن أفعاله كلها حَسَنَةٌ، وأنه لا يفعل القبيح، ولا يُخَلِّ بها هو واجب عليه^(٦).

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية ص ١٢٧.

(٢) شرح الأصول الخمسة ص ١٢٥.

(٣) شرح الأصول الخمسة ص ١٢٤.

(٤) سُمِّيَ الْمُعْتَزِلَةُ بِالْعَدْلِيَّةِ أو أهل العَدْل، لقولهم بهذا الأصل. / نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ج ١ ص ٤٣٢.

(٥) الملل والنحل للشَّهْرَسْتَانِي ج ١ ص ٣٧.

(٦) شرح الأصول الخمسة ص ١٣٢. وورد هذا التعريف في ص ٣٠١ بلفظ: (إنه لا يفعل القبيح أو لا يختاره، ولا يُخَلِّ بها هو واجب عليه، وأن أفعاله كلها حَسَنَةٌ). وانظر: الفائق في أصول الدين ص ١١٩.

وهَذَا يَعْنِي عِنْدَ الْمُعْتَزِلَةِ: أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَا يَفْعَلُ الْقَبِيحَ^(١)، وَلَا يَرِيدُهُ^(٢).

وَتَحْرِيرُ دَلَالَةِ الْقَوْلِ (لَا يَفْعَلُ الْقَبِيحَ) كَمَا قَالَ الْقَاضِي عَبْدُ الْجَبَّارِ الْمُعْتَزِلِيُّ: هُوَ أَنَّهُ تَعَالَى عَالِمٌ بِقَبْحِ الْقَبِيحِ، وَمُسْتَغْنٍ عَنْهُ، وَعَالِمٌ بِاسْتِغْنَائِهِ عَنْهُ، وَمَنْ كَانَ هَذِهِ حَالَهُ لَا يَخْتَارُ الْقَبِيحَ بَوَاحٍ مِنَ الْوُجُوهِ. وَذَكَرَ أُدْلَةً ذَلِكَ عَلَى النَّحْوِ الْآتِي:

الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَالِمٌ بِقَبْحِ الْقَبِيحِ، هُوَ: أَنَّهُ عَالِمٌ لِدَاتِهِ، وَمَنْ حَقَّ الْعَالَمُ لِدَاتِهِ أَنْ يَعْلَمَ جَمِيعَ الْمَعْلُومَاتِ عَلَى الْوُجُوهِ الَّتِي يَصِحُّ أَنْ تَعْلَمَ عَلَيْهَا، وَمَنْ الْوُجُوهُ الَّتِي يَصِحُّ أَنْ يَعْلَمَ الْمَعْلُومَ عَلَيْهِ قَبْحُ الْقَبَائِحِ، فَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ الْقَدِيمُ تَعَالَى عَالِمًا بِهِ. والدَّلِيلُ عَلَى أَنَّهُ تَعَالَى مُسْتَغْنٍ عَنِ الْقَبِيحِ، هُوَ: أَنَّهُ تَعَالَى غَنِيٌّ لَا تَجُوزُ عَلَيْهِ الْحَاجَةُ أَصْلًا.

والدَّلِيلُ عَلَى أَنَّهُ تَعَالَى عَالِمٌ بِاسْتِغْنَائِهِ عَنْهُ، هُوَ مَا تَقْدَمُ مِنَ الْأَدِلَّةِ.

والدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ مَنْ كَانَ حَالُهُ هَذِهِ فَلَا يَخْتَارُ الْقَبِيحَ بَوَاحٍ مِنَ الْوُجُوهِ، هُوَ: أَنَّا نَعْلَمُ ضَرُورَةَ فِي الشَّاهِدِ، أَنَّ أَحَدَنَا إِذَا كَانَ عَالِمًا بِقَبْحِ الْقَبِيحِ، مُسْتَغْنِيًّا عَنْهُ، عَالِمًا بِاسْتِغْنَائِهِ عَنْهُ، فَإِنَّهُ لَا يَخْتَارُ الْقَبِيحَ الْبَتَّةَ، وَإِنَّمَا لَا يَخْتَارُهُ لِعِلْمِهِ بِقَبْحِهِ، وَبِغْنَاهُ عَنْهُ، حَتَّى لَوْ انْخَرَمَ شَرْطٌ مِنْ هَذِهِ الشَّرُوطِ لَجَازَ أَنْ يَخْتَارَهُ....

وهَذِهِ الْعِلَّةُ بَعِينُهَا قَائِمَةٌ فِي حَقِّ الْقَدِيمِ تَعَالَى، فَيَجِبُ أَنْ لَا يَخْتَارَهُ الْبَتَّةَ، لِأَنَّ طَرُقَ الْأَدِلَّةِ لَا تَخْتَلِفُ شَاهِدًا وَغَائِبًا^(٣).

(١) شَرْحُ الْأُصُولِ الْخَمْسَةِ ص ١٣٢ و ٣٠١.

(٢) شَرْحُ الْأُصُولِ الْخَمْسَةِ ص ٤٥٩ و ٤٦٢. وَقَوْلُ الْمُعْتَزِلَةِ: (لَا يَفْعَلُ الْقَبِيحَ وَلَا يَرِيدُهُ) فِي: الْمُنْيَةِ وَالْأَمَلِ ص ٢٦.

(٣) شَرْحُ الْأُصُولِ الْخَمْسَةِ ص ٣٠٢-٣٠٣ وَذَكَرَ ذَلِكَ كُلَّهُ عَوَّادُ الْمُعْتِقِ فِي الْمُعْتَزِلَةِ ص ١٥٧ عَنْ شَرْحِ الْأُصُولِ الْخَمْسَةِ. وَانْظُرْ: الْمُحِيطُ بِالتَّكْلِيفِ لِلْقَاضِي عَبْدِ الْجَبَّارِ ص ٢٥٤ وَالْفَائِقُ

وذكر القاضي عبد الجبار أيضاً أدلة القول بأن (الله سبحانه وتعالى لا يريد القبيح)^(١) منها:

١ - قوله تعالى: ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ﴾ - غافر ٣١.

فقوله (ظلمًا) نكرة، والنكرة في النفي تعم، فظاهر الآية يقتضي أنه تعالى لا يريد شيئاً مما وقع عليه اسم الظلم.

٢ - قوله تعالى بعد عَدَّ الفواحش والمعاصي: ﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ - الإسراء ٣٨.

فبين أن المعاصي كلها مكروهة عنده، ولن تكون كذلك إلا وهو كاره لها، ولا يكون كارهاً لها إلا وهو غير مرید لها، إذ لو كان مریداً لها مع الكراهة لكان حاصلاً على صفتين ضدين، وذلك مستحيل^(٢).

فالمُعْتَزَلَة يقولون بأن الله تعالى لا يفعل القبيح، ولا يريده، وأن أفعاله كلها لا بد أن تكون حسنة، وأنه لا يخلل بها هو واجب عليه.

وناقش أهل السنة قول الْمُعْتَزَلَة: (إن الله لا يفعل القبيح، وأفعاله كلها حسنة) بما يأتي:

هَذَا مما نوافقكم عليه، فخلقه وفعله وقضاؤه وقدره تعالى خير كله، بدليل:

١ - أنه تعالى نَزَهَ نفسه عن الظلم، قال تعالى: ﴿مَا يُدْلِلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ﴾ - ق ٢٩. وهذا يدل على أنه لا يفعل القبيح، بل أفعاله كلها حسنة.

٢ - أسماؤه الحُسْنَى تشهد بذلك، فإن منها الْقُدُّوس، وَالْقُدُّوس هو الْمُنَزَّه عن

في أصول الدين ص ١٤٩.

(١) انظر قوله هَذَا في: شَرْح الْأُصُول الخمسة ص ٤٥٩ و ٤٦٢.

(٢) شَرْح الْأُصُول الخمسة ص ٤٦٠ - ٤٦١.

كل شر ونقص وعيب، كما قال أهل التفسير واللغة^(١).

وناقش أهل السنة أيضاً قول المعتزلة: (إنه تعالى لا يُخَلِّ بها هو واجب عليه) بما يأتي:

إن كان المراد بالواجب على الله شيء أوجبه غيره عليه، فهذا لا نوافق عليه، وذلك:

- ١ - لأنه يلزم أن لا يكون الله تعالى فاعلاً مُخْتَاراً، وهو باطل بالأدلة الدالة على أن له تعالى التصرف المطلق فيما شاء من مخلوقاته، ككونه تعالى رباً خالقاً مَالِكاً مُحْمُوداً.
- ٢ - لأنه يلزم أن يكون هناك موجب فوق الله أوجب عليه، ولا موجب عليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وإن كان المراد بالواجب على الله ما أوجبه الله تعالى على نفسه، فهذا نوافق عليه، ونص عليه بعض أهل السنة.

لكن أهل السنة لا يعتبرون هذا الواجب متحتماً عليه بحيث لو لم يفعله تعالى لآخَلَ بها هو واجب عليه، لأن هذا الواجب تَفَضُّل من الله تعالى، والمتفضل مُخْتَار بما تفضل به.

أي: أن الله تعالى كتب على نفسه الرحمة، وحرَمَ الظلم على نفسه، لا أن العبد مستحق على الله شيئاً.

فالحق الذي لعباده هو من فضله وإحسانه، لا من باب المعاوضة، ولا من باب ما أوجبه غيره عليه، فإنه سُبْحَانَهُ يَتَعَالَى عَنْ ذَلِكَ^(٢).

(١) الْمُعْتَزِلَةُ لِعَوَادِ الْمُعْتِقِ ص ١٥٩ عن شفاء العليل لابن القيم، ومجموع الرسائل والمسائل لابن تيمية.

(٢) الْمُعْتَزِلَةُ لِعَوَادِ الْمُعْتِقِ ص ١٦١-١٦٢ ونقل عن شفاء العليل ومدارج السالكين وكلاهما

فإن قيل: كيف يَصِحُّ القول بأن أفعاله تعالى كلها حَسَنَةٌ، مع أنه هو الفاعل لهذه الصور القبيحة المُنكَرَةُ؟

أُجيب: بأن الْمُعْتَزَلَةَ لا يريدون بأنه يحسن من جهة المرأى والمنظر حتى يستحليه كل أحد، وإنما يريدون أنه يحسن من جهة الحكمة، وهذه الصور كلها حَسَنَةٌ من جهة الحكمة، لأنه يمكن أن يكون الفعل حَسَنًا من جهة المرأى والمنظر، قبيحاً من جهة الحكمة، مثل: من مشى مشية حَسَنَةً في سعاية بمسلم إلى سُلْطَان جائر.

ويمكن أن يكون الفعل قبيحاً من جهة المرأى والمنظر، حَسَنًا من جهة الحكمة، مثل: من مشى مشية عرجاء في إنقاذ محبوس مظلوم^(١).

ومن قول الْمُعْتَزَلَةِ بأصل العَدْل تكلموا في الأمور الآتية:

وجوب تَعْلِيل أفعال الله تعالى، والتَّحْسِين والتَّقْبِيح العقليين، وأن العِبَاد يخلقون أفعالهم، ووجوب اللطف الإلهي، ووجوب الصَّلَاح والأصلح، ووجوب بعثة الرسل على الله تعالى.

تَعْلِيل أفعال الله تعالى:

الفعل: هو ما وجد من الحوادث، وكان الغير قَادِرًا عليه^(٢).

اختلفت الفِرَق الإسلامية في تَعْلِيل أفعال الله تعالى على أقوال:

١ - وجوب تَعْلِيل أفعاله تعالى ومنها أَحْكَامه، وأنه لا يصدر عنه فعل إلا لأغراض ومقاصد، من أجلها فعل ذَلِكَ الفعل، وهو قول الْمُعْتَزَلَةِ^(٣).

لابن القيم، واقتضاء الصراط المستقيم لابن تَيْمِيَّة.

(١) شَرْح الْأُصُول الخمسة ص ١٣٢.

(٢) شَرْح الْأُصُول الخمسة ص ٣٢٤.

(٣) تَعْلِيل الْأَحْكَام ص ٩٧ وتاريخ المذاهب الإسلامية ص ١٨٢.

وحجتهم:

أ- الله تعالى حَكِيمٌ لا يصدر عنه جُزَافاً، بل قَدَّرَ كل شيء تقديرًا^(١).

ب- أن أفعاله تعالى لو لم تكن مُعَلَّلَةً للزم العَبَثُ عليه تعالى، وهو منفي بالاتفاق^(٢).

والمُعْتَزِلَةُ يَصِلُونَ مِنْ هَذَا إِلَى الْقَوْلِ بِوَجوب الصَّلَاحِ والأَصْلَحِ.

فإنه بِمُقْتَضَى أن الأشياء لها حُسْنٌ ذاتي وقبح ذاتي، وبِمُقْتَضَى أن الله تعالى لا يفعل إلَّا ما يكون حكمة، فمستحيل أن يأمر بغير الصالح، وينهى عن الصالح، فيجب له الصَّلَاحُ، ويجب له الأَصْلَحُ^(٣).

٢- نفي التَّعْلِيلِ من جهة أنه تعالى فاعل غير مُخْتَارٍ في أفعاله، والغرض إنما يكون في فعل الفاعل المُخْتَارِ. وهو مَذْهَبُ جُمْهُورِ الْفَلَّاسِفَةِ.
ورُدَّ: بأنه قول بَيِّنُ الفساد، لأن سلب الاختيار عن الباري عَزَّ وَجَلَّ مما تكرهه بداهة العُقُولِ^(٤).

٣- أفعال الله تعالى لا تعلل. وهو قول الأشاعرة.

٤- أفعاله تعالى تكون على مُقْتَضَى الحكمة، ولكنّه قصدها غير مُجْبَرٍ عليها، لأنه سُبْحَانَهُ مُخْتَارٌ. وهو قول الماتريدي.

وسياتي تفصيل ذلك في بيان آراء الأشاعرة والماتريديّة.

فالماتريديّة والمُعْتَزِلَةُ اتفقوا على أن أفعال الله تكون لحكمة قدرها وأرادها، ولا

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية السابق.

(٢) تعليل الأحكام ص ٩٩.

(٣) تاريخ المذاهب الإسلامية ص ١٨٢.

(٤) تعليل الأحكام ص ٩٧.

يمكن أن تكون عبثاً، لكن الخلاف بينهما هو في التعبير عما اتفقوا عليه، فالمُعْتَزِلَةُ عبروا عنه بالواجب، واستبعده المأثُرِيْدِيَّة.

أما الخلاف بين الْمُعْتَزِلَةُ والأشاعرة فهو جوهرى، مبني على الخلاف في التَّحْسِين والتَّقْبِيح العقلين^(١).

التَّحْسِين والتَّقْبِيح العقلان:

الحُسْن والقُبْح يطلق بثلاثة اعتبارات:

- الاعتبار الأول: ما يلائم الطبع وينافره، كحُسْن إنقاذ الغريق، وقُبْح اتهام البريء^(٢)، وحُسْن الحلو، وقُبْح المر^(٣).

- والاعتبار الثاني: صفة الكَمَال والنقص، كحُسْن العلم، وقُبْح الجهل^(٤).

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية ص ١٨٣.

(٢) تَشْنِيفُ الْمَسَامِعِ بِجَمْعِ الْجَوَامِعِ ج ١ ص ٤٥.

قال الشَّرِيفِيّ في حاشيته على جَمْعِ الْجَوَامِعِ - حَاشِيَةِ الْعِطَارِ ج ١ ص ٨٠: عبر عنه ابن الْحَاجِبِ بموافقة الغرض ومخالفته، وبعض الكتب باشتماله على المصلحة والمفسدة. ومآل المعاني الثلاثة وَاحِدٌ، فإن الموافق للغرض فيه مصلحة لصاحبه، ملائم لطبعه لميله إليه بسبب اعتقاد النفع، ومخالفه مفسدة له غير ملائم لطبعه. وليس المراد بالطبع المزاج حتى يرد أن الموافق للغرض قد يكون مغايراً للطبع كالدواء الكريه للمريض، بل الطبيعة الإنسانية المائلة إلى جلب المنافع ودفع المضار. وقال: كذا في عبد الحكيم على المُقَدِّمات. وانظر كلام العطار في الحاشية ص ٨١.

(٣) شَرْحُ الْجَلَالِ الْمَحَلِّيِّ على جَمْعِ الْجَوَامِعِ - حَاشِيَةِ الْعِطَارِ السَّابِقِ، وَالْمُحَصَّلُ لِلرَّازِيّ ص ٢٠٢.

(٤) تَشْنِيفُ الْمَسَامِعِ، وَالْمُحَصَّلُ، السَّابِقَانِ. ونقل العطار في حاشيته ص ٨١ عن السَّيِّدِ الشَّرِيفِ على المَوَاقِفِ: (أي: كون الصفة صفة كَمَال، وكون الصفة صفة نقصان، يقال: العلم حَسَنٌ، أي: لمن اتصف به كَمَال وارتفاع شأن، والجهل قبيح، أي: لمن اتصف به نقصان واتضاع حال).

والْحُسْنُ وَالْقُبْحُ بِهِذَيْنِ الْاِعْتَبَارَيْنِ هُمَا عَقْلِيَانِ بِلَا خِلَافٍ، أَي: يَسْتَقِلُّ الْعَقْلُ بِإِدْرَاكِ الْحُسْنِ وَالْقُبْحِ فِيهِمَا، فَلَا حَاجَةَ فِي إِدْرَاكِهِمَا إِلَى الشَّرْعِ.

- وَالْاِعْتَبَارُ الثَّلَاثُ: مَا يُوْجِبُ الْمَدْحَ أَوِ الذَّمَّ الشَّرْعِيَّ عَاجِلًا، وَالثَّوَابَ أَوِ الْعِقَابَ آجِلًا. وَهَذَا هُوَ مَحَلُّ النِّزَاعِ بَيْنَ الْمُعْتَزَلَةِ وَغَيْرِهِمْ.

فَذَهَبَ الْمُعْتَزَلَةُ وَمَعَهُمُ الْإِمَامِيَّةُ وَالزَّيْدِيَّةُ إِلَى أَنَّ الْحُسْنَ وَالْقُبْحَ عَقْلِيَّ، أَي: يَسْتَقِلُّ الْعَقْلُ بِإِدْرَاكِهِ دُونَ الشَّرْعِ، إِمَّا لِدَاثِ الْفِعْلِ، أَوْ لَصِفَةِ عَائِدَةِ إِلَى الْأَحْكَامِ، أَوْ لَوْجُوهِ وَاعْتِبَارَاتِ عَلَى خِلَافِ بَيْنِهِمْ^(١).

فَالْمُعْتَزَلَةُ يَقُولُونَ بِسُلْطَةِ الْعَقْلِ وَقُدْرَتِهِ عَلَى مَعْرِفَةِ الْحَسَنِ وَالْقُبْحِ، لِأَنَّ لِلشَّيْءِ صِفَةً فِيهِ جَعَلْتَهُ حَسَنًا أَوْ قُبْحًا، فَالْصِّدْقُ فِيهِ صِفَةٌ ذَاتِيَّةٌ جَعَلْتَهُ حَسَنًا، وَالْكَذِبُ فِيهِ صِفَةٌ ذَاتِيَّةٌ جَعَلْتَهُ قُبْحًا، لَذَا يَشْتَرِكُ الْعُقَلَاءُ، مُؤْمِنِينَ وَمُلْحِدِينَ، فِي تَحْسِينِ إِنْقَاذِ الْغَرِيقِ وَتَقْضِيحِ إِيْلَامِ الْبَرِيءِ، وَلَوْ لَمْ يَصْلُهُمْ شَرْعٌ فِي ذَلِكَ.

وَأَمْرُ الشَّرْعِ بِالشَّيْءِ هُوَ لِحُسْنِهِ، وَنَهْيُهُ عَنْهُ هُوَ لِقُبْحِهِ، وَلَا يَسْتَطِيعُ الشَّرْعُ أَنْ يَعْكُسَ، لِأَنَّ أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ تَابِعَانِ لِمَا فِي الشَّيْءِ ذَاتَهُ مِنْ حُسْنٍ وَقُبْحٍ^(٢).

(١) تَشْنِيفُ الْمَسَامِعِ، وَالْمُحَصَّلُ، السَّابِقَانِ. وَانْظُرْ قَوْلَ الْإِمَامِيَّةِ فِي: النَّافِعِ شَرْحِ الْبَابِ الْحَادِي عَشَرَ ص ٢٦. وَقَوْلَ الزَّيْدِيَّةِ فِي: الْأَسَاسِ ص ٥١، وَفِي ص ٥٠ نَفْيُ الْخِلَافِ عَنِ الْاِعْتَبَارَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ.

وَالْقَوْلُ بِأَنَّ الْعَقْلَ يَسْتَدِلُّ بِهِ حُسْنُ الْأَفْعَالِ وَقُبْحُهَا، عَلَى مَعْنَى أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى اللَّهِ الثَّوَابُ وَالثَّنَاءُ عَلَى الْفِعْلِ الْحَسَنِ، وَيَجِبُ عَلَيْهِ الْمَلَامُ وَالْعِقَابُ عَلَى الْفِعْلِ الْقُبْحِيِّ هُوَ قَوْلُ الْمُعْتَزَلَةِ وَالتَّنْوِيَّةِ وَالتَّنَاسُخِيَّةِ وَالْبَرَاهِمَةِ وَالْخَوَارِجِ وَالْكَرَامِيَّةِ. / نِهَايَةُ الْإِقْدَامِ ص ٣٧١.

(٢) فَجَرُ الْإِسْلَامِ ص ٢٩٨. وَانْظُرْ: النَّافِعِ السَّابِقِ.

قَالَ الْأُسْتَاذُ مُحَمَّدٌ سَلَامٌ مَذْكُورٌ فِي مَنَاهِجِ الْاجْتِهَادِ فِي الْإِسْلَامِ ص ٤٩٩: (أَسْرَفَ الْمُعْتَزَلَةُ فِي تَقْدِيرِ سُلْطَانِ الْعَقْلِ وَحُدُودِ الْعِلْمِ الْإِنْسَانِيِّ... فَهَمَّ يَرُونَ أَنَّ الْعَقْلَ الْبَشَرِيَّ مَنَحَ مِنَ السُّلْطَةِ مَا يُمْكِنُهُ مِنْ إِقَامَةِ الْبُرْهَانِ حَتَّى عَلَى مَا يَتَعَلَّقُ بِاللَّهِ، فَلَا حُدُودَ لِلْعَقْلِ إِلَّا بِرَاهِينِهِ، وَلَا زَلَلَ وَلَا خَطَأَ مَتَى صَحَّ الْبُرْهَانُ، وَيَتَأَوَّلُونَ الْقُرْآنَ عَلَى مُقْتَضَى ذَلِكَ).

فما رآه العقل حَسَنًا فهو مطلوب لله فعله ويثاب فاعله من الله. وما رآه العقل قبيحاً فهو مطلوب لله تركه ويعاقب فاعله من الله.

وبناءً عليه قالوا: إن من بلغتهم دعوة الرسل وشرائع الله مكلفون من الله بما تقضي به هذه الشرائع، ومن لم تبلغهم شرائع الله مكلفون من الله بما تهديهم إليه عُقُوبُهُمْ، فعليهم أن يفعلوا ما تستحسنه عُقُوبُهُمْ، لأنهم يثابون على فعله، وأن يتركوا ما تستقبحه عُقُوبُهُمْ، لأنهم يعاقبون على فعله^(١). أي: أن ما يدرك العقل حُسْنه يكون واجب الفعل بتكليف العقل، وما يدرك العقل قبحه يكون منهياً عنه به^(٢).

أما الأشاعرة فقد ذهبوا إلى أن الشرع هو الذي يُحَسِّن وَيُقَبِّح، لا العقل. فلا يثاب الإنسان على فعل شيء ولا يعاقب على تركه إلا إذا بلغته دعوة رَسُول.

وذهب الماتريدية إلى أن العقل يُحَسِّن وَيُقَبِّح، لكن الثواب والعقاب متوقف على الشرع. وسيأتي تفصيل رأي الأشاعرة والماتريدية عند ذكر آرائهما.

فالمُعْتَزَلَةُ أرادوا من قولهم بأصل العدل تنزيه الله تعالى عن الظلم وعدم نسبته إليه، فارتفعوا بالإرادة الإنسانية وجعلوها مسؤولة عن عملها.

بينما رأى الأشاعرة أن لا ظلم في الحقيقة، لأن الله تعالى فاعل على الحقيقة، وهو عدل، بمعنى أنه متصرف في ملكه، يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد. والقول بأن الإنسان مسؤول عن عمله في خلقه لفعله هو تضيق من قدرة الله تعالى، لذا قالوا: الأفعال مخلوقة من الله عز وجل مكسوبة من العبد^(٣).

وهذا الخلاف في التَّحْسِين والتَّقْبِيح لا يترتب عليه أثر إلا بالنسبة لمن لم تبلغهم شرائع الرسل، فإنهم مكلفون عند الْمُعْتَزَلَةِ، وغير مكلفين عند أهل السُّنَّة

(١) علم أصول الفقه لعبد الوهاب خَلَّاف ص ٩٨-٩٩.

(٢) تاريخ المذاهب الإسلامية ص ١٨٢.

(٣) تعليق د. عبد الكريم عثمان في هامش ص ١٣١ من شرح الأصول الخمسة.

وَالْجَمَاعَةُ^(١).

أفعال العباد:

لما نزه الْمُعْتَزِلَةَ اللهُ سُبْحَانَهُ عن القبيح رتبوا عليه قولهم بأن أفعال العباد غير مخلوقة فيهم، وهم الْمُحْدِثُونَ لها^(٢).

وأفعال العباد هي الأفعال المباشرة الاختياريّة^(٣)، كتصرفهم وقيامهم وعودهم^(٤).

(١) علم أصول الفقه لعبد الوهاب خَلَّاف ص ٩٩ وتعليق د. شَعْبَانِ مُحَمَّدٍ إِسْمَاعِيلٍ عَلَى إِرْشَادِ الْفُحُولِ ج ١ ص ٥٤.

(٢) شَرْحُ الْأُصُولِ الْخَمْسَةِ ص ٣٢٣ و ٣٤٠ وَالْفَائِقُ فِي أُصُولِ الدِّينِ ص ١٣٠. وانظر: تَبْصِرَةُ الْأَدِلَّةِ ج ٢ ص ٥٩٤.

(٣) أفعال العباد عند الْمُعْتَزِلَةِ نوعان:

النوع الأول: أفعال العباد المباشرة الاختياريّة، وهي كل فعل لا يتهيأ وقوعه إلا بقصد، ويحتاج كل جزء منه إلى تجديد وعزم وقصد إليه وإرادة له، وقد اتفق الْمُعْتَزِلَةُ عَلَى أنها مخلوقة للعباد، ما عدا ضِرَارَ بن عَمْرٍو وَحَفْصُ الْفَرْدِ الَّذِينَ وافقا أَهْلَ السُّنَّةِ فِي أنها مخلوقة لله تعالى.

النوع الثاني: أفعال التولد، وهي كل فعل يتهيأ وقوعه على الخطأ دون القصد إليه والإرادة له. وقد اختلف الْمُعْتَزِلَةُ فِيهَا، ولم يضيفوا إِلَى الْإِنْسَانِ مِنْهَا إِلَّا مَا تَوْلَدَ مِنَ الْحَيِّ، كما قاله بَشَرُ بن الْمُعْتَمِرِ وَالْقَاضِي عبد الجَبَّار وغيرهما.

الْمُعْتَزِلَةُ لِعَوَادِ الْمُعْتِقِ ص ١٦٨ وأشار إِلَى مصادره، ونقل تعريف أفعال العباد بنوعيهما عن الإسكافي عن مَقَالَاتِ الْإِسْلَامِيِّينَ فِي الْمُعْتَزِلَةِ السَّابِقِ ص ١٨٤. وانظر قول الإسكافي وغيره في: مَقَالَاتِ الْإِسْلَامِيِّينَ ج ٢ ص ٩٣ وقول ضِرَارَ وَحَفْصُ فِي ص ٩١. وانظر القول فِي الْمُتَوَلَّدَاتِ وَالْخِلَافِ فِيهَا فِي: الْفَائِقُ فِي أُصُولِ الدِّينِ ص ١٤١.

وذهب أَهْلُ السُّنَّةِ إِلَى أن هَذَيْنِ النوعين من الأفعال هي كلها خلق الله تعالى. / تَمْهِيدُ الْأَوَائِلِ ص ٣٣٤ وَأُصُولُ الدِّينِ لِلْعَزْزَوِيِّ ص ١٦٩ وَالْمُعْتَزِلَةُ لِعَوَادِ الْمُعْتِقِ ص ١٩١ عن ابن حَزْمٍ وابن تَيْمِيَّةَ.

(٤) الْمُعْتَزِلَةُ لِعَوَادِ الْمُعْتِقِ ص ١٦٩ عن الْمُغْنِي لِلْقَاضِي عبد الجَبَّار.

فَاللهُ سُبْحَانَهُ لَا يَخْلُقُ أَفْعَالُ النَّاسِ، وَإِنَّمَا هُمُ الَّذِينَ يَخْلُقُونَ أَفْعَالَهُمْ. وَلَيْسَ ذَلِكَ عِزًّا مِنْهُ، تَعَالَى اللهُ عَنِ الْعِزِّ، وَلَكِنْ أَوْدَعَ عِزًّا وَجَلَّ الْقُدْرَةُ فِيهِمْ عَلَى خَلْقِ الْأَفْعَالِ، فَهُوَ الْمُعْطِي، وَلَهُ الْقُدْرَةُ التَّامَةُ عَلَى سَلْبِ مَنْ أَعْطَى، وَإِنَّمَا أَعْطَى مَا أَعْطَى لِيَتِمَّ التَّكْلِيفُ^(١)، وَتَحْقِيقُ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ.

وَرَدَّ الْمُعْتَزِلَةُ بِقَوْلِهِمْ هَذَا عَلَى الْجَبَرِيَّةِ الْقَائِلِينَ بِأَنَّ الْإِنْسَانَ مُجْبُورٌ غَيْرُ مُخْتَارٍ فِي أَفْعَالِهِ، وَاعْتَبَرُوهُمْ كُفَرَاءً، لِأَنَّهُمْ مَخَالِفُونَ فِي أَصْلِ الْعَدْلِ حِينَ أَضَافُوا إِلَى اللهِ تَعَالَى الْقَبَائِحَ مِنَ الظُّلْمِ وَالْكَذِبِ... فَكَفَرُوا^(٢).

وَقَدْ رَوَى أَن وَاصِلَ بْنَ عَطَاءٍ أَرْسَلَ بَعْضَ أَصْحَابِهِ إِلَى خُرَّاسَانَ لِمُبَاحَثَةِ جَهْمِ (الْجَبَرِيِّ) وَمُجَادَلَتِهِ^(٣).

وَمِنْ أَدْلَتِهِمْ:

١ - قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿صُنِعَ اللهُ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ - النمل ٨٨. قَالَ الْقَاضِي عَبْدُ الْجَبَّارِ الْمُعْتَزِلِيُّ: بَيَّنَّ اللهُ تَعَالَى أَنَّ أَفْعَالَهُ كُلَّهَا مُتَقَنَةٌ، وَالْإِثْقَانُ يَتَضَمَّنُ الْإِحْكَامَ وَالْحُسْنَ جَمِيعًا، فَلَوْ كَانَ الْفِعْلُ مُحْكَمًا وَلَكِنَّهُ غَيْرَ حَسَنٍ فَعِنْدُنَا لَا يُوصَفُ بِالْإِثْقَانِ. أَلَا تَرَى أَنَّ أَحَدَنَا لَوْ تَكَلَّمَ بِكَلَامٍ فَصِيحٍ يَشْتَمِلُ عَلَى الْفَحْشِ وَالْخَنَاءِ، فَإِنَّهُ وَإِنْ وَصَفَ بِالْإِحْكَامِ لَا يُوصَفُ بِالْإِثْقَانِ.

وَمَعْلُومٌ أَنَّ فِي أَفْعَالِ الْعِبَادِ مَا يَشْتَمِلُ عَلَى التَّهَوُّدِ وَالتَّنَصُّرِ وَالتَّمَجُّسِ، وَلَيْسَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ مُتَقَنًا، فَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ اللهُ تَعَالَى خَالِقًا لَهَا^(٤).

٢ - إِنْ فِي أَفْعَالِ الْعِبَادِ مَا هُوَ ظَلَمٌ وَجَوْرٌ، فَلَوْ كَانَ اللهُ تَعَالَى خَالِقًا لَهَا لَوَجِبَ أَنْ

(١) تَارِيخُ الْمَذَاهِبِ الْإِسْلَامِيَّةِ ص ١٢٧، وَانْظُرْ ص ١٨٤.

(٢) شَرْحُ الْأُصُولِ الْخَمْسَةِ ص ١٢٤-١٢٥.

(٣) فَجْرُ الْإِسْلَامِ ص ٢٩٧.

(٤) شَرْحُ الْأُصُولِ الْخَمْسَةِ ص ٣٥٨. وَفِيهِ أَدِلَّةٌ أُخْرَى مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

يكون ظالماً جائراً، تعالى الله عن ذَلِكَ علواً كَبِيراً^(١).

أما الْأَشَاعِرَةُ وَالْمَأْتَرِيْدِيَّةُ فذهبوا إلى أن أفعال الْعِبَاد مخلوقة من الله تعالى، وهي مكتسبة للعبد، وبهذا الكسب يكون الثواب والعقاب.

وسيأتي تفصيل معنى الكسب عند عرض آراء الْأَشْعَرِيِّ وَالْمَأْتَرِيْدِيِّ.

اللفظ الإلهي:

المقصود باللفظ كل ما يوصل الإنسان إلى الطاعة ويبعده عن المعصية، ولما كان الله عادلاً في حكمه رَوْؤُفاً بخلقه نَاطِراً لِعِبَادِهِ لا يرضى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ولا يريد ظملاً للعالمين، فهو لم يدخر عنهم شيئاً مما يعلم أنه إذا فعله بهم أتوا الطاعة وَالصَّلَاحَ^(٢).

وَالْمُعْتَزِلَةُ يقولون بوجوب اللفظ على الله تعالى، إذا كان متأخراً عن التكليف، سواء كان لطفاً في فريضة أو نافلة^(٣).

(١) شَرْحُ الْأُصُولِ الْخَمْسَةِ ص ٣٤٥. وذكر عَوَّادُ الْمُعْتِقِ فِي الْمُعْتَزِلَةِ ص ١٧١ وما بعدها حجج الْمُعْتَزِلَةِ ومناقشات الْعُلَمَاءِ لها.

(٢) فِي عِلْمِ الْكَلَامِ - الْمُعْتَزِلَةُ ص ١٤٥ ونقل عن الْمَلِكِ وَالنَّحْلِ لِلشَّهْرَسْتَانِيِّ. وقال الْمُقَدِّدَادُ فِي النَّافِعِ ص ٣٢: (اللفظ هو ما يُقَرَّبُ الْعَبْدُ إِلَى الطَّاعَةِ وَيُبْعَدُهُ عَنِ الْمَعْصِيَةِ).

وَفِي نِهَايَةِ الْإِقْدَامِ لِلشَّهْرَسْتَانِيِّ ص ٤٠٦: (عند الْمُعْتَزِلَةِ الْلفظ هو وجه التَّيْسِيرِ إِلَى الْخَيْرِ، وهو الفعل الذي علم الرب تعالى أن العبد يطيع عنده، وليس في مقدور الله تعالى لطفٌ وفعلٌ لو فعله لآمن الْكُفَّارُ).

وَفِي الْإِرْشَادِ لِلْجَوَيْنِيِّ ص ٣٠٠: (اللفظ عند الْمُعْتَزِلَةِ هو الفعل الذي علم الرب تعالى أن العبد يطيعه عنده... فيجب على الله تعالى أقصى اللفظ بالمكلفين، وليس في مقدور الله تعالى لطفٌ لو فعله بِالْكَفَرَةِ لآمنوا... وأما أهل الحق فاللفظ عندهم خلق قدرة على الطاعة، وَذَلِكَ مقدورٌ لله تعالى أبداً). وانظر: تَبْصِرَةُ الْأَدِلَّةِ ج ٢ ص ٧٢٣ وَالتَّمْهِيدُ لِلْأَمَشِيِّ ص ١١٥.

(٣) الْمُعْتَزِلَةُ لِعَوَّادِ الْمُعْتِقِ ص ١٩٤ نَقْلًا عَنْ الْمُغْنِيِّ لِلْقَاضِي عَبْدِ الْجَبَّارِ وَفِيهِ: إن اللفظ إذا كان متقدماً على التكليف لا يجب، لأن اللفظ يتضمن إزاحة عِلَّةِ الْمَكْلَفِ، ولا تكليف هناك.

ومثلهم الإمامية القائلون بوجوب اللطف على الله تعالى^(١).

أما أهل السنة فإنهم أثبتوا اللطف من الله تعالى لمن شاء من خلقه، لكنهم لا يعتبرونه واجباً، بل تفضلاً منه سُبْحَانَهُ، وهو ما يسمى بالتوفيق إلى فعل الخير واجتناب الشر، وذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ - النساء ٨٣، فهذا الفضل هو اللطف الذي كان سبباً في عدم اتباعهم الشيطان^(٢).

وردوا على الْمُعْتَزِلَةِ بأن الإيجاب على الله تعالى محال، لاستحالة مُوجِبٍ فوقه يوجب عليه شيئاً^(٣).

الصَّالِح والأصْلَح:

الصَّالِح: هو الفعل المتوجه إلى الخير من قوام العالم، وبقاء النوع عاجلاً، والمؤدي إلى السَّعَادَةِ السَّرْمَدِيَّةِ آجلاً.

والأصْلَح: هو إذا كان صَلاحاً وخيراً، فكان أحدهما أقرب إلى الخير المطلق، فهو الأصْلَح^(٤).

وكذلك إذا كان اللطف مقارناً فلا يجب اللطف.

وانظر اختلاف الْمُعْتَزِلَةِ في اللطف في: الفَائِق في أُصُول الدِّين ص ٢٥١ ومَقَالَات الإسلاميين ج ١ ص ٣١٣.

(١) الباب الحادي عشر والنَّافِع عليه ص ٣٢ ومِفْتَاح الباب ص ١٦٥.

(٢) الْمُعْتَزِلَةُ لِعَوَادِ الْمُعْتِق ص ١٩٦، وأشار إلى مدارج السالكين، والإبانة، واقتضاء الصراط المُسْتَقِيم.

(٣) التَّبْصِير في الدِّين ص ٧٢، وأيضاً: ص ٦١. وانظر: الْمُعْتَزِلَةُ لِعَوَادِ الْمُعْتِق السَّابِق نَفْلاً عن الإسْفَرَايِينِي.

(٤) نَهَايَةُ الإِقْدَام ص ٤٠٦.

ذهبت الْمُعْتَزِلَةُ إِلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَفْعَلُ إِلَّا الصَّلَاحَ وَالْخَيْرَ، وَيَجِبُ مِنْ حَيْثُ الْحِكْمَةُ رِعَايَةُ مَصَالِحِ الْعِبَادِ^(١).

أَمَّا الْأَصْلَحُ فَاخْتَلَفُوا فِيهِ عَلَى قَوْلَيْنِ:

- ١- تَجِبُ رِعَايَتُهُ كَرِعَايَةِ الصَّلَاحِ. وَهُوَ قَوْلُ جُمْهُورِ الْمُعْتَزِلَةِ.
- ٢- لَا تَجِبُ، إِذَا الْأَصْلَحُ لَا نِهَآيَةَ لَهُ، فَلَا أَصْلَحَ إِلَّا وَفَوْقَهُ مَا هُوَ أَصْلَحُ مِنْهُ. وَهُوَ قَوْلُ بَشْرِ بْنِ الْمُعْتَمِرِ الْمُعْتَزِلِيِّ^(٢).

وَفِي شَرْحِ الْبَاجُورِيِّ عَلَى الْجَوْهَرَةِ ص ١٨٢: (وَجُوبُ الصَّلَاحِ: الْمُرَادُ بِهِ مَا قَابِلُ الْفُسَادِ، كَالْإِيْمَانِ فِي مُقَابَلَةِ الْكُفْرِ، يَقُولُونَ: إِذَا كَانَ هُنَاكَ أَمْرَانِ أَحَدُهُمَا الصَّلَاحُ وَالْآخَرُ فُسَادٌ وَجِبَ عَلَى اللَّهِ أَنْ يَفْعَلَ الصَّلَاحَ مِنْهُمَا دُونَ الْفُسَادِ. وَوَجُوبُ الْأَصْلَحِ: الْمُرَادُ بِهِ مَا قَابِلُ الصَّلَاحِ، كَكُونِهِ فِي أَعْلَى الْجَنَانِ مُقَابَلَةً كُونِهِ أَسْفَلَهَا، يَقُولُونَ: إِذَا كَانَ هُنَاكَ أَمْرَانِ أَحَدُهُمَا صَالِحٌ وَالْآخَرُ أَصْلَحُ مِنْهُ وَجِبَ عَلَى اللَّهِ أَنْ يَفْعَلَ الْأَصْلَحَ مِنْهُمَا دُونَ الصَّلَاحِ. ثُمَّ اخْتَلَفَتْ الْمُعْتَزِلَةُ: فَذَهَبَ الْمُعْتَزِلَةُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى مِرَاعَاةُ الصَّلَاحِ وَالْأَصْلَحِ لِعِبَادِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وَذَهَبَ الْمُعْتَزِلَةُ الْبَصْرَةُ إِلَى أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْهِ تَعَالَى مِرَاعَاةُ الصَّلَاحِ وَالْأَصْلَحِ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا فَقَطْ. ثُمَّ اخْتَلَفُوا فِي الْمُرَادِ بِالْأَصْلَحِ، فَعِنْدَ الْبَغْدَادِيَّةِ: هُوَ الْأَوْفَقُ فِي الْحِكْمَةِ وَالتَّدْبِيرِ، وَعِنْدَ الْبَصْرِيَّةِ: الْأَنْفَعُ).

(١) الْمِلَلُ وَالنَّحْلُ لِلشَّهْرِسْتَانِيِّ ج ١ ص ٣٩.

(٢) قَالَ النَّظَّامُ: إِنْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَفْعَلَ بَعْبَادَهُ خِلَافَ مَا فِيهِ صَلَاحُهُمْ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَنْقُصَ مِنْ نَعِيمِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ذَرَّةً، لِأَنَّهُ نَعِيمُهُمْ صَلَاحُهُمْ، وَالنَّقْصَانُ مِمَّا فِيهِ الصَّلَاحُ ظَلَمٌ عَنْدهُ، وَلَا يَقْدِرُ أَنْ يَزِيدَ مِنْ عَذَابِ أَهْلِ النَّارِ ذَرَّةً، وَلَا عَلَى أَنْ يَنْقُصَ مِنْ عَذَابِهِمْ شَيْئًا... / الْفَرْقُ بَيْنَ الْفَرْقِ ص ١٣٣. وَانْظُرْ: الْمِلَلُ وَالنَّحْلُ لِلشَّهْرِسْتَانِيِّ ج ١ ص ٤٧-٤٨ وَالتَّبَصُّيرُ فِي الدِّينِ ص ٦١.

(٢) نِهَآيَةُ الْإِقْدَامِ ص ٣٩٧-٣٩٨ وَعِزًّا كَلَّامًا مِنَ الْقَوْلَيْنِ إِلَى بَعْضِ الْمُعْتَزِلَةِ. لَكِنْ هَذِهِ النِّسْبَةُ إِلَى جُمْهُورِ الْمُعْتَزِلَةِ وَبَشَرٍ فِي: مَقَالَاتِ الْإِسْلَامِيِّينَ ج ١ ص ٣١٣. وَقَوْلُ بَشَرٍ وَحِجَّتُهُ فِي: الْمِلَلُ وَالنَّحْلُ لِلشَّهْرِسْتَانِيِّ ج ١ ص ٥٧ أَيْضًا. وَنَقْلُ عَوَّادِ الْمُعْتَقِ فِي الْمُعْتَزِلَةِ ص ١٩٨ الْقَوْلَيْنِ عَنْ نِهَآيَةِ الْإِقْدَامِ وَالْمَقَالَاتِ.

وَانْظُرِ الْقَوْلَ فِي الْأَصْلَحِ فِي الدُّنْيَا فِي: الْفَائِقِ فِي أُصُولِ الدِّينِ ص ٢٩١.

وقال أهل السُّنَّة: بأن الله سُبْحَانَهُ يفعل بالعِبَاد ما فيه صَلَاحُهُم تفضلاً، لا على سَبِيلِ الوجوب، وتقدم آنفاً قول الإسْفَرَايِينِيِّ بأن الإيجاب على الله تعالى محال، لاستحالة مُوجِبٍ فوقه، يوجب عليه شيئاً^(١).

قال الأستاذ مُحَمَّدٌ سَلَامٌ مذكُور: أفرط الْمُعْتَزِلَةُ في قياس الغائب على الشاهد، فأخضعوا الله جل شأنه لقوانين هذا العالم، فالزموه بالعدْل كما يتصوره الإنسان. وفاتهم أن معنى العدْل نسبي، يتغير تصوره بتغير الزمان، وكذلك الشأن في قولهم في الحُسْن والقُبْح، والصَّلَاح والأصلح^(٢).

وجوب بعثة الرسل على الله تعالى:

وذلك لأن الله سُبْحَانَهُ إذا علم أن صَلَاحَنَا يتعلق بهذه الشَّرْعِيَّات، فلا بد من أن يُعَرِّفَنَاها، لكي لا يكون مخللاً بما هو واجب عليه، ومن العدْل أن لا يخل بما هو واجب عليه^(٣).

(١) الْمُعْتَزِلَةُ لِعَوَادِ الْمُعْتِقِ ص ١٩٩-٢٠٢ ونقل عن الإسْفَرَايِينِيِّ والغَزَالِيِّ وابن تَيْمِيَّة. وانظر كلام الإسْفَرَايِينِيِّ في: التَّبْصِيرُ في الدِّين ص ٧٢. وانظر قول المَآثِرِيَّةِ في: أُصُولُ الدِّينِ للغَزَنَوِيِّ ص ١٧٢.

قال الدَّرْدِيرُ في شَرْحِ الخَرِيدَةِ ص ٨٩: إذ لو وجب عليه تعالى ما هو الأصلح في حق العبد ما وقعت محنة، وما خلق الله تعالى الكافر الفقير المعذب دنياً وأخرى، وما حصل ألمٌ لطفل لا تكليف عليه، ولما كانت بعض البهائم والطيور في غَايَةِ الضعف والبلاء، ولما كان لطلب الهداية وكشف الضر معنى لوجوب إيصال ما هو الأصلح للعبد، ولما بقي في قدرة الله تعالى بالنسبة إلى مصالح العِبَاد شيء آخر، إذ قد أتى على ما في وسعه من الأصلح الواجب. قال الدَّرْدِيرُ في الخَرِيدَةِ:

وَمَنْ يَقْلُ فَعِلُ الصَّلَاحِ وَجِبَا عَلَى الْإِلَهِ قَدْ أَسَاءَ الْأَدْبَا

وانظر: شَرْحُ البَاخُورِيِّ عَلَى الْجَوْهَرَةِ ص ١٨٣.

(٢) مناهج الاجتهاد في الإسلام ص ٤٩٩.

(٣) شَرْحُ الْأُصُولِ الْخَمْسَةِ ص ٥٦٣، وانظر ص ٥٦٤.

فمن عَدَلَهُ تعالى وجوب بعثته الرسل، ولو لم يفعل لأخل بها هو واجب عليه.

قال الغزالي: وقالت الْمُعْتَزِلَةُ: إن بعثة الأنبياء واجبة^(١).

وجعل أبو عَلِيٍّ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ الْجُبَّائِيُّ وابنه أَبُو هَاشِمٍ عَبْدُ السَّلَامِ، وهما من مُعْتَزِلَةِ الْبَصْرَةِ، التكاليف كلها أُلْطَافاً، وبعثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وشرع الشرائع والتَّنبِيْهِ عَلَى الطَّرِيقِ الْأَصُوبِ كلها أُلْطَافاً^(٢).

أما أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فيرون أن بعثة الرسل فضل من الله على الْعِبَادِ، قال التَّفْتَّازَانِيُّ: والبعثة لتضمنها مصالح لا تحصى لطف من الله تعالى، ورحمة يختص بها من يشاء من عِبَادِهِ، من غير وجوب عليه، خلافاً لِلْمُعْتَزِلَةِ^(٣).

● الأصل الثالث: الوعد والوعيد^(٤).

الوعد: هو كل خبر يتضمن إيصال نفع إلى الغير، أو دفع ضرر عنه في المستقبل.

والوعيد: هو كل خبر يتضمن إيصال ضرر إلى الغير، أو تفويت نفع عنه في

المستقبل.

والمقصود بهذا الأصل هو: أن يعلم أن الله تعالى وَعَدَ الْمُطِيعِينَ بِالثَوَابِ، وَتَوَعَّدَ

العصاة بالعقاب، وأنه يفعل ما وعد به وتوعد عليه لا محالة، ولا يجوز عليه الخلف ولا

(١) الْمُعْتَزِلَةُ لِعَوَادِ الْمُعْتِقِ ص ٢٠٤ ونقل عن الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي. وهو في الاقتصاد في الاعتقاد ص ١٠٤.

(٢) الْمِلَلُ وَالنَّحْلُ لِلشَّهْرَسْتَانِيِّ ج ١ ص ٦٨.

(٣) شَرْحُ الْمَقَاصِدِ لِلتَّفْتَّازَانِيِّ ج ٥ ص ٥ وذكر رأي الْمُعْتَزِلَةِ. وانظر: الْمُعْتَزِلَةُ لِعَوَادِ الْمُعْتِقِ ص ٢٠٦ نَقْلًا عَنِ السَّفَّارِيِّ.

(٤) سُمِّيَ الْمُعْتَزِلَةُ بِالْوَعْدِيَّةِ وَالْوَعِيدِيَّةِ، لقولهم بهذا الأصل. / نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ج ١ ص ٤٣٦.

الكذب^(١).

فهم يقولون بالوعد، أي: أن الله يجب أن يَنْفُذ وعده، وأن الثواب يجب على الله للعبد عن طريق الاستحقاق^(٢)، فإذا خرج من الدنيا على طاعة وتوبة استحق الثواب والعوض والتفضيل^(٣).

ويقولون بالوعيد، أي: إذا خرج المؤمن من الدنيا من غير توبة عن كَبِيرَةٍ ارتكبتها استحق النار مخلداً فيها، لَكِنْ عقابه أخف من عقاب الكافر^(٤).

ورَدَّ الْمُعْتَزَلَةُ بأصل (الوعد والوعيد) على المُرْجِئَةِ وكَفَرُوهم^(٥)، وهم الذين قالوا: لا يضر مع الإيمان معصية، كما لا تنفع مع الكفر طاعة، إذ لو صح قولهم لكان وعيد الله تعالى في مقام اللغو^(٦).

وَبَنَى الْمُعْتَزَلَةُ على هَذَا الأصل، إنكارهم شفاعَةَ الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ ﷺ لأهل الكبائر من أُمته، وقَصَرُوا على التائبين من المؤمنين، لأن إثبات الشفاعة لأهل الكبائر ينافي مبدأ الوعيد^(٧).

أما أهل السُّنَّة فقالوا في الوعد: إن الله تعالى إذا وعد عِبَادَهُ بشيء كان وقوعه واجباً

(١) شَرْحُ الْأُصُولِ الْخَمْسَةِ ص ١٣٤-١٣٦ وفيه: (الكذب: هو كل خبر، لو كان له مخبر، لكان مخبره لا على ما هو به. والخُلْف: هو أن يخبر أنه يفعل فعلاً في المستقبل ثم لا يفعله). وانظر: الْفَائِقُ فِي أُصُولِ الدِّينِ ص ٣٩٦.

(٢) شَرْحُ الْأُصُولِ الْخَمْسَةِ ص ٦١٤، ونقل عنه عَوَادُ الْمُعْتِقِ فِي: الْمُعْتَزَلَةُ ص ٢١٢. وانظر: الْمِلَلُ وَالنَّحْلُ لِلشَّهْرَسْتَانِيِّ ج ١ ص ٣٩.

(٣) الْمِلَلُ وَالنَّحْلُ لِلشَّهْرَسْتَانِيِّ السَّابِق.

(٤) الْمِلَلُ وَالنَّحْلُ لِلشَّهْرَسْتَانِيِّ السَّابِق.

(٥) شَرْحُ الْأُصُولِ الْخَمْسَةِ ص ١٢٤-١٢٥.

(٦) تَارِيخُ الْمَذَاهِبِ الْإِسْلَامِيَّةِ ص ١٢٨.

(٧) شَرْحُ الْأُصُولِ الْخَمْسَةِ ص ٦٨٨-٦٩١ وَمَقَالَاتُ الْإِسْلَامِيِّينَ ج ٢ ص ١٦٦.

بحكم وعده، لا بحكم الاستحقاق، فإن العبد لا يستحق بنفسه على الله شيئاً^(١).

فإذا وعد الله المؤمنين الجنة لا يتخلف شرعاً قطعاً، لقوله تعالى: ﴿وَلَنْ يُخْلَفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ - الحج ٤٧، فلو تخلف إعطاء الموعود به لزم الكذب والسفه والخلف، وهو باطل. فالتخلف في الوعد نقص يجب تنزيه الله عنه، وهذا مُتَّفَقٌ عليه عند الأشاعرة والماتريدية^(٢).

وقالوا في الوعيد: يجوز أن يعفو الله عن المذنب، وأن يخرج أهل الكبائر من النار، فلا يخلد فيها من أهل التَّوْحِيدِ أَحَدًا^(٣).

فالأصل في هذا أن الله يجوز أن يُخلف الوعيد، وإن كان لا يجوز أن يُخلف الوعد^(٤). فيجوز الخلف في الوعيد عند الأشاعرة، لأن الخلف فيه لا يُعدّ نقصاً، بل يُعدّ كرمًا

(١) الْمُعْتَزِلَةُ لِعَوَادِ الْمُعْتِقِ ص ٢١٧ نَقْلًا عَنْ مِنْهَاجِ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ ج ١ ص ٣١٥.

(٢) شَرْحُ الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ١٧١.

(٣) الْمُعْتَزِلَةُ لِعَوَادِ الْمُعْتِقِ ص ٢٣٣ نَقْلًا عَنْ مِنْهَاجِ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ ج ١ ص ٣٢٨.

جاء في الْعَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّةِ: (وأهل الكبائر من أمة مُحَمَّدٍ ﷺ في النار لا يُخْلَدُونَ، إذا ماتوا وهم مُوَحَّدُونَ، وإن لم يكونوا تائبين بعد أن لَقُوا اللَّهَ عَارِفِينَ. وهم في مشيئته وحُكْمه، إن شاء غَفَرَ لَهُمْ وَعَفَا عَنْهُمْ بِفَضْلِهِ، كما ذكر عَزَّ وَجَلَّ في كتابه: ﴿وَنَعْفُزُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ - النساء ٤٨ و ١١٦، وإن شاء الله عَذَّبَهُمْ في النار بَعْدَ ذَلِكَ، ثم يُخْرِجُهُمْ مِنْهَا بِرَحْمَتِهِ وَشَفَاعَةِ الشَّافِعِيِّينَ مِنْ أَهْلِ طَاعَتِهِ، ثم يَبْعَثُهُمْ إِلَى جَنَّتِهِ). قال ابن أبي العزَّ شارحاً قول الطَّحَاوِيِّ: في هَذَا رَدُّ لِقَوْلِ الْخَوَارِجِ وَالْمُعْتَزِلَةِ، الْقَائِلِينَ بِتَخْلِيدِ أَهْلِ الْكِبَائِرِ فِي النَّارِ، لَكِنَّ الْخَوَارِجَ يَقُولُ بِتَكْفِيرِهِمْ، وَالْمُعْتَزِلَةُ بِخُرُوجِهِمْ مِنَ الْإِيمَانِ لَا بِدُخُولِهِمْ فِي الْكُفْرِ، بَلْ لَهُمْ مَنْزِلَةٌ بَيْنَ الْمَنْزِلَتَيْنِ... إلخ. / شَرْحُ الْعَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّةِ لابن أبي العزَّ ص ٥٢٤.

(٤) الْمُعْتَزِلَةُ لِعَوَادِ الْمُعْتِقِ السَّابِقِ، نَقْلًا عَنْ تَفْسِيرِ الْوَسِيطِ لِلوَاحِدِيِّ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا﴾ - النساء ٩٣.

يمتدح به، وهو ما أشار إليه الشاعر:

وَإِنِ أَوْعَدْتُهُ أَوْ وَعَدْتُهُ لَمْخُلِفْ إِيْعَادِي وَمُنْجِزُ مَوْعَدِي^(١)

أما المأثرِيَّةُ فقالوا بأن الوعيد يمتنع أن يتخلف كما يمتنع تخلف الوعد، وبهذا وافقوا الْمُعْتَزِلَةَ^(٢).

ودليل إثبات الشفاعة لأهل الكبائر:

١ - قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ - النساء ٤٨.

فأهل الكبائر في مشيئته، إن شاء غفر لهم بفضلهم، وإن شاء عذبهم بعدله، ثم يُخرجهم منها برحمته وشفاعة الشَّافِعِينَ من أهل طاعته، ثم يبعثهم إلى جنته^(٣).

٢ - قوله ﷺ: (شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي)^(٤).

(١) شَرْحُ الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ١٧١. وانظر: تَمْهِيدُ الْأَوَائِلِ ص ٤٠١. وتقدم البيت في: نشأة المُرْجئة.

(٢) شَرْحُ الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ١٧٢. قال البَاجُورِيُّ: وينبغي على الخلاف بين الأشاعرة والمأثرِيَّةِ أنه يَصِحُّ على قول الأشاعرة أن تقول: اللهم اغفر لجميع المؤمنين جميع ذنوبهم، ولا يَصِحُّ ذَلِكَ على كلام المأثرِيَّةِ. فظهر أن الخلاف حقيقي وإن جعله بعضهم لفظياً. / شَرْحُ الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ١٧٢.

(٣) الْمُعْتَزِلَةُ لِعَوَادِ الْمُعْتَقِ ص ٢٣٤، وأشار إلى شَرْحِ الْعَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّةِ.

(٤) الْمُعْتَزِلَةُ لِعَوَادِ الْمُعْتَقِ ص ٢٣٨.

وَحَدِيث: شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي. رواه أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ وَأَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ جَبَّانَ وَالْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ، عَنْ جَابِرٍ. وَالطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ. وَالْحَطِيبُ فِي التَّارِيخِ، عَنْ ابْنِ عَمْرٍو عَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ. / الْجَامِعُ الصَّغِيرُ ص ٣٠١.

● الأصل الرابع: المَنْزِلَةُ بَيْنَ الْمَنْزِلَتَيْنِ (منزِلتي الإيمان والكفر).

وهي مَسْأَلَةٌ حَكَمَ مَرْتَكِبُ الْكَبِيرَةِ^(١) إِذَا مَاتَ مِنْ غَيْرِ تَوْبَةٍ، الَّتِي اعْتَزَلَ بِسَبَبِهَا وَاصِلُ بْنُ عَطَاءٍ عَنْ مَجْلِسِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ.

(١) الْكَبِيرَةُ: هِيَ مَا تَرْتَبُ عَلَيْهَا حَدٌّ، أَوْ تُوعَدُ عَلَيْهَا بِالنَّارِ أَوِ اللَّعْنَةِ أَوِ الْغَضَبِ. وَالصَّغِيرَةُ: مَا لَيْسَ فِيهَا حَدٌّ فِي الدُّنْيَا، وَلَا وَعِيدٌ فِي الْآخِرَةِ. / شَرْحُ الْعَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّةِ لِابْنِ أَبِي الْعِزِّ ص ٥٢٥. وانظر: البعد الحَضَارِيُّ ص ٥٤٣ عن الْبَرَادِيِّ وَغَيْرِهِ.

واختلفت الْفُرُقُ الْإِسْلَامِيَّةُ فِي تَحْدِيدِ كِبَائِرِ الذُّنُوبِ وَصَغَائِرِهَا عَلَى أَقْوَالٍ، هِيَ:

- أ- جميع الذنوب صغائر لا تضر مرتكبها ما دام على الإسلام. وهو قول الْمُرْجِيَّةِ.
- ب- جميع الذنوب كبائر، وكل كَبِيرَةٌ كُفْرٌ. وهو قول الْخَوَارِجِ.
- ج- جميع الذنوب كبائر، وَلَكِنْ لَا يَكْفُرُ مَرْتَكِبُهَا إِلَّا بِمَا هُوَ كُفْرٌ مِنْهَا، كَسُجُودٍ لَصْنَمٍ، وَرَمَى الْمَصْحَفِ فِي الْقَاذُورَةِ.

شَرْحُ الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ٣١٨.

وهو قول أَبِي إِسْحَاقَ الْإِسْفَرَايِينِيِّ وَأَبِي بَكْرٍ الْبَاقِلَانِيِّ وَإِمَامِ الْحَرَمَيْنِ فِي الْإِرْشَادِ وَابْنِ الْقُسَيْرِيِّ فِي الْمُرْشَدِ، وَحَكَاهُ ابْنُ فُورْكَ عَنْ الْأَشَاعِرَةِ، وَاخْتَارَهُ فِي تَفْسِيرِهِ.

وإنما يقال لبعضها صَغِيرَةٌ وَكَبِيرَةٌ بِالْإِضَافَةِ إِلَى مَا هُوَ أَكْبَرُ مِنْهَا.

وهؤلاء كرهوا تسمية معاصي الله تعالى صَغِيرَةً نَظَرًا إِلَى عِظَمَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَشِدَّةِ عِقَابِهِ، إِجْلَالًا لَهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْ تَسْمِيَةِ مَعْصِيَتِهِ صَغِيرَةً، لِأَنَّهَا بِالنَّظَرِ إِلَى عِظَمَتِهِ كَبِيرَةٌ وَأَيُّ كَبِيرَةٍ. / مُقَدِّمَةُ الزَّوْجَرِ عَنْ اقْتِرَافِ الْكِبَائِرِ لِابْنِ حَجَرَ الْهَيْتَوِيِّ. وَنَقَلَ عَنْهُ السَّالِمِيُّ فِي مَشَارِقِ أَنْوَارِ الْعُقُولِ ج ٢ ص ٢٦٦. وانظر: لَوَاعِجُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ١ ص ٣٦٥.

د- الذنوب قسمان: صغائر وكبائر. وهو قول جُمْهُورِ أَهْلِ السُّنَّةِ بِدَلِيلِ جُمْلَةٍ مِنَ الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ وَالْأَحَادِيثِ الشَّرِيفَةِ. / شَرْحُ الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ٣١٨. وانظر كتابنا الشُّورَى بَيْنَ النَّظَرِيَّةِ وَالتَّطْبِيقِ ص ١١٤.

وَالصَّغِيرَةُ قَدْ تَعْطَى حَكَمَ الْكَبِيرَةِ بِالْإِصْرَارِ عَلَيْهَا، لَا أَنَّهُ تَنَقَّلَ كَبِيرَةٌ، كَمَا قَالَ ابْنُ حَجَرَ الْهَيْتَوِيِّ فِي شَرْحِ الْأَرْبَعِينَ النَّوَوِيَّةِ، وَإِنْ وَقَعَ فِي عِبَارَةٍ بَعْضُهُمْ أَنَّهَا تَنَقَّلَ كَبِيرَةٌ بِالْإِصْرَارِ عَلَيْهَا. / شَرْحُ الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ٣١٨ وَلَوَاعِجُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ١ ص ٣٦٦.

- ويسمى هذا الأصل بِمَسْأَلَةِ الْأَسْمَاءِ وَالْأَحْكَامِ.
- واختلفت الْفِرَقُ الْإِسْلَامِيَّةُ فِيهَا عَلَى أَقْوَالٍ هِيَ:
- ١- ذهب الْخَوَارِجُ إِلَى أَنَّ مَرْتَكِبَ الْكَبِيرَةِ كَافِرٌ.
 - ٢- وَذَهَبَتِ الْمُرْجِيَّةُ إِلَى أَنَّهُ مُؤْمِنٌ، عَلَى التَّفْصِيلِ الْمُتَقَدِّمِ.
 - ٣- وَذَهَبَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ إِلَى أَنَّهُ لَيْسَ بِمُؤْمِنٍ وَلَا كَافِرٍ، وَإِنَّمَا هُوَ مُنَافِقٌ. وَنَحْوُهُ قَوْلُ الْإِبَاضِيَّةِ.
 - ٤- وَذَهَبَ وَاصِلُ بْنُ عَطَاءٍ، وَتَبِعَهُ عَمْرُو بْنُ عَبِيدٍ، وَهُمَا شَيْخَا الْمُعْتَزِلَةِ، إِلَى أَنَّهُ لَيْسَ بِمُؤْمِنٍ وَلَا كَافِرٍ وَلَا مُنَافِقٍ، وَإِنَّمَا هُوَ فَاسِقٌ فِي مَنْزِلَةٍ بَيْنَ الْمَنْزِلَتَيْنِ: الْكَفَرِ وَالْإِيمَانِ^(١). لَكِنْ لَا مَنَاعٍ مِنْ إِطْلَاقِ اسْمِ الْمُسْلِمِ أَوْ الْمُؤْمِنِ عَلَى الْفَاسِقِ تَمَيِّزاً لَهُ عَنْ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ، لَا مَدْحاً وَتَكْرِيباً^(٢). وَقَوْلُ الْمُعْتَزِلَةِ هَذَا هُوَ مَذْهَبُ الزَيْدِيَّةِ^(٣).
 - ٥- وَذَهَبَ الْأَشَاعِرَةُ وَالْمَآثِرِيَّةُ إِلَى أَنَّ مَرْتَكِبَ الْكَبِيرَةِ مُؤْمِنٌ، لَا تُخْرِجُهُ كِبِيرَتُهُ عَنْ دَائِرَةِ الْإِيمَانِ، وَهُوَ فِي مَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ وَأَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ، وَإِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ بِفُسْكَه ثُمَّ أَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ^(٤).

(١) شَرْحُ الْأُصُولِ الْخَمْسَةِ ص ١٣٧-١٣٨. وَانْظُرْ: الْفَائِقُ فِي أُصُولِ الدِّينِ ص ٥٢٨ وَالتَّنْبِيْهُ وَالرَّدُّ ص ٣٦-٣٧ وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْفِرَقِ ص ١١٧ وَالْفَصْلُ لَابِنْ حَزْمٍ ج ٤ ص ٧٩ وَتَبْصُرَةُ الْأَدِلَّةِ ج ٢ ص ٧٦٦ وَفِيهِ تَفْصِيلُ أَقْوَالِ أَهْلِ الْفِرَقِ وَأَدْلَتُهُمْ، وَدِرَاسَاتُ فِي الْفِرَقِ ص ١١٤.

وقول الْإِبَاضِيَّةِ هُوَ نَحْوُ قَوْلِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ، فَفِي شَرْحِ عَقِيدَةِ التَّوْحِيدِ لِأَطْفَيْشٍ ص ١٩٦: (وَاعْلَمْ أَنَّ مَرْتَكِبَ الْكَبِيرَةِ عِنْدَنَا مَعْشَرُ الْإِبَاضِيَّةِ الْوَهْبِيَّةِ كَافِرٌ كَفَرَ نِفَاقٌ وَكَفَرَ فَسَقٌ وَكَفَرَ نَعْمَةً وَكَفَرَ جَارِحَةً، كُلُّ ذَلِكَ مَعْنَى وَاحِدٍ. وَهُوَ مَذْهَبُ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ، وَلَا يُقَالُ لَهُ مُؤْمِنٌ وَلَا مُسْلِمٌ، وَقَدْ يُطْلَقُ عَلَيْهِ مُؤْمِنٌ وَمُسْلِمٌ بِمَعْنَى مُوَحَّدٍ).

(٢) تَارِيخُ الْمَذَاهِبِ الْإِسْلَامِيَّةِ ص ١٢٨ نَقْلًا عَنْ ابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ الْمُعْتَزِلِيِّ.

(٣) الْمَعَالِمُ الدِّينِيَّةُ ص ١١٩.

(٤) تَارِيخُ الْمَذَاهِبِ الْإِسْلَامِيَّةِ ص ١٧٠ وَ ١٨٨ وَالتَّوْحِيدُ لِلْمَآثِرِيِّ ص ٤٥ م وَ ٣٣٥ وَتَبْصُرَةُ الْأَدِلَّةِ ج ٢ ص ٧٦٦. وَسَيَأْتِي رَأْيُهُمْ عِنْدَ ذِكْرِ فِرْقَةٍ كُلِّ مِنْهُمْ.

ومثل قول الأشاعرة قول الإمامية^(١).

وتقرير قول المعتزلة هو أن مرتكب الكبيرة:

أ- ليس مؤمناً، لأن المؤمن من اجتمعت فيه خصال الخير، والمؤمن اسم مدح.

ب- وليس منافقاً، لأن المنافق لم يستجمع خصال الخير، ولا استحق اسم المدح،

فلا يسمى مؤمناً.

ج- وليس كافراً مطلقاً، لأن الشهادة وسائر أعمال الخير موجودة فيه، لا وجه

لإنكارها.

فإذا خرج من الدنيا على كبيرة من غير توبة فهو فاسق من أهل النار خالداً فيها،

إذ ليس في الآخرة إلا الفريقان ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ - الشورى ٧، لكنه

يخفف عنه العذاب، وتكون دركته فوق دركة الكفار^(٢).

فمرتكب الكبيرة في منزلة بين الإيمان والكفر اسماً، وإن كان كالكافرين في تأييد

العذاب^(٣).

(١) قال الطوسي في تجريد الاعتقاد: (والفاسق مؤمن لوجود حده فيه)، وشرحه العلامة

الجلي في كشف المراد ص ٤٥٤ بقوله: (اختلف الناس ههنا، فقالت المعتزلة: إن الفاسق لا

مؤمن ولا كافر، وأثبتوا منزلة بين المنزلتين. وقال الحسن البصري: إنه منافق. وقالت الزيدية:

إنه كافر كفر نعمة. وقالت الخوارج: إنه كافر. والحق ما ذهب إليه المصنف - أي: الطوسي - وهو

مذهب الإمامية والمرجئة وأصحاب الحديث وجماعة الأشعرية من أنه مؤمن. والدليل عليه:

أن حد المؤمن وهو المصدق بقلبه ولسانه في جميع ما جاء النبي به موجود فيه فيكون مؤمناً).

(٢) الملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ٤٢. وفيه سمي المنافق فاسقاً، وفي إثباته اسم المنافق

موافقة مع تسمية القاضي عبد الجبار آنفة الذكر. والمعتزلة قسموا الذنوب إلى صغائر وكبائر،

واستحقاق الخلود في النار مختص بالكبائر، بخلاف الخوارج فإن جملة الذنوب عندهم هي

كبائر يستحق مرتكبها الخلود في النار. / الإيضاد للجويني ص ٣٨٦.

(٣) المختار من كنوز السنة النبوية ص ٧٥.

وقد يكون وراء هذا الرأي أمور سياسية:

فالخَوَارِجُ يُكْفَرُونَ عَلِيًّا وَمُعَاوِيَةَ وَأَصْحَابَهُمَا الَّذِينَ رَضُوا بِالتَّحْكِيمِ، فلم يعترفوا بخلافتهم، وكانوا حُرَبًا عَلَيْهِمْ.

والمُرْجِئَةُ يرون أن الكل مُؤْمِنُونَ، لذا لم يكونوا أعداء للسلطة ولا خارجين عليها أو ناقمين منها.

أما الْمُعْتَزِلَةُ فتوسطوا بين الخَوَارِجِ والمُرْجِئَةِ، فلم ينحازوا إلى عُثْمَانَ أو قاتليه، ولا إلى عَلِيٍّ أو عَائِشَةَ في حَرْبِ الْجَمَلِ، ولا إلى عَلِيٍّ أو مُعَاوِيَةَ في حَرْبِ صِفِّينَ، واختلفوا في الذي يعد منهم بحق فاسقاً^(١).

وقال الْمُعْتَزِلَةُ: المخالف في أصل المَنْزِلَةِ بين المَنْزِلَتَيْنِ:

إذا قال: حكم صاحب الكِبِيرَةِ حكم عبدة الأوثان، فإنه يكون كافراً، لأنه خالف دين مُحَمَّدٍ ﷺ بالضرورة.

وإذا قال: حكمه حكم المؤمنين في التَّعْظِيمِ والمِوَالَاةِ في الله تعالى، فإنه يكون فاسقاً، لأنه أنكر ما يعلم من الدين بالضرورة.

وإذا قال: ليس حكمه حكم المؤمن ولا حكم الكافر، ولكن أُسميه مُؤْمِنًا، فإنه يكون مخطئاً^(٢).

● الأصل الخامس: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الأمر: هو قول القائل لمن دونه في الرتبة: افعل.

والنهي: هو قول القائل لمن دونه في الرتبة: لا تفعل.

والمعروف: كل فعل عَرَفَ فاعله حُسْنَهُ أو دَلَّ عليه.

(١) فجر الإسلام ص ٢٩١ وما بعدها.

(٢) شرح الأصول الخمسة ص ١٢٦.

والمُنْكَر: كل فعل عَرَفَ فاعله قُبْحَهُ أو دَلَّ عليه^(١).

والمقصود بالأمر بالمعروف وإيقاع المعروف، وبالنهي عن المُنْكَر زوال المُنْكَر. فإذا ارتفع الغرض بالأمر السَّهْل لم يجز العدول عنه إلى الأمر الصَّعْب، وهذا مما يعلم شرعاً وعقلاً^(٢).

وقد أجمعت الْمُعْتَزَلَةُ إِلَّا الْأَصَمَّ عَلَى وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المُنْكَر، مع الإمكان والقدرة باللسان واليد والسيف، كيف قدرُوا عَلَى ذَلِكَ^(٣).

ولا خلاف بين الأئمة في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المُنْكَر. بدليل:

قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ - آل عِمْرَان ١١٠.

وقوله ﷺ: (ليس لعين ترى الله يُعْصِي فتطْرِف حتى تُغَيِّر أو تنتقل).

وانعقد الإجماع عَلَى ذَلِكَ^(٤).

(١) شرح الأصول الخمسة ص ١٤١. وانظر: الفائق في أصول الدين ص ٥٤٢.

(٢) شرح الأصول الخمسة ص ١٤٤ وبعد ذَلِكَ قال: (أما عقلاً فلأن الواحد منا إذا أمكنه تحصيل الغرض بالأمر السَّهْل لا يجوز العدول عنه إلى الأمر الصَّعْب، وأما الشَّرْع فهو قوله تعالى: ﴿وَلَنْ طَافَيْنَا مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَقْنَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا إِنْ بَغَتْ إِحْدَهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقْنَلُوا الَّتِي تَبَغَى حَتَّى تَفِئَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾ - الْحُجُرَات ٩، فالله تعالى أمر بإصلاح ذات البين أولاً، ثم بعد ذَلِكَ بما يليه، ثم بما يليه، إلى أن انتهى إلى المقاتلة). وانظر: ص ٧٤١.

(٣) مقالات الإسلاميين ج ١ ص ٣٣٧.

(٤) شرح الأصول الخمسة ص ١٤٢ و ٧٤١. وانظر: التنبيه والرد ص ٣٧.

قال القَاضِي عبد الجَبَّار: (أما من خالف في الأمر بالمعروف والنهي عن المُنْكَر أصلاً، وقال: إن الله تعالى لم يكلف الأمر بالمعروف والنهي عن المُنْكَر أصلاً، فإنه يكون كافراً، لأنه رد ما هو معلوم ضرورة من دين النَّبِيِّ ﷺ ودين الأئمة، فإن قال: إن ذَلِكَ مما ورد به التكليف ولكنه مشروط بوجود الإمام - وهم الإمامية - فإنه يكون مخطئاً). / شرح الأصول الخمسة ص ١٢٦ وانظر ص ٧٤١ و ١٢٤.

وَالْمُعْتَزِلَةُ وَأَهْلُ السُّنَّةِ يَتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاجِبٌ عَلَى الْكِفَايَةِ^(١).

لَكِنَّ الْخِلَافَ بَيْنَ الْمُعْتَزِلَةِ فِي أَنَّ وَجُوبَ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ هَذَا هَلْ يَعْلَمُ عَقْلاً أَوْ سَمْعاً عَلَى قَوْلَيْنِ:

١ - يَعْلَمُ عَقْلاً وَسَمْعاً، وَهُوَ قَوْلُ أَبِي عَلِيٍّ.

٢ - يَعْلَمُ سَمْعاً إِلَّا فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ، وَهُوَ أَنَّ تَشَاهُدَ وَاحِدٍ يَظْلِمُ غَيْرَهُ، فَيَلْحَقُ قَلْبَكَ بِذَلِكَ مَضْضٌ، فَيَلْزِمُكَ النَّهْيُ عَنْهُ دَفْعاً لَتِلْكَ الْمَضْرَةِ عَنِ النَّفْسِ، وَبِهِ قَالَ أَبُو هَاشِمٍ، وَهُوَ الصَّحِيحُ مِنَ الْمَذْهَبِ^(٢).

وَعَايَةُ الْمُعْتَزِلَةِ بِهَذَا الْأَصْلِ هُوَ التَّطْبِيقُ الْعَمَلِيُّ لِمَبَادِئِ الْعَدَالَةِ وَالْحَرِيَةِ فِي السُّلُوكِ الْاجْتِمَاعِيِّ، فَالْعَدَالَةُ عَنْدهُمْ لَا تَنْحَصِرُ فِي تَجَنُّبِ الْأَذَى وَالظُّلْمِ لِلَّذِينَ يَصِيبَانِ الْفَرْدَ، بَلْ هِيَ عَمَلُ الْجَمَاعَةِ كُلِّهَا فِي سَبِيلِ إِيجَادِ جَوْ مِنْ الْمَسَاوَةِ وَالْانْسِجَامِ الْاجْتِمَاعِيِّ، إِذْ بِفَضْلِ ذَلِكَ يَتَسَنَّى لِكُلِّ فَرْدٍ أَنْ يَحَقِّقَ كُلَّ مَوَاهِبِهِ^(٣).

وَبِهَذَا الْأَصْلِ تَصْدَى الْمُعْتَزِلَةُ لِلزَّنَادِقَةِ وَالْمُبْطِلِينَ، ذَائِدِينَ عَنِ الْإِسْلَامِ بِالْحُجَّةِ وَالْبُرْهَانِ، وَمُنَاطَرَاتِهِمْ وَكُتَابَاتِهِمْ فِي التَّوْحِيدِ وَالثَّبُوتِ وَإِعْجَازِ الْقُرْآنِ خَيْرٌ دَلِيلٌ عَلَى ذَلِكَ^(٤).

وَاتَّخَذُوا مِنَ الْوَسَائِلِ الْفِكْرِيَةِ مَا مَكْنَهُمْ مِنْ ذَلِكَ التَّصْدي.

فَكَانُوا أَسْرَعَ الْفِرْقِ الْإِسْلَامِيَّةِ اسْتِفَادَةً مِنَ الْفَلَسَفَةِ الْيُونَانِيَةِ وَصَبْغَهَا صَبْغَةً إِسْلَامِيَّةً، وَكَانُوا أَوَّلَ مَنْ تَسَلَّحَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِسِلَاحِ خُصُومِهِمْ مِنْ أَصْحَابِ الدِّيَانَاتِ

(١) الْمُعْتَزِلَةُ لِعَوَادِ الْمُعْتِقِ ص ٢٧٠ نَقْلًا عَنْ ابْنِ تَيْمِيَّةٍ.

(٢) شَرْحُ الْأُصُولِ الْخَمْسَةِ ص ١٤٢ وَ ٧٤٢.

(٣) دَرَسَاتُ فِي الْفِرْقِ ص ١١٦ نَقْلًا عَنْ كُورْبَانَ.

(٤) تَارِيخُ الْمَذَاهِبِ الْإِسْلَامِيَّةِ ص ١٢٩.

والأفكار الفلسفية، فجادلوهـم جدالاً عِلْمِيّاً، وردوا هجمات القائلين بالجبر والمنكرين لله، وما أثار اليَهُود والنَّصَارَى والمجوس من شكوك^(١).

لَكِنْ أَبْغَضَ الْمُعْتَزَلَةَ كَثِيرُونَ، لِأَسْبَابٍ مِنْهَا:

١- أَنَّهُمْ خَالَفُوا أَهْلَ الْحَدِيثِ فِي كَثِيرٍ مِنْ آرَائِهِمْ، فَحَمَلَ عَلَيْهِمُ الْمُحَدِّثُونَ حِمْلَاتٍ عَنِيفَةً.

٢- أَنَّهُمْ حَوَّلُوا الْعَقِيدَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ الْبَسِيطَةَ إِلَى عَقِيدَةٍ فِلْسَفِيَّةٍ عَمِيقَةٍ.

٣- أَنَّهُمْ فِي أَيَّامِ سُلْطَتِهِمْ فِي عَهْدِ الْمَأْمُونِ وَالْمُعْتَصِمِ لَمْ يَكْتَفُوا بِالنَّقَاشِ وَالْمُنَاطَرَةِ، بَلِ اتَّخَذُوا التَّنْكِيلَ بِالْعُلَمَاءِ وَسَجَنَهُمْ وَضَرَبَهُمْ سَبِيلاً لَهُمْ، كَمَا حَدَثَ مَعَ الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ وَغَيْرِهِ مِنَ الْأَئِمَّةِ فِي مَسْأَلَةِ خَلْقِ الْقُرْآنِ. وَكَانَ ذَلِكَ سَبَباً فِي زَوَالِ دَوْلَتِهِمْ^(٢).

فِرْقُ الْمُعْتَزَلَةِ

انْقَسَمَ الْمُعْتَزَلَةُ إِلَى عَشْرِينَ فِرْقَةً عَلَى مَا ذَكَرَهُ الْمَلْطِيُّ^(٣)، وَالْبَغْدَادِيُّ^(٤)، وَالْإِسْفَرَايْنِيُّ^(٥)، وَالْإِيْجِيُّ^(٦)، وَالْكَرْمَانِيُّ^(٧)، وَالْمَقْرِيْزِيُّ^(٨)، وَالسَّفَارِيْنِيُّ^(٩).

(١) فجر الإسلام ص ٢٩٩-٣٠٠.

(٢) فجر الإسلام ص ٣٠١.

(٣) التَّنْبِيْهُ وَالرَّدُّ ص ٣٦.

(٤) الْفِرْقُ بَيْنَ الْفِرْقِ ص ١١٤.

(٥) التَّبْصِيْرُ فِي الدِّينِ ص ٥٧.

(٦) الْمَوَاقِفُ ج ٨ ص ٣٧٨.

(٧) الْفِرْقُ الْإِسْلَامِيَّةُ لِلْكَرْمَانِيِّ ص ٧.

(٨) خَطَطُ الْمَقْرِيْزِيِّ ج ٢ ص ٣٤٥.

(٩) لَوَامِعُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ١ ص ٧٦.

وذكر الرَّازِيّ أنهم سبع عشرة فِرْقَة^(١).

وعدّد منهم الشَّهْرَسْتَانِيّ ثنتي عشرة فِرْقَة^(٢)، والمَقْدِسِيّ خمس فِرْق^(٣)، وذكر الخَوَارِزْمِيّ^(٤) والشيخ عبد القادر أنهم ست فِرْق^(٥).

ومن كتب في طبقاتهم، ابن المُرْتَضَى في كتابه (المُنْيَة والأَمَل في شَرْح المِلَل والنَّحَل).

ومن أشهر فِرْقهم:

الوَاصِلِيَّة: أَتباع وَاصِل بن عطاء الغَزَّال، المُتَوَفَّى سنة ١٣١هـ، الذي أخذ عن أبي هاشم عبد الله بن مُحَمَّد بن الحَنْفِيَّة. واعتزله يدور على أربع قَوَاعِد، هي: نفي الصفات، والقول بالقَدَر، والقول بالمنزلة بين المنزلتين، وأوجب الخلود في النار على مرتكب الكبيرة^(٦).

والعَمَرِيَّة: أصحاب عمرو بن عُبيد^(٧)، المُتَوَفَّى سنة ١٤٢هـ.

(١) اعتقادات فِرْق المُسْلِمِينَ ص ٣٠.

(٢) المِلَل والنَّحَل للشَّهْرَسْتَانِيّ ج ١ ص ٤٠-٧٢.

(٣) البدء والتاريخ ج ٥ ص ١٤٢.

(٤) مفاتيح العلوم ص ١٨.

(٥) الغنية للشيخ عبد القادر ج ١ ص ١٠٤.

(٦) خِطَط المُقْرِيزِيّ السَّابِق. وانظر: الفِرْق بين الفِرْق، والمِلَل والنَّحَل للشَّهْرَسْتَانِيّ، والتَّبصِير في الدِّين، والمَوَاقِف، والفِرْق الإسلامية للكُرْمَانِيّ، السَّابِقَة.

والقول بالقَدَر معناه: إسناد أفعال العباد إلى قَدَرهم. / شَرْح المَوَاقِف للسَّيِّد الشَّرِيف السَّابِق. وقد تقدّم.

(٧) عمرو بن عُبيد بن بَاب، مَوْلَى بني تَمِيم، البَصْرِيّ، الزَّاهِد، العابد، كان جدّه من سَبِي كَابِل. ومنه تبرأ الشاعر إسحاق بن سُوَيْد العدَوِيّ ومن صاحبه وَاصِل بن عطاء الغَزَّال ومن الخَوَارِج وغلّة الشَّيْعَة بقوله:

وَالْبُشَيْرِيَّةُ: أَتْبَاعُ بِشْرِ بْنِ الْمُعْتَمِرِ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٢١٠ هـ.
 وَالنَّظَّامِيَّةُ: أَتْبَاعُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَيَّارِ النَّظَّامِ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٢٣١ هـ.
 وَالْهُذَلِيَّةُ: أَتْبَاعُ أَبِي الْهُذَيْلِ مُحَمَّدَ بْنَ الْهُذَيْلِ الْعَلَّافِ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٢٣٥ هـ.
 وَالْجَاحِظِيَّةُ: أَتْبَاعُ أَبِي عُثْمَانَ عَمْرُو بْنِ بَحْرِ الْجَاحِظِ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٢٥٥ هـ.
 وَالْجُبَّائِيَّةُ: أَتْبَاعُ أَبِي عَلِيٍّ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الْوَهَّابِ الْجُبَّائِيِّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٣٠٣ هـ.
 وَالْبَهْشَمِيَّةُ: أَتْبَاعُ أَبِي هَاشِمٍ عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ أَبِي عَلِيٍّ مُحَمَّدَ الْجُبَّائِيِّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٣٢١ هـ.
 وَلِكُلِّ مِنْ هَذِهِ الْفِرَقِ وَغَيْرِهَا آرَاءُ تَمَيِّزُهَا عَنْ غَيْرِهَا.

بَرِئْتُ مِنَ الْخَوَارِجِ لَسْتُ مِنْهُمْ مِنْ الْغَزَّالِ مِنْهُمْ وَابْنِ بَابِ
 وَمَنْ قَوْمٍ إِذَا ذَكَرُوا عَلِيًّا يَرُدُّونَ السَّلَامَ عَلَى السَّحَابِ

انظر: الفرق بين الفرق ص ١١٩-١٢٠ وهامش ص ٢٠. وذكر مُحَقِّقُهُ أَنَّ الْمُبَرِّدَ رَوَى فِي
 الْكَامِلِ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ وَذَكَرَ بَعْدَهُمَا:

وَلَكِنِّي أَحَبُّ بِكُلِّ قَلْبِي وَأَعْلَمُ أَنَّ ذَاكَ مِنَ الصَّوَابِ
 رَسُولُ اللَّهِ وَالصَّدِيقُ حُبًّا بِهِ أَرْجُو غَدًا حُسْنَ الثَّوَابِ

وانظر ترجمة عَمْرُو بْنِ عُبَيْدٍ فِي: تَهْذِيبِ الْكَمَالِ لِلْمِزِّي ج ٥ ص ٤٣٦.

الأشاعرة «الأشعرية»

شيخ المذهب

الأشاعرة هم أتباع الإمام أبي الحسن الأشعري علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق. ولقب بالأشعري لأن نسبه ينتهي إلى الصحابي أبي موسى الأشعري رضي الله عنه^(١).

ولد بالبصرة سنة ٢٦٠هـ^(٢). وسكن بغداد إلى أن توفي بها

(١) نسب الإمام الأشعري ذكر في: تاريخ بغداد ج ١١ ص ٣٤٦ وتبيين كذب المفتري ص ٣٤ عن الخطيب وغيره و ص ١٠٢، والأنساب للسمعاني ج ١ ص ٢٧٣.

وانظر: الفهرست لابن النديم ص ٢٥٧ والمُنْتَظَم لابن الجوزي ج ١٤ ص ٢٩ واللباب لابن الأثير ج ١ ص ٦٤ والكمال ج ٨ ص ٣٩٢ ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٢٨٤ وسير أعلام النبلاء ج ١٥ ص ٨٥ والعبر ج ٢ ص ٢٣ وطبقات الشافعية الكبرى للشُّبْكِيِّ ج ٣ ص ٣٤٧ والجواهر المضية ج ٢ ص ٥٤٤ و ج ٤ ص ٣٣ وخطط المقرئ ج ٢ ص ٣٥٩ وشذرات الذهب ج ٢ ص ٣٠٣ وإتحاف السادة ج ٢ ص ٣.

والأشعري: نسبة إلى (أشعر)، وهي قبيلة مشهورة باليمن، منهم أبو موسى الأشعري رضي الله عنه. / الأنساب للسمعاني ج ١ ص ٢٧٣ ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٢٨٥ عن السمعاني، واللباب لابن الأثير ج ١ ص ٦٤ وتبيين كذب المفتري ص ١٠٢.

(٢) تاريخ بغداد عن بعض البصريين، والأنساب للسمعاني، ونقله ابن عساكر في تبيين كذب المفتري ص ١٤٦ عن الوران، وقال ابن عساكر أيضاً: لا أعلم في تاريخ مولده هذا مخالفاً، وابن الجوزي عن الوران، وابن الأثير في الكامل، وابن خلكان في وفيات الأعيان، والذهبي في السير، والشُّبْكِيِّ في طبقات الشافعية الكبرى، السابقة. ونقله أيضاً ابن كثير في البداية والنهاية ج ١١ ص ١٨٧ ونقل في ص ٢٠٤ عن ابن الأثير، ونقل في ص ٢٠٦ عن ابن الجوزي، ونقله القرشي في الجواهر المضية ج ٢ ص ٥٤٥ والزبيدي في إتحاف السادة السابق، قال: وهو

سنة ٣٢٤هـ^(١).

الأشهر.

وقيل ولد سنة ٢٧٠هـ. / اللُّبَاب لابن الأثير، وَفَيَاتُ الْأَعْيَان، وَسِيرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاء، السَّابِقَةُ. وَبِدَايَةُ وَالنَّهَائِيَّة ج ١١ ص ١٨٧ والجواهر المضية، وَخَطَطُ الْمُقْرِزِيِّ، وَإِتْحَافُ السَّادَةِ، السَّابِقَةُ.

وجاء في خَطَطِ الْمُقْرِزِيِّ أيضاً: ست وستين وستمائة، وهو تحريف ظاهر.

(١) تاريخ بغداد عن ابن خزم.

وذكر سنة وفاته ابن عساكر في تبيين كذب المفتري ص ٥٦ عن ابن خزم وابن فورك، ورآه الأصح، وانظر ص ١٤٧ عن الخطيب وابن فورك وغيرهما. وذكرها النسفي في تبصرة الأدلة ج ١ ص ٣٦٠ وابن خلكان في وفيات الأعيان، والذهبي في العبر عن ابن خزم، وسير أعلام النبلاء، السَّابِقَةُ، وهو الأقرب عند السُّبُكِّي في طبقات الشافعية الكبرى ج ٣ ص ٣٥٢. ونقل تصحيح ابن عساكر له وذكر ابن فورك. وذكرها ابن كثير في البداية والنهاية ج ١١ ص ١٨٧ وصححه في ص ٢٠٤، والقُرشي في الجواهر المضية ج ٢ ص ٥٤٥ ونقل في ج ٤ ص ٣٤ عن أبي المعين النسفي في تبصرة الأدلة. والمقرزي في الخطط، ونقله ابن العماد في شذرات الذهب عن ابن خزم، والزبيدي في إتحاف السادة ج ٢ ص ٣ عن الخطيب، وفي ص ٥ تاريخ وفاته عن ابن فورك والحافظ أبي يعقوب إسحاق بن إبراهيم الفَرَّاب وأبي مُحَمَّد بن خزم، وذكر تصحيح ابن عساكر له، وذكر أيضاً أنه الأشهر.

وذكر المؤرخون في وفاته أقوالاً أخرى:

- سنة ٣٣٠هـ. / السَّمْعَانِي فِي الْأَنْسَاب، وابن الأثير في الكامل ج ٨ ص ٣٩٢ والذهبي في العبر ج ٢ ص ٢٣ وابن كثير في البداية والنهاية ج ١١ ص ١٨٧ ونقل في ص ٢٠٤ عن ابن الأثير، وابن خلكان، وابن العماد، والزبيدي، السَّابِقَةُ.

- سنة ٣٣١هـ. / ابن الجوزي في المنتظم ج ١٤ ص ٢٩ وابن كثير في البداية والنهاية ج ١١ ص ٣٠٦ عن المنتظم.

- سنة ثيف وثلاثين وثلاثمائة. / الخطيب في تاريخ بغداد عن بعض البصريين، والسَّمْعَانِي، وابن عساكر في تبيين كذب المفتري ص ٥٦ وقال: لا أراه صحيحاً. ونقله عن الوران في ص ١٤٦، وابن الجوزي عن الأهوازي، وابن الأثير في اللُّبَاب، والسُّبُكِّي في طبقات الشافعية الكبرى ج ٣ ص ٣٥٢، وابن خلكان،

من شيوخه:

أبو إسحاق المروزي، الفقيه الشافعي، كان يجلس أيام الجمع في حلقة في جامع المنصور ببغداد^(١). وابن سريج الشافعي^(٢). وأبو خليفة الجمحي^(٣). وزكريا بن يحيى الساجي، وأخذ عنه الحديث^(٤). وسهل بن نوح^(٥). ومحمد بن يعقوب

والقرشي في الجواهر المضية ج ٢ ص ٥٤٥ ونقل في ج ٤ ص ٣٤ عن السمعاني، والزبيدي السابق.

- بعد الثلاثين. / الذهبي في العبر، وابن العماد في شذرات الذهب.

- بضع وثلاثين. / ابن كثير في البداية والنهاية ج ١١ ص ١٨٧ والمقرئ في الخطط.

- ثلاث وثلاثين. / ابن خلكان عن ابن عساكر في التبيين عن بعض البصريين وصحة ابن عساكر. وقال الذهبي في السير ص ٩٠: ويقال: بقي إلى سنة ثلاثين وثلاثمائة.

- بين العشرين والثلاثين بعد الثلاثمائة. / الخطيب في تاريخ بغداد ص ٣٤٧ وابن عساكر في تبيين كذب المفتري ص ٥٦ و١٤٧ عن الخطيب، وصحة السبكي في طبقات الشافعية الكبرى ج ٣ ص ٣٥٢.

- سنة ٣٢٠هـ. / القرشي في الجواهر المضية ج ٤ ص ٣٤ نقلاً عن السمعاني. وهو مخالف لما ورد في الأنساب للسمعاني المطبوع، والزبيدي السابق.

- بعد سنة ٣٢٠هـ. / السمعاني في الأنساب، وابن الأثير في اللباب، السابقان.

(١) تاريخ بغداد ج ١١ ص ٣٤٧ والأنساب للسمعاني ج ١ ص ٢٧٤ واللباب لابن الأثير ج ١ ص ٦٤ ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٢٨٤ وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ج ٣ ص ٣٦٧ والبداية والنهاية ج ١١ ص ١٨٧ عن ابن خلكان، وخطط المقرئ ج ٢ ص ٣٥٩ عن الخطيب، وإتحاف السادة ج ٢ ص ٣-٤.

(٢) البداية والنهاية السابق.

(٣) سير أعلام النبلاء ج ١٥ ص ٨٦ وخطط المقرئ السابق.

(٤) البداية والنهاية السابق، وسير أعلام النبلاء السابق، والعبر ج ٢ ص ٣ وخطط المقرئ، وشذرات الذهب ج ٢ ص ٣٠٣.

(٥) سير أعلام النبلاء، وخطط المقرئ، السابقان.

المُقَرَّرِ^(١). وعبد الرَّحْمَنُ بن خَلْفِ الضَّبِّيِّ المِصْرِيِّ^(٢). وَرَوَى عَنْهُمْ فِي تَفْسِيرِهِ كَثِيرًا^(٣).

ومن شيوخه أيضاً: أَبُو عَلِيٍّ الجُبَّائِيُّ مُحَمَّدُ بن عبد الوَهَّابِ بن سَلَامٍ، المُتَوَفَّى سنة ٣٠٣هـ، شيخ المُعْتَزِلَةِ، زوج أمِّه، أخذ عنه علم الجَدَل والنَّظَر، فصار من أئِمَّة المُعْتَزِلَةِ^(٤).

قال الحُسَيْنُ بن مُحَمَّدٍ العَسْكَرِيِّ: كان الأَشْعَرِيُّ تلميذاً للجُبَّائِيِّ، وكان صاحب نظر وذا إقدام على الخصوم، وكان الجُبَّائِيُّ صاحب تصنيف وقلم، إلا أنه لم يكن قوياً في المناظرة، فكان إذا عرضت مُناظرة قال للأَشْعَرِيِّ: نُبْ عني^(٥).

وبقي يدافع عن المُعْتَزِلَةِ أَرْبَعِينَ عاماً^(٦)، ثم رجع عن أقوالهم، ورفي كرسياً في

(١) خَطَطَ المَقْرِيزِيُّ السَّابِق.

(٢) خَطَطَ المَقْرِيزِيُّ السَّابِق.

(٣) سِيرَ أَعْلَامُ النُّبَلَاءِ، وَخَطَطَ المَقْرِيزِيُّ، السَّابِقَان.

(٤) تَبَيَّنَ كَذِبُ المُفْتَرِيِّ ص ٩١ عن العَسْكَرِيِّ بالأَهْوَاز. وَسِيرَ أَعْلَامُ النُّبَلَاءِ ج ١٥ ص ٨٦ والعَبَرِ ج ٢ ص ٢٣ والمُنْتَظَم لابن الجَوَازِيِّ ج ١٤ ص ٢٩-٣٠ وطَبَقَاتُ الشَّافِعِيَّةِ الكَبْرَى لِلشُّبْكِيِّ ج ٣ ص ٣٤٧ والجَوَاهِرُ الْمُضِيَّةُ ج ٢ ص ٥٤٥ وفيه: قال مَسْعُودُ بن شَيْبَةَ في كتاب التَّعْلِيمِ: كان حَنَفِيَّ المَذْهَبِ مُعْتَزِلِيَّ الكَلَامِ، لَأَنَّهُ كان رَبِيبَ (زوج أمِّه) أَبِي عَلِيٍّ الجُبَّائِيِّ، وَهُوَ الَّذِي رَبَّاهُ وَعَلَّمَهُ الكَلَامَ، وَنَحْوَهُ في ج ٤ ص ٣٣ وَخَطَطَ المَقْرِيزِيُّ ج ٢ ص ٣٥٩ وَشَذَرَاتُ الذَّهَبِ ج ٢ ص ٣٠٣.

(٥) طَبَقَاتُ الشَّافِعِيَّةِ الكَبْرَى لِلشُّبْكِيِّ ج ٣ ص ٣٤٩. وَانْظُرْ: تَبَيَّنَ كَذِبُ المُفْتَرِيِّ ص ٩١.

قال ابن عَسَاكِرٍ: أَمَا ما ذُكِرَ عَنْهُ مِنْ رَدَاءَةِ التَّصْنِيفِ... فَإِنَّا أُرِيدَ بِذَلِكَ حَالَتُهُ فِي الْإِبْتِدَاءِ، لَا بَعْدَ مَا مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِ بِهِ مِنَ الْإِهْتِدَاءِ، فَإِنَّ تَصَانِيفَهُ مُسْتَحْسَنَةٌ مُهَذَّبَةٌ، وَتَوَالِيفُهُ وَعِبَارَاتُهُ مُسْتَجَادَةٌ مُسْتَصَوَّبَةٌ. / تَبَيَّنَ كَذِبُ المُفْتَرِيِّ ص ٩١-٩٢.

(٦) تَبَيَّنَ كَذِبُ المُفْتَرِيِّ ص ٣٩ عن ابن عَزْرَةَ وَ ص ٩١ عن العَسْكَرِيِّ، والمُنْتَظَم لابن الجَوَازِيِّ ج ١٤ ص ٢٩-٣٠ عن الْوَرَّانِ وَالْأَهْوَازِيِّ وَالشُّبْكِيِّ السَّابِقِ، وَالْبِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ ج ١١ ص ٢٠٦ عن المُنْتَظَمِ.

المسجد الجامع بالبصرة يوم الجمعة، ونادى بأعلى صوته: من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا أعرفه بنفسي، أنا فلان بن فلان، كنت أقول بخلق القرآن، وأن الله لا يرى بالابصار، وأن أفعال الشر أنا أفعالها، وأنا تائب مُقْلِعٌ مُعْتَقِدٌ للرد على المُعْتَزَلَة... وأخذ من حينئذٍ في الرد عليهم^(١).

رُوي عن أبي بكر الصيرفي أنه قال: كانت المُعْتَزَلَة قد رفعوا رؤوسهم حتى أظهر

(١) الفهرست لابن النديم ص ٢٥٧ ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٢٨٥ وسير أعلام النبلاء ج ١٥ ص ٨٦ و٨٩ وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ج ٣ ص ٣٤٧-٣٤٨ وخطط المقرئ ج ٢ ص ٣٥٩ وأشار إليه ابن كثير في البداية والنهاية ج ١١ ص ١٨٧. وانظر: إتحاف السادة ج ٣ ص ٣.

ونقل ابن الجوزي في المنتظم ج ١٤ ص ٣٠ عن الأهوازي أنه قال: سمعت أبا علي الحُمُراني سنة ٣٧٥ هـ يقول: لم نشعر يوم جمعة، وإذا بالأشعري قد طلع على منبر الجامع بالبصرة بعد صلاة الجمعة، ومعه شريط فشدّه على وسطه، ثم قطعه، وقال: اشهدوا أي تائب مما كنت فيه من القول بالاعتزال.

وانظر هذه الرواية في تبيين ابن عساكر ص ٤٠ وقال: الحُمُراني مجهول.

وقال ابن عساكر في التبيين ص ٣٩: سئل أبو بكر إسماعيل بن أبي مُحَمَّد بن إسحاق الأزدّي القيرواني المعروف بابن عزرة رَحِمَهُ اللهُ، عن أبي الحسن الأشعري رَحِمَهُ اللهُ، فقال: الأشعري شيخنا وإمامنا ومن عليه مُعَوَّلُنَا، قام على مذاهب المُعْتَزَلَة أربعين سنة، وكان لهم إماماً، ثم غاب عن الناس في بيته خمسة عشر يوماً، فبعد ذلك خرج إلى الجامع فصعد المنبر، وقال: معاشر الناس، إني إنما تغيت عنكم في هذه المدة، لأني نظرت فتكافأت عندي الأدلة، ولم يترجح عندي حق على باطل ولا باطل على حق، فاستهديت الله تبارك وتعالى، فهداني إلى اعتقاد ما أودعته في كتبي هذه، وانخلعت من جميع ما كنت أعتقد كما انخلعت من ثوبي هذا، وانخلع من ثوب كان عليه، ورمى به، ودفع الكتب إلى الناس، فمنها: كتاب (اللمع)، وكتاب أظهر فيه عوار المُعْتَزَلَة سواه بكتاب (كشف الأسرار وهتك الأستار)...

وانظر نحو ذلك في طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ج ٣ ص ٣٤٧-٣٤٨.

الله تعالى الأشعري، فحجزهم في أقماع السَّمْسِم^(١).

وسبب رجوع أبي الحسن الأشعري عن آراء الْمُعْتَزِلَةِ هو أنه: لما تَبَحَّرَ في كلام الاعتزال، كان يورد الأسئلة على أستاذه في الدرس، ولا يجد فيها جواباً شافياً، فتَحَيَّرَ في ذلك، فحُكِيَ عنه أنه قال: وقع في صدري في بعض الليالي شيء مما كنت فيه من العقائد، فقممت وصليت ركعتين، وسألت الله تعالى أن يهديني الطريق المُسْتَقِيمَ، ونمتُ. فرأيتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ في المنام، فشكوت إليه بعض ما بي من الأمر، فقال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: عليك بسنتي، فانتبهتُ وعارضتُ مَسَائِلَ الكلام بما وجدتُ في القرآن والأخبار، فأثبتته ونبذت ما سواه ورائي ظَهْرِيًّا^(٢).

ونقلوا لنا المُنَاطَرَةَ المشهورة بين الشيخ أبي الحسن الأشعري وشيخه أبي عليّ الجُبَّائِي، في قوله: يجب على الله أن يفعل الأصلح، فقال الأشعري: بل يفعل ما يشاء^(٣).

(١) تاريخ بغداد ج ١١ ص ٣٤٧ والأنساب للسَّمْعَانِي ج ١ ص ٢٧٤ وتبيين كذب المُفْتَرِي ص ٩٤ ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٢٨٦ وسير أعلام النبلاء ج ١٥ ص ٨٦ وطبقات الشافعية الكبرى للسُّبُكِّي ج ٣ ص ٣٤٩ وخطط المقرئ ج ٢ ص ٣٥٩.

(٢) تبيين كذب المُفْتَرِي ص ٣٨-٣٩ وأورد روايات لهذه الرؤيا في ص ٣٨-٤٣. وانظر: طبقات الشافعية الكبرى للسُّبُكِّي ج ٣ ص ٣٤٨ وتاريخ الفرق الإسلامية للغرابي ص ٢٢١ ونقل عن ابن عساكر والسُّبُكِّي.

وذكر مفارقة الأشعري لشيخه الجُبَّائِي في: الملل والنحل للشَّهْرَسْتَانِي ج ١ ص ٢٨.

(٣) سير أعلام النبلاء ج ١٥ ص ٨٩.

وهذه المُنَاطَرَةُ وَرَدَتْ في: وفيات الأعيان لابن خَلْكَان ج ٤ ص ٢٦٧-٢٦٨ في ترجمة أبي عليّ الجُبَّائِي، باللفظ الآتي:

(سأل أبو الحسن الأشعري أستاذه أبا عليّ الجُبَّائِي عن ثلاثة إخوة: أحدهم كان مُؤْمِنًا بَرًّا تَقِيًّا، والثاني كان كافراً فاسقاً شَقِيًّا، والثالث كان صَغِيرًا، فماتوا، فكيف حالهم؟

فقال الجُبَّائِي: أما الزَّاهِدُ ففي الدَّرَجَاتِ، وأما الكافر ففي الدَّرَكَاتِ، وأما الصَّغِيرُ فمن أهل السَّلَامَةِ.

وهذه المناظرة دالة على أن الله تعالى خص من شاء برحمته، وخص آخر بعذابه، وأن أفعاله غير مُعلَّلة بشيء من الأغراض.

قال ابن خَلَّكان: ثم وجدتُ في تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ تصنيف الشيخ فخر الدِّين الرَّازِي في سورة الأنعام: أن الْأَشْعَرِيَّ لما فارق مجلس الأستاذ الجُبَّائِي وترك مذهبَه

فقال الْأَشْعَرِيَّ: إن أراد الصَّغِيرُ أن يذهب إلى دَرَجَاتِ الرَّاهِدِ هل يُؤْذَنُ له؟

فقال الجُبَّائِي: لا، لأنه يقال له: إن أخاك إنما وصل إلى هذه الدرجات بسبب طاعاته الكثيرة، وليس لك تلك الطاعات.

فقال الْأَشْعَرِيَّ: فإن قال ذَلِكَ الصَّغِيرُ: التقصير ليس مني، فإنك ما أبقيتني ولا أقدرتني على الطاعة.

فقال الجُبَّائِي: يقول الباري جَلَّ وعلا: كنتُ أعلمُ أنك لو بقيت لعصيت، وصرت مستحقاً للعذاب الأليم، فراعيتُ مصلحتك.

فقال الْأَشْعَرِيَّ: فلو قال الأخ الكافر: يا إله العالمين، كما علمت حاله فقد علمت حالي، فلم راعيتُ مصلحته دوني؟

فقال الجُبَّائِي لِلْأَشْعَرِيَّ: إنك مجنون.

فقال: لا، بل وقف حِمَارُ الشيخ في الْعَقَبَةِ. فانقطع الجُبَّائِي).

وعَقَّبَ ابنُ خَلَّكان بعد ذكره هذه المناظرة بقوله: (وهذه المناظرة دالة على أن الله تعالى خَصَّ من شاء برحمته، وخصَّ آخر بعذابه، وأن أفعاله غير مُعلَّلة بشيء من الأغراض).

وذكر هذه المناظرة: الدَّهَبِيُّ في سِيرِ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ السَّابِقِ بلفظ آخر، ونقلها ابن العِمَاد في شَذَرَاتِ الدَّهَبِ ج ٢ ص ٣٠٣ عن ابن خَلَّكان، والسُّبُكِيِّ في طَبَقَاتِ الشَّافِعِيَّةِ الْكُبْرَى ج ٣ ص ٣٥٦ وقال: وحكاها الدَّهَبِيُّ.

وذكر الإسْفَرَايِينِيُّ في التَّبَصُّيرِ في الدِّينِ ص ٦١ هذه المناظرة بلفظ آخر راداً بها على النَّظَامِ القائل: يجب على الله تعالى أن يفعل بالعبد ما فيه صلاح العبد، مبيناً أن الوجوب على الله محال.

ونقلها الغُرَابِيُّ في تاريخ الفرق الإسلامية ص ٢٢٢ عن السُّبُكِيِّ وابن خَلَّكان، وأشار إلى الإسْفَرَايِينِيِّ.

وكثر اعتراضه على أقاويله عظمت الوحشة بينهما^(١).

ورأى الأستاذ الغرابي أن ترك الأشعري الاعتزال ومبادئه أمرٌ غامض، لأن تلمذة الأشعري أربعين عاماً للمعتزلة تجعل من الصعب أن نصدق أن الأشعري ترك الاعتزال لمجرد مناظرته أستاذه الجبائي، وأن أستاذه لم يجبه الجواب المُنقِع.

فقد يختلف الأستاذ وتلميذه في الكثير من المسائل، لكنهما يقيان في إطار المذهب، كما اختلف النظام مع أبي الهذيل، واختلف أبو علي الجبائي مع أبي الهذيل.

ومن الصعب استخلاص الحقيقة بسهولة، لأن أصحاب الفرق يتعصب كل واحد منهم لأصحاب مذهبه، فيخفض من شأن خصومه، ويرفع من شأن أصحاب مذهبه^(٢).

فارق أبو الحسن الأشعري شيخه أبا علي الجبائي، وانضم إلى ابن كلاب أبي محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن كلاب القطان، وبنى على قواعده، وسلك بعض طريقه^(٣).

وتنشق من أصول المعتزلة، واتخذ مذهباً لنفسه، ورد على المعتزلة.

ولما دفع الأشعري كتبه إلى الناس، بعد خروجه على المعتزلة، ككتاب اللمع وكشف الأسرار، قرأها أهل الحديث والفقه من أهل السنة والجماعة، فأخذوا بما فيها وانتحلوه، واعتقدوا تقدمه، واتخذوه إماماً حتى نسب مذهبهم إليه^(٤).

فالتأم عليه جماعة، كالباقلاني، وابن فورك، وأبي الحسن الطبري.

وعن ابن الباقلاني وابن فورك أخذ جماعة من أصحاب الشافعي كالإسفرائيني

(١) وفیات الأعيان ج ٤ ص ٢٦٧-٢٦٨ في ترجمة أبي علي الجبائي.

(٢) تاريخ الفرق الإسلامية للغرابي ص ٢٢٣-٢٢٤.

(٣) خطط المقرئ ج ٢ ص ٣٥٩.

(٤) تبیین کذب المفتري ص ٣٩.

وغيره، وهم رؤساء الأشاعرة، وعنهم انتشر مذهبه^(١) الكلامي.

مذهبه الكلامي:

ذهب العلماء إلى أن مذهب الإمام الأشعري هو على ما كان عليه أهل السلف أهل السنة والجماعة.

قال ابن عساكر: لم يحدث الأشعري في دين الله حدثاً، ولم يأت فيه بدعة، بل أخذ أقاويل الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأئمة في أصول الدين فنصرها بزيادة شرح وتبيين... فكان في بيانه... نصرة أقاويل من مضى من الأئمة كأبي حنيفة وسفيان الثوري من أهل الكوفة، والأوزاعي وغيره من الشام، ومالك والشافعي من الحرميين والحجاز، وأحمد بن حنبل من أهل الحديث والليث بن سعد وغيره، والبخاري ومسلم من حفاظ السنن^(٢).

قال الشبكي: إن أبا الحسن لم يُبدع رأياً، ولم يُنشِ مذهباً، وإنما هو مقرر لمذاهب السلف، مناضل عما كانت عليه صحابة رسول الله ﷺ.

(١) الجواهر المضية ج ٤ ص ٣٣-٣٤.

(٢) تبيين كذب المفتري ص ١٠٣.

كتب أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري كتاباً فيه: اتفق أهل الحديث أن أبا الحسن علي بن إسماعيل الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان إماماً من أئمة أصحاب الحديث، ومذهبه مذهب أصحاب الحديث، تكلم في أصول الديانات على طريقة أهل السنة، ورد على المخالفين من أهل الزيغ والبدعة، وكان على المعتزلة والروافض والمبتدعين من أهل القبلة والخارجين من الملة سيفاً مسلولاً، ومن طعن فيه أو قلدح أو لعنه أو سبه فقد بسط لسان السوء في جميع أهل السنة. بذلنا خطوطنا طائعين بذلك في هذا الذكر، في ذي القعدة سنة ست وثلاثين وأربعمائة.

وفيه خطوط أبي عبد الله الخبازي المقرئ، والإمام أبي محمد الجويني... وآخرين.

وبينوا أن طريقته هي طريقة أهل السنة والجماعة، ودينه واعتقاده مرضي مقبول. / تبيين كذب المفتري ص ١١٣-١١٤.

فالانتساب إليه إنما هو باعتبار أنه عقد على طريق السَّلَفِ نطاقاً، وتمسك به، وأقام الحجج والبراهين عليه، فصار المقتدي به في ذَلِكَ، السالكُ سَبِيلَهُ في الدلائل، يسمي أشْعَرِيًّا... .

وقد ذكر شيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام أن عقيدته اجتمع عليها الشَّافِعِيَّةُ والمَالِكِيَّةُ والحَنَفِيَّةُ وفضلاء الحَنَابِلَةِ، ووَافَقَهُ على ذَلِكَ من أهل عصره شيخ المالِكِيَّةِ في زمانه أبو عمرو بن الحَاجِبِ، وشيخ الحَنَفِيَّةِ جمال الدين الحَصِيرِيّ^(١). وأقره على ذَلِكَ التَّقِيُّ السُّبُكِيُّ فيما نقله عنه ولده التَّاج^(٢).

والإمام أبو الحسن الأشْعَرِيّ من أعلام أهل السُّنَّةِ، وهو الذي صار شَجَى في حلوق القَدَرِيَّةِ^(٣).

مَذْهَبُ الْفِقْهِيِّ:

لما كثرت تَوَالِيْفُهُ، وَنَصَرَ مَذْهَبَ السُّنَّةِ، وَرَدَّ فِيهَا على الْمُعْتَزِلَةِ، تعلق بها

(١) طَبَقَاتُ الشَّافِعِيَّةِ الْكُبْرَى لِلْسُّبُكِيِّ ج ٣ ص ٣٦٥، وانظر: ص ٣٧٣ وفيها أيضاً قوله: ومن كلام ابن عساکر حافظ هَذِهِ الْأُمَّةُ الثَّقَةُ الثَّبَتُ: هل من الفُقَهَاءِ الْحَنَفِيَّةِ وَالْمَالِكِيَّةِ وَالشَّافِعِيَّةِ إِلَّا موافق الأشْعَرِيّ؟. ونقله الزَّيْبِيدِيّ في إتحاف السَّادَةِ ج ٢ ص ٥.

(٢) إتحاف السَّادَةِ السَّابِق.

وقال المَآزِرِيُّ: لم يكن أبو الحسن أول متكلم بلسان أهل السُّنَّةِ، إنما جرى على سُنَنِ غَيْرِهِ، وعلى نصرته مَذْهَبٌ معروف، فزاد المَذْهَبَ حُجَّةً وَبَيَاناً، ولم يتبدع مَقَالَةً اخترعها، ولا مَذْهَباً انفرد به، ألا ترى أن مَذْهَبَ أهل المَدِينَةِ نسب إلى مَالِكٍ، ومن كان على مَذْهَبِ أهل المَدِينَةِ يقال له: مَالِكِيٌّ، ومَالِكٍ إنما جرى على سُنَنِ من كان قبله، وكان كثير الاتباع لهم، إلا أنه لما زاد المَذْهَبَ بَيَاناً وبسطاً عَزَى إليه، كذلك أبو الحسن الأشْعَرِيّ، لا فرق، ليس له في مَذْهَبِ السَّلَفِ أكثر من بسطه وشرحه وتوَالِيْفِهِ في نصرته. / طَبَقَاتُ الشَّافِعِيَّةِ الْكُبْرَى لِلْسُّبُكِيِّ ج ٣ ص ٣٦٧ في معرض ذكر تقرُّبِ المَآزِرِيِّ الْمَالِكِيَّ لِلشَّيْخِ أَبِي الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيِّ. وذكره الزَّيْبِيدِيّ في إتحاف السَّادَةِ السَّابِق.

(٣) الْفَرْقُ بَيْنَ الْفِرَقِ ص ٣٦٤.

أهل السنة من المالكية والشافعية وبعض الحنفية، لذا نُسب إلى المالكية، وإلى الشافعية^(١)، والحنفية.

ف قيل: إنه كان حنفي المذهب^(٢).

وقيل: إنه شافعي المذهب، تفقه على أبي إسحاق المروزي^(٣).

وقيل: إنه مالكي^(٤).

وبين الكوثري سبب تجاذب أصحاب المذاهب إياه: هو أنه كان ينظر في فقه المذاهب، ولا يتحزب لبعضها على بعض، بل يُنسب إليه القول بتصويب المجتهدين في الفروع، وهذا مما سهل له جمع كلمة أهل السنة حول دعوته الحقّة، بل كان يقول

(١) تبين كذب المفتري ص ١١٧.

(٢) الجواهر المضية ج ٢ ص ٥٤٥ عن مسعود بن شيبه في كتاب التعليم، وأيضاً في ج ٤ ص ٣٣. وخطط المقرئ ج ٢ ص ٣٥٩ عن مسعود بن شيبه في كتاب التعليم. وتعليق الكوثري على تبين كذب المفتري ص ١١٧ الهامش.

(٣) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ج ٣ ص ٣٥٢ ورجحه، وقال: نص على ذلك الأستاذ أبو بكر بن فورك في طبقات المتكلمين، والأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني فيما نقله عنه الشيخ أبو محمد الجويني في شرح الرسالة.

وقال السبكي أيضاً في ج ٣ ص ٣٦٧: وقد ذكر غير واحد من الأثبات أن الشيخ كان يأخذ مذهب الشافعي عن أبي إسحاق المروزي، وأبو إسحاق المروزي يأخذ عنه علم الكلام، ولذلك كان يجلس في حلقاته. وانظر: إتحاف السادة ج ٢ ص ٤.

(٤) تبين كذب المفتري السابق، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ج ٣ ص ٣٥٢ وقال: ليس بصحيح، و ص ٣٦٦ ورد عليه. وكلاهما نقلاً عن المأثري الكلاعي من أئمة المالكية.

وذكر الزبيدي في إتحاف السادة ج ٢ ص ٤ أن من قال إنه مالكي: القاضي عياض في كتابه المدارك، والكلاعي اليورقي من أئمة المالكية، وفيه توجيهه.

لِلْحَنَابِلَةِ: أَنَا عَلَى مَذْهَبِ أَحْمَدَ كَمَا فِي الْإِبَانَةِ^(١).

قال الزَّيْدِيُّ: وَلَمْ لَا يَكُونُ الشَّيْخُ عَارِفًا بِالْمَذْهَبَيْنِ يَفْتِي بِهِمَا كَمَا كَانَ ابْنُ دَقِيقِ الْعَيْنِ وَغَيْرُهُ مِنْ جِهَابِذَةِ الْعُلَمَاءِ، وَيَكُونُ دَعْوَى كُلِّ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ صَحِيحًا^(٢)؟

تصانيفه:

كَانَ عَجَبًا فِي الذِّكَاءِ وَقُوَّةِ الْفَهْمِ، لَهُ تَصَانِيفُ جَمَّةٍ تَقْضِي لَهُ بِسَعَةِ الْعِلْمِ^(٣).

ذَكَرَ ابْنُ حَزْمٍ أَنَّهَا خَمْسَةٌ وَخَمْسُونَ تَصْنِيفًا^(٤).

لَكِنْ ذَكَرَ ابْنُ عَسَاكِرٍ: أَنَّ ابْنَ حَزْمٍ تَرَكَ مِنْ عَدَدِ مُصَنَّفَاتِهِ أَكْثَرَ مِنْ مَقْدَارِ النِّصْفِ، وَذَكَرَهَا ابْنُ فُورَكَ مَسَامَةً تَزِيدُ عَلَى الضَّعْفِ^(٥).

(١) تَبَيَّنَ كَذِبُ الْمُفْتَرِيِّ، هَامِشٌ ص ١١٧.

وَالْأَشْعَرِيُّ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ يَقُولُ بِتَصْوِيبِ الْمُجْتَهِدِينَ فِي الْفُرُوعِ، وَبِهَذَا يَخَالَفُ الْإِمَامَ الشَّافِعِيَّ. / تَبَيَّنَ كَذِبُ الْمُفْتَرِيِّ ص ١١٥.

وَقَوْلُ الْأَشْعَرِيِّ أَنَّهُ عَلَى قَوْلِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ فِي كِتَابِهِ الْإِبَانَةِ، حَيْثُ قَالَ فِي الْإِبَانَةِ: (قَوْلُنَا الَّذِي نَقُولُ بِهِ، وَدِيَانَتُنَا الَّتِي نَدِينُ بِهَا: التَّمَسُّكُ بِكِتَابِ اللَّهِ رَبَّنَا عَزَّ وَجَلَّ وَبِسُنَّةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، وَمَا رَوَى عَنْ السَّادَةِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَأُئِمَّةِ الْحَدِيثِ، وَنَحْنُ بِذَلِكَ مُتَعَصِّمُونَ، وَبِمَا كَانَ يَقُولُ بِهِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدَ بْنِ حَنْبَلٍ نَصَّرَ اللَّهُ وَجْهَهُ، وَرَفَعَ دَرَجَتَهُ، وَأَجْزَلَ مَثْوِيَّتَهُ، قَائِلُونَ، وَلَمَّا خَالَفَ قَوْلُهُ مُخَالَفُونَ، لِأَنَّهُ الْإِمَامُ الْفَاضِلُ، وَالرَّئِيسُ الْكَامِلُ، الَّذِي أَبَانَ اللَّهُ بِهِ الْحَقَّ، وَدَفَعَ بِهِ الضَّلَالَ، وَأَوْضَحَ بِهِ الْمُنْهَاجَ، وَقَمَعَ بِهِ بَدْعَ الْمُتَبَدِّعِينَ وَزَيَّغَ الزَّائِغِينَ وَشَكَ الشَّاكِينَ، فَرَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ إِمَامٍ مُقَدَّمٍ، وَجَلِيلٍ مُعَظَّمٍ، وَكَبِيرٍ مُفْهِمٍ). / الْإِبَانَةُ لِلْأَشْعَرِيِّ ص ٢٠-٢١.

(٢) إِنْحَافُ السَّادَةِ ج ٢ ص ٤.

(٣) سِيرَ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ ج ١٥ ص ٨٦-٨٧.

(٤) تَارِيخُ بَعْضِ الْأَنْسَابِ لِلْمُسَمَّعَانِي، وَتَبَيَّنَ كَذِبُ الْمُفْتَرِيِّ، وَوَفَايَاتُ الْأَعْيَانِ، وَالْعِبَرُ، وَالْبَدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ، وَخَطَطُ الْمُقْرِئِيِّ، وَشَذَرَاتُ الذَّهَبِ، السَّابِقَةُ.

(٥) تَبَيَّنَ كَذِبُ الْمُفْتَرِيِّ ص ٩٢.

قال أبو الحسن الأشعري في كتابه (العمد في الرؤية): صنف: الفُصول في الردّ على الملحدّين، وهو اثنا عشر كتاباً، وكتاب الموجز، وكتاب خلق الأعمال، وكتاب الصفات وهو كبير تكلمنا فيه على أصناف المُعْتَزَلَة والجَهْمِيَّة، وكتاب الرؤية بالأبصار،... وكتاب إيضاح البرهان، وكتاب اللُّمع في الردّ على أهل البدع، وكتاب الشُّرح والتفصيل، وكتاب النقض على الجُبَّائي... وكتاباً في الصفات هو أكبر كتبنا نقضنا فيه ما كنا أَلَفناه قديماً فيها على تَصْحيح مَذْهَب المُعْتَزَلَة، لم يؤلف لهم كتاب مثله، ثم أبان الله لنا الحق فَرَجَعنا، وتَفْسِيرُ الْقُرْآن...^(١).

وله كتاب الإبانة، ومَقَالَاتُ الإِسْلَامِيَّين، وكلاهما مطبوع متداول.

وهذه الكتب رُدِّبها على: الملحدة، والمُعْتَزَلَة، والرَّافِضَة، والجَهْمِيَّة، والخوارج، وسائر أصناف المبتدعة^(٢).

علمه:

قال الأستاذ أبو إسحاق إبراهيم بن مُحَمَّد الإِسْفَرَايْنِي الفقيه الأُصُولِي: كنتُ في جنب الشيخ أبي الحسن البَاهِلِي كقطرة في البحر. وقال الشيخ أبو الحسن البَاهِلِي: كنتُ أنا في جنب الشيخ الأشعري كقطرة في جنب البحر^(٣).

وقيل لأبي بكر بن الطيّب البافلاني: كلامك أفضل وأبين من كلام أبي الحسن الأشعري رَحِمَهُ اللهُ، فقال: والله إن أفضل أحوالي أن أفهم كلام أبي الحسن رَحِمَهُ اللهُ^(٤).

(١) تَبَيَّن كَذِبُ الْمُفْتَرِي ص ١٢٨ وما بعدها، وسِيرَ أَعْلَامُ النُّبَلَاءِ السَّابِق. وذكر بعض هذه الكتب: ابن النديم، وابن خَلِّكان، والمَقْرِيزي. وذكر ابن كثير في البداية والنهاية ج ١١ ص ١٨٧ الموجز فقط.

(٢) تاريخ بغداد ج ١١ ص ٣٤٦-٣٤٧ وَوَفَيَاتُ الْأَعْيَان ج ٣ ص ٢٨٥.

(٣) تَبَيَّن كَذِبُ الْمُفْتَرِي ص ١٢٥ وإِتِّحَافُ السَّادَةِ ج ٢ ص ٤ عن ابن كثير.

(٤) تَبَيَّن كَذِبُ الْمُفْتَرِي ص ١٢٥-١٢٦ وأشار إليه الذَّهَبِي في السِّير ج ١٥ ص ٨٦ والزَّيْبُدي السابق.

وَعُدَّ الْمَجْدُّدُ عَلَى رَأْسِ الْمِئَةِ الثَّالِثَةِ، الْمَشَارَإِلِيهِ بِالْحَدِيثِ: (إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا). وَصَوَّبَهُ ابْنُ عَسَاكِرَ بِحُجَّةٍ: أَنَّ قِيَامَهُ بِنَصْرَةِ السُّنَّةِ إِلَى تَجْدِيدِ الدِّينِ أَقْرَبُ، فَهُوَ الَّذِي انْتَدَبَ لِلرَّدِّ عَلَى الْمُعْتَزِلَةِ وَسَائِرِ أَصْنَافِ الْمُبْتَدِعَةِ^(١).

عِيشَتُهُ:

كَانَ قَانِعًا مَتَعَفِفًا^(٢). وَكَانَ يَأْكُلُ مِنْ غَلَّةِ ضَيْعَةٍ وَقَفَهَا جَدُّهُ بِلَالُ بْنُ أَبِي بُرْدَةَ عَامِرُ بْنُ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ عَلَى عَقِبِهِ^(٣).

وَكَانَتْ نَفَقَتُهُ فِي كُلِّ سَنَةٍ سَبْعَةَ عَشَرَ دِرْهَمًا^(٤)، كُلُّ شَهْرٍ دِرْهَمٌ وَشِئَاءٌ يَسِيرٌ^(٥). وَكَانَ فِيهِ دُعَابَةٌ وَمَزْحٌ كَبِيرٌ^(٦).

(١) تَبَيَّنَ كَذِبُ الْمُفْتَرِيِّ ص ٥٣، وَانْظُرْ: ص ١٠٣.

وَحَدِيثُ: إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ... إلخ، أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِهِ، وَالْحَاكِمُ فِي مُسْتَدْرَكِهِ، وَابْنُ أَبِي حَتْمٍ فِي الْمَعْرِفَةِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ. وَهُوَ صَحِيحٌ. / الْجَامِعُ الصَّغِيرُ ص ١١٥.

(٢) الْعَبْرُ ج ٢ ص ٢٣ وَشَذَرَاتُ الذَّهَبِ ج ٢ ص ٣٠٣ عَنْ الْعَبْرِ.

(٣) تَارِيخُ بَغْدَادَ ج ١١ ص ٣٤٧ نَقْلًا عَنْ خَادِمِ أَبِي الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيِّ، وَالْأَنْسَابُ لِلْسَّمْعَانِيِّ ج ١ ص ٢٧٤ وَتَبَيَّنَ كَذِبُ الْمُفْتَرِيِّ ص ١٤٢ وَوَفَيَاتُ الْأَعْيَانِ ج ٣ ص ٢٨٦ عَنْ الْخَطِيبِ، وَسِيرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ ج ١٥ ص ٨٩ وَطَبَقَاتُ الشَّافِعِيَّةِ الْكُبْرَى لِلْسُّبْكِيِّ ج ٣ ص ٣٥١ وَخَطَطُ الْمَقْرِزِيِّ ج ٢ ص ٣٥٩ وَإِتْحَافُ السَّادَةِ ج ٢ ص ٤.

(٤) تَارِيخُ بَغْدَادَ، وَالْأَنْسَابُ لِلْسَّمْعَانِيِّ، وَتَبَيَّنَ كَذِبُ الْمُفْتَرِيِّ، وَطَبَقَاتُ الشَّافِعِيَّةِ الْكُبْرَى لِلْسُّبْكِيِّ، وَخَطَطُ الْمَقْرِزِيِّ، وَإِتْحَافُ السَّادَةِ، السَّابِقَةُ.

وَوُرِدَ فِي وَفَيَاتِ الْأَعْيَانِ ج ٣ ص ٢٨٦: (فِي كُلِّ يَوْمٍ) نَقْلًا عَنْ الْخَطِيبِ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ، إِذْ الْوَارِدُ فِي الْخَطِيبِ وَغَيْرِهِ: (فِي كُلِّ سَنَةٍ).

وَوُرِدَ فِي الْبِدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ ج ١١ ص ١٨٧: (سَبْعَةُ عَشَرَ أَلْفَ دِرْهَمٍ) وَهُوَ تَحْرِيفٌ.

(٥) طَبَقَاتُ الشَّافِعِيَّةِ الْكُبْرَى لِلْسُّبْكِيِّ ج ٣ ص ٣٥١ وَإِتْحَافُ السَّادَةِ السَّابِقُ.

(٦) الْفَهْرُسْتُ لَابْنِ النَّدِيمِ ص ٢٥٧ وَوَفَيَاتُ الْأَعْيَانِ ج ٣ ص ٢٨٥ وَسِيرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ عَنْ ابْنِ خُلْكَانَ، وَالْبِدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ، وَخَطَطُ الْمَقْرِزِيِّ، السَّابِقَةُ.

عبادته:

واجتهاد الشيخ في العبادة أمر غريب.

رَوَى ابن عَسَاكِرَ بَسَنَدِهِ إِلَى أَبِي الْحُسَيْنِ السَّرَوِيِّ أَنَّهُ قَالَ: كَانَ الشَّيْخُ أَبُو الْحَسَنِ - يَعْنِي: الْأَشْعَرِيَّ - قَرِيباً مِنْ عَشْرِينَ سَنَةً يُصَلِّي صَلَاةَ الصُّبْحِ بِوُضُوءِ الْعَتَمَةِ، وَكَانَ لَا يَحْكِي عَنْ اجْتِهَادِهِ شَيْئاً إِلَى أَحَدٍ^(١).

وَرَوَى أَيْضاً عَنْ خَادِمِهِ أَنَّهُ قَالَ: خَدَمْتُ الْإِمَامَ أَبَا الْحَسَنِ بِالْبَصْرَةِ سَنِينَ، وَعَاشَرْتَهُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى أَنْ تَوَفَّى رَحِمَهُ اللَّهُ، فَلَمْ أَجِدْ أَوْرَعَ مِنْهُ، وَلَا أَغْضَ طَرْفاً، وَلَمْ أَرِ شَيْخاً أَكْثَرَ حَيَاءً مِنْهُ فِي أُمُورِ الدُّنْيَا، وَلَا أَنْشَطَ مِنْهُ فِي أُمُورِ الْآخِرَةِ^(٢).

آراء الأشعري

ذكر الشيخ الأشعري آراءه في كتبه، وأهمها مقالات الإسلاميين، والإبانة، واللُّمَعُ، ونقلها عنه تلاميذه وشيوخ مذهبه. ومن تلك الآراء:

١ - أثبت الصفات الإلهية الواردة بالقرآن والسنة.

وصفاته تليق بذاته تعالى، لا تشبه صفات المخلوقين، فالله سبحانه قادر بقدره ليست كقدرة المخلوق، وعالم بعلم ليس كعلم المخلوق، وسميع بسمع ليس كسمع المخلوق...^(٣).

(١) تبيين كذب المفتري ص ١٤١. وانظر: طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ج ٣ ص ٣٥١، ونقله الزبيدي في إتحاف السادة ج ٢ ص ٤ عن بُنْدَارِ خَادِمِهِ.

(٢) تبيين كذب المفتري السابق.

(٣) تبيين كذب المفتري ص ١٤٩ عن أبي المعالي بن عبد الملك، والمَلِّ والنَّحْلِ للشَّهْرَسْتَانِي ج ١ ص ٨٢.

وصفاته أزلية، قائمة بذاته تعالى، فلا يقال: هي هو، ولا هي غيره، ولا لا هي هو، ولا لا غيره^(١).

فكان وسطاً بين نفاة الصفات المعطّلة، وبين المجسّمة القائِلين بأن الله علماً كالْعُلُومِ، وقُدرة كالْقُدَرِ، وسمِعاً كالْأَسْمَاعِ^(٢).

لذَلِكَ سُمِّيَ الْأَشَاعِرَةُ بِالْصِّفَاتِيَّةِ، لِإثباتهم صفات الله تعالى القديمة^(٣).

٢- الله سُبْحَانُهُ هو الْخَالِقُ حَقِيقَةً، لا يشاركه في الخلق غيره، وجميع أفعال الْعِبَاد مخلوقة مُبْدَعَةٌ من الله تعالى، وهي مكتسبة للعبد^(٤). وبالكسب يكون التكليف، ويكون الثواب والعقاب^(٥).

والكسب عنده هو الاقتران بين الفعل الذي هو مخلوق لله تعالى، واختيار العبد، من غير أن يكون للعبد تَأْثِيرٌ في هَذَا الْكَسْبِ^(٦). فالله تعالى قد أجرى العادة بخلق الفعل عند قُدرة العبد وإرادته، لا بقُدرة العبد وإرادته^(٧).

وعلى هَذَا يكون الكسب مخلوقاً لله تعالى كالفعل نفسه. وقد قرر الْعُلَمَاءُ أَنَّ ذَلِكَ

(١) الْمَلَلُ وَالنَّحْلُ لِلشَّهْرَسْتَانِيِّ السَّابِقِ، وَخِطَطُ الْمَقْرِيزِيِّ ج ٢ ص ٣٥٩.

(٢) تَبْيِينُ كَذِبِ الْمُفْتَرِيِّ السَّابِقِ.

(٣) الْمَلَلُ وَالنَّحْلُ لِلشَّهْرَسْتَانِيِّ ج ١ ص ٨١ وَخِطَطُ الْمَقْرِيزِيِّ ج ٢ ص ٣٦٠.

(٤) خِطَطُ الْمَقْرِيزِيِّ ج ٢ ص ٣٦٠. وانظر: تَبْيِينُ كَذِبِ الْمُفْتَرِيِّ ص ١٤٩ وَالْإِنْصَافُ لِلْبَاقِلَانِيِّ ص ٤٥ وَتَمْهِيدُ الْأَوَائِلِ ص ٣٤١. وقول الْأَشْعَرِيِّ في خلق الْأَعْمَالِ وأدلتها من النقل والعقل في كتابه اللَّمَعُ ص ٦٩ وما بعدها.

(٥) تَارِيخُ الْمَذَاهِبِ الْإِسْلَامِيَّةِ ص ١٨٤.

(٦) تَارِيخُ الْمَذَاهِبِ الْإِسْلَامِيَّةِ السَّابِقِ. قال الْمَقْرِيزِيُّ في الْخِطَطِ ج ٢ ص ٣٦٠: الْكَسْبُ عبارة عن الفعل القائم بمحل قدرة العبد.

(٧) دراسات في الْفِرَقِ ص ٢٦٩ عن الْمَوَاقِفِ، وَالْإِنْصَافُ لِلْبَاقِلَانِيِّ، وإحياء عُلُومِ الدِّينِ، وَالتَّبَصُّيرُ فِي الدِّينِ.

يؤدي إلى الجبر لا محالة^(١).

فكان الأشعريّ وسطاً بين الجهميّة الجبريّة القائلين بأن العبد مُجبر لا يقدر على إحداث شيء ولا على كسب شيء، وبين المُعتزلة القائلين بأن العبد يقدر على إحداث الفعل وكسبه^(٢).

٣- الحُسن والقُبْح شرعيّ، أي: لا يعلم استحقاق المدح أو الذم، ولا الثواب أو العقاب شرعاً على الفعل إلّا من جهة الشرع^(٣).

فالحسن عند الأشاعرة حسن لأن الله أمر به، والقبيح قبيح، لأن الله تعالى نهى عنه^(٤).

فلا يمكن للعقل أن يعرف حكم الله تعالى في أفعال المكلفين إلّا بواسطة رسله وكتبه، لأن العقول تختلف، فبعضها يُحسن بعض الأفعال، وآخر يقبّحها، وكثيراً ما يكون التحسين والتقييح مبنياً على الهوى. فمقياس الحُسن والقُبْح عند الأشاعرة هو الشرع لا العقل.

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية السابق.

(٢) تبين كذب المُفتري السابق.

(٣) تَشنيف المَسامع ج ١ ص ٤٥، وذكر الأشاعرة باسم أهل السُّنة.

قال ابن السُّبكيّ في جَمْع الجَوامع: (والحسن والقبيح بمعنى ملاءمة الطبع ومنافرتة، وصفة الكمال والنقص، عقلي، وبمعنى ترتب الذم عاجلاً والعقاب آجلاً شرعيّ، خلافاً للمُعتزلة).

وانظر كلام الرّازيّ في المَحْصُول ج ١ ص ١٢٣ وما بعدها، عن هُذه الأقوال التي ذكرها ابن السُّبكيّ، وانظر أيضاً: إرشاد الفُحول للشُّوكانيّ ج ١ ص ٥٤، والإنصاف للبقلاّنيّ ص ٥٠ وفيه: (جميع قَوَاعِد الشرع تدل على أن الحسن ما حسَّنه الشرع وجوزّه وسوغه، والقبيح ما قبحه الشرع وحرّمه ومنع منه لا من حيث الصورة).

(٤) تاريخ المذاهب الإسلامية ص ١٨٢.

وبناءً عليه: لا يثاب الإنسان على فعل شيء، ولا يعاقب على تركه، إلا إذا بلغته دعوة رَسُولٌ تُعَرِّفُهُ ما يجب عليه فعله وما يجب عليه تركه، لقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ - الإسراء ١٥. فمن عاش في عزلة تامة لم تبلغه دعوة رَسُولٌ ولا شرعه فهو غير مكلف من الله بشيء، ولا يستحق ثواباً ولا عقاباً. ومثلهم أهل الفترة، وهم من عاشوا بعد موت رَسُولٍ وقبل مبعث رَسُولٍ، فهؤلاء غير مكلفين بشيء من الله تعالى^(١).

٤- أفعال الله تعالى لا تُعَلَّلُ^(٢). فالأشاعرة ذهبوا إلى منع التعليل^(٣).

ومن حججهم:

أ- قوله تعالى: ﴿لَا يَسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ - الأنبياء ٢٣^(٤).

ب- لو كان الفعل لغرض، للزم أن يكون الفاعل ناقصاً في نفسه، مستكملاً في غيره، ويتعالى الله سبحانه عن ذلك^(٥).

(١) علم أصول الفقه لعبد الوهاب خَلاف ص ٩٧-٩٨.

ومن المحققين من رد هذا القسم إلى الأول، وقال: إنه في الحقيقة راجع إلى الألم واللذة. ولهذا سلم الرازي في آخر عمره ما ذكره في كتابه نهاية العقول: إن الحُسن والقُبْح العقليين ثابتان في أفعال العباد، لأن معناهما يؤول إلى اللذة والألم. / تَشْنِيفُ الْمَسَامِع ج ١ ص ٤٥.

(٢) تاريخ المذاهب الإسلامية ص ١٨٢.

(٣) تعليل الأحكام ص ٩٧.

(٤) تعليل الأحكام ص ١٠٢ واستبعد الاستدلال بها، وتاريخ المذاهب الإسلامية السابق.

(٥) نظرية المقاصد للريسوني ص ٢٢٧ عن السُّبْكِيِّ في الإبهاج ج ٣ ص ٦٢. ونظرية المقاصد أيضاً ص ٢٢٨ عن ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير ج ١ ص ٣٨٠. وذكره شلبي في تعليل الأحكام ص ٩٧ وفي ص ١٠٠ ورده.

ج- إذا كان الفعل لغرض، كان الغرض سبباً يقتضي عجز الفاعل^(١). أي: أن الغرض محتاج إلى غرض آخر، والآخر إلى آخر، وهذا يلزم التسلسل، وهو باطل^(٢).
واختلفت عبارات الأشاعرة في بيان معنى منع التعليل، هل هو استحالة التعليل، أو عدم وجوبه؟

فقال بعضهم باستحالة التعليل.

وقال الآخرون: حقيقة مذهب الأشاعرة أنه لا يجب التعليل، لأنه في مقابلة قول المعتزلة بالوجوب، ومقتضى هذا القول أنه يجوز، وهو ما عبر بعضهم عنه بأن أفعال الله سبحانه معللة بالمصالح تفضلاً وإحساناً^(٣).

٥- كل موجود يصح أن يرى، والله تعالى موجود، فيصح أن يرى، وقد صح السمع بأن المؤمنين يرونه في الآخرة في القرآن والسنة^(٤).

لكن يرى من غير حلول ولا حدود ولا تكييف^(٥)، أي: لا يجوز أن يرى في مكان وصورة ومقابلة واتصال شعاع، فذلك كله محال^(٦).

(١) التحرير والتنوير السابق، ورد هاتين الحجتين. ونقل الريسوني في نظرية المقاصد الرد على هذا القول عن ابن الهمام وصدر الشريعة.

(٢) تعليل الأحكام ص ١٠٠ وأورد حججاً أخرى ورد عليها.

(٣) تعليل الأحكام ص ٩٧.

قال السبكي في الإبهاج ج ٣ ص ١٥٣٣: (المتكلمون - يريد الأشاعرة - لم يقولوا بتعليل الأحكام بالمصالح، لا بطريق الوجوب ولا الجواز، وهو اللائق بأصولهم...)، وقد قالوا: لا يجوز أن تعلق أفعال الله تعالى. ونقله عنه الريسوني في: مقاصد الشريعة ص ٢٢٧.

(٤) الملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ٨٧ وخطط المقرئ ج ٢ ص ٣٦٠. وانظر قول الأشعري هذا في كتابه الإبانة ص ٥١ وكلامه عن الرؤية في اللمع ص ٦١ وما بعدها.

(٥) تبين كذب المفتري ص ١٤٩.

(٦) الملل والنحل للشهرستاني، وخطط المقرئ، السابقان.

فكان وسطاً بين المُشَبِّهَةِ القائلين بأن الله تعالى يرى مُكَيِّفًا محدوداً كسائر المراتب، وبين المُعْتَزَلَةِ والجَهْمِيَّةِ وموافقيهم القائلين بأن الله لا يرى بحال من الأحوال^(١).

٦- في الألفاظ الواردة في القرآن والسُّنَّة الموهمة للتشبيه مثل:

اليد في قوله تعالى: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ - الفتح ١٠.

والوجه في قوله تعالى: ﴿وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ - الرحمن ٢٧.

والاستواء في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ - طه ٥.

والنُّزُولُ في قوله ﷺ: (ينزل ربُّنا تبارك وتعالى كلَّ ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثُلُثُ الليل الآخر، فيقول: مَنْ يدعوني فأستجيبَ له، ومَنْ يسألني فأعطيه، ومَنْ يستغفرني فأغفرَ له)^(٢).

له قولان:

القول الأول: عدم التأويل، فله سُبْحَانُهُ يد تليق بذاته الكَرِيمَةِ، لكن ليست يدًا جارحة كأيدي المخلوقين، فيدُه تعالى يد صفة، وكذلك وجهه وجه صفة كالسمع والبصر^(٣). فاليد والوجه صفات خبرية وَرَدَ السمع بها فوجب الإقرار به^(٤)، وكذلك

(١) تَبَيَّنَ كَذِبُ الْمُفْتَرِي السَّابِقِ.

(٢) حَدِيث: ينزل ربنا... إلخ، في: صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ في: ١٩ كتاب التهجد، ١٤ باب الدعاء والصلاة من آخر الليل، رقم ١١٤٥ بهذا اللفظ. وفي: ٨٠ كتاب الدَّعَوَات، ١٤ باب الدعاء نصف الليل، رقم ٦٣٢١. وفي: ٩٧ كتاب التَّوْحِيد، ٣٥ باب قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ﴾ - الفتح ١٥، رقم ٧٤٩٤.

وفي صَحِيحِ مُسْلِمٍ في: ٦ كتاب صلاة المسافرين، ٢٤ باب التَّوَعُّبِ في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه، رقم ٧٥٨. وكل هذه الروايات عن أبي هُرَيْرَةَ.

(٣) تَبَيَّنَ كَذِبُ الْمُفْتَرِي ص ١٥٠.

(٤) الْمَلِكُ وَالنَّحْلُ لِلشَّهْرِسْتَانِيِّ ج ١ ص ٨٨ وَخَطَطُ الْمَقْرِزِيِّ ج ٢ ص ٣٦٠.

الاستواء والنزول، هما صفة من صفاته، وفِعْلُ فَعَلَهُ في العرش يسمى الاستواء^(١).

وهذا هو الذي قرره في كتابه الإبانة^(٢). وهي طريقة السلف^(٣).

فكان وسطاً بين المُعْتَزِلَةِ الذين يقولون بالتأويل، فاليد معناها يد القدرة والنعمة، والاستواء بمعنى الاستيلاء، والنزول بمعنى نُزُولُ بعض آياته وملائكته، وبين المُشَبِّهَةِ الذين يقولون بأن يده تعالى هي يد جارحة، ووجهه هو وجه الصورة، والاستواء جلوس على العرش وحُلُولُ فيه، والنزول نُزُولُ ذاته بحركة وانتقال من مكان إلى مكان...^(٤).

قال الذَّهَبِيُّ: رأيتُ لأبي الحَسَنِ أربعةَ تَوَالِيْفٍ في الأُصُولِ، يذكر فيها قَوَاعِدَ مَذْهَبِ السَّلَفِ في الصفات، وقال فيها: تُمَرُّ كما جاءت. ثم قال: وبذلك أقول، وبه أدين، ولا تؤول^(٥).

القول الثاني: التأويل، أي: تأويل كل لفظ منها على وجه يحتملها ذلك اللفظ.

(١) تَبَيَّنَ كَذِبُ الْمُفْتَرِي السَّابِقِ.

(٢) قال الأَشْعَرِيُّ في الإِبَانَةِ ص ٢١-٢٢: (وأن الله استوى على العرش على الوجه الذي قاله وبالمعنى الذي أراد، استواءً منزهاً عن المماسَّة والاستقرار والتمكن والحُلُول والانتقال... وأن له سُبْحَانَهُ وجهاً بلا كَيْفٍ، كما قال: ﴿وَبَيْنَ يَدَيْهِ رُكُوتُ الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ - الرَّحْمَنُ ٢٧، وأن له سُبْحَانَهُ يَدَيْنِ بلا كَيْفٍ كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾ - ص ٧٥، وكما قال: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ - المائدة ٦٤، وأن له سُبْحَانَهُ عَيْنَيْنِ بلا كَيْفٍ كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿تَجَرَّى بِأَعْيُنِنَا﴾ - القمر ١٤، وانظر ص ١٠٨ أيضاً وما بعدها وفيه تفصيل.

وقال في رسالته إلى أهل الثَّغَرِ ص ٢٣٣: (وليس استواؤه على العرش استيلاء كما قال أهل القَدَر).

(٣) المِلَال والنَّحْل للشَّهْرَسْتَانِي السَّابِقِ.

(٤) تَبَيَّنَ كَذِبُ الْمُفْتَرِي السَّابِقِ.

(٥) سِير أَعْلَام النُّبَلَاء ج ١٥ ص ٨٦.

فَأَوَّلَ الْيَدِ بِالْقُدْرَةِ كَالْمُعْتَزِلَةِ^(١).

لِذَلِكَ افْتَرَقَ الْأَشَاعِرَةُ فِي تِلْكَ الْأَلْفَافِ إِلَى قَوْلَيْنِ: أَوَّلُهُمَا لَا يُوَوَّلُ، وَالثَّانِي يُوَوَّلُ^(٢).

٧- الْإِيْمَانُ هُوَ التَّصَدِيقُ بِالْقَلْبِ.

(١) تَارِيخُ الْمَذَاهِبِ الْإِسْلَامِيَّةِ ص ١٧٠ وَذَكَرَ أَنَّ هَذَا هُوَ الَّذِي قَرَّرَهُ فِي (اللُّمَعِ). لَكِنِّي لَمْ أَجِدْهُ فِي كِتَابِ اللَّمَعِ الْمَطْبُوعِ.

وَذَكَرَ الشَّهْرَسْتَانِيُّ فِي الْمِلَلِ وَالنَّحَلِ ج ١ ص ٨٨ أَنَّ لِلْأَشْعَرِيِّ قَوْلًا بِجَوَازِ التَّأْوِيلِ.
وَذَكَرَ الْإِنْجِي فِي الْمَوَاقِفِ ج ٨ ص ١١٠ وَ ١١١ أَنَّ التَّأْوِيلَ أَحَدُ قَوْلِي الشَّيْخِ الْأَشْعَرِيِّ.
وَنَقَلَهُ الزَّيْدِيُّ فِي إِتْحَافِ السَّادَةِ الْمُتَّقِينَ ج ٢ ص ٤ عَنْ ابْنِ كَثِيرٍ الْقَائِلِ: (ذَكَرُوا لِلشَّيْخِ أَبِي الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيِّ ثَلَاثَةَ أَحْوَالٍ:
أَوَّلُهَا: حَالُ الْإِعْتِرَالِ الَّتِي رَجَعَ عَنْهَا لَا مُحَالَةَ.

وَالْحَالُ الثَّانِي: إِثْبَاتُ الصِّفَاتِ الْعَقْلِيَّةِ السَّبْعَةِ وَهِيَ: الْحَيَاةُ، وَالْعِلْمُ، وَالْقُدْرَةُ، وَالْإِرَادَةُ، وَالسَّمْعُ، وَالْبَصَرُ، وَالْكَلَامُ. وَتَأْوِيلُ الْجُزْئِيَّةِ كَالْوَجْهِ وَالْيَدَيْنِ وَالْقَدَمِ وَالسَّاقِ وَنَحْوِ ذَلِكَ.

وَالْحَالُ الثَّلَاثُ: إِثْبَاتُ ذَلِكَ كُلِّهِ مِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَشْبِيهِ جَرِيًّا عَلَى مَنَوَالِ السَّلَفِ، وَهِيَ طَرِيقَتُهُ فِي الْإِبَانَةِ الَّتِي صَنَفَهَا آخِرًا، وَشَرَحَهَا الْبَاقِلَانِيُّ، وَنَقَلَهَا ابْنُ عَسَاكِرٍ، وَهِيَ الَّتِي مَالَتْ إِلَيْهَا الْبَاقِلَانِيُّ وَإِمَامُ الْحَرَمَيْنِ وَغَيْرُهُمَا مِنْ أَيْمَةِ الْأَصْحَابِ الْمُتَقَدِّمِينَ فِي أَوَاخِرِ أَقْوَالِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَنَقَلَهُ د. عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ صَالِحِ الْمَحْمُودِ فِي كِتَابِهِ مَوْقِفَ ابْنِ تَيْمِيَّةٍ مِنَ الْأَشَاعِرَةِ ج ١ ص ٣٩١-٣٩٢ عَنْ الزَّيْدِيِّ، وَقَالَ بَعْدَهُ: (هَذَا النِّقْلُ غَيْرُ دَقِيقٍ، إِذْ لَيْسَ لِلْأَشْعَرِيِّ فِي الصِّفَاتِ الْخَبَرِيَّةِ كَالْوَجْهِ وَالْيَدَيْنِ قَوْلٌ بِتَأْوِيلِهَا).

أَقُولُ: الْقَوْلُ بِأَنَّ: (هَذَا النِّقْلُ غَيْرُ دَقِيقٍ) هُوَ قَوْلٌ مُرَدُّودٌ بِمَا ذَكَرَهُ هُوَلَاءُ الْعُلَمَاءِ، وَالْأَشَاعِرَةُ أَعْلَمُ النَّاسِ بِقَوْلِ شَيْخِهِمُ الْأَشْعَرِيِّ، وَقَدْ يَكُونُ نَقْلُهُمْ عَنْهُ مِنْ بَعْضِ كُتُبِهِ الْمَفْقُودَةِ الْآنَ، وَالَّذِي وَصَلَ إِلَيْنَا مِنْهَا يَسِيرٌ جَدًّا، كَمَا قَدَّمْنَاهُ.

(٢) خِطَطُ الْمُقْرِئِيِّ ج ٢ ص ٣٦٠. وَانْظُرْ: الْمُسَامَرَةَ ص ٣٧.

أما الإقرار باللسان والعمل بالأركان فهما فُرُوعُ الإيمان.

فمن صدق بالقلب أي: أقر بوحداية الله تعالى واعترف بالرسول تصديقاً لهم فيما جاءوا به فهو مؤمن^(١). وهو المشهور من مذهب أبي الحسن الأشعري^(٢).

٨- المؤمن الموحد صاحب الكبرية إذا خرج من الدنيا من غير توبة فحكمه إلى الله إما أن يغفر له برحمته أو يشفع له رسول الله ﷺ وإما أن يعذبه بعدله ثم يدخله الجنة برحمته، ولا يخلد في النار مؤمن^(٣).

والفاسق من أهل القبلة مؤمن بإيمانه، فاسق بفسقه وكبريته^(٤).

٩- للرسول ﷺ شفاعة مقبولة في المؤمنين المستحقين للعقوبة، يشفع لهم بأمره تعالى وإذنه، ولا يشفع إلا لمن ارتضى.

فهو وسط بين المعتزلة القائلين بأن الرسول ﷺ لا شفاعة له بحال، وبين الرافضة القائلين بأن للرسول ﷺ ولعلي رضي الله عنه شفاعة من غير أمر الله تعالى ولا إذنه، حتى لو

(١) الملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ٨٨ وخطط المقرئ ج ٢ ص ٣٩٠. وانظر قول الإمام الأشعري في كتابه اللمع ص ١٢٢.

(٢) تبصرة الأدلة ج ٢ ص ٧٩٩ والملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ٨٨ ومصادر أخرى ذكرتها في بحثي: مفهوم الإيمان عند الفرق الإسلامية ص ٣٠.

لكن صرح الأشعري في الإبانة: أن الإيمان قول وعمل / الإبانة ص ٢٧.

وذهب بعض الأشاعرة إلى أن الإيمان تصديق بالقلب وإقرار باللسان دون غيرهما من الجوارح. / انظر بحثي: مفهوم الإيمان السابق ص ٢٨ وفيه مصادره.

(٣) الملل والنحل للشهرستاني، وخطط المقرئ، السابقان، وتبين كذب المقرئ ص ١٥١.

(٤) اللمع للأشعري ص ١٢٢.

شفعا في الكفار قبلت^(١).

١٠- لا يُكْفَرُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ.

قال أبو الحسن الأشعري في كتابه الإبانة: وندين بأن لا نُكْفِرُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ بِذَنْبٍ يَرْتَكِبُهُ مَا لَمْ يَسْتَحِلَّهُ، كالزنا والسرقه وشرب الخمر، كما دانت بذلك الخوارج، وزعمت أنهم كافرون، ونقول: إن من عَمِلَ كَبِيرَةً مِنْ هَذِهِ الْكِبَائِرِ مِثْلَ الزَّنا وَالسَّرْقَةِ وَمَا أَشْبَهَهَا مُسْتَحِلًّا لَهَا غَيْرَ مُعْتَقِدٍ لِتَحْرِيمِهَا كَانَ كَافِرًا^(٢).

وَرَوَى ابْنُ عَسَاكِرَ بِسَنَدِهِ عَنِ الْبَيْهَقِيِّ أَبِي بَكْرٍ أَحْمَدَ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا حَازِمٍ عُمَرَ بْنَ أَحْمَدَ الْعَبْدَوِيَّ الْحَافِظَ، يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا عَلِيٍّ زَاهِرَ بْنَ أَحْمَدَ السَّرَخْسِيَّ يَقُولُ: لَمَّا قَرَّبَ حُضُورَ أَجْلِ أَبِي الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيِّ فِي دَارِي بَغْدَادَ، دَعَانِي فَاتَيْتُهُ، فَقَالَ: أَشْهَدُ عَلَيَّ أَنِّي لَا أَكْفُرُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْقِبْلَةِ، لِأَنَّ الْكُلَّ يَشِيرُونَ إِلَى مُعْبُودٍ وَاحِدٍ، وَإِنَّمَا هَذَا كُلُّهُ اخْتِلَافُ الْعِبَارَاتِ^(٣).

قال الذَّهَبِيُّ: وَبَنَحُوا هَذَا أَدِينًا، وَكَذَا كَانَ شَيْخُنَا ابْنُ تَيْمِيَّةٍ فِي أَوَاخِرِ أَيَّامِهِ يَقُولُ: أَنَا لَا أَكْفُرُ أَحَدًا مِنَ الْأُمَّةِ، وَيَقُولُ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (لَا يَحَافِظُ عَلَى الْوُضُوءِ إِلَّا مُؤْمِنٌ)، فَمَنْ لَازَمَ الصَّلَاةَ بِوُضُوءٍ فَهُوَ مُسْلِمٌ^(٤).

(١) تَبَيَّنَ كَذِبُ الْمُفْتَرِيِّ ص ١٥١. وانظر في الشفاعة: الإبانة ص ٢٤١.

(٢) الإبانة ص ٢٦.

(٣) تَبَيَّنَ كَذِبُ الْمُفْتَرِيِّ ص ١٤٨-١٤٩. وسير أعلام النبلاء ج ١٥ ص ٨٨ وقال: رأيت للأشعري كلمة أعجبتني وهي ثابتة رواها البيهقي، وذكرها.

(٤) سير أعلام النبلاء السابق. وانظر من أقوال ابن تيمية في مجموع الفتاوى ج ٣ ص ٢٨٢، و ج ١٢ ص ٤٦٦، و ج ٣٥ ص ١٠٠.

وَحَدِيثُ: لَا يَحَافِظُ عَلَى الْوُضُوءِ إِلَّا مُؤْمِنٌ، هُوَ جُزْءٌ مِنْ حَدِيثِ: (اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تَحْصُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ أَعْمَالِكُمُ الصَّلَاةُ، وَلَا يَحَافِظُ عَلَى الْوُضُوءِ إِلَّا مُؤْمِنٌ)، رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ وَابْنُ مَاجَةَ وَالْحَاكِمُ وَالْبَيْهَقِيُّ، عَنْ ثَوْبَانَ. وَرَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ أَيْضًا وَالطَّبْرَانِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ

١١ - مِنْهَجُ الْأَشْعَرِيَّةِ فِي الِاسْتِدْلَالِ عَلَى الْعَقَائِدِ يَتَضَحُّ فِي أَخْذِهِم بِالنَّقْلِ وَالْعَقْلِ مَعًا.

فلم يتخذوا العقل حاكماً على النصوص ليؤولوها كالمُعْتَزَلَةِ، ولم يقفوا عند ظواهر النصوص كـبعض الفقهاء والمُحَدِّثِينَ، وإنما اتخذوا العقل خادماً لظواهر النصوص^(١).

أَعْيَانُ مَذْهَبِهِ

وانتسب إلى مذهبهِ أَعْيَانُ الْعُلَمَاءِ مِنْهُمْ:

أبو الحَسَنِ الْبَاهِلِيِّ الْبَصْرِيِّ. وأبو بَكْرُ الْقَفَّالُ الشَّاشِيُّ، الْمُتَوَفَّى سنة ٣٦٥ هـ. والقَاضِي أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الطَّيِّبِ بْنِ الْبَاقِلَانِيِّ الْبَصْرِيِّ، الْمُتَوَفَّى سنة ٤٠٣ هـ. وأبو عَلِيٍّ الدَّقَّاقُ النَّيْسَابُورِيُّ، الْمُتَوَفَّى سنة ٤٠٥ هـ. وَالْحَاكِمُ النَّيْسَابُورِيُّ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ الْبَيْعِ، الْمُتَوَفَّى سنة ٤٠٥ هـ. وَمُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ فُورَكَ الْأَصْبَهَانِيِّ، الْمُتَوَفَّى سنة ٤٠٦ هـ. وَالْأُسْتَاذُ أَبُو إِسْحَاقَ الْإِسْفَرَايِينِيُّ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، الْمُتَوَفَّى سنة ٤١٨ هـ...^(٢).

عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ. وَرَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ. وَهُوَ صَحِيحٌ. / الْجَامِعُ الصَّغِيرُ ص ٦٦.

(١) مَنَاهِجُ الْاجْتِهَادِ فِي الْإِسْلَامِ ص ٥٠٥.

(٢) وَمِنْهُمْ أَيْضاً: أَبُو نَعِيمٍ الْأَصْبَهَانِيُّ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، الْمُتَوَفَّى سنة ٤٣٠ هـ. وَأَبُو ذَرٍّ الْهَرَوِيُّ الْحَافِظُ عَبْدُ بْنُ أَحْمَدَ، الْمُتَوَفَّى سنة ٤٣٤ هـ. وَأَبُو جَعْفَرٍ السَّمْنَانِيُّ الْحَنْفِيُّ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ قَاضِي الْمَوْصِلِ، الْمُتَوَفَّى سنة ٤٤٤ هـ. وَأَبُو الْفَتْحِ سُلَيْمُ بْنُ أَيُّوبَ الرَّازِي، الْمُتَوَفَّى سنة ٤٤٧ هـ. وَالْحَافِظُ أَبُو بَكْرٍ الْبَيْهَقِيُّ أَحْمَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ، الْمُتَوَفَّى سنة ٤٥٨ هـ. وَالْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ، الْمُتَوَفَّى سنة ٤٦٣ هـ. وَأَبُو الْقَاسِمِ الْقَشِيرِيُّ النَّيْسَابُورِيُّ عَبْدُ الْكَرِيمِ بْنُ هَوَازَنَ، الْمُتَوَفَّى سنة ٤٦٥ هـ. وَأَبُو الْمُظَفَّرِ الْإِسْفَرَايِينِيُّ شَاهِفُورُ بْنُ طَاهِرٍ، الْمُتَوَفَّى سنة ٤٧١ هـ. وَأَبُو إِسْحَاقَ الشَّيرَازِيُّ إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَلِيٍّ، الْمُتَوَفَّى سنة ٤٧٦ هـ. وَأَبُو الْمَعَالِي الْجَوِينِيُّ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ إِمَامُ الْحَرَمَيْنِ، الْمُتَوَفَّى سنة ٤٧٨ هـ. وَالْإِمَامُ أَبُو حَامِدٍ الْغَزَالِيُّ مُحَمَّدُ بْنُ

مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ أَحْمَدَ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٥٠٥ هـ. / تَبَيَّنَ كَذِبُ الْمُفْتَرِي ص ١٧٧-٣٣١ وفيه تَرَاجُمُ أشهر الأعلام من الأشاعرة إلى زمنه. وذكر أسماء هؤلاء السُّبُكِيِّ فِي طَبَقَاتِ الشَّافِعِيَةِ الْكُبْرَى ج ٣ ص ٣٦٨-٣٧٢ وغيرهم عن ابن عَسَاكِر.

وذكر السُّبُكِيُّ عِدَّةً كَبِيرًا مِنْ طَبَقَاتِ الْأَشَاعِرَةِ الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ ابْنُ عَسَاكِرٍ، وَزَادَ عَلَيْهِمُ آخَرِينَ، مِنْهُمْ:

أَبُو بَكْرٍ الْأَبْهَرِيُّ. وَأَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي زَيْدٍ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْقَيَّرَوَانِيُّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٣٨٦ هـ. وَأَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَلَانِسِيُّ. وَأَبُو الْوَفَاءِ بْنُ عَقِيلٍ الْحَنْبَلِيُّ. وَقَاضِي الْقُضَاةِ الدَّامَغَانِيُّ الْحَنْفِيُّ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ. وَقَاضِي الْقُضَاةِ أَبُو بَكْرٍ النَّاصِحُ الْحَنْفِيُّ. وَأَبُو الْوَلِيدِ الْبَاجِي سُلَيْمَانُ بْنُ خَلْفٍ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٤٧٤ هـ. وَأَبُو عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْبَرِّ الْحَافِظُ يُوسُفُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٤٦٣ هـ. وَأَبُو الْقَاسِمِ بْنِ عَسَاكِرٍ عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٥٧١ هـ. وَالْحَافِظُ أَبُو سَعْدٍ بْنُ السَّمْعَانِيِّ عَبْدِ الْكَرِيمِ بْنِ مُحَمَّدٍ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٥٦٢ هـ. وَالْحَافِظُ أَبُو طَاهِرٍ السَّلْفِيُّ عِمَادُ الدِّينِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٥٧٦ هـ. وَالْقَاضِي عِيَاضُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْيَحْصِبِيُّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٥٤٤ هـ. وَالْإِمَامُ أَبُو الْفَتْحِ الشَّهْرَسْتَانِيُّ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْكَرِيمِ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٥٤٨ هـ. وَالْإِمَامُ فَخْرُ الدِّينِ الرَّازِيُّ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٦٠٦ هـ. وَسَيْفُ الدِّينِ الْأَمْدِيُّ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٦٣١ هـ. وَشَيْخُ الْإِسْلَامِ عَزَّ الدِّينُ عَبْدِ الْعَزِيزُ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٦٦٠ هـ. وَالشَّيْخُ أَبُو عَمْرٍو بْنُ الْحَاجِبِ الْمَالِكِيُّ عُثْمَانُ بْنُ عُمَرَ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٦٤٦ هـ. وَجَمَالُ الدِّينِ الْحَصِيرِيُّ الْحَنْفِيُّ. وَشَيْخُ الْإِسْلَامِ تَقِيُّ الدِّينِ بْنُ دَقِيقِ الْعِيدِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٧٠٢ هـ. وَالشَّيْخُ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْكَافِي السُّبُكِيِّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٧٥٦ هـ. وَالشَّيْخُ صَفِيُّ الدِّينِ الْهِنْدِيُّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٧٥٠ هـ. وَالْقَاضِي عَزُودُ الدِّينِ الْإِنْجِيُّ الشَّيرَازِيُّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٧٥٦ هـ. / طَبَقَاتِ الشَّافِعِيَةِ الْكُبْرَى لِلْسُّبُكِيِّ ج ٣ ص ٣٧٢-٣٧٣ مُسْتَدْرَكًا عَلَى ابْنِ عَسَاكِرٍ.

وَتَتَابَعَ عَلَى ذَلِكَ الْعُلَمَاءُ عَلَى مَذْهَبِهِ مَنْ يَشُقُّ إِحْصَاؤَهُمْ.

الماتريديّة

شيخ المذهب

الماتريديّة هم أتباع الإمام أبي منصور مُحمَّد بن مُحمَّد بن محمَّد الماتريدي^(١)، الحنفي^(٢)، الملقَّب بإمام الهدى^(٣).

والماتريديّ نسبة إلى ماتريد، ويقال لها ماتريّت، وهي محلّة بسمرقند^(٤)، أو

(١) الجواهر المضية ج ٣ ص ٣٦٠ رقم الترجمة ١٥٣٢ وتاج التّراجم ص ٢٤٩ رقم الترجمة ٢١٧ والفوائد البهية ص ٣١٩ رقم ٤١٢ وكشف الظّنون ص ٢٦٢ و٣٣٥ و٥١٨ و٥١٩ في الجواهر المضية، والإمام مجد الدين أبي الندى إسماعيل بن إبراهيم بن مُحمَّد الكِنانيّ البُلبُسيّ القاهريّ في كتاب الأنساب، وذكر أنه يوجد بعض أحواله في انتساب كتب المذهب، وأورد حاصل ما ذكره، ونقل كلام القرشيّ. وهديّة العارفين ص ٣٦ والفكر الساميّ ج ٢ ص ١٠٨ والأعلام للزركليّ ج ٧ ص ١٩ ومُعجم المؤلّفين ج ٣ ص ٦٩٢ ومُقدّمة كتابه التّوحيد الذي حقّقه: د. فتح الله خليف.

(٢) كشف الظّنون ص ٢٦٢ و٣٣٥ و٥١٨ وإتحاف السّادة، وهديّة العارفين، السّابقان.

(٣) الجواهر المضية، وتاج التّراجم، وإتحاف السّادة، وهديّة العارفين، السّابقة.

(٤) إتحاف السّادة ج ٢ ص ٥ والفوائد البهية ص ٣٢٠ وضبط الكلمة بالحروف ونقله عن السّمعيّ. وفي الأنساب للسّمعيّ ج ١١ ص ٥٥: محلّة من حائط سمرقند، قال السّمعيّ: مضيت إليها غير مرة. وفي اللّباب لابن الأثير ج ٣ ص ١٤٠: محلّة من سمرقند. وفي الفكر الساميّ للحجويّ ج ٢ ص ١٠٩: (وماتريديّ بضم المثناة فوق، نسبة إلى محلّة بسمرقند، خلافاً للكمال بن أبي شريف حيث ضبطها بالفتح. صح من الفوائد البهية). والأعلام للزركليّ ج ٧ ص ١٩.

قَرِيَّةَ بِهَا^(١).

ومن شيوخه:

١ - أبو نَصْرٍ العِيَّاضِيّ الذي تخرج به^(٢)، وهو أَحْمَدُ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنِ الْحُسَيْنِ، يتنسب إلى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ الْأَنْصَارِيِّ، الفقيه السَّمَرْقَنْدِيُّ الْوَرَعُ الْمُجَاهِدُ^(٣).

كان الشيخ أبو نَصْرٍ لا يتكلم في مجالسه ما لم يحضر تلميذه الشيخ أبو مَنْصُور - الْمَأْتَرِيْدِي - ، فكان كلما رآه من بعيد نظر إليه نظر المتعجب، وقال: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ - القصص ٦٨^(٤).

٢ - أبو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ صَالِحِ الْجُوزْجَانِيِّ، صاحب الفرق والتمييز^(٥).

٣ - نَصِيرُ بْنُ يَحْيَى الْبَلْخِيِّ، المُتَوَفَّى سنة ٢٦٨ هـ.

وذكر الزَّيْدِيُّ: أن هؤلاء المشايخ الثلاثة تَفَقَّهُوا عَلَى الْإِمَامِ أَبِي سُلَيْمَانَ مُوسَى بْنِ سُلَيْمَانَ الْجُوزْجَانِيِّ، وهو على الإمامين أَبِي يُوسُفَ وَمُحَمَّدَ بْنِ الْحَسَنِ^(٦).

٤ - مُحَمَّدُ بْنُ مُقَاتِلِ الرَّازِيِّ، قَاضِي الرَّيِّ.

قال الزَّيْدِيُّ: تَفَقَّهَ مُحَمَّدُ بْنُ مُقَاتِلٍ وَنَصِيرُ بْنُ يَحْيَى أَيْضاً عَلَى الْإِمَامَيْنِ أَبِي

(١) إِنْحَافُ السَّادَةِ السَّابِقِ.

(٢) الْجَوَاهِرُ الْمُضِيَّةُ ج ٣ ص ٣٦٠ وَتَاجُ التَّرَاجُمِ ص ٢٤٩ وَإِنْحَافُ السَّادَةِ ج ٢ ص ٥.

(٣) إِنْحَافُ السَّادَةِ السَّابِقِ، وَنَقَلَ تَرْجُمَتَهُ عَنْ تَارِيخِ سَمَرْقَنْدَ لِلْإِدْرِيسِيِّ. وَتَرْجَمَ لَهُ النَّسْفِيُّ فِي تَبْصِرَةِ الْأَدِلَّةِ ج ١ ص ٣٥٦.

(٤) تَبْصِرَةُ الْأَدِلَّةِ ج ١ ص ٣٥٩.

(٥) إِنْحَافُ السَّادَةِ السَّابِقِ، قَالَ اللَّكْنَويُّ فِي الْفَوَائِدِ الْبَهِيَّةِ ص ٣١٩: تَفَقَّهَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ أَحْمَدَ الْجُوزْجَانِيِّ عَنْ أَبِي سُلَيْمَانَ الْجُوزْجَانِيِّ عَنْ مُحَمَّدٍ.

(٦) إِنْحَافُ السَّادَةِ السَّابِقِ. وَفِيهِ: (نَصِيرُ) يُقَالُ لَهُ (نَصْرٌ) أَيْضاً.

مطيع الحَكَم بن عبد الله البَلَخِي، وأبي مقاتل حَفْص بن مُسْلِم السَّمَرْقَنْدِيّ. وأخذ مُحَمَّد بن مقاتل أيضاً عن مُحَمَّد بن الحَسَن، وأخذ هؤلاء الشيوخ الأربعة عن الإمام أبي حَنِيفَةَ^(١).

ومن تلاميذه:

أبو أَحْمَد العِيَاضِيّ تَفَقَّه عليه في أنواع العُلُوم^(٢). والحَكِيم القاضي إِسْحَاق بن مُحَمَّد السَّمَرْقَنْدِيّ. وَعَلِيّ الرُّسْتَعْفَنِيّ. وأبو مُحَمَّد عبد الكريم بن مُوسَى البَزْدَوِيّ^(٣).

مُصَنَّفَاتُه:

صنف التصانيف الجَلِيلَة، ورد أكاذيب أقوال أصحاب العَقَائِد الباطلة^(٤)، منها: كتاب التَّوْحِيد^(٥). وكتاب المَقَالَات^(٦). وكتاب ردّ أوائل الأدلّة للكعبيّ^(٧).

(١) إِنْحَاف السَّادَةِ السَّابِق. وذكر أن الذَّهَبِيّ في المِيزَان ترجم لِمُحَمَّد بن مُقَاتِل، وقال: حَدَّثَ عَنْ وَكِيعٍ وَطَبَقَهُ.

(٢) تَبْصِرَةُ الْأَدِلَّة ج ١ ص ٣٥٩.

(٣) الْفَوَائِد الْبَهِيَّة ص ٣١٩. وذكر النَّسْفِيّ في التَّبْصِرَةِ السَّابِق: أبا الحَسَن الرُّسْتَعْفَنِيّ.

(٤) الْفَوَائِد الْبَهِيَّة ص ٣١٩ والفكر السَّامِي ج ٢ ص ١٠٨.

(٥) تَبْصِرَةُ الْأَدِلَّة ج ١ ص ٣٥٩ والجَوَاهِر الْمُضِيَّة ج ٣ ص ٣٦٠ وَتَاج التَّرَاجُم ص ٢٤٩، والفَوَائِد الْبَهِيَّة، والفكر السَّامِي، والأَعْلَام لِلزُّرْكَلِيِّ وفيه: أنه مخطوط. وسماه حاجي خَلِيفَة في كَشَف الظُّنُون ص ١٤٠٦ وإِسْمَاعِيلَ بَاشَا في هَدْيَةِ الْعَارِفِينَ ص ٣٦: كتاب التَّوْحِيد وإثبات الصفات. وطُبِعَ بِتَحْقِيق: د. فتح الله خَلِيف.

(٦) تَبْصِرَةُ الْأَدِلَّة، والجَوَاهِر الْمُضِيَّة، وَتَاج التَّرَاجُم، والفَوَائِد الْبَهِيَّة، وَهَدْيَةِ الْعَارِفِينَ، السَّابِقَة، وَكَشَف الظُّنُون ص ١٧٨٢.

(٧) تَبْصِرَةُ الْأَدِلَّة، والجَوَاهِر الْمُضِيَّة، وَتَاج التَّرَاجُم، السَّابِقَة.

وكتاب بَيَان وهم الْمُعْتَزِلَةُ^(١). وكتاب تأويلات القرآن^(٢) وهو المسمّى بتأويلات أهل السُّنَّة، قال النَّسَفِيُّ: (هو كتاب لا يوازيه في فنه كتاب، بل لا يدانيه شيء من تصانيف من سبقه في ذلك الفن. وما أَحَسَّن ما قال بعض بلغاء الكُتَّاب فيه: وكتاب تَفْسِير القرآن فَتَقَّ عن المشكل أكمَامه، وقَشَعَ عن المُشْتَبِه عَمَامه، وَأَبَانَ بأبلغ الوصف وأتقن الرَّصْف أَحكامه وحلاله وحرامه، لقاء الله تحيته وسَلَامه)^(٣). وكتاب شَرْح الفقه الأكبر المنسوب للإمام أبي حَنِيفَةَ^(٤). وكتاب رد نَهْذِيب الجَدَل

(١) تَبْصِرَةُ الْأَدَلَّة، والجَوَاهِر الْمُضِيَّة، وتَاج التَّرَاجُم، وَهَدْيَةُ الْعَارِفِينَ، وَمُعْجَمُ الْمُؤَلَّفِينَ، السَّابِقَةُ، وكَشَفُ الظُّنُون ص ٢٦٢. وفي الفَوَائِد الْبَهِيَّة والفكر السَّامِي والأَعْلَام لِلزَّرْكَلِيِّ: كتاب أوهام الْمُعْتَزِلَةُ.

(٢) وَرَدَ هَذَا الاسم (تأويلات القرآن) في: تَبْصِرَةُ الْأَدَلَّة، والجَوَاهِر الْمُضِيَّة، وتَاج التَّرَاجُم، السَّابِقَةُ. وورد باسم (تأويلات أهل السُّنَّة) في كَشَفِ الظُّنُون ص ٣٣٥ ونقل فيه حاجي خَلِيفَةُ وَصَفَ الْقُرَشِيِّ له في الجَوَاهِر الْمُضِيَّة. وذكره الْبَغْدَادِيُّ في هَدْيَةِ الْعَارِفِينَ باسم (تأويلات أهل السُّنَّة). وقال الزَّرْكَلِيُّ في الْأَعْلَام: (له تأويلات القرآن، وهو مخطوط، وله تأويلات أهل السُّنَّة طبع الجزء الأول منه). وذكر عُمَرُ رَضَا كَحَّالَةً أَنْ له: (تأويلات أهل السُّنَّة، وتأويلات القرآن). ويلاحظ أَنَّ الزَّرْكَلِيَّ وَكَحَّالَةً اعتبرا كتابين، والصواب أنها كتاب وَاحِدٌ باسمين، بدلالة أَنَّ حاجي خَلِيفَةَ ذكره باسم (تأويلات أهل السُّنَّة) ونقل وَصَفَهُ عن الْقُرَشِيِّ في الجَوَاهِر الْمُضِيَّة الذي ذكره باسم (تأويلات القرآن).

والجزء الأول من الكتاب مطبوع باسم (تأويلات أهل السُّنَّة) بِتَحْقِيقِ د. إِبْرَاهِيمَ عَوْضِينَ وَالسَّيِّدِ عَوْضِينَ، وَقَالَا في الْمُقَدِّمَةِ: إِنَّهُ يُسَمَّى (تأويلات القرآن)، طبعه المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة سنة ١٣٩١هـ = ١٩٧١م. فكتاب (تأويلات القرآن) هو (تأويلات أهل السُّنَّة).

(٣) تَبْصِرَةُ الْأَدَلَّة السَّابِق، وذكر الْقُرَشِيُّ في الجَوَاهِر الْمُضِيَّة أَوَّلَهُ إِلَى قَوْلِهِ: ذَلِكَ الْفَن.

(٤) الْأَعْلَام لِلزَّرْكَلِيِّ وذكر أنه مطبوع، وَمُعْجَمُ الْمُؤَلَّفِينَ، السَّابِقَان. قال أَبُو زُهْرَةَ في تاريخ المذاهب الإسلامية ص ١٧٨: (ولكن بالتَّحْقِيقِ الْعِلْمِيِّ ثَبَتَ أَنَّ ذَلِكَ الشَّرْحَ لِأَبِي اللَّيْثِ السَّمَرَقَنْدِيِّ الْفَقِيهِ الْحَنْفِيِّ الْمَعْرُوف).

للكعبي^(١). وكتاب رد كتاب الكعبي في وعيد الفساق^(٢). وكتاب رد الأصول الخمسة لأبي عمر الباهلي^(٣). وكتاب رد كتاب الإمامة لبعض الروافض^(٤). وكتاب الرد على أصول القرامطة^(٥). وكتاب الرد على فروع القرامطة^(٦). وكتاب مآخذ الشرائع في أصول الفقه^(٧). وكتاب الجدل في أصول الفقه^(٨). وكتاب الدرر في أصول الدين^(٩). وكتاب عقيدة المأثريّة^(١٠).

قال النسفي: (ومن رأى تصانيفه... ووقف على بعض ما فيها من الدقائق وغرائب المعاني وإثارة الدلائل عن مكانها واستنباطها عن مظانها ومعادنها، واطّلع على ما راعى من شرائط الإلزام والالتزام، وحافظ من آداب المجادلة الموضوع لفسخ عقائد المغترين بأفهامهم، وقرن بكل مسألة من البرهان الموضوع لإفادة ثلج الصدور

(١) تبصرة الأدلة السابق، وتاج التراجم ص ٢٥٠ وكشف الظنون ص ٥١٨ وهديّة العارفين ص ٣٦.

(٢) تبصرة الأدلة، وتاج التراجم، السابق.

(٣) تبصرة الأدلة، وتاج التراجم، والفوائد البهيّة وفيه: لأبي محمد الباهلي.

(٤) تبصرة الأدلة، وتاج التراجم، والفوائد البهيّة، السابقة.

(٥) تبصرة الأدلة، وتاج التراجم، السابق. وورد في الفوائد البهيّة والأعلام للزركلي باسم: الرد على القرامطة.

(٦) تبصرة الأدلة، وتاج التراجم، السابق.

(٧) تبصرة الأدلة، وتاج التراجم، والأعلام للزركلي، ومُعْجَم المؤلفين، السابقة، وكشف الظنون ص ١٥٧٣ وهديّة العارفين ص ٣٧. وورد في الفوائد البهيّة والفكر السامي باسم: مآخذ الشرائع في الفقه.

(٨) تبصرة الأدلة، وتاج التراجم، والفوائد البهيّة، والفكر السامي، السابقة، وكشف الظنون ص ١٤٠٨. وورد في هديّة العارفين والأعلام للزركلي باسم: الجدل.

(٩) كشف الظنون ص ٧٥١ وهديّة العارفين السابق.

(١٠) هديّة العارفين السابق.

وَبَرَدَ الْيَقِينَ، لَعَرَفَ أَنَّهُ الْمَخْصُوصُ بِكَرَامَاتٍ وَمَوَاهِبٍ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، الْمُؤَيَّدُ بِمَوَادِّ التَّوْفِيقِ وَلَطَائِفِ الْإِرْشَادِ وَالتَّسْدِيدِ مِنَ الْغَنِيِّ الْحَمِيدِ، وَأَنَّ مَا اجْتَمَعَ عِنْدَهُ وَحْدَهُ مِنْ أَنْوَاعِ الْعُلُومِ الْمِلِّيَّةِ وَالْحَكْمِيَّةِ لَنْ يَجْتَمَعَ فِي الْعَادَاتِ الْجَارِيَةِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْمُبَرِّزِينَ الْمُحْصِلِينَ^(١).

ثَنَاءُ الْعُلَمَاءِ عَلَيْهِ:

نُعَتَ الْمَآثِرِيِّ بِأَجَلِّ الْأَوْصَافِ وَأَعْلَاهَا.

قَالَ النَّسْفِيُّ: هُوَ الَّذِي غَاصَ فِي بَحُورِ الْعُلُومِ فَاسْتَخْرَجَ دُرَرَهَا، وَأَتَى حُجَجَ الدِّينِ، فَزَيَّنَ بِفَصَاحَتِهِ وَغَزَارَةِ عُلُومِهِ وَجُودَةِ قَرِيحَتِهِ غُرَرَهَا، حَتَّى أَمَرَ الشَّيْخُ أَبُو الْقَاسِمِ الْحَكِيمُ أَنْ يُكْتَبَ عَلَى قَبْرِهِ حِينَ تَوَفَّى: (هَذَا قَبْرُ مَنْ حَازَ الْعُلُومَ بِأَنْفَاسِهِ، وَاسْتَنْفَدَ الْوَسْعَ فِي نَشْرِهِ وَإِقْبَاسِهِ، فَحُمِدَتْ فِي الدِّينِ آثَارُهُ، وَاجْتَنَى مِنْ عُمْرِهِ ثَمَارَهُ)^(٢). ثُمَّ قَالَ النَّسْفِيُّ: وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ بَعْضُ بُلْغَاءِ الْكُتَّابِ فِي وَصْفِهِ: كَانَ مِنْ كِبَرَاءِ الْأَيْمَّةِ، وَأَوْتَادِ الْمِلَّةِ^(٣).

(١) تَبْصِرَةُ الْأَدِلَّةِ ج ١ ص ٣٥٩.

وَقَالَ ابْنُ الْبَيَّاضِيِّ فِي إِشَارَاتِ الْمَرَامِ: (وَحَقَّقَ الْمَآثِرِيُّ تِلْكَ الْأُصُولَ فِي كِتَابِهِ بِقَوَاطِعِ الْأَدِلَّةِ، وَأَتَقَنَ الْتَفَارِيعَ بِلَوَامِعِ الْبَرَاهِينِ الْيَقِينِيَّةِ). / إِشَارَاتُ الْمَرَامِ ص ٢٣.

وَقَالَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ زَاهِدُ الْكُوْثَرِيِّ فِي تَقْدِيمِهِ لِكِتَابِ (إِشَارَاتِ الْمَرَامِ): (وَكَانَتْ بِلَادُ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ سَلِيمَةً مِنَ الْأَهْوَاءِ وَالْبَدْعِ، لِسُلْطَانِ السُّنَّةِ عَلَى النُّفُوسِ هُنَاكَ مِنْ غَيْرِ مَنَازِعٍ، بِتَنَاقُلِ تِلْكَ الْأَثَارِ جِيلًا بَعْدَ جِيلٍ، إِلَى أَنْ جَاءَ إِمَامُ السُّنَّةِ فِيهَا وَرَاءَ النَّهْرِ أَبُو مَنْصُورٍ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَآثِرِيُّ، الْمَعْرُوفُ بِإِمَامِ الْهُدَى، فَتَفَرَّغَ لِتَحْقِيقِ مَسَائِلِهَا وَتَدْقِيقِ دَلَالَتِهَا، فَأَرْضَى بِمُؤَلَّفَاتِهِ جَانِبِي الْعَقْلِ وَالنَّقْلِ فِي آنٍ وَاحِدٍ). / إِشَارَاتُ الْمَرَامِ - مُقَدِّمَةُ الْكُوْثَرِيِّ ص ٦ وَتَارِيخُ الْمَذَاهِبِ الْإِسْلَامِيَّةِ ص ١٧٨ نَقْلًا عَنْ إِشَارَاتِ الْمَرَامِ وَمُقَدِّمَتِهِ.

(٢) تَبْصِرَةُ الْأَدِلَّةِ ج ١ ص ٣٥٨.

(٣) تَبْصِرَةُ الْأَدِلَّةِ ج ١ ص ٣٥٩.

وُنِعِتَ أيضاً بأنه من كبار العلّماء^(١)، وإمام المتكلمين، ومصحح عقائد المسلمين^(٢).

وكان إماماً جليلاً مناضلاً عن الدّين، موطّداً لعقائد أهل السّنة، قطع المّعترلة وذوي البدع في مناظراتهم، وخصمهم في محاوراتهم حتى أسكتهم، فهو ناصر السّنة، وقامع البدعة، ومُحيي الشّريعة.

قال الزّبيدي: ووجدت في كلام بعض الأجلاء من شيوخ الطريقة: أنه كان مهديّ هذه الأمّة في وقته^(٣).

وفاته:

توفي سنة ٣٣٣هـ = ٩٤٤م، بعد وفاة أبي الحسن الأشعريّ بقليل^(٥)، وقبره بسمرقند^(٦).

(١) الجواهر المضيّة ج ٣ ص ٣٦٠.

(٢) الفوائد البهيّة ص ٣١٩. وفي الفكر السّامي ج ٢ ص ١٠٨: إمام المتكلمين. وفي الأعلام للزّركليّ ج ٧ ص ١٩: من أئمّة علّماء الكلام.

(٣) إتحاف السّادة ج ٢ ص ٥.

(٤) الجواهر المضيّة ج ٣ ص ٣٦١ وتاج التّراجم ص ٢٥٠ والفوائد البهيّة ص ٣٢٠ وكشف الطّنون ص ٢٦٢ و٣٣٥ و٥١٨ و١٤٠٨ و١٥٧٣ و١٧٨٢ وهديّة العارفين ص ٣٦ والفكر السّامي ص ١٠٩ والأعلام للزّركليّ ج ٧ ص ١٩ ومُعجم المؤلّفين ج ٣ ص ٦٩٢ والتاريخ الميلاديّ منهما.

لكن ورد في كشف الطّنون ص ١٤٠٦ أن وفاته سنة ٣٣٢هـ اثنتين وثلاثين وثلاثمائة، وهو خطأ، ولعله خطأ مطبعي.

(٥) تبصرة الأدلّة ج ١ ص ٣٦٠ والجواهر المضيّة السّابق.

(٦) الجواهر المضيّة للقرشيّ السّابق، ثم قال القرشيّ بعدها: كذا وجدته بخط شيخنا أبي الحسن عليّ الحنفيّ، ورأيت بخط شيخنا قطب الدّين عبد الكريم سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة.

مَذْهَبُ الْمَآثُرِيْدِيِّ مَذْهَبُ الْإِمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ

الْمَآثُرِيْدِيَّةُ أَخَذُوا مَذْهَبَهُمْ عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ^(١). قَالَ ابْنُ الْبَيْاضِيِّ مِنْ عُلَمَاءِ الْمَآثُرِيْدِيَّةِ: وَلَيْسَ الْمَآثُرِيْدِيُّ مِنْ أَتْبَاعِ الْأَشْعَرِيِّ لَكُونَهُ أَوَّلُ مَنْ أَظْهَرَ مَذْهَبَ أَهْلِ السُّنَّةِ كَمَا ظَنَّ، لِأَنَّ الْمَآثُرِيْدِيَّ مُفْصَّلٌ لِمَذْهَبِ الْإِمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ وَأَصْحَابِهِ الْمُظْهِرِينَ قَبْلَ الْأَشْعَرِيِّ مَذْهَبَ أَهْلِ السُّنَّةِ^(٢).

وَالْمَآثُرِيْدِيُّ بَنَى كُتُبَهُ عَلَى مَسَائِلَ أَخَذَهَا مِنْ نصوصِ الْإِمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ وَهِيَ فِي خَمْسَةِ كُتُبٍ: الْفِقْهُ الْأَكْبَرُ، وَالرِّسَالَةُ، وَالْفِقْهُ الْأَبْسَطُ، وَالْعَالِمُ وَالْمُتَعَلِّمُ، وَالْوَصِيَّةُ الْمُنْسُوبَةُ إِلَى الْإِمَامِ، وَاسْتِفَادَهَا مِنْهَا إِمَّا مِنْ: الْعِبَارَةِ، أَوْ الْإِشَارَةِ، أَوْ الدَّلَالَةِ، أَوْ الْاِقْتِضَاءِ، أَوْ مَفْهُومِ الْمَخَالَفَةِ^(٣).

أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ

إِذَا أُطْلِقَ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فَالْمُرَادُ بِهِمُ الْأَشَاعِرَةُ وَالْمَآثُرِيْدِيَّةُ. قَالَ الْخَيَالِيُّ فِي حَاشِيَتِهِ عَلَى شَرْحِ الْعَقَائِدِ: الْأَشَاعِرَةُ هُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، هَذَا هُوَ الْمَشْهُورُ فِي دِيَارِ خُرَّاسَانَ وَالْعِرَاقِ وَالشَّامِ وَأَكْثَرِ الْأَقْطَارِ. وَفِي دِيَارِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ يُطْلَقُ ذَلِكَ عَلَى الْمَآثُرِيْدِيَّةِ أَصْحَابِ الْإِمَامِ أَبِي مَنْصُورٍ.

وِإِتِّحَافُ السَّادَةِ ج ٢ ص ٥ نَقْلًا عَنْ الْقُرْشِيِّ، وَذَكَرَ الْحَافِظُ قُطُبُ الدِّينِ عَبْدِ الْكَرِيمِ بْنِ الْمُنِيرِ الْحَلَبِيِّ الْحَنْفِيَّ.

وَوُرِدَ (مَاتَ بِسَمَرَقَنْدَ) فِي: تَاجِ التَّرَاجُمِ، وَهَدِيَّةِ الْعَارِفِينَ، وَالْأَعْلَامِ لِلزَّرْكَلِيِّ، وَمُعْجَمِ الْمُؤَلِّفِينَ، السَّابِقَةَ.

(١) تَبْصِرَةُ الْأَدِلَّةِ ج ١ ص ٣١٠.

(٢) إِتِّحَافُ السَّادَةِ ج ٢ ص ٥.

(٣) إِتِّحَافُ السَّادَةِ ج ٢ ص ١٣.

وقال الكُستَلِيّ في حاشيته عليه: المشهور من أهل السُّنَّة في ديار خراسان والعراق والشَّام وأكثر الأقطار هم الأشاعرة أصحاب أبي الحسن عليّ بن إسماعيل الأشعريّ أول من خالف أبا عليّ الجُبَّائيّ ورجع عن مذهبه إلى السُّنَّة أي: طريق النبي ﷺ، والجماعة أي: طريقة الصحابة رضي الله عنهم. وفي ديار ما وراء النهر الماتريدية أصحاب أبي منصور الماتريديّ تلميذ أبي نصر العياضيّ تلميذ أبي بكر الجوزجانيّ صاحب أبي سليمان الجوزجانيّ صاحب مُحَمَّد بن الحسن الشَّيبانيّ صاحب الإمام أبي حنيفة^(١).

وأضاف السَّفارينيّ إليهم: الأثرية، وإمامهم أحمد بن حنبل رضي الله عنه^(٢).

الخلافا بين الأشاعرة والماتريدية

بين الطائفتين اختلاف في بعض الأصول كمسألة التكوين، ومسألة الاستثناء في الإيمان، ومسألة إيمان المقلد.

والمحققون من الفريقين لا ينسب أحدهما الآخر إلى البدعة والضلالة^(٣).

وذهب التَّقِيّ السُّبْكِيّ إلى أن الاختلاف بين الفريقين هو في ثلاث مسائل فيما استنبطه من عقيدة أبي جعفر الطحاويّ.

وزاد ولده التَّاج ثلاثة أخرى استخرجها من كتاب الماتريدية.

(١) إتحاف السادة ج ٢ ص ٦. وانظر ذلك أيضاً في: حاشية الحَيَالِيّ أحمد بن موسى، المتوفى سنة ٨٦٠ هـ على شرح العقائد النسفية للتفتازانيّ ص ٢١. وحاشية الكُستَلِيّ مصلح الدين

مُصْطَفَى، المتوفى سنة ٩٠١ هـ على شرح العقائد النسفية للتفتازانيّ ص ١٧.

(٢) لَوَامِعُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ١ ص ٧٣. ووردت في الهامش ردود مفادها أن أهل السُّنَّة والجماعة هم الأثرية فقط.

(٣) إتحاف السادة السابق، والروضة البهية فيما بين الأشاعرة والماتريدية لابن أبي عذبة

وزاد غيره سبعة أخرى.

وأورد الفاضل عبد الرّحيم بن عليّ الحنفيّ في كتابه نظم الفرائد وجمع الفوائد أربعين مسألة ببراہينها وحججها، وأطال الكلام فيها جداً.
وكذا العلامة ملا عليّ القاري في شرح الفقه الأكبر.

وذكر العلامة البياضيّ في كتابه إشارات المرام من عبارات الإمام، خمسين مسألة خلافة في التفاريع الكلامية، مختصرة وجامعة لما تشتمل من الأقوال^(١).

وقال الشيخ محمد أبو زهرة: (كان كثيرون يعتقدون أن الخلاف بين الأشاعرة والماتريدية ليس كبيراً، حتى أن الأستاذ الشيخ محمد عبده قرر في تعليقه على العقائد العُصْدية أن الخلاف بين الماتريدية والأشاعرة لم يتجاوز عشر مسائل، الخلاف فيها لفظي.

ولكن عند الدراسة العميقة لآراء الماتريدي وآراء الأشعري في آخر ما انتهى إليه، نجد ثمة فرقاً في التفكير وفيما انتهى إليه الإمامان^(٢).

وستعرض لبعض تلك الخلافات في ثانيا بحوث العقيدة من هذا الكتاب، عند مقارنة الآراء في المذاهب المختلفة.

(١) إشارات المرام ص ٥٣-٥٦. وانظر: إتحاف السادة ج ٢ ص ١٢-١٣ وسرد المسائل الخمسين. وكتاب نظم الفرائد وجمع الفوائد للعلامة عبد الرّحيم بن عليّ الشهير بشيخ زاده، المتوفى سنة ٩٤٤هـ=١٥٣٧م، مطبوع بمصر سنة ١٣١٧هـ. وألف ابن أبي عذبة حسن بن عبد المحسن، المتوفى بعد سنة ١١٧٢هـ=١٧٥٨م كتابه (الروضة البهيّة فيما بين الأشاعرة والماتريدية)، ذكر في الفصل الأول منه المسائل المختلف فيها اختلافاً لفظياً وعددها سبع مسائل، وفي الفصل الثاني منه ذكر المسائل المختلف فيها اختلافاً معنوياً وعددها سبع مسائل أيضاً.

(٢) تاريخ المذاهب الإسلامية ص ١٧٩.

آراء الإمام أبي منصور الماتريدي

من أهم آرائه:

١ - في معرفة الله عز وجل:

يرى الماتريدي أن معرفة الله سبحانه يمكن أن يدرك العقل وجوبها، لأن العقل لو خلا من الهوى والتقليد، ونظر في ملكوت السماوات والأرض كما أمر الله تعالى في الآيات الكثيرة، لوصل إلى الإيمان بالله عز وجل.

فالماتريدي يرى أن العقل يمكن أن يستقل بمعرفة الله تعالى، إلا أنه يرى أنه لا يستقل بمعرفة الأحكام التكليفية، وهذا رأي الإمام أبي حنيفة.

أما المعتزلة فيرون أن معرفة الله تعالى يمكن أن يدرك العقل وجوبها، ولكن الوجوب لا يكون ممن يملك الإيجاب وهو الله تعالى.

والأشاعرة يرون أن معرفة الله واجبة بالشّرع^(١).

٢ - أثبت الماتريدي صفات المعاني لله تعالى، وهي: القدرة، والإرادة، والعلم، والسمع، والبصر، والكلام، والحياة. لكنه قال: إنها ليست شيئاً غير الذات، فهي ليست صفات قائمة بذاتها، ولا منفكة عن الذات، فليس لها كينونة مستقلة عن الذات.

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية ص ١٧٩-١٨٢.

قال الشيخ عليّ القاري في شرح الفقه الأكبر ص ٢٣٧-٢٣٨: (فالصبي العاقل عند الماتريدي وكثير من مشايخ العراق تجب عليه معرفة الله تعالى، لعموم قوله ﷺ: رفع القلم عن ثلاث: الصبي حتى يبلغ، أي: يحتلم...، وعند الأشاعرة لا تجب عليه معرفة الله تعالى لقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ - الإسراء ١٥. وثمرة الخلاف تظهر في حق من لم تبلغه الدعوة أصلاً بأن نشأ ولم يسمع رسولاً، ومات ولم يؤمن بالله، فإنه يُعَذَّب عند الماتريديّة ولا يُعَذَّب عند الأشاعرة. وكذا من مات في أيام الفترة بين عيسى ومحمد ﷺ ولم يؤمن بالله). وانظر: الروضة البهيّة فيما بين الأشاعرة والماتريديّة ص ٩٧.

فالمأثريدي يقرر أن الصفات ليست شيئاً مغايراً للذات، وبهذا يكاد يتفق مع المعتزلة القائلين بأنه لا شيء غير الذات^(١).

٣- النصوص الواردة في القرآن الكريم والأخبار المشتملة على الأوصاف الخبرية الموهمة للتشبيه، التي تذكر أن الله سبحانه وجهاً ويداً وعيناً... إلخ، وقف منها المأثريدي موقف التأويل.

ففي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ - الأعراف ٥٤، قال: يحتمل أن يكون قصد إليه وخلق سويّاً مستقيماً مستقراً.

وفسر قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ - ق ١٦، بأنه إشارة إلى سلطانه وكمال قدرته.

وبذلك يوافق المعتزلة، وكذلك يوافق الأشاعرة القائلين بالتأويل^(٢).

٤- الله تعالى منزّه عن العبث، وأفعاله سبحانه تكون على مقتضى الحكمة، لأنه الحكيم العليم كما وصف نفسه.

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية ص ١٨٥-١٨٦.

(٢) تاريخ المذاهب الإسلامية ص ١٨٧.

سيأتي في بحث (النصوص الموهمة للمشابهة): أن القول بالتوقف في الاستواء هو قول المأثريدي في كتابه التوحيد ص ٧٤ وذكره مُحَقِّقُهُ في مُقَدِّمَتِهِ ص ٤١، وذهب إليه الغزنوي من المأثريديّة في كتابه أصول الدين ص ٧٥ بقوله: (استواءه على العرش حقٌ وصدقٌ، ونحن نؤمن ونعتقد على الوجه الذي أراده ولا نشغل بكيفيته).

والذي يبدو أن للمأثريديّة قولين في ذلك، ذكرهما اللامشي في التمهيد ص ٦٤ حيث قال: (إن بعض مشايخنا قالوا بالإيمان بها - المتشابهات - وبترك الاشتغال بتأويلها، وبعضهم قالوا نحمل ذلك على ما لا يؤدي إلى التناقض في حجج الله تعالى. ووجه ذلك: أن الاستواء قد يُذكر ويُراد به الاستقرار، وقد يُذكر ويُراد به الاستيلاء، فيحمل على الاستيلاء دفعاً للتناقض).

ومعنى الاستيلاء في: بحر الكلام ص ٥٠ واستدل بقول الشاعر:

قد استوى بشرٌ على العراق...، يعني: استولى.

والله سُبحَانَهُ في أفعاله قصد هذه الحكمة، ولكنّه قصدها غير مُجبر عليها، لأنه مُختار وفَعَال لما يريد، فلا يقال: إنه يجب عليه فعل الصّلاح أو الأصْلَح، لأن الوجوب ينافي الإرادة، ويستلزم أن لغيره حقاً عليه، والله سُبحَانَهُ لا يُسأل عما يفعل، والوجوب عليه يقتضي أن يُسأل عما يفعل^(١).

٥- القبح ثابت بالعقل، أما العقاب فمتوقف على الشرع.

وقول الماتريدية هذا حكوه عن أبي حنيفة، وبه قال سعد بن عليّ الزنجانيّ الشافعيّ من الأشاعرة، وأبو الخطّاب من الحنابلة^(٢).

ورجّحه عبد الوهاب خُلاف وقال: هو مذهب وسط معتدل^(٣).

فالماتريدية يرون أن للأشياء حُسناً ذاتياً وقُبْحاً ذاتياً، والعقل يستطيع أن يُدرك حُسْن بعض الأشياء وقُبْحها، لكن العقل لا يمكن أن يستقل بالتكليف الدّينيّ قط، إذ الحَاكِم في التكليف الدّينيّ هو الله سُبحَانَهُ^(٤)، لأن العُقُول مهما نضجت قد تُخطئ، فلا تلازم بين أَحْكَام الله وما تدركه العُقُول^(٥).

وذلك: لأن مَنهج الماتريدية يتميز بأن للعقل سُلْطَاناً كَبِيراً فيه من غير إسراف، فهو لا يصل إلى الدرجة التي اعتمدها المُعْتَزِلَة.

فالإمام الماتريدية يرى أن العقل مصدر من مصادر المَعْرِفَة، لكنّه يخشى عليه

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية ص ١٨٣. وذكر القول شلبي في تعليل الأحكام ص ٩٧ وقال:

هو أعدل الأقوال وأبعدها عن المغالاة. وانظر: نظم الفرائد وجمع الفوائد للعلامة عبد الرحيم بن عليّ الشهير بشيخ زاده ص ٣١.

(٢) تشنيف المسامع ج ١ ص ٤٦ وسمى الماتريدية بالحنفية. ونقله عواد المَعْتِق في المُعْتَزِلَة

ص ١٦٧ عن مدارج السالكين لابن القيم ج ١ ص ٢٣١.

(٣) علم أصول الفقه لعبد الوهاب خُلاف ص ٩٩.

(٤) تاريخ المذاهب الإسلامية ص ١٨٢.

(٥) علم أصول الفقه لعبد الوهاب خُلاف السّابق.

من الزلل، فاتخذ الوقاية من الزلل بالاعتماد على المنقول بجوار المعقول قال: (من أنكر ذلك - أي: الاحتياط بالنقل - وأراد اكتناه ما استتر عن العقل وقصد الإحاطة بجميع حكمة الربوبية بعقله الناقص المحدود بدون إشارة منه - أي: الرسول - فهو يظلم العقل، ويحمله ما لا يحتمله).

ونتيجة هذا القول هي: أنه يأخذ بحكم العقل فيما لا يخالف الشرع، فإن خالف الشرع فلا بد من الخضوع لحكم الشرع.

ومن هنا كان يرى أن مصدر طلب علم العقائد هو النقل والعقل معاً.

لذلك: كانت آراؤه بين المعتزلة والأشاعرة^(١).

٦- أفعال العباد مخلوقة لله تعالى، لأن الله تعالى خالق الأشياء كلها، قال سُبْحَانَهُ: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ - الصافات ٩٦^(٢) وقال عز وجل: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ - الزمر ٦٢.

ورأى الماتريدي كالأشعري: أن العبد له الكسب، وهو مختار فيه، وبهذا الكسب يكون الثواب والعقاب.

لكن الكسب عند الماتريدي يكون بقدرة أودعها الله تعالى العبد، فالعبد عنده يستطيع أن يكسب الفعل بقدرة مخلوقة فيه، ويستطيع أن لا يكسبه بهذه القدرة، فهو حر مختار في هذا الكسب، إن شاء فعل واقرن بالفعل الذي هو مخلوق لله تعالى، وإن شاء ترك، وبذلك يكون العقاب.

فالماتريدي توسط بين المعتزلة والأشاعرة.

فالمعتزلة قرروا أن خلق الفعل بقدرة أودعها الله تعالى العبد.

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية ص ١٧٩-١٨١ ونقل عن الكوثري قوله: (إن الأشاعرة بين المعتزلة والمحدثين، والماتريدي بين المعتزلة والأشاعرة). وانظر: مناهج الاجتهاد في الإسلام ص ٥٠٥.

(٢) تاريخ المذاهب الإسلامية ص ١٨٤.

والأشاعرة قرروا أن لا قدرة للعبد في الفعل، ولكن له الكسب، والكسب لا يكون إلا بالاقتران لا بتأثير من العبد.

والماتريديّ قرر أن الكسب بقدرة العبد وتأثيره^(١).

٧- الإيثار هو التصديق بالقلب فقط.

وقول أبي منصور الماتريديّ هذا هو مروي عن الإمام أبي حنيفة، وهو المشهور من مذهب الإمام أبي الحسن الأشعريّ^(٢). وقد تقدم في آراء الأشعريّ.

وبناء على قول الماتريديّة والأشاعرة بأن العمل ليس جزء من الإيمان، فإنهم يرون أن مرتكب الكبيرة لا يخرج من دائرة الإيمان، وإن كان له حساب وعقاب، وقد يتغمده الله برحمته.

وقد نصّ الماتريديّ على أن: (الحق في أصحاب الذنوب من المؤمنين تفويض أمرهم إلى الله تعالى، إن شاء عفا عنهم فضلاً منه وإحساناً ورحمة، وإن شاء عذبهم بقدر ذنبهم، فلا يخلّدون في النار، فيكون أهل الإيمان بين الرجاء والخوف، فيجوز له تعالى العقاب على الصغيرة والعفو عن الكبيرة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ - النساء ٤٨)^(٣).

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية السابق. وانظر: التوحيد للماتريديّ ص ٤١ وأصول الدين للغزنويّ ص ١٦٦ و ٢٩٧.

(٢) تبصرة الأدلة ج ٢ ص ٧٩٩ والتمهيد للامشيّ ص ١٢٨ والكليات للكفويّ ص ٢١٣. وقد نصّ الماتريديّ على هذا القول في كتابه التوحيد ص ٣٧٣ وانظر مقدّمته ص ٤٦. وانظر مصادر أخرى ذكرتها في بحثي: مفهوم الإيمان عند الفرق الإسلامية ص ٣٠.

وذهب بعض الماتريديّة إلى أن الإيمان هو تصديق بالقلب وإقرار باللسان دون غيرهما من الجوارح. / انظر: بحثي مفهوم الإيمان السابق ص ٢٧ وفيه مصادره.

(٣) تاريخ المذاهب الإسلامية ص ١٨٨-١٨٩.

السَّلَفِيَّة

السَّلَفُ فِي أَصْلِ اللُّغَةِ: سَلَفَ يَسْلُفُ سُلُوفًا: مَضَى وَانْقَضَى.

وَسَلَفٌ وَسُلَافٌ: جَمْعُ مَفْرُودِهِ سَالِفٌ، مِثْلُ: خَدَمَ وَخُدَّامٌ: جَمْعُ مَفْرُودِهِ خَادِمٌ. ثُمَّ جُمِعَ السَّلَفُ عَلَى أَسْلَافٍ، مِثْلُ: سَبَبٌ وَأَسْبَابٌ^(١).

وَالسَّلَفُ: كُلُّ مَنْ تَقَدَّمَكَ مِنْ آبَائِكَ وَقَرَابَتِكَ^(٢). وَمِنْهُ قَوْلُهُ ﷺ لِفَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: (... وَلَا أُرَانِي إِلَّا قَدْ حَضَرَ أَجَلِي، وَإِنَّكَ أَوَّلُ أَهْلِي لِحُوقًا بِي، وَنِعْمَ السَّلَفُ أَنَا لَكَ)^(٣).

وَالسَّلَفُ فِي الاصْطِلَاحِ هُمُ: الصَّحَابَةُ، وَالتَّابِعُونَ، وَاتَّبَاعُ التَّابِعِينَ^(٤).

وَهَذَا مَا خُوِذَ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ...) ^(٥).

(١) الْمِصْبَاحُ الْمُنِيرُ مَادَّةُ (سَلَفٌ) ص ٢٨٥. وَفِي الْقَامُوسِ الْمُحِيطُ مَادَّةُ (سَلَفٌ) ص ١٠٦٠: (السَّلَفُ: جَمْعُهُ: سُلَافٌ وَأَسْلَافٌ).

فَسُلَافٌ: قَدْ يَكُونُ جَمْعًا لِسَالِفٍ أَوْ لَسَلَفٍ.

(٢) الْقَامُوسُ الْمُحِيطُ السَّابِقُ.

(٣) حَدِيثٌ: وَلَا أُرَانِي إِلَّا قَدْ حَضَرَ أَجَلِي... إلخ، فِي: صَحِيحِ مُسْلِمٍ فِي: ٤٤ كِتَابِ فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ، ١٥ بَابِ فَضَائِلِ فَاطِمَةَ، رَقْمٌ ٢٤٥٠، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٤) شَرْحُ الْجَوْهَرَةِ لِلصَّائِرِ ص ٤٣٠ وَشَرْحُ الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ٣٤٣ وَالسَّرَاجُ الْوَهَّاجُ لِصَدِيقِ حَسَنِ خَانَ ج ١٠ ص ١٢. وَانْظُرْ أَيْضًا: لَوَائِعُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ١ ص ٢٠.

(٥) حَدِيثٌ: خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي... إلخ. بِهَذَا اللَّفْظِ، فِي: صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ فِي: ٥٢ كِتَابِ الشَّهَادَاتِ، ٩ بَابِ لَا يَشْهَدُ عَلَى شَهَادَةِ جَوْزٍ، رَقْمٌ ٢٦٥٢، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ. وَلِلْحَدِيثِ أَلْفَاظٌ وَطَرَقَ عَدِيدَةٌ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ الْحُصَيْنِ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي: ٥٢ كِتَابِ

فالنَّوَوِيُّ بعد أن ذكر أقوالاً عديدة في تحديد القرن قال: والصَّحِيحُ أن قَرْنَهُ ﷺ الصَّحَابَةُ، والثاني التابعون، والثالث: تابعوهم^(١).

وذهب الجُمهُورُ إلى أن فضيلة الصَّحْبَةِ لا يَعْدِلُهَا عَمَلٌ، لمشاهدة رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وأما من اتفق له الذبُّ عنه والسبق إليه بالهجرة أو النصرة وضبط الشَّرْعِ المتلقى عنه وتبليغه لمن بعده فإنه لا يَعْدِلُهُ أَحَدٌ ممن يأتي بعده، لأنه ما من خَصْلَةٍ من الخصال المذكورة إلا وللذي سبق بها مثل أجر من عَمَلَ بها من بعده، فظهر فضلهم^(٢).

وترى كل فِرْقَةٍ من الفِرَقِ الإسلامية عموماً أن آراءها تنتمي إلى رِجَالِ السَّلَفِ الصالح.

لكن السَّلَفِيَّينِ اتخذوا من اسم (السَّلَفِ) علماً لهم، وهم من الحَنَابِلَةِ، ظهوروا في القرن الرابع الهجري، وتكلموا في التَّوْحِيدِ والتَّوَلُّدِ والتَّشْبِيهِ.

وآراءهم كما يقولون تنتهي إلى الإمام أَحْمَدَ بن حَنْبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي أحيَا عَقِيدَةَ

الشهادات، و٦٢ كتاب فَصَائِلُ أصحاب النَّبِيِّ ﷺ، و٨١ كتاب الرَّقَاق، و٨٣ كتاب الأيمان والندور، وأرقام أَحَادِيثِهَا هي: عن عِمْرَانَ بن حُصَيْنٍ رقم ٢٦٥١ و٣٦٥٠ و٦٤٢٨ و٦٦٩٥ وعن عبد الله بن مَسْعُودٍ رقم ٣٦٥١ و٦٤٢٩ و٦٦٥٨.

والْحَدِيثُ في: صَحِيحِ مُسْلِمٍ في: ٤٤ كتاب فَصَائِلِ الصَّحَابَةِ من طُرُق: عن عِمْرَانَ بن حُصَيْنٍ رقم ٢٥٣٥، وعبد الله بن مَسْعُودٍ رقم ٢٥٣٣، وأبي هُرَيْرَةَ رقم ٢٥٣٤، وعَائِشَةَ رقم ٢٥٣٦.

وفي الجَامِعِ الصَّغِيرِ ص ٢٤٦: رواه أَحْمَدُ في مُسْنَدِهِ والبُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ والتِّرْمِذِيُّ، عن ابن مَسْعُودٍ.

(١) شَرْحُ النَّوَوِيِّ على مُسْلِمٍ (المِنْهَاج) ص ١٨٢٠. وانظر: فَتْحُ الْبَارِي ج ٧ ص ٨ وإِزْشَاد السَّارِي ج ٤ ص ٣٨٤ و ج ٦ ص ٨٠ و ٨١.

(٢) فَتْحُ الْبَارِي ج ٧ ص ٩.

السلف، وذاد عنها^(١).

وكانت آراء بعضهم كالقاضي أبي يعلى محمد بن الحسين الحنبلي البغدادي، المتوفى سنة ٤٥٨ هـ، وابن الزاغوني علي بن عبيد الله الحنبلي، المتوفى سنة ٥٢٧ هـ، مثار انتقاد شديد من الحنابلة أنفسهم، وأنكروا نسبتها إلى الإمام أحمد.

فابن الجوزي عبد الرحمن بن علي البكري الحنبلي، المتوفى سنة ٥٩٧ هـ، ألف كتاب (دفع شبه التشبيه) رد فيه تلك الآراء، وقال بعض فقهاء الحنابلة: (لقد شان أبو يعلى الحنابلة شيناً لا يغسله ماء البحار). وقال بعضهم: (لابن الزاغوني في كتاب الإيضاح من غرائب التشبيه ما يحار فيه النبيه).

وأدى استنكار هؤلاء الحنابلة وأمثالهم تلك الآراء إلى استتارها في القرنين الخامس والسادس^(٢).

ثم تجدد ظهور هذا المذهب على يد شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية، المتوفى سنة ٧٢٨ هـ، وتلميذه ابن قيم الجوزية شمس الدين محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي، المتوفى سنة ٧٥١ هـ.

ثم تجدد أخيراً في الجزيرة العربية على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب، المتوفى سنة ١٢٠٦ هـ.

وما زال الوهابيون يتحمسون لآرائهم، ووافقهم بها بعض علماء المسلمين من أرجاء البلاد الإسلامية^(٣).

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية ص ١٩٠.

(٢) تاريخ المذاهب الإسلامية ص ١٩٧. وانظر من هذا الكلام ونحوه في كتاب ابن الجوزي: دفع شبه التشبيه بكف التنزيه ص ١٤ وما بعدها.

(٣) تاريخ المذاهب الإسلامية ص ١٩٠.

آراء السلفية

١- يرى السلفيون أن العقائد وأدلتها والأحكام وما يتصل بها إجمالاً وتفصيلاً لا تؤخذ إلا من القرآن الكريم والسنة النبوية.

وليس للعقل سلطان في تأويل القرآن الكريم وتفسيره إلا بالقدر الذي تؤدي إليه العبارات، وما تضافرت عليه الأخبار.

وسلطان العقل بعد ذلك هو في التصديق والإذعان، وبيان تقرّب المنقول من المعقول وعدم المنافرة بينها.

فالعقل مقرر ومؤيد للنصوص لا ناقض ولا رافض، وسائر وراء النقل يقوّيه، ولا يستقل بالاستدلال، وذلك لأن العقل يضل.

أما الأساليب العقلية التي اتخذها الفلاسفة والمتكلمون كالمُعْتَزَلَة والأشاعرة والماتريدية، التي خالطتها المناهج الفلسفية ومنطق اليونان، فلم تكن معروفة عند الصحابة والتابعين. لأن القول بأنها أساليب ضرورية لفهم العقائد يؤدي إلى أن الرسول ﷺ والسلف لم يكونوا يفهمون العقائد على وجهها ولا يدركون أدلتها، وهذا باطل.

وهذا ما بينه ابن تيمية الذي ضبط منهاجهم^(١).

٢- قسموا التوحيد كما ذكر ابن تيمية إلى ثلاثة أنواع هي: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات.

النوع الأول: توحيد الربوبية (وحدانية التكوين):

ومعناه: الإقرار بأن الله تعالى خالق كل شيء وربّه^(٢)، فيقرّ العبد أنه لا خالق ولا

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية ص ١٩٢. وانظر: مناهج الاجتهاد في الإسلام ص ٥٠٨ وموقف ابن تيمية من الأشاعرة ج ١ ص ٥٤ و ٦٩.

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية ج ١١ ص ٥٠. وانظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة ج ٣ ص ٩٧٤.

رازق ولا معطي ولا مانع إِلَّا الله وحده^(١).

بدليل:

- قوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مِّنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ - لقمان ٢٥ والزمر ٣٨.

- وقوله تعالى: ﴿قُلْ لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ٨٤ ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ٨٥ ﴿قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ ٨٦ ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا نُنْقِزُكَ﴾ ٨٧ ﴿قُلْ مَن يُدِيرُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ٨٨ ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾ ٨٩ - المؤمنون^(٢).

- وقوله ﷺ: اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد^(٣).

وهذا النوع من التَّوْحِيدِ أَقَرُّ به جميع الكفار المُشْرِكِينَ، فهم مُقَرَّنُونَ بالرب الحق الذي ليس له مثل في: ذاته، وصفاته، وجميع أفعاله، ولكنهم مع هذا مُشْرِكُونَ به في

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية ج ١٤ ص ٣٧٩.

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية ج ١١ ص ٥١.

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية ج ١٤ ص ٣٧٦.

وَحَدِيث: اللهم لا مانع لما أعطيت... إلخ، في: صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ في: ١٠ كتاب الأذان، ١٥٥ باب الدُّعَاءُ بعد الصلاة، رقم ٨٤٤، عن الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ بهذا اللفظ. وورد بهذا اللفظ أيضاً في صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ في: ٨٠ كتاب الدَّعَوَات، ١٨ باب الدعاء بعد الصلاة، رقم ٦٣٣٠. و ٨٢ كتاب القَدَر، ١٢ باب لا مانع لما أعطى الله، رقم ٦٦١٥. و ٩٦ كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، ٣ باب ما يُكْرَهُ من كثرة السؤال، رقم ٧٢٩٢.

وهو بهذا اللفظ أيضاً في صَحِيحِ مُسْلِمٍ في: ٥ كتاب المساجد، ٢٦ باب استحباب الدُّعَاءِ بعد الصلاة، رقم ٥٩٣، عن الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ.

أُلوهيته، بأن يعبدوا معه آلهة أخرى، يتخذونها شفعاء أو شركاء^(١). وهذا لا يختلف فيه أحد من المسلمين أيضاً.

وتوحيد الربوبية الذي أقرّ به الخلق، وقرره أهل الكلام، لا يكفي وحده، بل لا بد من توحيد الألوهية، وهو حق الله على عباده، بأن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً كما ورد في الحديث الصحيح^(٢).

ورأى ابن تيمية بعد ذلك: أن أفعال العبد تُنسب إليه لقدرة فيه، وتُنسب إلى الله تعالى باعتبار أن الله خلق هذه القدرة فهو مسبب الأسباب^(٣).

وبذلك يلتقي ابن تيمية مع المعتزلة إلى حد كبير، لكنه يختلف عنهم في أمرين:

أولهما: يرى المعتزلة أن هناك تلازماً بين أمر الله تعالى وإرادته، فالله تعالى لا يأمر بشيء إلا إذا كان يريد، ولا ينهى عن شيء إلا إذا كان لا يريد، فالله سبحانه لا يريد المعاصي ولذلك لا يأمر بها.

أما ابن تيمية فيرى أن لا تلازم بين أمر الله تعالى وإرادته، فالله تعالى يريد الطاعات ويأمر بها، ولا يريد معاصي البشر وينهى عنها^(٤).

الأمر الثاني: يفرق ابن تيمية بين الرضا والمحبة وبين الإرادة، فالله تعالى لا يحب المعاصي ولا يرضاها، ولكنه يريد بها.

وذكر ابن تيمية بأن هذا هو قول جمهور أهل السنة وكثير من أصحاب الأشعرية،

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية ج ١١ ص ٥٠-٥١.

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية ج ١ ص ٢٣.

(٣) تاريخ المذاهب الإسلامية ص ٢٠٢.

(٤) تاريخ المذاهب الإسلامية ص ٢٠٣.

وهو قول السَّلَفِ قاطبة^(١).

وقول ابن تَيْمِيَّةَ في أن الله تعالى خلق في العبد قدرة يكون بها التَّأثيرُ في الأشياء، قريب من مَذْهَبِ المَآثِرِيديّ، لَكِنْ ابن تَيْمِيَّةَ يرى أن التَّأثيرَ في الأشياء يكون بفعْلِها. أما المَآثِرِيديّ فيرى أن التَّأثيرَ في الأفعال الذي يكون بهذه القوة المودعة، لا يتجاوز التَّأثيرَ في الكسب للفاعل^(٢).

تَعْلِيلُ أفعالِ الله تعالى: أي: هل أن الله تعالى فعل ما فعل، وخلق ما خلق، لغير بَاعِث؟

تقدم فيما سبق:

- قول الأشاعرة وهو أن الله تعالى خلق الأشياء لا لِعِلَّةٍ ولا لِبَاعِثٍ، لأن في ذَلِكَ تَقْيِيدَ إرادةِ الله تعالى، وهو سُبْحَانَهُ لا يُسأل عما يفعل.

وقول المُعْتَزِلَةِ وهو أن الله تعالى في أفعاله وأوامره ونواهيه لا يفعل إِلَّا الحَسَنَ ولا يأمر إِلَّا بالحَسَنَ، ويجتنب القبيح ولا يأمر بالقبيح. وهذا القولان رفضهما ابن تَيْمِيَّةَ.

- وقول المَآثِرِيديَّة أن الله سُبْحَانَهُ خلق الخلق، وأمر بالمأمورات، ونهى عن المنهيات، لحكمة مَحْمُودَةٍ، وهذه الحكمة ليست أمراً ملزماً له تعالى، لَكِنها لِبَيَانِ خلقِ الله تعالى.

وهذا القول هو الذي ارتضاه ابن تَيْمِيَّةَ وذكر أنه قول السَّلَفِ، وبه قالت طوائف

(١) تاريخ المَذَاهِبِ الإِسْلَامِيَّةِ السَّابِقِ، وأشار إلى: مِنْهَاجِ السُّنَّةِ ج ١ ص ٢٢٦ ومجموعة الرِّسَائِلِ وَالْمَسَائِلِ ج ٥ ص ١٠٢.

(٢) تاريخ المَذَاهِبِ الإِسْلَامِيَّةِ السَّابِقِ.

من أصحاب أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وغيرهم، وطوائف من علماء الكلام^(١).

النوع الثاني: توحيد الألوهية (الوحدانية في العبادة):

والمُرَاد به: عِبَادَةُ اللَّهِ تَعَالَى وحده لا شَرِيكَ لَهُ^(٢). بدليل:

- قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ - الأنبياء ٢٥.

- وقوله تعالى: ﴿وَسَأَلَ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ - الزخرف ٤٥.

- وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ - النحل ٣٦^(٣).

وَرَدَّ الْعُلَمَاءُ عَلَى تَقْسِيمِ التَّوْحِيدِ إِلَى تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ وَتَوْحِيدِ الْأُلُوهِيَّةِ، فَقَالُوا بِأَنَّهَا وَاحِدَةٌ لَا فَرْقَ بَيْنَهُمَا، بِدَلِيلٍ:

- قوله تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ - الأعراف ١٧٢، ولم يقل: أَلَسْتُ بِإِلَهِكُمْ؟ فَاكْتَفَى مِنْهُمْ بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ، وَمَنْ أَقَرَّ بِالرُّبُوبِيَّةِ فَقَدْ أَقَرَّ بِالْأُلُوهِيَّةِ، إِذْ لَيْسَ الرَّبُّ غَيْرَ الْإِلَهِ، بَلْ هُوَ الْإِلَهُ بَعِينُهُ.

- وقوله ﷺ: (إِنَّ الْمَلَائِكَةَ يَسْأَلَانِ الْعَبْدَ فِي قَبْرِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟) ولم

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية ص ٢٠٣-٢٠٤. وانظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة ج ٣ ص ١٣١٠.

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية ج ١١ ص ٥٠-٥١ وج ١٤ ص ٣٧٨.

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية ج ١١ ص ٥٢.

يقول له: مَنْ إِلَهَكَ؟ فَدَلَّ عَلَى أَنَّ تَوْحِيدَ الرُّبُوبِيَّةِ هُوَ تَوْحِيدُ الْأُلُوهِيَّةِ^(١).

وذكر ابن تَيْمِيَّةَ أَنَّ تَوْحِيدَ الْأُلُوهِيَّةِ يَقْتَضِي أَمْرَيْنِ:

أولهما: أَنْ لَا يَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَحْدَهُ، فَمَنْ أَشْرَكَ فِي الْعِبَادَةِ مَعَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ شَخْصاً أَوْ شَيْئاً فَقَدْ أَشْرَكَ، وَذَلِكَ:

لأن مُشْرِكِي الْعَرَبِ كَانُوا مُقَرِّرِينَ بِأَنَّ اللَّهَ وَحْدَهُ هُوَ خَالِقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ - لقمان ٢٥ والزُّمَرُ ٣٨، وَمَعَ ذَلِكَ سُمُّوا مُشْرِكِينَ لِأَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ مَعَ اللَّهِ غَيْرَهُ.

الأمر الثاني: أَنْ يَعْبُدَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بِمَا شَرَعَهُ عَلَى أَلْسِنِ رُسُلِهِ.

قال ابن تَيْمِيَّةَ: (والدعاء من جُمْلَةِ الْعِبَادَاتِ، فَمَنْ دَعَا الْمَخْلُوقِينَ مِنَ الْمَوْتَى وَالْغَائِبِينَ وَاسْتَغَاثَ بِهِمْ... كَانَ مُبْتَدِعاً فِي الدِّينِ، مُشْرِكاً بِرَبِّ الْعَالَمِينَ، مُتَّبِعاً غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ. وَمَنْ سَأَلَ اللَّهَ بِالْمَخْلُوقِينَ، أَوْ أَقْسَمَ عَلَيْهِ بِالْمَخْلُوقِينَ كَانَ مُبْتَدِعاً بِدَعَا مَا أُنْزِلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ)^(٢).

(١) الدَّرَرُ السَّنِيَّةُ لِأَحْمَدَ بْنِ زَيْنِي دَحْلَانَ ص ٣٧.

وَحَدِيثُ الْمَلَكَيْنِ فِي: مُسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ ج ٣٠ ص ٤٩٩، أَوَّلُ مُسْنَدِ الْكُوفِيِّينَ مِنْ حَدِيثِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رَقْم ١٨٥٣٤، وَفِيهِ: (... فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّي اللَّهُ. فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِي الْإِسْلَامَ...).

قال مُحَقِّقُ الْمُسْنَدِ الشَّيْخُ شُعَيْبٌ: إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ، رِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ. ثُمَّ خَرَّجَهُ مِنْ كِتَابِ كَثِيرَةٍ.

وَلِلْحَدِيثِ رَوَايَاتٌ أُخْرَى فِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ وَغَيْرِهِ.

(٢) تَارِيخُ الْمَذَاهِبِ الْإِسْلَامِيَّةِ ص ٢٠٥ وَأَشَارَ إِلَى (قَاعِدَةِ جَلِيلَةٍ فِي التَّوَسُّلِ وَالْوَسِيلَةِ) لِابْنِ تَيْمِيَّةَ. وَانْظُرْ ذَلِكَ فِي: قَاعِدَةِ جَلِيلَةٍ فِي التَّوَسُّلِ وَالْوَسِيلَةِ، فِي: مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى ج ١ ص ٣١١-٣١٢.

وقد بنى ابن تيمية على قوله بتوحيد الألوهية الأمور الآتية:

١- منع التقرب إلى الله سبحانه بالصالحين والأولياء.

فبعض الصالحين وإن كانوا أصحاب كرامات، فهم عباد مكلفون شرعاً، وتلك الكرامة لا تجعل صاحبها وسيلة يتقرب بها إلى الله تعالى، قال ﷺ: (يا معشر قريش - أو كلمة نحوها - اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئاً، يا صفية عمّة رسول الله ﷺ لا أغني عنك من الله شيئاً، ويا فاطمة بنت محمد سليلي ما شئت من مالي، لا أغني عنك من الله شيئاً)^(١).

٢- منع الاستغاثة والتوسل بالموتى وغيرهم.

رأى ابن تيمية أن الاستغاثة لا تكون إلا بالله تعالى، أما الاستغاثة بغير الله تعالى فهي ممنوعة مطلقاً. بدليل:

أن منافقاً كان يؤذي المؤمنين، فقال أبو بكر رضي الله عنه: قوموا نستغث برسول الله

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية ص ٢٠٦.

وانظر ذلك في: قاعدة جلييلة في التوسل والوسيلة، المتضمنة في الجزء الأول من مجموع الفتاوى من ص ١٤٢-٣٦٨.

وحديث: يا معشر قريش... إلخ بهذا اللفظ في: صحيح البخاري في: ٥٥ كتاب الوصايا، ١١ باب هل يدخل النساء والوكلد في الأقارب، رقم ٢٧٥٣، عن أبي هريرة.

والحديث بلفظٍ مقارب في: صحيح البخاري في: ٦١ كتاب المناقب، ١٣ باب من انتسب إلى آبائه في الإسلام والجاهلية، رقم ٣٥٢٧، عن أبي هريرة. و ٦٥ كتاب التفسير، ٢ باب ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ - الشعراء ٢١٤، رقم ٤٧٧١، عن أبي هريرة.

وهو في صحيح مسلم في: ١ كتاب الإيمان، ٨٧ باب قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ - الشعراء ٢١٤، رقم ٢٠٤، عن أبي هريرة.

ﷺ من هَذَا الْمَنَافِقِ. فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: (إِنَّهُ لَا يُسْتَغَاثُ بِي، وَإِنَّمَا يُسْتَغَاثُ بِاللَّهِ).

ونقل ابن تَيْمِيَّةَ عَنْ أَبِي يَزِيدَ الْبَسْطَامِيِّ قَوْلَهُ: (اسْتَغَاثَةُ الْمَخْلُوقِ بِالْمَخْلُوقِ كَاسْتَغَاثَةِ الْغَرِيقِ بِالْغَرِيقِ).

وكَذَلِكَ لَا يَتَقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِالْأَمْوَاتِ، وَلَا يَسْتَغَاثُ بِهِمْ. قَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ: (إِنَّمَا لَيْسَ لَنَا أَنْ نَطْلُبَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ شَيْئاً بَعْدَ مَوْتِهِمْ، وَإِنْ كَانُوا أَحْيَاءُ فِي قُبُورِهِمْ). وَحُجَّتُهُ هِيَ:

(أَنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ أَحَدٌ مِنَ السَّلَفِ، وَلَئِنْ ذَلِكَ ذَرِيعَةٌ إِلَى الشَّرِكِ وَعِبَادَتِهِمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ).

قَالَ: (وَهَذَا بِخِلَافِ الطَّلَبِ مِنْ أَحَدِهِمْ فِي حَيَاتِهِ، فَإِنَّهُ لَا يُفْضَى إِلَى الشَّرِكِ). وَكَذَلِكَ لَا يَجُوزُ النَّذْرُ لِلْقُبُورِ أَوْ لَسُكَّانِ الْقُبُورِ. قَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ: (وَمَنْ اعْتَقَدَ أَنَّ لِلْقُبُورِ نَفْعاً أَوْ ضَرراً فَهُوَ ضَالٌّ جَاهِلٌ).

وَقَالَ أَيْضاً: (إِنْ مِنْ يَعْتَقِدُ أَنَّ هَذِهِ النَّذُورَ بَابُ الْحَوَائِجِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَأَنَّهَا تَكْشِفُ الضَّرَّ، وَتَفْتَحُ الرِّزْقَ، وَتَحْفَظُ الْمِصْرَ، فَهُوَ مُشْرِكٌ يَجِبُ قَتْلُهُ)^(١).

وَرَدَّ الْعُلَمَاءُ عَلَى ابْنِ تَيْمِيَّةَ، فَقَالُوا:

إِنَّ مَذْهَبَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ هُوَ أَنَّ التَّوَسُّلَ بِجَاهِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالصَّالِحِينَ مَشْرُوعٌ جَائِزٌ، لَا فَرْقَ بَيْنَ كَوْنِهِمْ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتاً. وَيَتَبَرَّكُ بِهِمْ لَكُونِهِمْ أَحْبَاءَ لِلَّهِ تَعَالَى، أَمَا

(١) تَارِيخُ الْمَذَاهِبِ الْإِسْلَامِيَّةِ ص ٢٠٦-٢٠٧ وَنَقَلَ عَنْ مَجْمُوعَةِ الرِّسَالِ وَالْمَسَائِلِ ج ١ ص ٥٥ لَابْنِ تَيْمِيَّةَ.

وَانْظُرِ اسْتَغَاثَةَ بَغِيرِ اللَّهِ وَبِالْأَمْوَاتِ فِي: قَاعِدَةُ جَلِيلَةَ فِي التَّوَسُّلِ وَالْوَسِيلَةِ، فِي: مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى ج ١ ص ١٤٢-٣٦٨.

وَحَدِيثُ: إِنَّهُ لَا يُسْتَغَاثُ بِي... إلخ، فِي: الْمُعْجَمِ الْكَبِيرِ لِلطَّبْرَانِيِّ.

النفع والضرر والخلق فهو الله تعالى وحده لا شريك له^(١). ومن أدلة أهل السنة والجماعة:

- عن عثمان بن حنيف أن رجلاً ضرير البصر، أتى النبي ﷺ فقال: ادع الله أن يعافيني، قال: إن شئت دعوت، وإن شئت صبرت فهو خير لك. قال: فادع. قال: فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه، ويدعو بهذا الدعاء: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذِهِ لتَقْضِيَ لي، اللهم فشفعه فيَّ.

- وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: مَنْ خرج من بيته إلى الصلاة فقال: اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك... إلخ.

وهذا توسل بكل عبد مؤمن، وبه كان يدعو الصحابة إذا خرجوا إلى الصلاة^(٢).

(١) رسالة فيما يتعلق بأدلة جواز التوسل بالنبي وزيارته ﷺ لأحمد بن زيني دحلان ص ١٨٠-١٨١.

(٢) رسالة فيما يتعلق بأدلة جواز التوسل بالنبي وزيارته ﷺ لأحمد بن زيني دحلان ص ١٧٤.

وحديث عثمان بن حنيف بهذا اللفظ رواه الترمذي في سننه في: ٤٤ كتاب الدعوات، ١١٨ باب، رقم ٣٥٧٨، ص ٥٦٢. وقال: حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث أبي جعفر. وصححه الألباني.

ورواه ابن ماجه في سننه مع اختلاف لفظي يسير في: ٥ كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، ١٨٩ باب ما جاء في صلاة الحاجة، رقم ١٣٨٥، ج ١ ص ٤٤١ وفيه بعده: قال أبو إسحاق: هذا حديث صحيح. وقال الشيخ شعيب في تحقيقه سنن ابن ماجه ج ٢ ص ٣٩٥: إسناده صحيح. وهذا الحديث رواه أيضاً النسائي (في الكبرى) والبيهقي والطبراني بإسناد صحيح عن عثمان بن حنيف، وخرجه أيضاً البخاري في تاريخه والحاكم في المستدرک بإسناد صحيح. / رسالة فيما يتعلق بأدلة جواز التوسل بالنبي وزيارته ﷺ لأحمد بن زيني دحلان ص ١٧٥-١٧٦.

والحديث في مسند أحمد ج ٢٨ ص ٤٧٨ رقم ١٧٢٤٠، طبعة مؤسسة الرسالة، وقال

- وعن أنس: أن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كان إذا قَحَطُوا استسقى بالعبّاس بن عبد المطلب. فقال: اللهم إنا كنا نتوسّل إليك بنبيّنا فستقينا، وإنا نتوسّل إليك بعمّ نبيّنا فاستقينا، قال: فيُسقون^(١).

- والأحاديث الصحيحة التي ورد فيها توسّل الصحابة وتبرّكهم بعرق رسول الله ﷺ وشعره وفضله ماء ووضوئه.

وأحاديث كثيرة أخرى في الصّحّيحين وغيرهما^(٢).

ولا يُعلم أيّ نقاش دار حول ذلك في عصر السلف، وظل الأمر على ذلك حتى جاء الإمام ابن تيمية، ففرّق بين التوسّل بالأنبياء والصّالحين في حال حياتهم وبعد مماتهم، فأجازة حال الحياة وحرّمه بعد الممات، مع أن النصوص لم تفرق بين الحالين.

المُحقّق شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح، رجاله ثقات. وذكر مخرجه. وللحديث طريقان آخران فيه برقم ١٧٢٤١ و١٧٢٤٢.

وحديث أبي سعيد الخدري في سنن ابن ماجه، في: ٤ كتاب المساجد والجماعات، ١٤ باب المشي إلى الصلاة، رقم ٧٧٨، ج ١ ص ٢٥٦. وقال الشيخ شعيب في تحقيقه سنن ابن ماجه ج ١ ص ٤٩٨: إسناده ضعيف، لضعف عطية العوفي. ومع ذلك فقد حسنه الحافظ في نتائج الأفكار. ثم ذكر مخرجه. ورواه ابن خزيمة في صحيحه.

والحديث في مسند أحمد ج ١٧ ص ٢٤٧ رقم ١١١٥٦، طبعة مؤسسة الرسالة، من طريق آخر، قال فيه المحقق شعيب: إسناده ضعيف، وقد روي موقوفاً وهو أشبه. وخرجه.

(١) رسالة فيما يتعلق بأدلة جواز التوسّل بالنبيّ وزيارته ﷺ لأحمد بن زيني دحلان ص ١٧٨.

وحديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رواه البخاري في صحيحه، في: ١٥ كتاب الاستسقاء، ٣ باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قَحَطُوا، رقم ١٠١٠، ص ٢١٦. وفي: ٦٢ كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، ١١ باب ذكر العبّاس بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رقم ٣٧١٠، ص ٧٨١.

(٢) السلفية لمحمد سعيد رمضان البوطي ص ١٥٤.

ومن الكتب التي بحثت مسألة التوسّل: شفاء السقام في زيارة خير الأنام للإمام تقي الدين أبي الحسن عليّ بن عبد الكافي السبكي، المتوفى سنة ٧٥٦هـ، وشواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق ﷺ للشيخ يوسف بن إسماعيل النبهاني، المتوفى سنة ١٣٥٠هـ=١٩٣٢م.

وهذه المسألة اجتهادية، لا توجب خلافاً بين المسلمين، ولا تستدعي تفسيق الآخر أو نسبته إلى البدعة، فضلاً عن نسبته إلى الشرك والمروق من الدين، ما دام الجميع يتفقون على أن التوسل هو بمكانة الرسول ﷺ والصالحين عند الله تعالى لا بأجسامهم المادية^(١).

٣- منع زيارة قبور الصالحين والأنبياء للتيمن والتفديس.

رأى ابن تيمية أن زيارة قبور الصالحين بقصد التبرك والتقرب إلى الله تعالى لا تجوز. أما إذا كانت الزيارة بقصد العظة والاعتبار فهي جائزة، بل مندوب إليها.

ورأى كذلك: أن زيارة قبر النبي ﷺ للتبرك لا تجوز، بحجة:

أن النبي ﷺ قال: (اللهم لا تجعل قبري وثناً يُعبد. اشتد غضبُ الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد).

وأن النبي ﷺ دُفن في بيت السيدة عائشة على غير ما اعتاد الناس لكي لا يتخذ قبره مزاراً.

وأن الصحابة كانوا إذا سلموا على النبي ﷺ بعد مماته، وأرادوا الدعاء، دعوا مستقبلين القبلة^(٢).

وقد خالف ابن تيمية جمهور علماء المسلمين في زيارة الروضة الشريفة، لأنهم رأوا أن منع الزيارة في الحديث كان خشية الوثنية، ولا خشية منها بعد تركز أصول الإسلام في النفوس.

(١) السلفية لمحمد سعيد رمضان البوطي ص ١٥٤-١٥٦.

(٢) تاريخ المذاهب الإسلامية ص ٢٠٧-٢٠٨.

وانظر: قاعدة جلية في التوسل والوسيلة، في: مجموع الفتاوى، الجزء الأول ص ١٤٢-

وحديث: اللهم لا تجعل قبري وثناً يُعبد... إلخ، رواه مالك في موطئه.

وإذا كان فيها تَقْدِيسٌ لِمُحَمَّدٍ ﷺ فهو تَقْدِيسٌ للوحدانية والمعاني التي بعث من أجلها.

ثم إن في زيارة الرُّوضَةِ الشَّرِيفَةِ تذكيراً بِمَوَاقِفِ النَّبِيِّ ﷺ في الجِهَادِ والصبر، والعمل على رفع شأن التَّوْحِيدِ والدين.

قال نَافِعُ مَوْلَى عبد الله بن عُمَرَ، كان ابن عُمَرَ يُسَلِّمُ على القبر، رأيته مئة مرة أو أكثر يجيء إلى القبر، ورؤي واضعاً يده على مقعد النَّبِيِّ ﷺ من المنبر، ثم وضعها على وجهه.

وَرَوَى ابن تَيْمِيَّةَ: أَنَّ الصَّحَابَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كانوا يتجهون إلى الرُّوضَةِ الشَّرِيفَةِ إذا أرادوا سفراً أو قدموا من سفر.

لِذَلِكَ رَأَى الشَّيْخُ أَبُو زُهْرَةَ: (أَنَّ التَّبَرُّكَ بِزِيَارَةِ قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ مُسْتَحْسَنٌ، وَلَيْسَ هَذَا التَّبَرُّكَ عِبَادَةً أَوْ قَرِيباً مِنْهَا، إِنَّمَا هُوَ التَّذَكُّرُ وَالْإِعْتِبَارُ بِسِيرَتِهِ وَهَدْيِهِ...، والدعاء عند القبر دعاء والقلب خاشع، والعقل خاضع، والنفس مخلص، والوجدان مستيقظ، وإن ذَلِكَ أَبْرَكَ الدَّعَاءِ)^(١).

النوع الثالث: تَوْحِيدُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ:

والمُرَادُ بِهِ: أَنَّ يوصف الله عَزَّ وَجَلَّ بِمَا وُصِفَ بِهِ نَفْسُهُ وَبِهَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ ﷺ، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل. وهذا ما قاله ابن تَيْمِيَّةَ فِي بَيَانِ مَذْهَبِ السَّلَفِ^(٢).

فَأُثْبِتَ لِلَّهِ الْمَحَبَّةُ وَالسَّخَطُ، وَالْغَضَبُ وَالرِّضَا، وَالنِّدَاءُ وَالْكَلَامُ، وَالنُّزُولُ إِلَى النَّاسِ فِي ظُلُلٍ مِنَ الْغَمَامِ، وَالِاسْتِقْرَارُ عَلَى الْعَرْشِ، وَالْوَجْهَ، وَالْيَدَ، كَمَا وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، مِنْ غَيْرِ تَأْوِيلٍ وَلَا تَفْسِيرٍ بغير الظَّاهِرِ.

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية ص ٢٠٨-٢٠٩.

(٢) مجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّةَ ج ٥ ص ٢٦.

لَكِنْ لَيْسَتْ يَدُهُ كَيْدَ الْحَوَادِثِ، وَلَا نُزُولُهُ كَنْزُولِهِمْ، وَلَا وَجْهُهُ كَوُجُوهِهِمْ، وَيُرَى أَنَّ هَذَا هُوَ مَذْهَبُ السَّلَفِ^(١).

وذكر ابن تيمية روايات عن مالك بن أنس وسفيان الثوري وسفيان بن عيينة والليث بن سعد والأوزاعي وغيرهم حين سُئلوا عن الأخبار التي جاءت في الصفات، فقالوا كلهم: أَمَرُوهَا كَمَا جَاءَتْ، أَوْ: أَمَرُوهَا كَمَا جَاءَتْ بِهَا كَيْفَ^(٢).

ونقل عن ابن عبد البر: أَنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ مُجْمِعُونَ عَلَى الْإِقْرَارِ بِالصِّفَاتِ الْوَارِدَةِ كُلِّهَا فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ وَالْإِيمَانِ بِهَا، وَحَمَلَهَا عَلَى الْحَقِيقَةِ لَا عَلَى الْمَجَازِ، إِلَّا أَنَّهُمْ لَا يَكَيِّفُونَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، وَلَا يَحْدُونَ فِيهِ صِفَةً مُحْصَوْرَةً^(٣).

إِلَّا أَنَّ هَذَا الْقَوْلَ قَدْ سَبَقَهُ بِهِ الْحَنَابِلَةُ فِي الْقَرْنِ الرَّابِعِ الْهَجْرِيِّ، وَقَالُوا: إِنَّ هَذَا هُوَ مَذْهَبُ السَّلَفِ.

لَكِنْ رَدَّ عَلَيْهِمْ عُلَمَاءُ أَجَلَاءَ مِنَ الْحَنَابِلَةِ كَابْنُ الْجَوَازِيِّ، وَنَفَى أَنَّ يَكُونَ ذَلِكَ مَذْهَبَ السَّلَفِ، وَأَثَبَ أَنَّ قَوْلَهُمْ يُؤَدِّي إِلَى التَّشْبِيهِ وَالتَّجْسِيمِ لَا مُحَالَةً^(٤).

وذهب هؤلاء وغيرهم إلى تأويل هذه النصوص المؤهمة للمُشَابَهَةِ، كتأويل اليد بالقوة أو النعمة، وتأويل الاستواء بالاستيلاء...، لِأَنَّ اللُّغَةَ تَتَّعِدُ لِهَذَا التَّفْسِيرِ، وَأَنَّ التَّأْوِيلَ أَوْلَى مِنْ تَفْسِيرِهَا بِمَعَانِيهَا الظَّاهِرَةِ الْحَرْفِيَةِ وَالْجَهْلِ بِكَيْفِيَّاتِهَا^(٥).

وسياتي أن تأويل النصوص المؤهمة للمُشَابَهَةِ هُوَ مَذْهَبُ الْمُعْتَزِلَةِ وَالْأَشَاعِرَةِ وَالْمَاتَرِيذِيَّةِ وَالزَّيْدِيَّةِ وَالْإِمَامِيَّةِ وَعَامَّةُ أَهْلِ الْإِسْلَامِ.

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية ص ١٩٥-١٩٦.

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية ج ٥ ص ٣٩ و ٨٦.

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية ج ٥ ص ٨٧.

(٤) تاريخ المذاهب الإسلامية ص ١٩٦. وأشرنا آنفاً إلى قول ابن الجوزي.

(٥) تاريخ المذاهب الإسلامية ص ١٩٨.

المبحث الثالث

أصول الدين عند المذاهب الإسلامية

بعد عرض المذاهب الإسلامية في العقائد تبين أن هناك اختلافات بينها في أصول الدين. ويقصد بأصول الدين: الأسس التي يرتكز عليها الإيمان، فإذا فقد أحدها لا يكون إيمان.

وقد اختلفت المذاهب الإسلامية في تعداد هذه الأصول، مما قد يؤدي إلى الظن بأن هناك اختلافات جوهرية بينها فيها. وسأقتصر على بيان أصول الدين عند ثلاثة من تلك المذاهب وهي: أهل السنة والجماعة، والشيعة الإمامية، والمعتزلة، والتي ترجع إليها عامة الفرق الأخرى، مبيناً حقيقة ذلك الاختلاف بينهم.

١- أصول الدين عند أهل السنة والجماعة

أصول الدين عندهم ستة، وهي ما ورد في حديث جبريل عليه السلام حين سأل النبي ﷺ عن الإيمان، فقال رسول الله ﷺ: (أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورأسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره)^(١).

(١) حديث جبريل عليه السلام في صحيح البخاري في: ٢ كتاب الإيمان، ٣٧ باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان...، رقم ٥٠، عن أبي هريرة رضي الله عنه. وورد عن أبي هريرة أيضاً في رقم ٤٧٧٧.

وفي صحيح مسلم في: ١ كتاب الإيمان، أول باب بيان الإيمان والإسلام...، رقم ٨ (٢)، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه. واللفظ لمسلم.

● الأصل الأول: الإيمان بالله:

وهو الاعتقاد بأن الله تعالى مُوجِدُ المخلوقات، وأنه وَاحِدٌ في ذاته وصفاته وأفعاله، لا شريك له ولا شبيه له، ومتصف بصفات الكمال والجلال من قدرة وعلم وعدل... ومنزه عن كل نقص من ظلم وعَبَث....

● الأصل الثاني: الإيمان بالملائكة:

الملائكة أجسام نورانية ليست أجساماً مادية، ووجودهم ثابت بقوله تعالى: ﴿عَمَّا أَمَرَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ - البقرة ٢٨٥.

وأوجب الله علينا الإيمان بهم، وجعل إنكار وجودهم كفراً، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَكِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ - النساء ١٣٦.

أما أوصافهم فلسنا مكلِّفين بتتبعها إلا من النص القطعي. ومن تلك الأوصاف:

١- هم معصومون عن الخطأ. قال تعالى: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ - التحريم ٦.

٢- لهم أجنحة مثنى وثلاث ورباع. قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنَحَةٍ مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء﴾ - فاطر ١.

٣- قادرون على التمثيل بصورة البشر. قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّخَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾﴾ - مريم.

وأعمالهم التي وكلهم الله تعالى بها كثيرة منها:

١- الاستغفار للمؤمنين والدعاء لهم. قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْعَلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْحَرِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ

الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ، وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ - غافر.

٢- حمل عرش الرحمن. قال سبحانه: ﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ﴾ - الحاقة ١٧.

٣- كتابة أعمال البشر. قال تعالى: ﴿إِذْ يُلْقَى الْمُتَلَقَّانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ - ق.

٤- رعاية البشر والمحافظة عليهم. قال تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ - الرعد ١١.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كَرَامًا كُنِينٌ ﴿١١﴾ يَعْمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ - الانفطار.

٥- إنزال الكتب السماوية. قال سبحانه: ﴿وَلَنُزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١٣﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١١٤﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿١١٥﴾﴾ - الشعراء.

٦- قبض الأرواح. قال تعالى: ﴿قُلْ يَتُوقُكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ - السجدة ١١.

٧- حراسة الجنة ورعاية أهلها. قال تعالى: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٢٢﴾ سَلَامٌ عَلَيْهِمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ - الرعد.

٨- حراسة النار وتعذيب أهلها. قال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ - الزمر ٧١.

وغير ذلك من الأوصاف والوظائف الواردة في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة.

● الأصل الثالث: الإيمان بالكتب السماوية:

أمر الله سبحانه أن نصدق بالكتب السماوية إجمالاً، ونؤمن بأنها نزلت بالحق. قال سبحانه: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا ﴾ - المائدة ٤٤.

وقال عز وجل: ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ - المائدة ٤٦.

وخص القرآن الكريم بمزايا كثيرة منها:

أنه سبحانه تكفل بحفظه، قال عز وجل: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ - الحجر ٩.

وأنه لا يطرأ عليه من الباطل شيء، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ - فصلت.

لذلك لم يرد عليه تحريف كما ورد على الكتب السماوية السابقة.

وألزمتنا سبحانه العمل به، لأنه متضمن جميع التعاليم الإلهية: قال سبحانه: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ - المائدة ٤٨.

● الأصل الرابع: الإيمان بالأنبياء والمرسلين:

وهؤلاء صفوة الخلق، اختارهم الله تعالى مبشرين ومُنذرين، قال سبحانه: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ - فاطر ٢٤.

وجميع الأنبياء والرسل الذين ذكرت أسماؤهم في القرآن الكريم أو لم تذكر يجب أن نؤمن بهم إجمالاً، ونؤمن أن إنكار بُيُوتِ أحد منهم كفر، قال تعالى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾ - البقرة ٢٨٥.

ونؤمن بأنهم يتصفون بأفضل صفات البشر، ويتزهدون عن كل نقيصة، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَبِيدِينَ﴾ - الأنبياء ٧٣.

ونؤمن أن مُحَمَّدًا ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين، قال سبحانه: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ - الأحزاب ٤٠.

● الأصل الخامس: الإيمان باليوم الآخر:

وهو الاعتقاد بوجود حياة أخرى بعد الموت، يجد الإنسان فيها جزاء عمله في الدنيا، فيثاب بنعيم الجنة، أو يعاقب بعذاب النار.

قال تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّنْ يُعْجِزَ أَقْلُ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعِنُنَّ ثُمَّ لَنَنْبُوْنَ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ - التغابن ٧.

ومُنْكَرُ هَٰذَا الْيَوْمِ كافر باتفاق المسلمين، قال تعالى: ﴿قَلِيلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ - التوبة ٢٩.

وبهذا الإيمان يحاسب الإنسان نفسه في الدنيا، لخوفه من حساب اليوم الآخر.

● الأصل السادس: الإيمان بالقدر خيره وشره:

ذهب الماتريدية إلى أن القضاء هو: إيجاد الله تعالى الأشياء على وجه الإحكام والإتقان.

والقدر هو: علمه تعالى أولاً صفات المخلوقات، أي: بما تكون عليه من حسن وقبح ونفع وضرر.

وعكس ذلك الأشاعرة، فجعلوا تعريف القدر للقضاء، والقضاء للقدر.

ومعنى الإيمان بهما هو: الاعتقاد بأن ما يصيب الإنسان من خير وشر واقعٌ حسب تقدير الله تعالى وعلمه وإرادته.

ولا يعني هذا الإيمان أن الإنسان مُجبرٌ على أفعاله، لأنه إذا كان مُجبراً بطل الثواب والعقاب وانتفت بعثة الأنبياء. وسيأتي تفصيل ذلك في موضوع القضاء والقدر.

٢- أصول الدين عند الشيعة الإمامية الاثني عشرية

ذهب جمهورهم إلى أن أصول الدين خمسة وهي:
التوحيد، والعدل، والنبوة، والإمامة، والمعاد^(١).

● الأصل الأول: التوحيد:

هو الاعتقاد بأن الله سبحانه واحد في:
ألوهيته، فلا يعبد سواه.

وربوبيته، فلا شريك له في الخلق.

وأفعاله، فهو مستقل بالخلق والرزق والموت والحياة...

ومراتبه: توحيد الذات، وتوحيد الصفات، وتوحيد الأفعال.

● الأصل الثاني: العدل:

وهو الاعتقاد أن الله سبحانه وتعالى لا يظلم أحداً، ولا يفعل ما يستقبحه العقل السليم.

فهم كالمُعزلة يقولون بالتحسين والتقييح العقلين.

(١) أصل الشيعة وأصولها ص ١٤١ وما بعدها.

وذكر النصير الطوسي في تجريد الاعتقاد ص ٣٢٧ هذه الأصول إلا أصل العدل، لكنه أدخله تحت أصل التوحيد.

● الأصل الثالث: النبوة:

جميع الأنبياء والمرسلين الذين نصّ عليهم القرآن الكريم عباد مكرمون، بعثهم الله تعالى لدعوة الخلق إلى الحق. وأن مُحَمَّدًا ﷺ خاتم الأنبياء وسيد الرسل، وأنه معصوم من الخطأ والخطيئة.

والقرآن الكريم أنزله الله تعالى عليه للإعجاز والتحدي ولتعليم الأحكام، وأنه لا نقص فيه ولا تحريف ولا زيادة، والأخبار الواردة الظاهرة في نقصه أو تحريفه شاذة ضعيفة، وهي أخبار آحاد لا تفيد علماً ولا عملاً، وهي إما أن تؤول أو يضرب بها الجدار، كما قال الشيخ كاشف الغطاء.

ويعتقد الإمامية أن كل من اعتقد أو ادعى نبوة بعد مُحَمَّد ﷺ أو نزول وحي أو كتاب فهو كافر يجب قتله.

● الأصل الرابع: الإمامة:

وهي منصب إلهي يختاره الله بسابق علمه بعباده كما يختار النبي، ويأمر النبي بأن يدل الأمة عليه ويأمرهم باتباعه.

ويعتقدون أن الله سبحانه أمر نبيه أن ينص علي علي.

ويرون وجوب وجود الإمام في كل عصر، وأن الأرض لا تخلو من حجة.

● الأصل الخامس: المعاد:

وهو أن يحيي الله سبحانه الخلائق بعد موتهم يوم القيامة للحساب والجزاء، قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (٧) ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (٨) - الزلزلة.

ويعاد الشخص بعينه وبجسده وروحه، بحيث لو رآه الرائي لقال هذا فلان^(١).

٣- أصول الدين عند المعتزلة

قدمنا عند الكلام عن المعتزلة أن أصولهم خمسة، وهي: التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

● الأصل الأول: التوحيد:

وهو العلم بأن الله تعالى واحد لا يشاركه غيره فيما يستحق من الصفات نفياً وإثباتاً على الحد الذي يستحقه، والإقرار به.

وبنوا على هذا الأصل: قولهم بنفي الصفات الإلهية، ومما يترتب عليه القول بخلق القرآن، وقولهم باستحالة رؤية الله تعالى من قبل المؤمنين في الآخرة.

● الأصل الثاني: العدل:

وهو الاعتقاد بأن أفعاله تعالى كلها حسنة، وأنه لا يفعل القبيح، ولا يُخل بها هو واجب عليه.

وبنوا عليه: قولهم بوجوب تعليل أفعال الله تعالى، وبالتحسين والتقبيح العقلين، وبأن العباد يخلقون أفعالهم، وبوجوب اللطف الإلهي، ووجوب الصلاح والأصلح، ووجوب بعثة الرسل على الله تعالى.

● الأصل الثالث: الوعد والوعيد:

وهو الاعتقاد بأن الله تعالى وعد المطيعين بالثواب، وتوعد العصاة بالعقاب، وأنه يفعل ما وعد به وتوعد عليه لا محالة، ولا يجوز عليه الخلف ولا الكذب.

وبنوا عليه: إنكارهم شفاعة الرسول ﷺ لأهل الكبائر من أمته، وقصروها على

(١) أصل الشيعة وأصولها ص ١٤١-١٥٧. وانظر: هذه الأصول أيضاً في: تجريد الاعتقاد للطوسي وشرحه كشف المراد للحلي ص ٣٠٥ وما بعدها.

التائبين من المؤمنين.

● الأصل الرابع: المَنْزِلَةُ بين المَنْزِلَتَيْنِ:

وهو أن مرتكب الكبيرة ليس مؤمناً كما تقوله المرجئة، وليس كافراً كما تقول الخوارج، وإنما هو في منزلة بين منزلي الكفر والإيمان.

● الأصل الخامس: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

ومعنى الأمر بالمعروف إيقاع المعروف، ومعنى النهي عن المنكر زوال المنكر. وبناءً على هذا الأصل: تصدّوا للزنادقة والمبطلين، وجاهدوا من خالف حكم الله تعالى^(١).

الأصل الديني والأصل المذهبي

أصول الدين نوعان: ديني، ومذهبي.

أ- الأصل الديني: وهو الذي يكون منكره خارجاً عن دين الإسلام.

ب- الأصل المذهبي: وهو الذي يكون منكره خارجاً عن دائرة المذهب، ولا يكون خارجاً عن دين الإسلام^(٢).

بعد بيان هذا نورد الأصول التي أجمعت عليها هذه المذاهب، ونورد ما نصت عليه من أصول يوهم ذكرها الاختلاف بينهم، لتبين بعد النظر فيه أن ذلك الاختلاف ليس حقيقياً.

وهذا هو هدفنا في كتابنا هذا، وهو أن نَجْمَعَ وَلَا نُفَرِّقَ بين مذاهب الأمة الإسلامية.

(١) تقدّم هذا كله مفصلاً في كلامنا عن فرقة المعتزلة.

(٢) كتابنا: أصول الدين الإسلامي ص ٦١.

أُصُولُ الدِّينِ الَّتِي أَجْمَعُوا عَلَيْهَا

اتفقت فِرَقُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَالشَّيْعَةِ الْإِمَامِيَّةِ، وَالْمُعْتَزِّلَةِ عَلَى الْأُصُولِ الْآتِيَةِ:

١- الْإِيْمَانُ إِجْمَالاً بِوُجُودِ اللَّهِ تَعَالَى، وَاتِّصَافِهِ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ، وَتَنْزِهِهِ عَنِ كُلِّ صِفَةٍ مِنْ صِفَاتِ النِّقْصِ.

٢- الْإِيْمَانُ إِجْمَالاً بِالنُّبُوَّةِ عَامَةً، وَنُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ خَاصَّةً، وَمَا بَلَغَ بِهِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى.

وَهَذَا الْأَصْلُ وَإِنْ لَمْ يَذْكُرْهُ الْمُعْتَزِّلَةُ ضَمَّنَ أُصُولَهُمُ الْخَمْسَةَ، لَكِنَّهُ مَعْلُومٌ مِمَّا كَتَبُوهُ فِي إِثْبَاتِ نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَإِعْجَازِ الْقُرْآنِ، وَمِنْ مُنَاطِرَاتِهِمْ، وَدِفَاعِهِمْ عَنِ الشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِبِرَاعَتِهِمْ وَحِدَّةِ عُقُولِهِمْ.

وَتَقْدَمُ قَوْلُهُمْ فِي مَوْضُوعِ التَّحْسِينِ وَالتَّقْيِيحِ الْعَقْلِيِّينَ: (إِنْ مِنْ بَلَّغْتَهُمْ دَعْوَةَ الرِّسْلِ وَشَرَائِعِ اللَّهِ مَكْلُفُونَ مِنَ اللَّهِ بِمَا تَقْضِي بِهِ هَذِهِ الشَّرَائِعُ).

٣- الْإِيْمَانُ إِجْمَالاً بِالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَالنَّاسِ فِيهِ مُجْزِيُونَ عَلَى أَعْمَالِهِمْ. وَهَذِهِ الْأُصُولُ الثَّلَاثَةُ هِيَ أُصُولُ دِينِيَّةٍ عِنْدَ هَذِهِ الْفِرَقِ جَمِيعُهَا، لِأَنَّ الَّذِي لَا يُؤْمِنُ بِأَحَدِهَا يَكُونُ كَافِرًا يُخْرَجُ عَنْ دَائِرَةِ الْإِسْلَامِ بِالِاتِّفَاقِ.

أُصُولُ الدِّينِ الَّتِي اخْتَلَفُوا فِيهَا

وَرَدَتْ عِنْدَ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنَ الْفِرَقِ الثَّلَاثِ أُصُولٌ لَمْ تَذْكُرْهَا الْفِرْقَةُ الْأُخْرَى، مِمَّا يَوْهَمُ أَنَّ هُنَاكَ اخْتِلَافاً بَيْنَهَا.

وَلَكِنْ عِنْدَ التَّدْقِيقِ نَرَى أَنَّ مِنْ تِلْكَ الْأُصُولِ مَا هُوَ رَاجِعٌ إِلَى أَحَدِ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ الَّتِي أَجْمَعُوا عَلَيْهَا، وَمِنْهَا مَا هُوَ مَنْصُوصٌ عَلَيْهِ لاعتبار معين، فَيَكُونُ أَصْلًا مَذْهَبِيًّا بِمَعْنَى أَنَّ الَّذِي لَا يُؤْمِنُ بِهِ يُخْرَجُ مِنَ الْمَذْهَبِ لَا مِنَ الدِّينِ.

فَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ انْفَرَدُوا بِالنَّصِّ عَلَى أَصُولٍ: (الإيمان بالملائكة، وبالكتب السماوية، وبالقدر).

وَالنَّاظِرُ فِيهَا يَجِدُ أَنَّ (الإيمان بالملائكة، وبالكتب السماوية) أَصْلَانِ يَنْدَرِجَانِ تَحْتَ أَصْلِ الْإِيمَانِ بِالنُّبُوَّةِ، فَمَنْ آمَنَ بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ آمَنَ بِهِمَا قِطْعًا.

أَمَّا أَصْلُ (الإيمان بالقدر خَيْرُهُ وَشَرُّهُ) عَنْدهُمْ، فَإِنَّ الْقَوْلَ بِهِ يَرُدُّ عَلَى الْجَبَرِيَّةِ الْقَائِلِينَ بِالْجَبْرِ الْمَطْلُوقِ، وَعَلَى الْقَدَرِيَّةِ وَالْمُعْتَزِلَةِ الْقَائِلِينَ بِحُرِّيَّةِ الْإِرَادَةِ الْإِنْسَانِيَةِ الْمَطْلُوقَةِ....

لِذَلِكَ يُمْكِنُ اعْتِبَارُ أَصْلِ الْإِيمَانِ بِالْقَدَرِ أَصْلًا مَذْهَبِيًّا وَلَيْسَ أَصْلًا دِينِيًّا.

وَالشَّيْعَةُ الْإِمَامِيَّةُ نَصَوُا عَلَى (الْعَدْلِ، وَالْإِمَامَةِ).

وَالنَّاظِرُ يَجِدُ أَنَّ أَصْلَ الْعَدْلِ يَنْدَرِجُ تَحْتَ أَصْلِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَتَوْحِيدِهِ^(١).

أَمَّا أَصْلُ (الْإِمَامَةِ) فَلْعُلَمَاءُ الْإِمَامِيَّةِ فِيهِ قَوْلَانِ:

أَوَّلُهُمَا: إِنَّهُ رُكْنُ الدِّينِ وَأَصْلُهُ. وَعَلَى هَذَا الْقَوْلِ يَعْتَبَرُ أَصْلُ الْإِمَامَةِ أَصْلًا دِينِيًّا، فَالَّذِي لَا يُؤْمِنُ بِهِ يُخْرَجُ عَنْ دَائِرَةِ الْإِسْلَامِ.

الْقَوْلُ الثَّانِي: إِنَّهُ رُكْنُ الْمَذْهَبِ، وَهَذَا الْقَوْلُ يَعْتَبَرُ الْإِمَامَةَ أَصْلًا مَذْهَبِيًّا، فَالَّذِي لَا يُؤْمِنُ بِهِ لَا يُخْرَجُ عَنْ دَائِرَةِ الْإِسْلَامِ، لَكِنَّهُ لَا يَكُونُ شِيعِيًّا مِنَ الْإِمَامِيَّةِ الْاِثْنِي عَشَرِيَّةِ. وَهَذَا مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ بَعْضُ الْمُحَقِّقِينَ مِنْ عُلَمَائِهِمْ.

قَالَ الشَّيْخُ مُحَمَّدٌ عَلِيٌّ نَاصِرٌ مِنْ عُلَمَاءِ الْإِمَامِيَّةِ: الْإِمَامَةُ كَمَا عَلَيْهِ مُحَقِّقُو الشَّيْعَةِ الْإِمَامِيَّةِ لَيْسَتْ مِنْ أَصُولِ الدِّينِ، أَيْ: أَرْكَانِ الْإِيمَانِ، وَلَا مِنْ أَصُولِ الْإِسْلَامِ، وَإِنَّمَا هِيَ

(١) تَقْدِمُ عِنْدَ ذِكْرِ أَصُولِ الْإِمَامِيَّةِ أَنَّ النَّصِيرَ الطُّوسِيَّ جَعَلَ أَصْلَ الْعَدْلِ تَحْتَ أَصْلِ التَّوْحِيدِ.

وَقَالَ الشَّيْخُ كَاشَفُ الْغَطَاءِ فِي أَصْلِ الشَّيْعَةِ وَأَصُولِهَا ص ١٥٣ عِنْدَ شَرْحِهِ أَصْلَ الْعَدْلِ مِنْ أَصُولِهِمُ

الْخَمْسَةِ: (وَلَيْسَ - الْعَدْلُ - فِي الْحَقِيقَةِ أَصْلًا مُسْتَقْلَالًا هُوَ مَنْدَرِجٌ فِي نَعْوَتِ الْحَقِّ... فَهُوَ شَأْنٌ مِنْ

شُؤْنِ التَّوْحِيدِ).

أصل مذهبي من أصول مذهب التشيع. بمعنى أن من أنكرها لا يكون شيعياً، لأنه لا يكون مؤمناً ولا مسلماً^(١).

والمُعْتَزَلَةُ نصوا على: (العدل، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر).

والناظر يجد أن أصل (العدل) يندرج تحت أصل الإيثار بالله وتوحيده. وكذلك (أصل الوعد والوعيد)، فإنه مندرج أيضاً تحت أصل التوحيد وأصل الإيثار باليوم الآخر.

أما أصل (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) فهو ثابت عند جميع المذاهب، لأنه منصوص عليه في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ - آل عمران ١١٠.

وفي السنة النبوية، قال رسول الله ﷺ: (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان)^(٢).

وأجمع عليه المسلمون. فهو مما علم من الدين بالضرورة. فهذه الأصول في حقيقتها ترجع إلى الأصول الدينية المتقدمة المتفق عليها بين المسلمين.

أما أصل (المنزلة بين المنزلتين) فإنه أصل مذهبي، أرادوا به الرد على الخوارج

(١) أصول الدين الإسلامي للشيخ محمد علي ناصر ص ٢٥.

(٢) وحديث: من رأى منكم منكراً... إلخ: أخرجه أحمد في مسنده ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه، عن أبي سعيد. وهو صحيح. / الجامع الصغير ص ٥٢٦. وأخرجه البيهقي بسنده في شعب الإيمان السابق. والحديث في صحيح مسلم في: ١ كتاب الإيمان، ٢٠ باب كون النهي عن المنكر من الإيمان...، رقم ٤٩، عن أبي سعيد الخدري.

القائلين بكفر مرتكب الكِبِيرَةِ، وعلى المُرْجئة القائلين بإيمانه... إلخ^(١).

بعد هذا:

يتضح أن المذاهب المتقدمة تتفق على أن أصول الدين ثلاثة هي: الإيمان بالله تعالى وتوحيده، والإيمان بالنبوة ونبوة مُحَمَّد ﷺ، والإيمان باليوم الآخر.

وهي أصول دينية يخرج جاحد أحدها عن دائرة الإسلام باتفاق المسلمين.

أما الأصول الأخرى التي ذكرتها تلك المذاهب، فمنها ما هو مندرج في الأصول الثلاثة المذكورة، فتعد أصولاً دينية.

ومنها ما هو أصول مذهبية تُخرج مُنْكَرَهَا عن دائرة المذهب، ولا تُخرجه عن دائرة الإسلام، وهي: أصل (الإيمان بالقدر) عند أهل السنة والجماعة، وأصل (الإمامة) عند محققي الإمامية الاثني عشرية، وأصل (المنزلة بين المنزلتين) عند المعتزلة.

وبذلك يتبين أن الاختلاف المتقدم في تعداد أصول الدين عند تلك المذاهب هو اختلاف صوري، وليس اختلافاً حقيقياً.

وبناءً على الأصول الدينية الثلاثة المُجمَع عليها قالوا:

انقسمت مباحث علم الكلام إلى ثلاثة أقسام:

الإلهيات: وهي المسائل التي يبحث فيها عما يتعلق بالإله.

والنبويات: وهي المسائل التي يبحث فيها عما يتعلق بالأنبياء.

والسمعيات: وهي المسائل التي لا تُتَلَقَّى أَحْكَامُهَا إِلَّا مِنَ السَّمْعِ^(٢).

وهذا التقسيم هو الذي سنعتمده في كتابنا هذا.

(١) انظر كتابنا: أصول الدين الإسلامي ص ٥٨-٦٠.

(٢) شرح الجوهرة للباجوري ص ١٠٤.

الفصل الثالث

حَقِيقَةُ الْإِيْمَانِ وَأَهْمِيَّتُهُ فِي الْحَيَاةِ

وفيه مَبْحَثَانِ:

المَبْحَثُ الأول: حَقِيقَةُ الْإِيْمَانِ.

الْإِيْمَانُ لُغَةً وَاصْطِلَاحًا.

زِيَادَةُ الْإِيْمَانِ وَنَقْصَانُهُ.

الْإِسْلَامُ.

الْإِحْسَانُ.

المَبْحَثُ الثاني: أَهْمِيَّةُ الْإِيْمَانِ فِي الْحَيَاةِ.

المبحث الأول

حقيقة الإيمان

يتضح بعد عرض آراء المذاهب الإسلامية في العقائد أن أصل اختلافها كان في مفهوم الإيمان، وهذا يدعو إلى بيان حقيقته، وما يترتب على الاختلاف فيه عند أصحاب تلك المذاهب.

الإيمان في اللغة:

وردت معانٍ متعددة لكلمة الإيمان^(١) منها:

١- التصديق^(٢). وهو ما أجمع عليه أهل اللغة قاطبةً قبل بعثة النبي ﷺ، وهذا قول الباقلاني^(٣)، وذهب بعض الإباضية إلى أن الإيمان لغة محصور في التصديق^(٤)،

(١) مُعْجَمُ مَقَائِسِ اللُّغَةِ ج ١ ص ١٣٣ وفيه: (أمن) الهمزة والميم والنون أصلان متقاربان: أحدهما الأمانة التي هي ضد الخيانة، ومعناها سكون القلب، ومنه بيت آمن: ذو أمن. والآخر: التصديق. والمعنيان متدانيان.

(٢) القاموس المحيط مادة (الأمن)، وأصول الدين للبغداد ص ٢٤٧ وتبصرة الأدلة ج ١ ص ٢٥ وتمهيد الأوائل ص ٣٨٩ وشعب الإيمان للبيهقي ج ١ ص ٣٥ عن أبي عبد الله الحلي، والإيمان لأبي يعلى ص ١٥١ ونقل عن أبي عبد الله بن بطه، والتمهيد للأمشي ص ١٢٧ والمواقف ج ٨ ص ٣٢٢ وفتح الباري ج ١ ص ٦٠ ولوامع الأنوار البهية ج ١ ص ٤٠٣ وشرح عقيدة التوحيد لأطقيش ص ١٩٩ والأساس لعقائد الأكياس ص ١٨٥.

(٣) تمهيد الأوائل السابق.

(٤) البعد الحضاري ص ٤٩٢ نقلًا عن حاشية على كتاب الوضع لابن أبي سته.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ - يُوسُف ١٧، أي بِمُصَدِّق^(١) فيما حَدَّثْنَاكَ به، وفُلَانٌ يُؤْمِنُ بِكَذَا أي: يَصَدِّقُه ويعترف به^(٢).

٢- وقيل: هو مشتق من الأَمْنِ ضد الخوف^(٣).

ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فِرْجَآلَا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ﴾ - البقرة ٢٣٩^(٤).

قال ابن حَجَر: وفيه نظر لتباين مَدْلُوْلَيِ الأَمْنِ والتَّصْدِيقِ، إلَّا إذا لوحظ معنى مجازي، فيقال: أَمْنُه إذا صدَّقه، أي: أَمْنُه التَّكْذِيبُ^(٥).

الإيمان في الاصطلاح:

اختلف العلماء في حقيقة الإيمان شرعاً، أي: فيما يقع عليه اسم الإيمان، على أقوال كثيرة، أهمها:

القول الأول: الإيمان هو التَّصْدِيقُ بالقلب، والإقرار باللسان، والعمل بالأركان^(٦).

(١) تَمْهِيدُ الْأَوَائِلِ، وَالْإِيمَانُ لِأَبِي يَعْلَى، وَالتَّمْهِيدُ لِلْأَمَشِيِّ، وَالْمَوَاقِفُ، السَّابِقَةُ. وَلَوَامِعُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ١ ص ٤٠٤.

(٢) التَّمْهِيدُ لِلْأَمَشِيِّ، وَشَرْحُ الْمَوَاقِفِ لِلْسَيِّدِ الشَّرِيفِ، السَّابِقَانِ.

(٣) الْقَامُوسُ الْمُحِيطُ السَّابِقُ، وَالْكَلِّيَّاتُ لِلْكَفَوِيِّ ص ٢١٢.

(٤) شُعَبُ الْإِيمَانِ لِلْبَيْهَقِيِّ ج ١ ص ٣٥.

(٥) فَتْحُ الْبَارِي ج ١ ص ٦١.

(٦) تَبْصِرَةُ الْأَدْلَةِ ج ٢ ص ٧٩٨ ونقله عنه ابن أبي العزّ في شَرْحِ الْعَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّةِ

ص ٤٥٩ و٤٦٢ وشُعَبُ الْإِيمَانِ لِلْبَيْهَقِيِّ ج ١ ص ٤٨ وَالْمَوَاقِفُ ج ٨ ص ٣٢٣ وشَرْحُ الْمَقَاصِدِ

لِلتَّفَتَّازَانِيِّ ج ٥ ص ١٧٩ وَفَتْحُ الْبَارِي ج ١ ص ٦١ وَكِفَايَةُ الطَّالِبِ الرَّبَّانِيِّ ج ١ ص ٣٨ وَالْغُنْيَةُ

لِلشَّيْخِ عَبْدِ الْقَادِرِ ج ١ ص ٦٩.

والمُرَاد من التَّصْدِيق بالقلب هو: تصديق النَّبِيِّ ﷺ فيما علم مجيئه به بالضرورة، أي: فيما اشتهر كونه من الدِّين، بحيث يعلمه من غير افتقار إلى نظر واستدلال، كوحدة الصانع ووجوب الصلاة وحرمة الخمر ونحو ذلك^(١).

والمُرَاد بتصديق النَّبِيِّ ﷺ في ذَلِكَ هو الإذعان لما جاء به، والانقياد له، وسكون النفس إليه، واطمئنائها به، وقبولها بذلك بترك الجحد والعناد، وبناء الأعمال عليه^(٢). فالتَّصْدِيق هو اليقين الجازم بكل ما ثبت بالضرورة أنه جاء من عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ الْكَرِيمِ ﷺ.

ولا بد مع اليقين الجازم، الذي هو حكم عقلي، من أمر آخر قلبي وهو الرضا والارتياح النفساني لهذه العقيدة، بحيث تكون طبق هواه وعاطفته، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ - النساء ٦٥.

وهذا التَّصْدِيق هو الجزء الأول من أجزاء الإيمان، لا غنى عنه بحال، فإذا تحقق وُجد أساس الإيمان، وكتب لصاحبه عند الله تعالى النجاة من الخلود في النار، إذا مات على ذَلِكَ، ولو لم يتحقق معه الإقرار باللسان والعمل بالأركان. وإن عدم عدمت حقيقة الإيمان، واستحق فاقده الخلود في النار.

بدليل أن فرعون وقومه كانوا مصدقين بآيات الله، لكنهم لم يرضوا بها، قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ - النمل ١٤^(٣).

(١) شرح المقاصد للتفتازاني ج ٥ ص ١٧٧. وانظر: المواقف ج ٨ ص ٣٢٢ والقول الفصل

ص ١٢ وشرح الجوهر للباجوري ص ٩٢.

(٢) شرح العقائد النسفية للتفتازاني وحاشية الكستلي عليه ص ١٥٢.

(٣) المختار من كنوز السنة النبوية ص ٨٦.

فالتَّصَدِيقُ بِالْقَلْبِ يَفِيدُ:

أَنْ مَنْ تَكَلَّمَ بِكَلِمَةِ التَّوْحِيدِ غَيْرَ مُعْتَقِدٍ لَهَا بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُنَافِقٌ وَلَيْسَ بِمُؤْمِنٍ.
وَإِنْ كَانَ مُصَدِّقًا بِقَلْبِهِ غَيْرَ نَاطِقٍ بِلِسَانِهِ مَعَ الْقُدْرَةِ فَلَيْسَ بِمُؤْمِنٍ عِنْدَ سَلَفِ
الْأُمَّةِ.

وَمَنْ قَامَ بِقَلْبِهِ عِلْمٌ وَتَصَدِيقٌ وَهُوَ يَجِدُ الرَّسُولَ ﷺ وَمَا جَاءَ بِهِ وَيَعَادِيهِ كَالْيَهُودِ
وغيرهم مِمَّنْ سَمَاهُ اللَّهُ كَافِرًا، وَلَمْ يَسْمَهُمْ مُؤْمِنِينَ قَطُّ، وَلَا دَخَلُوا فِي شَيْءٍ مِنْ أَحْكَامِ
الْإِيمَانِ فَهُمْ كُفَّارٌ^(١).

وَالْإِقْرَارُ بِاللِّسَانِ يَفِيدُ:

أَنْ مَنْ لَمْ يَقَرَّ بِلِسَانِهِ مَعَ الْقُدْرَةِ لَا يُسَمَّى مُصَدِّقًا، فَهُوَ لَيْسَ بِمُؤْمِنٍ. وَقَدْ اتَّفَقَ عَلَيْهِ
سَلَفُ الْأُمَّةِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ^(٢).

وَالْعَمَلُ بِالْأَرْكَانِ يَفِيدُ:

أَنْ الْأَعْمَالَ كُلَّهَا دَاخِلَةٌ فِي مَسْمَى الْإِيمَانِ^(٣). وَالْمُرَادُ بِالْأَعْمَالِ هُوَ أَفْعَالُ الْخَيْرِ
مِنَ الطَّاعَةِ وَالْعِبَادَاتِ مُطْلَقًا، فَيَتَنَاوَلُ الْبَدَنِيَّةَ وَالْمَالِيَّةَ وَغَيْرَهُمَا كَالصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ
وَحُبِّ الْخَيْرِ لِلْمُسْلِمِينَ^(٤).

وَقَدْ أَجْمَعُوا عَلَى أَنَّهُ لَوْ صَدَّقَ بِقَلْبِهِ، وَأَقَرَّ بِلِسَانِهِ، وَامْتَنَعَ عَنِ الْعَمَلِ بِجَوَارِحِهِ، أَنَّهُ
عَاصٍ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مُسْتَحَقٌّ لِلْعَذَابِ^(٥).

(١) لَوَامِعُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ١ ص ٤٠٤.

(٢) لَوَامِعُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ السَّابِقِ.

(٣) جَامِعُ الْعُلُومِ وَالْحِكَمِ ج ١ ص ١٠٤ وَلَوَامِعُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ص ٤٠٥ نَقْلًا عَنْ ابْنِ رَجَبٍ.

(٤) نُخْبَةُ اللَّائِي ص ٩٥.

(٥) شَرْحُ الْعَقِيدَةِ الطَّحَاوِيِّ لَابْنِ أَبِي الْعِزِّ ص ٤٦٣.

وهذا القول هو المشهور عن أهل السلف وكثير من الأئمة^(١). وبه قال الزيدية وأئمتهم^(٢). وهذا القول بأجزائه الثلاثة هو مذهب الإباضية^(٣)، والخوارج والمعتزلة^(٤).

(١) شعب الإيمان للبيهقي ج ١ ص ٤٨ وشرح عقيدة ابن أبي زيد القيرواني للقاضي عبد الوهاب ص ٣٤٢ وفتح الباري ج ١ ص ٦١. ونقله البيهقي أيضاً عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه. / شعب الإيمان السابق.

وبه قال الشافعي، وحكى إجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم ممن أدركهم. / جامع العلوم والحكم السابق.

وهو قول أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وأبي عبيد القاسم بن سلام وغيرهم من الأئمة. وروى عن البخاري أنه قال: لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار فما رأيت أحداً منهم يختلف في أن الإيمان قول وعمل، ويزيد وينقص. / فتح الباري ج ١ ص ٦١.

وانظر: لوائح الأنوار البهية ج ١ ص ٤١٦ عن ابن عبد البر في التمهيد، وشرح صحيح مسلم للنووي ج ١ ص ١٤٦ عن ابن بطال. وقول أبي عبيد القاسم بن سلام في كتابه الإيمان ص ٥٣-٥٤ و٦٦. ونقله اللامشي في التمهيد ص ١٣٠ عن بعض هؤلاء. وقال يحيى بن حمزة في المعالم الدنيية ص ١١٧: هو مذهب أكثر السلف.

وبه قال الأوزاعي. / جامع العلوم والحكم ج ١ ص ١٠٤.

وبه قال الليث بن سعد وداود بن علي والطبري. / لوائح الأنوار البهية ج ١ ص ٤١٦.

وهو قول ابن حزم الظاهري. / علم الكلام لابن حزم ص ٨٣.

(٢) الأساس لعقائد الأكياس ص ١٨٥.

(٣) الجامع للبيهقي ج ١ ص ٢٣٥-٢٣٦. والموجز لأبي عمّار ج ٢ ص ٧٣ وشرح عقيدة التوحيد لأطفيش ص ١٩٩، ونقل فرحات الجعبري في البعد الحضاري ص ٤٩٣ ذلك عن السماخي والمحسني والبرادي وأطفيش.

(٤) التمهيد للامشي ص ١٣٠ والقول الفصل ص ١٦ والكليات للكفوي ص ٢١٣. وقال أبو يعلى في الإيمان ص ١٥٦: (وهو قول أكثر المعتزلة).

وفي كفاية الطالب الرباني ج ١ ص ٣٨ نسب للمعتزلة وجمهور المحدثين والمتكلمين

إِلَّا أَنْ أَصْحَابَ الْفِرْقِ اخْتَلَفُوا فِي تَرْكِ الْعَمَلِ:

فذهب الخَوَارِجُ إِلَى أَنَّ الْإِيمَانَ هُوَ أَعْمَالُ الْجَوَارِحِ، فَتَرْكُ الْعَمَلِ يُخْرِجُ صَاحِبَهُ عَنِ الْإِيمَانِ وَيُدْخِلُهُ فِي الْكُفْرِ.

وذهب الْمُعْتَزِلَةُ إِلَى أَنَّ تَرْكَ الْعَمَلِ يُخْرِجُهُ مِنَ الْإِيمَانِ، لَكِنْ لَا يُدْخِلُهُ فِي الْكُفْرِ، فَيَكُونُ فِي مَنْزِلَةٍ بَيْنَ الْمَنْزِلَتَيْنِ.

وذهب أَهْلُ الْحَدِيثِ إِلَى أَنَّ تَرْكَ الْعَمَلِ لَا يُخْرِجُ صَاحِبَهُ عَنِ الْإِيمَانِ، وَهُمْ يُجْرُونَ أَحْكَامَ الْإِسْلَامِ عَلَيْهِ^(١).

وعليه: فَإِنَّ الْعَمَلَ هُوَ شَطْرُ مِنَ الْإِيمَانِ، أَي: جُزْءٌ مِنْهُ، وَلَيْسَ شَرْطاً لَهُ^(٢).

وَالْفَرْقُ بَيْنَ قَوْلِ السَّلَفِ وَقَوْلِ الْمُعْتَزِلَةِ هُوَ:

أَنَّ السَّلَفَ جَعَلُوا الْأَعْمَالَ شَرْطاً فِي كَمَالِ الْإِيمَانِ، وَمِنْ هُنَا نَشَأُ الْقَوْلُ بِزِيَادَةِ الْإِيمَانِ وَنَقْصِهِ. أَمَّا الْمُعْتَزِلَةُ فَإِنَّهُمْ جَعَلُوهَا شَرْطاً فِي صِحَّةِ الْإِيمَانِ^(٣).

وَمِنْ أَدِلَّةِ دُخُولِ الْأَعْمَالِ فِي الْإِيمَانِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ

وَالْفُقَهَاءُ مِنْهُمْ ابْنُ حَبِيبٍ. وَفِي الْأَسَاسِ لِعَقَائِدِ الْأَكْيَاسِ ص ١٨٥: (أَثْمَنَّا عَلَيْهِمُ السَّلَامَ وَجُمُهِوْرُ الْمُعْتَزِلَةِ وَالشَّافِعِيِّ وَبَعْضُ الْخَوَارِجِ). وَذَكَرَ قَوْلَ الْمُعْتَزِلَةِ فِي الْإِيمَانِ: الْقَاضِي عَبْدُ الْجَبَّارِ فِي شَرْحِ الْأُصُولِ الْخَمْسَةِ ص ٧٠٧ وَالرَّازِي فِي الْمُحَصَّلِ ص ٢٣٧. وَقَالَ الْبَاجُورِيُّ فِي شَرْحِهِ عَلَى الْجَوْهَرَةِ ص ٩٥: (ذَهَبَتِ الْمُعْتَزِلَةُ إِلَى أَنَّ الْعَمَلَ شَطْرُ مِنَ الْإِيمَانِ، لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ بِأَنَّهُ الْعَمَلُ وَالنُّطْقُ وَالْإِعْتِقَادُ، فَمَنْ تَرَكَ الْعَمَلَ فَلَيْسَ بِمُؤْمِنٍ لِفَقْدِ جُزْءٍ مِنَ الْإِيمَانِ وَهُوَ الْعَمَلُ، وَلَا كَافِرٌ لَوْجُودِ التَّصَدِيقِ، فَهُوَ عِنْدَهُمْ مَنْزِلَةٌ بَيْنَ الْمَنْزِلَتَيْنِ، أَي بَيْنَ الْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ، وَيَخْلُدُ فِي النَّارِ وَيُعَذَّبُ بِأَقْلٍ مِنْ عَذَابِ الْكَافِرِ).

(١) الْقَوْلُ الْفَصْلُ السَّابِقُ. وَذَكَرَ الْبَغْدَادِيُّ فِي أُصُولِ الدِّينِ ص ٢٤٩: أَصْحَابُ الْحَدِيثِ.

(٢) شَرْحُ الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ٩٥.

(٣) فَتْحُ الْبَارِي ج ١ ص ٦١.

اللَّهُ وَجَلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴿٤﴾ - الأنفال ٢-٤^(١).

وذلك مما يُصَيِّرُ الْمُؤْمِنَ مُؤْمِنًا^(٢).

لأن المؤمنين هم الذين جمعوا هذه الأعمال، فدل ذلك على أنها من جوامع الإيمان، فالصلاة إشارة إلى الطاعات التي تقام بالأبدان خاصة، والإنفاق مما رزق الله إشارة إلى الطاعات التي تقام بالأموال، ووجل القلب إشارة إلى الاستقامة من كل وجه، ويدخل فيها إقامة الطاعات والانزجار عن المعاصي^(٣).

و(إنما) للحصر، فمن ليس من أهل الآية ليس بمؤمن^(٤).

القول الثاني: الإيمان هو التَّصَدِيقُ بالقلب والإقرار باللسان، دون غيرهما من الجوارح.

وهو قول الإمام أبي حنيفة^(٥)، وبه قال بعض أئمة

(١) جامع العلوم والحكم ج ١ ص ١٠٤-١٠٥ ونقله عنه السَّفَّارِينِي فِي لَوَامِعِ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ١ ص ٤٠٥-٤٠٦. وانظر: الإيمان لأبي عُبَيْدِ الْقَاسِمِ ص ٦٥ والإيمان لأبي يَعْلَى ص ١٦٢ والبعد الحضاري ص ٤٩٦ نَقْلًا عَنِ الشَّامِيّ، وَالْأَسَاسُ لِعَقَائِدِ الْأَكْبَاسِ ص ١٨٥.

(٢) الإيمان لأبي يَعْلَى ص ١٦٢-١٦٣.

(٣) شُعَبُ الْإِيمَانِ لِلْبَيْهَقِيِّ ج ١ ص ٤٣ وأشار إلى الْحَلِيمِيِّ.

(٤) البعد الحضاري السابق.

(٥) الفقه الأكبر لأبي حنيفة - القول الفصل ص ٣٥٨ و ص ١٥ والمواقف ج ٨ ص ٣٢٣ وشرح المقاصد للتفتازاني ج ٥ ص ١٧٨ وشرح الجوهرية للباجوري ص ٩٥. وحكاية الطحاوي عن الإمام أبي حنيفة وأصحابه. / شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العزّ ص ٤٦٢ ولوامع الأنوار البهية ج ١ ص ٤١٦. وفي المعتقد المنتقد ص ١٩٩: منقول عن أبي حنيفة وأصحابه.

الْحَنِيفِيَّة^(١)، وبعض الأشاعرة^(٢)، ونسب إلى الجُمهُور^(٣)، واختاره نصير الدين الطوسي من الإمامية في التجريد^(٤).

وعلى هذا: فمن صدق بقلبه ولم يُقرّ بلسانه ولو مرة في العمر لا يكون مؤمناً عند الله تعالى، ولا يستحق دخول الجنة ولا النجاة من الخلود في النار^(٥).

فالتَّصْدِيق لا ينجي وحده من النار، وأما النطق فهو وحده نفاق، فأحدهما ليس بآيانه، إذ لا بد منهما معاً^(٦). فالنطق شرط الإيمان عندهم^(٧).

(١) العقائد النسفية وشرح التفتازاني عليها ص ١٥٣ ونُخبَة اللآلي ص ٨٩. وقال النسفي في تبصرة الأدلة ج ٢ ص ٧٩٨: وهو محكي عن كثير من أصحاب أبي حنيفة. وقال في بحر الكلام ص ٧٧: عند أكثر أهل السنة والجماعة. وفي لوامع الأنوار البهية ج ١ ص ٤٢١ و٤٢٢: وبه قال حماد بن أبي سليمان ومن اتبعه من فقهاء الكوفة، وهو قول الفقهاء من المرجئة.

(٢) المعتقد المنتقد ص ١٩٩ وشرح الجوهرة للباجوري ص ٩٥ وشرح الجوهرة للصاوي ص ١٣٢. وذهب إليه الأبّي والسُّوسيّ في شرحهما صحيح مسلم ج ١ ص ١٠٩.

(٣) القول الفصل ص ١٥.

(٤) تجريد الاعتقاد، وشرحه كشف المراد للحلي ص ٤٥٤ ومفتاح الباب ص ٢١٢.

(٥) شرح العقائد النسفية للتفتازاني السابق. وفصل هذا القول الباجوري في شرحه على الجوهرة ص ٩٤ بقوله: (فمن صدّق بقلبه ولم يقر بلسانه لا لعذرٍ منعه ولا لإباء، بل اتفق له ذلك، فهو مؤمن عند الله غير مؤمن في الأحكام الدنيوية. أما المعذور إذا قامت قرينة على إسلامه بغير النطق كالإشارة فهو مؤمن فيهما. وأما الأبّي - أي: الممتنع - بأن طُلب منه النطق بالشهادتين فأبى فهو كافر فيهما، ولو أذعن في قلبه فلا ينفعه ذلك ولو في الآخرة، ومن أقر بلسانه ولم يصدّق بقلبه كالمناقض فهو مؤمن في الأحكام الدنيوية غير مؤمن عند الله تعالى، ومحل كونه مؤمناً في الأحكام الدنيوية ما لم يطلع على كفره بعلامة كسجودٍ لصنم، وإلا جرت عليه أحكام الكفر).

(٦) شرح صحيح مسلم للأبّي والسُّوسيّ ج ١ ص ١٠٩.

(٧) نُخبَة اللآلي ص ٨٩ وشرح الجوهرة للباجوري ص ٩٥ وشرح الجوهرة للصاوي ص ١٣٢.

واشترط أن يكون التَّصَدِيقُ بالقلب والإقرار باللسان معاً، ولا يكفي أحدهما فيه:
أما التَّصَدِيقُ القلبي فإنه غير كاف لقوله تعالى: ﴿وَأَسْتَفْتِيهَا أَنْفُسُهُمْ﴾ - النمل
١٤، وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾ - البقرة ٨٩، فأثبت لهم
المعرفة والكفر.

وأما التَّصَدِيقُ اللِّساني (أي: الإقرار باللسان) فإنه غير كاف أيضاً لقوله تعالى:
﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ - الحُجُرَات ١٤، ولا شك في أن
أُولَئِكَ الْأَعْرَابُ صدَّقوا بألسنتهم^(١).

ومما يؤيد رُكْنِيَّةَ الإقرار هو ذم الله تعالى المعاند أكثر من ذمه الجاهل المقصر، فالإيمان
أمر واحد وإن كان مركباً وأجزاؤه متعددة^(٢).

أما العَمَلُ فهو - كما قال الباجوري - شرط كَمَالٍ على الْمُخْتَارِ عند أَهْلِ السُّنَّةِ،
فمن أتى بِالْعَمَلِ فقد حصل الكَمَالُ، ومن تركه فهو مُؤْمِنٌ لَكِنْ فَوَّتْ عَلَى نَفْسِهِ
الْكَمَالَ إذا لم يكن مع ذَلِكَ استحلال أو عناد للشارع أو شك في مشروعيته، وإلا فهو
كافر فيما علم من الدِّينِ بالضرورة^(٣).

وعليه: فإن العَمَلَ شرط الإيمان، أي: خارج عن ماهيَّته، فهو شرط لإجراء
أَحْكَامِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِمْ مِنَ التَّوَارُثِ وَالتَّنَاحُحِ وَالصَّلَاةِ خَلْفَهُ وَعَلَيْهِ، والدفن في مقابر
الْمُسْلِمِينَ، وَمُطَابَقَتِهِ بِالصَّلَوَاتِ وَالزَّكَاةِ... لأن التَّصَدِيقَ القلبي وإن كان إيمانياً إلا
أنه بَاطِنٌ خَفِيٌّ، فلا بد له من علامة ظَاهِرَةٍ تدلُّ عليه لتتعلق به تلك الْأَحْكَامُ^(٤).

(١) كَشَفَ الْمُرَادِ فِي شَرْحِ تَجْرِيدِ الْإِعْتِقَادِ ص ٤٥٤.

(٢) الْقَوْلُ الْفَصْلُ ص ١٥ وجاء بهذا الدليل حكاية عن أصحاب هَذَا الْقَوْلِ. أما هو فيرى أن
الإيمان هو التَّصَدِيقُ بالقلب.

(٣) شَرْحُ الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ٩٤.

(٤) شَرْحُ الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ السَّابِقِ.

القول الثالث: الإيمان هو التصديق بالقلب فقط.

وهو قول أبي منصور الماتريدي، وهو مروي عن أبي حنيفة. وبه قال الحسين بن الفضل البجلي، وهو المشهور من مذهب أبي الحسن الأشعري^(١). ونص عليه الباقلاني^(٢)، وهو قول الأستاذ أبي إسحاق الإسفرائيني، وبه قال الصالح بن الراوندي من المعتزلة^(٣)، والرازي^(٤)، ونسبه التفتازاني إلى الجمهور^(٥).

فإذا كان أصحاب هذا القول قد جعلوا ركن الإيمان هو التصديق بالقلب فقط،

(١) تبصرة الأدلة ج ٢ ص ٧٩٩، وذكر قول الماتريدي في أصول الدين للغزوي ص ٢٥١. وعزاه البغدادي في أصول الدين ص ٢٤٨ إلى أبي الحسن الأشعري وابن الراوندي والحسين بن الفضل البجلي. وفي الملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ٨٨ ذكر مذهب الأشعري.

وقال الإنجي: (فهو عندنا)، وبينه السيد الشريف بقوله: (يعني أتباع الشيخ أبي الحسن) - أي: الأشعري. / المواقف ج ٨ ص ٣٢٢-٣٢٣. وقال التفتازاني في شرح العقائد النسفية ص ١٥٤: وهو اختيار الشيخ أبي منصور. وكذا قال الكفوي في الكليات ص ٢١٣.

وقال الرنجاوي في نخبة اللاي ص ٨٩: هو قول أبي منصور الماتريدي ومعظم الأشاعرة. ونحوه في المعتقد المنتقد ص ١٩٩. وقال التهانوي في كشف اصطلاحات الفنون ج ١ ص ٢٩٧: هو مختار جمهور الأشاعرة وعليه الماتريدي وأكثر الأئمة كالحسين بن الفضل.... وقال الباجوري في شرح الجوهر ص ٩٤: وهو قول محققي الأشاعرة والماتريدي.

(٢) تمهيد الأوائل ص ٣٨٩-٣٩٠ والإنصاف ص ٢٢ و٥٥. والمواقف ج ٨ ص ٣٢٣ وكشف اصطلاحات الفنون السابق.

(٣) المواقف وشرح السيد الشريف عليه، وكشف اصطلاحات الفنون، السابقة. وفي أصول الدين للبغدادي السابق ذكر ابن الراوندي.

(٤) المحصل للرازي ص ٢٣٧.

(٥) شرح المقاصد للتفتازاني ج ٥ ص ١٧٧، وذكر في شرحه العقائد النسفية ص ١٥٣: جمهور المحققين. ومثله قال الرنجاوي في نخبة اللاي ص ٨٩.

فإن الإقرار باللسان والعمل بالأركان ليسا بُرْكَنين للإيمان عندهم، وإنما هما فُرُوعه على ما نقله الشَّهْرَسْتَانِيّ عن الْأَشْعَرِيّ^(١).

فمن صدَّق بقلبه أي: أقر بوحدانية الله تعالى، وبما جاء به الرسل من عند الله تعالى، صح إيمانه، وكان مُؤْمِنًا بينه وبين الله تعالى، حتى لو مات في الحال كان مُؤْمِنًا ناجيًا، ولا يخرج من الإيمان إلَّا بإنكار شيء من ذلك^(٢).

ومن أتى بتصديق القلب وإقرار اللسان كان مُؤْمِنًا عند الله وعند الناس اتفاقاً^(٣). ومن صدَّق بقلبه ولم يُقرِّ بلسانه، لا لعذر منعه، ولا لإبائه، بل اتفق له ذلك، فهو مُؤْمِن عند الله، غير مُؤْمِن في الأحكام الدنيوية^(٤).

ومن كان معذوراً عاجزاً كالأخرس، إذا قامت قرينة على إسلامه بغير النطق كالإشارة، فهو مُؤْمِن فيهما^(٥) - أي: عند الله وفي الأحكام الدنيوية -.

(١) الملل والنحل للشَّهْرَسْتَانِيّ ج ١ ص ٨٨. قال الباقلاني في الإنصاف ص ٥٥: (حل التصديق القلب، وهو أن يصدق القلب بأن الله إله واحد وأن الرسول حق، وأن جميع ما جاء به الرسول حق، وما يوجد من اللسان وهو الإقرار، وما يوجد من الجوارح وهو العمل، فإنما ذلك عبارة عما في القلب ودليل عليه. ويجوز أن يسمى إيماناً حقيقةً على وجهه، ومجازاً على وجهه، ومعنى ذلك: أن العبد إذا صدَّق قلبه بما قلنا، وأقرَّ بلسانه، وعَمِلَ جوارحه، فهو المُؤْمِن الحقيقي عند الله وعندنا. وأما من كَذَّب بقلبه، وأقر بالوحدانية بلسانه، وعَمِلَ الطاعات بجوارحه، فهذا ليس بمُؤْمِن حقيقةً، وإنما هو مُؤْمِن مجازاً، لأن ذلك يمنع دمه وماله في أحكام الدنيا، لأنه مُؤْمِن من حيث الظاهر، وهذا عند الله غير مُؤْمِن).

(٢) الملل والنحل للشَّهْرَسْتَانِيّ السابق، وأصول الدين للغزوي ص ٢٥٢.

(٣) أصول الدين للغزوي السابق، وكفاية الطالب الرباني وحاشية الصعدي عليه ج ١ ص ٣٨ نقلاً عن القاضي عياض.

(٤) شرح الجوهرة للباجوري ص ٩٤ وحاشية الصعدي السابق.

(٥) شرح الجوهرة للباجوري السابق، وشرح المقاصد للتفتازاني ج ٥ ص ١٧٩ ونُجْبَة اللآلي ص ٨٩. وفي كفاية الطالب الرباني السابق عن القاضي عياض: (فمُؤْمِن على المشهور).

أما الممتنع (الآبي) بأن طلب منه النطق بالشهادتين فأبى، فهو كافر فيهما، لأن ذلك من أمارات عدم التصديق. ولو أذعن في قلبه فلا ينفعه ذلك ولو في الآخرة^(١).

ومن أقرّ بلسانه ولم يصدّق بقلبه كالمنافق فهو مؤمن في الأحكام الدنيوية غير مؤمن عند الله تعالى^(٢). ومحل كونه مؤمناً في الأحكام الدنيوية ما لم يطلع على كفره بعلامة، كسجود لصنم، وإلا جرت عليه أحكام الكفر^(٣).

ومن لم يُقرّ بلسانه ولم يصدّق بقلبه فهو كافر اتفاقاً^(٤).

أما الأعمال كالصلاة والصيام والطاعات فليست هي بُرْكن للإيمان عند أصحاب هذا القول أيضاً^(٥).

ومن أدلة هذا القول:

١- الآيات والأحاديث الدالة على أن القلب محل للإيمان مثل:

قوله تعالى: ﴿أَوَلَيْكَ كُتِبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانُ﴾ - المجادلة ٢٢.

وقوله تعالى: ﴿وَقُلُوبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ - النحل ١٠٦.

وقوله ﷺ: لَأَسَامَةَ وَقَدْ قَتَلَ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ: (هَلَّا شَقَقْتَ قَلْبَهُ).

فلما كان الإيمان فعل القلب وجب أن يكون عبارة عن التصديق، الذي من ضرورته

(١) شرح الجوهرة للباجوري، وشرح المقاصد للتفتازاني، ونُخبَة اللآلي، السابقة.

(٢) شرح الجوهرة للباجوري ص ٩٤ وفي كفاية الطالب الرباني ج ١ ص ٣٨ عن القاضي

عياض: (وإن وجد النطق وحده فمنافق في زمن الرسول ﷺ، والآن زنديق).

(٣) شرح الجوهرة للباجوري السابق.

(٤) كفاية الطالب الرباني ج ١ ص ٣٨ نقلاً عن القاضي عياض.

(٥) تبصرة الأدلة ج ٢ ص ٧٩٩. ونقل أبو يعلى في الإيمان ص ١٥٨ ذلك عن الأشعرية.

المعرفة. وهذا هو مفهوم الإيمان اللغوي^(١).

٢- خاطب الله تعالى باسم المؤمنين، ثم أوجب الأعمال، فقال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ - البقرة ١٨٣^(٢).

فالله عز وجل خاطب بوجوب الإيمان قبل وجوب الأحكام، فلو كانت الأحكام من جملة الإيمان لما ساهم بالمؤمنين قبل وجودها، ولما نزل فرضية شيء منها إلا بعد وجود الإيمان^(٣).

وكذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ - المائدة ٦.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ - النساء ١٠٣. فساهم الله تعالى مؤمنين قبل أن يتطهروا، وقبل أن يصلوا ويصوموا^(٤).

الخلاصة:

من خلال هذا العرض لأقوال أشهر الفرق الإسلامية في الإيمان، يتضح لنا ما يأتي:

(١) المواقف وشرح السيد الشريف عليه ج ٨ ص ٣٢٤. وانظر: شرح المقاصد للتفتازاني ج ٥ ص ١٨٣ وشرح العقائد النسفية للتفتازاني ص ١٥٤ ومشارك أنوار العقول ج ٢ ص ١٩٩ وشرح عقيدة التوحيد لأطفيش ص ٢٠٠.

والحديث: أخرجه مسلم في: ١ كتاب الإيمان، ٣٩ باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله، رقم ٩٦، ص ٦٨ بلفظ: (أَفَلَا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّى تَعْلَمَ أَقَالَهَا أَمْ لَا). وأخرجه أبو داود في سننه: كتاب الجهاد، ١٠٢ باب على ما يُقاتل المشركون، رقم ٢٦٤٣. وقال الشيخ شعيب في تحقيقه سنن أبي داود ج ٤ ص ٢٧٨: إسناده صحيح. وذكره مخرجه.

(٢) تبصرة الأدلة ج ٢ ص ٨٠١.

(٣) نخبة اللآلي ص ٩٦.

(٤) الإيمان لأبي يعلى ص ٢٣٩.

١- هذه الأقوال الثلاثة هي المَعَوَّل عليها اليوم في المذاهب الإسلامية، ولها أتباع، فهي تمثل السواد الأعظم من علماء الأمة وأتباعهم.

وهناك أقوال أخرى كثيرة انقرض أصحابها، ولم يبق منها إلا ما ذكر من حكاية مَقَالَاتهم في الكتب.

٢- جميع العلماء يتفقون على أن الإيمان هو تصديق القلب، لكنهم اختلفوا في إطلاق اسم الإيمان على الإقرار باللسان، وعلى العمل بالأركان.

٣- جميع العلماء يتفقون على وجوب جميع الطاعات المفروضة، وعلى استحباب النوافل المشروعة.

٤- خلاف أصحاب القول الثاني (الإيمان هو التصديق بالقلب، والإقرار باللسان)، مع أصحاب القول الأول (الإيمان هو التصديق بالقلب، والإقرار باللسان، والعمل بالأركان)، من أهل السنة والجماعة، هو اختلاف صوري. بينه ابن أبي العزّ: بأن كون أعمال الجوارح لازمة لإيمان القلب، أو جزء من الإيمان، لاتفاق جميعهم على أن مرتكب الكبيرة لا يخرج من الإيمان، بل هو في مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له.

لذلك قال: هو نزاع لفظي لا يترتب عليه فساد اعتقاد^(١).

ومراد جمهور المحدثين والمتكلمين والفقهاء والمعتزلة من الإيمان المركب من الثلاثة هو الإيمان الكامل^(٢).

وعلى هذا:

فإن الأصل في الإيمان هو التصديق القلبي. وهذا متفق عليه. وهو الذي ينجي

(١) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العزّ ص ٤٦٣ في بيانه للاختلاف بين أبي حنيفة وأهل السنة.

(٢) حاشية الصعدي على كفاية الطالب الرباني ج ١ ص ٣٨. وانظر: القول الفصل ص ١٦.

صاحبه من الخلود في النار.

أما الإقرار باللسان فهو شرط لإجراء الأحكام في الدنيا.

وأما العمل بالأركان فهو لبيان الإيمان الكامل، لأنهم أجمعوا على أنه لو صدق بقلبه وأقر بلسانه، وامتنع عن العمل بجوارحه، أنه عاص لله تعالى مستحق الوعيد، كما تقدم.

فالخلاف لم يكن حقيقياً بين الأقوال الثلاثة.

زِيَادَةُ الْإِيمَانِ وَنَقْصَانُهُ

اختلفوا في الإيمان هل يَزِيدُ وينقص؟ فمنهم من أثبته ومنهم من نفاه. وقد جعل الإمام الرَّاظِي وكثير من المتكلمين ذَلِكَ فرعاً عن تَفْسِيرِ الإيمان^(١).

وأيده الإيجي فذكر: أن الإيمان إذا فسر بالتَّصْدِيقِ فلا يقبلها، وإن فسر بالأَعْمَالِ فيقبلها^(٢).

القول الأول: الإيمان يَزِيدُ وينقص.

وهو مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ مِنْ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَخَلَفِهَا^(٣).

(١) الْمُحَصَّلُ لِلرَّاظِي ص ٢٢٩ وَالْمَوَاقِفُ وَشَرْحُهُ لِلسَّيِّدِ الشَّرِيفِ ج ٨ ص ٣٣٠ نَقْلًا عَنْ الرَّازِي.

(٢) الْمَوَاقِفُ السَّابِقُ، وَشَرْحُ صَحِيحِ مُسْلِمٍ لِلأَبِيِّ وَالسَّنُوسِيِّ ج ١ ص ١٠٩ و ١١١. وانظر: أَصُولُ الدِّينِ لِلْبَغْدَادِيِّ ص ٢٥٢.

(٣) شَرْحُ صَحِيحِ مُسْلِمٍ لِلنَّوَوِيِّ ج ١ ص ١٤٦ عَنْ ابْنِ بَطَّالٍ. وَفِي ص ١٤٨ مَذْهَبُ السَّلَفِ وَالْمُحَدِّثِينَ. وَنَقْلُهُ السَّفَّارِينِيُّ فِي كَوَامِعِ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ١ ص ٤١١ عَنْ ابْنِ تَيْمِيَّةٍ إِذْ قَالَ: (مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْحَدِيثِ عَلَى أَنَّ الْإِيمَانَ يَتَفَاوَضُ، وَجُمْهُورُهُمْ يَقُولُونَ: يَزِيدُ وَيَنْقُصُ).

قال عبد الرزاق - في مُصَنَّفِهِ -: سمعتُ من أدركتُ من شيوخنا وأصحابنا: سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ

وذهب إليه بعض الأشاعرة والمُعْتَزِلَةُ^(١)، وبه قال

ومالك بن أنس وعبيد الله بن عمر والأوزاعي ومعمّر بن راشد وابن جريج وسفيان بن عيينة يقولون: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص.

وهذا قول ابن مسعود وحذيفة والنخعي والحسن البصري وعطاء وطاووس ومجاهد وعبد الله بن المبارك. / شرح صحيح مسلم للنووي ج ١ ص ١٤٦ عن ابن بطال.

وبه قال الشافعي وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وأبو عبيد وغيرهم من الأئمة. / فتح الباري ج ١ ص ٦١ ولوامع الأنوار البهية ج ١ ص ٤١٦ عن التمهيد لابن عبد البر، وشرح المقاصد للفتاواني ج ٥ ص ٢١٠ والقول الفصل ص ٣٥٨.

وأورد اللالكائي أساء عدد كبير من قال بأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، من الصحابة والتابعين والفقهاء وأقوالهم في كتابه شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ص ١٤٥ وما بعدها.

وهو مذهب الفقهاء والمحدثين. / لوامع الأنوار البهية ج ١ ص ٤٣٠. وبه قال البخاري. / صحيح البخاري، ٢ كتاب الإيمان، ١ باب قول النبي ﷺ: بني الإسلام على خمس. انظره بشرح فتح الباري ج ١ ص ٦٠. وبه قال الطبري أيضاً. / لوامع الأنوار البهية ج ١ ص ٤١٦ نقلاً عن التمهيد لابن عبد البر. وهو قول داود بن علي. / لوامع الأنوار البهية السابق نقلاً عن التمهيد. وتابعه ابن حزم الظاهري. / علم الكلام لابن حزم ص ٨٥. وبه قال البيهقي. / شعب الإيمان للبيهقي ج ١ ص ٦٠. واستظهره النووي. / شرح صحيح مسلم للنووي ج ١ ص ١٤٨. وهو قول الشيخ عبد القادر. / الغنية ج ١ ص ٦٩. وقال به ابن تيمية. / لوامع الأنوار البهية ص ٤١١.

وجعله الحق كل من الإيجي والسيد الشريف. / المواقف وشرحه للسيد الشريف ج ٨ ص ٣٣١. وبه قال الفتاواني. / شرح المقاصد للفتاواني ج ٥ ص ٢١٠.

(١) شرح المقاصد للفتاواني ج ٥ ص ٢١٠ والقول الفصل ص ٣٥٨ والإنصاف للباقلاني ص ٥٧. وفي الإرشاد للجويني ص ٣٩٩: (مال إليه القلانسي)، وفي لوامع الأنوار البهية ج ١ ص ٤٣٠: (ذهب إليه جماعة من محققي الأشاعرة كالقلانسي وغيره). وفي مقدمة البحر الزخار لابن المرتضى ص ٨٧ نسبته للمعتزلة.

ونسبه الباجوري في شرح الجوهرة ص ١٠٠ إلى جمهور الأشاعرة.

وفي رسالة الأشعري إلى أهل الثغر ص ٢٧٢: (قال الأشعري: وأجمعوا على أن الإيمان

الزَّيْدِيَّةُ^(١). وبعض الإِبَاضِيَّةِ^(٢).

وزيادة الإيمان تكون بفعل الطاعات، ونقصانه بتركها وفعل المعاصي^(٣)، قال الإمام أحمد في رواية مُحَمَّد بن مَوْسَى: (الإيمان قول وعَمَل، يَزِيد وينقص، وإذا عَمِلَت الحَسَن زاد، وإذا ضيعت نقص، والإيمان لا يكون إِلَّا بِعَمَل)^(٤).

وجوه زيادة الإيمان:

لزيادة إيمان المؤمنين الذي أمر الله تعالى به وجوه منها:

١- التَّصَدِيقُ المستلزم لَعَمَل القلب أَكْمَل من التَّصَدِيقُ الذي لا يستلزم عَمَله.

فالعالم الذي يَعْمَل به صاحبه أَكْمَل من العلم الذي لا يَعْمَل به.

فمن يعلم أن الله حق، ورَسُوله حق، والجنة حق، والنار حق، وعلمه هَذَا أوجب له محبة الله وخشيته والرغبة في الجنة والرَّهْبَة من النار، فعلمه أَكْمَل من الذي لم يوجب له ذَلِكَ^(٥).

٢- أَعْمَال القلوب مثل محبة الله ورَسُوله وخشية الله تعالى ورجائه هي كلها من

يَزِيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وليس نقصانه عندنا شكاً فيها أمرنا بالتَّصَدِيقُ به، ولا جهلاً به، لأن ذَلِكَ كُفْرٌ، وإنها هو نقصان في مرتبة العلم وزيادة البَيَان كما يختلف وزن طاعتنا وطاعة النَّبِيِّ ﷺ، وإن كنا جميعاً مؤدِّين للواجب علينا). وأشار إليه في هامش الباجوري السابق.

(١) مُقَدِّمَةُ الْبَحْرِ الزَّخَّار لابن الْمُرْتَضَى ص ٨٧.

(٢) الموجز لأبي عَمَّار ج ٢ ص ٧٨ وَبَهْجَةُ الْأَنْوَار ص ١٢٤ والبعد الْحَضَارِي ص ٤٩٨ ناقلاً عن أبي عَمَّار وخميس وأبي مَهْدِي وأبي خزر.

(٣) الإيمان لأبي يَعْلَى ص ٣٩٥-٣٩٧.

(٤) الإيمان لأبي يَعْلَى ص ١٥٣. وانظر: شُعَبُ الْإِيمَان لِلْبَيْهَقِيِّ ج ١ ص ٦٠ والمَوَاقِف ج ٨ ص ٣٣٠ وَلَوَامِعُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّة ج ١ ص ٤١٦-٤١٧.

(٥) لَوَامِعُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّة ج ١ ص ٤١٤.

الإيمان، ويتفاضل الناس فيها تفاضلاً ظاهراً.

٣- الأَعْمَالُ الظَّاهِرَةُ مع البَاطِنَةِ هي من الإيمان، والناس يتفاضلون فيها.

٤- ذكر الإنسان بقلبه واستحضاره ما أمر به، بحيث لا يكون غافلاً عنه، هو أكمل من صدق به وغفل عنه، لأن الغفلة تنقصه، ولهذا قال عُمَيْرُ بْنُ حَبِيبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (إذا ذكرنا الله وحمدناه وسبحناه فتلك زيادته، وإذا غفلنا ونسينا وضعنا فتلك نقصانه).

وأدلة القول بزيادة الإيمان ونقصانه هي:

١- الآيات الكريمة الدالة على ذلك، منها:

قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِذَا تُلِيتَ عَلَيْهِمْ ءَايَتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ - الأنفال ٢.

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ - التوبة ١٢٤.

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لِيَزَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ - الفتح ٤.

فهذه الآيات دلت على أن الإيمان قابل للزيادة، وإذا كان قابلاً للزيادة فعدمت الزيادة كان عديمها نقصاناً^(١).

٢- الأحاديث الشريفة الدالة على ما دل عليه القرآن الكريم، منها:

- قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَكْمَلَ الْمُؤْمِنِينَ إِيْمَانًا أَحْسَنَهُمْ خُلُقًا، وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِكُمْ.

(١) شُعَبُ الْإِيْمَانِ لِلْبَيْهَقِيِّ ج ١ ص ٦٠. والآيات في: الإيمان لأبي يَعْلَى ص ٤٠١-٤٠٢ وشرح الجَوْهَرَةُ لِلْبَاجُورِيِّ ص ١٠٢. وفي المَوَاقِفِ لِلإِنِيجِيِّ وَالسَّيِّدِ الشَّرِيفِ عَلَيْهِ ج ٨ ص ٣٣١: الآية ﴿وَإِذَا تُلِيتَ عَلَيْهِمْ ءَايَتُهُ...﴾ قال: ونحوها. وذكر بعضها في: شرح المَقَاصِدِ لِلتَّفْتَّازَانِيِّ ج ٥ ص ٢١٣ وشرح العَقِيدَةُ الطَّحَاوِيَّةُ لابن أبي العزِّ ص ٤٧٩ والقَوْلُ الْفَصْلُ ص ٣٥٨ وبُحْرُ الْكَلَامِ ص ٨٥.

قال الحليمي: دل هذا القول على أن حُسن الخُلُق إيمان، وأن عدمه نقصان إيمان، وأن المؤمنين متفاوتون في إيمانهم، فبعضهم أكمل إيماناً من بعض^(١).

- قال رسول الله ﷺ: (من رأى منكم مُنكراً فليُغيِّرْهُ بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذَلِكَ أضعف الإيـان)^(٢).

ووجه الدلالة به أن الإنكار بالقلب هو أضعف الإيـان، يقابله التغير باليد وهو أكمل الإيـان، الذي يليه الإنكار باللسان.

٣- الآثار عن الصَّحابة والتَّابعين الدالة على أن الطاعات من الإيـان، وأن الإيـان يَزِيد وينقص، وأن أهل الإيـان يتفاضلون في الإيـان. منها:

قول عُمَر بن الخطَّاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (لو وُزِنَ إيمانُ أبي بكرٍ بإيمان أهل الأرض لَرَجَحَ بهم)^(٣).

وكان عُمَر بن الخطَّاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ربما أخذ بيد الرجل والرجلين يقول: (تعالوا نزدادُ إيماناً)^(٤).

وورد نحو هذا القول في شُعَب البَيِّهَقِيِّ وغيره عن عَلِيِّ بن أَبِي طَالِب ومُعَاذ بن

(١) شُعَب الإيـان للبَيِّهَقِيِّ ج ١ ص ٦٠-٦١.

وَحَدِيث: أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا... إلخ: أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وابن حِبَّانَ في صَحِيحِهِ، عن أَبِي هُرَيْرَةَ. / الجامع الصَّغِيرُ لِلسُّيُوطِيِّ ص ٨٩ وَصَحَّحُهُ.

(٢) شُعَب الإيـان للبَيِّهَقِيِّ ج ١ ص ٦١.

(٣) شُعَب الإيـان للبَيِّهَقِيِّ ج ١ ص ٦٩ ورواه بسنده. وانظر: شَرْحُ الْمَقَاصِدِ لِلتَّفْتَّازَانِيِّ ج ٥ ص ٢١٣ وَالْقَوْلُ الْفَصْلُ ص ٣٥٩ وَشَرْحُ الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ١٠٢.

(٤) شُعَب الإيـان للبَيِّهَقِيِّ ج ١ ص ٧٠ ورواه بسنده، ونقله السَّفَّارِيُّ في كَوَامِعِ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ١ ص ٤١٢ عن ابن تَيْمِيَّةَ بلفظ مقارب من رِوَايَةِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ عن أَبِي ذَرٍّ. وهو في: الإيـان لأبي يَعْلَى ص ٤٠٤ وفي شَرْحِ الْعَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّةِ لابن أبي الْعِزِّ ص ٤٨١.

جَبَل وَعَبْدُ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ وَغَيْرِهِمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

٤- الدليل العقلي على زِيَادَةِ الْإِيمَانِ ونقصانه هو: أن الإيمان لو لم يتفاوت، لكان إيمان آحادِ الأُمَّةِ، بل المنهمك في الفسق، مساوياً لإيمان الأنبياء والملائكة، واللازم وهو المساواة باطل قطعاً^(١).

القول الثاني: الإيمان لا يَزِيدُ ولا ينقص:

الإيمان هو التَّصَدِيقُ، وهو في نفسه مما لا يتزايد، وما لا يتزايد لا نقصان له إلا بالعدم، ولا زِيَادَةٌ عليه إلا بانضمام مثله إليه. فلا زِيَادَةٌ للإيمان بانضمام الطاعات إليه، ولا نقصان بارتكاب المعاصي، إذ التَّصَدِيقُ في الحالين على ما كان قبلهما.

وهو قول أبي حَنِيفَةَ^(٢)، وأصحابه^(٣)، وبه قال المأثُرِيَّةُ^(٤)، وبه قال أكثر المتكلمين^(٥)، وهو اختيار إمام الحَرَمَيْنِ^(٦)، وقال به بعض الأشاعرة^(٧)، والبسيوي من

(١) شَرْحُ الْمَقَاصِدِ لِلتَّفْتَازَانِيِّ ج ٥ ص ٢١٣ والقَوْلُ الْفَصْلُ ص ٣٥٨ وَشَرْحُ الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ١٠٢.

(٢) الْفَقْهُ الْأَكْبَرُ لِأَبِي حَنِيفَةَ - شَرْحُهُ الْقَوْلُ الْفَصْلُ ص ٣٥٨-٣٥٩ وَشَرْحُهُ لِعَلِيِّ الْقَارِي ص ١٤٤ وَشَرْحُ الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ السَّابِقُ. وَنَصَّ قَوْلُ أَبِي حَنِيفَةَ فِي الْفَقْهِ الْأَكْبَرِ - شَرْحُ عَلِيِّ الْقَارِي هُوَ: (إِيمَانُ أَهْلِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا يَزِيدُ وَلَا يَنْقُصُ مِنْ جِهَةِ الْمُؤْمِنِ بِهِ، وَيَزِيدُ وَيَنْقُصُ مِنْ جِهَةِ الْيَقِينِ وَالتَّصَدِيقِ). وَتَبْصِرَةُ الْأَدِلَّةِ ج ٢ ص ٨٠٩ وَبَحْرُ الْكَلَامِ ص ٨٤ وَشَرْحُ الْمَقَاصِدِ لِلتَّفْتَازَانِيِّ ج ٥ ص ٢١١ وَلَوَامِعُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ١ ص ٤٣١.

(٣) شَرْحُ الْمَقَاصِدِ لِلتَّفْتَازَانِيِّ، والقَوْلُ الْفَصْلُ، وَلَوَامِعُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ، وَبَحْرُ الْكَلَامِ، السَّابِقَةُ.

(٤) التَّمْهِيدُ لِلْأَمَشِيِّ ص ١٣٤ وَأُصُولُ الدِّينِ لِلْغَزْنَويِّ ص ٢٥٤.

(٥) شَرْحُ صَحِيحِ مُسْلِمٍ لِلنَّوَوِيِّ ج ١ ص ١٤٨.

(٦) الْإِرْشَادُ لِلْجَوِينِيِّ ص ٣٩٩ وَشَرْحُ الْمَقَاصِدِ لِلتَّفْتَازَانِيِّ، والقَوْلُ الْفَصْلُ، السَّابِقَانِ.

(٧) الْمُحَصَّلُ لِلرَّازِيِّ ص ٢٣٩. وَقَالَ الرَّيْجَانِيُّ فِي نُجْبَةِ الْآلِي ص ٩٧: (الإيمان عندنا لا يَزِيدُ ولا ينقص، لكنه يقوى ويضعف).

الإباضية^(١).

ومن حجج هذا القول:

أن الزيادة والنقص شك، والشك كفر^(٢).

وأول أصحاب هذا القول النصوص الواردة في الزيادة والنقصان تأويلات منها:

أن معنى الزيادة عليه هو أن يزداد نوره وضياؤه في القلوب بالأعمال الصالحة، وينتقص ذلك بالمعاصي، إذ الإيمان له نور وضياء، على ما قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ - الصف ٨، وقال تعالى: ﴿أَقَمَنَ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ، لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ - الزمر ٢٢.

أما الإيمان في ذاته فلا يحتمل الزيادة والنقصان^(٣).

القول الثالث: الإيمان يزيد ولا ينقص.

وهو قول الإمام مالك، في إحدى الروايتين عنه.

وعلة ذلك: أنه لو نقص لذهب كله، فيقع في مذهب الخوارج المكفرين بالذنوب^(٤).

وهو القول الراجح عند المشارقة من الإباضية^(٥)، وبه قال السالمي منهم^(٦).

(١) الجامع للبيسي ج ١ ص ٢٣٧. وانظر: بهجة الأنوار ص ١٢٤ (بعض قومنا).

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي ج ١ ص ١٤٨ ونقل الأبي والسُّنُوسِي السَّابِقَانِ ذَلِكَ عَنْ الْأَمِيدِي.

(٣) تبصرة الأدلة ج ٢ ص ٨٠٩.

(٤) شرح صحيح مسلم للأبي والسُّنُوسِي ج ١ ص ١١٢.

(٥) البعد الحضاري ص ٥٠٠.

(٦) مشارق أنوار العقول ج ٢ ص ٢٠٤. وفي بهجة الأنوار ص ١٢٤: وذهب أصحابنا.

الإسلام

الإسلام في أصل اللُّغَةِ: الانقياد والاستسلام^(١).

وفي الاصطلاح: اختلف العلماء هل أن الإسلام هو الإيمان بمعنى التَّصْدِيق بما ورد عن الله سُبْحَانَهُ وَرُسُولِهِ ﷺ، أو هو الانقياد في الظَّاهِر؟

يتضح هَذَا في بَيَان الاختلاف في كون الإسلام والإيمان بمعنى وَاحِدٍ أو أَنَّهُمَا متغايران، وَذَلِكَ فيما يأتي:

القول الأول: الإيمان والإسلام شيء وَاحِد. فالاسمان من قبيل الأسماء المترادفة، وكل مُؤْمِن مُسْلِم، وكل مُسْلِم مُؤْمِن^(٢).

وبه قال الإمام أبو حنيفة^(٣) وهو قول النَّسَفِيِّ معبراً عن رأي أبي مَنْصُور الماتريدي^(٤)، وبه قال الْمُعْتَزِلَةُ^(٥)، وذهب إليه التَّفْتَازَانِيُّ^(٦)، ونقله عن الْجُمْهُور^(٧)،

(١) الْقَامُوسُ الْمُحِيطُ مادة (السلم). وفي مُعْجَمِ مَقَائِيسِ اللُّغَةِ ج ٣ ص ٩٠: (سلم) السين واللام والميم، معظم بابه من الصحة والعافية، ومنه: الإسلام وهو الانقياد، لأنه يسلم من الإباء والامتناع.

(٢) تَبْصِرَةُ الْأَدِلَّةِ ج ٢ ص ٨١٧ وَأُصُولُ الدِّينِ لِلْغَزْنَويِّ ص ٢٦١-٢٦٣.

(٣) الْفَقْهُ الْأَكْبَرُ لِأَبِي حَنِيفَةَ - شرحه الْقَوْلُ الْفَصْلُ ص ٣٦١ وشرحه لِعَلِيِّ الْقَارِي ص ١٤٩.

(٤) تَبْصِرَةُ الْأَدِلَّةِ السَّابِقِ. وانظر: أُصُولُ الدِّينِ لِلْغَزْنَويِّ ص ٢٦١ وَالْكِفَايَةُ لِلصَّابُؤِنِيِّ - الْقَوْلُ الْفَصْلُ ص ٣٦٢.

(٥) شَرْحُ الْأُصُولِ الْخَمْسَةِ ص ٧٠٥ وَذَكَرَ فِي: الْإِيمَانُ لِأَبِي يَعْلَى ص ٤٣٦ وَالْمَوَاقِفُ ج ٨ ص ٣٢٦ وَمُقَدِّمَةُ الْبَحْرِ الرَّخَّارِ لابن الْمُرْتَضَى ص ٨٦.

(٦) شَرْحُ الْمَقَاصِدِ لِلتَّفْتَازَانِيِّ ج ٥ ص ٢٠٧.

(٧) شَرْحُ الْمَقَاصِدِ لِلتَّفْتَازَانِيِّ السَّابِقِ. ونقل عن الْجُمْهُورِ أَيْضاً فِي: الْقَوْلُ الْفَصْلُ ص ٣٦٢.

وهو قول البَيْهَقِيِّ^(١)، ونسبه إلى جُمْهُورِ أَهْلِ السُّنَّةِ: مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرِ الْمَرْوَزِيِّ، وابن عبد البرِّ. وَرُويَ هَذَا الْقَوْلُ عَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ^(٢). وقال به الرِّيحَاوِيُّ^(٣) وابن حَزْم الظَّاهِرِيُّ^(٤) والزَّيْدِيُّ^(٥) والإِبَاضِيَّةُ^(٦).

وَحُجَّةُ هَذَا الْقَوْلِ:

١- قوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ - آلِ عِمْرَانَ ١٠٢^(٧). فَأُثْبِتَ الْإِسْلَامَ لِلْمُؤْمِنِينَ.

٢- قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ - آلِ عِمْرَانَ ٨٥. وَالْإِيمَانُ دِينٌ، فَلَوْ كَانَ الْإِيمَانُ غَيْرَ الْإِسْلَامِ لَكَانَ يَنْبَغِي أَلَّا يَقْبَلَ مِنْ مُبْتَغِيهِ^(٨).

٣- قوله تعالى في قصة لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣٥) فَاوْحَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ^(٣٦) - الذَّارِيَات. فَسَاهَمَ مَرَّةً «مُؤْمِنِينَ» وَمَرَّةً «مُسْلِمِينَ»، وَإِنَّمَا أَرَادَ تَمْيِيزَهُمْ عَنْ غَيْرِهِمْ بِأَدْيَانِهِمْ، فَصَحَّ أَنَّ الْإِيمَانَ وَالْإِسْلَامَ اسْمَانِ لِدِينٍ وَاحِدٍ^(٩).

(١) شُعَبُ الْإِيمَانِ لِلْبَيْهَقِيِّ ج ١ ص ٥٠.

(٢) جَامِعُ الْعُلُومِ وَالْحِكَمِ ج ١ ص ١٠٧.

(٣) نُخْبَةُ اللَّائِي ص ٩٨.

(٤) عِلْمُ الْكَلَامِ لابن حَزْم ص ٨٢ و ٨٥.

(٥) مُقَدِّمَةُ الْبَحْرِ الزَّخَّارِ لابن الْمُرْتَضَى ص ٨٦.

(٦) الْجَامِعُ لِلْبُيُوتِيِّ ج ١ ص ٢٤٤ وَبَهْجَةُ الْأَنْوَارِ ص ١٢٤.

(٧) تَبْصِرَةُ الْأَدِلَّةِ ج ٢ ص ٨١٨ وَشَرْحُ الْمَقَاصِدِ لِلتَّفْتَازَانِيِّ ج ٥ ص ٢٠٩.

(٨) تَبْصِرَةُ الْأَدِلَّةِ ج ٢ ص ٨١٨ وَأُصُولُ الدِّينِ لِلْعَزَنَوِيِّ ص ٢٦٣ وَالْقَوْلُ الْفَصْلُ ص ٣٦٢

نَفْلًا عَنِ التَّبْصِيرَةِ. وَذَكَرَهَا الْإِنْجِيُّ فِي الْمَوَاقِفِ ج ٨ ص ٣٢٦ حِينَ ذَكَرَ حُجَجَ الْمُعْتَزِلَةِ. وَانْظُرْهُ

فِي شَرْحِ الْمَقَاصِدِ لِلتَّفْتَازَانِيِّ ج ٥ ص ٢٠٨.

(٩) شُعَبُ الْإِيمَانِ لِلْبَيْهَقِيِّ ج ١ ص ٥٠. وَذَكَرَ النَّسْفِيُّ الْآيَةَ فِي تَبْصِرَةِ الْأَدِلَّةِ ج ٢ ص ٨١٨.

٤- لو كان الاسمان لمتغيرين لَتُصَوِّرَ وجود أحدهما بدون الآخر، ولَتُصَوِّرَ مُؤْمِن ليس بِمُسْلِمٍ، ومُسْلِمٍ ليس بِمُؤْمِنٍ.

ولو كان كذلك فما هو القول في مُؤْمِنٍ ليس بِمُسْلِمٍ، أو مُسْلِمٍ ليس بِمُؤْمِنٍ في أَحْكَام الدنيا والآخرة؟

فإن أُثبت لأحدهما حكم ليس للآخر ظهر ضلاله، وإن لم يثبت ظهر بطلان قوله^(١).

القول الثاني: الإسلام والإيمان متغايران.

فالإسلام: هو الانقياد والاستسلام، وكل طاعة انقاد العبد بها لربه تعالى واستسلم فيها لأمره فهي إسلام^(٢). والإيمان: هو خَصْلَةٌ من خصال الإسلام، وكل إيمان إسلام، وليس كل إسلام إيماناً^(٣). فالمُسْلِم قد يكون مُؤْمِناً في بعض الأحوال، ولا يكون مُؤْمِناً في بعضها، والمُؤْمِن مُسْلِمٌ في جميع الأحوال، فكل مُؤْمِن مُسْلِمٌ، وليس كل مُسْلِم مُؤْمِناً. وأصل الإيمان التَّصَدِيقُ، وأصل الإسلام الاستسلام والانقياد، فقد يكون المرء مستسلماً في الظَّاهِر غير منقاد في البَاطِن، وقد يكون صَادِقاً في البَاطِن غير منقاد في الظَّاهِر^(٤).

وهو قول الخطَّابِيِّ وصَحَّحَهُ^(٥)، وقال به أبو عمرو بن الصَّلَاح، وذكر أنه

وذكرها أيضاً الخطَّابِيُّ في مَعَالِمِ السُّنَنِ ج ٤ ص ٣١٥ ولهذه الآية أوردها ابن حَزَم في علم الكلام ص ٨٢ والرَّيْحَانِيُّ في نُحْبَةِ اللَّائِي ص ٩٨.

(١) تَبْصِرَةُ الْأَدْلَةِ ج ٢ ص ٨١٩. وأشير إليه في: الْقَوْلُ الْفَصْل ص ٣٦٢ نَقْلًا عَنِ التَّبَصُّرَةِ.

(٢) تَمْهِيدُ الْأَوَائِلِ ص ٣٩٢. وفي الْقَامُوسُ الْمُحِيطُ مادة السِّلْمِ: أَسْلَمَ: انْقَادَ.

(٣) تَمْهِيدُ الْأَوَائِلِ السَّابِقِ، وَالْإِنْصَافُ لِلْبَاقِلَانِيَّ ص ٥٨.

(٤) مَعَالِمِ السُّنَنِ لِلْحَطَّابِيِّ ج ٤ ص ٣١٥ ونقله عنه النَّوَوِيُّ في شَرْحِ صَحِيحِ مُسْلِمٍ ج ١ ص ١٤٥.

(٥) مَعَالِمِ السُّنَنِ السَّابِقِ، ونقله عنه النَّوَوِيُّ في شَرْحِ مُسْلِمٍ السَّابِقِ.

موافق لجماهير العلّماء من أهل الحديث وغيرهم^(١). ونقل هذا التفريق عن كثير من السلف^(٢). وهو قول الباقلاني^(٣)، ونسبه النسفي إلى بعض الحشوية^(٤). وقال بتغاير الإسلام والإيمان أيضاً: أبو يعلى^(٥)، والإيجي والسيد الشريف من الأشاعرة^(٦)، وبعض المعتزلة^(٧). وبعض الإمامية^(٨).

وحجة هذا القول:

١ - قوله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ - الحُجَرَات ١٤. فنفي عن الأعراب الإيمان، وأثبت لهم الإسلام، أي: الانقياد والاستسلام^(٩).

- (١) شرح صحيح مسلم للنووي ج ١ ص ١٤٨ نقلاً عن أبي عمرو بن الصلاح.
- (٢) جامع العلوم والحكم ج ١ ص ١٠٧، وفيه ذكر ابن رجب منهم: قتادة، ودأود بن أبي هند، وأبو جعفر الباقر، والزهرري، وحماد بن زيد، وابن مهدي، وشريك، وابن أبي ذئب، وأحمد بن حنبل، وأبو خيثمة، ويحيى بن معين، وغيرهم. على اختلاف بينهم في صفة التفريق بينها. وكان الحسن وابن سيرين يقولان: مسلم، ويهابان: مؤمن.
- (٣) تمهيد الأوائل ص ٣٩٢.
- (٤) تبصرة الأدلة ج ١ ص ٨١٧. وفي شرح المقاصد للتفتازاني ج ٥ ص ٢٠٩: هو قول الحشوية. وكذا في القول الفصل ص ٣٦١.
- (٥) الإيمان لأبي يعلى ص ٤٣٧.
- (٦) المواقف وشرحه للسيد الشريف ج ٨ ص ٣٢٧.
- (٧) شرح المقاصد للتفتازاني ج ٥ ص ٢٠٩.
- (٨) مقدمة البحر الزخار لابن المرتضى ص ٨٦.
- (٩) تمهيد الأوائل ص ٣٩٢ والإنصاف للباقلاني ص ٥٩ وتبصرة الأدلة ج ٢ ص ٨١٧ حاكياً حجة بعض الحشوية. وكذلك في القول الفصل ص ٣٦١، وشرح المقاصد للتفتازاني ج ٥ ص ٢٠٩ عن الحشوية وبعض المعتزلة. وهذه الآية هي حجة الزهري كما ذكره الخطابي في معالم السنن ج ٤ ص ٣١٥.

٢- عطف أحدهما على الآخر، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ - الأحزاب ٣٥.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَسُلِيمًا﴾ - الأحزاب ٢٢^(١).
فَعُطِفَ الْإِيمَانُ عَلَى الْإِسْلَامِ فِي الْآيَةِ الْأُولَى، وَالشَّيْءُ لَا يَعُطِفُ عَلَى نَفْسِهِ^(٢).
وكَذَلِكَ الْعُطْفُ فِي الْآيَةِ الثَّانِيَةِ.

٣- خبر جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، حَيْثُ سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الْإِيمَانِ فَقَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكِتَابِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْقَدَرِ خَيْرُهُ وَشَرُّهُ.
وَسَأَلَهُ عَنِ الْإِسْلَامِ فَقَالَ: أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ وَتَحُجَّ الْبَيْتَ.

فَفَرَقَتِ السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ، فَالْأَوَّلُ مُؤْمِنٌ، وَالثَّانِي مُسْلِمٌ^(٣).
فَالْحَدِيثُ بَيَّنَّ أَصْلَ الْإِيمَانِ وَهُوَ التَّصَدِيقُ الْبَاطِنُ، وَبَيَّنَّ أَصْلَ الْإِسْلَامِ وَهُوَ
الاسْتِسْلَامُ، وَالانْقِيَادُ الظَّاهِرُ.
قَالَ أَبُو عَمْرٍو بْنُ الصَّلَاحِ: الْإِيمَانُ وَالْإِسْلَامُ يَجْتَمِعَانِ وَيَفْتَرِقَانِ، وَأَنْ كُلُّ مُؤْمِنٍ
مُسْلِمٌ، وَلَيْسَ كُلُّ مُسْلِمٍ مُؤْمِنًا^(٤).

(١) شَرْحُ الْمَقَاصِدِ لِلتَّفْتَازَانِيِّ ج ٥ ص ٢٠٩ عَنِ الْحَشَوِيَّةِ وَبَعْضُ الْمُعْتَزِلَةِ، وَالْقَوْلُ الْفَضْلُ
ص ٣٦١ عَنِ بَعْضِ الْحَشَوِيَّةِ.

(٢) الْإِيمَانُ لِأَبِي يَعْلَى ص ٤٣٧.

(٣) تَبْصِرَةُ الْأَدَلَّةِ ج ٢ ص ٨١٧ وَشَرْحُ الْمَقَاصِدِ لِلتَّفْتَازَانِيِّ ج ٥ ص ٢٠٩ وَالْإِيمَانُ لِأَبِي يَعْلَى
ص ٤٣٧-٤٣٨ وَنُجْبَةُ اللَّائِي ص ٩٨ وَالْقَوْلُ الْفَضْلُ ص ٣٦١ وَالْإِنْصَافُ لِلْبَاقِلَانِيِّ ص ٥٥
وَالْغُنْيَةُ لِلشَّيْخِ عَبْدِ الْقَادِرِ ج ١ ص ٧٠.

(٤) شَرْحُ صَحِيحِ مُسْلِمٍ لِلنَّوَوِيِّ ج ١ ص ١٤٨ نَقْلًا عَنْ أَبِي عَمْرٍو بْنِ الصَّلَاحِ.

القول الثالث: إن قُرْنَ بين الإسلام والإيمان كان بينهما فرق.

فالإيمان جنس تصديق القلب، والإسلام جنس العمل. كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ - الأحزاب ٣٥.

وقوله ﷺ: (الإسلام علانية، والإيمان في القلب).

وإذا انفرد أحدهما بالذكر، شمل معنى الآخر وحكمه، فلا فرق بينهما.

فالإسلام والإيمان لفظان إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا. فهما كلفظي الفقير والمسكين، فقوله تعالى: ﴿إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ﴾ - المائدة ٨٩، شامل للمقل والمُعْدَم معاً.

وهو قول ابن رجب^(١)، وابن أبي العز^(٢).

الإحسان

الإحسان: مصدر الفعل أَحْسَنَ، ويُستعمل لمعنيين:

١ - متعدّ بنفسه، كقولك: أَحْسَنْتَ كذا، إذا حَسَنْتَهُ وكمَلْتَهُ.

٢ - متعدّ بحرف الجر، كقولك: أَحْسَنْتَ إِلَى فُلَانٍ، أي: أَوْصَلْتَ إِلَيْهِ النِّفْعَ.

والإحسان الوارد في حَدِيثِ جَبْرِيلَ وهو (قال - أي: جَبْرِيلَ - فَأَخْبَرَنِي عَنِ الْإِحْسَانِ، قال - أي: النَّبِيُّ ﷺ -: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ)، هو

(١) جَامِعُ الْعُلُومِ وَالْحِكَمِ ج ١ ص ١٠٧-١٠٨. وفي هامشه:

حَدِيثُ: الْإِسْلَامُ عَلَانِيَةٌ... إلخ، في: مُسْنَدُ أَحْمَدَ عَنْ أَنَسٍ. ورواه أيضاً ابن أبي شَيْبَةَ وَأَبُو يَعْلَى وَابْنُ أَبِي عُبَيْدٍ فِي الْإِيمَانِ. قَالَ مُحَقِّقُ الشَّيْخِ شُعَيْبٍ: فِي إِسْنَادِهِ عَلِيُّ بْنُ مَسْعَدَةَ، وَهُوَ ضَعِيفٌ. وَانْظُرْ: مَجْمَعُ الزَّوَائِدِ ج ١ ص ٥٢.

(٢) شَرْحُ الْعَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّةِ لابن أبي العزّ ص ٤٩٠ و٤٩٢-٤٩٣.

بالمعنى الأول، لا الثاني، إذ إنه يرجع إلى إِتْقَانِ الْعِبَادَاتِ ومراعاة حقوق الله تعالى^(١).

والإحسان في حَدِيثِ جَبْرِئِلٍ شامل للمقامات الثلاثة في الْعِبَادَةِ وهي:

المقام الأول: أن يفعل الْعِبَادَةَ مستكماً لشروطها وأركانها، فيكون قد أَدَّى ما عليه من التكاليف الشَّرْعِيَّةِ^(٢).

المقام الثاني: وهو الْمُرَادُ بقوله ﷺ في حَدِيثِ جَبْرِئِلٍ: (أن تعبد الله كأنك تراه)، فهو يعبد الله وكأنه يراه، وهذا مقام المشاهدة. وهو مقام الرَّسُولِ ﷺ، كما قال: (وجعلت قُرَّةَ عيني في الصلاة)، لحصول التلذذ بالطاعة^(٣).

المقام الثالث: وهو الْمُرَادُ بقوله ﷺ: (فإن لم تكن تراه فإنه يراك)، فهو يعبد الله تعالى وقد غلب عليه أن الله تعالى يشاهده.

وهذا هو مقام الْمُرَاقَبَةِ^(٤)، أو مقام الإخلاص^(٥). وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿الَّذِي يَرِيكَ حِينَ تَقُومُ ۖ وَتَقْلُبُكَ فِي السَّجْدِ﴾ (٢١٨) - الشعراء^(٦).

وكل من المقامات الثلاثة إحسان، لكن الإحسان الذي هو شرط في صحة الْعِبَادَةِ إنما هو المقام الأول.

(١) الْمُفْهَمُ لِلْقُرْطُبِيِّ ج ١ ص ١٤٢-١٤٣ وعُمْدَةُ الْقَارِي ج ١ ص ٢٨٨.

وحَدِيثُ جَبْرِئِلٍ هو حَدِيثُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ وَالْإِحْسَانِ وَأَمَارَاتِ السَّاعَةِ، الْمُتَقَدِّمُ آتِئاً.

(٢) إِرْشَادُ السَّارِي ج ١ ص ١٤٠.

(٣) إِرْشَادُ السَّارِي السَّابِق. وذكره الْقُرْطُبِيُّ فِي الْمُفْهَمِ ج ١ ص ١٤٣ وَالْعَيْنِي فِي عُمْدَةِ الْقَارِي ج ١ ص ٢٨٨.

(٤) إِرْشَادُ السَّارِي، وَالْمُفْهَمُ، وَعُمْدَةُ الْقَارِي، السَّابِقَةُ.

(٥) جَامِعُ الْعُلُومِ وَالْحِكَمِ ج ١ ص ١٢٩.

(٦) الْمُفْهَمُ لِلْقُرْطُبِيِّ السَّابِقِ.

أما المقامان الآخران فهما من صفة الخواص، ويتعذران على الكثير^(١).

وهذا التفسير (أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك)، يشير إلى أن العبد يعبد الله مستحضراً قربته كأنه يراه، وذلك يوجب الخشية والخوف والهيبه والتعظيم ومراعاة الأدب ما دام في عبادته، ويوجب النصح في العبادَة، وبذل الجهد في تحسّينها وإتمامها وإكمالها^(٢).

وقد أوصى النبي ﷺ أصحابه بمثل هذا:

فقد ورد عن أبي ذرّ قال: أوصاني خليلي ﷺ أن أخشى الله كأني أراه، فإن لم أكن أراه فإنه يراني.

ويروى من حديث زيد بن أرقم مرفوعاً وموقوفاً: (كن كأنك ترى الله، فإن لم تكن تراه، فإنه يراك).

ويروى أن رجلاً قال: يا رسول الله، حدّثني بحديث، واجعله موجزاً، فقال: (صلّ صلاة مودّع، فإنك إن كنت لا تراه فإنه يراك)^(٣).

وفي الحديث الشريف: (أفضل الإيمان أن تعلم أن الله معك حيث كنت).

وفي الحديث القدسي: (يقول الله عزّ وجلّ: أنا مع عبدي إذا ذكرني، وتحركت بي

(١) إرشاد الساري ج ١ ص ١٤٠.

(٢) جامع العلوم والحكم ج ١ ص ١٢٦-١٢٧.

(٣) جامع العلوم والحكم، السابق. وفي هامش جامع العلوم والحكم ج ١ ص ١٢٧:

(حديث زيد بن أرقم رواه أبو نعيم في الحلية ج ٨ ص ٢٠٢ بلفظ: عبد الله كأنك تراه...
وحديث: صلّ صلاة مودّع... إلخ: أخرجه الطبراني عن أنس في الأوسط، كما في مجمع الزوائد ج ١٠ ص ٢٢٩، وهو من حديث ابن عمر لا من حديث أنس كما قال الهيثمي وغيره.
وقال الهيثمي: وفيه من لم أعرفهم).

شفتاه).

وفي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ أَيْضاً: (يقول الله عَزَّ وَجَلَّ: أنا مع ظنِّ عبدي بي، وأنا معه حيث ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خَيْرٍ منه، وإن تقرب مني شبراً تقربت منه ذراعاً، وإن تقرب مني ذراعاً تقربت منه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة).

ومن كان يستحضر هذا في حال ذكره الله تعالى وعبادته استأنس بالله عَزَّ وَجَلَّ. قال إبراهيم بن أدهم: (أعلى الدرجات أن تنقطع إلى ربك، وتستأنس إليه بقلبك وعقلك وجميع جوارحك، حتى لا ترجو إلا ربك، ولا تخاف إلا ذنبك). وقال معروف الكرخي لرجل: (توكل على الله حتى يكون جليساك وأنيسك وموضع شكواك)^(١).

(١) جامع العلوم والحكم ج ١ ص ١٣٠-١٣٤، وخرج مُحَقِّقُهُ تلك الأحاديث في هامش ص ١٣١ وذكر:

حديث: أنا مع عبدي إذا ذكرني... إلخ: رواه من حديث أبي هريرة، أحمد في مسنده والبخاري في خلق أفعال العباد وابن ماجه وصححه ابن حبان، والحاكم ووافقه الذهبي.

وحديث: يقول الله عَزَّ وَجَلَّ: أنا مع ظنِّ عبدي بي... إلخ: رواه من حديث أبي هريرة: أحمد في مسنده والبخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه وصححه ابن حبان.

المبحث الثاني

أهمية الإيمان في الحياة

للإيمان بالله تعالى ورَسُولُهُ ﷺ آثار عَظِيمَةٌ على حياة المُسْلِم. تنقله من الظلمات إلى النُّور، وتميز حياته عن حياة الملحد والمُشْرِك. تتجَلَّى في ما يأتي:

١- الإيمان بالله تعالى، وبأنه وَاحِدٌ يَمْكُنُ المرء من العلم بأن السماوات والأرض لها رب يَكْلُوها برعايته، ويرعى من فيها بعنايته، فيرزقهم ويربيهم، ويعلمه بأن ليس في هذا الكون شيء يقوم بنفسه.

أما المُشْرِك والملحد فلا يقول بمثل هذا.

٢- الإيمان بالله ووحْدانيته ينشئ في الإنسان العزة والأنفة. فالله هو القَوِيُّ، ولا ضَارٌّ ولا نَافِع ولا مُحْيِي ولا مُمِيت إِلَّا هو، فلا يَطْأُ طِيَّ رأسه لأحد، ولا يتضرع إليه، ولا يرتعب من كبريائه.

أما المُشْرِك والملحد فيرى غيره قَادِرًا على نفعه وضره، فيتضرع إليه، ويرتعب منه.

٣- الإيمان ينشئ في المرء التواضع. فلا تراه يفخر بهاله وعزته وكفاءته، وإنما يقول: هي هبة من الله تعالى.

بخلاف الملحد الذي يبطر إذا حدث له نعمة عاجلة، ويشمخ بأنفه على غيره.

٤- المؤمن بالله ووحْدانيته يرى أن النجاة والفلاح لا تكون إِلَّا بتزكية النفس، والعمل الصالح، والبر، والتقى.

أما المُشْرِكُ فيقول: إِنَّ ابنَ الله قد أصبحَ كفارةً عن ذنوبنا، أو نحن أبناءُ الله وأحباؤه، فلن يعذبنا بذنوبنا، أو نستشفع بكبرائنا وأتقيائنا، أو بتقديم النذور والقرايين إلى الآلهة.

والمُلحد يقول: لا تُسأل عن أَعْمَالنا، فالشهوات النفسية هي أَلهَتهم.

٥- المُوْمن لا يتسرب إليه اليأس، بل هو مطمئن مملوء سَكينةً وأملاً. ولو أُهين، ولو أُوذِي.

أما المُشْرِك والمُلحد فلا يقوى قلبه على الوقوف بالمحن، وقد يفضي اليأس بهم إلى الانتحار.

٦- المُوْمن على قوة عَظِيمَةٍ من العزم والإقدام، والصبر والثبات، والتوكل، فإذا كان حاكِماً لا يبتغي إلا مرضاة الله عزَّ وجلَّ، ولا يهيمه إلا إقامة العدل، لأن وراءه قوة علوية، تكلؤه، وترعاه، وتأخذ بيده.

أما المُشْرِك والمُلحد فلا ينتظر مثل هذه القوة، فلا يملك عندئذٍ من العزم والتوكل ما يملكه المُوْمن.

٧- المُوْمن على قدر كبير من الشَّجَاعَةِ والجرأة. لأن الذي يوهن عزم الإنسان، أمران، هما:

أ- حبه للنفس والمال والأهل.

ب- اعتقاده بأن هناك أحداً يُميت غير الله، وأنه قادر على أن يدرأ عن نفسه الموت بحيلة من الحيل.

فالمُوْمن يؤمن بأن مَالِكَ النفس والمال والأهل هو الله تعالى، وأن المُمِيت هو الله وحده بالأجل المحتوم المخصص، فلا يخشى عندئذٍ رجلاً أو حرباً، فلا يكون أجراً ولا أشجع من المُوْمن الحق.

بخلاف الملحد والمُشرك الجبان، الذي يخشى زحف الجيوش وقوة العدو.

٨- الإيمان يرفع قدر الإنسان، وينشئ فيه: الترفع والقناعة والاستغناء، ويظهر قلبه من الطمع واللؤم، والعواطف السافلة، والصفات القبيحة الأخرى، فالرزق لا يكون إلا بيد الله وحده، فلا نجاح ولا خسران إلا بيده تعالى.

أما الملحد والمُشرك فهو عبد الطمع والشره، وهمه الكسب بالسُّبُل المشروعة وغير المشروعة.

٩- الإيمان يجعل الإنسان مُتَقَيِّدًا بِقَانُونِ الله، ومحافظاً عليه. فهو إن خلا بنفسه ليلاً ونهاراً، يعلم أن عليه رَقِيباً، يحاسبه على كل صَغِيرَةٍ وَكَبِيرَةٍ، فتراه يُسَارِعُ إِلَى الْخَيْرَاتِ، ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر. فوازعه النفسي يحضه على الخير، وينهاه عن كل رذيلة.

أما الملحد والمُشرك فلا يرى شيئاً من هذا^(١).

الفصل الرابع الإلهيات

وفيه ثلاثة مباحث:

المَبْحَثُ الأول: وجود الله تعالى وأدلته.

المصادقة، سبب الإلحاد.

المَبْحَثُ الثاني: الأسماء الحُسْنَى.

المَبْحَثُ الثالث: الصفات الإلهية، وما يترتب عليها.

أولاً: ما يجب في حقه تعالى من الصفات:

الصفة النَّفْسِيَّة: وهي الوجود.

الصفات السَّلْبِيَّة: القِدَم، البَقَاء، مخالفة الحوادث،

القيام بالنفس، الوجدانية.

صفات المعاني: القدرة، الإرادة، السمع، البصر،

العِلْم، الكلام، الحياة.

ثانياً: ما يستحيل في حقه تعالى.

ثالثاً: ما يجوز في حقه تعالى: رؤية الله تعالى.

القضاء والقدر.

المبحث الأول

وجود الله تعالى وأدلته

الإيمان بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هُوَ الرُّكْنُ الأول من أركان الإيمان الوارد في حَدِيثِ جِبْرِيل: (أن تؤمن بالله...)، وهو الرُّكْنُ الأول من أركان الإسلام الوارد في الْحَدِيثِ المذكور: (أن تشهد أن لا إله إلا الله...)، فهو أَسَاسُ مَسَائِلِ الْعَقِيدَةِ جَمِيعاً.

وهنا نبحث مَسْأَلَةَ وجود الله تعالى وصفاته، متخذين طريقين ينتهيان إلى اليقين الذي لا شك فيه:

الطريق الأول: اعتماد الدليل النقلي من الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ الصَّحِيحَةِ الثَّابِتَةِ عَنْ الرَّسُولِ ﷺ، مُعْرِضِينَ عَنِ الْأَحَادِيثِ الضَّعِيفَةِ.

والطريق الثاني: النَّظَرُ الْعَقْلِي السَّلِيمُ، إِذْ هُوَ عُمْدَةُ دِرَاسَتِنَا فِي الْعَقَائِدِ. وَبِذَلِكَ تَبْنَى الْعَقِيدَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ فِي النَفُوسِ عَلَى أَسَاسٍ مَتَيْنٍ، يَعْتَمِدُ الْبَرَاهِينَ الْيَقِينِيَّةَ الَّتِي لَا تَقْبَلُ الْجَدَلَ.

وجود الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

آمَنَ جُمُهُورُ النَّاسِ بِوُجُودِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، بَعْدَ أَنْ تَفَكَّرُوا فِي الْكَوْنِ وَدَقَائِقِهِ، وَحَكَّمُوا عُقُولَهُمْ، وَجَنَّبُوا الْهَوَى.

وَأَنْكَرَهُ الضَّالَّوْنَ، مَدَّعِينَ حُرِيَّةَ الْعَقْلِ، بِحُجَّةٍ أَنَّ الْحَوَاسِ لَمْ تَدْرِكْهُ، وَالْغَيْبُ لَا يُعَوَّلُ عَلَيْهِ فِي إِثْبَاتِ وَجُودِهِ.

لِذَلِكَ رَدَّ الْعُلَمَاءُ عَلَى الْمُنْكَرِينَ بِأَدِلَّةٍ نَقْلِيَّةٍ وَعَقْلِيَّةٍ صَرِيحَةٍ كَثِيرَةٍ، تَثْبِتُ لِلْعَاقِلِ

المتحصّص وجود الله تعالى، وأنه مُوجِد الكون.
وفيهما يأتي أهم تلك الأدلّة.

أدلة وجود الله تعالى

استدل العلّماء على وجود الله تعالى بأدلّة كثيرة منها: دليل الحدوث، ودليل الوجود، ودليل العناية والاختراع، والدليل الوجودي، والدليل الأخلاقي.

الدليل الأول: دليل الحدوث

بنى المتكلمون هذا الدليل على المُقَدِّمَتَيْنِ الآتيتين:
المُقَدِّمة الأولى: العالم حادث.

المُقَدِّمة الثانية: كل حادث لا بد له من مُحدث.

النتيجة: العالم لا بد له من مُحدث^(١) يُحدثه، أي: يرجّح وجوده على عدمه^(٢)،

(١) شرح الخريدة للدردير ص ٤٤.

وهاتان المُقَدِّمتان في: إحياء علوم الدين للغزالي، انظره بشرحه إتحاف السادة للزبيدي ج ٢ ص ٩٠ والمواقف ج ٨ ص ٢ والمسيرة لابن الهمام، وشرحه المُسامرة لابن أبي شريف ص ١٧ وشرح الجوهرة للباجوري ص ١٠٤. وانظر: المطالب العالية للرازي ج ١ ص ٢٠٠.

(٢) المُسامرة لابن أبي شريف السابق.

العالم: هو كل ما عدا الله سبحانه وتعالى من الموجودات.

والحادث: هو ما كان معدّوماً ثم وجد. وسمي حادثاً لأنه حدث وظهر لعلّة أوجدته بعد أن لم يكن. / المُسامرة لابن أبي شريف، وإتحاف السادة، السابق.

وتعريف العالم هذا في: العقيدة النظامية للجويني ص ١٢٩ والإنصاف للباقلاني ص ٣٠ والتمهيد للامشي ص ٤٥ وتبصرة الأدلة ج ١ ص ٤٤.

وهو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ولكي تظهر لنا صحة هذه النتيجة يجب أن نقيم الدليل على صحة كل من المُقَدِّمَتَيْنِ السَّابِقَتَيْنِ.

الدليل على أن العالم حادث:

هو تغيّره من حال إلى حال، ويمكن صياغته على النحو الآتي:

العالم متركب من جواهر وأعراض.

وكل من الجواهر والأعراض متغير.

فالعالم متغير^(١). والتغير دليل الحدوث.

(١) شَرْحُ الْخَرِيدَةِ لِلدَّرْدِيرِ ص ٤٤-٤٥. وانظر: الْمُسَايَرَةُ لابن الهمام، وشرحه الْمُسَامَرَةُ لابن أبي شَرْيْف ص ١٨. وذكر أَبُو الْمُعِينِ النَّسْفِيُّ: (إن العالم عند عامة المتكلمين أقسام ثلاثة: جواهر وأجسام وأعراض. ولم يَرْضَ الإمام أَبُو مَنْصُورٍ الْمَآثِرِيُّ هَذِهِ الْقِسْمَةَ لِأَنَّ فِيهَا تَدَاخُلًا، فَقَالَ: الْعَالَمُ قِسْمَانِ: أَعْيَانٌ وَأَعْرَاضٌ. وَالْأَعْيَانُ قِسْمَانِ: غَيْرٌ مُتَرَكِّبٌ وَهِيَ فِي عَرَفِ الْمُتَكَلِّمِينَ الْجَوَاهِرُ، وَمُتَرَكِّبَةٌ وَهِيَ فِي عَرَفِهِمُ الْأَجْسَامُ، قَالَ: وَهَذَا يَعْرِفُ أَنَّ كُلَّ جِسْمٍ جَوْهَرٌ). / تَبْصِرَةُ الْأَدِلَّةِ ج ١ ص ٤٤-٤٥.

الجوهر: ما قام بنفسه.

والعَرَضُ: ما قام بغيره. وبعض الأعراض تدرك بالحواس الظاهرة: كالحلاوة، والصوت، والألوان، والروائح، والبرودة، والخشونة. وبعضها يدرك بالعقل: كالقدرة، والإرادة، والعلم. / شَرْحُ الْخَرِيدَةِ لِلدَّرْدِيرِ ص ٤٣ وَشَرْحُ الصَّائِي عَلَيْهِ.

وذكر الجويني في الإرشاد ص ١٧: (الجوهر هو المتحيّز، وكل ذي حجم متحيّز، والعَرَضُ هو المعنى القائم بالجوهر كالألوان والطعوم والروائح والحياة والموت والعُلُومُ والإرادات والقُدَرُ القائمة بالجواهر). وقال أيضاً في الإرشاد ص ٢٣: (الجواهر في اصطلاح الملهدة - الفلاسفة - تسمى الهيولى، والأعراض تسمى الصورة).

والأعراض حادثة، بدليل:

أ- تغيرها من عدم إلى وجود، ومن وجود إلى عدم، وذلك:

إما بالمُشاهدة كالحركة بعد السكون، والضَّوء بعد الظلمة، والسواد بعد البياض، والحرارة بعد البرودة، إلى غير ذلك، وبالعكس.

وإما بالدليل، وذلك لأن ما شوهد سكونه مثلاً على الدوام كالجبال، جازت عليه الحركة بزلزال^(١).

ب- احتياجها إلى مُخَصَّص يُخَصِّصُها بوقت حدوثها دون ما قبله وما بعده، فلا بد من مرجح لوقوعه في ذلك الوقت، لأن الترجيح من غير مرجح محال.

ج- افتقارها إلى جسم تقوم به^(٢).

والجواهر حادثة أيضاً، وذلك:

لأنها ملازمة للأعراض لا تنفصل عنها، فهي لا تخلو عن الحركة والسكون والألوان...، والأعراض حادثة كما تقدم، وكل ما لا ينفك عن الحادث فهو حادث.

فإذا ثبت أن الجواهر والأعراض حادثة لزم أن يكون العالم المكوّن منهما

والجسم: هو المؤلف المركب من جوهرين فأكثر. / المُسَامَرَةُ لابن أبي شَرِيف السَّابِق. وانظر: تَمْهِيدُ الْأَوَائِلِ ص ٣٧ والإنصاف للْبَاقِلَانِي ص ١٦ والإرشاد للجَوْنِي ص ١٧ والتَّمْهِيدُ لِلْأَمِشِي ص ٤٦.

وقد يعبر بعضهم مثل ابن الهَمَام عن الجواهر بالأجسام، وهما في اللُّغَةِ بمعنى واحد. / المُسَامَرَةُ لابن أبي شَرِيف ص ١٨.

(١) شَرْحُ الْخَرِيدَةِ لِلدَّرْدِير، والمُسَامَرَةُ لابن أبي شَرِيف، السَّابِقَان. وانظر: تَمْهِيدُ الْأَوَائِلِ وَالْإِنْصَافُ السَّابِقِينَ، وَشَرْحُ الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاقِلَانِي ص ٨٨ وَشَرْحُ أُمِّ الْبَرَاهِينِ لِلْسَّنُوسِي وَالْدُّسُوقِي عَلَيْهِ ص ١٥١.

(٢) المُسَايَرَةُ لابن الهَمَام، وشرحه المُسَامَرَةُ لابن أبي شَرِيف، السَّابِقَان.

حادثاً^(١).

وبذلك تسلم المُقَدِّمة الأولى (العالم حادث).

الدليل على أن كل حادث لا بد له من مُحدث يُحدثه:

هو أن المصنوع لو حدث بلا صانع، للزم أن يكون المصنوع قد حدث بنفسه، فيلزم ترجيح أحد الأمرين المتساويين - أي: الوجود والعدم - على مساويه بلا سبب، وهو محال^(٢).

فلو حدث حادث بلا مُحدث، للزم أن يرجح وجوده على عدمه بلا مرجح، وهو مستحيل بالبداهة.

ومعنى الرجحان بدون مرجح هو: أن يكون الشيء جارياً على نسق معين، ثم يتحول عن نسقه بدون وجود أي مغير.

وهذا واضح البطلان لأن جميع العقلاء يعلمون أن لا بد لتحويل الشيء عن حاله السابقة من محوّل، يفرض عليه هذا الوضع الجديد، وينسخ حاله القديمة. فإنك لو تركت كفتي ميزان متساويتين، لا ثقل في أحدهما، وزعمت أن إحدهما قد ترجحت، دون أي مؤثر خارجي، كنفخة هواء أو سقوط حَجَر... ولو زعمت للناس أن جهاز المذياع أوصل إليك أخبار العالم دون أن تدير صمامه لضحكوا منك وأشفقوا عليك.

وعلى ذلك نقول: كان العدم هو المنبسط محل العالم قبل وجوده، فالعدم أرجح من الوجود لسبقه، ولكن حين خُلِقَ هذا العالم ترجح وجوده على العدم، والوجود والعدم أمران متساويان في الأصل، وترجح أحد هذين الأمرين المتساويين على الآخر

(١) شرح الخريذة للذّرذير ص ٤٥.

(٢) شرح الخريذة للذّرذير ص ٤٥ وقال: (هذا هو البرهان المشهور بينهم في بيان حدوث العالم واقتراره إلى صانع)، وانظر: ص ٥١ وحاشية الصّاوي عليه.

بلا مرجح مستحيل وباطل بالبداهة.

فالقول بأنَّ العدم قد تحوّل إلى وجود العالم دون مسبب لهذا الوجود، باطل ومستحيل استحالة دعوى صاحب الميزان والمذيع^(١).

وبذلك تسلم لنا المُقَدِّمة الثانية، وهي: (كل حادث لا بد له من مُحدث).

فإذا سلمت المُقَدِّمتان سلمت النتيجة، وهي: العالم لا بد له من مُحدث يُحدثه.

الدليل الثاني: دليل الوجوب

موجد هذا الكون إما أن يكون: مستحيلاً، أو ممكناً، أو واجباً، لأن كل أمر لا بد أن يتصف بواحد من الأمور الثلاثة السَّابِقَة ولا رابع لها، لأنها أقسام الحكم العقلي^(٢).

(١) انظر: كبرى اليقينية الكونية ص ٨١ و ٨٣ وشرح الخريدة للذَّذِير ص ٤٥. وانظر

الرجحان بلا مرجح في: المطالب العالية للرازبي ج ١ ص ٧٥ وما بعدها.

(٢) الحكم: هو إثبات أمر لأمر أو نفيه عنه، بواسطة: الشرع، أو العادة، أو العقل. فهو ثلاثة أقسام:

١- الحكم الشرعي: وهو الذي تكون وسيلة إثباته الشرع، كإثبات الوجوب للصلاة.

٢- الحكم العادي: وهو الذي تكون وسيلة إثباته العادة والتَّجَرِبَة، كإثبات الإحراق للنار.

٣- الحكم العقلي: وهو الذي تكون وسيلة إثباته العقل، كإثبات الزوجية للعدد (٢) و(٤).... والحكم العقلي هو عُمْدَة دراستنا في العقائد.

الحكم العقلي: ينقسم إلى ثلاثة أقسام: واجب، ومستحيل، وممكن (جائز).

١- الواجب: وهو الثَّابِت الذي لا يقبل الانتفاء، أو هو ما لا يُتَصَوَّر في العقل عدْمُه. كوجوب القدرة لله تعالى، وكوجوب الزوجية للعدد (٤).

٢- المستحيل: هو المنفي الذي لا يقبل الثبوت فلا يمكن وجوده، ولا يُتَصَوَّر حدوثه مطلقاً،

١- فلا يجوز أن يكون مُوجد العالم مستحيلاً، لأن المستحيل لا يُتصور وجوده مطلقاً، فهو عدم مُحض، فلا يمكن أن يوجد غيرَه، إذ إن (فاقد الشيء لا يعطيه)، فكيف يكون المستحيل مصدراً للوجود؟

٢- كما لا يجوز أن يكون مُوجد العالم ممكناً، لأن الممكن لا يوجد إلا إذا وجد سبب وجوده، وهذا السبب إن كان ممكناً فعندئذٍ يحتاج إلى سبب آخر... إلخ وهكذا. وهذا يلزم منه الدَّور أو التسلسل، وكلاهما باطل، كما سيأتي بيانه بعد قليل، فما أدى إليهما فهو باطل. فلزم أن لا يكون موجد الكون ممكناً.

٣- ولما ثبت أن مُوجد العالم ليس بمستحيل ولا بممكن، وجب أن يكون مُوجد العالم واجب الوجود. فلا يحتاج وجوده إلى سبب، بل هو سبب وجود العالم^(١).

أو هو ما لا يتصور في العقل وجوده. كإثبات شريك لله، وكتقدم الابن على أبيه في الوجود.

٣- الممكن (الجائز): هو الذي يقبل الثبوت تارة والنفي تارة أخرى على التعاقب. أي: يمكن وجوده إذا وجد السبب الذي يرجح وجوده. أو هو ما يصح في العقل وجوده وعدمه على السواء، ولا يوجد إلا بمرجح، كوجود الجنة الآن، وكوجودك الآن في هذه الغرفة.

السُّنُوسِيَّة وشرحها للبايجوري ص ٣٤ وشرح أم البراهين للسُّنُوسِيَّة وحاشية الدُّسُوقِي عليه ص ٣٠ وشرح الخريدة للذردير وحاشية الصاوي عليه ص ٢٩-٣٣ و٣٨-٤١ والمُعْتَقَد المُتَقَدِّد ص ١٣-١٥ والكُلِّيَّات للكفوي ص ٣٨٠.

(١) انظر: المواقف وشرحه للسيد الشريف ج ٨ ص ٤ وحاشية الدواني والكَلَنْبُوي عليه ج ١ ص ٢٢٧ وشرح الجوهرية للبايجوري ص ١٠٤ ونهاية الإقدام ص ١٥ والرازي مفسراً ص ٢٨٢.

معنى واجب الوجود: هو أنه لا يجوز عليه العدم، فلا يقبل العدم لا أزلاً ولا أبداً. / شرح الجوهرية للبايجوري ص ١٠٤ وشرح الخريدة للذردير ص ٥٠.

وذكر الرازي أن المتكلمين فسروا واجب الوجود لذاته بأمر ثلاثة:

معنى الدَّور ودليل بطلانه:

الدَّور: هو أن يكون شَيْئَانِ، كُلُّ مِنْهُمَا عِلَّةٌ لِلْآخَرِ^(١). كقولك: زَيْدٌ أَوْجَدَ عَمْرًا، وَعَمْرُو أَوْجَدَ زَيْدًا.

فكُلٌّ مِنْ زَيْدٍ وَعَمْرُو، يَتَوَقَّفُ وَجُودُ أَحَدِهِمَا عَلَى الْآخَرِ. وهو الدَّورُ الْبَاطِلُ^(٢)، وَكُلٌّ مِنْهُمَا يَظَلُّ مَعْدُومًا حَتَّى يَأْتِيَ مُؤَثِّرٌ خَارِجِي.

دليل بطلان الدَّور:

هو أن يستلزم أن يكون كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا سَابِقًا صَاحِبَهُ، وَمَتَأَخِّرًا عَنْهُ، فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ. وَهَذَا يَعْنِي اسْتِلْزَامَ تَقَدُّمِ الشَّيْءِ عَلَى نَفْسِهِ وَهُوَ تَنَاقُضٌ^(٣).

(أ- إنه هو الذي يستحق الوجود من ذاته. ولهذا فيفيد أن ذاته عِلَّةٌ لوجود نفسه.

ب- إنه هو الذي لا يقبل العدم، أو إنه الذي لا يَصِحُّ عَلَيْهِ الْعَدَمُ.

ج- إنه هو الذي لا يتوقف وجوده على سببٍ منفصل، أو الذي لا يكون وجوده مُعَلَّلًا بِسَبَبٍ مُنْفَصِلٍ). / الْمَطَالِبُ الْعَالِيَةُ لِلرَّازِي ج ١ ص ٢٨١.

(١) الْمَوَاقِف ج ٤ ص ١٥٠.

(٢) شَرْحُ الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ١٠٥.

الدَّورُ بَاطِلٌ سِوَاكَانَ:

من مرتبة وَاحِدَةٍ: (ويسمى الدَّورُ الْمُصَرَّحُ)، كما يتوقف أَعْلَى ب، وبالعكس.

أو من مراتب متعددة: (ويسمى الدَّورُ الْمُضْمَرُ)، كما يتوقف أَعْلَى ب، وب أَعْلَى ج، وج أَعْلَى أ.

انظر: التَّعْرِيفَات ص ٩٤ كلمة (الدَّور). وبهذا المعنى: مَقَاصِدُ الطَّالِبِينَ وشرحه للتَّفْتَازَانِيِّ ج ٢ ص ١١٢ وَمِفْتَاحُ الْبَاب ص ٨٦.

(٣) الْمَوَاقِف وشرحه للسَّيِّدِ الشَّرِيفِ ج ٤ ص ١٥١ وَالْمَقَاصِدُ لِلتَّفْتَازَانِيِّ ج ٢ ص ١١٢ وَشَرْحُ الْخَرِيدَةِ لِلدَّرْدِيرِ ص ٥٦ وَشَرْحُ الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ١٠٥ وَشَرْحُ أُمِّ الْبَرَاهِينِ

فَعَمَرُوا يَتَوَقَّفُ وجوده على زَيْدٍ، وَزَيْدٌ يَتَوَقَّفُ وجوده على عَمْرٍو. وهذا يعني أن عَمْرًا يَتَوَقَّفُ وجوده على عَمْرٍو، بعد حذف الحد الأوسط (زَيْد).

وهذا يستلزم تقدم الشيء على نفسه، أي: يلزم أن يتقدم عَمْرٍو على عَمْرٍو، لأنه سابق ومسبق، فيلزم أن يكون عَمْرٍو موجوداً قبل أن يُوجَد، وهذا باطل^(١).

ومثال بطلان الدَّور:

وجود البيض متوقف على وجود الدجاج. ووجود الدجاج متوقف على وجود البيض. فلو فرضنا أن لا وسيلة إلى وجود هذا ولا ذاك إلا عن هذا الطريق فإن من البديهي أن كلاً من الأمرين يظان مَعْدُومَيْنِ حتى يأتي مؤثر خارجي، يُوجَد البيض ويُوجَد الدجاج، فينتهي الدَّور عندئذٍ.

فإذا قيل:

إنَّ سببَ حدوثِ العالم هو: التفاعل الذاتي في الموجودات بتأثير الضغط والحرارة والبرودة بمرور الزمان.

أجيب: بأنَّ هذا هو الدَّور الباطل، لأنه يعني: أنَّ وجود العالم متوقف على بعضه (الضغط والحرارة والبرودة...)، وبعضه متوقف في وجوده على العالم. وهذا يعني: تقدم الشيء على نفسه، وهو باطل كما تقدم^(٢).

معنى التسلسل ودليل بطلانه:

التسلسل: هو أن يستند الممكن في وجوده إلى عِلَّةٍ مؤثرة فيه، وتستند تلك العِلَّةُ

للسَّنُوسِيِّ ص ١٥٥ والمَطَالِبِ العالية للِرَّازِيِّ ج ١ ص ١٣٦ والمُحَصِّلِ للِرَّازِيِّ ص ١٤٩ وكَشَفُ المُرَاد ص ١١٧ والوسيلة في شَرْحِ الفضيلة ص ٤٦١.

(١) انظر: شَرْحِ الجَوْهَرَةِ للِبَّاجُورِيِّ ص ١٠٥.

(٢) كبرى اليقينية الكونية ص ٨٩-٩٠.

المؤثرة إلى عِلَّةٍ أُخْرَى مؤثرة فيها، وهَلُمَّ جَرًّا إلى ما لا نِهَآيَةَ^(١).

فالتسلسل يعني: أَنَّ المخلوقات متوالدة عن بعضها، إلى ما لا نِهَآيَةَ، بحيث يكون كل واحد منها معلولاً لما قبله، وعِلَّةٌ لما بعده، دون أن تنبع هُذِهِ السلسلة من عِلَّةٍ واجبة الوجود^(٢).

دليل بطلان التسلسل:

١- إنه يؤدي إلى وجود آلهة لا نِهَآيَةَ لها، كُلٌّ منها متصفٌ بالحدوث والعجز والافتقار، وهو باطل قطعاً، لأنه منافٍ لمقام الألوهية من القدرة والغنى المطلق، إذ العَاجِزُ الْفَقِيرُ لا يَصِحُّ أن يكون خَالِقاً لِلْعَالَمِ الْبَدِيعِ الْإِتْقَانِ^(٣).

٢- التسلسل منقوض بالحس والمشاهدة، ذَلِكَ لَأَن هُنَاكَ مخلوقات انقرضت. فلو صحَّ أَنَّ الموجودات تتسلسل إلى ما لا نِهَآيَةَ - بأن تكون كُلُّ حلقةٍ فيها معلولاً لما قبلها، وعِلَّةٌ تامةٌ لما بعدها - لما انقرضت هُذِهِ الموجودات، لَأَن الحلقةَ الْآخِرَةَ فيها معلولة فقط، وليست بعِلَّةٍ كسابقتها^(٤).

٣- بُرْهَانُ التَّطْيِيقِ وهو أشهر أدِلَّةِ المتكلمين وهو:

أَنَّكَ لو فرضتَ سلسلتين، وجعلتَ إحداهما من الآن إلى ما لا نِهَآيَةَ. والأُخْرَى من الطوفان إلى ما لا نِهَآيَةَ. وطبقتَ بينهما بأن قابلتَ بين أفرادهما من أولهما.

فكلما طَرَحْتَ من الآنية (نسبة إلى الآن، أي: الوقت الحاضر) حلقةً وَاحِدَةً، طَرَحْتَ في مقابلتها من الطوفانية (نسبة إلى الطوفان) وَاحِدَةً وَهَكَذَا...

(١) الْمَوَاقِفُ وشرحه للسَّيِّدُ الشَّرِيفُ ج ٤ ص ١٦٠.

(٢) كبرى اليقينية الكونية ص ٨٤.

(٣) شَرْحُ الْخَرِيدَةِ لِلدَّرْدِيرِ ص ٥٦. وانظر: الْمُحَصِّلُ لِلرَّازِيِّ ص ١٤٩.

(٤) كبرى اليقينية الكونية ص ٨٤ وما بعدها. وأشار إلى كتاب: موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين للأستاذ الشيخ مُصْطَفَى صبري ج ٢ ص ١٨٢.

فلا يخلو:

إما أن يفرغا معاً، فيكون كل منهما له نهاية، وهو خلاف الفرض.

وإن لم يفرغا - كما فرضنا -، لزم مساواة الناقص للكامل، وهو باطل.

وإن فرغت الطوفانية دون الآنية، كانت الطوفانية متناهية، والآنية أيضاً كذلك، لأنها إنما زادت على الطوفانية بقدر متناهٍ وهو ما من الطوفان إلى الآن، ومن المعلوم أن الزائد على شيء مُتَنَاهٍ بقدر مُتَنَاهٍ يكون متناهياً بالضرورة^(١).

ومثال بطلان التسلسل:

١- إذا رأيت رقماً حسابياً طويلاً، يتراصف إلى جانبه عدد كبير من الأصفار، فإنك تسرع لتنظر قبل كل شيء إلى الرقم العددي الأول، وما لم تقع عينك على ذلك الرقم، فإنك لا تعطي قيمة للأصفار الكثيرة، ما لم تستند إلى رقم ذاتي قبلها، لأن الرقم الذي يملك قيمة ذاتية في داخله، هو الذي يضفي الحياة والقيمة على الأصفار المتسلسلة التي عن يمينه، فسلسله الأصفار التي لم تنته إلى رقم عددي هي خالية عن أية قيمة، وافترض التسلسل اللانهائي فيها لا يجعل لها أية قيمة.

٢- لو ادعيتُ أمامك حقيقةً علمية، وحين سألتني عن الدليل أجبتك ببرهان يتوقف على برهان آخر. وحين سألتني عن برهان أجبتك ببرهان يتوقف على آخر... وهكذا، فإنك تكذبني في دعواي، بل تكذب وجودها أصلاً.

فكل من هذه البراهين المتسلسلة، التي فرضنا أنه لا نهاية لها، ليست إلا ظلالاً تنتظر أصلها الأول. فإن لم يوجد ذلك الأصل، فهذه الظلال نفسها غير موجودة، ومن

(١) شرح الجوهرية للباجوري ص ١٠٥. وانظر: المواقف وشرحه للسيد الشريف ج ٤ ص ١٦٧ وما بعدها، والمقاصد وشرحه للتفتازاني ج ٢ ص ١٢٠ وما بعدها، وكشف المراد ص ١١٩ والوسيلة في شرح الفضيلة ص ٤٦١-٤٦٥.

ثم فإن الحقيقة المدعاة أيضاً تكون غير موجودة^(١).

وإذا بطل الدَّور والتسلسل، بطل ما أدَّى إليهما، وهو كونُ موجدِ العالمِ ممكنًا، وعندئذٍ وجب أن يكون الموجدُ واجبَ الوجود.

ولا يخرج عن هَذينِ الدليلين الدليلُ الذي ذكره بعض فلاسفة الغرب، وهو أقوى الأدلة وأبسطها لديهم، المسمى بْبُرْهَانِ الْخَلْقِ، أو الدليل الكوني^(٢).

الدليل الثالث: دليل العناية والاختراع (البُرْهَانُ الْعِلْمِي)

وهذا الدليل هو أجلى الأدلة على وجود الله تعالى وأوضحها. وهو الذي ذكره ابن رُشد في مناهج الأدلة باسم العناية والاختراع، وذكر أنه يمكن أن يتخذه:

أ- الجُمهُورُ طريقاً لإثبات وجود الله تعالى، فيقتصرون منه على ما هو مدرك بالمَعْرِفَةِ الْأُولَى المبنية على الحس.

ب- والعُلَمَاءُ، فَيَزِيدُونَ على ما يُدْرِك من هَذِهِ الْأَشْيَاءِ بالحس ما يُدْرِك بالبُرْهَانِ.

(١) كبرى اليقينية الكونية السَّابِق.

(٢) وملخص هذا الدليل: هو أن الموجودات لا بد لها من موجد، لأننا نرى كل موجود منها يتوقف على غيره، ويرى غيره هذا يتوقف على موجود آخر، دون أن نعرف ضرورة توجب وجوده لذاته.

انظر: الكلام عن هذا الدليل في: (الله) للعقاد ص ١٩٢-١٩٣ وعَرَضَ لأحد طرقه وهو: دليل الحركة (بُرْهَانُ الْمُحَرِّكِ الذي لا يتحرك) وفحواه: أن المتحرك لا بد له من مُحرِّك، وأن هذا المحرك لا بد أن يستمد الحركة من غيره، وهكذا إلى أن يقف العقل عند مُحَرِّكٍ وَاحِدٍ، لا تجوز عليه الحركة، لأنه قائم بغير حدود من المكان أو الزمان. وهذا هو الله.

وانظر: دراسات في الفرق ص ١٩٠ وما بعدها، وعرض لطريقتين من طرقه الخمسة المشهورة التي لخصها القديس توما الأكويني وهما: بُرْهَانُ الْحَرَكَةِ، وبُرْهَانُ الْإِمْكَانِ والوجوب.

وهذا الدليل هو الذي نبه عليه القرآن الكريم، واعتمده الصحابة رضي الله عنهم. وبيان هذا الدليل بشطريه فيما يأتي:

الأول: دليل العناية:

وهذا يظهر في العناية بالإنسان وخلق جميع الموجودات من أجله. وينيئ على أصلين هما:

١- إن جميع الموجودات التي ههنا موافقة لوجود الإنسان.

٢- إن هذه الموافقة هي ضرورة من قبل فاعل قاصد لذلك مريد، إذ ليس يمكن أن تكون هذه الموافقة بالاتفاق.

والموافقة تحصل باعتبار موافقة الليل والنهار والشمس والقمر لوجود الإنسان، وكذلك موافقة الزمان والمكان الذي هو فيه أيضاً، والحيوان والنبات والجماد والأمطار والأنهار والبحار والنار والهواء....

وكذلك أيضاً تظهر العناية في أعضاء الإنسان وأعضاء الحيوان. أي: كونها موافقة لحياته ووجوده.

ومن آيات القرآن الكريم التي بينت هذا الدليل:

- قوله تعالى: ﴿نَبَارِكُ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ - الفرقان ٦١.

- قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا ۖ (٦) وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ۖ (٧) وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ۖ (٨) وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۖ (٩) وَجَعَلْنَا أَيْلًا لِبَاسًا ۖ (١٠) وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ۖ (١١) وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۖ (١٢) وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ۖ (١٣) وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ۖ (١٤) لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ۖ (١٥) وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ۖ (١٦)﴾ - النبأ.

- قوله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ۚ (٢٤) أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ۖ (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا

﴿٢٦﴾ قَالَتُنَا فِيهَا جَا ﴿٢٧﴾ وَعَنَّا وَقَضَا ﴿٢٨﴾ وَزَيْنُونَا وَنَحَلَا ﴿٢٩﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبَا ﴿٣٠﴾ وَفَكَهْمَ وَأَبَا ﴿٣١﴾ مَنَعَا لَكُمْ وَلِأَنعَمِكُمْ ﴿٣٢﴾ - عبس.

الثاني: دليل الاختراع:

وهو ما يظهر من اختراع جواهر الأشياء الموجودات. كاختراع الحياة في الجماد، والإدراكات الحسية، والعقل. ويدخل فيه: وجود الحيوان كله، ووجود النبات، ووجود السموات.

وهذا الدليل يبنى على أصليين موجودين بالقوة في جميع فطر الناس هما:

١- أن هذه الموجودات مخترعة، فإننا نرى أجساماً جمادية، ثم تحدث فيها الحياة، فنعلم قطعاً أن ههنا موجدًا للحياة ومنعمًا بها، وهو الله تبارك وتعالى.

وأما السموات، فنعلم من قبل حركتها التي لا تفر، أنها مأمورة بالعناية بها ههنا ومسخرة لنا، والمسخر المأمور مخترع من قبل غيره ضرورة.

قال تعالى: ﴿إِنَّكَ الَّذِي تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ - الحج ٧٣.

ب- إن كل مخترع فله مخترع، فعلى من أراد معرفة الله حق معرفته، أن يعرف جواهر الأشياء، ليقف على الاختراع الحقيقي في جميع الموجودات، لأن من لم يعرف حقيقة الشيء، لم يعرف حقيقة الاختراع.

- قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ - الأعراف ١٨٥.

- وقال تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ - الطارق.

- وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ - الغاشية ١٧.

وأما الآيات القرآنية التي تجمع بين هذين الدليلين فمنها:

- قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ

تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ - البقرة.

فقوله تعالى: ﴿ خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾، تنبيه على دلالة الاختراع.

وقوله تعالى: ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً ﴾، تنبيه على دلالة العناية.

وقوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ - آل عمران ١٩١^(١).

والدليل العلمي هو الذي أكد عليه العلماء في العصر الحاضر خاصة، بعد أن اتسع نطاق العلم، وظهرت المخترعات الحديثة التي كانت سبباً في استكشاف آفاق الفضاء، والوقوف على أسرار الطبيعة، ومعرفة خفاياها، مما دعا رجال العلم في مختلف ميادينهم إلى أن يتحدثوا بقدرة الله تعالى وإبداعه وعظمته وحيرة العقل الإنساني أمام تلك الأسرار في كل مخلوق.

وما نذكره هنا من نظرات في بعض ميادين العلم، ووقوف العلماء على بعض أسرار الكون، ما هي إلا مفتاح للذهن، يدفعه للتفكير في أمر هذا الكون المترامي الأطراف، ولا ريب فإن كل جزئية فيه ناطقة بربوبية (خالقية) الله تعالى ووحدانيته.

فيا عَجَباً كَيْفَ يُعْصَى الْإِلَهُ أَمْ كَيْفَ يَجْحَدُ الْجَا حِدُ
وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدُ
ومن هذه الأمثلة:

١- النجوم عبارة عن كتل ملتهبة بعيدة عن الأرض.

(١) مناهج الأدلة في عقائد الملة لابن رشد ص ١٥١-١٥٥ ونقله الدكتور عرفان عبد الحميد في: دراسات في الفرق ص ١٧٥.

فأقرب نَجْم إلينا يساوي أربع سنوات وربع من السنين الضوئية^(١). وألمع نَجْم نراه في السماء هو نَجْم الشَّعْرَى الْيَمَانِيَّة، والذي عَبْدُهُ فَرِيقٌ مِنَ الْعَرَبِ قَبْلَ الْإِسْلَام، يبعد عنا ثمانِي سنوات ونصف من السنين الضوئية^(٢).

وأعلن الفلكيون عن رصد نَجْمٍ يبعد عنا اثْنِي عَشْرَ وَنِصْفَ بِلْيُون (والبليون يساوي مليون مليون) سنة ضوئية^(٣).

و درجات حرارة سطوحها متفاوتة. لذا اختلفت ألوانها من أَحْمَرٍ دَاكِنٍ إِلَى أَحْمَرٍ فَاتِحٍ إِلَى بَرْتَقَالِي إِلَى أَصْفَرٍ إِلَى أَيْضٍ إِلَى أَزْرَقٍ، فالنجوم الزرقاء تصل درجة حرارة سطوحها عشرات الألوف من الدرجات.

و درجة حرارة سطح نَجْم الشَّعْرَى الْيَمَانِيَّة تبلغ أحد عشر ألف درجة مئوية.

أما حجمها، فمنها ما يقدر بحجم الشمس، ومنها ما ينقص عنها أو يَزِيدُ عَلَيْهَا بعشرات أو مئات بل آلاف وملايين المرات.

٢- الْمَجَرَّات: يقول الأستاذ (جامو): إِنَّ (هبل) مدير مرصد مونت ولسن، نظر بمرصده إِلَى مَسَافَةٍ تَقْرِبُ مِنْ ٥٠٠ مليون سنة ضوئية، وأحصى مِنَ الْمَجَرَّاتِ الْخَارِجِيَةِ نَحْوَ ١٠٠ مليون مَجَرَّةٍ، وَأَنَّهُ يَحْتَمِلُ وَجُودَ مَجَرَّاتٍ أُخْرَى عَلَى مَسَافَاتٍ أَكْثَرُ لَمْ يَشَاهِدْهَا هَبْلٌ. وَيَقُولُ: إِنَّ مَجَرَّتَنَا يَبْلُغُ قُطْرُهَا مِائَةَ أَلْفِ سَنَةِ ضَوْئِيَّةٍ، وَسَمَكُهَا عَشْرَةُ أَلْفِ سَنَةِ ضَوْئِيَّةٍ، وَهِيَ تَجْرِي بِسُرْعَةٍ عَظِيمَةٍ جَدًّا.

٣- يَتَمَدَّدُ الْفَضَاءُ بِشَكْلِ عَظِيمٍ. وَقَدَّرُوهُ - كَمَا يَقُولُ السَّيْر جِيمْس جِينز - بِنَحْوِ

(١) السَّنة الضَّوئِيَّة: هِيَ الْمَسَافَةُ الَّتِي يَقْطَعُهَا الضَّوُّ خِلَالَ سَنَةٍ وَاحِدَةٍ، وَذَلِكَ نَحْوَ سِتَّةِ مِلْيُونِ

مِلْيُونِ مِيلٍ، عَلِمًا بِأَنَّ الضَّوَّ سَيَسِيرُ مَقْدَارَ (١٨٦) أَلْفِ مِيلٍ بِالثَّانِيَةِ الْوَاحِدَةِ.

(٢) التَّفْسِيرُ الْعِلْمِيُّ لِلآيَاتِ الْكُونِيَّةِ فِي الْقُرْآنِ ص ٥٦ و ٥٩ و ٦٢.

(٣) النُّشْرَةُ الْفَلَكِيَّةُ الْأَخْبَارِيَّةُ مِنَ الْمَدِيرِيَّةِ الرَّعَايَةِ الْعِلْمِيَّةِ بِبَغْدَاد.

مائة وخمسة أميال في الثانية الواحدة، لكل بُعد قدره مليون سنة ضوئية^(١).

٤- وشمسنا هُذِه يبلغ حجمها نحو مليون وثلاثمائة قدر حجم الأرض. وهي كتلة من صخور، ومعادن سائِلة، وغازات محترقة، تبلغ درجة حرارة سطحها ستة آلاف درجة مئوية، ودرجة حرارة مركزها تبلغ عشرين مليون درجة مئوية.

وطاقتها الحرارية - ومثلها النجوم المُشعَّة - ناتجة عن تفاعلات نووية حرارية تحدث في مراكزها، حين تتحطم الذرة في باطن الشمس، تحت وطأة الحرارة العالية جداً.

ويبلغ لِسَان اللهب ١٤٠ كم في الأحوال العادية، أما في الانفجارات المستمرة، فيبلغ بعد قذائفها آلاف الأميال^(٢).

٥- القمر تابع للأرض، يبعد عنها ٢٨٦ ألف ميل، فلو بُعد عنها ٥٠ ألف ميل، لَغَطَّى الماء في المد الأرض كلها، ويكون عمقه بمُعدَّل ميل ونصف، والمد في الهواء يُحدث الأعاصير كل يوم... إلخ. لأن جاذبية القمر - في الوضع الحالي - تجذب مياه المُحيط إلى ستين قدماً في بعض الأماكن، وتحني قشرة الأرض مرتين نحو الخارج يومياً، مسافة عدة بوصات^(٣).

٦- تدور الأرض حول الشمس بسرعة ١٨,٥ ميل في الثانية تقريباً، في فَلَكَ طوله

(١) التفسير العلمي للآيات الكونية ص ٥٦-٦٩.

(٢) التفسير العلمي للآيات الكونية ص ٦٥-٦٨ و ٧٣ و ٧٥ و ٨٥ والعلم يدعو للإيمان طبعة ٤

ص ٥٥ ومع الله في السماء ص ١٤٦.

(٣) العلم يدعو للإيمان ص ٥٧-٥٨.

يجري القمر في فلكه بمقدار ٢٣٠٠ ميل بالساعة، ويلفُّ حول نفسه مرة في كل دورة في فلكه شهرياً، ولذلك يواجه الأرض بجانب واحد دائماً، فنرى أوجه الضياء المُختلِفة، من هلال إلى بَدَر وبالعكس. / التفسير العلمي للآيات الكونية ص ٦٧-٦٨.

٦٠٠ مليون ميل.

وتدور الأرض حول نفسها بسرعة قدرها ١٠٠٠ ميل بالساعة (أي: مرة كل ٢٤ ساعة).

فلو فرضنا أنها تدور حول نفسها بمُعَدَّل ١٠٠ ميل بالساعة، فعندئذٍ يكون نهارنا وليلنا أطول مما هو عليه الآن عشر مرات، فتحرق الشمس النباتات نهاراً وتتجمد ليلاً. ولو فرضنا أنها تدور حول الشمس بسرعة ٦ أميال في الثانية أو ٤٠ ميلاً، لكان قربنا وبعدنا عن الشمس يجعل حياتنا مستحيلة^(١).

٧- والماء الذي يكوّن أربعة أخماس الكرة الأرضية، يتكون من غاز: ذرتين هيدروجين وذرة أوكسجين: H_2O ، والهواء يتكون من عناصر، بنسب معينة عَظِيمَة الأهمية للحياة، إذا اختلت لم تستقم الحياة.

٨- وملح الطعام الذي تستحيل حياة الإنسان بدونه، يتكون من أخطر عنصرين هما: الصوديوم الذي يدخل في تَرْكِيب المتفجرات، والكلور الغاز الخانق القاتل: $NaCl$.

(١) التَفْسِيرُ الْعِلْمِيُّ لِلآيَاتِ الْكُونِيَّةِ ص ٦٧ والعلم يدعو للإيمان ص ٥٥.

ولو كانت قشرة الأرض أسمك عشرة أقدام، لنفد الأوكسجين، وانعدمت الحياة. ولو كانت البحار أعمق بضعة أقدام مما هي عليه الآن، لانجذب الأوكسجين وثاني أوكسيد الكربون فاستحالت الحياة.

ولو كان جو الأرض أَرْقَ مما هو عليه، لتهافت النيازك فأحرقت الأرض. / الإسلام يتحدى ص ٥٩.

لأن النيازك والشهب تنهوى في كل يوم بالملايين في الهواء الخارجي، وهي تسير بسرعة ستة أميال إلى أربعين ميلاً في الثانية، فلو لم يكن ذلك مَانِعاً لأحرقت الأرض ومن فيها، إذ إن الإنسان إن اصطدم بشَهَاب ضئيل يسير بسرعة تفوق سرعة الرصاصة تسعين مرة، كان يمزقه إرباً من مجرد حرارة مروره. / العلم يدعو للإيمان ص ٦٥.

٩- إذا نظرت في المجهر إلى قطرة من المياه الآسنة، تجد عالماً من الأحياء فيه العجائب^(١).

١٠- الرُّبُور حين يصيد الجُنْدُب، يَخْدُّره، فيحمله، ليتغذى عليه صغاره حين يولدون^(٢).

١١- لو أن ذبابتين توالدتا، ولم يأت الموت عليهما وعلى خلفهما، فإنه بعد خمس سنوات، يتكون من الذباب ما يمكن أن يشكل طبقة حول الكرة الأرضية، ارتفاعها ٥ سم. وهذا جنس واحد، فكيف بالمخلوقات جميعاً، إذا لم يأت عليها الموت؟^(٣).

١٢- والإنسان ذلِكَ اللغز المحير للعقل، يتكون من عناصر تساوي: برميلاً صَغِيراً من الماء. مع عناصر مَعْدِنِيَّة تكون مسماراً صَغِيراً، ورأس عود ثقاب من الكبريت، وكمية من الكلس يمكن أن يُطلى بها جدار، وعناصر أُخْرَى قليلة جداً لا تساوي قيمتها نصف دِينَار، والسر لا يكمن في نوعية المواد، وإنما يكمن في تَرْكِيبها، وتكوين ذرات الخلية، ثم التَّركِيبات الحيوية المتولدة في الجسم^(٤).

- فالإنسان يَتِمَّ سَماعه بدخول الصوت إلى الصيوان، ثم إلى داخل الأذن، ويمر

(١) هُذِهِ من الأمور الأولى التي يدرسها الطُّلَّاب في علم الكيمياء.

(٢) الله: سَعِيدُ حوى ص ٧٦.

- عَشَّ بعض العناكب يكون على شكل منطاد تحت الماء، ينفخ بفقااعات الماء، التي تحملها في شعر تحت جسمها، وعندئذٍ تلد صغارها، لا يؤثر عليها هبوب الرياح. / العلم يدعو للإيمان ص ١١٩.

- يطير الخفاش ليلاً، وهو الضعيف البصر، ولا يصطدم بحاجز، لأنه يرسل اهتزازات ترجع إليه إذا اصطدمت بجسم أمامه، فيحس به دون أن يراه، وهذا شبيه بالرادار. / الله: سَعِيدُ حوى ص ٩٨.

(٣) الله: سَعِيدُ حوى ص ٩٢.

(٤) الطب محراب للإيمان ص ٥٩.

بجزء فيه ٤٠٠٠ حنية (قوس)، تشبه سُلماً موسيقياً، تنقل إلى المخ بشكل ما^(١)، أما كيف يحصل فهم المسموع؟ وكيف يَتِمُّ تَمَيُّزُ الأصوات العديدة جداً عن بعضها البعض؟ وأين تقع خزائن الذاكرة للمسموعات...؟ فهذه لم يُتَوَصَّلْ إليها^(٢).
وهكذا في بقية الحواس الأخرى.

- في جسم الإنسان ألف مليون مليون خلية، ويستهلك الجسم من خلاياه حوالي ١٢٥ مليون خلية في الثانية الواحدة. وعدد خلايا الجُمْلَةِ العَصَبِيَّةِ المركزية (المخ والمخيخ والجذع الدماغى) يقدر بحوالى ١٤ مليار (المليار يساوي ألف مليون) خلية عَصَبِيَّة، تسيطر على نشاط البدن وفعاليته، ويكمن فيها النشاط الفكري والشخصية الإنسانية^(٣).

- بصمة الإصْبَع لأي شخص امرأة أو طفل أو رجل، لا تشبه بصمة أي شخص آخر، ولذا تتخذ التَّحْقِيقَاتُ الجنائية بصمات الأصابع دليلاً على كَشْفِ هوية المجرمين.

- أما العَمَلِيَّاتُ المحيرة الدقيقة التي تجري في البصر، وسائر الحواس، والتخلق الإنساني، وتكوُّن الخلايا، ووزارات الجسم وغيرها، فإنه ليعجز عن وصفها القلم، وكلها ألغاز محيرة وأسرار مدهشة، بقي الكثير منها طي الكتمان، حتى يحين الوقت لكَشْفِ شيء منه.

(١) العلم يدعو للإيمان ص ١١٩.

(٢) الطب محراب للإيمان ص ١٩١-١٩٢.

(٣) الطب محراب للإيمان ص ٩٤ وما بعدها و ص ٤٠-٤٢. ذكر الرَّازِيّ في المَطَالِبِ العالية ج ١ ص ٢١٨ وما بعدها الاستدلال على وجود الإله الحَكِيمِ الرَّحِيمِ بكيفية تولد الإنسان من النطفة. و ص ٢٣٣ وما بعدها بناء العالم على الوجه الأصلح وعجائب المخلوقات، وأقوال الأكابر في ذلك.

وبعد هَذَا نَقُول: هَذِهِ أَمْثَلَةُ يَسِيرَةٍ^(١) مِمَّا ذَكَرَهُ الْعُلَمَاءُ مِنْ نَظَرَاتٍ فِي أَرْجَاءِ هَذَا الْكَوْنِ الْفَسِيحِ، الَّذِي يَقِفُ أَمَامَهَا الْإِنْسَانُ مَشْدُوهاً حَائِراً، نَتَسَاءَلُ فِيهِ: مِنْ دَبَّرَهُ؟ وَمِنْ كَوَّنَهُ؟ وَمِنْ سَيَّرَهُ عَلَى هَذَا الشَّكْلِ الْبَدِيعِ الْمُتَنَاسِقِ، الَّذِي يَكْشِفُ الْعِلْمَ يَوْماً بَعْدَ آخَرٍ عَجَائِبَ هَذَا النِّظَامِ الَّذِي يَجْرِي عَلَيْهِ هَذَا الْكَوْنُ؟ أَهَذَا مِنْ صَنْعِ الْإِنْسَانِ الَّذِي يَعْجُزُ عَنْ أَنْ يَدْفَعَ عَنْهُ الْمَكْرُوهَ، وَيَعْجُزُ عَنْ أَنْ يَغَيِّرَ مَا فِي الطَّبِيعَةِ مِنْ ظُرُوفٍ قَاهِرَةٍ كَالْمَطَرِ وَالْفَيْضَانِ وَالرِّيحِ... إلخ؟

إِنَّ الْعَاقِلَ لَيَدْرِكُ أَنَّ تَأْلَفَ هَذِهِ الْجَزِئَاتِ عَلَى هَذَا النَّحْوِ، الَّذِي تَتَجَلَّى فِيهِ صُورَةُ الْحَيَاةِ، وَاسْتِمْرَارُ هَذَا التَّأْلَفِ وَالْحَيَاةِ مَدَى الْأَزْمَانِ، لَا يَتَخَلَفُ وَلَا يَتَرِثُ، لَمْ يَكُنْ مِنْ صَنْعِ الطَّبِيعَةِ الصَّمَاءِ الْعَمِيَاءِ.

إِنَّ التَّفْسِيرَ الْحَقِيقِيَّ لِهَذَا النِّظَامِ، هُوَ أَنْ تَوْمَنَ بِقُدْرَةِ خَارِقَةٍ، وَقُوَّةِ جَبَّارَةٍ، وَعَظْمَةِ إِلَهِيَّةٍ، بَسَطَتْ يَدَيْهَا، فَسِيرَتِ الْكَوْنَ عَلَى النَّحْوِ الْعَجِيبِ الَّذِي نَرَاهُ.

وَدَلِيلُ الْعِنَايَةِ وَالْإِخْتِرَاعِ هُوَ الَّذِي ذَكَرَهُ بَعْضُ فَلَاسِفَةِ الْغَرْبِ بِاسْمِ الدَّلِيلِ الْغَائِبِيِّ أَوْ بُرْهَانِ الْغَايَةِ، الَّذِي يَتَّخِذُ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ دَلِيلاً عَلَى وَجُودِ الْخَالِقِ. وَهَذِهِ الْمَخْلُوقَاتُ تَدُلُّ عَلَى قَصْدٍ فِي تَكْوِينِهَا، وَحِكْمَةٍ فِي تَسْيِيرِهَا وَتَدْبِيرِهَا، فَالنِّظَامُ وَالْقَصْدُ وَالْإِنْسَجَامُ وَالْحِكْمَةُ الظَّاهِرَةُ فِي الطَّبِيعَةِ وَمُظَاهِرُهَا الْمُخْتَلِفَةُ الْمُتَنَوِّعَةُ، طَرِيقٌ ظَاهِرَةٌ لِإِثْبَاتِ وَجُودِ اللَّهِ تَعَالَى^(٢).

(١) انظر أمثلة أخرى في: الكتب التي أشرنا إليها، وكتاب الله يتجلى في عصر العلم لجماعة من العلماء، ومع الله في السماء للدكتور أحمد زكي، والإنسان ذلك المجهول للدكتور الكسيس كارل، وكُتِبَ عبد الرزاق نوفل، وقصة الإيمان للشيخ نديم الجسر، والطريق إلى النجوم لفان درويت ولي ترجمة الدكتور عمر فروخ، والنجوم في مسالكها للدكتور جيمس جينز.

(٢) الله: العقاد ص ١٩٦-١٩٧ ودراسات في الفرق ص ١٧٩.

الدليل الرابع: الدليل الوجودي

ويسمى بُرْهَانُ الاستِغْلَاءِ والاستِكْمَالِ، أو بُرْهَانُ المِثْلِ الأعلى.

وقد صاغه القديس أنسلم في صورته الأولى، وقد صدر عن مبدأ معترف به من المؤمنين والملحدن جميعاً، وهو: أنَّ فكرة الإله موجودة في العقول، فالملحدون لا يحدون تصورهم للالوهية، وإنما يحدون وجود الإله.

ونفّح هذا الدليل اللاحقون بأنسلم، حتى بلغ كماله في فلسفة ديكارت، وأوشك أن ينسب إليه، وفحواه في صورته الجامعة:

أنَّ العقل الإنساني كلما تصور شيئاً عظيماً، تصور ما هو أعظم منه، لأن الوقوف عند مرتبة قاصرة يحتاج إلى سبب، والعقل الإنساني لا يعرف سبب القصور، فما من شيء كامل إلا والعقل الإنساني متطلع إلى أكمل منه، ثم أكمل منه، إلى نهاية النهايات، وهي غاية الكمال المطلق التي لا مزيد عليها ولا نقص فيها. وهذا الوجود الكامل موجود لا محالة، لأن وجوده في التصور أقل من وجوده في الحقيقة، فهو في الحقيقة موجود. لأن الكمال المطلق يتفني عنه بسبب عدم الوجود، ولا يبقى له شيء من الكمال، بل نقص مطلق، وهو عدم الوجود. فمجرد تصور هذا الكمال مثبت لوجوده^(١).

الدليل الخامس: الدليل الأخلاقي

وقد صاغ هذا الدليل الفيلسوف الألماني كنت. وصورته هي:

أنَّ علامة الوازع الأخلاقي، أو علامة الواجب، أو علامة الضمير، لا توجد في النفس الإنسانية بغير وجود إله، إذ كيف يدين الإنسان نفسه بالحق، إن لم يكن في الكون

(١) الله: العقداد ص ٢٠٠. وانظر: دراسات في الفرق ص ١٨٦ وما بعدها، وفيه رأي أنسلم

وديكارت وسبينوزا وغيرهم.

قسطاس للحق يغرس في نفسه هذا الوجوب؟ وكيف تقرر في طبع الإنسان، أنَّ الواجب الكريه لديه أولَى به من طاعة الهوى المحبب إليه، وإن لم يطلع على دخيلة سره أحد؟

فإن قيل:

إنَّ العادة الاجتماعية هي التي رسخت في النفس، حتى استحالت إلى رغبة مقبولة، أُجيب:

بأن مَعْرِفَةَ السبب لا تقضي بإبطال الغَايَةِ أو بفقدان الحكمة، فنحن نعلم أنَّ القطار يتحرك بغليان المِرْجَل فيه. وأنَّ المُهَنْدِس قد مد قضبانَه، لأنَّه يكافأ على مدها بأجر يحتاج إليه. وأنَّ نَظَّارَ المحطات يسيرون حركة القطار، لأنهم مجزيون على ذلك، أو معاقبون على إهماله.

ولكن ذلك كله، لا يُبْطِلُ الغَايَةَ، ولا يقضي بمسير القطار لغير حكمة، وقيام العَمَل كله بغير تدبير^(١).

المصادفة

قالوا: إنَّ المصادفة هي التي أوجدت، ودبرت ما في الكون على هذا الشكل.

والجواب: لا بد من التفريق بين أمرين:

أولهما: خلق الشيء. وفكرة المصادفة تُستبعد منه، لأنه يؤدي إلى الدَّور الباطل كما تقدم.

ثانيهما: تَرْتِيبُ الشيء وتَرْكِيبُه. وهي محل النَّظَر والبَحْث.

صيغة قَانُونِ المصادفة الحرفية هي: (أنَّ حظ المصادفة من الاعتبار يزداد وينقص، بنسبة معكوسة مع عدد الإمكانات المتكافئة المزدحمة).

(١) انظر: الله: العقاد ص ٢٠٠-٢٠١. وانظر تفصيل هذا القول في: دراسات في الفِرَق

لَكِنْ تَطْبِيقُ هَذَا الْقَانُونِ، إِنَّمَا يَتِمُّ عَلَى الْمَادَّةِ غَيْرِ الْحَيَّةِ، فِدْرَاسَةُ الْإِحْتِمَالِ عَلَى ضَغْطِ غَازٍ فِي وَعَاءٍ أَوْ خَلِيطٍ مِنْ غَازَاتٍ قَدْ يَصِحُّ، وَلَكِنْ عَلَى الْخَلِيَّةِ وَالْأَحْيَاءِ الْآخَرَى فَإِنَّهُ يَقِفُ، لِأَنَّ التَّرَابُطَ فِي الْخَلِيَّةِ مَعَ ظَاهِرَةِ الْحَيَاةِ مَعْجَزٌ وَمُحِيرٌ، إِلَى حَدٍّ يُجْعَلُ هَذَا الْقَانُونُ غَيْرَ سَارِي الْمَفْعُولِ فِي هَذَا الْمَجَالِ^(١).

وَلَكِنِّي نَفْهَمُ هَذَا الْقَانُونُ وَعَدَمَ سَرِيَانِهِ لَا بَدَّ مِنَ الْأَمْثَلَةِ، مِنْهَا:

١- يَقُولُ الْأُسْتَاذُ كَرِيسِي مَوْرِيسُونُ: ضَعْ عَشْرَةَ بَنْسَاتٍ مَرْقُمَةٍ مِنْ ١-١٠ فِي كَيْسٍ وَابْدَأْ بِسَحْبِهَا، تَرَى أَنْ:

فَرَصَةُ سَحْبِ رَقْمِ ١ هِيَ بِنِسْبَةِ ١ إِلَى ١٠، لِأَنَّ كُلَّ رَقْمٍ قَدْ يَكُونُ لَهُ الْحِظُّ بِالسَّحْبِ.

وَفَرَصَةُ سَحْبِ رَقْمِ ٢ وَ٣ مُتَتَابِعَتَيْنِ هِيَ بِنِسْبَةِ ١ إِلَى ١٠٠.

وَفَرَصَةُ سَحْبِ رَقْمِ ١ وَ٢ وَ٣ مُتَتَابِعَاتٍ هِيَ بِنِسْبَةِ ١ إِلَى ١٠٠٠.

وَفَرَصَةُ سَحْبِ رَقْمِ ١ وَ٢ وَ٣ وَ٤ مُتَتَابِعَاتٍ هِيَ بِنِسْبَةِ ١ إِلَى ١٠٠٠٠.

وَهَكَذَا... حَتَّى تُصْبِحَ فَرَصَةُ سَحْبِ الْأَرْقَامِ مِنْ ١ إِلَى ١٠ مُتَتَابِعَةً، هِيَ بِنِسْبَةِ ١ إِلَى ١٠ مِلْيَارَاتٍ^(٢).

٢- لَوْ فَرضْنَا أَنَّكَ تَمْلِكُ عِدَدًا هَائِلًا مِنَ الْحُرُوفِ، إِذَا حَاولْتَ آلاَفَ الْمَرَّاتِ سَحْبَ حَرْفٍ بَعْدَ حَرْفٍ مِنْ هَذِهِ الْمَجَامِيعِ الْكَبِيرَةِ، وَسَطَّرْتَهَا وَاحِدًا بَعْدَ الْآخَرِ، فَهَلْ يَظْهَرُ لَكَ، مَهْمَا كَرَرْتَ عَمَلِيَّةَ السَّحْبِ، دِيوَانُ الْمُتَنَبِّي أَوْ إِلْيَاذَةُ هُومِيروس أَوْ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ...؟

٣- يَقُولُ الْأُسْتَاذُ فِرَانِكُ أَلْنُ: الْبَرُوتِينَاتُ مِنَ الْمُرَكَّبَاتِ الْأَسَاسِيَّةِ فِي جَمِيعِ الْخَلَايَا الْحَيَّةِ. تَتَكُونُ مِنْ خَمْسَةِ عُنَاصِرٍ هِيَ: الْكَرْبُونُ وَالْإِيدُرُوجِينُ وَالنَيْتْرُوجِينُ وَالْأُوكْسِجِينُ

(١) الطَّبْ مَحْرَابُ لِلْإِيْمَانِ ص ١٤.

(٢) الْعِلْمُ يَدْعُو لِلْإِيْمَانِ ص ٥١ وَالطَّبْ مَحْرَابُ لِلْإِيْمَانِ ص ١٥.

والكبريت.

ويبلغ عدد الذرات في الجُزَيء البروتيني الواحد ٤٠٠٠٠ ذرة، ولما كان عدد العناصر الكيميائية في الطبيعة ٩٢ عنصراً، موزعة كلها توزيعاً عشوائياً، فإنَّ احتمال اجتماع هذه العناصر الخمسة، لكي تكونَ جزيئاً من جزيئات البروتين، يمكن حسابه، لمَعْرِفَة كمية المادة التي ينبغي أن تخلط خلطاً مستمراً، لكي تؤلف هذا الجُزَيء، ثم لمَعْرِفَة طول الفترة الزمنية اللازمة، لكي يحدث هذا الاجتماع بين ذرات الجُزَيء الواحد.

وقد قام العالم الرياضي السويسري شارلس يوجين جاي بحساب هذه العوامل جيداً، فوجد:

أنَّ الفرصة لا تنتهياً عن طريق المصادفة لتكوين جُزَيء بروتيني واحد، إلَّا بنسبة ١ إلى (١٠)^{١٦٠} (أي بنسبة ١ إلى الرقم ١٠ مضروباً في نفسه ١٦٠ مرة)، وهو رقم لا يمكن النطق به أو التعبير عنه بكلمات.

وينبغي أن تكون كمية المادة التي تلزم لحدوث هذا التفاعل بالمصادفة بحيث ينتج جُزَيء واحد أكثر مما يتسع له كل هذا الكون بملايين المرات.

ويتطلب تكوين هذا الجُزَيء على سطح الأرض وحدها عن طريق المصادفة مدة (١٠)^{٢٤٣} (أي عشرة مضروبة في نفسها ٢٤٣ مرة من السنين).

وقد حسب العالم الإنجليزي ج. ب. ليشتر الطرق التي يمكن أن تتألف بها الذرات في أحد الجزيئات البسيطة البروتينات فوجد أنَّ عددها (١٠)^{٤٨}.

وعلى ذلك فإنه من المحال عقلاً أن تتألف كل هذه المصادفات لكي تبني جزيئاً بروتينياً واحداً. ولكن البروتينات ليست إلَّا مواد كيميائية عديمة الحياة، ولا تدب فيها الحياة إلَّا عندما يحل فيها ذلك السر العجيب، الذي لا ندري من كُنْهه شيئاً، إنه العقل

اللانهائي، وهو الله وحده^(١).

(١) الله يتجلى في عصر العلم ص ٩-١٠.

وقال الأستاذ ليثر في خطاب الرئاسة السنوي بقسم الفيزيولوجي في جامعة أكسفورد عام ١٩٣٦م ما فحواه: إن كل خلية من البروتين تتألف من سلسلة فيها بضع مئات من الحلقات، وإن كل حلقة منها هي تَرْكِيْبَةٌ من ذرات، قوامها حمض من الأحماض النوشادرية، وهي أحماض يبلغ المعروف منها نحو العشرين، ويجوز أن يقع كل منها موقعه على اختلاف في النسبة والترتيب، ولكِنَّا لا نراها في بعض الأنسجة إلا على ترتيب واحد ونسبة واحدة بغير شذوذ ولا اختلاف. فهل تستطيع أن تتخيل مبلغ الدقة في هذه الإصابة بين احتمالات الخطأ التي لا تحصى أرقامنا المألوفة؟

يكفي لتقريب هذه الدقة من الخيال، أن نذكر أن الحروف الأبجدية في لغات البشر كافة، لا تتجاوز الثلاثين، ويتألف من تراكيبها المتغيرة كل ما تلفظ به الأمم من الكلمات والعبارات، فإذا كانت خلية البروتين في حجمها الخفي قابلة لأضعاف ذلك التكرار، ثم لا نشاهد فيها إلا كلمة واحدة في ترتيب واحد لا يتغير، فقد عرفنا على التقريب معنى تلك الإصابة في التوثيق والترتيب.

يقول الأستاذ ليثر لتقريب هذا الخيال: إن الضوء يصل من طرف المجرّة إلى الطرف الآخر في ثلاثمائة ألف سنة، فإذا أردنا أن نشبه إصابة الخلية في تركيبها بمثل مفهوم، فهذه الإصابة تضارع إصابة الرصاصة التي تنطلق من الأرض، فتصيب هدفاً في نهر المجرّة بحجم عين الثور ولا تحطئه مرة من المرات، وهذا على فرض أن حلقات الخلية خمسون فقط، وليست بضع مئات. / الله: العقاد ص ٢٠٦-٢٠٧.

وقال العالم جون كليفلاند كوثران: وقد أثبت اكتشاف تركيب الذرة، أن التفاعلات الكيميائية التي نشاهدها، والخواص التي نلاحظها ترجع إلى وجود قوانين خاصة، وليست محض مصادفة عمياء....

ومع ما يبدو من التعقيد في تركيب كل ذرة من ذرات العناصر العديدة، فإنها تتكون جميعاً من نفس الأنواع الثلاثة من الجزيئات الكهربائية، وهي البروتونات الموجبة والإلكترونات السالبة والنيوترونات، والتي يعتبر كل منها ناشئاً عن اتحاد بروتون واحد مع إلكترون واحد.

٤- يقول العُلَمَاءُ بأن الإلكترون في الذرة يدور حول البروتون بسرعة ١ من ١٠٠ من سرعة الضَّوِّءِ، وَلَكِنْ لا يمكن بالضبط مَعْرِفَةُ أين توجد الإلكترونات في لحظة معينة؟

ووزن أجزاء الذرة كما يأتي:

وزن البروتون: هو جزء من مليون مليار مليار من الغرام تَقْرِيْبًا.

ووزن النيوترون: يقترب بالوزن من البروتون.

أما وزن الإلكترون: فإن البروتون يساوي ١٨٣٧ مرة وزن الإلكترون.

وأبعاد أجزاء الذرة كما يأتي:

الذرة تشبه شكلاً كروياً يساوي قطرها جزءاً من مئة مليون من السنتيمتر. وقطر النواة أصغر من الذرة بعشرة آلاف مرة.

فهناك فراغ هائل بين البروتونات والإلكترونات، يدعو إلى الدهشة والحيرة، ولو أنَّ عشرة ملايين ذرة اجتمع بعضها بجانب بعض، فإنها تبلغ طولاً قدره مليمتراً واحداً. والغرام الواحد من الهيدروجين فيه ٦٠٠ ألف مليار مليار ذرة^(١).

٥- يقول الدكتور واين أولت: هل تم اختراع جهاز الراديو نتيجة للمصادفة، أم

وجميع البروتونات والنيوترونات التي بالذرة تقع في نواة مركزية، أما الإلكترونات فإنها تدور حول محاورها، في مدارات مُخْتَلِفَةً حول النواة، وعلى أبعاد شاسعة منها، مكونة ما يشبه مجموعة شمسية مصغرة. وعلى ذَلِكَ فإن معظم حجم الذرة، يعتبر فراغاً، كما هي الحال في المجموعة الشمسية.

والفرق بين ذرة عنصر معين وعنصر آخر، يرجع إلى الفرق في عدد البروتونات والنيوترونات التي بالنواة، وإلى عدد وطريقة تنظيم الإلكترونات التي في خارج النواة. / الله يتجلى في عَصْرِ العلم ص٢٣-٢٤.

(١) الطب محراب للإيمان ص٢٥ وما بعدها، وفيه الكلام عن الذرة وبنائها ووزنها وأبعادها وأسرارها المدهشة.

عن طريق التصميم والاختراع؟

ثم هل تم تكوين جهاز الرادار الموجود بجسم الوطواط، والذي لا يحتاج من الحيوان إلى انتباه، ولا يتطلب منه إصلاحاً، والذي يستطيع أن يورثه لذريته عبر الأجيال؟
نَقُولُ: هل تم كل ذلك عن طريق المصادفة، أم عن طريق التصميم والإبداع؟ إنَّ الخبرة الْعِلْمِيَّةَ للإنسان تقوم على التصميم وعلى إدراك الأسباب، وعلى ذلك فإن المشتغل بالْعُلُومِ هو أول من يجب عليه التَّسْلِيمُ منطقياً بوجود عقل مُبْدِعٍ، لا حدود لعلمه أو قدرته، موجود في كل مكان، يخطط مخلوقاته برعايته^(١). ولذلك:

قال الرِّيَاضِي الْكَبِيرُ جوزيف برترند: إنَّ المصادفة ليس لها وجدان ولا ذَاكِرَةٌ^(٢).

وقال بول كلارنس ابرسولد: إنَّ هَذَا النِّظَامَ الرَّائِعَ الْمَعْقُولَ الَّذِي يَسُودُ هَذَا الْكَوْنِ، يُخْضَعُ لِقَوَانِينٍ لَمْ يَخْلُقْهَا الْإِنْسَانُ، وَإِنَّ مَعْجَزَةً وَاحِدَةً فِي حَدِّ ذَاتِهَا لَهَا بِدَايَةٌ، كَمَا أَنَّ وِرَاءَهَا تَوَجِيهاً وَتَدْبِيراً خَارِجَ دَائِرَةِ الْإِنْسَانِ^(٣).

وقال أحد كبار عُلَمَاءِ الطَّبِيعَةِ: إنَّ الْعِلْمَ لَا يَمْلِكُ أَيَّ تَفْسِيرٍ لِلْحَقَائِقِ، وَالْقَوْلُ بِأَنَّهُ حَدَثَ (اتِّفَاقاً) إِنَّمَا يَعتَبَرُ تَحْدِياً وَتَصَادُماً مَعَ الرِّيَاضِيَّاتِ^(٤).

وقال شادافاش: إنَّ مِنَ الْمُمْكِنِ أَنْ نَسْأَلَ أَيَّ رَجُلٍ مُؤْمِناً بِاللَّهِ كَانَ أَوْ مُنْكَرّاً لَهُ، نَسْأَلُهُ أَنْ يُثَبِّتَ، كَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ هَذَا التَّوَازُنُ فِي صَالِحِهِ، إِذَا كَانَ الْكَوْنُ قَدْ وَجَدَ بِمَحْضِ الصَّدْفَةِ؟^(٥).

وقد عُدَّ أَفَلَاطُونُ مِنْ أَوَائِلِ الْفَلَاسِفَةِ الْقَائِلِينَ بِوُجُودِ اللَّهِ تَعَالَى، وبأنَّه الْخَالِقُ

(١) الله يتجلى في عَصْرِ الْعِلْمِ ص ١٣٢.

(٢) الطب محراب للإيمان ص ١٤.

(٣) الله يتجلى في عَصْرِ الْعِلْمِ ص ٣٨.

(٤) الإسلام يتحدى ص ٦٠.

(٥) الإسلام يتحدى ص ٥٦.

للعالم، والمدير لأمره. وبرهن على ذلك بعدة براهين أهمها: بُرْهَانُ النَّظَامِ، حيث قال: إِنَّ الْعَالَمَ آيَةٌ فِي الْجَمَالِ وَالنَّظَامِ. ولا يمكن أبداً أن يكون هذا نتيجة علل اتفاقية (مصادفة)، بل هو صنع عاقل كامل، توخى الخير، ورتب كل شيء عن قصد وحكمة^(١).

وقد تناقلت وكالات الأنباء ومنها وكالة تاس السوفيتية سنة ١٩٥٩ م ما يأتي: أعلن الكسندر أوبارين رئيس معهد الكيمياء الحيوية في روسيا، بعد أن ظل يبحث ٣٧ عاماً في أصل الحياة، وعما إذا كان من الممكن إيجاد الخلية الأولى عن طريق تفاعل كيميائي قائلاً: (إنَّ الحياة لا يمكن أن تبدأ من العدم، أو أن تتوالد من التفاعل الكيميائي والتوالد الذاتي، وإن العلم لا يمكن أن يخوض فيما وراء حدود المادة)^(٢). وبعد هذا كله نقول:

بعد أن انتفت المصادفة في خلق هذا الكون، وفي ترتيب مخلوقاته، وبعد إقامة الدليل على أن الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى هو خالق الكون ومدير أمره، ثبت بالدليل العقلي والعلمي الذي لا يقبل الريب، أن الله تعالى واجب الوجود وأنه مُوجِدُ الكون ومبدأ المخلوقات.

قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ (٢) لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا شَيْءٌ ۝ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝ (٤)﴾ - سورة الإخلاص.

وقال تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ۝﴾ - البقرة ٢٥٥.

(١) قصة الإيمان ص ٤٠. ودراسات في الفرق ص ١٩٥ نُقِلًا عن قصة الإيمان. وانظر:

الأديان لد. رشدي عليان ود. سعدون الساموك ص ٧٧.

(٢) كبرى اليقنيات الكونية ص ١٣١.

لا محل للإلحاد في الذهن المتفتح

قال الدكتور جون كليفلاند كوثران: قال لورد كيلفي: وهو من عُلَمَاء الطبيعة الْبَارِزِينَ فِي الْعَالَم - هَذِهِ الْعِبَارَةُ الْقِيَمَةُ: (إِذَا فَكَّرْتَ تَفْكِيراً عَمِيقاً، فَإِنَّ الْعُلُومَ سَوْفَ تَضْطَرُّكَ إِلَى الْإِعْتِقَادِ فِي وَجُودِ اللَّهِ)، وَلَا بَدَّ أَنْ أُعْلِنَ مُوَافَقَتِي كُلَّ الْمَوَافَقَةِ عَلَى هَذِهِ الْعِبَارَةِ^(١).

ويقول الفيلسوف الإنجليزي بيبكون: (إِنَّ قَلِيلاً مِنَ الْفَلَسَفَةِ يَقْرُبُ الْإِنْسَانَ مِنَ الْإِلْحَادِ، أَمَا التَّعَمُّقُ فِي الْفَلَسَفَةِ فَيَرْدُّهُ إِلَى الدِّينِ)^(٢).

وقال الدكتور وتز عميد كُلِّيَّةِ الطَّبِّ بِبَارِيسَ وَاعْضُو أكَادِمِيَةِ الْعُلُومِ وَكِيمِيَائِي: (إِذَا أَحْسَسْتَ فِي حِينٍ مِنَ الْأَحْيَانِ أَنَّ عَقِيدَتِي بِاللَّهِ قَدْ تَزَعَزَعَتْ، وَجِهْتُ وَجْهِي إِلَى أكَادِمِيَةِ الْعُلُومِ لَشَيْئِهَا).

وقال باسكال: (صَنَفَانِ فَقَطْ مِنَ النَّاسِ يَجُوزُ أَنْ نَسْمِيَهُمْ عَقْلَاءَ: الَّذِينَ يَعْرِفُونَ اللَّهَ، وَالَّذِينَ يَجِدُونَهُ فِي الْبَحْثِ عَنْهُ، لِأَنَّهُمْ لَا يَعْرِفُونَهُ).

وقال انشتاين: (إِنَّ الْإِيمَانَ هُوَ أَقْوَى وَأَنْبَلَ نَتَائِجِ الْبَحْثِ الْعِلْمِيَّةِ).

وقال أيضاً: (إِنَّ الْإِيمَانَ بِلَا عِلْمٍ، لَيْمَشِي مَشْيَةَ الْأَعْرَجِ. وَإِنَّ الْعِلْمَ بِلَا إِيمَانَ، لَيْتَلَمَسُ تَلَمَسَ الْأَعْمَى).

وقال ادمون هربرت، وهو جيولوجي ذائع الصيت، ومدرس بِجَامِعَةِ السُّورْبُونِ: (الْعِلْمُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يُوْدِيَ إِلَى الْكُفْرِ، وَلَا إِلَى الْمَادِيَةِ، وَلَا يَفْضِي إِلَى التَّشْكِيكِ)^(٣).

(١) الله يتجلى في عَصْرِ الْعِلْمِ ص ٢١ وقريب من هَذَا مَا قَالَهُ الْعَالِمُ الطَّبِيعِيُّ (أُوليفر وندل) ص ٥٢.

(٢) الله يتجلى في عَصْرِ الْعِلْمِ ص ٣٥.

(٣) الطَّبِّ مُحَرَابٌ لِلْإِيمَانِ ص ٢٥٧ وَرُوحُ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ ص ٦١.

هَذَا هو الصواب، لأن الحق لا ينطلي على العُلَمَاء المتنورين، الذين يدركون الأدِلَّة التي ذكرناها آنفاً، والتي تثبت وجود الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى.

أما الذين ينكرون وجود الله، بحُجَّة أنهم لم يدركوه، بحواسهم، فهؤلاء يتصورون بأن الحواس هي طريق المَعْرِفَة.

إن واقعهم يكذبهم فهم يؤمنون بالجاذبية والمغناطيسية والكهربائية، وبوجود الإلكترون والبروتون والنيوترون، وبوجود العقل، ولم يروا شيئاً منها، بل رأوا آثارها فقط.

فمن أنكر وجود الله تعالى بحُجَّة أنه لم يره، وآمن بما ذكرت، فما هو إلا مخادع لنفسه، لأن العقل هو الذي أدرك هذه الأمور وغيرها وليست الحواس، لأنها خادعة أحياناً، وما الحواس إلا آلات أعطت العقل أدوات الحكم ليصدر حكمه.

خداع الحواس

لا يمكن الاعتماد على الحواس، لأنها تخدع صاحبها في كثير من الأحيان. وأمثلة ذلك كثيرة منها:

خداع البصر:

- ١ - العصا المُستقيمة المغمورة في الماء تبدو للناظر مكسورة.
- ٢ - لا ترى العين الزجاجة الصّافية، مع أنها موجودة مَنْظُورَة.
- ٣ - يرى المريض أشباحاً لا يراها غيره.

خداع الأُذن:

لا تسمع الأُذن الأصوات الخافتة، كما لا تسمع الأصوات الشديدة، كصوت الأجرام السماوية، ومثلها تفجر القنابل الذريّة التي لا تسمع الأُذن منها إلا الصيحة الأولى، أما الانفجارات التي تليها، فلا تسمعها الأُذن، مع أن آلات التسجيل تسجل

أرقاماً عالية جداً، وذلك لأن أوتار كورتي في الأذن، تسمع ذبذبة معينة محدودة، لا تسمع ما دونها، ولا ما فوقها.

خداع اللمس:

لو وضعت في ثلاث أوانٍ ماءً حاراً ودافئاً وبارداً، ونقلت يدك من الماء الحار إلى الدافئ، تجده بارداً. وإذا نقلتها من الدافئ إلى البارد، تحسه بارداً جداً. وهذا من خداع اللمس.

خداع الذوق:

١- إذا تذوقت مادةً شديدة الحلاوة، ثم انتقلت بعدها إلى مادةٍ أقل حلاوة من الأولى، تجدها خالية من الحلاوة.

٢- لا تستطيع حاستا اللمس والذوق معرفة الحوامض والمركبات الكيميائية المحرقة^(١).

هذه الأمثلة وغيرها تبين لنا أن الحواس كثيراً ما تخدع، فلا يصح الاعتماد عليها في كشف الحقائق، لذلك كان العقل هو الحاكم على الحواس. وهذه أدوات لا غير.

فلا يقال عندئذ: بأن الله سبحانه لم يدرك بالحواس، فلا ينبغي الإيمان به. هذا لا يقوله إلا جاهل.

سبب الإلحاد

الاعتقاد بوجود الله تعالى، هو الفطرة التي فطر الناس عليها، أما الإلحاد فهو طارئ على الفطرة. وقد حدد القرآن الكريم أسبابه، بما يأتي:

١- الكبر: قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَكُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا ۝١١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ

لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿ - الفرقان ٢١-٢٢ .

ففي الآية بيان: أن الكبر وحده هو الذي دفعهم إلى أن يتصوروا أن الحياة هي كل شيء، وليس وراءها إلا العدم.

٢- الانحراف: قال تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمُنُ ابْنُ لِي صِرَاحًا لَّعَلِّي أَتْلُجُ الْأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ كَذِبًا وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِّفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ ﴿ - غافر ٣٦-٣٧ .

ففي الآية بيان: أن طريق فرعون طريق خاطئ، دفعه إليه انحرافه عن الطريق السوي، الذي يعرف به الله سبحانه وتعالى.

٣- الظلم: قال تعالى: ﴿ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ﴿ - النساء ١٥٣ .

فكلمة ﴿ بِظُلْمِهِمْ ﴾ تبين أن الذي دفعهم إلى أن يطلبوا مثل هذا الطلب، هو الظلم، ظلم النفوس للحق، إذ تعرفه وتتكبر له.

وهذا الظلم (غير العدل) هو الذي دفع الكفار إلى اتهام المؤمنين بالله بأنهم: متوهمون وكاذبون وعاطفيون... وهذا ما نراه اليوم من اتهاماتهم بأنهم: غير علميين، وغير صادقين، مشوشون، مخدوعون.

٤- الجهل: قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَبَّهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿ - البقرة ١١٨ .

ففي الآية بيان أن هذا القول كلام جهال غير عالمين، وأنه ليس بجديد، بل هو منطق الكافرين دائماً، لتشابه قلوبهم، وقررت أن الطريق إلى الله هي آياته وآثاره الدالة عليها^(١).

(١) الله: سعيّد حوى ص ١١-١٣ .

العلم داعية الإيمان

لم يدعُ العلم في يوم ما إلى الكفر والإلحاد، لأنه يتبع المنهج السليم في الوصول إلى حقائق الوجود ومظاهر الكون.

ولم يقل في يوم: إنَّ هذا النظام الذي يجري عليه العالم قد نشأ صدفة، لأن الصدفة فوضى. والعالم الذي حلل في المختبر، أو عاش مع المنظار والمرصد، أو تعامل مع الأعداد... لا يعترف إلا بالنظام، وربط الأسباب بالمسببات، والمُقدّمات بالنتائج، ويقطع متيقناً بأن قوانين الطبيعة كالجاذبية والكهرباء واللاسلكي... وغيرها من ملايين الصور، ما هي إلا آثار تدل على المؤثر وهو الله سبحانه وتعالى... وقد أكد العلماء هذا الجانب بشكل جليّ.

يقول د. ماريت شانلي كونجدن، أحد كبار علماء الطبيعة في العالم: (إن جميع ما في الكون يشهد بوجود الله، ويدل على قدرته وعظمته، وعندما نقوم نحن العلماء بتحليل ظواهر هذا الكون ودراستها حتى باستخدام الطريقة الاستدلالية، فإننا لا نفعل أكثر من ملاحظة آثار أيادي الله وعظمته).

وعندما كان انشتاين جالساً في مكتبة الجامعة، التي يدرس فيها، سأله صحفي: أمن العلم أن تؤمن بالله، وهذه العقيدة فكرة غيبية، غير خاضعة لمختبر العلم؟ فأجابه: انظر إلى هذه المكتبة بكتبها الملايين، أليس لكل كتاب مؤلف؟ قال: نعم. قال: فإن دخل طفل إلى المكتبة، فهل يدرك ما في هذه المكتبة من العلوم والمعارف؟ قال: لا.

قال: فهل يعرف مؤلفيها؟ قال: لا.

قال: فهل عدم إدراك الطفل للكتب ومؤلفيها، يقوم دليلاً علمياً على عدم وجودها؟ قال: لا.

قال: فكذلك الكون بما فيه من صور ومشاهد وقوانين. فإن عدم إدراك العقول السطحية الجاهلة التي لا تتأمل خالقه، لا يقوم دليلاً علمياً على نفي وجوده. ثم أخذ

يشرح له دقة النظام الذي لاحظته في الوجود، مما لا يدع مجالاً للشك في وجود الله تعالى. وقد يذهب البعض إلى القول بأن هذه نماذج من أقوال، لم تكن إلا من أنفار، لا يلتفت إليهم، إزاء الأعداد الكبيرة من الملحدّين.

لكن الحق هو أن السواد الأعظم من العلماء يذهبون هذا المذهب، وأنهم أكدوا أن العلم هو طريق الإيمان، فقد نشر العالم الدكتور (دينرت) الألمانى بحثاً، حلل فيه آراء أكابر العلماء في القرون الأربعة الأخيرة، ودرس عقيدتهم فتين له من دراسة ٢٩٠ عالماً أن:

٢٤٢ عالماً أعلنوا في كتبهم ودراساتهم الإيمان بالله.

و٢٨ عالماً لم يصلوا إلى عقيدة ما.

و٢٠ عالماً كانوا ملاحدة لم يبالوا بالناحية الدينية.

فهذا يعني أن ٩٢٪ منهم مؤمنون بالله تعالى.

وإذا راجعت كتاب (الله بحث في نشأة العقيدة الإلهية) للعقاد، و(عقائد المفكرين في القرن العشرين) للعقاد أيضاً، و(العلم يدعو للإيمان) لكريسي موريسون، و(الله يتجلى في عصر العلم) لمجموعة من العلماء، و(قصة الإيمان) للشيخ نديم الجسر، وجدت أسماء كثيرة جداً من العلماء الأعلام، يؤكدون عقيدة الإيمان بالله تعالى.

ثم إن كثيراً ممن اتهم بالإلحاد لم يكن ملحداً حقاً بنظر العلم، وإنما هو ملحد بنظر الكنيسة التي كانت تحكم على من يخالفها بالإلحاد، فتولستوي مثلاً كان ملحداً في نظر الكنيسة، ولكنه مؤمن عميق بالإيمان بالله تعالى. كما هو واضح في كتابه (اعترافات تولستوي).

والعلماء الذين كفروا بالله تعالى، لم يكن كفرهم نتيجة بحث علمي دقيق، وإنما كان لأمر منها:

١- موقف الكنيسة التعسفي من العلماء وعدم تشجيعها الفكر الحر، إذ حكمت على المخالفين منهم بالكفر والزندقة، ونفذت بكل همجية حكم الإحراق والتمثيل والقتل بالعشرات منهم، وأحرقت كتبهم، وهددت بالقتل كل من وجدت بحوزته.

وفي كتاب (قصة النزاع بين الدِّين والفلسفة) للدكتور توفيق الطَّوِيل قوائم بأسماء العُلَمَاء الذين أُعدِّموا بهمجية تفوق الخيال، حتى استقر في ذهن بعض العُلَمَاء أنَّ الدعوة إلى الإلحاد أمر ضروري، لإنقاذ العُلَمَاء من تلك الوحشية.

والحقُّ أنَّ إلحاد هؤلاء لم يكن مبدأً، وإنما كان موقفاً اتخذوه أمام الكنيسة، حتى إذا زال ذلك الكابوس تراجعوا إلى القول بالإيمان، بدليل أنَّ عدد المؤمنين بالله من العُلَمَاء الآن يتزايد يوماً بعد آخر.

٢- موقف الكنيسة الظالم من الكادحين والأرقاء والمظلومين، وكونها بجانب الملوك المستبدين من الإقطاعيين، وكون البابوات هم أصحاب السلطة الحقيقية وأصحاب المال وأصحاب صكوك الغفران....

هَذَا الموقف دفع الكثير من المفكرين إلى الدعوة إلى نبذ الكنيسة، وإلى الإلحاد لإنقاذ المغلوب على أمرهم، مما يعانون به من شقاء وعنتٍ.

٣- تغلغل اليَهُودِيَّة العالمية عن طريق الماسونية، التي كانت تتبنى الإلحاد لهدم مقاومة المجتمع المَسِيحِي والسَّيْطَرَة عليه، وهذا الاتجاه الماسوني الملحد ظهر واضحاً في جَمَاعَة (الانسكلوبيديا) وأتباعهم وتلامذتهم، وقد قامت الثورة الفرنسية على أكتاف هؤلاء.

٤- الإلحاد في كل زمان ومكان طريق للإباحية والتملُّص من المثل العالية، لذلك كان ملاذ أصحاب الشهوات والمنحرفين عن الخلق الرفيع.

وَمُجْمَلُ الْقَوْل:

فالإلحاد لم يكن موقفاً أصيلاً للعلم وإنما أحدثته ظروف خاصة، أما المَنهَج العِلْمِيّ فهو منطلق الإيمان بالله عَزَّ وَجَلَّ ومعرفته وتقديره حق قدره^(١).

(١) العلم ليس كافراً ص ٨ وما بعدها. وانظر: إحصائية دينرت في كتاب روح الدِّين الإسلامي ص ٦٠، والطب محراب للإيمان ص ٢٥٦.

المبحث الثاني

الأسماء الحُسنى

وردت لفظة الأسماء الحُسنى في القرآن الكريم بأربعة مواضع هي:

١- قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ - الأعراف ١٨٠.

٢- قوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ - الإسراء ١١٠.

٣- قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ - طه ٨.

٤- قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ - الحشر ٢٤.

سبب نزول الآية:

هو أن رجلاً دعا الله في صلاته ودعا الرَّحْمَنَ، فقال أبو جهل: أليس يزعم مُحَمَّدٌ وأصحابه أنهم يعبدون رباً واحداً، فما بال هذا يدعو ريين اثنين؟ فأنزل الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ - الأعراف ١٨٠ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ وَنَحْوُهُ، فدعا النَّبِيُّ ﷺ الرجل، فقال: ادعُ الله، أو ادعُ الرَّحْمَنَ، رغماً لأنف المشرِّكين^(١).

واختلف المُفسِّرون في معنى الدعاء الوارد في قوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا

(١) بَحْرُ الْعُلُومِ لِلْسَمَرْقَنْدِيِّ ج ١ ص ٥٨٤. وانظر: تَفْسِيرُ الْكَشَافِ ج ٢ ص ٤٧٠ عن ابن عَبَّاسٍ، وَتَفْسِيرُ ابْنِ عَطِيَّةٍ ج ٦ ص ١٥٣. وكلهم ذكروا هذا السبب في نزول آية الأعراف ١٨٠: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾.

الرَّحْمَنُ ﴿ - الأسراء ١١٠ على أقوال:

القول الأول: الدعاء بمعنى التسمية (أي: سَمَّوْا) لا بمعنى النداء، فالفعل (ادْعُ) يتعدى إلى مفعولين، تقول: دعوته زيدا، ثم ترك أحدهما استغناء عنه، فيقال: دعوت زيدا، و(أو) للتخير، فيكون المعنى: أَي هَذَيْنِ الاسْمَيْنِ سَمَّيْتُمْ وَذَكَرْتُمْ ﴿ فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾، لأنه إذا حُسِنَتْ أَسْمَاؤُهُ كُلُّهَا حَسُنَ هَذَانِ الْاسْمَانِ لَأَنَّهُمَا مِنْهَا. وهذا هو قول الرَّمَحْشَرِيِّ^(١).

فالدعاء بمعنى (سَمَّوْا)، وهو يتعدى إلى مفعولين، والتقدير: سَمَّوْا رَبَّكُمْ اللَّهُ، أو سَمَّوْهُ الرَّحْمَنَ، وحذف المفعول الأول وأبقى الثاني، لدلالة المقام^(٢).

القول الثاني: الدعاء بمعنى النداء:

لأن الظاهر من أسباب التَّزْوُلِ أن الدعاء هنا قوله يا رَحْمَنُ يا رَحِيمُ، أو يا الله يا رَحْمَنُ. والمعنى: إن دعوتكم الله فهو اسمه، وإن دعوتكم الرَّحْمَنَ فهو صفته. وبه قال: ابن حَيَّان^(٣).

القول الثالث: إن كانت الآية رداً على المُشْرِكِينَ فالدعاء بمعنى التسمية، وإن كانت رداً على الْيَهُودِ فهو بمعنى النداء^(٤).

والأسماء: جمع اسم، واختلفوا في المُرَادِ بِهَا فِي الْآيَةِ عَلَى مَا يَأْتِي:

(١) تَفْسِيرُ الْكَشَافِ ج ٢ ص ٤٧٠ ونقله الرَّازِيّ فِي تَفْسِيرِهِ ج ٢١ ص ٧١ وابن حَيَّان فِي الْبَحْرِ الْمُحِيطِ ج ٦ ص ٨٦. وانظر: روح المعاني ج ٩ ص ١٢١ ونقله عن الرَّمَحْشَرِيِّ فِي ج ١٥ ص ١٩٢.

(٢) التَّخْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ ج ١٥ ص ٢٣٧.

(٣) الْبَحْرِ الْمُحِيطِ لابن حَيَّان ج ٦ ص ٨٦. وانظر: روح المعاني ج ٩ ص ١٢١ ونقله عن ابن حَيَّان وَغَيْرِهِ فِي ج ١٥ ص ١٩٢ وَالتَّخْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ ج ١٥ ص ٢٣٧.

(٤) روح المعاني ج ١٥ ص ١٩٢ وعبر عنه بـ(قيل).

القول الأول: هي الألفاظ المصنوعة الدالة على المعاني المُخْتَلَفَةِ.

وهو قول الإمام الغزالي^(١)، وبه قال الرازي^(٢) وابن عطية^(٣) ومحمد أطفيش^(٤) وجُمهُورُ الْعُلَمَاءِ^(٥).

وذلك: لأن (الحُسْنَى) تدل على أن أسماء الله تعالى هي أَحْسَنُ الأسماء وأجلُّها، لإنبائها عن أَحْسَنِ المعاني وأشرفها^(٦).

القول الثاني: الأسماء هي الصفات، كالألوهية والرحمة والعلم والخلق، ونحو ذلك من صفات الذات وصفات الفعل.

ويكون ذلك من قولهم: طار اسمه في البلاد، أي: صيته ونعته، أو شاع ذكره بالمَحَاسِنِ كالجود والشجاعة^(٧).

الحُسْنَى

اختلفوا في تفسيرها على أقوال منها:

القول الأول: الحُسْنَى: تأنيث الأحسن، وصفت بها الأسماء لأن حكمها حكم المؤنث كقولك: الجماعة الحُسْنَى^(٨).

(١) المقصد الأسنى للغزالي ص ٣٠ وروح المعاني ج ٩ ص ١٢٠ نقلاً عن الغزالي.

(٢) تفسير الرازي ج ١٥ ص ٧٠.

(٣) تفسير ابن عطية ج ٦ ص ١٥٣ ونقل الإجماع عليه.

(٤) تيسير التفسير لأطفيش ج ٤ ص ٢٦٣ وصححه.

(٥) روح المعاني ج ٩ ص ١٢١.

(٦) روح المعاني ج ٩ ص ١٢٠-١٢١.

(٧) روح المعاني ج ٩ ص ١٢١ وتيسير التفسير لأطفيش ج ٤ ص ٢٦٤.

(٨) تفسير الكشاف ج ٢ ص ٥٣٠. وانظر: تفسير ابن عطية ج ٦ ص ١٥٤ وتفسير النسفي ج ٢

ص ٣٥٧ والبحر المحييط لابن حيان ج ٦ ص ٢١٥ وروح المعاني ج ٩ ص ١٢٠ وج ١٦ ص ١٦٤

والتحرير والتنوير ج ٩ ص ١٨٦.

القول الثاني: الحُسْنَى: جمع الأَحْسَنَ^(١).

القول الثالث: الأَسْمَاءُ الحُسْنَى: الصفات العلى^(٢). وهي الوصف بالعدل والخير والإحسان وانتفاء شبه الخلق^(٣).

وحُسْنُ الأَسْمَاءِ كان بأمرين معاً:

أولهما: تَحْسِينُ الشَّرْعِ لإطلاقها والنص عليها^(٤).

والثاني: دلالتها على معاني التَّمَجِيدِ والتَّقْدِيسِ والتَّعْظِيمِ والربوبية والأفعال التي هي النِّهَايَةُ فِي الحُسْنِ، والتي لا يمكن صدورها إِلَّا مِنْهُ عَزَّ وَجَلَّ^(٥).

أقسام أسماء الله تعالى

لأَسْمَاءِ الله تعالى تقسيمات من وجوه مُخْتَلَفَةٍ منها:

التقسيم الأول: من حيث إطلاقها على غير الله تعالى، تنقسم إلى قسمين:

أولهما: ما يجوز إطلاقها على غير الله تعالى، ومنه: قولنا: الكَرِيمُ، الرَّحِيمُ، الْعَزِيزُ، اللَّطِيفُ، الْكَبِيرُ، الْخَالِقُ.

فهذه الألفاظ يجوز إطلاقها على العِبَادِ، وإن كان معناها في حق الله تعالى مغايراً

(١) تَفْسِيرُ الْمَنَارِ ج ٩ ص ٤٣١.

(٢) بَحْرُ الْعُلُومِ لِلْسَمَرْقَنْدِيِّ ج ١ ص ٥٨٤ و ج ٢ ص ٢٨٧ و ٣٣٧ و ج ٣ ص ٣٤٨ و تَفْسِيرُ النَّسْفِيِّ ج ٣ ص ٤٦٤ والنُّورُ لِلْأَصْمِ ص ٣٨٩.

(٣) تَفْسِيرُ الْكَشَّافِ ج ٢ ص ١٣٢ وشرح أسماء الله الحُسْنَى لِلرَّازِيِّ ص ٤٥.

(٤) تَفْسِيرُ ابْنِ عَطِيَّةَ ج ٦ ص ١٥٤.

(٥) تَفْسِيرُ ابْنِ عَطِيَّةَ السَّابِقِ، وَتَفْسِيرُ الْكَشَّافِ ج ٢ ص ١٣٢ و ٤٧٠ و ٥٣٠ وَتَفْسِيرُ الرَّازِيِّ ج ٢١ ص ٧١ وَتَفْسِيرُ النَّسْفِيِّ ج ٢ ص ٢٨٣ وَبَحْرُ الْمُحِيطِ لابن حَيَّان ج ٦ ص ٢١٥. وانظر: روح المعاني ج ١٥ ص ١٩٣ وَتَفْسِيرُ التَّفْسِيرِ لِأَطْفَيْش ج ٧ ص ٢٧٩ وَتَفْسِيرُ الْمَنَارِ ج ٩ ص ٤٣٢ والأَسْمَاءُ الحُسْنَى لِمُحَمَّدَ حَسَنَيْنِ مَخْلُوف ص ١٨.

لمعناها في حق العباد.

لكن قد تقيّد بقيود مخصوصة بحيث لا يمكن إطلاقها إلا في حق الله تعالى، مثل قولنا: يا أرحم الراحمين، ويا أكرم الأكرمين، ويا خالق السماوات والأرضين. والثاني: لا يجوز إطلاقها على غير الله تعالى، كقولنا: الله، الرَّحْمَنُ^(١).

التقسيم الثاني: من حيث ذكره وحده، تنقسم إلى قسمين:

أولهما: منها ما يباح ذكره وحده، كقولنا: يا الله، يا رَحْمَن، يا حي، يا حَكِيم، وأكثر الأسماء الحُسنى.

الثاني: ما لا يكون كذلك، كقولنا: مُمِيت وَصَّار. فلا يجوز إفراده بالذكر، بل يجب أن يقال: يا مُحْيِي يا مُمِيت، يا صَّار يا نَافِع^(٢). تأدباً في حقه تعالى، وتفادياً من إيهام ما لا يليق بجلاله تعالى^(٣).

فإذا قيل:

ما هي الحكمة في أنه نهى عباده عن مدح أنفسهم بقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَلَا تُرْكُوا أَنفُسَكُمْ﴾ - النجم ٣٢، مع أنه مدح نفسه بهذه الأسماء الحُسنى؟
أجيب:

بأن العبد وإن كان فيه خصال الخير فهو ناقص، وإن كان ناقصاً فلا يجوز له أن يمدح نفسه، والله سُبْحَانَهُ تام الملك والقدرة فيستوجب به المدح، فمدح نفسه ليعلم عباده فيمدحوه^(٤).

(١) تَفْسِيرُ الرَّازِي ج ١٥ ص ٧١. وانظر: روح المعاني ج ٩ ص ١٢٣ وَتَيْسِيرُ التَّفْسِيرِ لِأَطْفَيْش ج ٤ ص ٢٦٣.

(٢) تَفْسِيرُ الرَّازِي، وروح المعاني، السَّابِقَان.

(٣) الأسماء الحُسنى لِمُحَمَّدَ حَسَنَيْنِ مخلوف ص ١٩.

(٤) بَحْرُ الْعُلُومِ لِلْسَمَرْقَنْدِيِّ ج ٣ ص ٣٤٩.

عدد أسماء الله تعالى

في الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِثْلُ مِائَةٍ إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ)^(١).

وَهَذَا الْعَدَدُ التَّسْعَةُ وَالتَّسْعُونَ اسْمًا هُوَ الْمُرَادُ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى الْوَارِدَةِ بِالْآيَةِ^(٢).

وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ حَدِيثَ أَبِي هُرَيْرَةَ الَّذِي فِيهِ عَدَدُ تِلْكَ الْأَسْمَاءِ وَهُوَ:

(٣٥٠٦- حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ حَمَّادٍ الْبَصْرِيُّ. حَدَّثَنَا عَبْدُ الْأَعْلَى عَنْ سَعِيدٍ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَبِي رَافِعٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا: مِائَةً غَيْرَ وَاحِدٍ مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ.

قَالَ يُونُسُ: وَحَدَّثَنَا عَبْدُ الْأَعْلَى عَنْ هِشَامِ بْنِ حَسَّانٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمِثْلِهِ. قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وَقَدْ رُوِيَ مِنْ غَيْرِ وَجْهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

(١) حَدِيثٌ: إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا... إلخ، في: صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ في: ٥٤ كتاب الشروط، ١٨ باب ما يجوز من الاشتراط والثَّنْيَا في الإقرار، رقم ٢٧٣٦، بهذا اللفظ. وفي: ٨١ كتاب الرِّقَاق، ٦٨ باب لله مائة اسم...، رقم ٦٤١٠. وفي: ٩٧ كتاب التَّوْحِيدِ، ١٢ باب إِنَّ لِلَّهِ مِائَةَ اسْمٍ إِلَّا وَاحِدًا، رقم ٧٣٩٢. وكل هذه الروايات عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وفي صَحِيحِ مُسْلِمٍ في: ٤٨ كتاب الذِّكْرِ والدُّعَاءِ، ٢ باب في أسماء الله تعالى...، رقم ٢٦٧٧، عن أَبِي هُرَيْرَةَ. وفيه: وَزَادَ هَمَّامٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: (إِنَّهُ وَثَرٌ يُحِبُّ الْوِثْرَ).

وُسِّنَ التِّرْمِذِيُّ في: ٤٤ كتاب الدَّعَوَاتِ، ٨٢ باب، رقم ٣٥٠٦، ص ٥٥٢ عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَمَا سَيَأْتِي، وَلَفْظُهُ (... مِثْلُ مِائَةٍ غَيْرَ وَاحِدٍ...). وَأَفَاضَ ابْنُ حَجَرٍ فِي تَخْرِيجِهِ فِي فَتْحِ الْبَارِي ج ١١ ص ٢١٨ وما بعدها.

(٢) تَفْسِيرُ ابْنِ عَطِيَّةٍ ج ١٠ ص ٦ وج ١٤ ص ٣٩٤.

٣٥٠٧- حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ يَعْقُوبَ الْجُوزْجَانِيُّ، حَدَّثَنِي صَفْوَانُ بْنُ صَالِحٍ، حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، حَدَّثَنَا شُعَيْبُ بْنُ أَبِي حَمْزَةَ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ عَنْ الْأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِثْلُ غَيْرِ وَاحِدٍ، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، الرَّحْمَنُ، الرَّحِيمُ، الْمَلِكُ، الْقُدُّوسُ، السَّلَامُ، الْمُؤْمِنُ، الْمُهِيمُنُ، الْعَزِيزُ، الْجَبَّارُ، الْمُتَكَبِّرُ، الْخَالِقُ، الْبَارِئُ، الْمُصَوِّرُ، الْغَفَّارُ، الْقَهَّارُ، الْوَهَّابُ، الرَّزَّاقُ، الْفَتَّاحُ، الْعَلِيمُ، الْقَابِضُ، الْبَاسِطُ، الْخَافِضُ، الرَّافِعُ، الْمُعِزُّ، الْمُدِلُّ، السَّمِيعُ، الْبَصِيرُ، الْحَكَمُ، الْعَدْلُ، اللَّطِيفُ، الْخَبِيرُ، الْحَلِيمُ، الْعَظِيمُ، الْغَفُورُ، الشَّكُورُ، الْعَلِيُّ، الْكَبِيرُ، الْحَفِيزُ، الْمُقِيتُ، الْحَسِيبُ، الْجَلِيلُ، الْكَرِيمُ، الرَّقِيبُ، الْمُجِيبُ، الْوَاسِعُ، الْحَكِيمُ، الْوَدُودُ، الْمَجِيدُ، الْبَاعِثُ، الشَّهِيدُ، الْحَقُّ، الْوَكِيلُ، الْقَوِيُّ، الْمَتِينُ، الْوَلِيُّ، الْحَمِيدُ، الْمُحْصِي، الْمُبْدِي، الْمُعِيدُ، الْمُحْيِي، الْمُمِيتُ، الْحَيُّ، الْقَيُّومُ، الْوَاجِدُ، الْمَاجِدُ، الْوَاحِدُ، الصَّمَدُ، الْقَادِرُ، الْمُقْتَدِرُ، الْمُقَدِّمُ، الْمُؤَخِّرُ، الْأَوَّلُ، الْآخِرُ، الظَّاهِرُ، الْبَاطِنُ، الْوَالِي، الْمُتَعَالِي، الْبَرُّ، التَّوَّابُ، الْمُنتَقِمُ، الْعَفْوُ، الرَّؤُوفُ، مَالِكُ الْمُلْكِ، ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، الْمُقْسِطُ، الْجَامِعُ، الْغَنِيُّ، الْمُغْنِي، الْمَانِعُ، الضَّارُّ، النَّافِعُ، النُّورُ، الْهَادِي، الْبَدِيعُ، الْبَاقِي، الْوَارِثُ، الرَّشِيدُ، الصَّبُورُ.

قال أبو عيسى: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ، حَدَّثَنَا بِهِ غَيْرُ وَاحِدٍ عَنْ صَفْوَانَ بْنِ صَالِحٍ، وَلَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ صَفْوَانَ بْنِ صَالِحٍ، وَهُوَ ثِقَةٌ عِنْدَ أَهْلِ الْحَدِيثِ.

وَقَدْ رَوَى هَذَا الْحَدِيثَ مِنْ غَيْرِ وَجْهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَلَا نَعْلَمُ فِي كَبِيرِ شَيْءٍ مِنَ الرِّوَايَاتِ لَهُ إِسْنَادٌ صَحِيحٌ ذَكَرَ الْأَسْمَاءَ إِلَّا فِي هَذَا الْحَدِيثِ^(١).

وَهُنَاكَ أَسْمَاءٌ وَرَدَتْ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِصِيغَةِ الْأَسْمِ لَمْ تَذَكَرْ فِي رِوَايَةِ التِّرْمِذِيِّ وَهِيَ سَبْعَةٌ وَعِشْرُونَ اسْمًا:

(١) سَنَّ التِّرْمِذِيُّ فِي: ٤٤ كِتَابَ الدَّعَوَاتِ، ٨٢ بَابٍ، رَقْمَ الْحَدِيثِ ٣٥٠٦-٣٥٠٧،

الرب، الإله، الْمُحِيط، الْقَدِير، الكافي، الشاكر، الشديد، القائم، الْحَاكِم، الفاطِر، الغافر، القاهر، الْمَوْلَى، النَّصِير، الغالب، الْخَالِق، الرفيع، المليك، الْكَفِيل، الْخَلَّاق، الْأَكْرَم، الْأَعْلَى، الْمُبِين، الْحَفِي، القريب، الْأَحَد، الحافظ.

وقد ورد بعضها بالإضافة مثل: الشديد من قوله تعالى: ﴿سَيِّدُ الْعَقَابِ﴾ - البقرة ١٩٦، والرفيع من قوله تعالى: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ﴾ - غافر ١٥، والعالم من قوله تعالى: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ - الحشر ٢٢.

وذلك مثل بعض الأسماء الواردة في رواية الترمذي مثل: الْمُحْيِي من قوله تعالى: ﴿لَمْحِي الْمَوْتِ﴾ - الرُّوم ٥٠، والمَالِك من قوله تعالى: ﴿مَلِكُ الْمُلْكِ﴾ - آل عمران ٢٦، والنُّور من قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ - النُّور ٣٥.

والأسماء التي تقابل هذه مما وقع في رواية الترمذي مما لم تقع في القرآن بصيغة الاسم وهي سبعة وعشرون اسماً:

الْقَابِض، الْبَاسِط، الْخَافِض، الرَّافِع، الْمُعِزُّ، الْمُدِلُّ، الْعَدْلُ، الْجَلِيلُ، الْبَاعِثُ، الْمُحْصِي، الْمُبْدِي، الْمُعِيدُ، الْمُمِيتُ، الْوَاجِدُ، الْمَاجِدُ، الْمُقَدِّمُ، الْمُؤَخَّرُ، الْوَالِي، ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، الْمُفْسِطُ، الْمُغْنِي، الْمَانِعُ، الضَّارُّ، النَّافِعُ، الْبَاقِي، الرَّشِيدُ، الصَّبُور.

قال ابن حجر: فإذا اقتصر من رواية الترمذي على ما عدا هذه الأسماء، وأبدلت بالسبعة والعشرين التي ذكرتها خرج من ذلك تسعة وتسعون اسماً وكلها في القرآن وإرادة بصيغة الاسم، ومواضعها كلها ظاهرة من القرآن، إلا قوله (الْحَفِي) فإنه في سورة مريم في قول إبراهيم: ﴿سَأَسْتَغْفِرُكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ - مريم ٤٧.

قال: وَقَلَّ مِنْ نَبَأٍ إِلَى ذَلِكَ^(١).

(١) فتح الباري ج ١١ ص ٢٢٢.

واختلف العلّماء في العدد الوارد بالحديث، هل المراد به حصر الأسماء الحُسنى في هذا العدد أو أنها أكثر من ذلك؟ على قولين:

القول الأول: الأسماء الحُسنى محصورة بهذا العدد. وهو قول ابن حزم، بدليل:

ظاهر الحديث، فقد صحّ أنها تسعة وتسعون اسماً فقط، ولا يحل لأحد أن يُجيز أن يكون له اسمٌ زائدٌ، لأنه عليه السّلام قال: (مائة غير واحد)، فلو جاز أن يكون له تعالى اسمٌ زائدٌ لكانت مائة اسمٍ، ولو كان هذا لكان قوله ﷺ: (مائة غير واحد) كذباً، ومن أجاز هذا فهو كافراً^(١).

القول الثاني: الأسماء أكثر من هذا العدد المذكور، وهو قول الجُمهور، ونص عليه الخطّابي والباقلاني وابن العربي، ونقل النووي اتفاق العلّماء عليه، وذكر أنه ليس في الحديث حصر أسماء الله تعالى، وليس معناه أنه ليس له اسم غير هذه التسعة والتسعين، وإنما مقصود الحديث هو أن من أحصى هذه الأسماء دخل الجنة، فالمراد الإخبار عن دخول الجنة بإحصائها، لا الإخبار بحصر الأسماء. بدليل:

أ- حديث ابن مسعود: (أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علّمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك).

ب- أكثر الأسماء صفات، وصفات الله لا تتناهى^(٢).

(١) علم الكلام لابن حزم ص ٦٧ وفتح الباري ج ١١ ص ٢٢٤ والأسنى للقرطبي ص ٣٦.

(٢) فتح الباري ج ١١ ص ٢٢٣-٢٢٤. وانظر كلام النووي في شرحه على صحيح مسلم ج ١٧ ص ٨، ومثله في تحفة الأخوذي ج ٢ ص ٢٦٠ والمقصد الأسنى للغزالي ص ١٤٧-١٤٨. وإلى هذا القول ذهب أطفيش في تيسير التفسير ج ٤ ص ٢٦٤. ورجح هذا القول الألوسي في روح المعاني ج ٩ ص ١٢٣-١٢٤. وانظر: الأسنى للقرطبي السابق.

وحديث ابن مسعود: أسألك بكل اسم... إلخ: أخرجه أحمد وصحّحه ابن حبان. / فتح الباري السابق.

وورد في معنى قوله ﷺ: (أحصاها) أقوال منها:

١ - عَدَّهَا وحفظها، وتضمن ذلك الإيمان بها والتَّعْظِيمُ لها والرغبة فيها والعبرة في معانيها.

وهو ما ورد في إحدى روايات حَدِيثِ الْبُخَارِيِّ^(١): (... لا يحفظها أحد إلا دخل الجنة...) (ورواية لمُسلم: (... من حفظها دخل الجنة...)).
وصَحَّحَهُ النَّوَوِيُّ^(٢). وهو قول أكثر المحققين^(٣).

٢ - عَدَّهَا حتى استوفاهما، أي: أن لا يقتصر على بعضها لكن يدعو الله بها كلها، ويشني عليه بجمعها.

٣ - أطاقها، أي: من أطاق القيام بحق هذه الأسماء والعمل بمقتضاها، وهو أن يعتبر معانيها فيلزم نفسه بواجبها.

فإذا قال العبد: (الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ) علم أنه لا يجد الرحمة إلا منه،
وإذا قال العبد: (الملك)، علم أن كل الممكنات ملكه، ويعامل ربه كما يعامل العبد
الذليل الملك العزيز.
وإذا قال العبد: (الرازق)، علم أنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هو المتكفل برزقه فيثق
بوعده.

وإذا قال العبد: (الْمُنْتَقِمُ)، يستشعر الخوف من نقمته، وهكذا سائر الأسماء.

(١) تَفْسِيرُ ابْنِ عَطِيَّةٍ ج ٦ ص ١٥٦. ونقله ابن حَجَرٍ فِي فَتْحِ الْبَارِي ج ١١ ص ٢٢٩.
وَرِوَايَةُ الْبُخَارِيِّ فِي حَدِيثٍ رَقْم ٦٤١٠، وَرِوَايَةُ مُسْلِمٍ فِي حَدِيثٍ رَقْم ٢٦٧٧، وَتَقَدَّمَا
أَنفَاءً.

(٢) شَرْحُ صَحِيحِ مُسْلِمٍ لِلنَّوَوِيِّ ج ١٧ ص ٨.

(٣) تَيْسِيرُ التَّفْسِيرِ لِأَطْفَيْشٍ ج ٤ ص ٢٦٤ وَتُخْفَةُ الْأَحْوَذِيِّ ج ٢ ص ٢٦٠.

٤ - أحاط بمعانيها^(١).

فإذا وصف العبد ربه بأنه (الملك) استحضر في عقله أقسام ملك الله تعالى وملكوته.

وإذا قال العبد: (القُدُّوس) استحضر في عقله كونه مقدساً في ذاته وصفاته وأفعاله وأحكامه وأسمائه عن كل ما لا ينبغي... وهكذا^(٢).

٥ - عَمِلَ بها، فإذا قال: (الحَكِيم) مثلاً سَلَّمَ جميع أوامره، لأن جميعها على مُقْتَضَى الحكمة.

قال الأصِيلِيّ: ليس المراد بالإحصاء عدّها فقط، لأنه قد يعدّها الفاجر، وإنما المراد العمل بها^(٣).

التوقيف في أسماء الله تعالى

اتفق العلماء على جواز إطلاق الأسماء والصفات على الباري عزَّ وجلَّ إذا ورد بها الإذن من الشارع.

وعلى امتناعه إذا ورد المنع منه.

واختلفوا حيث لا إذن ولا منع في جواز إطلاق ما يتصف الله سبحانه بمعناه، ولم

(١) فَتَحُ الْبَارِي ج ١١ ص ٢٢٨-٢٢٩، وَشَرْحُ صَحِيحِ مُسْلِمٍ لِلنَّوَوِيِّ السَّابِق. وانظر: شَرْحُ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى لِلرَّازِي ص ٧٩-٨٠ وَتُحْفَةُ الْأَخْوَذِيِّ ج ٢ ص ٢٦٠ وَلَوَائِعُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ١ ص ١٢٧.

(٢) شَرْحُ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى لِلرَّازِي ص ٧٩.

(٣) فَتَحُ الْبَارِي ج ١١ ص ٢٢٩ وسرد أقوالاً أخرى. وانظر: أُصُولُ الدِّينِ لِلْبَغْدَادِيِّ ص ١٢١ وَشَرْحُ صَحِيحِ مُسْلِمٍ لِلنَّوَوِيِّ السَّابِق، وَتَيْسِيرُ التَّفْسِيرِ لِأَطْفَيْشٍ ج ٤ ص ٢٦٤ وَتُحْفَةُ الْأَخْوَذِيِّ ج ٢ ص ٢٦٠ وَالْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى لِمُحَمَّدٍ حَسَنِينَ مَخْلُوف ص ٢١. وانظر معاني (أحصاها) أيضاً في: الْأَسْنَى لِلْقُرْطُبِيِّ ص ٣٢ و ١٠١.

يكن من الأسماء الأعْلَامِ الموضوعة في سائر اللُّغَات، ولم يكن إطلاقه موهماً نقصاً بل كان مشعراً بالمدح^(١).

أي اختلفوا في الأسماء الحُسْنَى هل هي توقيفية؟ بمعنى أنه لا يجوز لأحد أن يشتق من الأفعال الثَّابِتة لله أسماء، إلا إذا ورد نص في الكتاب والسُّنَّة^(٢)، على أقوال منها:

القول الأول: إنها توقيفية.

وهو ما ذهب إليه الإمام أبو الحَسَن الأشْعَرِيُّ^(٣)، وهو المَذْهَب عند الأشاعرة^(٤)، وصَوَّبَه ابن عَطِيَّة^(٥)، ونقل عن أبي القَاسِمِ القُشَيْرِيِّ والزَّجَّاج^(٦)، ورجَّحه ابن حَجَر^(٧)، وبه قال أبو مَنْصُور المَآثِرِي^(٨)، والمَآثِرِيَّة^(٩).

(١) روح المعاني ج ٩ ص ١٢١، ونقل فيه أيضاً ما يفيد هذا عن أرباب الأفكار للأُمِدِيِّ.

(٢) فَتْحُ الْبَارِي ج ١١ ص ٢٢٦.

قال السَّفَّارِينِيُّ في لَوَامِعِ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ١ ص ١٢٥: (التوقيفي: ما ورد به كتاب، أو سُنَّة صَحِيحَةٌ أو حَسَنَةٌ، أو إجماع، لأنه لا يخرج عنها، أما السُّنَّة الضعيفة والقياس فلا يثبت بها، لأن المسألة من العِلْمِيَّات). وأورد البَاجُورِيُّ ذَلِكَ، وفسر العِلْمِيَّات بقوله: (أي: الاعتقاديَّات بحيث يعتقد أن ذَلِكَ الاسم من أسمائه تعالى). / شَرَحَ جَوْهَرَةُ التَّوْحِيدِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ١٥٤.

(٣) الْمَقْصَدُ الْأَسْنَى لِلْغَزَالِيِّ ص ١٥٤ وَتَفْسِيرُ ابن عَطِيَّة ج ٦ ص ١٥٤ وَالتَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ ج ٩ ص ١٨٨ عن ابن عَطِيَّة.

(٤) شَرَحَ أسماء الله الحُسْنَى لِلرَّازِيِّ ص ٣٣ وفيه: (مَذْهَبُ أَصْحَابِنَا). ونقله عنه ابن حَجَر في فَتْحِ الْبَارِي ج ١١ ص ٢٢٦ بلفظ: (المشهور عن أصحابنا).

(٥) تَفْسِيرُ ابن عَطِيَّة السَّابِق.

(٦) فَتْحُ الْبَارِي ج ١١ ص ٢٢٦.

(٧) فَتْحُ الْبَارِي السَّابِق.

(٨) التَّوْحِيدُ لِلْمَآثِرِيَّةِ ص ٣٨ و ٣٨.

(٩) أُصُولُ الدِّينِ لِلْغَزَالِيِّ ص ١٨٠ وفيه: (وأسماء الله عَزَّ وَجَلَّ تؤخذ توقيفاً، ولا يجوز أخذها قياساً).

والجُمهور^(١)، والفقهاء^(٢)، وبه قال الإباضية^(٣).

قال صاحب الجَوْهَرَة:

واخْتِيرَ أَنَّ اسْمَهُ تَوْقِيفِيهِ كذا الصفاتُ، فاحفظ السَّمْعِيَّةَ^(٤)

وَحُجَّةُ هَذَا الْقَوْل:

أ- قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ - الأعراف ١٨٠، وهو يدلُّ على أنه تعالى حصلت له أسماء حَسَنَة، وأنه يجب على الإنسان أن يدعو الله بها^(٥).

ب- يجوز أن يقال: يا جواد، ولا يجوز أن يقال: يا سَخِيّ، ويجوز أن يقال: يا عَالِم، ولا يجوز أن يقال: يا عاقل يا طيب يا فقيه^(٦) يا فاهم يا لَيْب يا عارف، مع أنها مُرَادِفَة لعالم في اللُّغة، وهذا يفيد أن الاستعمال توقيفي متوقف على الإذن به^(٧).

ج- الشرط في جواز إطلاق الاسم على الله تعالى - وهو أن يكون مدحاً خالصاً لا شبهة فيه ولا اشتراك - أمرٌ لا يحسنه إلا الأقل من أهل العلوم، فإذا أبيح ذلك تسوّر عليه من يظن بنفسه أنه يحسن وهو لا يحسن، فعندئذ يدخل في أسماء الله تعالى ما لا يجوز بالإجماع^(٨).

(١) تَفْسِيرُ ابْنِ عَطِيَّة ج ٦ ص ١٥٤ وَلَوَامِعُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّة ج ١ ص ١٢٥ وَشَرْحُ الْجَوْهَرَة لِلْبَاجُورِيِّ ص ١٥٤.

(٢) تَفْسِيرُ ابْنِ عَطِيَّة السَّابِق، وَنَقَلَهُ أَيْضاً عَنْ الْقَاضِي أَبِي مُحَمَّدٍ فِي ج ٩ ص ٢٢٠.

(٣) تَيْسِيرُ التَّفْسِيرِ لِأَطَقَيْش ج ٤ ص ٢٦٤ وَمَسَارِقُ أَنْوَارِ الْعُقُول ج ١ ص ٣٤٠، وَنَقَلَهُ الْجَعْبِيَّزِيُّ فِي الْبُعْدِ الْحَضَارِيِّ ص ٢٢٢ عَنْ التَّلَاتِي وَالْمُحْشِي.

(٤) شَرْحُ الْجَوْهَرَة لِلْبَاجُورِيِّ ص ١٥٤.

(٥) تَفْسِيرُ الرَّازِيِّ ج ١٥ ص ٧٤.

(٦) تَفْسِيرُ الرَّازِيِّ السَّابِق.

(٧) شَرْحُ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى لِلرَّازِيِّ ص ٣٣.

(٨) تَفْسِيرُ ابْنِ عَطِيَّة ج ٦ ص ١٥٤.

القول الثاني: إذا دل العقل على أن معنى اللفظ ثابت في حق الله تعالى جاز إطلاقه على الله.

وهو قول الْمُعْتَزَلَةِ وَالْكَرَامِيَّةِ^(١). وَالْفَلَّاسِيَّةِ^(٢). ومال إليه القاضي أبو بكر الباقلاني بحجة:

شيوخ إطلاق نحو خدا (وهو الله تعالى بالفارسية)، وتكري (وهو الله بالتركية) من غير نكير فكان إجماعاً^(٣).

فأهل كل لغة يسمونه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِاسْمِ مُخْتَصَّ بِلُغَتِهِمْ، كَقَوْلِهِمْ (خدای)، وشاع من غير نكير.

ورد هذا: بأنه لو ثبت لكان كافياً في الإذن الشرعي^(٤).

(١) فَتَحَ الْبَارِي ج ١١ ص ٢٢٦ وَشَرَحَ أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحُسْنَى لِلرَّازِي ص ٣٣ وَرُوحُ الْمَعَانِي ج ٩ ص ١٢١ وَتَفْسِيرُ الْمَنَارِ ج ٩ ص ٤٤٤. وَانْظُرْ: لَوَامِعُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ١ ص ١٢٥ وَشَرَحَ الْجَوْهَرَةَ لِلْبَاجُورِيِّ ص ١٥٤ وَكِلَاهُمَا عَنِ الْمُعْتَزَلَةِ.

(٢) تَفْسِيرُ الْمَنَارِ السَّابِقِ.

(٣) رُوحُ الْمَعَانِي ج ٩ ص ١٢١-١٢٢ وَشَرَحَ أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحُسْنَى لِلرَّازِي ص ٣٣ وَرَوَى الْأَلُوسِيُّ عَنِ الْبَاقِلَانِيِّ أَيْضاً التَّوَقُّفَ، وَنَقَلَ تَفْصِيلاً لِقَوْلِهِ عَنْ شَرْحِ الْمَوَاقِفِ بِمَا يَخَالِفُ الْمُعْتَزَلَةَ.

إِلَّا أَنَّ ابْنَ حَجَرَ فِي فَتْحِ الْبَارِي ج ١١ ص ٢٢٦ نَقَلَ قَوْلَ الْبَاقِلَانِيِّ مِثْلَ قَوْلِ الْغَزَالِيِّ وَهُوَ التَّفْصِيلُ. لَكِنْ الْغَزَالِيُّ فِي الْمَقْصَدِ الْأَسْنَى ص ١٥٤ ذَكَرَ أَنَّ الَّذِي مَالَ إِلَيْهِ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ أَنَّ الصِّفَاتِ وَالْأَسْمَاءِ الْمَطْلُوقَةَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى تَجُوزُ بِطَرِيقِ الْعَقْلِ إِلَّا مَا مَنَعَ مِنْهُ الشَّرْعُ أَوْ أَشْعَرَ بِمَا يَسْتَحِيلُ مَعْنَاهُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى. فَأَمَّا مَا لَا مَانِعَ فِيهِ فَإِنَّهُ جَائِزٌ.

وَأَشَارَ إِلَى مِيلِ الْبَاقِلَانِيِّ: السَّفَارِينِيُّ فِي لَوَامِعِ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ١ ص ١٢٥ وَالْبَاجُورِيُّ فِي شَرْحِ الْجَوْهَرَةِ ص ٨٩.

(٤) لَوَامِعُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ السَّابِقِ.

القول الثالث: التفصيل. وهو قول الغزاليّ. فجاز إطلاق الصفة وهو ما دل على معنى زائد على الذات، وامتنع إطلاق الاسم وهو ما يدلّ على نفس الذات^(١). وقال الرّازي: هو المُختار^(٢).

وحجّة هذا القول هي:

الاتفاق على أنه لا يجوز لنا أن نسمي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ باسم لم يسمه به أبوه ولا سمي به نفسه وكذا كل كَبِيرٍ من الخلق، قال: فإذا امتنع ذلك في حق المخلوقين فامتناعه في حق الله أولى^(٣).

معنى الإلحاد في قوله تعالى: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ - الأعراف: ١٨٠:

الإلحاد لغة: الانحراف والميلان، ومنه: لَحَدَ القبر: المائل إلى أحد شقيه^(٤).

والإلحاد في أسماء الله تعالى يقع على عدة أوجه منها:

١ - إطلاق أسماء الله تعالى المقدسة على غير الله تعالى، كتسمية الكفار أو ثنائهم بالآلهة.

وتسميتهم الأصنام بـ(اللات) حيث اشتقوها من الإله، و(العزى) من العزير،

(١) المَقْصِدُ الْأَسْنَى لِلْغَزَالِيِّ ص ١٥٤. وذكر قول الغزاليّ في: روح المعاني ج ٩ ص ١٢٢ وتفسير المنار ج ٩ ص ٤٤٤ وأشار إلى الألويسي، ولوامع الأنوار البهيّة ج ١ ص ١٢٥ وشرح الجوهرة للباجوريّ ص ١٥٤.

(٢) شرح أسماء الله الحُسنى للرازيّ ص ٣٣ قال: (واختيار الشيخ الغزاليّ أن الأسماء موقوفة على الإذن، وأما الصفات فغير موقوفة على الإذن، وهذا هو المختار).

(٣) فتح الباري ج ١١ ص ٢٢٦.

(٤) بحر العلوم للسمرقنديّ ج ١ ص ٥٨٥ وشرح أسماء الله الحُسنى للرازيّ ص ٤٥ وتفسير ابن عطية ج ٦ ص ١٥٦-١٥٧ وروح المعاني ج ٩ ص ١٢١.

و(مَنَاءة) من المَنَان.

وكان مُسَيَّلِمَةً يسمي نفسه ب(الرَّحْمَن) ^(١).

٢- أن يسموا الله تعالى بما لا يجوز تسميته به، كتسميته بما يوهم معنى فاسداً، مثل: يا أبيض الوجه، يا سَخِيٍّ، ونحو ذلك ^(٢).

فلا يطلق عليه:

الزارع، وإن ورد فيه قوله تعالى: ﴿أَنْتُمْ تَرْعَوْنَهُ، أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ - الواقعة ٦٤.

والرامي، وإن ورد فيه قوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَكُنَّ اللَّهُ رَمِيًّا﴾ - الأنفال ١٧.

والمستهزئ، وإن ورد فيه قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ - البقرة ١٥.

والمأكر، وإن ورد فيه قوله تعالى: ﴿وَمَكْرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ﴾ - آل عمران ٥٤ ^(٣).

فيقول: يا جواد، ولا يقول: يا سَخِيٍّ، لأنه لم يسم به نفسه.

ويقول: يا قَوِيٍّ، ولا يقول: يا شُجَاعٍ ^(٤).

ويقول: يا عَالِمٍ، ولا يقول: يا عارف، يا فقيه، يا عاقل، يا لَبِيبٍ، يا فَطِنٍ، يا مُدْرِكٍ، مع أنها مُرَادِفَةٌ لُغَةً لَعَالِمٍ ^(٥).

(١) تَفْسِيرُ الرَّازِيِّ ج ١٥ ص ٧٥ وشرح أسماء الله الحُسْنَى للرازِي ص ٤٦ وتَفْسِيرُ ابْنِ عَطِيَّة السَّابِقِ، وَتَفْسِيرُ التَّفْسِيرِ لِأَطْفَيْش ج ٤ ص ٢٦٥ وتَفْسِيرُ الْمَنَار ج ٩ ص ٤٤٢ وَلَوَامِعُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّة ج ١ ص ١٢٨.

(٢) روح المعاني ج ٩ ص ١٢١. وهو في تَفْسِيرِ الْكَشَاف ج ٢ ص ١٣٢. وانظر: تَفْسِيرُ النَّسْفِيِّ ج ١ ص ٦٢٠.

(٣) روح المعاني ج ٩ ص ١٢٢.

(٤) بَحْرُ الْعُلُومِ لِلْسَمَرْقَنْدِيِّ ج ١ ص ٥٨٥ ونقل رأي الزَّجَّاج. وانظر: تَفْسِيرُ الرَّازِيِّ ج ١٥ ص ٧٤ والنُّورُ لِلْأَصْم ص ٤٥٤.

(٥) الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى لِمُحَمَّدٍ حَسَنَيْنِ مَخْلُوف ص ٢٢.

لأن اسم (جواد، وقوي، وعالم) وردت ضمن الأسماء الحُسنى، أما ما قابلها من الأسماء فلم يسم الله بها نفسه.

وما ورد في اصطلاح المتكلمين من أسماء يطلقونها على الله تعالى مثل: (الواجب، واجب الوجود، الموجود، الصانع، المتقن، المذكور، الذات، المعلوم، الحقيقة، الشيء، الثابت...)، فهي ليست من أسماء الله الحُسنى، وفي الإخبار بها عن الله تعالى تفصيل:

أ- إن كان المقصود أنه تعالى في نفسه واجب وذات... إلخ فهو كذلك بلا شك ولا شبهة، فنقول: إن الله واجب الوجود، وذات، وموجود، وهو صانع كل شيء، ومتقن لكل ما خلقه....

وعليه يجوز الإخبار بهذه الصفات عنه تعالى.

ب- وإن كان المقصود هو المناذاة بهذه الألفاظ، فلا يجوز ذلك في الدعاء والنداء. لأن السلف كانوا يقولون: يا الله، يا رحمن، يا رحيم... إلى سائر الأسماء الشريفة، ولم يُسمع أن أحداً منهم قال: يا ذات، يا حقيقة، يا مَعلوم، يا مفهوم، اغفر لي.

فكان الامتناع عن مثل هذه الألفاظ في معرض النداء والدعاء واجباً لله تعالى^(١).

معاني بعض أسماء الله الحُسنى

الله: اتفق العلماء الذين تكلموا في معاني أسماء الله الحُسنى، أن ما سوى لفظة (الله) من أسماء الله سبحانه وتعالى هو من باب الصفات المشتقة.

واختلفوا في اشتقاق لفظة (الله) على قولين:

أولهما: إنها لفظة غير مشتقة من شيء أصلاً، بل هو اسم علم انفرد به الحق سبحانه،

(١) تفسير الرازي ج ١٥ ص ٧٣ وتفسير المنار ج ٩ ص ٤٤٣. وذكر الألويسي في روح المعاني ج ٩ ص ١٢٢: (ومن الثابت بالإجماع: الصانع والموجود والواجب والقديم، قيل: والعلّة...).

كأَسْمَاءِ الْأَعْلَامِ. وهو قول: الشَّافِعِيِّ وَأَبِي حَنِيفَةَ وَالْحُسَيْنِ بْنِ الْفَضْلِ الْبَجَلِيِّ وَالْقَفَّالِ الشَّاشِيِّ وَالْخَطَّابِيِّ وَأَبِي يَزِيدَ الْبَلْخِيِّ وَالْغَزَالِيِّ وَأَكْثَرَ الْمُحَقِّقِينَ، واختاره الرَّازِيُّ. وهو أحد قولِي الْخَلِيلِ، وَسَيَّبَوَيْهِ، وَالْمُبَرِّدِ^(١)، وبه قال الْإِبَاضِيَّةُ^(٢)، وَصَحَّحَهُ الْجَوَيْنِيُّ^(٣).

ومن حجج هذا القول:

قوله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ - مريم ٦٥، أي: ليس في الوجود شيء يسمى باسم الله إلا الله، فثبت أن هذا اللفظ اسم، ولو كان مشتقاً لما كان اسماً بل كان صفة. ومن العرف، أن يقال: الملك الْقُدُّوسُ السَّلَامُ اسماً لله تعالى، ولا يقال: الله اسم للملك الْخَالِقِ الْبَارِئِ^(٤).

القول الثاني: هي لفظة من الأسماء المشتقة.

وهو قول جُمْهُورِ الْمُعْتَزِلَةِ وكثير من الْأَدْبَاءِ^(٥).

ومن حججهم:

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ - الأعراف ١٨٠، فيه الحكم بأن أسماءه موصوفة بِالْحُسْنِ، والاسم إنما يكون حَسَنًا إذا كان المسمى به كذَلِكَ، والمسمى إنما يكون حَسَنًا بحسب صفاته لا بحسب ذاته، فوجب أن تكون جميع أسماء الله تعالى دالة على صفاته لا على ذاته.

(١) شَرَحَ أَسْمَاءَ اللَّهِ الْحُسْنَى لِلرَّازِيِّ ص ١٠٦. وانظر قول الْغَزَالِيِّ فِي كِتَابِهِ الْمَقْصَدُ الْأَسْنَى ص ٦٠.

(٢) النُّورُ لِلْأَصْمِ ص ٢٨٩ قال: وَأُظِنَ هَذَا الَّذِي يَذْهَبُ إِلَيْهِ أَصْحَابُنَا.

(٣) الْإِرْشَادُ لِلْجَوَيْنِيِّ ص ١٤٤.

(٤) شَرَحَ أَسْمَاءَ اللَّهِ الْحُسْنَى لِلرَّازِيِّ ص ١٠٧. وانظر: النُّورُ لِلْأَصْمِ السَّابِق.

(٥) شَرَحَ أَسْمَاءَ اللَّهِ الْحُسْنَى لِلرَّازِيِّ ص ١٠٦.

وأُجيب بما يأتي:

إن الأسماء في الآية أُضيفت إلى الله تعالى، فوجب أن يكون هَذَا الاسم خارجاً عنها.

والاسم إنما يحسن لأن مسماه شَرِيف، فهذا الاسم المسمى به هو الذات، فوجب أن يكون أَشْرَف الأسماء^(١).

وأصحاب هَذَا القول اختلفوا في اشتقاق لفظة (الله) على أقوال منها:

١ - مشتقة من أَلِه الرجل إلى الرجل يَأْلُهُ إليه، إذا فَرَعَ إليه من أمر نزل به. وَالْهَهُ أي: أَجَارَهُ وَآمَنَهُ، فيسمى إلهاً كما يسمى الرجل إماماً إذا أَمَّ الناس.

ولما كان اسماً لِعَظِيم، فَخَمَّوه بِالِ التعريف فقالوا: الإلاه، ثم استثقلوا الهمزة في كلمة يكثر استِعْمَالُهَا، لأن للهمزة في وسط الكلمة ضغطة شديدة، فحذفوها، فصار الاسم (الله) كما نزل في القرآن.

وهو قول الْحَارِثِ الْمُحَاسِبِيِّ وغيره.

٢ - مشتقة من لاه يلوه إذا ارتفع، والحق سُبْحَانَهُ مرتفع لا بالمكان.

٣ - مشتقة من التَّأَلَّه وهو التعبد، يقال: أَلِه يَأْلُهُ إلهة، أي: عَبْدٌ يَعْبُدُ عِبَادَةً. ولما كان الْبَارِي مَعْبُوداً حَقِيقَةً سُمِّيَ إلهاً^(٢).

وثمره هَذَا الاسم في الإنسان هي التَّأَلُّه، أي أن يكون مستغرق القلب والهمة بالله

(١) شَرَحَ أسماء الله الحُسنى للِرَّازِي ص ١٠٨-١٠٩.

(٢) شَرَحَ أسماء الله الحُسنى للِرَّازِي ص ١٠٩-١١٧ وفيه ذكر وجوهاً أخرى لاشتقاق اللفظة. وانظر: الإِزْشَادُ لِلْجَوْنِيِّ ص ١٤٥ والنُّورُ لِلْأَصْمِ ص ٢٨٩ والقَامُوسُ الْمُحِيطُ، والمُصْبَاحُ الْمُنِيرُ، وكلاهما في مادة (أله)، والأَسْنَى لِلْقُرْطُبِيِّ ص ٢٨٨.

تعالى، لا يرى غيره، ولا يرجو ولا يخاف إلا إياه^(١).

الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ: اسمان مشتقان من الرحمة^(٢)، وهما من أبنية المبالغة^(٣).

والرَّحْمَنُ أخص من الرَّحِيمِ، ولذلك لا يسمى به غير الله تعالى، والرَّحِيمُ قد يطلق على غيره، فيقال: رجل رَحِيمٌ، ولا يقال: رَحْمَنٌ.

فهو من هذا الوجه قريب من اسم الله الجاري مجرى العَلَمِ، وإن كان هذا مشتقاً من الرحمة، ولذلك جمع الله بينهما بقوله: ﴿قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ - الإسراء ١١٠^(٤).

وقيل: الرَّحْمَنُ هو رَحْمَنُ جميع الخلق في الدنيا والآخرة، والرَّحِيمُ: بالمؤمنين خاصة^(٥).

وثمره اسم الرَّحْمَنِ في الإنسان هي أن يرحم عباد الله الغافلين فينصحبهم باللطف، وأن ينظر إلى العصاة بعين الرحمة لا بعين الإيذاء، وأن لا يألو جهداً في إزالة المعاصي رحمة بالعصاة.

وثمره اسم الرَّحِيمِ فيه أن لا يدع فاقةً لمحتاج إلا يسدّها بقدر طاقته بهاله أو جاهه، فإن عجز عن ذلك فيعينه بالدعاء، ويعطف عليه حتى يبدو أنه مساهم في دفع ضره^(٦).

(١) المَقْصَدُ الْأَسْنَى لِلْغَزَالِيِّ ص ٦٠.

(٢) المَقْصَدُ الْأَسْنَى لِلْغَزَالِيِّ ص ٦١. وانظر: شَرْحُ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى لِلرَّازِيِّ ص ١٥٠ - ١٦٩.

(٣) تُحْفَةُ الْأَخْوَذِيِّ ج ٢ ص ٢٦٠.

(٤) المَقْصَدُ الْأَسْنَى لِلْغَزَالِيِّ السَّابِق. وانظر: النُّورُ لِلأَصْمِ ص ٢٩١ وتُحْفَةُ الْأَخْوَذِيِّ السَّابِق.

(٥) النُّورُ لِلأَصْمِ السَّابِق.

(٦) المَقْصَدُ الْأَسْنَى لِلْغَزَالِيِّ ص ٦٢.

الْقُدُّوسُ: الطاهر المنزه عن العيوب، وفُعُول من أبنية المُبَالِغَةِ^(١).

الْمُؤْمِنُ: هو الذي يُعَزَى إليه الأمان والأمان بإفادته أسبابه، وسده طرق المخاوف.

والمُؤْمِنُ المطلق هو الذي لا يتصور أمان وأمان إلا ويكون مُسْتَفَاداً من جهته، وهو الله تعالى^(٢).

وهو مأخوذ من:

أ- الإيمان بمعنى التَّصَدِيقِ، أي: صدق أنبياءه بإظهار المعجزة، وصدق عِبَادَه ما وعدهم به من الثواب.

ب- الإيمان بمعنى الأمان والأمان ضد الخوف، أي: يؤمنهم يوم القيامة من عذابه^(٣).

الْمُهِيمِنُ: القائم على خلقه بأَعْمَالِهِمْ وَأَرْزَاقِهِمْ وَأَجَالِهِمْ، وإنما قيامه عليهم باطلاعه، واستيلائه، وحفظه. والاطلاع يعود إلى العلم، والاستيلاء إلى كَمَالِ القدرة، والحفظ إلى العقل، والجامع بين هَذِهِ المعاني اسمه الْمُهِيمِنُ، ولن يجمع ذَلِكَ على الكَمَالِ إِلَّا اللهُ تعالى^(٤).

فَالْمُهِيمِنُ هو الرَّقِيبُ المبالغ في المُرَاقَبَةِ والحفظ^(٥).

أو هو الشَّاهد، لأنه تعالى شَاهد على خلقه بما يصدر منهم من قول أو فعل. أو هو

(١) تُحْفَةُ الْأَخُوذِيِّ السَّابِقِ. وهو في شَرْحِ أَسْمَاءِ اللهِ الْحُسْنَى لِلرَّازِيِّ ص ١٨١، وقارن بما قاله الإمام الغزالي في الْمَقْصَدِ الْأَسْنَى ص ٦٥ والقُرْطُبِيِّ فِي الْأَسْنَى ص ٢٢٩.

(٢) الْمَقْصَدُ الْأَسْنَى لِلْغَزَالِيِّ ص ٦٧.

(٣) تُحْفَةُ الْأَخُوذِيِّ ج ٢ ص ٢٦٠ وشرح أسماء الله الحُسنى للرازى ص ١٨٥ والنور للأصم ص ٢٩٧.

(٤) الْمَقْصَدُ الْأَسْنَى لِلْغَزَالِيِّ ص ٦٩.

(٥) تُحْفَةُ الْأَخُوذِيِّ ج ٢ ص ٢٦٠.

الْحَدِيثُ الْمَشْفُوقُ^(١).

الْعَزِيزُ: الْغَالِبُ الَّذِي لَا يُغْلَبُ. وَمِنْهُ قَوْلُ الْعَرَبِ: مَنْ عَزَّ بَزَّ، أَيُّ: مَنْ غَلَبَ سَلَبَ^(٢).

وَقَالَ الْغَزَالِيُّ: هُوَ الَّذِي يَقِلُّ وَجُودُ مِثْلِهِ، وَتَشْتَدُّ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ، وَيَصْعَبُ الْوُصُولُ إِلَيْهِ. فَمَا لَمْ يَجْتَمِعْ عَلَيْهِ هَذِهِ الْمَعَانِي الثَّلَاثَةُ لَمْ يُطْلَقْ عَلَيْهِ اسْمُ الْعَزِيزِ^(٣).

الرِّزَّاقُ: هُوَ الَّذِي خَلَقَ الْأَرْزَاقَ، وَأَعْطَى الْخَلَائِقَ أَرْزَاقَهَا.

وَالرِّزْقُ نَوْعَانِ: رِزْقُ ظَاهِرٍ: وَهُوَ الْأَقْوَاتُ وَالْأَطْعِمَةُ، وَهِيَ لِلْأَبْدَانِ. وَرِزْقُ بَاطِنٍ: وَهُوَ الْمَعَارِفُ وَالْعُلُومُ، وَهِيَ لِلْقُلُوبِ^(٤).

الْحَكَمُ: هُوَ الْحَاكِمُ الَّذِي لَا رَادَّ لِحُكْمِهِ، وَلَا مَعْقَبَ لِقَضَائِهِ.

وَتَمْرَةٌ هَذَا الْاسْمُ فِي الْإِنْسَانِ هِيَ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ الْقَلَمَ قَدْ جَفَّ بِمَا هُوَ كَاتِنٌ، وَأَنَّ الْأَسْبَابَ قَدْ تَوَجَّهَتْ إِلَى مَسَبِّاتِهَا.

فَاللَّهُ قَدَّرَ الْمُسَبَّبَ وَقَدَّرَ لَهُ سَبَبَهُ، فَإِذَا جَرَى سَبَبُهُ كَانَ حُصُولُ الْمُسَبَّبِ وَاجِبًا، بِقَدَرِ مَعْلُومٍ لَا يَزِيدُ وَلَا يَنْقُصُ.

فَإِذَا عَلِمَ الْإِنْسَانُ أَنَّ الْمَقْدُورَ كَاتِنٌ، أَصْبَحَ فِي رِزْقِهِ مُجْمِلًا فِي الطَّلَبِ، مَطْمَئِنِّ النَّفْسِ، غَيْرَ مُضْطَرِّبِ الْقَلْبِ^(٥)، وَيَصِيرُ مَشْغُولَ الْقَلْبِ بِأَنَّهُ مَا يَصِيبُهُ إِلَّا الَّذِي جَرَى

(١) شَرَحَ أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحُسَيْنِيُّ لِلرَّازِيِّ ص ١٨٨. وَانْظُرْ: تُحْفَةُ الْأَخُوذِيِّ السَّابِقِ، وَالنُّورُ لِلْأَصْمِ ص ٢٩٨.

(٢) أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحُسَيْنِيُّ لِلرَّازِيِّ ص ١٩٠ وَتُحْفَةُ الْأَخُوذِيِّ ج ٢ ص ٢٦١ وَالنُّورُ لِلْأَصْمِ ص ٢٩٩.

(٣) الْمَقْصِدُ الْأَسْنَى لِلْغَزَالِيِّ ص ٦٩. وَانْظُرْ: الْأَسْنَى لِلْقُرْطُوبِيِّ ص ٢٠٤.

(٤) الْمَقْصِدُ الْأَسْنَى لِلْغَزَالِيِّ ص ٧٩ وَتُحْفَةُ الْأَخُوذِيِّ السَّابِقِ. وَانْظُرْ: شَرَحَ أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحُسَيْنِيُّ لِلرَّازِيِّ ص ٢٢١.

(٥) الْمَقْصِدُ الْأَسْنَى لِلْغَزَالِيِّ ص ٨٥-٨٩ وَتُحْفَةُ الْأَخُوذِيِّ ج ٤ ص ٢٦١.

في الأزل، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: (من عرف سرَّ الله في القَدَر هانت عليه المصائب)^(١).

اللَّطِيف: هو الذي يعلم دَقَائِقُ المصالح وغوامضها، ويوصلها إلى مستحقِّها بطريق الرفق دون العنف.

فإذا اجتمعت الدقة في العلم، مع الرفق في الفعل، تَمَّ معنى اللطف، ولا يتصور كَمَالُ ذَلِكَ في العلم والفعل إِلَّا الله تعالى.

وثمره هَذَا الاسم في الإنسان هي الرفق بعباد الله تعالى والتلطف بهم في الدعوة إلى الله والهِدَايَةِ إلى سَعَادَةِ الآخِرَةِ، من غير ازدراء وعنف، ومن غير خصام وتعصب. وأَحْسَنُ وجوه اللطف التحلِّي بالشَّمَائِلِ والسَّيِّرَةِ المرضية والعَمَلِ الصالح، فإنه أوقع في الجذب من الألفاظ الْمُزَيِّنَةِ^(٢).

الحَلِيم: هو الذي يشاهد معصية العصاة، ويرى مخالفة الأمر، ثم لا يستفزّه غضب، ولا يسرع في الانتقام، مع غَايَةِ الاقتدار.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكُوا عَلَى ظُهُرِهِمَا مِنْ ذَابِكَةٍ﴾ - فاطر ٤٥.

وثمره هَذَا الاسم في الإنسان مَعْلُومَةٌ، وهي أن الحلم من مَحَاسِنِ خصال العِبَاد^(٣).

(١) شَرَحَ أسماء الله الحُسْنَى للِرَّازِي ص ٢٣٧.

(٢) المَقْصِدُ الْأَسْنَى لِلْغَزَالِيِّ ص ٩٢. وانظر: شَرَحَ أسماء الله الحُسْنَى للِرَّازِي ص ٢٤٠ وأشار إلى الغزالي، وَتُحْفَةُ الْأَخْوَذِيِّ ج ٤ ص ٢٦١.

يقال: لَطَفَ به وله يَلْطُفُ (كنصر) لُطْفًا: رَفَقَ به. وَلَطَفَ يَلْطُفُ (ككرم): صَغُرَ ودَقَّ. / الْقَامُوسُ الْمُحِيطُ مادة (لطف) وَتُحْفَةُ الْأَخْوَذِيِّ السَّابِق.

(٣) المَقْصِدُ الْأَسْنَى لِلْغَزَالِيِّ ص ٩٤. وانظر: شَرَحَ أسماء الله الحُسْنَى للِرَّازِي ص ٢٤٢ - ٢٤٤ وَتُحْفَةُ الْأَخْوَذِيِّ السَّابِق، وَالنُّورُ لِلْأَصْم ص ٣١٤.

المُقَيِّت: هو خَالِقُ الْأَقْوَاتِ وَمَوْصِلُهَا إِلَى الْأَبْدَانِ وَهِيَ الْأَطْعَمَةُ، وَإِلَى الْقُلُوبِ وَهِيَ الْمَعْرِفَةُ.

أَوْ هُوَ الْمُسْتَوِي عَلَى الشَّيْءِ، الْقَادِرُ عَلَيْهِ. وَالْإِسْتِيْلَاءُ يَتِمُّ بِالْقُدْرَةِ وَالْعِلْمِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْيِنًا﴾ - النساء ٨٥، أَي: مُطْلِعًا قَادِرًا. فَمَعْنَاهُ يَعُودُ إِلَى اجْتِمَاعِ الْقُدْرَةِ وَالْعِلْمِ مَعًا^(١).

أَوْ هُوَ الْحَفِيزُ^(٢).

الحَسِيب: هُوَ الْكَافِي. الَّذِي كَفَا الْإِنْسَانَ حِينَ خَلَقَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَمَا حَوْلَهُ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَعِيشَ^(٣).

وَثَمَرَتُهُ فِي الْإِنْسَانِ أَنْ يَجْتَهِدَ فِي أَنْ يَصِيرَ سَبَبًا فِي الظَّاهِرِ لِكِفَايَةِ حَاجَاتِ الْمُحْتَاجِينَ.

أَوْ هُوَ الْمَحَاسِبُ.

وَثَمَرَتُهُ فِي الْإِنْسَانِ أَنْ يَحَاسِبَ نَفْسَهُ قَالَ ﷺ: (حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا).

أَوْ هُوَ الشَّرِيفُ الَّذِي لَهُ خِصَالُ الشَّرَفِ.

وَثَمَرَتُهُ فِي الْإِنْسَانِ أَنْ يَعْلَمَ أَنْ شَرَفَهُ هُوَ فِي مَعْرِفَةِ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ^(٤).

(١) الْمَقْصَدُ الْأَسْنَى لِلْغَزَالِيِّ ص ١٠٢. وَانْظُرْ: شَرْحُ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى لِلرَّازِيِّ ص ٢٥٩ - ٢٦٠ وَتُحْفَةُ الْأَخْوَذِيِّ ج ٤ ص ٢٦١ وَالنُّورُ لِلْأَصَمِ ص ٣٣٩.

(٢) شَرْحُ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى لِلرَّازِيِّ، وَالنُّورُ لِلْأَصَمِ، السَّابِقَانِ، وَكِلَاهُمَا عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ مَعْمَرِ بْنِ الْمُثَنَّى، وَتُحْفَةُ الْأَخْوَذِيِّ السَّابِقِ.

(٣) الْمَقْصَدُ الْأَسْنَى لِلْغَزَالِيِّ ص ١٠٢ وَشَرْحُ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى لِلرَّازِيِّ ص ٢٦٠ وَتُحْفَةُ الْأَخْوَذِيِّ السَّابِقِ.

(٤) شَرْحُ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى لِلرَّازِيِّ السَّابِقِ. وَتَقَدَّمَ تَخْرِيجُ (حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ...) فِي: (أَهْمِيَّةُ الْعَقِيدَةِ).

الْوَدُودُ: هو الذي يحب الخير لجميع الخلق، فيحسن إليهم.

وهذا التفسير قريب من معنى الرَّحِيم، لكن الفرق بينهما هو أن: الرحمة تستدعي مرحوماً ضعيفاً، والود لا يستدعي ذلك، بل الإنعام على سبيل الابتداء من نتائج الود^(١).

وثمره هذا الاسم في الإنسان أن يكون كثير التودد الى الناس بالطرق المشروعة. ومن ذلك لما كسرت رباعية النبي ﷺ في غزوة أحد قال: (اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون)^(٢).

والودود من الناس من يريد للآخرين ما يريده لنفسه، وأعلى من ذلك من يؤثرهم على نفسه. كما قال أحدهم: (أريد أن أكون جسراً على النار يعبر علي الخلق ولا يتأذون بها)^(٣).

الصَّمَد: هو المقصود إليه في جميع الحوائج^(٤).

العَفُو: هو الذي يمحو السيئات ويتجاوز عن المعاصي.

وهو قريب من الغفور، ولكنه أبلغ منه، فإن الغفران يُنبئ عن الستر، والعفو يُنبئ عن المحو، والمحو أبلغ من الستر.

وثمره هذا الاسم في الإنسان هي أن يعفو عمن ظلمه، بل يحسن إليه^(٥).

(١) المَقْصَدُ الْأَسْنَى لِلْغَزَالِيِّ ص ١٠٩ وشرح أسماء الله الحُسنى للِرَّازِيِّ ص ٢٧٤.

(٢) شرح أسماء الله الحُسنى للِرَّازِيِّ السَّابِق.

(٣) المَقْصَدُ الْأَسْنَى لِلْغَزَالِيِّ السَّابِق.

(٤) المَقْصَدُ الْأَسْنَى لِلْغَزَالِيِّ ص ١١٩. وانظر: شرح أسماء الله الحُسنى للِرَّازِيِّ ص ٣٠٤ وتُحْفَةُ الْأَخْوَذِيِّ ج ٤ ص ٢٦٢ والنُّورُ لِلْأَصْم ص ٣٨٦.

(٥) المَقْصَدُ الْأَسْنَى لِلْغَزَالِيِّ ص ١٢٤. وانظر: شرح أسماء الله الحُسنى للِرَّازِيِّ ص ٣٢٦ وتُحْفَةُ الْأَخْوَذِيِّ السَّابِق. وورد تفسير هذه الأسماء أيضاً في: الإِزْشَادُ لِلْجَوَيْنِيِّ ص ١٤٣-١٥٥.

المبحث الثالث

الصفات الإلهية وما يترتب عليها

ذكر المتكلمون هنا: ما يجب في حقه تعالى، وما يستحيل، وما يجوز.

أولاً: ما يجب في حقه تعالى

قسم بعض علماء الكلام الصفات الإلهية الواجبة في حقه تعالى إلى ما يأتي:

١- الصفة النفسية: وهي الوجود.

٢- الصفات السلبيّة: وهي خمس: القَدَم، والبَقَاء، ومخالفة الحوادث، والقيام بالنفس، والوحدانية.

٣- صفات المعاني: وهي سبع: القدرة، والإرادة، والسمع، والبصر، والعلم، والكلام، والحياة. واختلفوا في صفة التكوين، على ما سيأتي بيانه في صفات المعاني^(١).

(١) انظر لهذا التقسيم في: شرح الخريدة للذّدير وحاشية الصّاوي عليه ص ٥٤ وما بعدها، وفي شرح الجوهرية للباقر ص ١٠٤ وما بعدها، وفي رسالة في التّوحيد والفرق المعاصرة للشيخ كمال الدّين الطّائبي ص ٢٤ وما بعدها.

وهناك قسم رابع هو: «الصفات المعنوية» وهي: كونه تعالى: قديراً، مُريداً، سَمِيعاً، بَصِيراً، عالماً، متكلماً، حياً. وفيها خلاف بين العلماء لا نريد الدخول فيه سوى أن نقول إنها نتائج لصفات المعاني.

قال الدُّسُوقِيُّ في حاشيته على شرح أمّ البراهين ص ١١٩: (أي: فالكونية المذكورة صفة ثابتة في نفسها قائمة بالذات لازمة للقدرة. فعندنا صفتان إحداها وجودية وهي القدرة، والثانية

١- الصفة النفسية: الوجود

وجود الله عز وجل

هي صفة ثبوتية، يدل الوصف بها على نفس الذات، دون معنى زائد عليها.

شرح التعريف:

صفة: جنس يدخل فيه سائر الصفات.

ثبوتية: نسبة إلى الثبوت، لكونها ثابتة في الذهن. فتخرج الصفات السلبية كالقدم والبقاء....

بها: أي المشتق منها، لا بها بنفسها، لعدم صحة ذلك، فنقول: الله موجود، ولا يصح أن نقول: الله وجود.

على نفس الذات: أي أنها لا تدل على شيء زائد على الذات، فالذات نفسها لا تتعقل إلا بوجودها، ولذلك سميت نفسية. فتخرج صفات المعاني والمعنوية.

ثبوتية لا يمكن رؤيتها وهي الكون قادراً، وهكذا يقال في الباقي. واعلم أن هذه الصفات المعنوية السبع واجبة له تعالى إجماعاً على مذهب أهل السنة والمعتزلة وعلى القول بثبوت الحال وعلى القول بنفيها. والخلاف إنما هو في معنى قيامها بالذات العلية. فمن قال بنفي الحال - وأنه لا واسطة بين الوجود والعدم وهو مذهب الأشعري - قال: معنى كونه عالماً مثلاً هو قيام العلم به، وليس هناك صفة أخرى زائدة على قيام العلم ثابتة في خارج الذهن. ومن قال بالحال قال: معنى كونه عالماً صفة أخرى زائدة على قيام العلم بالذات، وهذه الصفة ليست موجودة بالاستقلال ولا معدومة عدماً صرفاً بل هي واسطة بين الموجود والمعدوم، أي أنها لم تبلغ درجة الوجود ولم تنحط لدرجة العدم).

دون معنى زائد عليها: تَفْسِيرُ الْقَوْلِ (عَلَى نَفْسِ الذَّاتِ) (١).

وجود الله تعالى وجود كَامِل ذاتي، أي: أنه موجود لذاته، لا لِعِلَّة مؤثرة فيه، لأن

من خصائص الذاتي: أنه لا يقبل العدم.

(١) شَرْحُ الْخَرِيدَةِ لِلدَّرْدِيرِ وَحَاشِيَةِ الصَّاوِي عَلَيْهِ ص ٥٤، وعزا الصَّاوِي هَذَا التَّعْرِيفَ إِلَى التَّفْتَّازَانِيِّ، وَاَنْظُرْ هَذَا التَّعْرِيفَ فِي: شَرْحُ الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ ج ١ ص ١٠٧.

قال الشيخ السَّنُوسِيُّ فِي شَرْحِهِ عَلَى أُمِّ الْبَرَاهِينِ ص ٧٤-٧٥: (فِي عَدِّ الْوُجُودِ صِفَةً عَلَى مَذْهَبِ الشَّيْخِ الْأَشْعَرِيِّ تَسَامُحٌ، لِأَنَّهُ عِنْدَهُ عَيْنُ الذَّاتِ، وَلَيْسَ بِزَائِدٍ عَلَيْهَا، وَالذَّاتُ لَيْسَتْ بِصِفَةٍ، لَكِنْ لَمَّا كَانَ الْوُجُودُ تَوْصِفٌ بِهِ الذَّاتُ فِي اللَّفْظِ، فَيُقَالُ ذَاتُ مَوْلَانَا جَلَّ وَعَزَّ مَوْجُودَةٌ صَحَّ أَنْ يُعَدَّ صِفَةً عَلَى الْجُمْلَةِ).

وَأَمَّا عَلَى مَذْهَبِ مَنْ جَعَلَ الْوُجُودَ زَائِداً عَلَى الذَّاتِ كَالْإِمَامِ الرَّازِيِّ فَعَدَّهُ مِنَ الصِّفَاتِ صَحِيحٌ لَا تَسَامُحَ فِيهِ.

وَمِنْهُمْ مَنْ جَعَلَهُ زَائِداً عَلَى الذَّاتِ فِي الْحَادِثِ دُونَ الْقَدِيمِ، وَهُوَ مَذْهَبُ الْفَلَّاسِفَةِ).
وَلَخَّصَ الدُّسُوقِيُّ فِي حَاشِيَتِهِ عَلَى شَرْحِ أُمِّ الْبَرَاهِينِ ص ٧٥-٧٦ الْأَقْوَالَ الثَّلَاثَةَ الَّتِي ذَكَرَهَا الشَّارِحُ السَّنُوسِيُّ فِي الْوُجُودِ بِأَنَّهَا هِيَ:

- ١- أَنْ الْوُجُودَ عَيْنُ الْمَوْجُودِ فِي الْقَدِيمِ وَالْحَادِثِ، وَهُوَ مَذْهَبُ الْأَشْعَرِيِّ.
- ٢- أَنْ الْوُجُودَ زَائِدٌ عَلَى الذَّاتِ قَدِيمَةً كَانَتْ أَوْ حَادِثَةً، بِمَعْنَى أَنَّهُ أَمْرٌ اِعْتِبَارِي، وَهُوَ مَذْهَبُ الرَّازِيِّ.

٣- التَّفْصِيلُ بَيْنَ الْقَدِيمِ وَالْحَادِثِ، فَهُوَ عَيْنُ الْمَوْجُودِ فِي الْقَدِيمِ، وَزَائِدٌ عَلَيْهِ فِي الْحَادِثِ، وَهُوَ مَذْهَبُ الْفَلَّاسِفَةِ.

وَأَضَافَ الدُّسُوقِيُّ قَوْلَيْنِ آخَرَيْنِ هُمَا:

٤- الْوُجُودُ حَالٌ ثَابِتَةٌ فِي نَفْسِهَا، وَهُوَ قَوْلُ الْقَاضِي وَإِمَامِ الْحَرَمِيِّينَ.

٥- الْوُجُودُ صِفَةٌ مَعْنَى، وَهُوَ قَوْلُ الْكِرَامِيِّينَ.

أما وجود غيره (كل ما سوى الله تعالى) فهو وجود ناقص تبّعي، أي: أنه مستمد من غيره، ومتوقف على من أوجده، لأنّ من خصائص التبّعي: أنه لا بد أن يقوم بين عدّمين سابق ولاحق^(١).

ومسألة وجود الله تعالى سبق الكلام عنها مفصّلاً في المبحث الأول (وجود الله جلّ جلاله).

وبعضهم لا يشاهد لغيره تعالى وجوداً، وهذا يسمّى عندهم وحدة الوجود. وقد غرق فيه من غرق حتى وقع من بعض الأولياء ما يوهم الاتحاد والحلول، كقول الحلاج: (أنا الله)، وكقول بعضهم: (ما في الجبة إلا الله). وهذا اللفظ لا يجوز شرعاً لإيhamه، لكن الصوفيّة تارة تغلبهم الأحوال فيؤوّل ما يقع منهم بما يناسبه. ومن أفتى بقتل الحلاج حين قال المقالة السابقة الجنيد البغدادي^(٢).

٢- الصفات السلبية

وهي خمس: القِدَم، والبَقَاء، والمخالفة للحوادث، والقيام بالنفس، والوحدانية^(٣).

وتُسمّى هذه الصفات بمُهمّات الأُمّهات، لأنه يلزم من نفي ضدّ هذه الخمسة تنزيهه تعالى عن جميع النقائص^(٤).

(١) كبرى اليقينيّات الكونية ص ١١٣ وشرح الجوهرة للباجوريّ ص ١٠٧.

(٢) شرح الجوهرة للباجوريّ ص ١٠٥. وانظر: خير القلائد ص ٣٧-٣٩ وكبرى اليقينيّات الكونية السابق.

(٣) حصرها بهذا العدد: اللّقانيّ في الجوهرة، والباجوريّ في شرحها ص ١٠٥ والدردير في الخريذة وشرحها وحاشية الصّاويّ عليه ص ٥٥ والطائيّ في رسالة في التّوحيد والفرق المعاصرة ص ٢٥.

(٤) شرح الجوهرة للصّاويّ ص ١٤٥.

وليس المراد بكونها سلبية، أنها مسلووبة عن الله ومنفية عنه، وإلا لزم أن يثبت له الحدوث وطروء العدم والمماثلة للحوادث، بل المراد بكونها سلبية: أن كل واحدة منها سلبت (نفت) أمراً لا يليق به جلّ وعزّ^(١).

فالقِدَمُ سلبٌ (نفيٌّ) لأوليّة الوجود، والبقاء سلبٌ لآخريّة الوجود... وهكذا. والحق أن الصفات السلبية لا تنحصر في هذه الخمسة، إذ من جملتها: أنه لا ولد له، ولا زوجة، ولا بسيطاً، ولا مركباً، ولا في مكان، ولا في زمان، ولا جهة، وغير ذلك، وإنما اقتصر على هذه الخمسة، لأنها أمّهاتها^(٢).

وهذه الصفات لم يختلف بها العلماء، بل يتفق الجميع على القول بها^(٣).

١- القِدَم

القِدَم في حقه تعالى بمعنى الأزلية، التي هي كون وجوده غير مستفتح، فليس معناه تطاول الزمن، فإن ذلك وصف الحوادث^(٤).

- (١) حاشية الصّاوي على الدردير ص ٧٠. وانظر: شرح الخريدة للدردير ص ٥٥.
- (٢) حاشية الصّاوي على الدردير ص ٥٥-٥٦ وشرح الجوهرة للبايجوري ص ١٠٧.
- (٣) شرح المقاصد للتفتازاني ج ٤ ص ٦٩.
- (٤) المسامرة ص ٢٢ وشرح أمّ البراهين للسّنوسي وحاشية الدسوقي عليه ص ٧٧.

قال الباجوري في شرح الجوهرة ص ١٠٨: (في القديم والأزل ثلاثة أقوال:

الأول: أن القديم هو الموجود الذي لا ابتداء لوجوده، والأزلي ما لا أول له، عديمياً أو وجودياً. فكل قديم أزلي ولا عكس.

الثاني: أن القديم هو القائم بنفسه الذي لا أول لوجوده، والأزلي ما لا أول له عديمياً أو وجودياً قائماً بنفسه أو غيره. وهذا هو الذي يفهم من كلام السعد.

الثالث: أن كلاً منها ما لا أول له عديمياً أو وجودياً، قائماً بنفسه أو لا. وعلى هذا فهما

أو بعبارة أخرى: معنى القِدَم: هو أن وجود الله غير مسبوق بالعدم، فالله ليس له بداية^(١).

و ضد القِدَم: الحدوث.

الدليل العقلي على قِدَمه تعالى:

أن الله تعالى لو لم يكن قديماً لكان حادثاً، إذ لا وسط بينهما. ولو كان حادثاً لاحتاج إلى مُحَدِّث يُحْدِثه، ومُحَدِّثُهُ يحتاج إلى مُحَدِّث... وهكذا. فيلزم الدَّور أو التسلسل، وكلُّ منهما محال، فوجب أن يكون قديماً^(٢).

الدليل النقلي على قِدَمه تعالى:

قوله تعالى: ﴿الْأَوَّلُ﴾، في الآية: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾ - الحديد ٣.

تصور صفة القِدَم:

من السهل على الإنسان أن يفهم صفة الرحمة والعَدْل والجَلال... في ذات الله

مترادفان.

فعلى الأول: الصفات السلبية لا توصف بالقِدَم وتوصف بالأزلية، بخلاف الذات العلية والصفات الثبوتية فإنها توصف بالقِدَم والأزلية.

وعلى الثاني: الصفات مطلقاً لا توصف بالقِدَم وتوصف بالأزلية، بخلاف الذات العلية فإنها توصف بكل منهما.

وعلى الثالث: كل من الذات والصفات مطلقاً توصف بالقِدَم والأزلية).

(١) المُسَايَرَة، وشرحه المُسَامَرَة، وشرحه لقاسم بن قُطْلُوبُغَا ص ٢٢. وفي الإرشاد للجويني ص ٣٢: القديم هو الذي لا أول لوجوده.

(٢) شَرْح المَوَاقِف للسَّيِّد الشَّرِيف ج ٨ ص ١٤ والمُسَامَرَة ص ٢٢ وشَرْح الخَرِيدَة للدَّزْدِير ص ٥٦ وشَرْح أُمِّ البَرَاهِين للسَّنُوسِي وَحَاشِيَة الدُّسُوقِي عليه ص ١٥٤ وشَرْح الجَوْهَرَة للبَّاجُورِي ص ١٠٧ والاقتصاد في الاعتقاد للغزالي ص ٣٠ وأصول الدين للغزنوي ص ٦٥.

تعالى، لأنه يفهم آثارها، ويستطيع أن يدرك معانيها في الحياة بحواسه، إلا أنه يستحيل عليه أن يدرك صفة القِدَم أو صفة البَقَاء، لأنه لا يحتفظ بصورة لها في الحياة، لأنها خاصة بذات الله تعالى. لَكِنْ لا تعني الاستحالة الخيالية إنكار هاتين الصفتين، لأن العقل يجزم بثبوتها، كما بينا ذلك في الدليل العقلي.

فَرُبَّ أمر يدرك العقل إمكانه أو وجوده، وهو في الوقت نفسه يعجز عن تصوره وإدراك كُنْهه، وقديماً قال الفلاسفة وعامة العقلاء: (عدم الوجدان للشيء لا يستلزم عدم وجوده في الواقع)^(١).

٢- البَقَاء

ومعناه: أَنَّ الله تعالى أَبَدِيٌّ، ليس لوجوده آخر، فيستحيل أن يلحقه عَدَمٌ^(٢).
و ضد البَقَاء: الفناء.

الدليل العقلي على بقاءه تعالى:

١- لو لم يكن الله تعالى بَاقِيًا، لكان فانيًا، ولو كان فانيًا لكان حادثًا، ولو كان حادثًا لاحتاج إلى مُحدث، ومُحدثُهُ يحتاج إلى مُحدث،... وهَكَذَا، فيلزم الدَّوْر أو التسلسل، وكلاهما باطل، فثبت بقاءه تعالى.

٢- لو جاز عليه تعالى العَدَم لاستحال عليه القِدَم، وهو باطل بثبوت قِدَمه تعالى^(٣). قال اللَّقَائِي في الجَوْهَرَةِ:

وكلُّ ما جاز عليه العَدَم عليه فَطْعًا يَسْتَحِيلُ القِدَمُ^(٤)

(١) كبرى اليقينية الكونية ص ١١٨-١١٩.

(٢) المُسَايَرَةُ ص ٢٤. وفي شَرْح الجَوْهَرَةِ للْبَاجُورِيِّ ص ٨٨: العَدَم هو الفناء.

(٣) شَرْح الحَرِيدَةِ لِلدَّرْدِيرِ وَحَاشِيَةِ الصَّاوِيٍّ عليه ص ٥٦-٥٧ وَشَرْح الجَوْهَرَةِ للْبَاجُورِيِّ ص ١٠٧. وانظر: شَرْح أَمِّ الْبَرَاهِينِ لِلْسَّنُوسِيِّ وَحَاشِيَةِ الدُّسُوقِيِّ عليه ص ١٥٧.

(٤) شَرْح الجَوْهَرَةِ للْبَاجُورِيِّ ص ٨٨ و ١٠٨.

٣- لو جاز عدمه لاحتاج انعدامه بعد وجوده إلى عِلَّةٍ، لاستحالة ترجيح بلا مرجح.

٤- وإذا جاز انعدامه، فإما أن ينعدم:

أ- بنفسه (بأن يكون انعدامه أثراً لقدرته) وهو باطل، لأنه ثبت أنه مُوجِد الموجودات، فلا يقبل الانتفاء بحال، فيلزم بقاءه كما يلزم قَدَمه.

ب- بمُعَدِّمٍ يُضَادُّه، وهو باطل أيضاً، لأن الضد إما:

- قديم: فيلزم انتفاء الباري سُبْحَانَهُ معه من الابتداء أصلاً، لأن التضاد يمنع الاجتماع بين الشيئين اللذين اتصفا به، وقد ثبت وجوده تعالى.

- أو حادث: فيلزم اندفاع وجوده بمضاده القديم، لأن القديم أقوى من الحادث^(١).

الدليل النقلي على بقاءه تعالى:

- قوله تعالى: ﴿وَالْآخِرُ﴾ في الآية: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾ - الحديد ٣.

- وقوله سُبْحَانَهُ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ - القصص ٨٨.

- وقوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ (٢٦) وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (٢٧) - الرَّحْمَن.

٢- المخالفة للحوادث

معناها: أن الله تعالى ليس مماثلاً لشيء من الحوادث الموجودة والمعدومة مطلقاً. فهي عبارة عن:

(١) المُسَايَرَة وشرحه المُسَامَرَة ص ٢٤-٢٥. وانظر: الاقْتِصَاد في الاعتقاد للغزالي ص ٣١ وشرح المواقف للسيد الشريف ج ٨ ص ١٤.

سَلْبُ الْجِرْمِيَّةِ، وَالْعَرَضِيَّةِ، وَالْكُلِّيَّةِ، وَالْجُزْئِيَّةِ^(١)، ولوازمها عنه تعالى.
 فلازم الجِرْمِيَّةِ هو التحيزُ، ولازم العَرَضِيَّةِ هو القيام بالغير، ولازم الكُلِّيَّةِ هو
 الكِبَرُ، ولازم الجُزْئِيَّةِ هو الصُّغَرُ^(٢).
 وضدها: المماثلة للحوادث.

الدليل العقلي على مخالفته تعالى للحوادث:

- ١ - أنه تعالى لو لم يكن مخالفاً للحوادث لكان مماثلاً لها، ولو كان مماثلاً للحوادث،
 لكان حادثاً مثلها، ولو كان حادثاً لاحتاج إلى مُحدث، ومُحدثه يحتاج إلى مُحدث...
 وهكذا فيلزم الدَّور أو التسلسل، وكلاهما باطل، فثبتت مخالفته للحوادث.
- ٢ - كل من وجب له القِدَم، استحال عليه العَدَم، ولا شيء من الحوادث يستحيل
 عليه العَدَم، فلا شيء منها بتقديم فثبتت المخالفة^(٣).

الدليل النقل على مخالفته تعالى للحوادث:

قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ - الشُّورَى ١١^(٤).

- (١) أي: ليس الله تعالى جِرمًا ولا عَرَضًا ولا كُلًّا ولا جُزْءًا.
- (٢) شَرْحُ الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ١١٠ وَشَرْحُ الْخَرِيدَةِ لِلدَّرْدِيرِ ص ٥٨.
- (٣) شَرْحُ الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ١١١. وانظر: شَرْحُ أُمِّ الْبَرَاهِينِ لِلْسَّنُوسِيِّ وَحَاشِيَةِ
 الدُّسُوقِيِّ عَلَيْهِ ص ١٥٨.
- (٤) في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ - الشُّورَى ١١ سؤال مشهور، وهو أن الجمع بين
 (الكاف ومثل) يوهم محالاً في حقه تعالى، لأن الكاف بمعنى مثل، والنفي إنها تسلط عليها. وهو
 باطل من وجهين:

أحدهما: أن المقصود من الآية نفي مثل ذاته، لا نفي مثل مثله.

والآخر: أن نفي مثل المثل يقتضي إثبات المثل، وهو محال.

ونفي المماثلة يفيد الأمور الآتية^(١):

١ - أنه تعالى ليس بعَرَض، لما يأتي:

أ- لأن العَرَض يحتاج إلى جسم يقوم به، فيستحيل وجود العَرَض قبل الجسم، وقد ثبت أن الله قبل كل شيء، وموجدُه^(٢).

وأجيب عنه بستة أجوبة:

أحدها: أن الكاف زائدة لغير توكيد.

الثاني: أنها مؤكدة لنفي الشبيه، أي انتفى المثل انتفاءً مؤكداً، لا أنه من نفي المؤكد الذي هو مثل المثل حتى يتوهم بقاء المثل.

الثالث: أن مِثْل بمعنى المَثَل بفتحتين، أي الصفة.

الرابع: أنه بمعنى نفس، نحو: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنُتُمْ بِهِ﴾ - البقرة ١٣٧.

الخامس: أنه من باب الكناية، وفيها طريقتان، ثانيهما هو السادس.

وتَقْرِير أولها: أن نفي مِثْل المِثْل أريد به نفي المِثْل، لأن مِثْل المِثْل لازمٌ للمِثْل، ونفي اللازم يَدُلُّ على نفي الملزوم.

الثاني: أنها من باب مِثْلُكَ لا يَبْخُل، بمعنى أنت لا تبخل. فالقصد نفي مثله تعالى بأبلغ وجه، إذ هي أبلغ من الصريح، لتضمنها إثبات الشيء بدليله.

حاشية الصَّاوِي على الدَّرْدِير ص ٦٠ وشرح الجَوْهَرَة للصَّاوِي ص ١٦٤ عن تَقْرِير النَّفَّارِي على المصنف. وانظر: شرح الجَوْهَرَة للْبَاجُورِي ص ١٦٢-١٦٤.

(١) انظر هذه الأمور ونحوها في: المُسَايَرَة، وشرحه المُسَامَرَة، وشرحه لِقَاسِم بن قُطْلُوبَغَا ص ٢٥-٣٧ وشرح الخَرِيدَة للدَّرْدِير وحاشية الصَّاوِي عليه ص ٥٨ و٦٧ والمَوَاقِف وشرحه للسَّيِّد الشَّرِيف ج ٨ ص ١٩ وما بعدها، وشرح المَقَاصِد للتَفْتَازَانِي ج ٤ ص ٤٣ وما بعدها، وأصُول الدِّين للغَزَنَوِي ص ٦٧ وعَقَائِد الإمامية ص ٣٦.

(٢) المُسَايَرَة وشرحه المُسَامَرَة ص ٢٩.

ب- لأن احتياجه إلى شيء يقوم به علامةُ الحدوث. وتقدم هذا في أدلة حدوث العَرَض.

٢- وليس بجوهر، لما يأتي:

أ- لأن من شأن الجوهر الاختصاص بحيزه، وكل مُتَحَيِّزٌ مُحتَاجٌ إلى حيزه، والإله ليس بمُحتَاجٍ^(١).

ب- لأن الجوهر ملازم للعَرَض، والعَرَضُ حادث، فيلزم حدوثه. وتقدم هذا في أدلة حدوث الجوهر.

٣- وليس بجسم^(٢)، لأن الجسم مؤلف من جواهر وأعراض، وقد أثبتنا حدوثهما فيما تقدم.

وذلك خلافاً للمُجَسِّمَةِ الذين قالوا بأنه تعالى جسم حقيقة، لكنهم اختلفوا: فقال بعضهم: هو مركب من لحم ودم، وبعضهم: إنه نور يتلألأ كالسبيكة البيضاء، وبعضهم:

(١) المُسَايَرَةُ، وشرحه المُسَامَرَةُ، وشرحه لِقَاسِمِ بْنِ قُطْلُوبُغَا ص ٢٥.

(٢) المُسَايَرَةُ وشرحه المُسَامَرَةُ ص ٢٧ والمَوَاقِفُ وشرحه للسَّيِّدِ الشَّرِيفِ ج ٨ ص ٢٥. وانظر الأدلة على أنه تعالى ليس بجسم في: المَطَالِبُ الْعَالِيَةُ لِلرَّازِي ج ٢ ص ٢٥.

- كل موجود إما أن يكون مُتَحَيِّزاً أو غير مُتَحَيِّزٍ.

فإن كان متحيزاً فهو قسمان: أولهما: الجوهر الفرد، أي: الجزء الذي لا يتجزأ، لا ائتلاف فيه. وثانيهما: الجسم، وهو الذي يتألف من جواهر فردة.

وإن كان غير مُتَحَيِّزٍ فهو قسمان: أولهما: العَرَضُ، وهو الذي يستدعي وجوده جسماً. وثانيهما: الله تعالى، ووجوده تعالى لا يستدعي جسماً يقوم به. / شَرْحُ المُسَايَرَةِ لِقَاسِمِ بْنِ قُطْلُوبُغَا ص ٣٠.

فالجسم أخص من الجوهر، لأن الجسم خاص بالمركب، والجوهر صادق به وبالجوهر الفرد. / حَاشِيَةُ الصَّائِي عَلَى الدَّرَوِيذِ ص ٥٨. وانظر ص ٢٧٩-٢٨٠ من هذا الكتاب.

على صورة إنسان شاب أمرد، وبعضهم: على صورة شيخ أشمط الرأس واللحية... تعالى الله عما يقولون^(١).

٤- وليست له صورة أو لون أو رائحة أو شكل أو عوارض النفس من لذة وألم وفرح، لأن ذلك من خواص الأجسام.

خلافًا للمُشَبَّهَة الذين شبهوا الله بالمخلوقات.

أما ما ورد في الكتاب والسنة من ذكر الرضا والغضب والفرح ونحوها، فيجب التنزيه عن ظاهره على النحو الذي سيأتي في النصوص الموهمة للمشابهة^(٢).

٥- ولا يوصف تعالى بالصَّغَر أو بالكِبَر.

والكِبَر يراد به الحسي، أما الكِبَر المعنوي بمعنى العِظَم فيوصف به، كقوله تعالى: ﴿فَلْحُكْمٌ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ - غافر ١٢^(٣).

٦- وليس سُبْحَانُهُ حالًا بمكان، لأن الله تعالى لو كان في مكانٍ لزم قَدَم المكان. وتقدم أن لا قديم سوى الله تعالى^(٤).

وما جاء بالحديث القدسي: (ما وسعني أرضي ولا سمائي، وإنما وسعني قلب عبدي المؤمن)، فيجب تأويله فيكون المراد من (وسعني) هو وسع هييتي ورحمتي^(٥).

(١) المواقف وشرحه للسيد الشريف السابق.

أشمط: أبيض. / القاموس المحيط، مادة: الشمط.

(٢) المسائرة وشرحه المسامرة ص ٢٩.

(٣) حاشية الصاوي على الدردير ص ٥٨.

(٤) المواقف ج ٨ ص ٢٠. وانظر: صفة القيام بالنفس.

(٥) حاشية الصاوي على الدردير ص ٥٨.

٧- ولا مُخْتَصَّاً بجهةٍ، لما يأتي:

أ- لأن الله تعالى لو كان في جهةٍ لزم قَدَمُ الجهة. وتقدم أن لا قديم سوى الله تعالى^(١). فلا يقال: إنه فوق الجرم ولا تحته، ولا يمينه ولا شماله، ولا خلفه ولا أمامه^(٢).

ب- لأن الجهات الست حادثة بإحداث الإنسان ونحوه مما يمشي على رجلين كالطائر، فإنَّ معنى الفَوْق: ما يحاذي رأس الإنسان، أو ظَهَرَ ما يمشي على أربع من جهة العُلُوِّ، وهي جهة السماء. ومعنى السُّفْل: ما يحاذي رجله من جهة الأرض.

ثم إنَّ الجهات اعتبارية غير حقيقية، فإنَّ النملة إذا مشت على سقف، كان الفوق بالنسبة لها جهة الأرض، لأنها تحاذي ظهرها. ولو كان كل حادث مستديراً كالكرة، لم توجد وَاحِدَةٌ من هذه الجهات.

ج- إن الله تعالى موجود في الأزل، ولم يكن شيء من المخلوقات، لأن كل ما سواه حادث، كما مرَّ دليله^(٣).

د- إن الاختصاص بجهةٍ هو اختصاص بحَيِّز، والحَيِّز مُخْتَصَّ بالجوهر والجسم^(٤)، وقد مر تنزيهه عنهما.

فإن قيل:

لِمَ ترفع الأيدي إلى السماء وهي جهة العُلُوِّ؟ أجيب: بأن السماء قبلة الدعاء، كما أنَّ الكَعْبَةَ قبلة الصلاة^(٥).

(١) شَرْحُ الْمَوَاقِفِ لِلسَّيِّدِ الشَّرِيفِ ج ٨ ص ١٩-٢٠.

(٢) شَرْحُ الْخَرِيدَةِ لِلدَّرْدِيرِ ص ٦٧.

(٣) الْمُسَايَرَةُ وشرحه الْمُسَامَرَةُ ص ٣٠-٣١. وانظر امتناع كونه مُخْتَصَّاً بمكانٍ وجهةٍ في:

الْمَطَالِبِ الْعَالِيَةِ لِلرَّازِيِّ ج ٢ ص ٣٧ وَالْمَحْصَلُ لِلرَّازِيِّ ص ١٥٧ وَكَشَفُ الْمُرَادِ ص ٣١٩.

(٤) الْمُسَايَرَةُ وشرحه الْمُسَامَرَةُ ص ٣١.

(٥) الْمُسَايَرَةُ ص ٣١. وفي أَصُولِ الدِّينِ لِلغَزْنَويِّ ص ٧١: (إنما ترفع - الأيدي - لأنها قبلة

فهو تعالى غير مُختَصَّ بجهةٍ، خلافاً:

للكَرَامِيَّة: الذين أثبتوا لله جهةً فوق، من غير استقرار على العرش.

والمُشَبَّهَة والمُجَسِّمَة: الذين قالوا باستقراره على العرش^(١).

وهو باطل بإجماع العقلاء.

٨- وهو تعالى ليس في زمانٍ، أي: ليس وجوده وجوداً زمانياً. ومعنى كون الوجود

زمانياً هو أنه لا يمكن حصوله إلا في زمان^(٢).

الدعاء، كالتوجه إلى الكعبة في الصلاة، ووضع الوجه على الأرض عند السجود، وإن لم يكن الله عز وجل في الكعبة ولا تحت الأرض).

(١) المُسَايَرَة، وشرحه المُسَامَرَة، وشرحه لقاسم بن قُطْلُوبُغَا ص ٣٢-٣٣.

- يُثَبَّت كثير من الحَنَابِلَة جهة العُلُوِّ لله تعالى، واستواءه على العرش، مع قولهم بنفي التجسيم، وذكروا أن النصوص الواردة في عُلُوِّ الله على خلقه، وكونه فوق عباده، تقرب من عشرين نوعاً منها:

أ- التصريح بالفوقية مقروناً بأداة (من) المُعَيَّنَة للفوقية بالذات، كقوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ - النحل ٥٠.

ب- التصريح بالعروج إليه، نحو: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ - المعارج ٤.

ج- التصريح بالصعود إليه، نحو: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ - فاطر ١٠.

د- التصريح بتنزيل الكتاب منه، نحو: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ - النحل

١٠٢.

هـ- التصريح بنزوله كل ليلة إلى سماء الدنيا... إلخ.

انظر: شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٧٥ وما بعدها، ولوامع الأنوار البهية ج ١ ص ١٩٠ وما بعدها.

(٢) المواقف وشرحه للسيد الشريف ج ٨ ص ٢٧.

٩- ولا يوصف بأنه سُبْحَانَهُ متحركٌ أو ساكنٌ^(١).

١٠- وهو تعالى مُنَزَّهٌ عن الاتصال في الذات: بأن يكون مركباً، تتصل أجزاؤها ببعضها. أو بالغير: فهو ليس مُتَّصِلاً بالعالم، بحيث يكون حالاً، أو سارياً فيه^(٢).

أما ما ورد مما يوهم الاتصال كما في الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ: (وما يزال عبيدي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بالنوافل حتى أُحِبَّهُ، فإذا أَحَبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الذي يسمع به، وبَصَرَهُ الذي يُبْصِرُ به، وَيَدَهُ التي يَبْطِشُ بها، وَرِجْلَهُ التي يَمْشِي بها. وإن سألني لأُعْطِيَنَّهُ، ولئن استعاذني لأُعِيذَنَّهُ)، فهو مؤوَّلٌ، فيكون المُرَاد منه هو كناية عن استيلاء محبة الله على الشخص، حتى أَغْنَتْهُ عن شهود سواه^(٣).

١١- وهو تعالى مُنَزَّهٌ عن الانفصال عن العالم، لأن هَذِهِ الْأُمُورَ من صفات الحوادث، والله ليس بحادث^(٤).

١٢- وهو تعالى مُنَزَّهٌ عن الاتحاد بِأَحَدٍ، وعن الحُلُولِ فيه. خلافاً: لِلنَّصَارَى القائلين باتحاد ذاته بجسد الْمَسِيحِ، وَلِغَلَاةِ الشَّيْخَةِ القائلين بحُلُولِهِ بِعَلِيِّ وَأَوْلَادِهِ، وَلِغَلَاةِ الصُّوفِيَّةِ القائلين بحُلُولِهِ أو اتحادهِ بِالسَّالِكِينَ الْمُتَهَيِّينَ فِي سُلُوكِهِمْ إِلَى النِّهَايَةِ^(٥).

والقول بنفي المماثلة المذكور هو ما ذهب إليه جميع فِرَقِ الْإِسْلَامِ، من مُعْتَزِلَةٍ

(١) شَرْحُ الْخَرِيدَةِ لِلدَّرْدِيرِ ص ٥٨.

(٢) شَرْحُ الْخَرِيدَةِ لِلدَّرْدِيرِ وَحَاشِيَةُ الصَّائِي عَلَيْهِ ص ٥٨ و ٦٧.

(٣) حَاشِيَةُ الصَّائِي عَلَى الدَّرْدِيرِ ص ٥٨.

وَحَدِيث: وما يزال عبيدي... إلخ، في: صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ في: ٨١ كتاب الرِّقَاق، ٣٨ باب التَّوَاضُّع، رقم ٦٥٠٢ عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) شَرْحُ الْخَرِيدَةِ لِلدَّرْدِيرِ وَحَاشِيَةُ الصَّائِي عَلَيْهِ ص ٦٧.

(٥) الْمَوَاقِفُ وَشَرْحُهُ لِلْسَّيِّدِ الشَّرِيفِ ج ٨ ص ٢٨-٣١. انظر: شَرْحُ الْخَرِيدَةِ لِلدَّرْدِيرِ

وَمَاتَرِيدِيَّةٌ وَأَشَاعِرَةٌ وَإِبَاضِيَّةٌ وَشَيْعَةٌ، عدا من ذكرناهم من المُشَبَّهَةِ والمُجَسِّمَةِ وأمثالهم.

النصوص المؤهِّمة للمُشَابَهَةِ:

وردت في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة نصوص، تُضيف إلى الباري عزَّ وجلَّ صفاتٍ خبرية توهم التشبيه، كالاستواء والمجيء والنزول...، التي ستأتي بعد قليل.

اختلف المسلمون فيها على أقوال ثلاثة^(١)، مع اتفاقهم على تنزيه الله تعالى عما لا يليق به، وهي: التوقف، والتوغل في التشبيه، والتأويل.

القول الأول: التوقف.

أي: التوقف الكامل من غير جنوح إلى التأويل أو سقوط في التشبيه، وهو مذهب السلف^(٢)، فهؤلاء آمنوا بهذه الصفات الخبرية، وأجروها على ظاهرها، ولم يتعرضوا لمعناها يبحث ولا تأويل، مع تغليبهم أدلة التنزيه، لكثرتها ووضوح دلالتها، وعلمهم باستحالة التشبيه. لذا قال كثير منهم: (اقرؤوها كما جاءت). أي: آمنوا بأنها من عند الله، ولا تتعرضوا لتأويلها ولا لتفسيرها^(٣).

لأن التأويل أمر مظنون بالاتفاق، والقول في صفات الباري عزَّ وجلَّ بالظن غير

(١) قال ابن الجوزي في دفع شبه التشبيه ص ٧٩: (واعلم أن الناس في أخبار الصفات على ثلاث مراتب: أحدها: إمرارها على ما جاءت من غير تفسير ولا تأويل إلا أن تقع ضرورة، كقوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ - الفجر ٢٢، أي: جاء أمره. وهذا مذهب السلف. والمرتبة الثانية: التأويل، وهو مقام خطر. والمرتبة الثالثة: القول فيها بمقتضى الحس...).

(٢) دراسات في الفرق ص ٢١١ نقلاً عن ابن الجوزي.

(٣) مقدمة ابن خلدون ص ٤٣٤. وانظر: الملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ٩٢ والغنية

للشيخ عبد القادر ج ١ ص ٦٣ ودراسات في الفرق ص ٢٠٥.

جائز، احترازاً من الوقوع في الزَّيغ، لذلك نفوَّض معانيها إلى الله تعالى^(١).

وفسر الإمام مَالِك بن أَنَس الاستواء في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى﴾ - طه ٥ بقوله: (الاستواء مَعْقُول، وكيفيته مجهولة، والسؤال عنه بدعة، والإيمان به واجب)^(٢).

وعدم الاشتغال بالتأويل هو المروي عن كثير من كبار مشايخ الماتريدية، حيث قالوا: نؤمن بتنزيلها ولا نشتغل بتأويلها^(٣).

وفي ذَلِكَ يقول ابن رُشد: (إن الصدر الأول إنما صار إلى الفضيلة الكاملة والتقوى، باستعمال هذه الأقاويل، دون تأويلات فيها).

وقد ظل هذا الرأي مستمراً إلى أيام أَحْمَد بن حَنْبَل وَيَحْيَى بن مَعِين وإِسْحَاق بن رَاهَوِيَّة الذين ناصروه، إلا أنه لم يستمر طويلاً، لأنها تتضمن (الإحالة إلى مجهولات لا نفهم مؤداها ولا غاياتها)، بل اعتبرها ابن حَزْم (مدخلاً لطريق ينتهي بالتشبيه)^(٤).

القول الثاني: التوغل في التشبيه.

وأصحاب هذا القول هم المُشَبِّهَة.

فمنهم من شبه في الذات باعتقاد اليد والقَدَم والوجه...، فوقعوا في التجسيم الصريح ومخالفة أي التنزيه المطلق.

ومنهم من شبه في الصفات كإثبات الجهة والاستواء والنزول والصوت والحرف

(١) المِلَل والنَحْل للشَّهْرَسْتَانِي ج ١ ص ٩٣ ودراسات في الفرق ص ٢٠٩.

(٢) أُصُول الدِّين لِلْبَعْدَادِيِّ ص ١١٣. ولقول الإمام مَالِك أَلْفَاظٌ مُتَقَارِبَةٌ انظر بعضها في: شَرْح أُصُولِ اعْتِقَادِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ ج ٣ ص ٤٢ والإِثْقَانُ لِلشُّيُوطِيِّ ص ٤٨٤ وشَرْحُ الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ١٥٧ ودراسات في الفرق ص ٢٠٦. وفي المَوَاقِفِ ج ٨ ص ٢٤ رواه عن أَحْمَد.

(٣) التَّوْحِيدُ لِلْأَمَشِيِّ ص ٥٨.

(٤) دراسات في الفرق ص ٢٠٧ وقول ابن رُشد في فَصْلِ المقال ص ٦٥.

وأمثال ذلك. فآل قولهم إلى التجسيم، وذلك تمسكاً بظواهر الآيات والأحاديث الموهمة للتشبيه والتجسيم^(١).

قال ابن الجوزي الحنبلي (وهو من نفاة التشبيه): (اعلم أن عموم المحدثين حملوا ظاهر ما تعلق من صفات الباري سبحانه على مقتضى الحس، فشبهوا، لأنهم لم يخالطوا الفقهاء، فيعرفوا حمل المتشابه على مقتضى الحكم)^(٢).

وهؤلاء فرق عديدة مثل: أصحاب الحديث الحشوية، ومنهم: مقاتل بن سليمان المتوفى سنة ١٥٠ هـ المفسر، ومُشَبَّهة الشيعة ومنهم: هشام بن الحكم المتوفى سنة ١٧٩ هـ، وفرقة الكرامية أتباع ابن كرام السجستاني المتوفى سنة ٢٥٥ هـ^(٣).

القول الثالث: التأويل.

وهو ما ذهب إليه المعتزلة، وأخذ به - مع تعديلات طفيفة - عامة المسلمين من شيعة وأهل سنة: ماثريديّة وأشاعرة، وبه قال الإباضية. وفي ذلك يقول الإمام الرازي: (جميع فرق الإسلام مقررون بأنه: لا بد من التأويل في بعض ظواهر القرآن والأخبار)^(٤).

وقال الباجوري: إذا ورد في القرآن أو السنة ما يشعر بإثبات الجهة أو الجسمية أو الصورة أو الجوارح، اتفق أهل الحق وغيرهم ما عدا المجسمة والمُشَبَّهة على تأويل

(١) مُقَدِّمَةُ ابن خَلْدُون ص ٤٣٤.

(٢) تَلَيْسُ إِبْلِيسُ ص ١١٣.

(٣) الْمِلَلُ وَالنَّحْلُ لِلشَّهْرَسْتَانِي ج ١ ص ٩٢ وما بعدها. وانظر: دراسات في الفرق ص ٢١٣ -

٢١٥.

(٤) أَسَاسُ التَّقْدِيسِ لِلرَّازِي ص ٦٧. وانظر رأي الإباضية في: الموجز لأبي عمّار ج ١ ص ١٢٦

وما بعدها.

ذَلِكَ^(١).

وَذَلِكَ لِأَنَّهُ ثَبِتَ عِنْدَهُم بِالِدَلِيلِ الْعَقْلِيِّ، أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مُنَزَّهٌ عَنِ الْجَسَمِيَّةِ وَالْجَهَةِ، وَلَا سَبِيلَ لِلْقَضَاءِ عَلَى التَّشْبِيهِ، إِلَّا إِذَا أُوتِلَتِ الصِّفَاتُ الْخَبَرِيَّةُ الْوَارِدَةُ بِالنُّصُوصِ^(٢).

قَالَ الْجَوَيْنِيُّ: وَالْإِعْرَاضُ عَنِ التَّأْوِيلِ حَذَارًا مِنْ مَوَاقِعَةٍ مَحْذُورٍ فِي الْإِعْتِقَادِ يَجْرُ إِلَى الْلبْسِ وَالْإِيْهَامِ، وَاسْتِزْلَالِ الْعَوَامِّ، وَتَطْرِيقِ الشَّبَهَاتِ إِلَى أَصُولِ الدِّينِ، وَتَعْرِضُ بَعْضُ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى لِرَجْمِ الظُّنُونِ^(٣).

وَحِينَ رَأَى الْعُلَمَاءُ أَنَّ فَتْحَ بَابِ التَّأْوِيلِ لَهُ أَضْرَارُهُ الْجَسِيمَةُ، وَضَعُوا لَهُ الْقَوَاعِدَ، حَتَّى لَا يُوْدِيَ إِلَى التَّلَاعِبِ بِالنُّصُوصِ وَفَقِّ الْهَوَى، دُونَ الْإِلْتِفَاتِ إِلَى أَصُولِ الشَّرِيعَةِ وَمَقَاصِدِهَا^(٤).

(١) شَرْحُ الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ١٥٧.

وَقَالَ الْبَاجُورِيُّ فِي حَاشِيَتِهِ عَلَى السُّلَمِ ص ٢٤: (اعْلَمْ أَنَّهُ إِذَا وَرَدَ فِي كِتَابٍ أَوْ سُئِنَ مَا يُوْهِمُ أَنَّهُ تَعَالَى لَهُ وَجْهٌ أَوْ يَدٌ أَوْ نَحْوُ ذَلِكَ فَلَا بُدَّ مِنْ تَأْوِيلِهِ، بِمَعْنَى صَرْفِهِ عَنْ ظَاهِرِهِ، وَهَذَا مَحَلُّ وِفَاقٍ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ، غَايَةُ الْأَمْرِ أَنَّهُمْ اخْتَلَفُوا فِي تَعْيِينِ الْمَعْنَى الْمُرَادِ، السَّلَفُ لَا يَعَيِّنُونَهُ بَلْ يَقُوضُونَهُ إِلَيْهِ تَعَالَى، فَيَقُولُونَ فِي نَحْوِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ - الرَّحْمَنُ ٢٧، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ - الْفَتْحُ ١٠، لَيْسَ لَهُ وَجْهٌ كَوَجْهِنَا، وَلَا يَدٌ كِيَدِنَا، وَلَا يَعْلَمُ الْمُرَادُ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى، وَالْخَلَفُ يَعَيِّنُونَهُ فَيَقُولُونَ فِيْمَا ذَكَرَ: لَيْسَ لَهُ وَجْهٌ كَوَجْهِنَا وَلَا يَدٌ كِيَدِنَا، الْمُرَادُ مِنَ الْوَجْهِ الذَّاتُ وَمِنَ الْيَدِ الْقُدْرَةُ).

(٢) شَرْحُ الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ١٥٧ وَدَرَسَاتُ فِي الْفَرْقِ ص ٢١٩.

(٣) الْإِرْشَادُ لِلْجَوَيْنِيِّ ص ٤٢، ثُمَّ جَاءَ فِي ص ١٥٥-١٦٤ بَعْدَ نَصُوصٍ مِنَ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ وَذَكَرَ تَأْوِيلَهَا.

(٤) دَرَسَاتُ فِي الْفَرْقِ ص ٢١٩. وَانْظُرْ: الْمُسَايَرَةَ ص ٣٤ وَمَا بَعْدَهَا، وَالْمَوَاقِفَ ج ٨ ص ٢٤ وَشَرْحُ الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ١٥٧.

قَالَ اللَّامِشِيُّ: (هَذِهِ الْأَلْفَاظُ تَحْتَمِلُ وَجُوهًا، فَيَجِبُ حَمْلُهَا عَلَى وَجْهِ يُوَافِقُ الدَّلِيلَ الْقَطْعِيَّ الْعَقْلِيَّ، وَالْآيَةَ الْمُحْكَمَةَ وَهِيَ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ - الشُّورَى ١١، حَتَّى لَا يَقَعَ التَّنَاقُضُ

قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام: (طريقة التأويل بشرطها، أقربها إلى الحق).
ويعني بشرطها: أن يكون على مقتضى لسان العرب^(١).

ومن أمثلة تأويلات هؤلاء للنصوص المتشابهة بما يتفق وتنزيه الله تعالى عما لا يليق به:

ما يوهم الجهة:

١- ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ - طه ٥. الاستواء هو: الاستيلاء^(٢) والمُلك،

في حُجج الله تعالى. وبيان ذلك هو أن اليد قد تذكر للنعمة والقوة والسلطنة، وقد تُذكر للحُجة، وقد تُذكر لليسر والغناء، وقد تُذكر للجارحة. وكذلك العين قد تُذكر للحفظ، وقد تُذكر للجارحة، فيُحمل كل واحد منهما على ما يوافق الدليل العقلي والآية المحكمة). / التَّوَجُّيد للآميشي ص ٥٩ وفيه: أن هذا هو المروي عن بعض مشايخنا، أي: الماثريديَّة.

(١) المسايَرة ص ٣٧، وفيه: (مال إلى التأويل أيضاً إمام الحرمين في الإرشاد، لكنه اختار في الرسالة النظامية طريق التفويض، وهي متأخرة في التأليف عن الإرشاد، فكأنه رجع عن القول بالتأويل. وتوسط ابن دقيق العيد فقال: يُقبل التأويل إذا كان المعنى الذي أوَّل به قريباً مفهوماً من تخاطب العرب، ويُتوقف فيه إذا كان بعيداً. وذهب ابن الهمام إلى التوسط بين أن تدعو الحاجة إليه لخلل في فهم العوام وبين أن لا تدعو الحاجة لذلك).

وانظر أيضاً: الإرشاد للجويني السابق، والعقيدة النظامية للجويني ص ١٦٦ وشرح الفقه الأكبر لعلي القاري ص ٧٠.

(٢) اقتصر الغزالي في الإحياء في تفسير (استوى) على معنى الاستيلاء، وعلَّق عليه الزبيدي في إتحاف السادة ج ٢ ص ١٠٦-١٠٨ وذكر أقوال العلماء. وما ذكر في ص ١٠٧: (قال ابن بطال: اختلفوا في الاستواء هنا، فقالت المعتزلة: معناه الاستيلاء بالقهر والغلبة. وقالت المجسمة: معناه الاستقرار. وقال بعض أهل السنة: معناه ارتفع، وبعضهم: معناه علا، وبعضهم: معناه الملك والقدرة. وقيل: الاستواء التمام والفراغ من فعل الشيء. ثم ردَّ قول المعتزلة والمجسمة وصحح القول بأن معناه علا). وفيه أقوال أخرى مع الأدلة. وللأستواء تفسيرات أخرى في أصول الدين للبغداديين ص ١١٢ والإتقان للسيوطي ص ٤٨٥ وكفاية الطالب الرباني ص ٤٩ و٥٠.

كقول الشاعر:

قد استوى بشرٌ على العِراق من غير سيفٍ ودمٍ مُهراق^(١)
 ٢- ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ - النحل ٥٠. فالفوقية تعني: التعالي في العظمة. أي: أن الملائكة يخافون ربهم من أجل تعاليه وارتفاعه في العظمة^(٢).

وتفسيره بمعنى الاستيلاء أيضاً في: الإرشاد للجويني ص ٤٠ والاقتصاد في الاعتقاد للغزالي ص ٤٠ والتمهيد للآمشي ص ٦٤ والمواقف ج ٨ ص ٢٤ والمسايرة، وشرحه المسايرة، وشرحه لقاسم بن قطلوبغا ص ٣٤-٣٥ وشرح الجوهرية للباجوري ص ١٥٧ والموجز لابن عمّار ج ١ ص ١٣٢ عن ابن عباس، ومشارك أنوار العقول ج ١ ص ٤٠٥ وشرح غاية المُرَاد ص ٤٣. وفي إتحاف السادة ج ٢ ص ١٠٦: نسبة الجاحظ أيضاً إلى ابن عباس لكن رده ابن تيمية.

وفي الإرشاد للجويني ص ٤١-٤٢: (فإن قيل: هلاً أُجريتُم الآية ﴿الرَّحْنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْوَى﴾ - طه ٥ على ظاهرها من غير تعرض للتأويل، مصيراً إلى أنها من التشابهات التي لا يعلم تأويلها إلا الله؟ قلنا: إن رام السائل إجراء الاستواء على ما ينبى عنه في ظاهر اللسان وهو الاستقرار فهو التزام للتجسيم. وإن تشكك في ذلك كان في حكم المصمم على اعتقاد التجسيم. وإن قطع باستحالة الاستقرار فقد زال الظاهر. والذي دعا إليه من إجراء الآية على ظاهرها لم يستقم له. وإذا أزيل الظاهر قطعاً فلا بد بعده في حمل الآية على محمل مُستقيم في العقول مستقر في موجب الشرع).

والقول بالتوقف في الاستواء قال به الماتريدي في التوحيد ص ٤١ و ٧٤ والغزوي من الماتريدي في أصول الدين ص ٧٥. وذكر اللامشي قولين للماتريدي هما: التوقف والاستيلاء في: التمهيد ص ٦٤، وتقدم ذلك عند ذكر آراء الماتريدي.

(١) الشاعر هو البعيث، كما قاله صاحب إسماعيل بن عباد، أو هو الأخطل كما قاله الجوهري. وبشر هو بشر بن مروان. / إتحاف السادة ج ٢ ص ١٠٦.

والبيت في: الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي، وبخر الكلام للنسفي ص ٥٠، والموجز لأبي عمّار، والمسايرة، وشرح الجوهرية للباجوري، السابقة. وفي المواقف السابق: عمرو بدلاً من بشر.

(٢) شرح الجوهرية للباجوري ص ١٥٧.

٣- ﴿فَإِنْ أَسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ - فُصِّلَتْ ٣٨. فالْعِنْدِيَّةُ: تعني الاصطفاء والإكرام.

٤- ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ - فاطر ١٠. أي: يرتضيه، لأن الكلم عَرَض، يمتنع عليه الانتقال.

٥- ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ - المعارج ٤. أي: العروج إلى موضع يتقرب إليه بالطاعات فيه.

٦- ﴿ءَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ﴾ - المُلْك ١٦. من في السماء: أي حكمه وسُلْطَانه، أو مَلِكٌ موَكَّلٌ بالعذاب.

٧- ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴿٩﴾﴾ - النَّجْم. الدُّنُو: قرب الرَّسُولِ إليه بالطاعة، والتقدير بقاب قوسين تصوير للمعقُول بالمحسوس.

٨- قوله ﷺ للجارية الخرساء: أين الله؟ فأشارت إلى السماء، فقرر.

فأراد بالسؤال ب(أين): أن يستكشف عن مُعْتَقَدِهَا، فلما أشارت إلى السماء، علم أنها ليست وثنية، وحمل إشارتها على أنها أرادت كونه تعالى خَالِقَ السماء، فحكم بإيمانها^(١).

ما يوهم الجسمية:

١- ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ - الفجر ٢٢. أي: وجاء أمر ربك الشَّامِلُ للعذاب، أو عذاب

(١) المَوَاقِف ج ٨ ص ٢٤-٢٥.

اختلف العلماء في تكفير مُعْتَقِدِ الْجَهَةِ على ما يأتي:

١- لا يكفر. وهو قول العز بن عبد السلام. وقيدَه النَّوَوِيُّ بكونه من العامة، وابن أبي جَمْرَةَ بعُسْر فهم نفيها.

٢- التفصيل. فإن اعتقد جهة العلو لم يكفر، لأن جهة العلو فيها شَرَفٌ رفعة في الجُمْلَةِ. وإن اعتقد جهة السفْل كفر، لأن جهة السفْل خِسَّةٌ ودناءة.

شَرَحَ الْجَوْهَرَةُ لِلْبَاجُورِيِّ ص ١٦٥.

ربك^(١).

٢- ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ﴾ - البقرة ٢١٠. أي: إتيان

عذابه.

٣- قوله ﷺ: (ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، يقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له)، أي: ينزل ملك ربنا فيقول عن الله^(٢).

ما يوهم الصورة:

قوله ﷺ: (إذا قاتل أحدكم أخاه فليجنب الوجه، فإن الله خلق آدم على صورته). والمراد بالصورة: الصفة، من سمع وبصر وحياة وعلم، فهو على صفته بالجُمْلَةِ^(٣).

(١) المَوَاقِف ج ٨ ص ٢٤ وشرح الجَوْهَرَةُ للْبَاجُورِيِّ ص ١٥٨. ونقله ابن عَمَّارٍ في الموجز ج ١ ص ١٣٥ عن ابن عَبَّاسٍ.

(٢) المَوَاقِف ج ٨ ص ٢٤-٢٥ وشرح الجَوْهَرَةُ للْبَاجُورِيِّ ص ١٥٨.

وحديث: ينزل ربنا... إلخ، في: صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ في: ١٩ كتاب التهجد، ١٤ باب الدعاء والصلاة من آخر الليل، رقم ١١٤٥، بهذا اللفظ، عن أبي هُرَيْرَةَ.

وورد عن أبي هُرَيْرَةَ أيضاً في: صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ في: ٨٠ كتاب الدَّعَوَات، ١٤ باب الدعاء نصف الليل، رقم ٦٣٢١. وفي: ٩٧ كتاب التَّوْحِيد، ٣٥ باب قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ﴾ - الفَتْح ١٥، رقم ٧٤٩٤.

وفي صَحِيحِ مُسْلِمٍ في: ٦ كتاب صلاة المسافرين، ٢٤ باب التَّوْحِيد في الدعاء، رقم ٧٥٨ عن أبي هُرَيْرَةَ أيضاً.

وَأَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ وَمَالِكٌ وَأَحْمَدُ... وغيرهم. / شرح العَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّةِ لابن أبي العزّ، هامش ص ٢٦٩ لِمُحَقِّقِهِ شُعَيْبُ الْأَرْنَؤُوط.

(٣) شرح الجَوْهَرَةُ للْبَاجُورِيِّ ص ١٥٩.

ما يوههم الجوارح:

١- ﴿وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ - الرَّحْمَنُ ٢٧. الوجه: أي: الذات^(١).

٢- ﴿يُدْأَلُّهُ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ - الْفَتْحُ ١٠. اليد: أي: القدرة^(٢).

٣- قوله ﷺ: (إن قلوب بني آدم كلَّها، بين إصبعين من أصابع الرَّحْمَن، كقلب واحد، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ). فالمراد بالإصبعين: أي صفتين من صفاته، وهما القدرة والإرادة^(٣).

وبهذا يتضح أَنَّ الْجُمْهُورَ من السَّلَفِ والخَلَفِ اتفقوا^(٤) على تنزيه الله تعالى من التشبيه، إِلَّا أَنَّهُم اختلفوا في طريقة تَفْسِيرِ النصوص المتشابهة تَبَعاً لعصورهم التي

وَحَدِيث: إِذَا قَاتَلَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ... إلخ، في: صَحِيح مُسْلِمٍ في: ٤٥ كتاب البرِّ والصَّلة، ٣٢ باب النهي عن ضرب الوجه، رقم ٢٦١٢ (١١٥)، عن أَبِي هُرَيْرَةَ. ومُسْنَدُ الإِمَامِ أَحْمَد ج ٢ ص ٢٤٤.

(١) شَرْحُ الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ١٥٩ وَمَشَارِقُ أَنْوَارِ الْعُقُولِ ج ١ ص ٤٠٢.

(٢) شَرْحُ الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ١٥٩.

(٣) شَرْحُ الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ١٥٩.

وَحَدِيث: إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ... إلخ، في: صَحِيح مُسْلِمٍ في: ٤٦ كتاب القَدَر، ٣ باب تصريف الله تعالى القلوب، رقم ٢٦٥٤، عن عبد الله بن عمرو بن العاص.

(٤) قال الإِنْجِي فِي الْمَوَاقِفِ ج ٨ ص ٢٤: (مهما تعارض دليلان وجب العمل بهما ما أمكن، فتؤول الظواهر إما إجمالاً ويفوض تفصيله إلى الله... وعليه أكثر السَّلَف...، وإما تفصيلاً كما هو رأي طائفة، فنقول الاستواء الاستيلاء...).

وفي جَوْهَرَةِ التَّوْحِيدِ:

وَكُلُّ نَصٍّ أَوْ هَمِّ التَّشْبِيهِ أَوَّلُهُ أَوْ فَوْضٌ وَرْمٌ تَنْزِيهِ

وشرحه البَاجُورِيُّ ذَاكِراً أَنَّ:

(قوله: «النص» هو الدليل من الكتاب والسُّنَّة).

عاشوا بها، وهو خلاف شكلي بحث.

ولم يخالف في ذلك إلا المشبهة، الذين صوروا الذات الإلهية كالجسم، فأخذوا ينعونه بصفات الأجسام، وهؤلاء لا يُعتدّ بكلامهم في ميزان النقد العلمي عند مقارنة النصوص، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَبِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ - آل عمران ٧.

٤- القيام بالنفس

معنى القيام بالنفس، أمران:

وقوله: «أَوَّلُهُ» أي: أحمله على خلاف ظاهره مع بيان المعنى المراد، فالمراد: أوَّلُهُ تأويلاً تفصيلاً بأن يكون فيه بيان المعنى المراد كما هو مذهب الخلف، وهم من كانوا بعد الخمسمائة، وقيل من بعد القرون الثلاثة.

وقوله: «أَوْ فَوْضٌ» أي: بعد التأويل الإجمالي الذي هو صرف اللفظ عن ظاهره. فبعد هذا التأويل فَوْضُ المراد من النص الموهم إليه تعالى على طريقة السلف، وهم من كانوا قبل الخمسمائة، وقيل: القرون الثلاثة الصحابة والتابعون وأتباع التابعين.

وطريقة الخلف أعلم وأحكم لما فيها من مزيد الإيضاح والرد على الخصوم وهي الأرجح، ولذلك قدمها المصنف «صاحب الجوهر» وطريقة السلف أسلم لما فيها من السلامة من تعيين معنى قد يكون غير مراد له تعالى.

وقوله: «وَرُمُ تنزيها» أي: واقصد تنزيهاً له تعالى عما لا يليق به مع تفويض علم المعنى المراد.

فظهر مما قرئناه اتفاق السلف والخلف على التأويل الإجمالي، لأنهم يصرفون الموهم عن ظاهره المحال عليه تعالى. لكنهم اختلفوا بعد ذلك في تعيين المراد من ذلك النص وعدم التعيين). / شرح الجوهر للباجوري ص ١٥٦. وانظر: شرح الخريدة للدردير ص ٦٨-٦٩.

أولهما: عدم افتقاره تعالى إلى محل. وللمحل تفسيران:

١- الذات التي يقوم بها، لا بمعنى المكان، لأن ذلك علم من مخالفة الحوادث.

٢- الذات والمكان معاً. قاله الغنيمي.

ثانيهما: عدم افتقاره إلى المخصّص، أي الموجد^(١).

وضدها: الاحتياج إلى غيره.

الدليل العقلي على ذلك:

١- الدليل على عدم افتقاره إلى محل هو:

أ- أنه لو افتقر إلى محل، لكان صفة. ولو كان صفة، لم يتصف بصفات المعاني والمعنوية، وهي واجبة القيام به تعالى، للأدلة الدالة على ذلك، وذلك باطل فثبت عدم افتقاره إلى محل^(٢).

ب- المتمكّن مُحتاج إلى مكانه، بحيث يستحيل وجوده بدونه. والمكان مستغن عن المتمكّن لجواز الخلاء، فيلزم إمكان الواجب، ووجوب المكان، وكلاهما باطل^(٣).

٢- الدليل على عدم افتقاره إلى مخصّص هو: أنه لو افتقر إلى مخصّص، لكان حادثاً، كيف وقد سبق وجوب وجوده وقدمه وبقائه ذاتاً وصفات؟

الدليل النقلي على قيامه تعالى بنفسه:

- قوله تعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ - فاطر ١٥.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ - العنكبوت ٦.

(١) شرح الجوهرة للباجوري ج ١ ص ١١٣.

(٢) المصدر السابق، وشرح الخريدة للدردير ص ٥٧ وشرح أم البراهين للسنوسي وحاشية الدسوقي عليه ص ١٥٩.

(٣) المواقف وشرحه للسيد الشريف ج ٨ ص ٢٠.

فإن قيل:

كيف يُتصور عدم تحيُّزه تعالى في مكان؟

فالجواب هو: أن تصور المكان لأي جسم، يكون نتيجة ملاحظة واستقراء أحوال الأجسام التي نراها حائلة في مكان ما، أما قياس الله تعالى على الأجسام في وجوب التحيُّز، فهو قياس باطل، ولا عِلَّةَ جَامِعَةٍ بين الأصل والفرع، وذلك:

لأن العقل البشري محدود وقاصر عن إدراك كثير من الأمور، فهو يحكم بوجود أشياء كثيرة كالروح والعقل في الجسم، والكهرباء في الأسلاك المُعدَّة لجريانها بها... إلخ، وإن لم يعرف حقيقتها أو كُنْهها ولا يدرك من سرِّها شيئاً.

فإذا كان العقل البشري قاصراً عن إدراك كثير مما فيه وحوله، فكيف يمكن أن يتصور عدم تحيُّزه تعالى في مكان؟ مع أنه قطع بوجوده تعالى، وقصر عن إدراك كُنْهه وتصوره وفهمه؟

فحسبُ الإنسان إذن أن يؤمن بوجوده تعالى وبصفاته، ثم يحار في فهمه وتصوره. وهذه هي حقيقة الإيمان بالغيب التي أمر الله به عباده^(١).

٥-الوحدانية

معناها: عدم التعدد في الذات، أو الصفات، أو الأفعال.

فالوحدانية في الذات: تنفي (الكَمِّ المُتَّصِل) الذي هو التَّركيب، أي: تَرْكيب الذات من أجزاء، وتنفي (الكَمِّ المنفصل) الذي هو التعدد، بحيث يكون هناك إلهان فأكثر.

والوحدانية في الصفات: تنفي (الكَمِّ المُتَّصِل) الذي هو تعدد صفتين من جنس

(١) كبرى اليقينيات الكونية ص ١٢٠-١٢١.

وَاحِد كَقَدْرَتَيْنِ فَأَكْثَرُ، وَتَنْفِي: (الْكَمَّ المنفصل) الذي هو إثبات صفة لغيره تعالى تشبه صفته، كأن يكون لَزِيد قدرة يوجِد بها ويعدم كقدرته تعالى، أو إرادة تخصص الشيء ببعض الممكنات.

والوحدانية في الأفعال: تنفي (الْكَمَّ المنفصل)^(١) فقط، الذي هو إثبات فعل لغيره تعالى على طريق الإيجاد والخلق^(٢).

(١) أما الْكَمَّ الْمُتَّصِل في الأفعال: فإن صَوْرَنَاهُ بتعدد الأفعال، فهو ثَابِت، لَا يَصَحُّ نفيه، لأن أفعاله كثيرة من خلق ورزق وإحياء...، وإن صورناه بمشاركة غير الله له في فعل من الأفعال، فهو منفي أيضاً بوحدانية الأفعال. / انظر: شَرْحُ الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ١١٤ وحَاشِيَةُ الصَّائِي عَلَى الدَّرْدِيرِ ص ٥٩.

(٢) شَرْحُ الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ١١٤. وانظر: شَرْحُ الْخَرِيدَةِ لِلدَّرْدِيرِ ص ٥٩ وَكِفَايَةُ الطَّالِبِ الرَّبَّانِيِّ وَحَاشِيَةُ الْعَدَوِيِّ عَلَيْهَا ج ١ ص ٤٠ وَرِسَالَةُ فِي التَّوْحِيدِ وَالْفِرْقِ المعاصرة للطَّائِفِي ص ٣٩-٤٢.

قَسَمَ فَرِيقٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ التَّوْحِيدَ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ:

١- تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ، ويعني: أَنْ لَا خَالِقَ وَلَا رَازِقَ وَلَا مُخَيِّمَ وَلَا مُمَيِّتَ وَلَا مُوجِدَ وَلَا مُعْدِمَ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى.

٢- تَوْحِيدُ الْإِلَهِيَّةِ، ويعني: إِفْرَادَهُ تَعَالَى بِالْعِبَادَةِ وَالْخُضُوعِ وَالْحُبِّ وَالْإِفْتِقَارِ وَالتَّوَجُّهِ إِلَيْهِ تَعَالَى.

٣- تَوْحِيدُ الصِّفَاتِ، ويعني: أَنْ يُوصَفَ اللَّهُ تَعَالَى بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ نَبِيهِ ﷺ، فَيُثَبَّتَ لَهُ مَا أُثْبِتَ لِنَفْسِهِ مِنَ الصِّفَاتِ مِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَمَثِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ، وَكَذَلِكَ يَنْفِي عَنْهُ مَا نَفَاهُ عَنْ نَفْسِهِ مِنْ غَيْرِ إِحَادٍ فِي الْأَسْمَاءِ وَلَا فِي الْآيَاتِ. / لَوَامِعُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ١ ص ١٢٨-١٢٩.

وذكر هَذَا التَّقْسِيمَ ابن أَبِي الْعَزَّ فِي شَرْحِ الْعَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّةِ، وَأَوْضَحَ أَنَّ نُفَاةَ الصِّفَاتِ كَالْجَهْمِ بْنِ صَفْوَانَ وَمُوَافِقِيهِ أَدْخَلُوا نَفْيَ الصِّفَاتِ فِي مَسْمَى التَّوْحِيدِ، فَقَالُوا: إِثْبَاتُ الصِّفَاتِ يَسْتَلْزِمُ تَعَدُّدَ الْوَاجِبِ. فَرَدَّ قَائِلًا: هَذَا الْقَوْلُ مَعْلُومُ الْفَسَادِ بِالضَّرُورَةِ، فَإِنَّ إِثْبَاتَ ذَاتٍ مُجْرَدَةٍ عَنْ

وضدها: التعدد في الذات أو الصفات (اتصالاً وانفصالاً)، وفي الأفعال (انفصالاً).

أدلة نفي الكموم الخمسة

أولاً: الدليل على نفي الكم المتصل في الذات، (أي: أنه تعالى ليس مركباً من أجزاء)، هو:

جميع الصفات لا يتصور لها وجودٌ في الخارج ... وتوحيد الربوبية لم يذهب إلى نقيضه طائفة، والمشهور عند أهل النظر إثباته بدليل التمانع. وتوحيد الإلهية الذي بينه القرآن ودعت إليه الرسل يتضمن توحيد الربوبية لا العكس، لأن المشركين من العرب كانوا يقرون بتوحيد الربوبية، قال تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ - لقمان ٢٥، لكنهم كانوا كفاراً مشركين. / شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٤ وما بعدها، وتبناه الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

ورد هذا التفريق بين أنواع التوحيد كثير من العلماء، منهم: الشيخ أحمد بن زيني دحلان في كتبه: الدرر السنية في الرد على الوهابية، وفتنة الوهابية، وأدلة جواز التوسل بالنبي ﷺ. والشيخ عبد الله بن علوي الحداد في: مصباح الأنام. وإبراهيم الرفاعي الراوي في: الأوراق البغدادية في الحوادث النجدية. وأمين الحق مولانا شاه فضل رسول في كتابه: سيف الجبار المسلول. وداود بن سليمان البغدادي في كتابه: المنحة الوهبية في رد الوهابية. وغيرهم. وهي كتب مطبوعة، وصورتها مكتبة الحقيقة بإستانبول.

ومما ذكره بعضهم: أن هذا التفريق أدى بالوهابية إلى تكفير المسلمين، وذكروا أنه لا فرق بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، فالله تعالى يقول: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ - الأعراف ١٧٢، ولم يقل: ألسن بالهكم. فاكتفى منهم بتوحيد الربوبية، ومن أقر بالربوبية فقد أقر بالألوهية، إذ ليس الرب غير الإله، بل هو الإله بعينه. وكذلك في الحديث: (إن الملكين يسألان العبد في قبره فيقولان: من ربك؟)، ولم يقلوا له: من إلهك؟ فالتوحيدان واحد. إن الذي أوقع المشركين والكفار في الكفر ليس مجرد قولهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ - الزمر ٣، بل هو اعتقادهم أن غير الألوهية والعبادة غير الله تعالى. / الدرر السنية لأحمد بن زيني دحلان ص ٣٧-٣٩. وقد أشرنا إلى بعض هذا عند كلامنا عن مذهب السلفية.

أنه تعالى لو كان مركباً من أجزاء، لكان مُحْتَاجاً إلى تلك الأجزاء، وإلى من يركبها، وعندئذ يكون حادثاً، وهو باطل لما تقدم من: إثبات أنه تعالى مخالف للحوادث^(١).

ثانياً: الدليل على نفي الكم المنفصل في الذات، (أي: أنه تعالى إله واحد لا شريك له، يشاركه التصرف في المخلوقات)، هو:

أنه لو لم يكن واحداً لكان متعددًا، بأن يكون هناك إلهان فأكثر، ولو كان هناك إلهان أو أكثر، فإما أن يتفقا، وإما أن يختلفا:

١ - فإن اتفقا^(٢) على إيجاد شيء مثلاً:

أ- فإما أن يوجده معاً، وعندئذ لزم اجتماع مؤثرين تامين على أثر واحد، وهو باطل بالبدهة.

ب- وإما أن يوجده مرتبين (بأن يوجده أحدهما ثم يوجده الآخر)، وعندئذ لزم تحصيل الحاصل، وهو باطل بالبدهة.

ج- وإما أن يوجده أحدهما دون الآخر، وعندئذ كان الموجد هو الإله، والثاني باطل.

د- وإما أن يوجد كل منهما بعض الشيء دون البعض الآخر، وعندئذ لزم عجزهما، لأنه لما تعلقت قدرة أحدهما بالبعض سد على الآخر طريق تعلق قدرته به، فلا يقدر على مخالفته، وهذا عجز، وكل ذلك باطل، فبطل ما أدى إليه، وهو وجود إلهين متفقين. وهذا البرهان يسمى: برهان التوارد، لما فيه من تواردهما على شيء.

(١) شرح المقاصد للتفتازاني ج ٤ ص ٣١ وشرح الخريدة للدردير ص ٥٩.

(٢) قال اللامشي في التوحيد ص ٥٢: (إن كانا متوافقين في تخليق الأشياء فالموافقة دليل عجزهما أو دليل عجز أحدهما، إذ الفاعل المختار لا يوافق غيره في الأمور بكل حال إلا عن عجز واضطرار، والعاجز لا يكون إلهاً).

٢- وإن اختلفا، بأن أراد أحدهما إيجاد العالم، وأراد الآخر إعدامه:

أ- فإما أن يَنْفُذَ مُرَادُهُمَا معاً، وعندئذٍ لزم اجتماع الضدين، وهو باطل بالبداهة^(١).

ب- وإما أن يَنْفُذَ مُرَادُ أَحَدِهِمَا فقط دون الآخر، وعندئذٍ يلزم عجز من لم يَنْفُذْ مُرَادَهُ، والآخر مثله، لانعقاد المماثلة بينهما. وعن الْبَاقِلَانِيِّ وابن رُشْد: أَنَّ الذي نفذ أمره هو الإله دون الآخر.

ج- وإن لم يَنْفُذَ مُرَادُ أَحَدِهِمَا، لزم عجز كل منهما، ولزم ارتفاع (زوال) الضدين، وهو باطل.

فَبَطَلَ ما أَدَّى إِلَى ذَلِكَ، وهو وجود إِلَهَيْنِ مُخْتَلَفَيْنِ. وَهَذَا الْبُرْهَانُ يَسْمَى: بُرْهَانُ التَّمَانُعِ، لَتَمَانُعِهَا وَتَخَالُفِهَا.

فَإِذَا بَطَلَ وجود إِلَهَيْنِ مُتَّفَقَيْنِ أو مُخْتَلَفَيْنِ، وَجِبَ أَنْ يَكُونَ الْإِلَهُ وَاحِدًا^(٢).

ويمكن التعبير عن هَذَا الدليل بما قاله الْغَزَالِيُّ في إحياء عُلُومِ الدِّينِ: (وَبُرْهَانُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَهِةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ - الْأَنْبِيَاءُ ٢٢، وَبَيَانُهُ: لَوْ كَانَا اثْنَيْنِ - يَتَصِفُ كُلُّ مِنْهُمَا بِصِفَاتِ الْأُلُوهِيَّةِ، وَمِنْهَا الْإِرَادَةُ وَتَمَامُ الْقُدْرَةِ - وَأَرَادَ أَحَدُهُمَا أَمْرًا: فَالثَّانِي إِنْ كَانَ مُضْطَرًّا إِلَى مُسَاعَدَتِهِ، كَانَ هَذَا الثَّانِي مَقْهُورًا عَاجِزًا، وَلَمْ يَكُنْ إِلَهًا قَادِرًا، وَإِنْ كَانَ الثَّانِي قَادِرًا عَلَى مُخَالَفَتِهِ وَمُدَافَعَتِهِ، كَانَ هَذَا الثَّانِي قَوِيًّا قَاهِرًا، وَالْأَوَّلُ ضَعِيفًا قَاصِرًا فَلَمْ يَكُنْ إِلَهًا قَادِرًا^(٣)).

(١) لَأَن فِي إِتْمَامِ مُرَادِ أَحَدِهِمَا عَجْزُ الْآخَرِ، لِأَنَّهُ تَمَّ مَا لَا يَرِيدُ، وَفِي ذَلِكَ تَعَجُّيزٌ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا، وَالْعَاجِزُ لَيْسَ بِإِلَهٍ. / الْإِنْصَافُ لِلْبَاقِلَانِيِّ ص ٣٤ وَتَمْهِيدُ الْأَوَائِلِ ص ٤٥.

(٢) شَرْحُ الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ١١٥. وَانْظُرْ: الْمَقَاصِدُ وَشَرْحُهُ لِلتَّفْتَازَانِيِّ ج ٤ ص ٣٥-٣٧ وَشَرْحُ الْخَرِيدَةِ لِلدَّرْدِيرِ وَحَاشِيَةُ الصَّاوِي عَلَيْهِ ص ٥٩-٦٠ وَالتَّمْهِيدُ لِلْأَمِشِيِّ ص ٥٢ وَأُصُولُ الدِّينِ لِلْغَزْنَوِيِّ ص ٦٤ وَنَهَايَةُ الْإِقْدَامِ لِلشَّهْرَسْتَانِيِّ ص ٩٢ وَالْوَسِيلَةُ ص ٤٨٤.

(٣) إحياء عُلُومِ الدِّينِ وَشَرْحُهُ: إِتْحَافُ السَّادَةِ ج ٢ ص ١٢٧ وَالْمُسَامَرَةُ ص ٤٥ عَنِ الْغَزَالِيِّ.

ثالثاً: الدليل على نفي الكم المتّصل في الصفات، هو:

أنه تعالى لو كان له صفتان من جنس واحد كقدرتين مثلاً:

فإما أن تكون إحداهما كاملة، وعندئذ تكون الثانية عبثاً.

وإما أن تكونا غير كاملتين (ناقصتين)، وعندئذ يكون ناقصاً، وكل من العبث والنقص محال عليه.

وإما أن تكونا كاملتين، فيلزم منه اجتماع مؤثرين على أثر واحد، وهو باطل، فبطل تعدد صفتين من جنس واحد.

رابعاً: الدليل على نفي الكم المنفصل في الصفات، هو:

أنه لو كان لغيره تعالى صفة تُشابه صفاته، لكان ممثلاً للحوادث، ولو كان ممثلاً للحوادث، لكان حادثاً مثلها.

ولو كان حادثاً لاحتاج إلى مُحدث، ومُحدثه يحتاج إلى مُحدث... وهكذا، فيلزم الدّور أو التسلسل، وكلاهما باطل.

فبطل القول بوجود صفة لغيره تشبه صفاته.

خامساً: الدليل على نفي الكم المنفصل في الأفعال، هو:

أنه لو كان لغيره فعل من الأفعال - على سبيل الإيجاد والإعدام - لكان له شريك،

قال الصّاوي: إيضاح الآية، أنه لو تعدد الإله لم تتكون السماوات والأرض، لأن تكونهما إما بمجموع القدرتين أو بإحدهما، والكل باطل. أما الأول فلأن شأن الإله كمال القدرة، فإذا توجهت لشيء أبرزته، وأما الآخر فلما مرّ، فيلزم عجزه فلا يوجد شيء من العالم، وعدم وجود العالم محال، لأنه خلاف الحسّ والعيان، فيكون معنى فسدنا لم توجدنا. / حاشية الصّاوي على الدّردير ص ٦٠.

وَالشَّرِيكَ مُحَالٌ، كَمَا مَرَّ فِي نَفْيِ الْكَمِّ الْمُنْفَصِلِ فِي الذَّاتِ ^(١).

وَالدَّلِيلُ النَّقْلِيُّ عَلَى وَحْدَانِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى:

- قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ (٢) لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ

۝ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝ (٤)﴾ - الْإِخْلَاصُ.

- قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُمَّ إِلَهٌ وَحْدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ - الْبَقَرَةُ ١٦٣.

- قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ - مُحَمَّدٌ ١٩.

- قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ - الْأَنْبِيَاءُ ٢٢.

- قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ

وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ - الْمُؤْمِنُونَ ٩١.

(١) قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ الْإِسْفَرَايِينِيُّ: أَجْمَعَ أَهْلُ الْحَقِّ عَلَى أَنَّ جَمِيعَ مَا قَالَهُ الْمُتَكَلِّمُونَ فِي التَّوْحِيدِ يَرْجِعُ إِلَى كَلِمَتَيْنِ: إِحْدَاهُمَا: اعْتِقَادُ أَنَّ كُلَّ مَا تَصَوَّرَ فِي الْأَذْهَانِ فَاللَّهُ بِخِلَافِهِ. ثَانِيهَا: اعْتِقَادُ أَنَّ ذَاتَهُ تَعَالَى لَيْسَتْ مُشَبَّهَةً بِذَاتٍ وَلَا خَالِيَةً عَنِ الصِّفَاتِ. وَنَاهِيكَ بِسُورَةِ الْإِخْلَاصِ دَلِيلًا، فَإِنَّمَا نَفَتْ أَصُولَ الْكُفْرِ الثَّمَانِيَةِ:

الْكَثْرَةُ بِمَعْنَى التَّرَكُّيبِ، وَالْعِدَدُ، انْتِفَاءً بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ - الْإِخْلَاصُ ١.

وَالنَّقْصُ بِمَعْنَى الْإِحْتِيَاجِ، وَالْقِلَّةُ بِمَعْنَى الْبَسَاطَةِ، انْتِفَاءً بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ

الصَّمَدُ﴾ - الْإِخْلَاصُ ٢.

وَالْعِلَّةُ وَالْمَعْلُولُ، انْتِفَاءً بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ - الْإِخْلَاصُ ٣.

وَالشَّبِيهَ وَالنَّظِيرَ، انْتِفَاءً بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ - الْإِخْلَاصُ ٤ /

حَاشِيَةُ الصَّاوِي عَلَى الدَّرْدِيرِ ص ٦٠. وَانْظُرْ: شَرْحُ الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ١١٨.

٣- صفات المعاني

وهي سبع: القدرة، والإرادة، والسمع، والبصر، والعلم، والكلام، والحياة^(١).

ومعنى كونها صفات معانٍ: أنَّ كل صفة منها معنى قائم بذات الله تعالى.

وسميت ذاتية: لأنها لا تنفك عن الذات.

ووجودية: لأنها متحققة باعتبار نفسها. أي: التي لها وجود في نفسها، قديمة كعلمه

تعالى، أو حادثة كعلمنا^(٢).

(١) أضاف المأثرية إلى هذه الصفات السبع صفة (التكوين)، ويريدون بها: صفة قديمة قائمة بذاته تعالى، يوجد بها ويعدم بها، لكن إن تعلقت بالوجود تسمى إيجاداً، وإن تعلقت بالعدم تسمى إعداماً، وإن تعلقت بالحياة تسمى إحياء، وهكذا. فصفات الأفعال عندهم قديمة، لأنها هي صفة التكوين، وهي قديمة. ونفاها الأشاعرة، وجعلوا صفات الأفعال هي تعلقات القدرة التنجيزية الحادثة. / شرح الجوهر للباقر ص ١٣٥.

أي: أن الإيجاد والخلق والرزق والإحياء والإماتة والإشقاء والإسعاد والتصوير وغيرها من صفات الأفعال هي بمجموعها عند محققي المأثرية عبارة عن صفة واحدة تسمى بالتكوين - المشار إليها بقوله تعالى: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ - يس ٨٢. وهذه الصفة عند المأثرية قديمة، لأنها صفة أزلية، بها صدور العالم وكل جزء من أجزائه. لكن إن تعلقت بوجود الشيء سميت إيجاداً وخلقاً، أو بموته سميت إماتة، أو بصورته سميت تصويراً، وهي زائدة على القدرة والإرادة.

أما عند الأشاعرة فصفات الأفعال هذه حادثة، لأنها عبارة عن تعلق القدرة بالمقدور. / شرح الخريدة للدردير وحاشية الصاوي عليه ص ٨٨-٨٩.

وانظر الكلام عن صفة التكوين في: شرح العقائد النسفية للتفتازاني ص ٩٦ وشرح الفقه الأكبر لعلي القاري ص ٤٢ وأصول الدين للغرناوي ص ١١٢.

(٢) شرح الخريدة للدردير وحاشية الصاوي عليه ص ٧٠ وشرح الجوهر للصاوي ص ١٦٥ والوسيلة ص ٤٩١.

وهذا القسم هو الذي تنازع فيه الْمُعْتَزِلَةُ والأشاعِرَةُ ومن وافقَهُم، أما الصفة النفسية (الوجود) والصفات السلبية فلا نزاع فيها بينهم^(١).

النزاع في صفات المعاني

يتفق المُسْلِمُونَ جميعاً من فلاسفة ومتكلمين، على أن الله تعالى واحد، يتصف بصفات الكمال الثبوتية الواجبة لذاته تعالى، والتي أطلقها الله تعالى على نفسه، إلا أنهم اختلفوا في تفسير صفات المعاني، على قولين:

القول الأول: وهو قول الجُمهُور: الأشاعِرَةُ^(٢) والماتُرِيدِيَّةُ^(٣)، وهو:

أن الله سَمِيعٌ بصفة تسمى 'سمعاً'، وَبَصِيرٌ بصفة تسمى 'بصراً'، وكذا في سائر الصفات، فهو قَدِيرٌ بقدرة، ومريد بإرادة، وَعَلِيمٌ بعلم، ومتكلم بكلام، وحي بحياة^(٤).

وهذه الصفات:

١- أزلية. أي: ليست حادثة، لأن الله تعالى الواجب الوجود لا تقوم الحوادث بذاته.

٢- قائمة بذاته. أي: ليست قائمة بذاتها، أي: ليست وجوداً خارجياً مستقلاً.

٣- وهي ليست غير الذات، ولا عَيْنُ الذات، ولكنها زائدة على مفهوم الذات^(٥).

(١) شرح المقاصد للتفتازاني ج ٤ ص ٦٩.

(٢) المواقف ج ٨ ص ٤٥ والمُسَايَرَةُ ص ٧٠ وشرح غاية المُرَاد ص ٣٢.

(٣) المقاصد وشرحه للتفتازاني ج ٤ ص ٦٩.

(٤) المواقف ج ٨ ص ٤٥ وشرح المقاصد للتفتازاني ج ٤ ص ٦٩ والمُسَايَرَةُ وشرحها المُسَامَرَةُ ص ٧٠ وشرح غاية المُرَاد ص ٣٢.

(٥) المُسَامَرَةُ ص ٧٠ والمواقف ج ٨ ص ٤٤-٤٥. وانظر: شرح المقاصد للتفتازاني ج ٤ ص ٦٩. وذكر ابن أبي شريف في المُسَامَرَةُ ص ٧٢: لا نقول إنها غير الذات ولا عَيْنُ الذات، (لأن

أي: أَنَّ كَلَّاً من الذات المقدسة وصفاتها لا يتصور انفكاك أحدهما عن الآخر^(١) من حيث الوجود، وإن كان مفهوم الذات غير مفهوم الصفة^(٢).

وعندئذ لا تؤدي إلى تعدد وكثرة، لأنه لا غَيْرِيَّة بين الصفة والذات، ولا انفكاك بينهما ولا انتقال^(٣).

ومن أدلتهم:

١- أَنَّ الله تعالى أطلق على نفسه هَذِهِ الأسماء في كتابه وعلى لِسَان نبيه، والمفهوم في اللُّغَةِ من عَلِيم: ذات له علم، ومن قَدِير: ذات له قدرة... إلخ من الأوصاف المشتقة. بل يستحيل عند أهل اللُّغَةِ: عَلِيم بلا علم، كاستحالة علم بلا مَعْلُوم، أو كاستحالة عَلِيم بلا مَعْلُوم، فلا يجوز صَرْفه عن معناه لُغَةً إِلَّا لقاطع عقلي يوجب نفي معناه لُغَةً، ولم يوجد فيه ما يَصْلُح شُبْهَةً، فضلاً عن وجود دليل^(٤).

٢- لو كان العلم نفس الذات، والقدرة نفس الذات، كما قالوا، لكان العلم نفس القدرة، فكان المفهوم من العلم والقدرة أمراً وَاحِداً، وَأَنَّهُ ضروري البطلان، وكذا الحال في باقي الصفات، التي ادَّعَى أنها عَيْن الذات^(٥).

٣- لو كان علمه ذاته، كما قالوا، لكان العلم - مثلاً - واجباً مَعْبُوداً صانعاً للعالم

الغيرين هما المفهومان اللذان ينفك أحدهما عن الآخر في الوجود، بحيث يُتَصَوَّر وجود أحدهما مع عدم الآخر).

(١) المُسَامَرَة ص ٧٢ وحَاشِيَةِ الصَّاوِي على الدَّرْدِير ص ٨٢.

(٢) حَاشِيَةِ مُحَمَّدٍ مُحْيِي الدِّين عبد الحميد على المُسَامَرَة ص ٧٢.

(٣) وقد لزم النَّصَارَى الكُفْرُ، لأنهم قالوا بِالْغَيْرِيَّة، وجوزوا الانتقال والانفكاك بين الذات والصفة. / شَرْح رَمَضَانَ أفندي على شَرْح العَقَائِد النَّسَفِيَّة ص ١٢٢-١٢٣ وحَاشِيَةِ الصَّاوِي على الدَّرْدِير ص ٨٢ ودراسات في الفِرَق ص ٢٤٩.

(٤) المُسَايَرَة وشرحه المُسَامَرَة ص ٧١-٧٢.

(٥) المَوَاقِف وشرحه للسَّيِّد الشَّرِيف ج ٨ ص ٤٦-٤٧.

موصوفاً بِالْكَمَالَاتِ، وهو باطل^(١).

القول الثاني: وهو مَذْهَبُ الْمُعْتَزِلَةِ^(٢)، وَالْفَلَّاسِفَةِ^(٣)، وَالشَّيْعَةِ الْإِمَامِيَّةِ^(٤)، وَالْإِبَاضِيَّةِ^(٥)، وَالْجَهْمِيَّةِ^(٦).

وهو نفى الصفات الزائدة على الذات.

فالله عالم بالذات بلا علم، وقادر بالذات بلا قدرة، وسَمِيعٌ بالذات بلا سمع...^(٧)، فهم قالوا: إِنَّ الْقَدِيمَ ذَاتٌ وَاحِدَةٌ قَدِيمَةٌ، وَلَا يَجُوزُ إِثْبَاتُ ذَوَاتٍ قَدِيمَةٍ مُتَعَدِّدَةٍ^(٨).

(١) الْمَقَاصِدُ وَشَرْحُهُ لِلتَّفْتَازَانِيِّ ج ٤ ص ٧٢ و ٧٤ وَشَرْحُ قَاسِمِ بْنِ قُطْلُوبُغَا عَلَى الْمُسَايِرَةِ ص ٧٢.

(٢) الْمَوَاقِفُ ج ٨ ص ٤٥ و ٤٧ وَالْمَقَاصِدُ لِلتَّفْتَازَانِيِّ ج ٤ ص ٦٩ و ٧٢ وَالْاِقْتِصَادُ فِي الْاِعْتِقَادِ لِلْغَزَالِيِّ ص ٧٥ وَالْمُسَامَرَةُ ص ٧١ وَشَرْحُ قَاسِمِ بْنِ قُطْلُوبُغَا عَلَى الْمُسَايِرَةِ ص ٧٠-٧١ وَمَشَارِقُ أَنْوَارِ الْعُقُولِ ج ١ ص ٣٤٧ وَشَرْحُ غَايَةِ الْمُرَادِ ص ٣١.

(٣) الْاِقْتِصَادُ فِي الْاِعْتِقَادِ لِلْغَزَالِيِّ ص ٧٥ وَالْمَوَاقِفُ ج ٨ ص ٤٥ وَالْمَقَاصِدُ لِلتَّفْتَازَانِيِّ ج ٤ ص ٦٩ و ٧٢ وَالْمُسَامَرَةُ ص ٧٠.

(٤) الْمَوَاقِفُ ج ٨ ص ٤٥ و ٤٧ وَالْمُسَامَرَةُ ص ٧٠ وَمَشَارِقُ أَنْوَارِ الْعُقُولِ ج ١ ص ٣٤٧، وَفِيهَا كَلِمَاتُ: الشَّيْعَةِ. وَعَقَائِدُ الْإِمَامِيَّةِ ص ٣٩.

(٥) الْمَوْجُزُ لِأَبِي عَمَّارٍ ج ٢ ص ١٤٨ وَمَشَارِقُ أَنْوَارِ الْعُقُولِ ج ١ ص ٣٤٧ وَشَرْحُ غَايَةِ الْمُرَادِ ص ٣١ وَالْبَعْدُ الْحَضَارِيُّ ص ٢٢٩ وَمَا بَعْدَهَا.

(٦) التَّنْبِيهُ وَالرَّدُّ ص ١٢١ و ١٢٥ و ١٣٥.

(٧) الْاِقْتِصَادُ فِي الْاِعْتِقَادِ لِلْغَزَالِيِّ ص ٧٥ وَالْمَوَاقِفُ ج ٨ ص ٤٥ وَالْمُسَامَرَةُ ص ٧١ وَالْبَعْدُ الْحَضَارِيُّ ص ٢٣٨.

(٨) الْاِقْتِصَادُ فِي الْاِعْتِقَادِ لِلْغَزَالِيِّ ص ٧٥ وَحَاشِيَةُ مُحَمَّدٍ مُخْبِي الدِّينِ عَبْدِ الْحَمِيدِ عَلَى الْمُسَامَرَةِ ص ٧٠.

وَلَكِنَّ الْمُعْتَزِلَةَ نَاقِضُوا فِي نَفْيِ الصِّفَاتِ فِي صِفَتِي الْكَلَامِ وَالْإِرَادَةِ، فَاعْتَبَرُوهُمَا مَعْنِيَيْنِ وَرَاءَ الذَّاتِ - أَيْ صِفَتَيْنِ زَائِدَتَيْنِ عَلَى ذَاتِهِ - . وَزَعَمُوا أَنَّهَا مُحَدَّثَتَانِ قَائِمَتَانِ بِذَوَاتِهِمَا، غَيْرُ قَائِمَتَيْنِ

واحتجوا على قولهم هذا:

بأن القول بتعدد القدماء - الذات والصفات - كفرٌ بالإجماع، وبه كفرت النَّصَارَى حين قالوا: الذات الإلهية أقانيم ثلاثة قديمة.

ورُدَّ: بأن الكفر إثبات ذوات قديمة، لا إثبات ذات وَاحِدَةٍ وصفات قدماء^(١).

ثم إن نفي الصفات يجعل الألوهية فكرة مجردة. لا مضمون فيها^(٢).

قال الفخر الرَّازِي: (المُشَبَّه يَعْبُدُ صَنَمًا، وَالْمُعْطَلُّ يَعْبُدُ عَدَمًا).

وقال ابن تَيْمِيَّة: (إِنَّ إِثْبَاتَ حَيِّ عَلِيمٍ قَدِيرٍ حَكِيمٍ سَمِيعٍ بَصِيرٍ، بِلا حياة ولا علم ولا قدرة ولا حكمة ولا سمع ولا بصر، مكابرةٌ للعقل كإثبات مُصَلٍّ بلا صلاة، وصائم

بذاته تعالى، فالإرادة يخلقها في غير محل، والكلام يخلقه في جسم جهاد، ويكون هو المتكلم به. / شَرَحَ قَاسِمُ بْنُ قُطْلُوبُغَا عَلَى الْمُسَايَرَةِ، وَحَاشِيَةُ مُحَمَّدٍ مُحْيِي الدِّينِ عَبْدِ الحميد ص ٧٠-٧١. وانظر: المواقف وشرحه ج ٨ ص ٨٥ و ٩٢ و ٩٥ والاقتصاد في الاعتقاد للغزالي ص ٧٥.

أما الفلاسفة فلم يتناقضوا إلا في الكلام فقالوا: إنه متكلم، بمعنى: أنه يخلق في ذات النبي ﷺ سَمَاعَ أصوات منظومة، إما في النوم أو في اليقظة، ولا وجود لتلك الأصوات في الخارج البتة، وإنما يقتصر وجودها على سماع النبي كالنائم حين يرى أشخاصاً، أو يسمع أصواتاً لا وجود لها في الخارج، وإنما وجودها في دماغه، حتى لو فرض أن بجوار النائم أشخاصاً لم يسمعوها. ورُدَّ:

أ- بأنه لو كان متكلماً بكلام غيره، لجاز أن يكون متحركاً ومصوتاً بحركة غيره وصوته، وذلك محال.

ب- وإذا أرجعنا مَعْرِفَةَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى أَضْغَاثِ الْأَحْلَامِ، فَذَلِكَ لَا يَكُونُ عِلْمًا، وَيَكُونُ الشَّرْعُ كُلُّهُ مُرَدودًا، لانعدام الثقة به. / حَاشِيَةُ مُحَمَّدٍ مُحْيِي الدِّينِ عَلَى الْمُسَايَرَةِ ص ٧٠-٧١. وانظر: الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي ص ٧٨-٧٩.

(١) المواقف وشرحه للسيد الشريف ج ٨ ص ٤٧-٤٨ وذكر أن هذه الحجة التي ردها هي حجة الْمُعْتَزَلَةِ وَالشَّيْعَةِ. وانظر: المَقَاصِدُ وشرحه للفتناراني ج ٤ ص ٨٠ و ٨٢ وشرح الخريذة للذردير وحاشية الصاوي عليه ص ٨٢-٨٣.

(٢) دراسات في الفرق ص ٢٤٢ و ٢٤٥.

بلا صيام، وقائم بلا قيام^(١).

وقد صَوَّرَ السَّيِّدُ الشَّرِيفُ الْجُرْجَانِيُّ مَذْهَبَ الْمُعْتَزِلَةِ وَمَنْ وَافَقَهُمْ بِقَوْلِهِ: (فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ يُتَصَوَّرُ كَوْنُ صِفَةِ الشَّيْءِ عَيْنَ حَقِيقَتِهِ، مَعَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الْمَوْصُوفِ وَالصِّفَةِ يَشْهَدُ بِمُغَايِرَتِهِ لِصَاحِبِهِ؟ وَهَلْ هَذَا إِلَّا كَلَامٌ مُخِيلٌ، لَا يُمْكِنُ أَنْ يَصْدُقَ بِهِ، كَمَا فِي سَائِرِ الْقَضَايَا الْمُخَيَّلَةِ، الَّتِي يَمْتَنِعُ التَّصَدِّيقُ بِهَا؟ فَلَا حَاجَةَ بِنَا إِلَى الْإِسْتِدْلَالِ عَلَى بَطْلَانِهِ.

قُلْتُ: لَيْسَ مَعْنَى مَا ذَكَرُوهُ، أَنَّ هُنَاكَ ذَاتًا وَلَهُ صِفَةٌ، وَهِيَ مُتَّحِدَانِ حَقِيقَةٌ، كَمَا تَخِيلَتُهُ، بَلْ مَعْنَاهُ: أَنَّ ذَاتَهُ تَعَالَى يَتَرْتَبُ عَلَيْهِ مَا يَتَرْتَبُ عَلَى ذَاتٍ وَصِفَةٍ مَعًا. مِثْلًا: ذَاتُكَ لَيْسَتْ كَافِيَةً فِي انْكِشَافِ الْأَشْيَاءِ عَلَيْكَ، بَلْ تَحْتَاجُ فِي ذَلِكَ إِلَى صِفَةِ الْعِلْمِ، الَّتِي تَقُومُ بِكَ، بِخِلَافِ ذَاتِهِ تَعَالَى فَإِنَّهُ لَا يَحْتَاجُ فِي انْكِشَافِ الْأَشْيَاءِ وَظُهُورِهَا عَلَيْهِ إِلَى صِفَةٍ تَقُومُ بِهِ، بَلِ الْمَفْهُومَاتُ بِأَسْرَافِهَا مِنْكَشَفَةٌ عَلَيْهِ لِأَجْلِ ذَاتِهِ تَعَالَى، فَذَاتُهُ بِهَذَا الْإِعْتِبَارِ حَقِيقَةٌ الْعِلْمِ، وَكَذَا الْحَالُ فِي الْقُدْرَةِ، فَإِنَّ ذَاتَهُ تَعَالَى مُؤَثِّرَةٌ بِذَاتِهَا، لَا بِصِفَةٍ زَائِدَةٍ عَلَيْهَا، كَمَا فِي ذَوَاتِنَا فَهِيَ بِهَذَا الْإِعْتِبَارِ حَقِيقَةُ الْقُدْرَةِ، وَعَلَى هَذَا تَكُونُ الذَّاتُ وَالصِّفَاتُ مُتَّحِدَةً فِي الْحَقِيقَةِ، مُتَغَايِرَةٌ بِالْإِعْتِبَارِ وَالْمَفْهُومِ. وَمَرْجِعُهُ إِذَا حَقَّقَ: إِلَى نَفْيِ الصِّفَاتِ مَعَ حَصُولِ نَتَائِجِهَا وَثَمَرَاتِهَا مِنَ الذَّاتِ وَحْدَهَا^(٢).

والذي أراه:

أَنَّ هَذَا الْإِخْتِلَافَ بَيْنَ الْأَشَاعِرَةِ وَمُوَافِقِهِمْ وَبَيْنَ الْمُعْتَزِلَةِ وَمُوَافِقِهِمْ يَنْتَهِي جَمِيعًا إِلَى الْقَوْلِ بِوَحْدَانِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَتَنْزِيهِهِ عَنْ كُلِّ مَا لَا يَلِيْقُ بِهِ، وَهَذَا الْخِلَافُ لَا يُؤْدِي إِلَى تَكْفِيرِ أَحَدِ الْفَرِيقَيْنِ.

(١) دراسات في الفرق ص ٢٤٢ وفيه قول الرَّايزِي، وأورد د. عِرْفَان عبد الحميد في هامش ص ٢٤٦ قول ابن تَيْمِيَّةَ نَقْلًا عَنْ كِتَابِهِ النُّبُوءَاتُ ص ٤٢. وَأورد فيه أَيْضًا بَيَانَ الْفَرْقِ وَأَسَاسَهُ بَيْنَ النِّفْيِ الْمَحْضِ لِلصِّفَاتِ عِنْدَ الْفَلَّاسِفَةِ الْمُؤَدِّي إِلَى التَّعْطِيلِ الْكَامِلِ، وَبَيْنَ النِّفْيِ الْمَعْتَدِلِ عِنْدَ الْمُعْتَزِلَةِ، حِينَ أَثْبَتُوا أَنَّ صِفَاتِهِ عَيْنُ ذَاتِهِ، وَنَفَوْا زِيَادَتَهَا عَلَى ذَاتِهِ.

(٢) شَرْحُ الْمَوَاقِفِ ج ٨ ص ٤٧.

إِلَّا أَنَّ سِيَاسَةَ الْمُعْتَرِكةِ أَيَّامَ الْمَأْمُونِ وَالْمُعْتَصِمِ وَالْوَاتِقِ، انْتَهَجَتْ سَبِيلَ الشَّدَّةِ تَجَاهَ مَخَالِفِهِمْ، فَوَسَّعَتْ شُقَّةَ الْخِلَافِ بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ.

وَلَكِنْ حِينَ وَضَحْتَ الْمَعَالِمَ، وَمَحَصْتَ الْأَقْوَالَ، وَهَدَأْتَ النُّفُوسَ، ذَكَرَ الْمُتَكَلِّمُونَ: بِأَنَّ هَذَا النِّزَاعَ لَا يَعْنِي تَكْفِيرَ أَحَدِ الطَّرَفَيْنِ.

قَالَ الْإِمَامُ الدَّوَّانِيُّ فِي حَاشِيَتِهِ عَلَى الْعَقَائِدِ الْعَصْدِيَّةِ: (وَاعْلَمْ أَنَّ مَسْأَلَةَ زِيَادَةِ الصِّفَاتِ وَعَدَمَ زِيَادَتِهَا، لَيْسَتْ مِنَ الْأَصُولِ الَّتِي يَتَعَلَّقُ بِهَا تَكْفِيرُ أَحَدِ الطَّرَفَيْنِ. وَقَدْ سَمِعْتُ بَعْضَ الْأَصْفِيَاءِ أَنَّهُ قَالَ: عِنْدِي إِنْ زِيَادَةُ الصِّفَاتِ وَعَدَمُ زِيَادَتِهَا وَأَمْثَالُهَا، مِمَّا لَا يَدْرِكُ إِلَّا بِالْكَشْفِ، وَمَنْ أَسْنَدَهُ إِلَى غَيْرِ الْكَشْفِ، فَإِنَّمَا يَتَرَاءَى مِنْهُ مَا كَانَ غَالِبًا عَلَى اعْتِقَادِهِ بِحَسَبِ النَّظَرِ الْفِكْرِيِّ، وَلَا أَرَى بَأْسًا فِي اعْتِقَادِ أَحَدِ طَرَفِي النِّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ^(١)).

وَحَتَّى أَنَّ الْإِمَامَ مُحَمَّدَ عَبْدَهُ نَهَى عَنِ الْخَوْضِ فِيهَا، لِأَنَّ الْبَحْثَ فِيهَا بَعِيدٌ عَنْ مَقْصِدِ الشَّرْعِ، فَقَالَ: (أَمَّا كَوْنُ الصِّفَاتِ زَائِدَةً عَلَى الذَّاتِ... فَمِمَّا لَا يَجُوزُ الْخَوْضُ فِيهِ، إِذْ لَا يُمْكِنُ لِعُقُوقِ الْبَشَرِ أَنْ تَصِلَ إِلَيْهِ، وَالِاسْتِدْلَالُ عَلَى شَيْءٍ مِنْهُ بِالْأَلْفَاظِ الْوَارِدَةِ ضَعْفٌ فِي الْعَقْلِ وَتَغْرِيرٌ بِالشَّرْعِ، لِأَنَّ اسْتِعْمَالَ اللَّغَةِ لَا يَنْحَصِرُ فِي الْحَقِيقَةِ، وَلَكِنْ انْحَصَرَ فِيهَا فَوْضَعُ اللَّغَةِ لَا تَرَاوَى فِيهِ الْوُجُودَاتُ بِكُنْهَاتِهَا الْحَقِيقِيَّةِ، وَإِنَّمَا تِلْكَ مَذَاهِبُ فِلَسْفَةٍ إِنْ لَمْ يَضِلْ فِيهَا أَمْثَلُهُمْ، فَلَمْ يَهْتَدِ فِيهَا فَرِيقٌ إِلَى مُقْنَعٍ، فَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْوُقُوفُ عِنْدَ مَا تَبَلَّغَهُ عُقُوقُنَا)^(٢).

وَإِنَّمَا مَرَرْنَا عَلَى هَذَا الْاِخْتِلَافِ بِسُرْعَةٍ، حَتَّى يَتَضَحَّ لِلْقَارِئِ صِحَّةُ مَا ذَكَرَهُ الْإِمَامُ الدَّوَّانِيُّ، وَيَتَعَرَّفَ عَلَى مَنَاجِجِ الْمُتَكَلِّمِينَ فِي تَفْسِيرِ الصِّفَاتِ.

(١) حَاشِيَةُ الدَّوَّانِيِّ عَلَى الْعَقَائِدِ الْعَصْدِيَّةِ ج ١ ص ٣٠٠-٣٠١. وَانْظُرْ: خَيْرُ الْقَلَائِدِ ص ٤٥.

(٢) رِسَالَةُ التَّوْحِيدِ لِلشَّيْخِ مُحَمَّدَ عَبْدَهُ ص ٥٢.

سبب ظهور المشكلة:

اختلف الباحثون في سبب ظهور مشكلة الصفات الإلهية على قولين:
القول الأول: ظهرت بتأثير أجنبي خارجي. لكنهم اختلفوا في هذا المصدر على أقوال:

١- علم الكلام المسيحي. وخاصة عن طريق كتابات القديس يوحنا الدمشقي، بحجة: التشابه بين الفكرين المسيحي والإسلامي في أكثر من فكرة في معالجة هذه المشكلة، ويؤيد هذا الرأي:

ما قاله الشَّهْرَسْتَانِي في صدد الرد على أبي الهذيل العلاف: (وإذا أثبت أبو الهذيل هذه الصفات وجوهاً للذات، فهي بعينها أقانيم النَّصَارَى).
٢- اليهودية. بحجة:

أن قول الْمُعْتَزِلَة: (القرآن مخلوق)، مقتبس من قول اليهود (التوراة مخلوقة).
قال ابن الأثير في تاريخه (الكامل): (إن أول من نشر مقالة خلق القرآن هو ليبيد بن الأعصم، ثم أخذ ابن أخته طالوت هذه المقالة عنه، وصنف في القرآن. فكان أول من فعل ذلك في الإسلام، وكان طالوت هذا زنديقاً، فأفشى الزندقة).
وذكر ابن قتيبة أن: (أول من قال بخلق القرآن هو المغيرة بن سعيد العجلي، وكان من أتباع عبد الله بن سبأ اليهودي).
٣- الفلاسفة:

وذلك للصلات الفكرية بين الفلاسفة والمتكلمين، وخاصة بين المعتزلة وبين الفلاسفة اليونانية.

القول الثاني: ظهرت نتيجة حتمية للتطور الفكري داخل الإسلام نفسه، بحجة:

١- أن المشكلة ظهرت نتيجة النقاش الديني، الذي دار في صفوف الخوارج حول مرتكب الكبيرة، الذي جرَّ إلى بحث مشكلة القضاء والقدر، ثم مشكلة

الصفات الإلهية.

٢- التمسك بحرفية الصفات الخيرية الواردة في القرآن الكريم، وحمل تلك الصفات على معانيها الحقيقية دون المجاز، الذي تطور من مشكلة لغوية إلى فلسفية بمعناها المصطلح^(١).

تاريخ المشكلة:

أول من نفى الصفات الإلهية هو الجعد بن درهم، وأخذها عنه الجهم بن صفوان، وقد بنى الجهم فكرته على ركنين هما:

أ- لغوي: قال جهم: المائلة هي الاشتراك في الاسم. ولذلك كان يقول: لا أصف الباري تعالى بوصف يجوز إطلاقه على غيره كحي وعالم ومريد... ولذا أثبت الجهم لله تعالى صفة القدرة والخلق والإيجاد، لأنه لا أحد يوصف بهذا من الخلق.

ب- فلسفي: كان الجهم جبرياً، فنفى القدرة الإنسانية والاستطاعة، فالإنسان مجبر في أفعاله جميعاً.

وجاء المعتزلة فنفوا الصفات الإلهية. ويعتبر واصل بن عطاء شيخ المعتزلة أول من نفى الصفات منهم، قال: (من أثبت معنى أو صفة قديمة فقد أثبت إلهين)^(٢).

صفات المعاني وتعلقاتها

صفات المعاني سبع: القدرة، والإرادة، والسمع، والبصر، والعلم، والكلام، والحياة.

ومعنى التعلق هو: اقتضاء الصفة أمراً زائداً على قيامها بالذات، كإقتضاء العلم

(١) دراسات في الفرق ص ٢٢٧-٢٣١، وأشار إلى الملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ٦٣ والكامل لابن الأثير ج ٧ ص ٤٩ وعيون الأخبار لابن قتيبة ج ١ ص ١٤٨.

(٢) دراسات في الفرق ص ٢٣٢-٢٣٦.

مَعْلُومًا يَنْكَشِفُ بِهِ، واقتضاء الإرادة مُرَادًا يَتَخَصَّصُ بِهَا، واقتضاء القدرة مقدورًا يَتَأَتَّى بِهَا إِيجَادُهُ وَإِعْدَامُهُ، واقتضاء السمع مسموعًا يُسْمَعُ بِهِ، واقتضاء البصر مُبْصَرًا يُبْصَرُ بِهِ، واقتضاء الكلام معنى يَدُلُّ عَلَيْهِ. أما الحياة فلا تقتضي شيئاً زائداً على الذات، لأنها صفة تصحح الإدراك لمن قامت به من غير أن تطلب أمراً زائداً على قيامها بمحلها^(١). والمتعلّق قد يتعلق بالواجب والمستحيل والممكن، وهو العلم والكلام. أو يتعلق بالممكن فقط، وهو القدرة والإرادة. أو يتعلق بالواجب والممكن، وهو السمع والبصر^(٢).

١- القدرة

هي صفة أزلية يَتَأَتَّى بِهَا إِيجَادُ كُلِّ مُمْكِنٍ وَإِعْدَامُهُ^(٣).

وضدها: العجز.

الدليل العقلي على ذلك:

أ- هو أنه تعالى لو لم يَتَّصِفْ بِالْقُدْرَةِ، لَكَانَ عَاجِزًا.

ولو كان عَاجِزًا، لما وجد شيء من هَذِهِ الْخَوَادِثِ الْمُحْكَمَةِ الصَّنْعَةِ الْمُرْتَبَةِ الْمُتَقَنَةِ،

وعدم وجود شيء من الْخَوَادِثِ بَاطِلٍ بِالْمُشَاهَدَةِ وَالْحَسِّ^(٤).

(١) شَرْحُ الْخَرِيدَةِ لِلدَّرْدِيرِ ص ٧٨-٨١ وَحَاشِيَةُ الصَّاوِي عَلَيْهِ، وَشَرْحُ الْجَوْهَرَةِ لِلصَّاوِي ص ١٩٤-١٩٥.

(٢) شَرْحُ الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ١٤٢.

(٣) شَرْحُ الْخَرِيدَةِ لِلدَّرْدِيرِ ص ٧٢ وَشَرْحُ أُمِّ الْبَرَاهِينِ لِلْسَّنُوسِيِّ وَحَاشِيَةُ الدُّسُوقِيِّ عَلَيْهِ ص ٩٩.

(٤) انظر: حَاشِيَةُ مُحْيِي الدِّينِ عَبْدِ الْحَمِيدِ عَلَى الْمُسَامَرَةِ ص ٥٨ وَأُصُولُ الدِّينِ لِلْغَزَنَوِيِّ ص ٩٦ وَشَرْحُ أُمِّ الْبَرَاهِينِ لِلْسَّنُوسِيِّ وَحَاشِيَةُ الدُّسُوقِيِّ عَلَيْهِ ص ١٦٧.

ب- الله صانع قديم، له مصنوع حادث، وكل من كان كذلك تجب له القدرة، فالله تجب له القدرة^(١). فصدور الحادث عن القديم، لا يتصور إلا بطريق القدرة.

ج- لو كان عاجزاً، لكان ناقصاً، والنقص على الإله محال.

د- لو كان عاجزاً، لكان ناقصاً.

ولو كان ناقصاً، لاحتاج إلى من يكمله، ومكمّله يحتاج إلى مكمل آخر... وهكذا، فيلزم الدور أو التسلسل، وكلاهما باطل.

الدليل النقلي:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ - البقرة ١٠٩.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتِ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ - فاطر ٤٤.

تعلق القدرة:

١- لا تتعلق القدرة إلا بالممكن دون الواجب والمستحيل^(٢). أي: لا تؤثر القدرة إلا في الممكنات فقط، لأن الممكن هو الذي يقبل الوجود والعدم.

أما الواجب: فلا يقبل التأثير، لأن القدرة إن تعلقت بالواجب فلا يصح أن تعدمه، لأنه موجود لا يقبل العدم، ولا يصح أن توجده لأنه يلزم منه تحصيل الحاصل.

وكذا المستحيل: لا يقبل التأثير أيضاً، لأن القدرة إن تعلقت بالمستحيل فلا يصح أن توجده، لأنه معدوم لا يقبل الوجود، ولا يصح أن تعدمه لأنه يلزم منه تحصيل

(١) شرح الجوهرة للباجوري ص ١٢٢. وانظر: المقاصد وشرحه ج ٤ ص ٩٢-٩٥.

(٢) المسامرة ص ٦٢ وشرح الجوهرة للباجوري ص ١٢١. وانظر: المواقف وشرحه للسيد الشريف ج ٨ ص ٦٠ وشرح أم البراهين للسنوسي وحاشية الدسوقي عليه ص ٩٨.

الحاصل^(١).

فإن سأل سائل:

هل يقدر الله تعالى أن يُوجدَ إلهاً مثله؟ أو نحو ذلك من التأثير في الواجب والمستحيل؟

فجوابه هو: أنَّ هذا وإن ورد بصيغة السؤال، فليس بسؤال حقيقة، وإنما هو تأليف كلام فارغ، ذلك لأنه لو أوجد الله تعالى شريكاً له، لم يكن هذا الشريك واجب الوجود، لأنه مسبوق بالعدم....

فهذا السؤال كقول القائل لك: هل تتكرم عليّ بأن تكون مشاهداً أمامي وغائباً عني في لحظة واحدة؟ فهو سؤال لا معنى له، ولا فائدة من ورائه، كأي كلام مختلط، لم يقل صاحبه شيئاً يحتاج إلى جواب، إنما هو تصوّر وهمي يشبه أسئلة الطفل الفارغة التي لا معنى لها.

فالسائل هذا يحتاج إلى تعلّم ما هو المستحيل والواجب والممكن، وجوابك له يكون من قبيل تعلّم الجاهل لا جواب السائل^(٢).

قال الباجوري: ولذلك شنع السنوسي في شرح الصغرى على ابن حزم، في قوله: الله قادر أن يتخذ ولداً، وإلا كان عاجزاً^(٣).

٢- للقدرة تعلقات، منها:

أ- تعلق صُلُوحِيّ قديم. أي: أن قدرة الله تعالى صالحة في الأزل لأن توجد وتعدم الممكنات فيما لا يزال، فهي صالحة أزلاً لإيجاد الممكن وإعدامه.

(١) شرح الجوهرة للباجوري ص ١٢١.

(٢) كبرى اليقينية الكونية ص ١٣٧-١٤٠.

(٣) شرح الجوهرة للباجوري ص ١٢١. وانظر التشنيع المذكور في: شرح أم البراهين للسنوسي (العقيدة الصغرى) ص ١٠٤.

ب- تعلق تَنْجِيزِيَّ حادث. أي: أنه تعالى يوجد الممكن ويعدمه فيما لا يزال بقدرته^(١).

٣- القدرة صفة من شأنها تنفيذ ما خصصته الإرادة، كإخراج الممكن من العدم إلى الوجود فعلاً إذا توجهت إلى إيجاد. أو صرفه من الوجود إلى العدم إذا توجهت الإرادة إلى إعدامه^(٢).

٢- الإرادة

صفة أزلية، تخصّصُ الممكن ببعض ما يجوز عليه، من وجود أو عدم، ومقدار وزمان ومكان وجهة^(٣). وترادفها المشيئة^(٤).

وضدها: الإكراه، أو الكراهية، أي: عدم الإرادة^(٥).

الدليل العقلي على ذلك:

١- الله صانع للعالم بالاختيار، وكلُّ مَنْ كان كذلك تجب له الإرادة، فالله تجب له الإرادة^(٦).

٢- لو لم يكن الله تعالى مُريدًا، لكان مُكرهاً.

(١) شرح الجوهرة للباجوري ص ١٢٠-١٢١ وشرح السنوسية للباجوري ص ٦٣ ورسالة في التوحيد للطائي ص ٤٣.

(٢) رسالة في التوحيد للطائي ص ٤٧.

(٣) شرح الخريدة للذردير ص ٧٢.

(٤) شرح الجوهرة للباجوري ص ١٢٢. وهناك من فرّق بين المشيئة والإرادة. / انظر: شرح الفقه الأكبر لعليّ القاري ص ٣٩.

(٥) شرح الخريدة للذردير ص ٨٦.

(٦) شرح الجوهرة للباجوري ص ١٢٤ وشرح المقاصد ج ٤ ص ١٢٨.

ولو كان مُكْرَهًا، لكان عَاجِزًا.

ولو كان عَاجِزًا، لما وجد شيء من هَذِهِ المخلوقات.

وعدم وجود شيء من هَذِهِ المخلوقات باطل بالمشاهدة، فثبتت إرادته تعالى^(١).

٣- لو لم يكن الله تعالى مريدًا، لكان مُكْرَهًا، والإكراه في حقه تعالى نقص، وهو باطل.

٤- لو كان تعالى مُكْرَهًا لما اتصف بالقدرة، لأن تعلق القدرة موقوف على تعلق الإرادة (أي القصد إلى الفعل)، فلا تتعلق القدرة إلا بما تعلقت به الإرادة.

الدليل النقلي:

قوله تعالى: ﴿فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ - هود ١٠٧ والبروج ١٦.

وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾ - البقرة ١٨٥.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ - يس ٨٢.

تعلق الإرادة:

الإرادة كالقدرة في التعلق. فهي لا تتعلق إلا بالممكن، دون الواجب والمستحيل^(٢).

(١) شرح الخريدة للدردير ص ٧٣.

(٢) شرح الجوهر للباجوري ص ١٢٣ وشرح أم البراهين للسنوسي وحاشية الدسوقي عليه ص ٩٨.

وبقوله (الممكن) شمل الخير والشر، أي: أراد الله تعالى الخير والشر، خلافاً للمعتزلة القائلين بأن إرادة الله لا تتعلق بالشرور والقبائح، أي: يريد الله الخير ولا يريد الشر. / شرح الجوهر للباجوري ص ١٢٤. وانظر: الإنصاف للباقلاني ص ١٥٢.

حُكِيَ أَنَّ الْقَاضِي عَبْدِ الْجَبَّارِ الْهَمْدَانِيَّ أَحَدَ شُيُوخِ الْمُعْتَزِلَةِ دَخَلَ عَلَى الصَّاحِبِ بْنِ

وللإرادة تعلقان:

أ- تعلق ضُلُوحِيّ قديم، وهو صَلاحيّتها في الأزل لتخصيص الممكن بالوجود أو بالعدم، وبالغنى أو بالفقر^(١).

ب- تعلق تَنْجِيزِيّ قديم. فالإرادة في الأزل متعلقة بتخصيص الحوادث بأوقاتها^(٢)، وبالصفات التي توجد عليها في الخارج^(٣).

فالله تعالى أراد أزلاً: أن تكون موجوداً، وأن يبعث مُحَمَّدًا رَسُولاً.

الإرادة لا تستلزم الرضا:

ذكر شارح العقيدة الطحاوية أن الذي عليه أهل السنة والجماعة: أن الله تعالى

عبّاد، وعنده الأستاذ أبو إسحاق الإسفرائيني أحد أئمة أهل السنة، فلما رأى الأستاذ قال: سُبْحَانَ من تنزه عن الفحشاء. فقال الأستاذ فوراً: سُبْحَانَ من لا يقع في ملكه إلا ما يشاء. فقال القاضي: أي شيء ربنا أن يعصى؟ قال الأستاذ: أي عصى ربنا قهراً؟ فقال القاضي: رأيت إن منعني الهدى وقضى عليّ بالردى أحسن إلي أم أساء؟ فقال الأستاذ: إن منعك ما هو لك فقد أساء، وإن منعك ما هو له فهو يختص برحمته من يشاء. فبُهِتَ القاضي. / شَرْحُ الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ١١٤.

والقصة ودلالاتها في شَرْحِ الْفَقْهِ الْأَكْبَرِ لِعَلِيِّ الْقَارِي ص ٩٧ ولفظها له. وفقرتها الأولى إلى قوله: سُبْحَانَ من لا يجري في ملكه إلا ما يشاء، في: شَرْحِ الْعَقَائِدِ النَّسْفِيَّةِ لِلتَّفْتَّازَانِيِّ ص ١١٤ وَشَرْحِ الْمَقَاصِدِ لِلتَّفْتَّازَانِيِّ ج ٤ ص ٢٧٥.

(١) شَرْحُ الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ١٤٤.

(٢) الْمُسَايَرَةُ ص ٦٤.

(٣) شَرْحُ الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ١٢٣.

والتنجيز بالنسبة للإرادة هو محض تعلقها بممكن من الممكنات، سواء ظهر هذا الممكن إلى طور الوجود أم لم يظهر بعد، وقد تعلق إرادة الإنسان بعمل من الأعمال، ثم يطويه عن التنفيذ إلى ما بعد سنوات كثيرة، فتسمى إرادته هذه تنجيزية، أي: ليست مجرد قابلية محضة، بل هي توجه فعلي إلى مُرَاد معين. / كبرى اليقينيات الكونية ص ١٢٦.

يريد الكفر من الكافر ويشاؤه، ولا يرضاه ولا يُحِبُّه، فيشاؤه كوناً، ولا يرضاه ديناً.

وخالف في ذَلِكَ الْقَدَرِيَّةَ وَالْمُعْتَزِلَةَ، وزعموا أَنَّ الله شاء الإِيْمَانَ من الكافر، وَلَكِنْ الكافر شاء الكفر، فَرُّوا إِلَى هَذَا، لثَلَا يَقُولُوا: شاء الكفر من الكافر وعَذَّبَهُ عَلَيْهِ، وَلَكِنْ صاروا كالمستجير من الرَّمَضَاءِ بالنار، فَإِنَّهُمْ هَرَبُوا مِنْ شَيْءٍ فَوَقَعُوا فِيهَا هُوَ شَرُّ مِنْهُ، فَإِنَّهُ يَلْزَمُهُمْ أَنَّ مَشِيئَةَ الكافر غلبت مَشِيئَةَ الله تعالى، فَإِنَّ الله قد شاء الإِيْمَانَ مِنْهُ - عَلَى قَوْلِهِمْ - وَالْكَافِرُ شاء الكفر، فَوَقَعَتْ مَشِيئَةُ الكافر دُونَ مَشِيئَةِ الله تعالى. وَهَذَا مِنْ أَقْبَحِ الْأَعْتِقَادِ، وَهُوَ قَوْلٌ لَا دَلِيلَ عَلَيْهِ، بَلْ هُوَ مُخَالَفٌ لِلدَّلِيلِ...^(١).

رَوَى عَمْرُو بْنُ الْهَيْثَمِ قَالَ: خَرَجْنَا فِي سَفِينَةٍ، وَصَحِبْنَا فِيهَا قَدَرِيٌّ وَمَجُوسِيٌّ. فَقَالَ الْقَدَرِيٌّ لِلْمَجُوسِيِّ: أَسْلِمَ. قَالَ الْمَجُوسِيُّ: حَتَّى يَرِيدَ اللهُ. فَقَالَ الْقَدَرِيٌّ: إِنْ اللهُ يُرِيدُ، وَلَكِنْ الشَّيْطَانُ لَا يَرِيدُ. قَالَ الْمَجُوسِيُّ: أَرَادَ اللهُ، وَأَرَادَ الشَّيْطَانُ، فَكَانَ مَا أَرَادَ الشَّيْطَانُ. هَذَا شَيْطَانٌ قَوِيٌّ. وَفِي رِوَايَةٍ أَنَّهُ قَالَ: فَأَنَا مَعَ أَقْوَاهُمَا.

وَوَقَّفَ أَعْرَابِيٌّ عَلَى حَلْقَةٍ فِيهَا عَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ. فَقَالَ: يَا هَؤُلَاءِ، إِنْ نَاقَتِي سُرِقَتْ، فَادْعُوا الله أَنْ يَرُدَّهَا عَلَيَّ. فَقَالَ عَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ لَمْ تُرِدْ أَنْ تُسْرِقْ نَاقَتَهُ فَسُرِقَتْ، فَارُدُّدْهَا عَلَيْهِ. فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ: لَا حَاجَةَ لِي فِي دَعَائِكَ. قَالَ: وَلِمَ؟ قَالَ: أَخَافُ كَمَا أَرَادَ أَنْ لَا تُسْرِقَ فَسُرِقَتْ، أَنْ يَرِيدَ رَدَّهَا فَلَا تُرَدُّ^(٢).

وَمِنْشَأُ الضَّلَالِ كَانَ مِنَ التَّسْوِيَةِ بَيْنَ الْمَشِيئَةِ وَالْإِرَادَةِ وَبَيْنَ الْمَحَبَةِ وَالرِّضَا. فَسَوَّى بَيْنَهُمَا الْجَبَرِيَّةَ وَالْقَدَرِيَّةَ، ثُمَّ اخْتَلَفُوا:

فَقَالَتِ الْجَبَرِيَّةُ: الْكَوْنُ كُلُّهُ بِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ، فَيَكُونُ مُحِبُّوْبًا مَرْضِيًّا.

وَقَالَتِ الْقَدَرِيَّةُ: لَيْسَتْ الْمَعَاصِي مُحِبُّوْبَةً لِلَّهِ وَلَا مَرْضِيَّةً لَهُ، فَلَيْسَتْ مَقْدَّرَةً وَلَا مَقْضِيَّةً، فَهِيَ خَارِجَةٌ عَنْ مَشِيئَتِهِ وَخَلْقِهِ.

(١) شَرْحُ الْعَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّةِ لِابْنِ أَبِي الْعِزِّ ص ٣٢١.

(٢) الْمَصْدَرُ السَّابِقُ ص ٣٢٣.

إِلَّا أَنْ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فَرَّقُوا بَيْنَ الْمَشِئَةِ وَالْمَحَبَةِ، وَاسْتَدَلُّوا عَلَى الْمَشِئَةِ وَالْإِرَادَةِ بِأَدِلَّةٍ مِنْهَا:

١- قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ - الإنسان ٣٠، والتكوير ٢٩.

٢- قوله تعالى: ﴿مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأِ يُجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ - الأنعام

٣٩.

٣- قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَقُ فِي السَّمَاءِ﴾ - الأنعام ١٢٥^(١).

وَاسْتَدَلُّوا عَلَى الْمَحَبَةِ وَالرِّضَا بِأَدِلَّةٍ مِنْهَا:

١- قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ - البقرة ٢٠٥.

٢- قوله تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ - الزمر ٧.

٣- قوله تعالى عَقِيبَ مَا نَهَى عَنْهُ مِنَ الشَّرِكِ وَالظُّلْمِ وَالْفَوَاحِشِ وَالْكِبَرِ: ﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ - الإسراء ٣٨.

٤- قوله ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلَاثًا: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةُ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةُ الْمَالِ).

٥- قوله ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ يُؤْخَذَ بِرَخْصِهِ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ تُؤْتَى مَعْصِيَتُهُ)^(٢).

(١) المصدر السابق ص ٣٢٤.

وَمَعْنَى الْآيَةِ ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾: أَنَّ الْخَلْقَ لَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَجْرِكُوا فِي الْعَالَمِ ذَرَّةً أَوْ يَسْكُنُوهَا مَرَّةً بِدُونِ إِرَادَتِهِ لَمَا قَدَرُوا عَلَى ذَلِكَ، بَلْ وَلَا أَرَادُوا خِلَافَ مَا هُنَالِكَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾. فَهُوَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَزَلْ مُوصُوفًا بِإِرَادَتِهِ وَمُرِيدًا فِي الْأَزَلِ وَجُودَ الْأَشْيَاءِ فِي أَوْقَاتِهَا الَّتِي قَدَرَهَا، فَوُجِدَتْ فِيهَا كَمَا عِلْمُهَا وَأَرَادَهَا وَقَدَّرَهَا مِنْ غَيْرِ تَقَدُّمٍ وَلَا تَأَخُّرٍ وَتَبَدُّلٍ وَتَغْيِيرٍ. / شَرَحَ الْفَقْهُ الْأَكْبَرُ لِعَلِيِّ الْقَارِي ص ٣٩. وَانْظُرْ نَحْوَ هَذَا فِي: الْعَقِيدَةُ الطَّحَاوِيَّةُ وَشَرْحُهَا لِابْنِ أَبِي الْعَزَّازِ ص ١٣٣.

(٢) المصدر السابق ص ٣٢٥.

فإن قيل:

كيف يريد الله أمراً ولا يرضاه ولا يُحبه؟ وكيف يشاؤه ويكونه؟ وكيف يجتمع إرادته له وبُغْضُهُ وكرهه؟

أجيب: بأن المُرَاد نوعان: مُرَاد لنفسه، ومُرَاد لغيره.

فالمُرَاد لنفسه: مطلوب محبوب لذاته وما فيه من الخير، فهو مُرَاد إرادة الغايات والمقاصد.

والمُرَاد لغيره: قد لا يكون مقصوداً للمريد، ولا فيه مصلحة له بالنظر إلى ذاته. وإن كان وسيلة إلى مقصوده ومُراده، فهو مكروه له من حيث نفسه وذاته، مُرَاد له من حيث إفضاؤه وإيصاله إلى مُراده. فيجتمع فيه الأمران: بغضه وإرادته، ولا يتنافيان، لاختلاف متعلقهما. وهذا كالدواء الكريه، إذا عَلِمَ المتناولُ له أَنَّ فيه شفاءً، وقطع العضو المتآكل إذا عَلِمَ أَنَّ في قطعه بقاءَ جسده، وكقطع المسافة الشاقة إذا عَلِمَ أنها توصل إلى مُراده ومحبوبه.

بل العاقل يكتفي في إثارة هذا المكروه وإرادته بالظن الغالب، وإن خفيت عنه عاقبته، فكيف بمن لا يخفى عليه خافية.

فهو سُبحَانَهُ يكره الشيء، ولا يُنافي ذلك إرادته لأجل غيره، وكونه سبباً إلى أمر هو أَحَبُّ إليه من فوته، من ذلك: أنه خَلَقَ إبليس الذي هو مادة فساد الأديان والأعمال والاعتقادات والإرادات، وهو سببٌ لشقاوة كثير من العباد، ومع هذا فهو وسيلة إلى محاب كثيرة للرب تعالى ترتبت على خلقه، منها: أن تظهر للعباد قدرة الرب تعالى على خلق المتضادات، ومنها: ظهور آثار أسائه القهرية مثل القهار والمُنتَقِم،

وحديث: إن الله كره لكم ثلاثاً... إلخ، في: صَحِيح الْبُخَارِيِّ وَصَحِيح مُسْلِمٍ وَأَحْمَدَ وَالدَّارِمِيِّ وَغَيْرِهِمْ.

وحديث: إن الله يحب أن يؤخذ برخصه... إلخ، رواه أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ.

انظر تَحْرِيجَ الْحَدِيثَيْنِ فِي هَامِشِ شَرْحِ الْعَقِيدَةِ الطَّحَاوِيِّ السَّابِقِ.

ومنها: ظهور آثار أسمائه المتضمنة لحلمه وعَفْوه ومغفرته وستره^(١).

٣، ٤- السمع والبصر

السمع: صفة أزلية شأنها إدراك كل مسموع، وإن خفي^(٢).

فهي صفة تنكشف بها المسموعات من غير آلة. فلا يَغْرُب عن سمعه مسموع وإن خفي، ولا يحجب سمعه بُعْدٌ، ويسمع من غير أصمخة وأذان. وضدها: الصَّمَم.

البصر: صفة أزلية شأنها إدراك كل مُبْصَر، وإن لطف^(٣).

فهي صفة تنكشف بها المرئيات من غير آلة، فلا يغيب عن بصره مرئي وإن دَقَّ، ولا يدفع رؤيته ظلام، ويرى من غير حَذَقَة وأجفان. وضدها: العَمَى.

(١) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العزّ ص ٣٢٧-٣٢٩.

وفي شرح المقاصد للتفتازاني ج ٤ ص ١٣٧: مذهب أهل الحق أن كلّ ما أراد الله تعالى فهو كائن، وأن كل كائن فهو مُرَاد له، وإن لم يكن مرضياً ولا مأموراً به، بل منهياً عنه، وهذا ما اشتهر من السلف: أن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن. وخالفت المعتزلة...
(٢) المُسامرة ص ٦٨.

ذكر الرازي أن المسلمين اتفقوا على أنه سَمِيعٌ بَصِيرٌ، لكنهم اختلفوا في معناه على قولين: الأول: إنها صفتان زائدتان على العلم، وهو قول الجمهور من الأشاعرة ومن المعتزلة والكرامية.

الثاني: إنها عبارة عن علمه تعالى بالمسموعات والمبصرات، وهو قول الفلاسفة والكعبي وأبي الحسين البصري.

المُحَصِّل للرازي ص ١٧١. وانظر: كشف المراد ص ٣١٤.

(٣) المُسامرة السابق.

فهاتان الصفتان ليستا محدودتين. خلافاً لسمع الإنسان وبصره.

وانكشاف جميع الموجودات بالسمع والبصر يغير الانكشاف بالعلم، كما أن الانكشاف بإحدهما يغير الانكشاف بالأخرى^(١)، ولكل حقيقة يُفَوِّضُ علمُها لله تعالى، وليس الأمر على ما نعهده من أن البصر يفيد بالمشاهدة وضوحاً فوق العلم، بل جميع صفاته تامةٌ كَامِلَةٌ، يستحيل عليه الخفاء والزيادة والنقص إلى غير ذلك^(٢).

الدليل العقلي على ذلك:

أ- السمع والبصر صفتا كمال، وقد اتصف بهما المخلوق، فهو تعالى الأَحَقُّ بالاتصاف بهما. وإلا لزم أن يكون للمخلوق من صفات الكمال ما ليس للخالق^(٣).

ب- هو أن الله تعالى لو لم يتصف بالسمع والبصر، لزم أن يتصف بضدهما، وإذا ثبت اتصافه بضدهما، كان ذلك نقصاً، والنقص عليه محال^(٤).

فثبت اتصافه بالسمع والبصر.

ج- لو ثبت اتصافه بالصَّمَمِ والعَمَى، لكان ذلك نقصاً.

ولو كان ناقصاً، لاحتاج إلى من يكمله، ومكمّله يحتاج إلى مكمل آخر... وهكذا، فيلزم الدَّوْرُ أو التسلسل، وكلاهما باطل.

الدليل النقلي:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ - الحج ٧٥، ولقمان ٢٨.

(١) شرح الخريدة للدردير ص ٨١ وشرح الجوهرة للباجوري ص ١٣٢.

(٢) شرح الجوهرة للباجوري ص ١٣٢.

(٣) المُسامرة ص ٦٩.

(٤) انظر: المُسامرة ص ٦٩ وشرح أم البراهين للسنوسي وحاشية الدسوقي عليه ص ١٧٠ وأصول الدين للغزنوي ص ٩٨.

وقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ - الشُّورَى ١١.

تعلق السمع والبصر:

اختلف العلّماء في متعلّق السمع والبصر على قولين:

القول الأول: السمع والبصر يتعلّقان بكل الموجودات: الأصوات والذوات. وهو قول السَّنُوسِيِّ^(١) والدَّرْدِيرِ^(٢). فسمعه وبصره تعالى يخالفان سمعنا وبصرنا في التعلق، لأن سمعنا يتعلّق ببعض الموجودات وهي الأصوات المسموعة، وبصرنا يتعلّق ببعض الموجودات كالأجسام وألوانها^(٣).

وللسمع والبصر على هذا القول - إنها يتعلّقان بكل موجود - ثلاث تعلقات:

أ- تعلق تَنْجِيزِيّ قديم، وهو التعلق بذات الله تعالى وصفاته.

ب- تعلق صُلُوحِيّ قديم، وهو التعلق بنا قبل وجودنا.

ج- تعلق تَنْجِيزِيّ حادث، وهو التعلق بنا بعد وجودنا^(٤).

القول الثاني: صفة السمع تتعلّق بالمسموعات، وصفة البصر تتعلّق بالمبصرات. وهو قول السَّعْدِ التَّفْتَازَانِيِّ^(٥). لكن احتمال قوله تَفْسِيرَيْن:

أ- إن مُرَادَه بالمسموعات في حقنا وهي الأصوات، والمبصرات في حقنا وهي الذوات والألوان. فيكون مخالفاً للسَّنُوسِيِّ ومن تبعه.

(١) شَرْحُ أُمِّ الْبَرَاهِينِ لِلْسَّنُوسِيِّ وَحَاشِيَةُ الدُّسُوقِيِّ عَلَيْهِ ص ١٠٩ وَشَرْحُ الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ١٣١ نَقْلًا عَنْهُ.

(٢) شَرْحُ الْخَرِيدَةِ لِلدَّرْدِيرِ ص ٨٠.

(٣) شَرْحُ الْخَرِيدَةِ لِلدَّرْدِيرِ ص ٨١.

(٤) شَرْحُ الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ١٤٩.

(٥) شَرْحُ الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ١٣٢.

ب- أن يكون مُرَادَه المسموعات في حقه تعالى وهي الموجودات: الأصوات وغيرها، والمبصرات في حقه تعالى وهي الموجودات: الذوات وغيرها. فيكون موافقاً للسنوسي^(١).

أما المَعْدُومَات فلا تتعلقان بها بالاتفاق، إذ لا يعقل ذلك، وإلا كانت من قبيل الموجودات^(٢).

٥- العلم

صفة أزلية تَنَكِّشُفُ المَعْلُومَات عند تعلقها بها^(٣).

وضدها: الجهل وما في معناه، كالظن والشك والوهم والذهول والغفلة والنسيان والسهو^(٤).

الدليل العقلي على ذلك:

أ- الله فاعل فعلاً متقناً محكماً، وهذا ظاهر لمن نظر في الآفاق والأنفس والأحياء، ومن كان فعله متقناً كان عالماً.

لأن من رأى خطأ حسناً يتضمن ألفاظاً عذبة رشيقة، تدل على معانٍ دقيقة، علم بالضرورة أن كاتبه عالم، فالنتيجة أن الله تعالى عالم^(٥).

(١) شرح الجوهرة للباجوري ص ١٣٢، وانظر ص ١٤٨.

(٢) كبرى اليقينية الكونية ص ١٢٨ و ١٤٠.

(٣) شرح العقائد النسفية ص ٨٣.

(٤) رسالة في التوحيد للطائي ص ٤٨.

(٥) المواقف وشرحه للسيد الشريف ج ٨ ص ٦٥ والمقاصد وشرحه ج ٤ ص ١١٠. وانظر:

شرح الجوهرة للباجوري ص ١٢٧ والمسامرة ص ٥٩ والمطالب العالية ج ٣ ص ١٠٧ وكشف المراد ص ٣٠٩ والمعاليم الدينية ص ٦٩. وقال الشهرستاني في نهاية الإقدام ص ٦٧: وهذه طريقة الشيخ أبي الحسن الأشعري.

وهذا يفيد أن الله تعالى لو لم يكن عالماً، لكان جاهلاً.

ولو كان جاهلاً، لما وجد هذا العالم على هذا النظام الدقيق، الذي يدل على أن خالقه عالم بما تقتضيه مصلحته علماً كاملاً.

فثبت أن الله تعالى عالم.

ب- لو كان جاهلاً، لكان ناقصاً، لأن العلم صفة كمال، والجهل صفة نقصان، والنقص على الإله محال^(١).

ج- لو كان ناقصاً لاحتاج إلى من يكمله، ومكمله يحتاج إلى مكمل آخر... وهكذا، فيلزم الدور أو التسلسل، وكلاهما باطل، فثبت علمه تعالى^(٢).

الدليل النقلي:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ - لقمان ٢٣.

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ - البقرة ٢٩.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾ - المائدة ١٠٩ و ١١٦.

وقوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ - الأنعام ٥٩.

تعلق العلم:

١- يتعلق العلم بجميع المفاهيم وجودية كانت أو عدمية. أي: بالممكنات

(١) شرح قاسم بن قطلوبغا على المسيرة ص ٦٠ وأصول الدين للغزنوي ص ٩٥.

(٢) انظر: شرح الجوهر للباجوري ص ١٢٧.

والواجبات والمستحيلات^(١)، فهو يعلم ألا كل الأشياء وجزئياتها تفصيلاً وإجمالاً^(٢).

٢- تعلق العلم تَنْجِيزِي قديم:

فهو تعالى عالم بالأشياء ألا على ما هي عليه. وكونها وجدت في الماضي، أو موجودة في الحاضر، أو توجد في المستقبل، أطوار في المَعْلُومَات، لا توجب تغيراً في تعلق العلم. فالمتغير هو صفة المَعْلُوم لا تعلق العلم.

وليس لها تعلق صُلُوحِي، وإلا لزم الجهل، لأن الصالح للعلم ليس بعالم. ولا تعلق تَنْجِيزِي حادث، لأنه يستلزم سبق الجهل^(٣).

٦- الكلام

صفة تدل على جميع المَعْلُومَات.

وسياتي اختلاف المتكلمين في تحديد هذه الصفة.

وضدها: البكم.

الدليل العقلي على ذلك:

هو أنه تعالى لو لم يكن متكلماً، للزم أن يتصف بضده وهو الخرس.

واتصافه بضده نقص، وهو باطل، لأن النقص لا يرضى به المخلوق، فكيف

(١) المُسَامَرَةُ ص ٦٢ والمَوَاقِف وشرحه للسَّيِّد الشَّرِيف ج ٨ ص ٧٠ وشرح المقاصد ج ٤ ص ١١٨ وشرح الجوهرية للبايجوري ص ١٢٦ وشرح أم البراهين للسُّنُوسِي وَحَاشِيَةُ الدُّسُوقِي عليه ص ١٠٦.

(٢) شرح الجوهرية للبايجوري ص ١٢٦.

(٣) شرح الجوهرية للبايجوري ص ١٢٦ تبعاً للسُّنُوسِي وَصَحَّحَهُ، وَرِسَالَةٌ فِي التَّوْحِيدِ لِلطَّائِي ص ٤٨.

بالخالق؟ فثبت اتصافه بصفة الكلام^(١).

وأجمع الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ على أنه تعالى متكلم، وتواتر عنهم إثبات أنه تعالى متصف بالكلام، فقالوا: أمر تعالى بكذا ونهى عن كذا وأخبر بكذا، وكل ذلك من أقسام الكلام^(٢).

الدليل النقلي:

قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ - النساء ١٦٤.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَشَيْءٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾ - الشورى ٥١.

اختلاف المتكلمين في كلامه تعالى:

لا خلاف لأرباب الملل والمذاهب في كون الباري تعالى متكلمًا، وإنما الخلاف في معنى كلامه وفي قدمه وحدوثه^(٣).

اختلف المتكلمون في كلامه تعالى على أقوال^(٤)، أشهرها ما ذكره أهل السنة، والمعتزلة، والشيعة الإمامية، ومبتدعة الحنابلة، والكرامية.

١- أهل السنة ومنهم الأشاعرة والماتريدية:

قالوا: كلامه تعالى نوعان:

أ- كلام نفسي: وهو الكلام حقيقة، المعبر عنه بالألفاظ، ليس من جنس الأصوات

(١) رسالة في التوحيد للطائفي ص ٥٣. وانظر: شرح المقاصد للتفتازاني ج ٤ ص ١٤٣ -

١٤٤ وأصول الدين للغزوي ص ١٠١.

(٢) المواقف وشرحه للسيد الشريف وحاشية عبد الحكيم عليه ج ٨ ص ٩١.

(٣) شرح المقاصد ج ٤ ص ١٤٤. وانظر: المحصل للرازي ص ١٧٢.

(٤) انظر تسعة أقوال في معنى الكلام في: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العزّ ص ١٧٢ ونقلها عنه عليّ القاري في شرح الفقه الأكبر ص ٥٨.

والحروف، بل صفة أزلية قائمة بذاته تعالى، منافية للسكوت والآفة، كما في الخرس والطفولية، وهو بها أمرٌ ناهٍ مخبرٌ وغير ذلك^(١) وهو قديم (لامتناع قيام الحوادث بذاته تعالى). وهو قائم بذاته تعالى^(٢).

والكلام النفسي هو:

غير العبارات: إذ قد تختلف العبارات بالأزمنة والأمكنة والأقوام^(٣)، ولا يختلف في ذلك المعنى النفسي، بل قد يدلّ عليه بالإشارة والكتابة، كما يدلّ عليه بالعبارة والطلب، الذي هو معنى قائم بالنفس، وأحد لا يتغير مع تغير العبارات، ولا يختلف باختلاف الدلالات^(٤).

وغير العلم: إذ قد يخبر الرجل عما لا يعلمه، بل يعلم خلافه، أو يشك فيه^(٥).
وغير الإرادة: إذ قد يأمر الرجل بما لا يريد، كالمختبر لعبيده، هل يعطيه أم لا؟^(٦).

-
- (١) شَرْحُ الْمَقَاصِدِ ج ٤ ص ١٤٤. وانظر: المَوَاقِفُ وشرحه للسَّيِّدِ الشَّرِيفِ ج ٨ ص ٩٣ وشرح الجَوْهَرَةِ للْبَاجُورِيِّ ص ١٢٩.
(٢) المَوَاقِفُ وشرحه للسَّيِّدِ الشَّرِيفِ ج ٨ ص ٩٣ و٩٥.
(٣) اختلاف العبارات بالأزمنة، لأن التعبير عن إرسال زَيْد مثلاً قبل وقوعه يكون ب(ترسل)، وبعد وقوعه يكون ب(أرسلنا).

واختلافها بالأمكنة، لأن الإشارة إليه إذا كان قريباً يكون ب(هَذَا)، وإذا كان متوسطاً يكون ب(ذاك)، وإذا كان بعيداً يكون ب(ذَلِكَ).

واختلافها بالأقوام، لأن التعبير بالعَرَبِيِّ في الْقُرْآنِ، وبالسَّرْيَانِيِّ في الزُّبُورِ، وبالعِبْرِيِّ في التَّوْرَةِ، وباليُونَانِيِّ في الْإِنْجِيلِ. / حَاشِيَةُ عَبْدِ الْحَكِيمِ عَلَى شَرْحِ الْمَوَاقِفِ ج ٨ ص ٩٣-٩٤.

- (٤) المَوَاقِفُ وشرحه للسَّيِّدِ الشَّرِيفِ ج ٨ ص ٩٣-٩٤.
(٥) المَوَاقِفُ وشرحه للسَّيِّدِ الشَّرِيفِ ج ٨ ص ٩٣-٩٤ والمُسَامَرَةُ ص ٧٧.
(٦) المَوَاقِفُ وشرحه السَّابِق.

والكلام النفسي صورة للعلم الذاتي في النفس، كما أن العلم صورة للمعلوم فيها، ولذا كان كلامه تعالى لا نهاية له كعلمه^(١).

وذلك لأن الكلام النفسي ثابت لغة، لأنه شاع إطلاق اسم الكلام والقول على المعنى القائم بالنفس، يقولون: (في نفسي كلام)، و(زوّرت في نفسي مقالة)، وقال الأخطل:

إنَّ الكلامَ لفي الفؤادِ وإنما جُعِلَ اللسانُ على الفؤادِ دليلاً

وفي القرآن الكريم: ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ - المجادلة ٨^(٢).

ب- كلام لفظي: وهو أصوات وحروف. وهؤلاء يقولون بحدوثه وعدم قيامه بذاته تعالى، وهو القرآن الكريم وسائر الكتب المنزلة^(٣).

فالقرآن بمعنى الكلام النفسي ليس بحادث، وأما القرآن بمعنى اللفظ الذي نقرؤه فهو حادث. لكنه يمتنع أن يقال: القرآن حادث، إلا في مقام التعليل، لأنه ربما أُوهم أن القرآن بمعنى كلامه تعالى النفسي حادث. ولذلك ضرب الإمام أحمد بن حنبل، وحبس على أن يقول بخلق القرآن فلم يرض^(٤).

٢- المعتزلة والشيعة الإمامية:

كلامه تعالى أصوات وحروف، ولكنها ليست قائمة بذاته تعالى، بل يخلقها الله في غيره كاللوح المحفوظ أو الملك جبريل أو النبي، وهو حادث^(٥).

(١) من تعليقات السيد محمد رشيد رضا على رسالة التوحيد لمحمد عبده ص ٤٥.

(٢) شرح المقاصد ج ٤ ص ١٥٠. وانظر: شرح الجوهر للباجوري ص ١٣٠ والإنصاف للباقلاني ص ١١٠ وتمهيد الأوائل ص ٢٨٤.

(٣) المواقف وشرحه للسيد الشريف وحاشية عبد الحكيم عليه ج ٨ ص ٩٣-٩٤.

(٤) شرح الجوهر للباجوري ص ١٣٠. وانظر: أصول الدين للغزالي ص ١٠١.

(٥) المواقف ج ٨ ص ٩٢-٩٣ وشرح المسيرة لقاسم بن قطلوبغا ص ٧٩ والمسامرة

فمعنى كونه تعالى متكلماً عندهم: أنه خَالِقٌ للكلام في بعض الأجسام، لزعمهم أن الكلام لا يكون إلا بحروف وأصوات، فكلام الله تعالى عندهم حادث^(١).

فالمُعْتَزِلَةُ يقولون إن الكلام لا يكون إلا حروفاً وأصواتاً، وحينئذٍ فلا يتصف به المَوْلى بحيث يكون قائماً به، لئلا يلزم قيام الحوادث به^(٢).

وبقول المُعْتَزِلَةِ قال الإمامية^(٣)، والزيديّة^(٤)، والإباضية^(٥): إن الكلام قائمٌ بغيره تعالى لا بذاته.

وَرَدَّ عَلَيْهِمُ الْأَشَاعِرَةُ:

بأن هَذَا القول لا نكرهه، بل نَقُولُ به، ونسميه كلاماً لفظياً، ونعترف بحدوثه، وعدم قيامه بذاته تعالى، وَلَكِنَّا نثبت أمراً وراء ذَلِكَ وهو الكلام النفسي، الذي نعبر عنه

ص ٧٧. وانظر: تَمْهِيدُ الْأَوَائِلِ ص ٢٨٧ والشَّيْخَةُ بَيْنَ الْأَشَاعِرَةِ وَالْمُعْتَزِلَةِ لَهَا شِمِ الْحَسَنِيِّ ص ١٨٩ نَقْلًا عَنْ كَشْفِ الْحَقِّ لِلْعَلَامَةِ الْحَلِيِّ ص ١٨ و ١٩ وَتَوْحِيدِ الصَّدُوقِ ص ٢٢٨ وَأَوَائِلِ الْمَقَالَاتِ لِلشَّيْخِ الْمُفِيدِ ص ١٩.

وَرَأَى الْمُعْتَزِلَةَ فِي خَلْقِ الْقُرْآنِ فِي: شَرْحِ الْأُصُولِ الْخَمْسَةِ ص ٥٢٧ وَالْفَائِقِ فِي أُصُولِ الدِّينِ ص ١٧٩.

(١) شَرْحُ الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ١٣٠. وانظر: حَاشِيَةُ الدُّسُوقِيِّ عَلَى شَرْحِ أُمِّ الْبَرَاهِينِ ص ١١٤.

(٢) حَاشِيَةُ الدُّسُوقِيِّ عَلَى شَرْحِ أُمِّ الْبَرَاهِينِ ص ١١٤.

(٣) كَشْفُ الْمُرَادِ ص ٣١٥ وَالْبَابُ الْحَادِي عَشَرَ وَعَلَيْهِ النَّافِعُ ص ١٦ وَمِفْتَاحُ الْبَابِ ص ١٢٤ وَالشَّيْخَةُ بَيْنَ الْأَشَاعِرَةِ وَالْمُعْتَزِلَةِ لَهَا شِمِ الْحَسَنِيِّ نَقْلًا عَنْ كَشْفِ الْحَقِّ لِلْعَلَامَةِ الْحَلِيِّ ص ١٨ و ١٩ وَتَوْحِيدِ الصَّدُوقِ ص ٢٢٨ وَخُلَاصَةُ عِلْمِ الْكَلَامِ ص ١٢٣.

(٤) الْمَعَالِمُ الدِّيْنِيَّةُ ص ٧٧ وَالْأَسَاسُ لِعَقَائِدِ الْأَكْيَاسِ ص ١٤٨ وَخُلَاصَةُ عِلْمِ الْكَلَامِ السَّابِقِ.

(٥) مَشَارِقُ أَنْوَارِ الْعُقُولِ ج ٢ ص ٦٠ وَخُلَاصَةُ عِلْمِ الْكَلَامِ السَّابِقِ.

بالألفاظ، ونقول هو الكلام حقيقة^(١).

لكن المُعْتَزِلَةَ قالوا: بأن هذا الذي تسمونه (الكلام النفسي) راجع إلى صفة العلم إن كان المدلول خبراً، وراجع إلى صفة الإرادة إن كان أمراً أو نهياً^(٢).

وحين ذهب المُعْتَزِلَةُ إلى هذا الرأي قالوا: القرآن كلام الله مخلوق.

وذهب أيضاً إلى القول بخلق القرآن الإمامية^(٣)، والزيدية^(٤)، والإباضية^(٥).

والمُعْتَزِلَةُ رأوا أن مقالة أهل السنة، بأن القرآن كلام الله غير مخلوق، قد يتخذه النَّصَارَى حُجَّةً للتشكيك، لحمل المُسْلِمِينَ على اعتقاد: أن المسيح إله أو قديم قدم الإله.

روي عن (يوحنا الدمشقي) الذي كان في خدمة الأمويين إلى عهد هشام بن عبد الملك، أنه كان يلقي بعض المسيحيين، ليجادلوا المسلمين، فيقول: (إذا سألك المسلم: ما تقول في المسيح؟ فقل: إنه كلمة الله. ثم ليسأل النصراني المسلم: بم سمي المسيح في القرآن؟ وليرفض أن يتكلم بشيء حتى يجيبه المسلم، فإنه سيضطر إلى أن يقول: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ - النساء ١٧١. فليسأله عن كلمة الله وروحه، أخلقوه هي أم غير مخلوقة؟ فإن قال مخلوقة، فليرد عليه: بأن الله كان ولم تكن كلمة ولا روح. فإن قلت ذلك فسيفحم

(١) المواقف وشرحه للسيد الشريف ج ٨ ص ٩٣ والمسامرة ص ٧٧ وشرح المسامرة لفاسم بن قطلوبغا ص ٧٩.

(٢) كبرى اليقينات الكونية ص ١٣١.

(٣) خلاصة علم الكلام ص ١٣٤.

(٤) المصدر السابق.

(٥) شرح عقيدة التوحيد لأطقيش ص ٢٠٥ ومشارق أنوار العقول ج ٢ ص ٥٨ والحق الدامغ ص ٩٧. وذكر الجعيري في البعد الحضاري ص ٣٥٢-٣٥٤ الخلاف بين علماء الإباضية في مسألة خلق القرآن.

المُسلِّم، لأن من يرى هذا الرأي زنديق في نظر المُسلِّمين^(١).

والمُعْتَزَلَة حين قالوا بخلق القرآن، لم يكن في الحقيقة رداً على النَّصَارَى، وإنما صدر عن مسألة فلسفية تتضح فيما قدمناه من رأيهم في صفة الكلام. ولكن مع هذا رأوا: أن القول بأن القرآن غير مخلوق، قد يؤدي إلى ما يضاهي قول النَّصَارَى في المسيح، وإلى القول بتعدد القدماء، كما هو معلوم من قولهم بنفي الصفات كما تقدم. أما الآية: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ - النساء ١٧١. فإن معنى (كلمته) فيها هو:

أنه حصل بكلمة (كن)، من غير مادة معتادة، بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ - يس ٨٢. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ - آل عمران ٥٩.

قال الإمام الغزالي: لكل مولود سبب قريب وبعيد، فالأول: المني، والثاني: قول كن. ولما دل الدليل على عدم القريب في حق عيسى عليه السلام، أضافه إلى البعيد، وهو كن، إشارة إلى انتفاء القريب. وأوضحه بقوله سبحانه: ﴿أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ﴾ - النساء ١٧١، أي: أوصلها إليها، وحصلها فيها، فجعله كالمني الذي يلقى في الرحم^(٢).

أساس الخلاف بين المُعْتَزَلَة وأهل السُّنَّة في مسألة الكلام:

قال التَّفْتَارَانِي في شرح المقاصد مبيناً أساس الخلاف بين المُعْتَزَلَة وأهل السُّنَّة:

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية ص ١٥٩ ونقل النص عن كتاب ثراث الإسلام. وأشار إليه البوطي في كبرى اليقينية الكونية السابق.

(٢) روح المعاني ج ٦ ص ٢٤، وانظر ج ٣ ص ١٦٠. وقول الغزالي في كتابه: الرد الجميل للإلهية عيسى بصريح الإنجيل ص ٥٨-٥٩.

(وهو في التَّحْقِيقِ عائد إلى إثبات كلام النفس ونفيه، وأن القرآن هو المتلوُّ هَذَا المؤلف من الحروف الذي هو كلام حسي. وإلا فلا نزاع لنا في حدوث الكلام الحسي - أي: اللفظي -، ولا لهم في قَدَمِ النفسي لو ثبت - أي: عندهم بالدليل القطعي -)^(١).

إذن فالخلاف القائم بين أهل السُّنَّة والمُعْتَزِّلَة ينحصر في تسمية الكلام النفسي.

فالمُعْتَزِّلَة يقولون: بأن الكلام النفسي لا يسمى كلاماً، وإنما هو راجع إلى صفة الإرادة إن كان المدلول أمراً أو نهياً، وراجع إلى صفة العلم إن كان خبراً.

أي: أن هناك معنى لألفاظ القرآن الكريم يتكون منه الأمر والنهي والإخبار المتوجه إلى الناس، فاسم هَذَا المعنى عند المُعْتَزِّلَة هو الإرادة إذا كان أمراً أو نهياً، والعلم إذا كان إخباراً.

أما أهل السُّنَّة فيقولون نسميه الكلام النفسي، وهو صفة زائدة على الإرادة والعلم، قائمة بذاته تعالى^(٢).

وجعل البعض الاختلافَ لفظياً^(٣).

(١) شَرْحُ الْمَقَاصِدِ ج ٤ ص ١٤٦. وانظر: الْمَوَاقِفُ وشرحه للسَّيِّدِ الشَّرِيفِ ج ٨ ص ٩٥ والمُعْتَقَدُ الْإِيمَانِيَّ شَرْحُ منظومة الشَّيْبَانِيَّ ص ١٥-١٦. وما بين الشرطتين من تَفْسِيرٍ هو لِعَلِيِّ الْقَارِي فِي شَرْحِ الْفِقْهِ الْأَكْبَرِ ص ٥٢.

وقال التَّفْتَازَانِي فِي شَرْحِ الْعَقَائِدِ النَّسَفِيَّةِ ص ٩٢: (وَتَحْقِيقُ الْخِلَافِ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ يَرْجِعُ إِلَى إِثْبَاتِ الْكَلَامِ النَّفْسِيِّ وَنَفْيِهِ، وَإِلَّا فَنَحْنُ لَا نَقُولُ بِقَدَمِ الْأَلْفَاظِ وَالْحُرُوفِ، وَهُمْ لَا يَقُولُونَ بِحُدُوثِ الْكَلَامِ النَّفْسِيِّ. ودليلنا ما مرَّ أنه ثبت بالإجماع وتواتر النقل من الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أنه تعالى متكلم، ولا معنى له سوى أنه متصف بالكلام، ويمتنع قيام اللفظ الحادث بذاته تعالى، فتعين النفسي القديم...). ونقله عنه عَلِيُّ الْقَارِي فِي شَرْحِ الْفِقْهِ الْأَكْبَرِ ص ٤٩.

(٢) انظر: كبرى اليقينيَّات الكونية ص ١٣١. وهو في الْمَوَاقِفِ وشرحه للسَّيِّدِ الشَّرِيفِ ج ٨ ص ٩٥.

(٣) وَضَحَ أَبُو يَعْقُوبَ الْوَازِجَانِي فِي الدَّلِيلِ طَرِيقِي الْقَائِلِينَ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ وَقَدَمَهُ. فذكر أن

٣- مبتدعة الحَنَابِلَةِ:

كلامه تعالى عبارة عن حرف وصوت، يقومان بذاته تعالى، وهو قديم، حتى غلا بعضهم جهلاً، فقال: الجِلد والغلاف قديمان، فضلاً: عن المُصْحَف^(١).

وهو قول باطل بالضرورة، لأن حصول كل حرف ووجوده لا يمكن تَحَقُّقُهُ إِلَّا بعد انْقِضَاءِ الحرف الذي قبله، فيكون الحرف الأول منقضيًا، ويكون الذي بعده أول. وقد علمنا أن ما ينقضي ويتناهى أو يكون له أول، لا يمكن أن يكون قديماً، فيكون حادثاً^(٢)، وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث.

٤- الكَرَامِيَّةُ:

وهؤلاء وافقوا الحَنَابِلَةَ في أن كلامه تعالى حروف وأصوات، ولكنهم سمّوا ذَلِكَ قولاً له، وسلموا أنه حادث، وقالوا: هو قائم بذاته لتجويزهم قيام الحوادث به وهو باطل^(٣). لأن ما يقوم به الحادث فهو حادث، وقد ثبت أن الله تعالى قديم فيما تقدم.

القائلين بخلق القرآن قصروا على القرآن المتلو المحفوظ في الصدور، وأن القائلين بقدمه قصروا على القرآن القديم الذي هو علم الله وصفته. وعلّق عليه الشيخ إبراهيم أطفَيْش بأن الاختلاف لفظي بين الفريقين لا غير. / البعد الحَضَارِي ص ٣٩٥.

(١) المَوَاقِف وشرحه للسَّيِّد الشَّرِيف ج ٨ ص ٩٢ والمُسَامَرَة ص ٧٧. وانظر: شَرْح المُسَايَرَة

لِقَاسِم بن قُطْلُوبَغَا ص ٧٩ وشرح الفقه الأكبر لِعليّ القَارِي ص ٣٨.

(٢) شَرْح المُسَايَرَة لِقَاسِم بن قُطْلُوبَغَا، والمَوَاقِف وشرحه للسَّيِّد الشَّرِيف، السَّابِقَة.

(٣) المُسَامَرَة، والمَوَاقِف، وشرح المُسَايَرَة لِقَاسِم بن قُطْلُوبَغَا، السَّابِقَة. وقال التَّفَتَّازَانِي في

شَرْح المَقَاصِد ج ٤ ص ١٤٥: (ذهب الكَرَامِيَّة إلى أن المُنتَظَم من الحروف المسموعة مع حدوثه

قائم بذات الله تعالى، وأنه قول الله تعالى لا كلامه، وإنما كلامه قدرته على التكلم، وهو قديم).

تعلق صفة الكلام:

تتعلق صفة الكلام بالواجبات والممكنات والمستحيلات^(١)، لأن تعلقها تعلق دلالة وبيان أو أمر ونهي، وقد احتوى بَيَانُهُ تعالى وأمره ونهيه الحَدِيثُ عن الواجب والممكن والمستحيل، كما تشهد بذلك آيات القرآن الكريم^(٢).

٧- الحياة

صفة أزلية توجب صحة العلم والإرادة وبَاقِي صفات المعاني والمعنوية^(٣). وليس معنى الحياة في حقه تعالى، ما يقوله الطبيعي من قوة الحس ولا قوة التغذية ولا القوة

(١) شَرَحُ أُمِّ الْبَرَاهِينِ لِلْسَّنُوسِيِّ ص ١١٢.

(٢) كبرى اليقينيات الكونية ص ١٣٦-١٣٧.

كلامه تعالى صفةً وَاحِدَةً لا تعدد فيها، لكن لها أقسام اعتبارية: فمن حيث تعلقه بطلب فعل الصلاة مثلاً: أمرٌ. ومن حيث تعلقه بطلب ترك الزنا مثلاً: نهْيٌ. ومن حيث تعلقه بأن فرعون فعل كذا مثلاً: خبرٌ. ومن حيث تعلقه بأن الطائع له الجنة: وعدٌ. ومن حيث تعلقه بأن العاصي يدخل النار: وعيدٌ. إلى غير ذلك. وتعلقه بالنسبة لغير الأمر والنهي تَعَلَّقَ تَنْجِيزِيٌّ قديم. أما بالنسبة للأمر والنهي: فإن لم يُشترطَ فيهما وجود المأمور والمنهي فكذلك (أي: تَنْجِيزِيٌّ قديم). وإن اشترطَ فيهما ذلك كان التعلق فيهما صُلُوحِيًّا قبل وجود المأمور والمنهي، وتَنْجِيزِيًّا حادثاً بعد وجودهما. / شَرَحُ الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ١٣٠.

(٣) شَرَحُ الْخَرِيدَةِ لِلدَّرْدِيرِ وَحَاشِيَةِ الصَّاوِي عَلَيْهِ ص ٧٢.

ذكر الرَّازِي أن العقلاء اتفقوا على أنه حيٌّ، لكن العلماء اختلفوا في معنى كونه حيًّا على قولين:

الأول: إنه صفةٌ، وهو مذهب الجُمهُور من الأشاعرة والمُعْتَزِلَةِ.

الثاني: معناه هو أنه لا يستحيل أن يكون عالماً قَادِرًا، فليس هناك إلا الذات المستلزمة لانتفاء الامتناع، وهو قول الجُمهُور من الفلاسفة، وأبي الحُسَيْنِ البَصْرِيِّ من المُعْتَزِلَةِ. / الْمُحَصَّلُ لِلرَّازِيِّ ص ١٦٧. وانظر: كَشَفُ الْمُرَادِ ص ٣١٣.

التابعة للاعتدال النوعي التي تفيض عنها سائر القوى الحيوانية^(١)، ثم إن حياة الله بلا روح، بخلاف حياة الحادث فإنها بالروح^(٢).

وضدها: الموت.

الدليل العقلي على ذلك:

أ- الله تعالى عالمٌ قدير، وكلُّ عالمٍ قديرٌ حيٌّ بالضرورة، فاللهُ تَجِبُ له الحياة^(٣).

ب- الحياة صفة كمال، ونقيضها نقص، والله منزّه عن النقائص^(٤).

ج- اتصافه تعالى بضد الحياة، لا يجعله واهب الحياة، لأن فاقد الشيء لا يعطيه^(٥).

فوجود هذا العالم البديع صنعته لن يُتصوّر إلّا من حيٍّ قدير^(٦).

الدليل النقلي:

قوله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ - البقرة ٢٥٥.

وقوله تعالى: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ - غافر ٦٥.

تعلق صفة الحياة:

صفة الحياة لا تتعلق بموجود أو معدوم، فلا تستلزم أمراً زائداً على القيام

بمحلها^(٧)، كما تقدم في بيان معنى التعلق.

(١) المُسامرة ص ٦٢.

(٢) حاشية الصّاوي على الدّردير ص ٧٢.

(٣) المواقف ج ٨ ص ٨٠ والمقاصد وشرحه ج ٤ ص ١٣٨ وشرح الجوهرة للباجوري ص ١٢٩. وانظر: المُجِيط بالتكليف ص ١٢٨.

(٤) شرح المُسايَرة لِقاسم بن قُطْلُوبغا ص ٦٢.

(٥) رسالة في التّوحيّد للطّائبي ص ٤٩.

(٦) أصول الدّين للغزنوي ص ٩٣.

(٧) شرح أمّ البراهين للسّنوسي وحاشية الدّسوقي عليه ص ١٠٨.

ثانياً: ما يستحيل في حقه تعالى

يستحيل على الله تبارك وتعالى أضداد الصفات الواجبة له المتقدمة التي أثبتناها وهي:

العدم ضد الوجود، والحدوث ضد القدم، والفناء ضد البقاء، والمماثلة للحوادث ضد المخالفة للحوادث، والافتقار إلى المحل والمخصّص ضد القيام بالنفس، والتعدد ضد الوحدةانية، والعجز ضد القدرة، والكراهية ضد الإرادة، والصّم ضد السمع، والعمى ضد البصر، والجهل ضد العلم، والبكم ضد الكلام، والموت ضد الحياة^(١).
الدليل على ذلك:

أن كل قابل الشيء لا يخلو عنه أو ضده.

وهو تعالى قابل لتلك الصفات الواجبة، فلو لم يتصف بها لزم أن يتصف بأضدادها، وهذه الأضداد نقائص، والنقص عليه تعالى محال.
فهذه الأضداد محالة عليه تعالى^(٢).

ثالثاً: ما يجوز في حقه تعالى

يجوز في حقه تعالى فعل كل ممكن أو تركه^(٣)، كالخلق والرحمة والعذاب والإماتة والإحياء....

فلا يجب عليه شيء، فهو الفاعل المختار المتصرف في ملكه كيف يشاء، لا يشاركه

(١) شرح الخريدة للدردير ص ٨٦ وشرح أم البراهين للسنوسي وحاشية الدسوقي عليه ص ١٢٠ وشرح الجوهرية للباجوري ص ١٦٣-١٦٥ تبعاً للسنوسي، ورسالة في التوحيد للطائي ص ٢٧.

(٢) شرح السنوسية للباجوري ص ١١٤ وشرح الخريدة للدردير السابق.

(٣) شرح أم البراهين للسنوسي وحاشية الدسوقي عليه ص ١٤٦.

في التصرف، ولا يحول دون تصرفه أحد.

وأفعاله جميعاً جارية وَفَقَ الْحِكْمَةَ وَالْعَدْلَ وَالصَّوَابَ، سواء علمت تلك الحكمة أو جهلت^(١). وهذا ما ذهب إليه الْجُمْهُورُ.

وخالف في ذَلِكَ الْمُعْتَزِلَةُ حين قالوا بوجوب بعض الممكنات عليه تعالى، فإنهم قالوا بوجوب الصَّالِح والأصلح عليه تعالى.

وخالف فيه أيضاً الْبَرَاهِمَةُ حين قالوا باستحالة إرسال الرسل مع أنه من الممكنات^(٢).

الدليل العقلي على قول الْجُمْهُور:

هو أنه لو وجب عليه تعالى فعل شيء من الممكنات عقلاً، أو استحالة عليه عقلاً، لصار الممكن واجباً أو مستحيلاً، وهو باطل^(٣).

الدليل النقلي:

قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ - القصص ٦٨.

وقوله تعالى: ﴿إِنْ يَشَأْ يُرْسِلْكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ﴾ - الإسراء ٥٤.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ - يونس ١٠٧.

ومن الجائز عقلاً عليه تعالى رؤيته بالأبصار من قبل المؤمنين في اليوم الآخر.

(١) رِسَالَةٌ فِي التَّوْحِيدِ لِلطَّائِبِي ص ٢٧ وَغَايَةُ الْمَرَامِ فِي عَقَائِدِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لِلْحَاجِّ حَمْدِي الْأَعْظَمِيِّ ص ٣٠.

(٢) حَاشِيَةُ الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ١٦٦ عَنْ الْأَمِيرِ وَالشَّيْخَانِيَّ.

(٣) شَرْحُ السَّنُوسِيَّةِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ١١٥ وَفِيهِ ذِكْرُ الْبَاجُورِيِّ أَنَّ الَّذِي أَوْجَبَ عَلَيْهِ تَعَالَى شَيْءٌ مِنَ الْمُمْكِنَاتِ عَقْلاً هُمُ الْمُعْتَزِلَةُ بِقَوْلِهِمْ بِوُجُوبِ الصَّالِحِ وَالْأَصْلَحِ عَلَيْهِ تَعَالَى. وَالَّذِي قَالَ بِاسْتِحَالَةِ شَيْءٍ مِنَ الْمُمْكِنَاتِ عَقْلاً عَلَيْهِ تَعَالَى هُمُ الْمُعْتَزِلَةُ بِقَوْلِهِمْ بِاسْتِحَالَةِ الرُّؤْيَةِ عَلَيْهِ تَعَالَى.

رؤية الله تعالى

رؤية الله تعالى من قبل المؤمنين في الآخرة

اختلفت فرق المسلمين في رؤية الله سبحانه من قبل المؤمنين في اليوم الآخر على قولين:

القول الأول:

تجوز الرؤية بالأبصار. وهو قول الأشاعرة والماتريدية وجمهور المسلمين. قالوا: يرى بالأبصار من غير تكيف بكيفية من الكيفيات المعبرة في رؤية الأجسام، ومن غير إحاطة، بل يحار العبد في العظمة والجلال، حتى لا يعرف اسمه، ولا يشعر بمن حوله من الخلائق، فإن العقل يعجز هنالك عن الفهم، ويتلاشى الكل في جنب عظمة الله تعالى^(١).

(١) شرح الجوهرة للباجوري ص ١٩٣. وانظر: شرح الخريدة للذردير وحاشية الصاوي عليه ص ٩٠-٩١. وفي المسائرة وشرحه المسامرة ص ٤٣: (إن الرؤية نوع علم خاص، يخلقه الله تعالى في الحي، غير مشروط بمقابلة ولا غيرها). وانظر أيضاً: التوحيد للماتريدي ص ٣٩م و ٧٧ وبحر الكلام للنسفي ص ٥٦ وأصول الدين للغزنوي ص ١١٦ والإنصاف للباقلاني ص ١٧٦ وعلم الكلام لابن حزم ص ٧٥.

قال الإمام الأشعري في الإبانة ص ٢٥: (وندين بأن الله يرى في الآخرة بالأبصار، كما يرى القمر ليلة البدر، يراه المؤمنون كما جاءت الروايات عن رسول الله ﷺ). ونحوه في رسالته إلى أهل الثغر ص ٢٣٧.

القائلون بالرؤية من الصحابة: أبو بكر وعلي بن أبي طالب وابن مسعود ومعاذ بن جبل وأبو موسى الأشعري وابن عباس وابن عمر وأنس وأبو هريرة وزيد بن ثابت وحذيفة ومعاوية وعمر... .

ودليله من المنقول:

١ - قوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۖ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۚ﴾ (٢٢) - القيامة. وناصرة: أي: جميلة، وناظرة: من النظر أي: الرؤية.
ذلك لأن النظر:

يفيد الرؤية والمعاينة بالأبصار إذا تعدى بالي، كما في هذه الآية، وفي آية: ﴿أَنْظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ﴾ - الأنعام ٩٩.

وفيد الانتظار إذا تعدى بنفسه، كقوله تعالى: ﴿أَنْظُرْنَا نَقْنِيسَ مِنْ ثَوْرِكُمْ﴾ - الحديد ١٣.

وفيد معنى التفكير والاعتبار إذا تعدى بفي، مثل: قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ - الأعراف ١٨٥، ومثل: نظرت في الكتاب والأمر، أي: تفكرت واعتبرت.

وفيد معنى الرأفة إذا تعدى باللام، مثل: نظر السلطان لفلان^(١).

ومن التابعين: سعيد بن المسيب وطاوس ومجاهد وعكرمة وعبد الرحمن بن أبي ليلى وقتادة والسبيعي والضحاك بن مزاحم....

ومن الفقهاء: مالك والليث بن سعد والأوزاعي والسفيان وشريك وابن المبارك والشافعي وأحمد بن حنبل وأبو ثور وإسحاق بن راهويه والطبري وابن خزيمة وعبد الرحمن ابن أبي حاتم... وغيرهم.

انظر أسماء هؤلاء وغيرهم والروايات عنهم في: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ج ٣ ص ١٣٢ وما بعدها.

(١) شرح العقائد العُصْديَّة للدَّوَانِي ج ٢ ص ١٧٦ والمواقف وشرحه للسيد الشريف ج ٨ ص ١٣٠-١٣١ والإرشاد للجويني ص ١٨٢ وشرح العقيدة الطحاوية ص ٢٠٩ وحادي الأرواح ص ٢٣٠. وانظر: أصول الدين للبغداد ص ١٠٠. وقارن بما ذكره الأشعري في الإبانة ص ٣٥.

٢- قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ - يونس ٢٦. والحسنى: الجنة، والزيادة: هي النظر إلى وجهه الكريم، كما ثبت بحديث صهيب الصَّحِيح^(١)، قال: إن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تلا هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ - يونس ٢٦، قال: إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، نادى مناد: يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه، فيقولون: وما هو؟ ألم يُثَقَّل موازيننا، ويُبَيِّض وجوهنا، ويدخلنا الجنة، ويُجْرِنَا مِنَ النَّارِ؟ قال: فيكشف لهم الحجاب، فينظرون إليه، قال: فوالله ما أعطاهم شيئاً أحبَّ إليهم من النظر إليه، ولا أقرَّ بأعينهم^(٢).

٣- قوله تعالى: ﴿لَن تَرِنِي﴾ - الأعراف ١٤٣. والاستدلال بها على الرؤية من وجوه:

أ- إنه لا يُظَنُّ بكليم الله ورسوله الكريم، وأعلم الناس بربه في وقته، أن يسأل ما

(١) شَرْحُ الْعَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّةِ لابن أبي العزِّ ص ٢١١ وَلَوَامِعُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ٢ ص ٢٤١ وَشَرْحُ الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ١٩١. وانظر: الغنية للشيخ عبد القادر ج ١ ص ٦٢.

قال أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الزيادة النظر إلى وجهه الكريم. / الإنصاف للباقلائي ص ٤٧.

(٢) شَرْحُ الْعَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّةِ لابن أبي العزِّ ص ٢١١ وَلَوَامِعُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ٢ ص ٢٤١.

قال العلماء: كان التشبيه للرؤية وهو فعل الرائي لا المرئي، والمعنى: ترون ربكم رؤية ينزاح معها الشك، وتتفي معها الريبة، كرويتكم القمر، لا ترتابون ولا تمترون. / لَوَامِعُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ٢ ص ٢٤٣.

وَحَدِيثُ صُهَيْبٍ فِي: مُسْنَدِ أَحْمَدَ، وَاللَّفْظُ لَهُ ج ٤ ص ٣٣٣. وَصَحِيحُ مُسْلِمٍ فِي: ١ كِتَابُ الْإِيمَانِ، ٧٨ بَابُ إِثْبَاتِ رُؤْيَا الْمُؤْمِنِينَ فِي الْآخِرَةِ رَبِّهِمْ سُبْحَانَهُ، رَقْم ١٨١. وَسُنَنُ التِّرْمِذِيِّ فِي: ٣٥ كِتَابُ صِفَةِ الْجَنَّةِ، ١٦ بَابُ مَا جَاءَ فِي رُؤْيَا رَبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، رَقْم ٢٥٥٢، ص ٤١٤. وَسُنَنُ ابْنِ مَاجَةَ فِي: الْمُقَدِّمَةِ، ١٣ بَابُ فِيمَا أَنْكَرَتِ الْجَهَنَّمِيَّةُ، رَقْم ١٨٧، ج ١ ص ٦٧. وَقَالَ الشَّيْخُ شُعَيْبٌ فِي تَحْقِيقِهِ سُنَنِ ابْنِ مَاجَةَ ج ١ ص ١٢٩: إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ. وَذَكَرَ مُخَرَّجِيَهُ.

لا يجوز عليه، بل هو من أعظم المحال^(١)، إذ لا يجوز على أحد من الأنبياء الجهل بشيء من أحكام الألوهية^(٢). فكيف يجوز للمُعْتَزِلِيَّ - الْمُنْكَرِ للرؤية كما سيأتي - أن يكون أعلم من مُوسَى، فيما يجب لله تعالى ويستحيل عليه، مع أن المقصود من بعثة الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ الدعوة إلى العقائد الحقة والأعمال الصالحة؟^(٣).

ب- قال تعالى: ﴿لَنْ تَرِنِي﴾ - الأعراف ١٤٣، ولم يقل: إني لا أرى، أو لا تجوز رؤيتي أو لست بمرئي. والفرق بين الجوابين ظاهر، ألا ترى أن من كان في كُمِّ حَجَرٍ، فظنه رجل طعماً، فقال: أَطْعَمْنِيهِ، فالجواب الصَّحِيح: أنه لا يؤكل. أما إذا كان طعماً، صح أن يقال: إنك لن تأكله. وهذا يدلُّ على أن سُبْحَانَهُ مرئي، ولكن مُوسَى لا تحتمل قواه رؤيته في هذه الدار - أي: الدنيا -، لضعف قوى البشر فيها عن رؤيته تعالى. يوضحه قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنَّ اسْتَقَرَّ مَكَانُهُ، فَسَوْفَ تَرِنِي﴾ - الأعراف ١٤٣. فأعلمه أن الجبل مع قوته وصلابته لا يثبت للتَّجَلِّي في هذه الدار، فكيف بالبشر الذي خلق من ضَعْفٍ^(٤).

٤- قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ - الأنعام ١٠٣.

ووجه الاستدلال بها: أن الله تعالى إنما ذكرها في سياق التَّمَدُّح، ومَعْلُوم أن المدح إنما يكون بالصفات الثُّبُوتِيَّة، ويكون بالنفي إذا تضمن أمراً وجودياً، كمدحه تعالى بنفي

(١) شَرْحُ الْعَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّةِ ص ٢١٣ وحادي الأرواح ص ٢٢٣ والمُسَايَرَةُ وشرحه المُسَامَرَةُ ص ٤٠ والإنصاف للبقلائي ص ١٧٧ وتمهيد الأوائل ص ٣٠٢ وأصول الدين للبغدادي ص ٩٩ والإرشاد للجويني ص ١٨٣ وبحر الكلام للنسفي ص ٥٧.

(٢) شَرْحُ الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ١٩٥. وانظر: المواقف ج ٨ ص ١١٧.

(٣) المُسَامَرَةُ ص ٤٠-٤١ وشرح العقائد العُصْدِيَّةِ لِلدَّوَانِيِّ ج ٢ ص ١٦٨. وانظر: الإبانة للأشعري ص ٤١.

(٤) حادي الأرواح ص ٢٢٣ وشرح العقيدة الطحاوية ص ٢١٣. وانظر وجوهاً أخرى فيهما غير ما ذكرت. وانظر أيضاً: الإبانة للأشعري ص ٤٣.

السَّنة والنوم المتضمن كَمَالِ الْقِيُومِيَّة. وبنفي الموت الذي يتضمن كَمَالِ الْحَيَاة. وبنفي اللُّغُوب والإعْيَاء المتضمن كَمَالِ الْقُدْرَةِ ...

فالآية تدل على كَمَالِ عَظَمَتِهِ، وأنه أكبر من كل شيء، وأنه يرى، ولكن تعاليه عن التناهي والاتصاف بالحدود والجوانب، لا يدرك بالأبصار، ولا يحاط به، قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ - طه ١١٠^(١).

٥- قوله ﷺ: (إِنَّ النَّاسَ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ: هل نرى ربَّنَا يوم القيامة؟ فقال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: هل تُصَارُّونَ في القمر ليلة البدر؟ قالوا: لا يا رَسُولَ اللَّهِ. قال: فهل تُصَارُّونَ في الشمس ليس دونها سحابٌ؟ قالوا: لا يا رَسُولَ اللَّهِ. قال: فإنكم ترونه كذلك)^(٢).

وعَدَّ ابن القيم في حادي الأرواح رُؤَاة من رَوَى رؤية الباري عَزَّ وَجَلَّ. فزادوا على الحد^(٣)، نحو ثلاثين صَحَابِيًّا^(٤).

وبعد أن ذكر النَّسَفِيَّ وَاحِدًا وَعَشْرِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ مِنْهُمْ: ابن عُمَرَ وابن مَسْعُودَ وابن عَبَّاسَ وَصُهَيْبَ وَأَنَسَ... قال: كلهم رووا عن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي إثبات الرؤية، فمن رَدَّ هَذَا فَقَدْ قَصَدَ تَكْذِيبَ هُؤُلَاءِ^(٥).

(١) حادي الأرواح ص ٢٢٨ وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العزِّ ص ٢١٤، وانظر وجوهاً أخرى فيها أيضاً. وانظر: التذكرة للقرطبي ص ٤٩٢ وما بعدها.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العزِّ ص ٢١٦ ولَوَامِعُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ٢ ص ٢٤٣.

وَحَدِيثُ: إِنَّ النَّاسَ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ... إلخ، في: صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ، واللفظ له، في: ٩٧ كتاب التَّوْحِيدِ، ٢٤ باب قول الله تعالى: ﴿وَجُودُ يُؤْمِنُ تَأْخُذُهُ﴾ (٢٣) إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ (٢٣) - القيامة، رقم ٧٤٣٧. وفي صَحِيحِ مُسْلِمٍ في: ١ كتاب الإِيْمَانِ، ٧٩ باب مَعْرِفَةِ طَرِيقِ الرُّؤْيَا، رقم ١٨٢. وكلاهما عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) حادي الأرواح ص ٢٣١ وما بعدها، وَلَوَامِعُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ٢ ص ٢٤٣.

(٤) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العزِّ ص ٢١٧.

(٥) تَبْصِرَةُ الْأَدِلَّةِ لِلنَّسَفِيِّ ج ١ ص ٤٠٠، ونقله اللَّامِشِيُّ فِي التَّمْهِيدِ ص ٨٠.

فَالصَّحَابَةُ اتَّفَقُوا عَلَى: أَنَّ اللَّهَ يُرَى فِي الْآخِرَةِ، لَابْتِهَالِهِمْ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ فِي طَلَبِ لَذَّةِ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِهِ الْكَرِيمِ وَاعْتِقَادِهِمْ بِذَلِكَ، وَقَدْ فَهَمُوا ذَلِكَ بِقِرَائِنٍ مِنْ أَحْوَالِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَجُمْلَةٍ مِنْ أَلْفَاظِهِ الصَّرِيحَةِ الَّتِي لَا تَدْخُلُ تَحْتَ الْحَصْرِ^(١).

وَقَالَ الْإِمَامُ مَالِكٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَمَّا حُجِبَ أَعْدَاؤُهُ فَلَمْ يَرَوْهُ تَجَلَّى لِأَوْلِيَائِهِ حَتَّى رَأَوْهُ، وَلَوْ لَمْ يَرَ الْمُؤْمِنُونَ رَبَّهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَمْ يُعَيَّرِ الْكَافِرُونَ بِالْحُجَابِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ﴾ - الْمُطَفِّينَ ١٥^(٢).

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ: لَمَّا أَنَّ حُجِبَ هَؤُلَاءِ فِي السُّخْطِ، كَانَ فِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ أَوْلِيَاءَهُ يَرُونَهُ فِي الرِّضَا^(٣).

وَدَلِيلُ الْمَعْقُولِ:

أ- أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مُوجُودٌ، وَكُلُّ مُوجُودٍ يَصِحُّ أَنْ يُرَى، فَالْبَارِي عَزَّ وَجَلَّ يَصِحُّ أَنْ يُرَى^(٤).

ب- كَمَا جَازَ أَنْ يُعْلَمَ الْبَارِي عَزَّ وَجَلَّ مِنْ غَيْرِ كَيْفِيَةٍ وَصُورَةٍ، جَازَ أَنْ يُرَى مِنْ غَيْرِ كَيْفِيَةٍ وَصُورَةٍ^(٥).

(١) نَقَلَ الْبَاقِلَانِيُّ فِي الْإِنْصَافِ ص ١٨١ إِجْمَاعَ الصَّحَابَةِ عَلَى جَوَازِ الرُّؤْيَةِ فِي الْجُمْلَةِ، أَمَّا الْإِخْتِلَافُ فَكَانَ فِي بَعْضِ الْجُزْئِيَّاتِ. وَذَكَرَ الْعَزَلِيُّ فِي كِتَابِهِ الْاِقْتِصَادُ فِي الْاِعْتِقَادِ ص ٤٦ إِمْكَانِيَّةَ دَعْوَى الْاِجْمَاعِ لَابْتِهَالِهِمْ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ فِي طَلَبِ لَذَّةِ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِهِ الْكَرِيمِ. وَانْظُرْ مِنْ ابْتِهَالٍ بِالْاِدْعَاءِ فِي: حَادِي الْأَرْوَاحِ ص ٢٥٨.

(٢) شَرْحُ الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ١٩١.

(٣) شَرْحُ الْعَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّةِ لِابْنِ أَبِي الْعِزِّ ص ٢١٢ وَحَادِي الْأَرْوَاحِ ص ٢٢٨. وَانْظُرْ قَوْلَ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ فِي كِتَابِهِ أَحْكَامُ الْقُرْآنِ ص ٤٠ وَفِي شَرْحِ أُصُولِ اِعْتِقَادِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ ج ٣ ص ١٨٤.

(٤) شَرْحُ الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ١٩١ وَالْإِنْصَافُ لِلْبَاقِلَانِيِّ ص ١٨١ وَتَمْهِيدُ الْأَوَائِلِ ص ٣٠٢.

(٥) الْمُسَامَرَةُ ص ٤٣.

القول الثاني:

لا تجوز الرؤية بالأبصار. وهو قول الجهمية^(١) والمعتزلة^(٢) والخوارج^(٣) والإباضية^(٤) والإمامية^(٥) والنجارية^(٦) والزيدية^(٧) والراوندية^(٨).

ودليل هذا القول من المنقول:

قوله تعالى: ﴿لَنْ تَرَنِى﴾ - الأعراف ١٤٣، وقوله سبحانه: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْبَصَرُ﴾ - الأنعام ١٠٣.

ورُدَّ عليهم: بأن هاتين الآيتين دليل عليهم لا لهم كما تقدم^(٩).

وزعم الزمخشري - وهو من المعتزلة - بأن (لن) تفيد التأييد، تأييداً لما ذهبوا

(١) التنبيه والرد ص ١١٦ والإنصاف للباقلاني ص ١٧٦ والملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ٧٤ والمواقف ج ٨ ص ٣٩٩ وخطط المقرئ ج ٢ ص ٣٤٩ و ٣٥١ وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ص ٢٠٧.

(٢) شرح الأصول الخمسة ص ٢٣٢ والفائق في أصول الدين ص ٥٤ والإبانة للأشعري ص ٥٥ والإنصاف للباقلاني ص ١٧٦ والتمهيد للامشي ص ٨٢ وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ص ٢٠٧ والمواقف ج ٨ ص ١١٥ وشرح المسيرة لقاسم بن قطلوبغا ص ٣٧.

(٣) الإنصاف للباقلاني ص ١٧٧ والتمهيد للامشي، وشرح المسيرة لقاسم بن قطلوبغا، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز، السابقة.

(٤) مشارق أنوار العقول ج ١ ص ٣٦٢ وشرح غاية المُرَاد ص ٣٦ والحق الدامغ ص ٢٥ والبعد الحضاري ص ٣٠٢.

(٥) كشف المُرَاد ص ٣٢١ والباب الحادي عشر وشرحه النافع ص ٢٢ ومفتاح الباب ص ١٣٨. وفي خلاصة علم الكلام ص ٢٢١ نصوص تفيد أن الرؤية للمؤمنين في الآخرة قلبية.

(٦) الإنصاف للباقلاني ص ١٧٦ والتمهيد للامشي ص ٨٢.

(٧) الأساس لعقائد الأكياس ص ٧٩ والمعاليم الدينية ص ٨٢.

(٨) التوحيد للامشي ص ٨٢.

(٩) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ص ٢١٢.

إليه من استحالة الرؤية. ورُدَّ بها يأتي:

أ- أن (لن) لا تفيد التأييد، والدليل على ذلك: أن الله تعالى أخبر عن اليهود بأنهم لن يتمنوا الموت أبداً، بقوله سبحانه: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ - البقرة ٩٥، مع أنهم يتمنون الموت في الآخرة، ليتخلصوا من العذاب: ﴿وَنَادَوْا بِمَلَائِكَةٍ لِّيَقْضِيَ عَلَيْهِمُ الْعَذَابُ﴾ - الزخرف ٧٧، فلو كانت (لن) للتأييد الشامل للدنيا والآخرة كما يزعم المعتزلة لما جاز أن يتمنى اليهود الموت في الآخرة.

ب- (لن) للتوكيد، بدلالة قوله: (أبداً)، قال ابن مالك:
ومن رأى النفي بـلن مؤبداً فقوله اردد وسواه فاعضدا
وإذا أريد بها التأييد فهو على تأييد النفي في الدنيا لا بالآخرة، بدلالة (لن) في الآية المتقدمة: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ﴾ - البقرة ٩٥^(١).

والدليل على نفي الرؤية من المعقول:

أنه لو كان تعالى مرئياً، لكان مقابلاً للرائي بالضرورة، فيكون في جهة وحيز.
ورُدَّ: بأن لزوم الجهة والحيز ممنوع، لأن الرؤية قوة يجعلها الله في خلقه لا يشترط

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العزّ ص ٢١٤ والمواقف وشرحه للسيد الشريف ج ٨ ص ١٤٢ وشرح العقائد العُصْدية للدواني ص ١٨٠-١٨١ وأصول الدين للبغدادي ص ٩٩. والرّد في (أ-) ورّد في بحر الكلام للنسفي ص ٥٩.

لم يذكر الزمخشري في تفسيره ولا في كتابه (المفصل في النحو) أن (لن) تفيد التأييد، وإنما ذكر أنها تفيد تأكيد النفي. ولكن في بعض نسخ كتابه (الأنموذج في النحو): أن (لن) للتأييد. وفي نسخ أخرى: أنها للتأكيد، كما صرح الأرذبيلي في شرحه على الأنموذج ص ٢٩٢.

وقال بأن (لن) للتأييد من الإباحية يؤسف المصنعي وسعيد بن تعاريت. / البعد الحصري ص ٣٢٧.

فيها مُقَابَلَةٌ المرئي ولا كونه في جهةٍ وَحَيِّزٍ ولا غير ذَلِكَ^(١).
وَأَخِيرًا:

فإن هَذَا الخلاف ليس بالأمر الْخَطِير، ما دام الفريقان ينزهان الله تعالى عن الجهة والتجسيم.

فالفريق الذي ينكر الرؤية، يريد بإنكارها تنزيه الله تعالى عن الجهة والتجسيم. والفريق الذي يثبت الرؤية، رأى النصوص والأدلة صريحة بإثباتها فأثبتها، لكنه ينزه الله تعالى عن الجهة والتجسيم فقال: يُرى من غير كيفية ولا إحاطة. ثم إن الرؤية التي قالوا بها تكون في الآخرة، وأوضاع الآخرة لا تشبه الحياة الدنيا، كما هو معلوم.

رؤية الله تعالى في الدنيا

واتفقت الأمة على أن الله تعالى لا يراه أحدٌ في الدنيا بعينه.
إلا أنهم اختلفوا في رؤية النبي مُحَمَّد ﷺ بالعين ربه في الدنيا، فمنهم من أثبتها،

(١) شرح الجوهرة للباजوري ص ١٩٢ والمسامرة ص ٤١ و٤٣ وشرح العقائد العضدية للدواني ج ٢ ص ١٧٨ وشرح الخريدة للدردير ص ٩٣.

إلا أن شارح العقيدة الطحاوية، وهو ممن يثبتون صفة العلو لله تعالى، بعد أن جاء بأدلة الرؤية من الكتاب والسنة، قال في ص ٢١٩: (وفيه دليل على علو الله على خلقه، وإلا فهل تُعقل رؤية بلا مُقَابَلَة، ومن قال يُرى لا في جهة، فليراجع عقله، فإما أن يكون مكابراً لعقله أو في عقله شيء. وإلا فإذا قال: يُرى لا أمام الرائي ولا خلفه ولا عن يمينه ولا عن يساره ولا فوقه ولا تحته، ردّ عليه كل من سمعه بفطرته السليمة). وانظر: حادي الأرواح ص ٢٦٩.

قال الغزالي: وهذا قول الحشوية الذين أثبتوا الجهة. / الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي ص ٤٧. وجواز رؤية الباري تعالى عقلاً ووجوبها سمعاً، وعرض آراء القائلين بالرؤية والمخالفين وحججهم في: نهاية الإقدام ص ٣٥٦ والإرشاد للجويني ص ١٦٦.

ومنهم من نفاهما، وكل من الفريقين يستدل بالأدلة السمعية.
ولما كان التنازع في هذه المسألة مأثوراً، فقال بكل منهما بعض الصحابة، ولما كان الاحتمال للقولين ممكناً، فلا يدعو عندئذ إلى الجزم بواحد من القولين^(١).

القضاء والقدر^(٢)

اختلف المتكلمون في تفسير القضاء والقدر على أقوال متعددة، منها: ما قاله الماتريديّة:

القضاء: هو إيجاد الله تعالى الأشياء مع زيادة الأحكام والإتقان.

والقدر: هو تحديد الله تعالى أزلاً كلّ مخلوق بحدّه الذي يوجد عليه من حسن وقبح ونفع وضرر... إلخ، أي: علمه تعالى أزلاً صفات المخلوقات.

وعليه: فيكون القضاء حادثاً، فهو صفة فعل عندهم، لأنه عبارة عن الإيجاد، والإيجاد من صفات الأفعال.

ويكون القدر قديماً، لأنه راجع إلى صفة العلم، وهي من صفات الذات.
وقال الأشاعرة بعكس ذلك، فجعلوا تعريف القضاء للقدر وتعريف القدر للقضاء^(٣).

(١) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العزّ ص ٢٢٢ ونقل عن القاضي عياض. وانظر كلام القاضي عياض في: الشفا ص ١٩٥.

(٢) قال اللامسي في التمهيد ص ١١٣: (مسألة القضاء والقدر، ومسألة الهدى والإضلال، عين مسألة خلق الأفعال، لأن المعنى بقولنا: إن الكفر وغيره من المعاصي بقضاء الله وقدره، أي: بإحداث الله تعالى وتخليقه، لأن القضاء يُذكر ويُراد به التخليق كما في قوله تعالى: ﴿فَقَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ - فُصِّلَتْ (١٢).

(٣) شرح الجوهرة للباجوّري ص ١٨٨-١٨٩ ولوامع الأنوار البهية ج ١ ص ٣٤٥ وحاشية

فالقضاء والقدر راجعان لما تقدم من العلم والإرادة وتعلق القدرة، لكن لما كان خطر الجهل في هذا الفن عظيمًا صرح المتكلمون بهما^(١).

الإيمان بالقضاء والقدر وعلاقته بالجبر

الإيمان بالقضاء والقدر ركن من أركان الإيمان. ورد ذلك بالحديث الصحيح حين جاء جبريل يسأل النبي ﷺ عن الإسلام والإيمان يريد تعليم المسلمين أحكام دينهم. قال جبريل: (فأخبرني عن الإيمان: قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره، قال: صدقت).

والمُرَاد من الإيمان بالقضاء والقدر هو:

١- التصديق بأن الباري عز وجل عالم بال مخلوقات جميعاً في الأزل، وما يتعلق بها في المستقبل، كعلمه أزلاً بأن المرء يباشر الأسباب بإرادته واختياره المحض، ثم يجازيه على ما فعل.

٢- التصديق بأن المخلوقات جميعاً وجدت بإرادته ووفق علمه الأزلي. قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتِ وَنَكْتُبُ مَا قَدُمُوا وَءَاثَرَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ - يس ١٢.

وعلى ذلك فلا علاقة بين الإيمان بالقضاء والقدر، وبين الجبر والاختيار. لأن العلم كاشف عما سيقع.

العدوي على كفاية الطالب الرباني ج ١ ص ٥٣ عن ابن قاسم، ورسالة في التوحيد للطائي ص ١٢٣. وتعريف الأشاعرة في شرح المواقف للسيد الشريف ج ٨ ص ١٨٠. وانظر قول المائريدي في: أصول الدين للغزنوي ص ١٨٤. وبمثل قول المائريدي فسر السديكي القدر، وعمرو التلاقي القضاء، وهما من الإباحية. وبمثل قول الأشاعرة فسر محمد أطفيش من الإباحية القضاء والقدر. / البعد الحضاري ص ٤٢١-٤٢٢.

(١) شرح الجوهر للباجوري ص ١٨٩.

ذكر الإمام النُّوَوِيُّ: (قال الخطَّابِيُّ: وقد يحسب كثير من الناس أنَّ معنى القَضَاءِ والقَدَرِ إجبار الله سُبْحَانَهُ وتَعَالَى العبد وقهره على ما قَدَرَهُ وقضاه، وليس الأمر كما يتوهمونه، وإنما معناه: الإخبار عن تقدّم علم الله سُبْحَانَهُ وتَعَالَى بما يكون من اكتساب العبد وصدورها عن تقدير منه، وخلق لها خيرها وشرها)^(١).

سئل عبد الله بن عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَمَّنْ يرتكب الموبقات، ويقولون كان ذلك في علم الله، فغضب، وقال: كان ذلك في علمه، ولم يكن علمه يحملهم عليها^(٢)، فالله تعالى يعلم بعلمه الأزلي أن الناس سيختارون طرقاً مُخْتَلِفَةً، فَيَسَّرَ لَهُمْ ما يَخْتَارُونَ، وأَقَرَّهُمْ عليه. فعلمه تعالى لا يعني جَبَرَ الإنسان على فعل ما، فالأستاذ مثلاً يعلم مُقَدِّماً أنَّ التلميذ المهمل سيرسب في الامتحان. فهل يمكن للراسب أن يحتج على الأستاذ فيقول له: إن علمك برسوبي هو الذي رَسَّبَنِي؟ لا يقول بهذا أحد. فعلم الله تعالى صفة كاشفة، ليس لها تَأْثِيرٌ كالقدرة، فلا تعني إجبار العبد على شيء ما.

الْأَخْذُ بِالْأَسْبَابِ وَالْإِيمَانُ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ

والإيمان بالقضاء والقدر لا ينافي الأخذ بالأسباب: بل على الإنسان أن يجتهد ويسعى.

(١) انظر: كبرى اليقينية الكونية ص ١٦٨-١٦٩ ورسالة في التَّوْحِيدِ لِلطَّائِي ص ١٢٣. وانظر: لَوَامِعُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ١ ص ٣٤٥.

وَحَدِيثُ جَبْرِئِلَ: فَأَخْبَرَنِي عَنِ الْإِيمَانِ... إلخ، في: صَحِيحِ مُسْلِمٍ في: ١ كتاب الإيمان، أول باب بَيَانِ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ وَالْإِحْسَانِ، رقم ٨، عن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وانظر قول النُّوَوِيِّ في شرحه على صَحِيحِ مُسْلِمٍ ج ١ ص ١٩٩ بهامش إِرْشَادِ السَّارِي لِلْقِسْطِ لَانْبِي.

(٢) رِسَالَةٌ فِي التَّوْحِيدِ لِلطَّائِي ص ١٢٤.

قال تعالى: ﴿فَأَمْسُوا فِي مَنَاجِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ - المُلْك ١٥.

فلا كسل ولا تواكل.

وأمره أن لا يلقي بنفسه إلى التهلكة. قال تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ - البقرة

١٩٥.

وأمره أن يجاهد في سبيل الله، فقال سبحانه: ﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي

سَبِيلِ اللَّهِ﴾ - التوبة ٤١، وقال تعالى: ﴿خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ - النساء ٧١^(١).

ظهور مسألة القضاء والقدر

أثيرت مسألة القضاء والقدر عند علماء المسلمين، لما رأوا أن أدلة الكتاب والسنة والمعقول متعارضة بينها^(٢).

فما يدل على أن الإنسان مجبر على فعله:

أ- قوله تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ - التوبة ٥١.

ب- قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ - الصفات ٩٦.

ج- قوله ﷺ: (الشقي من شقي في بطن أمه، والسعيد من وعظ بغيره).

د- ومن حجج العقل: أننا لو قلنا بأن العبد مخير وهو خالق أفعاله، لكانت قدرة الله تعالى محدودة وغير شاملة، وأن العبد شريك الله تعالى في إيجاد العالم.

وما يدل على أن الإنسان مخير ليس مجبوراً:

أ- قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ - المُنَافِق ٣٨.

(١) السابق ص ١٢٣.

(٢) قال ابن رشد في مناهج الأدلة ص ٢٢٣: (إذا تؤمّلت دلائل السمع في ذلك ووجدت متعارضة، وكذلك حجج العقول).

ب- قوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ - الكهف ٢٩.

ج- ومن حجج العقل: أننا لو قلنا بأن الإنسان مُجْبَرٌ، فقدرتَه لا أثر لها، وإذا لم تكن له قدرة، لم يكن للأوامر والنواهي وللثواب والعقاب معنى^(١).

مَذَاهِبُ الْمُسْلِمِينَ فِي الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ

قسم العلماء الأفعال إلى قسمين:

١- أفعال اضطرارية: وهي التي لا قدرة للإنسان ولا اختيار له فيها، كحركة ارتعاش اليد وحركة الجهاز العصبي والهضمي.

وقد اتفقت الفرق الإسلامية جميعها على أنها مخلوقة لله وليس للعبد دخل فيها، فلا تكليف فيها ولا ثواب ولا عقاب بها.

٢- أفعال اختياريّة: وهي التي للإنسان فيها قدرة واختيار كالسير والكلام. وهذه هي محل الخلاف بين علماء الفرق الإسلامية الذين ذهبوا فيها مذاهب مختلفة هي^(٢):

أولاً: مذهب الجبريّة:

وهم أتباع الجعد بن درهم والجهم بن صفوان الراسبي، وهؤلاء نفوا القدرة والاختيار والإرادة عن الإنسان، وقالوا: بأن الإنسان مُجْبَرٌ على جميع أفعاله، فهو كالريشة في مهبّ الريح.

(١) انظر: دراسات في الفرق ص ٢٥٥-٢٥٧.

وحديث: الشقي من شقي... إلخ، في: صحيح مسلم في: ٤٦ كتاب القدر، ١ باب كيفية الخلق الآدمي...، رقم ٢٦٤٥، عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) انظر: شرح الجوهرة للباجوري ص ١٦٧-١٦٨ و١٧٨ وكبرى اليقينيّات الكونية ص ١٦٩ ورسالة في التوحيد للطائي ص ١٢٧.

وأن الله تعالى خلق في الإنسان أفعاله بنوعها الاضطرابية والاختيارية التي يَخِلُ إلى بعضهم أنها اختياريّة، ونسبتها إلى الإنسان على سبيل المجاز، كما تنسب إلى الجمادات والنباتات، فنقول: تَغْدَى النبات، وتحرك الحَجَر.

وقالوا: الثواب والعقاب جَبْر، والتكاليف الشرعية أيضاً جَبْر.

واستدلوا على قولهم بالنصوص السابقة التي تفيد الجبر^(١).

ورُدَّ:

بأن هذه النصوص يجب تأويلها كي تستقيم مع النصوص التي تعارضها، التي تثبت للعبد عملاً يستحق عليه العقاب والثواب والمدح والذم، لأن الله تعالى نفى الظلم عن نفسه، وأنه لا يحاسب إلا على العمل الذي اكتسبه العبد.

قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَدِّلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ - النحل ١١١.

وقولهم هذا يؤدي إلى أنه لا تكليف بالأوامر والنواهي، ولا معنى لإرسال الرسل، ولا فائدة من ترتيب الثواب على الطاعات والعقاب على المعاصي.

ثانياً: مذهب المُعْتَرِلة:

وهم يُجمعون على أمور منها:

(١) تقدم الكلام عن رأي الجبرية ومذهبهم في مبحث الفرق الإسلامية. وانظر من المصادر التي ذكرناها: مقالات الإسلاميين ج ١ ص ٣٣٨ والفرق بين الفرق ص ٢١١ وأصول الدين للبخاري ص ٣٣٣ والملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ٧٣ والتبصير في الدين ص ٩٠ والمواقف وشرحه للسيد الشريف ج ٨ ص ٣٩٨ وخطط المقرئ ج ٢ ص ٣٤٩ وشرح الجوهر للباقر ج ١ ص ١٧٥ ومشارك أنوار العقول ج ٢ ص ١٨٦ ودراسات في الفرق ص ٢٦٣ وتاريخ المذاهب الإسلامية ص ١٠٢ ومقدمة مناهج الأدلة ص ١٠٥.

١- أَنَّ الْعِبَادَ هُمُ الَّذِينَ يَخْلُقُونَ أَفْعَالَهُمُ الْاِخْتِيَارِيَّةَ بِقُدْرَةِ خَلْقِهَا اللَّهُ فِيهِمْ^(١)، وَلَيْسَ لِلَّهِ تَعَالَى صَنَعٌ وَلَا تَقْدِيرٌ فِيهَا لَا بِإِيجَادٍ وَلَا نَفْيٍ.

٢- اللَّهُ عَالِمٌ أَزَلًا بِأَفْعَالِ خَلْقِهِ، فَلَمْ يَزَلْ عَالِمًا بِمَنْ سَيِّئٌ مِنْ وَبِمَنْ سَيِّئٌ. وَهَذَا يُمَيِّزُهُمْ عَنِ الْقَدَرِيَّةِ الْخَالِصَةِ - أَتْبَاعِ مَعْبَدِ الْجُهَنِيِّ وَغَيْلَانَ الدَّمَشَقِيِّ - الَّذِينَ أَنْكَرُوا عِلْمَ اللَّهِ الْأَزَلِي، فَاللَّهُ عَنْدهُمْ لَا يَعْلَمُ أَفْعَالَ الْفَرْدِ إِلَّا بَعْدَ وَقُوعِهَا.

٣- الْإِنْسَانُ فَاعِلٌ مُخْتَارٌ، يَعْمَلُ بِالْقُدْرَةِ الْخَادِثَةِ الَّتِي مَنْحَتَهَا إِلَيْهِ الْعِنَايَةُ الْإِلَهِيَّةُ، فَيُوجِّهُهَا حَسَبَ مَا يَرِيدُ.

٤- أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى وَإِرَادَتُهُ مُتَلَازِمَانِ.

فَاللَّهُ تَعَالَى يَرِيدُنَا أَنْ نُؤَحِّدَهُ، وَأَنْ نُوْثِقَ بِرِسْلِهِ، وَنُقِيمَ الصَّلَاةَ... وَيَأْمُرُنَا بِذَلِكَ، وَلَا يَرِيدُ مِنَّا الْمَعَاصِي وَالْكَفْرَ وَلَا يَأْمُرُ بِهِ، وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ إِرَادَةِ الْإِنْسَانِ وَاخْتِيَارِهِ وَفَعْلِهِ. وَاحْتِجَ الْمُعْتَزِلَةُ بِمَا يَأْتِي:

لَوْ كَانَ اللَّهُ تَعَالَى خَالِقًا أَفْعَالَ الْعِبَادِ، وَالْعِبَادَ لَا اخْتِيَارَ لَهُمْ:

أ- لَبَطَلَ التَّكْلِيفُ الشَّرْعِيُّ مِنَ الْأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي.

ب- وَلَبَطَلَ الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ.

ج- وَلَا تَنْفَتُ فَائِدَةُ بَعْثَةِ الْأَنْبِيَاءِ^(٢).

(١) شَرْحُ الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ١٦٨ و ١٧٥.

(٢) تَقْدِمْ الْكَلَامِ عَنْ رَأْيِ الْمُعْتَزِلَةِ وَمَذْهَبِهِمْ فِي مَبْحَثِ الْفِرْقِ الْإِسْلَامِيَّةِ. وَانْظُرْ: دَرَسَاتُ فِي الْفِرْقِ ص ٢٦٨-٢٦٩ وَمَذَاهِبُ الْإِسْلَامِيِّينَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بَدَوِيِّ ج ١ ص ٤٨ وَمَا بَعْدَهَا، وَمُقَدِّمَةُ مَنَاهِجِ الْأَدِلَّةِ ص ١٠٦.

قَالَ الدَّرْزِيرُ فِي شَرْحِ الْخَرِيدَةِ ص ٦٢-٦٣: (فَبَطَلَ قَوْلُ الْجَبَرِيَّةِ بِأَنَّهُ لَا قُدْرَةَ لِلْعَبْدِ تُقَارَنُ فِعَالًا لَهُ أَصْلًا، بَلْ هُوَ مُجْبُورٌ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، كَالْخِطِّ الْمَعْلُوقِ فِي الْهَوَاءِ تَمِيلُهُ الرِّيحُ بَلَا اخْتِيَارَ لَهُ

ورُدَّ هذا القول:

بأن أفعال العباد الاختيارية مخلوقة لله، بدليل:

قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ مَقْدِيرًا﴾ - الفرقان ٢، وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ - الصافات ٩٦^(١). وبما استدل به الأشاعرة على قولهم كما سيأتي.

ثالثاً: مذهب الأشاعرة:

ويرون أن أفعال الفرد الاختيارية مخلوقة لله تعالى، وليس للعبد تأثير في إيجادها، وأن الله تعالى يخلق فيه قدرة على إصدار ذلك الفعل للعبد.

فالفعل إبداع وإحداث لله وكسب للعبد^(٢).

في شيء أصلاً. وقول القدرية بتأثير القدرة الحادثة في الأفعال على طبق إرادة العبد. والجبرية كفار قطعاً، لأن مذهبهم ينفي التكليف الذي جاء به الرسل عليهم السلام. وفي كفر القدرية خلاف، الأصح عدم كفرهم، لأنهم وإن لزمهم إثبات الشريك لله تعالى إلا أنهم لما أثبتوا لله تعالى خلق العبد وقدرته وإرادته صار فعل العبد في الحقيقة مخلوقاً له تعالى).

(١) أوضح الباقلاني في الإنصاف ص ١٤٤ وما بعدها، مذهب أهل السنة والجماعة في أن الخالق هو الله تعالى وحده للأشخاص والأفعال... وردَّ على قول المعتزلة والنجارية والجهمية والروافض بأن أفعال العباد مخلوقة للعباد بقدرة العباد... مع الأدلة والمناقشات. ونقل عن ابن فورك رحمه الله عنه أنه كان مع صاحب بن عباد في بستان وكان يعتقد شيئاً من ذلك، فأخذ سفر جلة وقطعها من الشجرة، وقال له: ألسنتُ أنا قطعْتُ هذه السفر جلة؟ فقال له رحمه الله عنه: مُجيباً: إن كنتَ تزعمُ أنك خلقتَ هذه التفرقة فيها فاخلق وصلها بالشجرة حتى تعود كما كانت. فبُهِتَ وتَحَيَّرَ ولم يقدر على جواب.

(٢) تقدم الكلام عن رأي الأشاعرة ومذهبهم في مبحث الفرق الإسلامية. وانظر: دراسات في الفرق ص ٢٦٩ وتاريخ المذاهب الإسلامية ص ١٨٤.

والأشاعرة مع أنهم يقولون بأن الفعل خير وشره من الله، قالوا: إن الأدب أن لا يُنسب لله تعالى إلا الخير، أما الشر فإنه يُنسب للنفس كسباً، وإن كان منسوباً لله إيجاداً، قال تعالى: ﴿مَّا

والكسب هو اقتران قدرة العبد بفعل الله، بمعنى:

أنَّ الإنسان إذا أراد أن يفعل فعلاً من الأفعال، فإن الله يخلق له في هذه اللحظة نفسها قدرةً على هذا الفعل، وهذه الأخيرة هي التي تكتسبه، لكنها لا تخلقه^(١).

أو الكسبُ هو: أنَّ العبدَ إذا صَمَّمَ العَزْمَ فـاللهُ يُخلِقُ الفعلَ فيه^(٢).

فقدرة العبد مهمتها كسب الفعل، وقدرة الله مهمتها خلق الفعل. وعليه: فإن الإنسان قد منحه الله قدرةً كاسبةً ليس لها تأثير في خلق الفعل، وإنما يفيض الله عليها هذه القدرة الحادثة، فتكتسب الفعل بقدرة الله، وهذا القصد هو مناط التكليف والشواب والعقاب^(٣)، قال تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ - البقرة ٢٨٦، فالآية صريحة في إثبات الكسب والاكْتِسَاب لها.

والقول بالكسب هو قول الإباضية الذين وافقوا الأشاعرة فقالوا: أفعالنا خلق الله

أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنْ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ ﴿ - النساء ٧٩، أي: كسباً، يفسره قوله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كُنْتُمْ كَائِبِينَ﴾ - الشورى ٣٠. أما قوله تعالى: ﴿قُلْ كُلُّ مَنْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ - النساء ٧٨، فرجوعٌ للحقيقة، تأمل قول إبراهيم عليه السلام: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠) ﴿ - الشعراء، فلم يقل إبراهيم عليه السلام: أمرضني، تأدباً، وإلا فالكل من الله تعالى. / شَرَحَ الْجَوْهَرَةُ لِلْبَاقِلَانِيِّ ص ١٦٨. وانظر: الإِنْصَافَ لِلْبَاقِلَانِيِّ ص ١٥٢.

(١) مُقَدِّمَةٌ مَنَاهِجِ الْأَدِلَّةِ ص ١٠٨. قال البَغْدَادِيُّ فِي أُصُولِ الدِّينِ ص ١٣٣-١٣٤: (وقد ضرب بعض أصحابنا للاكتساب مثلاً، في الحَجَرِ الْكَبِيرِ، قد يعجز عن حمله رجل، ويقدر آخر على حمله منفرداً به، إذا اجتمعاً جميعاً على حمله، كان حصول الحمل بأقواهما، ولا خرج أضعفهما بذلك عن كونه حاملاً. كذلك العبد لا يقدر على الانفراد بفعله، ولو أراد الله الانفراد بإحداث ما هو كسبٌ للعبد قَدَرَ عليه ووجد مقدوراً. فوجوده على الحقيقة بقدرة الله تعالى، ولا يخرج مع ذلك المُكْتَسِبُ من كونه فاعلاً وإن وُجِدَ الفعلُ بقدرة الله تعالى. فهذا قولٌ معقولٌ).

(٢) طَوَالِغُ الْأَنْوَارِ ص ٢٠٠.

(٣) الْبَعْدُ الْحَضَارِيُّ ص ٤٥٣.

عَزَّ وَجَلَّ، وهي لنا اكتسابٌ، فثابٌ ونعاقبٌ على اكتسابنا لا على خلق الله أفعالنا^(١).
والقول بالكسب هو قول الماتريدية^(٢). وقال بالكسب أيضاً تقي الدين بن
تيمية^(٣).

ورأيهم هذا توسط بين الجبرية والمعتزلة^(٤).

واستدلوا بما يأتي:

أ- بقوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾ - الفرقان ٢. وبقوله تعالى: ﴿خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ - الأنعام ١٠٢ والرعد ١٦ والزمر ٦٢ وغافر ٦٢، والفعل من جملة الأشياء، فهو مخلوق لله تعالى.

ب- لو كان العبد موجداً لأفعاله بالاختيار والاستقلال، لوجب أن يعلم تفاصيلها، ويستحيل على الإنسان أن يحيط بجميع وجوه الفعل، إذ تصدر منه أفعال في غفلته وذهوله، وهي على الانسجام والانتظام وصفة الإتيان والإحكام، والعبد غير عالم بما يصدر منه، فوجب أن يكون مصدر ذلك هو الله تعالى^(٥).

(١) مَسَارِقُ أَنْوَارِ الْعُقُولِ ج ٢ ص ١٧١. وانظر: البعد الحَضَارِيِّ ص ٤٦٤.

(٢) التَّوْحِيدُ لِلْمَاتَرِيدِيِّ ص ٤١ م و ٢٢٥ وقال الغَزَنَوِيُّ فِي أَصُولِ الدِّينِ ص ١٨٩: (اعلم أن المذهب المُستقيم أن تقدير الخير والشر من الله تعالى، وفعل الخير والشر من العبد، والعبد مُختار في فعله اختيار تمييز وتخصيل، لا اختيار مشيئة وقدرة... وليس للعبد أن يقول عاذراً لنفسه: بأن القضاء والقدر هكَذَا أُجْرِي عَلَيَّ، فما ذنبي؟ بل العبد ملزمٌ بمراعاة الأمر والنهي...). وانظر رأي الماتريدية في: مُقَدِّمَةٌ مَنَاهِجِ الْأَدِلَّةِ ص ١١١.

(٣) قال تَقِي الدِّينِ بَن تَيْمِيَّةَ: (للعبد قدرة وإرادة وفعلٌ وَهَبَهَا اللهُ لَهُ، لتكون أفعاله منه حقيقة لا مجازاً، فهي من العبد كسباً، ومن الله خلقاً). / خلاصة علم الكلام ص ١٦٣ عن العقيدة الواسطية لابن تيمية.

(٤) مَسَارِقُ أَنْوَارِ الْعُقُولِ ج ٢ ص ١٧١.

(٥) دراسات في الفرق ص ٢٧٣.

وبعد عرض رأي الجبرية والقائلين بالكسب يتضح أن الفريقين يذهبان إلى أن الفعل من خلق الله تعالى، إلا أن الجبرية يقولون هو بقدرة الله تعالى القديمة، والقائلين بالكسب يقولون هو بالقدرة الحادثة التي يخلقها الله في العبد عند اختياره للفعل^(١).

رابعاً: مذهب الإمامية:

يصوره لنا الشيخ المظفر بقوله: (إن أفعالنا من جهة، هي أفعالنا حقيقة ونحن أسبابها الطبيعية، وهي تحت قدرتنا واختيارنا، ومن جهة أخرى هي مقدورة الله تعالى وداخله في سلطانه، لأنه هو مفيض الوجود ومعطيه، فلم يجبرنا على أفعالنا حتى يكون قد ظلمنا في عقابنا على المعاصي، لأن لنا القدرة والاختيار فيما نفعل، ولم يفرض إلينا خلق أفعالنا، حتى يكون قد أخرجهما عن سلطانه، بل له الخلق والحكم والأمر، وهو قادر على كل شيء ومحيط بالعباد)^(٢).

وهذا معنى ما روي عن الأئمة: لا جبر ولا تفويض، ولكن أمر بين أمرين^(٣).

والفرق بين قول الإمامية وقول الأشاعرة هو أن الإمامية يذهبون إلى أن الإنسان هو الذي يختار الفعل ويخلقه، ولكن بالقدرة الإنسانية التي منحها الله إياه. أما الأشاعرة فيقولون: إن الإنسان هو الذي يختار الفعل أيضاً، إلا أن الله تعالى هو الذي يخلقه عن طريق خلق القدرة الحادثة فيه المقارنة للاختيار^(٤).

(١) خلاصة علم الكلام ص ١٦٦، وفيه: ومن هنا ذهب البعض إلى القول بأن القائلين بالكسب هم جبرية.

(٢) عقائد الإمامية ص ٤٤.

(٣) عقائد الإمامية السابق، والشبهة بين الأشاعرة والمعتزلة للحسيني ص ٢١٢. وانظر: أصول الدين الإسلامي لمحمد علي ناصر ص ٤٠ وما بعدها، وعقائد الإمامية الاثني عشرية للسيد إبراهيم الزنجاني ص ٣٦-٣٧.

(٤) خلاصة علم الكلام ص ١٦٥-١٦٦.

خامساً: مذهب ابن رشد:

يرى ابن رشد أنَّ التعارض الوارد بالنصوص لم يأت عبثاً، بل كان مقصوداً من الشارع، لكي يوحى إلى العلماء القادرين على فهم الكتاب والسنة فهماً صحيحاً بالحل الذي يجب أن يذهب الشبهة، التي ربما فرقت بين أهل الجدل.

ورأى: أنَّ الجبر لا يمكن أن يكون محضاً، وأنَّ الاختيار لا يجوز أن يكون مطلقاً، بل الحق هو في التوسط بين هذين الرأيين، وذلك: بأن نقرر أن أفعال الإنسان ليست اختيارية تماماً ولا اضطرارية تماماً، وإنما تتوقف على عاملين: إرادة حرة ترتبط في الوقت نفسه بأسباب خارجية تجري دائماً على نمط واحد أودعها الله في الكون^(١).

وعليه رأى الأستاذ محمَّد قاسم أنه حلُّ أقرب من أي حلٍّ آخر إلى العقل وإلى ما يرتضيه الشرع^(٢). وهو ما يميل إليه العلم الحديث، الذي لا ينفي حرية الاختيار، والذي يعترف بوجود القوانين المُطرَّدة في الطبيعة^(٣).

أسئلة وأجوبتها

فإذا قيل:

إنَّ إيجاد الله المخلوقات على القدر المعين الذي سبق العلم به يفيد: أنَّ الإنسان مكره على أفعاله.

فالجواب هو: أن الأفعال الاضطرارية لا تكليف فيها، كما تقدم.

أما الأفعال الاختيارية فهي مخلوقة، كما مرَّ في قول الأشاعرة، ولكن هذا الخلق لا يعني إكراه الإنسان عليها، وذلك:

(١) مُقَدِّمَةٌ مناهج الأدلة ص ١١٨-١١٩.

(٢) المصدر السابق ص ١٠٤.

(٣) المصدر السابق ص ١١٩.

لأن الإنسان مُخْتَارٌ بوصفه كاسباً لفعله الاختياري لا بوصفه خالقاً له.

ذَلِكَ لأن كسب الفعل (أَي تَلَبُّسَكَ بِهِ) يتوقف على أمرين:

أ- وجود مقومات هذا الفعل في الخارج كلها المادية والمعنوية.

ب- اكتسابك له عن طريق انبعاثك نحوه.

فأنت مريد ومُخْتَارٌ بوصفك كاسباً وَمَنْبَعُثاً إِلَيْهِ، لا بوصفك خالقاً وموجداً

لمقوماته وعناصره.

وإيضاح ذلك يكون بالمثال الحسي الآتي:

اليد وما فيها من شرايين وأعصاب وقدرة من خلق الله عَزَّ وَجَلَّ.

والورق بصورته وخصائصه من خلقه عَزَّ وَجَلَّ.

والقلم بقابليته للكتابة من خلقه تعالى أيضاً.

وتلاقي هذه العناصر كلها لترسم خطأً على الورق من خلق الله أيضاً.

فهذا معنى أن الله عَزَّ وَجَلَّ هو الخالق لأفعال الإنسان.

ولا بد لكي توجد الكتابة منك، أن تعزم في نفسك على الكتابة، وأن تنبعث إرادتك

على التنفيذ، فحينئذ يَأْذَنُ الله تعالى للقوة التي أودعها في يدك أن تلبّي، وللشرايين

والأوردة أن تساعدك على قصدك، وللحبر أن ينساب كما تشاء، وللورق أن يتأثر بذلك

على النحو الذي تتحقق فيه الكتابة، وعندئذ تسمى كاتباً، ويُنسب إليك كسب هذا

الفعل على الرغم من أن الله عَزَّ وَجَلَّ هو الخالق له. فالقصد والعزيمة والكسب منك،

وذلك بسر الإرادة التي ركبها الله فيك.

وخلق الفعل وأسبابه من الله تعالى، وإنما تكون المقاضاة والمحاسبة على القصد

والكسب، لا على خلق الأسباب وخلق الفعل لنفسه.

كمن يدهس بسيارته إنساناً فيقتله، لا يقاضى على الفعل لأنه ليس هو صاحب

الفعل بالذات، بل صاحب الفعل المباشر هو السيارة نفسها، ولكنّه يُقاضى على الكسب.

والذي جاء بالعمّال فحفروا له في قارعة الطريق حوضاً أو بئراً لا يُعاقب على إفساده للطريق العام لأنه هو الفاعل، بل لأنه هو الكاسب.

والله عزّ وجلّ إنما يحاسب عباده على الكسب، أي على الانبعاث النفسي إلى التلبس بالفعل، بدليل قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ - البقرة ٢٨٦، وقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ - غافر ١٧، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِنَّمَّ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ﴾ - الأنعام ١٢٠. فهذه الآيات تدلّ على أن مناط الأجر والعقاب إنما هو كسب الإنسان، أي: انبعاثه نحو الشيء الذي أمر به أو نهى عنه. وإنما شاء الله تعالى أن يجعل خلقه وقدرته وفقاً لانبعاثاتهم، حتى يكون ذلك بمثابة السجل الذي تُثبت فيه هذه الانبعاثات مجسّدة في مظهر الفعل الذي ظهرت فيه.

وإذا قيل:

إن الله تعالى يقول: ﴿وَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ - النحل ٩. ويقول تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ - يونس ٩٩. وهذا يثبت أن إرادة الإنسان أسيرة في يد الله عزّ وجلّ.

فالجواب: أن معنى هذه الآيات: أن الله عزّ وجلّ لو شاء لأمدّهم بلطف من عنده، يجعلهم يختارون الإيمان والانصياع للحق، ويرفضون أهواءهم، ولكنّه لم يشأ، وشاء أن يجعل الإنسان بين جانبيين يتجاذبانه، وهما: النفس بشهواتها والعقل بتدبيره، ليظهر معنى التكليف ومُجَاهَدَةِ النفس في سبيله تعالى، وإلا لما أعدّ الأجر والثواب للطائعين المُستقيمين على طاعته، والعقاب للعصاة المارقين عن سبيله.

وهنا جعل الله تعالى الإرادة الإنسانية بين لطف الله وعقابه. فمن آمن بالله وبرسالته

ﷺ، وصمم على عدم معاندة الحق، وجاهد نفسه ضد الشهوات، فإن الله تعالى يُوفِّقُهُ وَيُعِينُهُ.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ أَهْدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَءَانَّهُمْ يَقُونَهُمْ﴾ - مُحَمَّد ١٧، وقال تعالى: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾ - مريم ٧٦، وقال تعالى: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ - المائدة ١٦.

أما من عاند الله ورَسُولَهُ، ولم يلب إلا شهواته وأهواءه، وإذا ذُكِرَ بآيات الله أَصَمَّ أَذُنُهُ عنها، فإن هُوَ لَا يَزِجُ بهم في الغواية والضلال، قال تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلَاءَ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ - الأعراف ١٤٦، وقال تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ - البقرة ٢٦.

وهذه السُّنَّةُ الإِلَهِيَّةُ هي تَفْسِيرُ قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ - فاطر ٨، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَهُوَ مِن هَادٍ﴾ - الرعد ٣٣.

أي: أن الله لا يعجزه شيء عن أن يقذف أسباب الهداية في قلب أضل الكافرين، وأن يقذف أسباب الضلالة في قلب أصلح عباده المؤمنين.

ولكنه سُبْحَانَهُ تَفَضُّلاً منه وإحساناً كتب على نفسه: أن لا يُضِلَّ من الناس إلا من صرف نفسه عن أسباب الهداية، وأن يقرب أسباب الهداية لكل عازم على استجابة ما أمر الله به^(١).

(١) الهداية من الله تعالى لعباده عند أهل السُّنَّةِ على وجهين:

أحدهما: من جهة إِبَانَةِ الحق والدعاء إليه وإقامة الأدلة عليه. وعلى هذا الوجه يَصَحُّ إضافة الهداية إلى الرسل وإلى كل داعٍ إلى دين الله عزَّ وجلَّ، لأنهم مرشدون إليه. وهذا تأويل قول

وإذا قيل:

إن قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ - التكوير ٢٩، يدل على أن الإنسان لا يملك لنفسه أي مشيئة إلا بإذن الله ومشيئته.

فالجواب: إن الآية توضح أن الإنسان ما كان ليتمتع بإرادة في كيانه يتجه بسرّها إلى

الله عزّ وجلّ في رسوله ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ - الشورى ٥٢، أي: تدعو إليه. وهذه الهداية من الله تعالى شاملة جميع المكلفين.

الثاني: من هداية الله تعالى لعباده خلقه في قلوبهم الاهتداء، كما ذكره الله عزّ وجلّ في قوله: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ - الأنعام ١٢٥. وهذه الهداية منه تعالى خاصة للمهتدين. وفي تحقيق ذلك نزل قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ - يونس ٢٥، يعني به: اهتداء القلوب الذي لا يقدر عليه غير الله عزّ وجلّ. ولهذا قال في نبيه عليه السلام: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ - القصص ٥٦، وقد وصفه بأنه يهدي إلى صراط مستقيم. فالهداية التي أثبتها الله تعالى للرسول ﷺ من طريق البيان والدعوة، والهداية التي نفاها عنه من جهة شرح الصدور وقبولها للحق.

والإضلال من الله عزّ وجلّ لأهل الضلال على معنى خلق الضلالة عن الحق في قلوبهم. وعلى ذلك يحمل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ - الأنعام ١٢٥، وقوله تعالى: ﴿يُضِلْ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِ مَنْ يَشَاءُ﴾ - النحل ٩٣ وفاطر ٨، فمن أضله فبعده، ومن هداه فبفضله.

والهداية من الله تعالى عند القدرة - والمُعترلة - على معنى الإرشاد والدعاء وإبانة الحق، وليس إليه من هداية القلوب شيء. وعندهم الإضلال منه تعالى على وجهين: أحدهما: أن يقال إنه أضل عبداً بمعنى أنه سمّاها ضالاً. والثاني: على معنى أنه جازاه على ضلالته. وخطأهم البغداديّ من طريقي اللغة والمعنى.

وزعمت الثنوية أن الهداية من النور، والضلال من الظلمة.

وزعمت المجوس أن الهداية من الإله، والإضلال من الشيطان المسمى أهرمن). / أصول الدين للبغداديّ ص ١٤٠-١٤٢، وانظر: ص ٨٣.

اِخْتِيَارَ مَا يَشَاءُ مِنَ التَّصَرُّفَاتِ وَالْأَعْمَالِ، لَوْ لَمْ يَشَأِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَضَعَ فِي كَيَانِهِ هَذَا السِّرَ الْعَظِيمَ^(١).

وَإِذَا قِيلَ:

إِنْ إِرَادَةَ اللَّهِ تَعَالَى مُطْلَقَةٌ وَكَامِلَةٌ، فَكَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ نَتَصَوَّرَ لِلإِنْسَانِ أَيْضاً إِرَادَةً إِلَى جَانِبِهَا، بَعْدَ أَنْ قَرَرْنَا أَنَّ الْإِنْسَانَ حَرٌّ مُخْتَارٌ فِي إِرَادَتِهِ؟

فَالْجَوَابُ: أَنَّ تَصَرُّفَاتِ الْإِنْسَانِ الْاضْطِرَّارِيَّةَ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ فِيهَا كَسْبٌ أَوْ مَشِيئَةٌ، أَمَّا تَصَرُّفَاتُهُ النَّاتِجَةُ عَنْ اِخْتِيَارِهِ وَإِرَادَتِهِ فَهِيَ مَرْكَزُ التَّكْلِيفِ فِيهِ. فَإِرَادَةُ اللَّهِ تَعَالَى تَعَلَّقَتْ بِأَنْ تَكُونَ مُرِيداً، فَسَرَتْ إِرَادَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى كُلِّ مَا تَرِيدُهُ وَتَخْتَارُهُ مِنَ الْأَعْمَالِ، فَلَا تَعَارُضَ بَيْنَ إِرَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَمَا تَخْتَارُهُ عَنْ طَرِيقِ إِرَادَتِكَ الْخَاصَّةِ.

فَلَوْ فَرَضْنَا أَنَّ اللَّهَ غَيْرَ مُرِيدٍ لَعَمَلٍ قَدْ اخْتَرْتَهُ بِإِرَادَتِكَ، فَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ غَيْرَ مُرِيدٍ لِإِرَادَتِكَ الَّتِي وَجَّهْتَكَ إِلَى ذَلِكَ الْفِعْلِ، وَهُوَ مُنَاقِضٌ لِمَا ثَبَتَ مِنْ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ شَاءَ لَكَ أَنْ تَكُونَ مُرِيداً، فَبَطَلَ فَرَضُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ لَا يَرِيدُ الْعَمَلَ الَّذِي تَخْتَارُهُ.

وَمِثَالُهُ: عِنْدَكَ خَادِمٌ تَرِيدُ أَنْ تَعْلَمَ صَدَقَهُ فِي الْخِدْمَةِ وَمَعَامَلَتِهِ، تَعْطِيهِ مَبْلَغاً مِنَ الْمَالِ، لِيَقْضِيَ بِهَا الْحَوَائِجَ فِي السُّوقِ، فَيَتَصَرَّفُ بِهِ بِكُلِّ حُرِّيَّةٍ دُونَ رَقِيبٍ عَلَيْهِ.

فَأَنْتَ بِهَذَا قَدْ أَرَدْتَ أَنْ يَكُونَ حُرّاً فِيمَا يَفْعَلُ وَيَتْرَكَ، لَا يَسْتَجِيبُ إِلَّا لِنَدَاءِ ضَمِيرِهِ، فَإِرَادَتُكَ قَدْ تَعَلَّقَتْ بِأَنْ يَكُونَ هَذَا الْخَادِمُ مُرِيداً لِمَا يَصْنَعُ بِلَا قَسَرٍ حَتَّى تَعْلَمَ طَوِيلَتَهُ، فَإِذَا خَانَ الْأَمَانَةَ أَوْ صَانَهَا فَأَنْتَ مُرِيدٌ لَهَا تَيْنِ النَّتِيجَتَيْنِ مَعاً، سَوَاءٌ كُنْتَ تَحِبُّهَا وَتَرْضَاهَا أَمْ لَا.

(١) كَبَرَى الْيَقِينِيَّاتِ الْكُونِيَّةِ ص ١٦٦ وَمَا بَعْدَهَا. وَانْظُرْ: رِسَالَةَ الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ لِلشَّيْخِ مُحَمَّدٍ مُتَوَلِّي شَعْرَاوِي.

وعليه فمصير إرادة الإنسان في جنب إرادة الله هي مصير إرادة الخادم في جنب إرادة سيده، فلا يقع في ملكه تعالى إلا ما يشاء، ولا يناقضه أنه أعطاك إرادة ومشية، تكسب بها كل ما تحب دون إكراه، لتتجلى طويئتك في سلوكك، فتستحق بذلك ثواب الله أو عقابه^(١).

(١) كبرى اليقينية الكونية ص ١٦٢.

قال الدردير في شرح الخريدة ص ٦١-٦٢: (فإن قلت: إذا لم يكن لنا قدرة على إيجاد شيء، فكيف ينسب لنا العمل، وكيف يصح تكليفنا به ونُخاطب به، قال تعالى: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَيَسِيرَ اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾ - التوبة ١٠٥؟ وذلك كثير في الكتاب والسنة.

قلنا: النسبة إلينا ومخاطبتنا بتخصيله من حيث إنه كسب أو اكتساب، لا من حيث إنه إيجاد واختراع. توضيح ذلك أن قدرته تعالى أبرزت الأشياء على طبق إرادته من العدم إلى الوجود، وهذا الإبراز هو المسمى بالإيجاد والاختراع، وهو المراد بتعلق القدرة القديمة، وأما قدرتنا فقد تعلق ببعض الأفعال وهي الأفعال الاختيارية، أي: التي لنا فيها الاختيار والميل والقصد من غير إيجاد واختراع. وهذا التعلق على طبق إرادتنا هو المسمى بالكسب والاكْتِسَاب. فتعلق قدرة الله تعالى على وفق إرادته تعلق إيجاد، وتعلق قدرتنا على طبق إرادتنا تعلق كسب، أي تعلق هو كسب لا إيجاد. فأفعالنا الاختيارية قد تعلق بها القدرتان، القدرة القديمة والقدرة الحادثة، وليس للقدرة الحادثة تأثير، وإنما لها مجرد مقارنة. فالله تعالى يخلق الفعل عندها لا بها كالإحراق عند مماسة النار للحطب، فمن حيث إنه خلق لنا ميلاً إلى الشيء وقصداً إليه، وخلق لنا قدرة مصاحبة لخلقه تعالى، ذلك الذي قصدها نُسب إلينا ذلك الفعل وطلبنا به، إذ هو في ظاهر الحال يتراءى أنه فعل للعبد. وإذا نظر إلى دليل التوحيد قطع الناظر بأن الفعل ليس مخلوقاً إلا لله تعالى، وإلا لزم الشريك له تعالى عن ذلك. فعلم أن هذا التعلق عبارة عن مقارنة القدرة الحادثة من غير تأثير، وبحسبه تضاف الأفعال للعبد كقوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ - البقرة ٢٨٦، ويترتب الثواب والعقاب بمحض الفضل أو العدل. ويسمى العبد حينئذ مختاراً، وعند خلق الله تعالى الفعل في العبد بلا قدرة له مقارنة يسمى مجبوراً ومضطراً، وقد تفضل الله سبحانه علينا في هذه الحالة بإسقاط التكليف، ولو شاء لكلفنا عندها أيضاً).

الفصل الخامس

النَّبَوِيَّات

وفيه ثلاثة مباحث:

المَبْحَثُ الأول: حاجة الإنسان إلى النُّبُوَّة، مناقشة منكري النُّبُوَّات.

المَبْحَثُ الثاني: النُّبُوَّة العامة.

النَّبِيُّ والرَّسُولُ لُغَةً وَاصْطِلَاحاً، حكم إرسال الرسل، إثبات النُّبُوَّة، القرآن الكريم والكتب السماوية.

صفات الرسل والأنبياء.

الوحي.

المعجزة.

المَبْحَثُ الثالث: النُّبُوَّة الخاصة: نُبُوَّة سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ.

معجزاته ﷺ، إعجاز القرآن ووجوهه.

شواهد أُخْرَى على نُبُوَّتِهِ ﷺ.

رسالته خاتمة الشرائع، عمومها.

منزلته، شفاعته، أَصُولُ دَعْوَتِهِ، واجبنا نحوه ﷺ.

المبحث الأول حاجة الإنسان إلى النّبوة

يتفق عامة العقلاء على أن العقل الإنساني أحد الطرق الموصلة إلى العلم والمعرفة.

ولكن عارض هذا الأمر فريقان:

الفريق الأول: اعترف بوجود العقل، لكنه لا يقيم وزناً لإدراكاته. وهو مذهب الشّوْفسْطائِيِّين من فلاسفة اليونان، ومذهب الإسماعيلية القائلين بأنه لا بد من معونة معلّم إلهي، وهو الإمام المعصوم عن الخطأ عمداً أو سهواً، وهو وحده الذي يميز الحق من الباطل، والحقيقة وقف عليه وحده.

وهو أيضاً مذهب بعض المتصوّفة القائلين بأن الإلهام طريق المعرفة، لا العقل.

وردّ العقلانيون هذا الرأي، ومنهم الغزالي في كتابه: (القسطاس المستقيم) و(مشكاة الأنوار) مبيناً أن العقل يدرك المعارف، ويفهم حقائق الأشياء المحسوسات والمعقولات، ويطلق عليها أحكاماً يقينية صادقة، كحكمه على الأعداد مهما تضاعفت.

وردّ ابن حزم على القول بالإلهام بأنه لا يتفق اثنان منهم على ما يدعيه كل واحد منهم إلهاماً، فلو أعطي كل امرئ بدعواه المَعْرَاة لما ثبت حق ولا بطل باطل^(١).

(١) كتابنا أصول الدين الإسلامي ص ١٧٧ وفيه الإشارة إلى مُقدِّمة القِسْطَاسِ المُسْتَقِيمِ، وإلى الأحكام لابن حزم وغيرهما.

الفريق الثاني: أنكر العقل بمفهومه السابق، وذهب إلى أن الحواس هي وسائل المعرفة الوحيدة، وما يسمى بالعقل إنما يرجع إليها. وهؤلاء هم الحسيون أو التجريبيون أو الماديون. وظهر هذا المذهب في أوروبا، وأهم رجاله: فرنسيس بيكون، المتوفى سنة ١٦٢٦م، وجون لوك، المتوفى سنة ١٧٠٤م، ودفيد هيوم، المتوفى سنة ١٧٧٦م. وصار لهذا المذهب أتباع في العالم.

وردة العلماء بأبحاث علمية أثبتوا فيها قدرة العقل على الإدراك دون تدخل الحواس، ومثلوا لذلك بظاهرة (التبائي) وهو انتقال الفكر، أو الإحساس بأفكار شخص آخر بدون تدخل الحواس، وبظاهرة (الاستشفاف، أو الجلاء البصري) وهو الإحساس بالحوادث دون تدخل الحواس. وأقرت نتائج تلك الأبحاث بمؤتمرات عديدة^(١).

أما المذاهب الإسلامية فقد اتفقت على أهمية العقل في الإدراك، لكنها قررت أن العقل لا يستقل بإدراك كثير من الأمور، مثل الاعتقاد بالله تعالى وصفاته، وما يجب وما يجوز وما يستحيل في حقه عز وجل وفي حق النبي، وأحوال الآخرة، وغيرها من أحكام العقائد، ومثل الأخلاق، والأحكام العملية، وما يحسن منها وما يقبح.

وفرق السوفسطائية هي:

أ- اللا أدريّة: قالوا: نحن شاكون، وشاكون في أنا شاكون، وهلم جرا.
ب- العناديّة: قالوا: ما من قضية بدهية أو نظرية إلا ولها معارضة ومقاومة مثلها في القوة والقبول عند الأذهان.

ج- العنديّة: قالوا: مذهب كل قوم حقّ بالقياس إليهم، وباطل بالقياس إلى خصومهم. وقد يكون طرفا النقيض حقاً بالقياس إلى شخصين، وليس في نفس الأمر شيء بحق.

انظر هذه الفرق في: حاشية الطوسي على مخصّل أفكار المتقدمين والمتأخرين ص ٤٠ والفصل لابن خزم ج ١ ص ٤٣ والمعالم الدنيّة ص ٤٩.

(١) كتابنا أصول الدين الإسلامي ص ١٧٩.

لأن أنظار الناس مُخْتَلِفَةٌ، فقد تكون المصلحة عند قوم مفسدة عند آخرين، وقد تكون الفضيلة عند أناسٍ رذيلة عند آخرين، فلم يترك الإسلام التشريع لعُقُولِ الناس، لأن ذلك يؤدي إلى الفوضى. لهذا كان هَدْيُ النَّبِيِّ ضرورةً للإنسان.

مناقشة منكري النبوءات

ذهب قومٌ إلى القول بعدم حاجة الإنسان إلى هَدْيِ النبوة، فأنكروها زاعمين أن الإنسان يستطيع أن يكتفي بعقله في تنظيم حياته.

ومُنكرو النبوة فريقان:

الفريق الأول: فريق ينكر النبوءات، لأنه ينكر الإله تعالى، ومَعْلُوم أن من ينكر وجود المُرْسَل لا بد وأن ينكر رَسُوله.

ومناقشة هذا الفريق لا تكون في إثبات النبوءات، وإنما تكون في إثبات وجود الله عَزَّ وَجَلَّ^(١). وتقدّم الكلام عن ذلك في فصل الإلهيات.

الفريق الثاني: يعترف بوجود الله تعالى، ويؤمن به، ولكنّه ينكر النبوءات، مكتمين بما تدركه عُقُولُهُم من خَيْرٍ أو شر.

وعلى رأس هذا الفريق كثيرٌ من بَرَاهِمَةِ الهِنْد والصَّابِيَّة وبعض الفلاسفة، وقد تأثر بفلسفتهم بعض الزنادقة من المُسْلِمِينَ كأبي الحُسَيْن أَحْمَد بن يَحْيَى الرَّائِزِيِّ، المُتَوَفَّى سنة ٢٤٥هـ.

ومن أدلة إنكار النبوءات:

١- إن ما يأتي به الرُّسُول لا يخلو: إما أن يكون مما يدركه العقل، أو مما لا يدركه.

فإن جاء بما يوصل إليه العقل كان لا فائدة من بعثه، ويكون في العقل كِفَايَةً، وإذا

(١) تَبَصُّرَةُ الْأَدِلَّة ج ١ ص ٤٤٦ و ٤٤٨.

خلا عن غرض صَحِيحٍ فهو عَبَثٌ وَسَفَهٌ.

وإن جاء بها لا يَدُلُّ عليه العقل، فلا يُتَلَقَّى بالقبول، لأن المقبول هو الذي تدركه العُقُولُ^(١).

وأجيب: بأن هَذَا الدليل واضح البطلان، لأن كل مطلع على الرسائل السماوية يعلم أنها قد اشتملت على ما يعرفه العقل وعلى ما لا يعرفه: فأما ما يعرفه العقل فكان لهذه الرسائل مهمة التأكيد عليه.

وأما ما لا يعرفه العقل - وهو الأكثر - فإن للرسائل السماوية دور إرشاد العقل إليه، وتَنْبِيْهٍ إلى ما فيه النافع الصالح^(٢).

٢- إن الرُّسُولَ من جنس المُرْسَلِ إليه، وجوهرهما وَاحِدٌ، وتفضيل أحد المتماثلين المتساويين على مثله ونوعه حَيْفٌ ومحاباةٌ وخروج عن الحكمة، وَذَلِكَ غير جائز على الْحَكِيمِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى^(٣).
وأجيب بما يأتي:

أ- إن الله تعالى أن يخص بفضله من يشاء من خلقه، كما أن له أن يُسَوِّيَ بين سائرهم، فإن ذَلِكَ عَدْلٌ منه وصوابٌ من تدبيره. والله تعالى لا يفضل أحد الشخصين على الآخر المجانس له ابتداءً ولا لأجل جنسه، وَلَكِنْ لأجل أنه مستحقٌّ للتفضيل بالرِّسَالَةِ وإخلاصه في الاجتهاد^(٤).

(١) الإرشاد للجويني ص ٣٠٣. وانظر: تَبْصِرَةُ الْأَدِلَّةِ لِلنَّسَفِيِّ ج ١ ص ٤٤٤ وهي حُجَّةُ الْبَرَاهِمَةِ. وانظر أيضاً: الْفَائِقُ فِي أَصُولِ الدِّينِ ص ٢٩٩.

(٢) كَشَفُ الْمُرَادِ ص ٣٧٥.

(٣) تَمْهِيدُ الْأَوَائِلِ ص ١٢٧. وانظر: تَبْصِرَةُ الْأَدِلَّةِ ج ١ ص ٤٤٤.

(٤) تَمْهِيدُ الْأَوَائِلِ ص ١٢٨-١٢٩.

ب- يلزم من قولكم أن يكون الله غير عادل، لأنه خص بعض خلقه بالعلم والقوة وكَمال العقل والحواس، وخلق في بعض آخر الجهل والعمى والزَمَانَة.

وأنتم لا تقولون بذلك، بل تقولون إن ذلك لمصلحة الطرفين وسبيل لهم إلى نفع عَظِيم، وهو تعالى أعلم به، لذلك فإن إرساله تعالى بعض الخلق مصلحة للطرفين، الرُّسُولُ والمُرْسَلُ إليه، ولطفاً لهم في النَّظَر في حجج العُقُول التي أمرهم بالرجوع إليها والعَمَل على موجبها^(١).

٣- لا يجوز في حكمة الله عَزَّ وَجَلَّ أن يبعث رَسُولاً إلى من يعلم أنه يكفر به، ويردُّ قوله، فوجب نفي بعث الرسل إلى هؤلاء، لأن ذلك خلاف الصواب. وأجيب: بأنه يترتب على قولكم هذا:

أ- جواز بعث الرسل إلى من يعلم قبوله منهم وانتفاعه بهم.

ب- أن لا يخلق الله سُبْحَانَهُ من يعلم أنه يكفر به.

ج- أن لا يحتج الله تعالى بالعُقُول، وما وضعه فيها من الأدلَّة على من يعلم أنه يجحدها ولا يستعملها^(٢).

فإن قالوا: لقد استدل بها كثير.

قيل لهم: وقد صدق بالرسول أيضاً كثير^(٣).

٤- إن كان الله تعالى إنما بعث الرسل إلى الناس، ليُخرجهم من الضلال إلى الإيمان، فقد كان أولى به في حكمته، وأتم لمُراده أن يضطر العُقُول إلى الإيمان به.

وأجيب: بأنه يلزم من دليلكم القول بأنه كان أولى في حكمته أن لا يدعو الناس

(١) تَمْهِيدُ الْأَوَائِل ص ١٢٩-١٣٠.

(٢) تَمْهِيدُ الْأَوَائِل ص ١٤٢. وانظر: تَبْصِرَةُ الْأَدِلَّة ج ١ ص ٤٤٤ و ٤٦٤.

(٣) الْفِصَل لابن حَزْم ج ١ ص ١٣٨.

إلى الاستدلال، لكي يؤمنوا، لا سيَّما وأنه تعالى يعلم أنَّ في الناس من لا يستدل، وفيهم من يغمض عليه الاستدلال.

فكان أولَى به أن يضطرَّ عُقُوبُهُمْ إلى الإيمان به، ولا يكلفهم مؤونة النَّظَر والاستدلال، وأن يلطف بهم ألطافاً يختار جميعهم معها الإيمان كما فعل بالملائكة^(١).

٥- إن مما يُبْطِل الرِّسَالَةَ هو أنا وجدنا المدعين لها يستدلون على صدقهم بمستحيلات عقلية. مثل: فلق البحر، وخلق ناقة من صخرة، وقلب العصا حية، وإحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، والمشي على الماء، وإنطاق الذئب والحصا...، ونحو ذلك^(٢).

وأجيب: بأن امتناع هذه الأمور في نظركم، لا يخلو:

إما أن يكون في قدرة الصانع عَزَّ وَجَلَّ، أو في العادة.

فإن قالوا: إنه ممتنع في قدرة الصانع. فقد ألدوا وتركوا دينهم، لأنه يلزم أن يقولوا بامتناع خلقه تعالى لآدم وسائر المخلوقات^(٣). ولما قام الدليل على أن الله تعالى له الأمر والخلق والملك فله أن يتصرف في عباده بالأمر والنهي، وله أن يختار منهم واحداً لتعريف أمره ونهيه، فيبلغ عنه إليهم، فلا استحالة في ذلك^(٤).

فإن قالوا: بل ذلك ممتنع في العادة.

قيل لهم: وما المانع من أن ينقض الله تعالى العادات، ويظهر المعجزات على أيدي رسله^(٥)، كدليل قاطع على صدقهم؟

٦- إن الإنسان يمكنه الاكتفاء بالعلم في تنظيم حياته.

(١) الفصل لابن حزم ج ١ ص ١٣٨.

(٢) تمهيد الأوائل ص ١٣٥.

(٣) تمهيد الأوائل ص ١٣٥-١٣٦.

(٤) نهاية الإقدام للشَّهْرَسْتَانِي ص ٤٢١.

(٥) تمهيد الأوائل ص ١٣٦.

أجيب: بأن العلم مع تقدمه لا يزال باعتراف أقطاب العلم عاجزاً عن استكناه الكثير من أسرار الكون والغاز الحياة. ثم إن أغلب نظريّاته ظنية دُحِصَ منها اليوم ما كان مسلماً به بالأمس.

ولو فرضنا أن العلم بعد نضوجه وبُلُوْغِهِ مَرَحَلَةَ الْكَمَالِ يستطيع أن يضمن للبشريّة سعادتها وينظم لها شؤونها. فمن المحقق أنه لن يهيمن على النفس البشريّة هيمنة النبوة والتشريعات الإلهيّة، لذلك يبقى للنبوة سُلْطَانُهَا ودورها الرئيس في تَهْدِيبِ النفس وكبح جماحها، وتوجيهها نحو الخير والحب والسّلام^(١).

٧- إن النظم والتشريعات التي يضعها الإنسان من وحي تجربته، وحاجاته المتطورة تُغني عن هُدي النبوة فلا حاجة للبشر إليها.

أجيب: بأن سيطرة القوانين الوضعية على النفس هي سيطرة ظاهريّة فقط غالباً، وامتنال الفرد لها امتثالٌ شكليٌّ في الغالب، وإذا تهرب الفرد منها فقد لا تراه عين القانون، وقد يتباهى البعض بمهارته في الانفلات من عقوبة القانون.

في حين أن الدّين يسيطر على نفسية الفرد المتدين ومشاعره، فيكون امتثاله حقيقياً ظاهراً وباطناً، لا اعتقاده أن الله تعالى ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ - غافر ١٩، وامتنال أوامره مدعاة إلى رضوانه ونعمائه، وعصيانه باعث على سخطه وعقابه.

فالرسالات السماوية فضلٌ من الله ورحمةٌ للبشريّة. قال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ۚ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ۝ ١٦٤ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝ ١٦٥﴾ - النساء.

المبحث الثاني

النُّبُوَّةُ الْعَامَّةُ

النَّبِيُّ وَالرَّسُولُ فِي اللُّغَةِ وَالْإِصْطِلَاحِ

النَّبِيُّ فِي أَصْلِ اللُّغَةِ: وردت لفظة (النَّبِيُّ) مهموزة وغير مهموزة^(١):

١- فإذا كانت اللفظة بالهمز (النَّبِيُّ) فهي:

أ- إما مشتقة من النَّبَأُ، وهو الخبر، فالنَّبِيُّ بَزْنَةٌ (فَعِيلٌ) يأتي بمعنى اسم الفاعل، أي: المُنبِئ (المُخْبِر) عن الله تعالى. أو (فَعِيلٌ) بمعنى اسم المفعول، أي: هو المُنبَأ (المُخْبَر)، لأن المَلَك يُنبِئُه عن الله بالوحي^(٢).

ب- أو أن تكون من (النَّبِيُّ)، الذي هو الطريق الواضح، لأن الأنبياء هم الطرق المُوصِلَةُ إلى الله تعالى^(٣).

٢- وإن كانت بلا همز (النَّبِيُّ) فهي:

أ- إما أن تكون همزتها مخففة.

ب- وإما أن تكون مشتقة من النُّبُوَّة أو النَّبَاوَة، أي: الارتفاع. وهو أيضاً (فَعِيلٌ) بمعنى اسم الفاعل أو اسم المفعول، لأن النَّبِيَّ مرتفع الرتبة على غيره أو مرفوعها^(٤).

(١) النَّبِيُّ بالهمز قِرَاءَةٌ نَافِعٌ، وَالنَّبِيُّ بِغَيْرِ الْهَمْزِ قِرَاءَةُ الْجُمْهُورِ. / الْمُسَامَرَةُ ص ٢٣٢.

(٢) الْمُسَامَرَةُ ص ٢٣٢. ونحوه في: لَوَامِعُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ١ ص ٤٩.

(٣) لَوَامِعُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ١ ص ٤٩.

(٤) الْمُسَامَرَةُ ص ٢٣٢. وانظر: الْقَامُوسُ الْمُحِيطُ مَادَّةُ (النَّبَأُ)، وَلَوَامِعُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ١

والرَّسُولُ في أصل اللُّغَةِ: لفظة مأخوذة:

أ- من قولهم جاءت الإبل رَسَلاً، أي: متتابعة، فالرَّسُولُ هو الذي يتابع أخبار الذي بعثه^(١).

ب- من رسل اللَّبَنِ إذا تتابع درُّه، لأن الرَّسُولُ هو الذي يتتابع عليه الوحي^(٢).

النَّبِيُّ والرَّسُولُ في الاصطلاح

جاء القرآن الكريم بهاتين الكلمتين معاً في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ - الحج ٥٢. وقد اختلف العلماء في بيان معناهما على أقوال أهمها:

القول الأول: النَّبِيُّ: إنسان أُوحي إليه بشرع (أي: أَحْكَام)، سواء أُمر بتبليغه والدعوة إليه أم لا، فإن أمر بذلك فهو نَبِيٌّ رَسُولٌ، وإن لم يؤمر فهو نَبِيٌّ غير رَسُولٍ.

فالفرق بينهما بالأمر بالتبليغ وعدمه^(٣).

فالنَّبِيُّ أعم من الرَّسُولِ، أي: يلزم من كونه رَسُولاً أن يكون نَبِيّاً، ولا عكس^(٤).

ص ٤٩ والمواقف ج ٨ ص ٢١٧-٢١٨ وشرح المقاصد للتفتازاني ج ٥ ص ٥ وأصول الدين للبغداديّ ص ١٥٤.

(١) لسان العرب مادة (رسل).

(٢) أصول الدين للبغداديّ ص ١٥٤.

(٣) المُسامرة ص ٢٣١. وانظر: شرح الخريدة للذّدير ص ١٧ وشرح الجوهرة للباجوري ص ٣٣.

(٤) شرح الخريدة للذّدير وحاشية الصّاوي عليه ص ١٧ وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العزّ ص ١٥٥ ولوامع الأنوار البهية ج ١ ص ٤٩ وج ٢ ص ٢٥٨. قال الباجوري في شرح الجوهرة ص ٣٣: (فبينهما العموم والخصوص المطلق، لأن كل رَسُولٌ نَبِيٌّ ولا عكس). وذكر في شرح العقيدة الطحاوية ص ١٥٥ أيضاً: (ولكن الرّسالة أعم من جهة نفسها، فالنّبوة جزء من الرّسالة، إذ الرّسالة تتناول النّبوة وغيرها، بخلاف الرسل فإنهم لا يتناولون الأنبياء وغيرهم، بل

وهَذَا القول هو المشهور^(١). وبه قال الْجُمْهُور وعامة الْأَشَاعِرَةِ^(٢) وَصَحَّحَهُ المهدوي والقاضي عِيَاض في كتابه الشفا، حيث قال: (وَالصَّحِيحُ وَالَّذِي عَلَيْهِ الْجَمَاءُ الْغَفِيرُ، أَنَّ كُلَّ رَسُولٍ نَبِيٍّ، وَلَيْسَ كُلُّ نَبِيٍّ رَسُولًا)^(٣).

القول الثاني: النَّبِيُّ: إنسان بعثه الله لتبليغ ما أوحى إليه، وكذا الرَّسُولُ، فلا فرق بينهما، بل هما بمعنى وَاحِدٍ^(٤). وهو الذي عَزَاهُ ابنُ الْهَمَامِ إلى بعض المحققين^(٥). وهو مَذْهَبُ جُمْهُورِ الْمُعْتَزِلَةِ^(٦).

وَرَدَّ هَذَا الْقَوْلُ بِمَا يَأْتِي:

١ - بقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ - الحج ٥٢، فلو كان النَّبِيُّ مساوياً للرَّسُولُ لما عطف عليه، لأن نفي أحد المتساويين يستلزم نفي الآخر^(٧).

٢ - حَدِيثُ أَبِي ذَرٍّ فِي بَيَانِ عَدَدِ الرِّسَالِ وَالْأَنْبِيَاءِ يَقْتَضِي أَنَّ الرِّسَالَةَ هِيَ غَيْرُ الْأَنْبِيَاءِ،

الأمر بالعكس. فالرَّسَالَةُ أعم من جهة نفسها. وأخص من جهة أهلها). وقال الباجوري في شرح الجوهرة ص ٣٣: (وجعل بعضهم الرَّسُولَ أعم، لأن الرسل تكون من الملائكة).

(١) الْمُسَامَرَةُ ص ٢٣١ وَلَوَائِمُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ١ ص ٤٩ وَحَاشِيَةُ الصَّائِي عَلَى الدَّرْدِيرِ ص ١٧. وفي شرح الْعَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّةِ لابن أبي العزِّ ص ١٥٥: هو (أَحْسَنُهَا).

(٢) حَاشِيَةُ الْمَرْجَانِيِّ ج ١ ص ١٢ وَحَاشِيَةُ الْكَلَنْبُوتِيِّ ج ١ ص ٩ وَكِفَايَةُ الطَّالِبِ الرَّبَّانِيِّ ج ١ ص ١٦.

(٣) الشفا ج ١ ص ٢٥١ وَتَفْسِيرُ الْقُرْطُبِيِّ ج ٧ ص ٤٤٧٢ نَقْلًا عَنْ الشفا.

(٤) الْمُسَايَرَةُ وَشَرْحُهَا الْمُسَامَرَةُ ص ٢٣١ وَحَاشِيَةُ الصَّائِي عَلَى الدَّرْدِيرِ ص ١٧ وَأَعْلَامُ النُّبُوَّةِ لِلْمَاوَرَدِيِّ ص ٣٨ وَالْمَقَاصِدُ لِلتَّفْتَّازَانِيِّ ج ٥ ص ٥ وَشَرْحُ الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ٣٣ نَقْلًا عَنْ السَّعْدِ التَّفْتَّازَانِيِّ، وَخَيْرُ الْقُلَائِدِ ص ١٢٠ نَقْلًا عَنْ التَّفْتَّازَانِيِّ.

(٥) الْمُسَايَرَةُ وَشَرْحُهَا الْمُسَامَرَةُ ص ٢٣١.

(٦) حَاشِيَةُ الْمَرْجَانِيِّ ج ١ ص ١٢ وَحَاشِيَةُ الْكَلَنْبُوتِيِّ ج ١ ص ٩.

(٧) حَاشِيَةُ الْكَلَنْبُوتِيِّ عَلَى الدَّوَانِيِّ ج ١ ص ٩.

وهذا القول يقتضي اتحادهما، فهو مخالف للحديث^(١).
وهناك أقوال أخرى لا مجال لذكرها هنا^(٢).

حكم إرسال الرسل

اختلفوا في حكم إرسال الرسل جميعهم على الأقوال الآتية:

١- الجواز. فيجوز عقلاً في حقه تعالى إرساله لجميع الرسل من آدم إلى سيدنا مُحَمَّد ﷺ. فلا يجب عليه تعالى، ولا يستحيل، بل إرساله تعالى الرسل هو بإحسانه وفضله الخالص. وهذا قول الأشاعرة^(٣).

٢- الوجوب. فيجب على الله تعالى إرسال الرسل. وهو قول المعتزلة والفلاسفة. ومبنى كلام المعتزلة على قاعدة وجوب الصّلاح والأصلح، فقالوا: النّظام المؤدي إلى صّلاح النوع الإنساني على العموم في المعاش والمعاد لا يتم إلا ببعثة الرسل. وكل ما كان كذلك فهو واجب على الله تعالى. وتقدم رد الأشاعرة على هذا القول عند الكلام على الصّلاح والأصلح عند المعتزلة^(٤).

(١) المُسامرة ص ٢٣٢ وشرح المقاصد ج ٥ ص ٦ وحاشية الكَلْبُوبِي السَّابِقَة. وسيأتي حديث أبي ذرّ في (الإيمان بالأنبياء والرسل).

(٢) انظرها في: حاشية الكَلْبُوبِي على الدَّوَانِي ج ١ ص ٩ وحاشية المَرْجَانِي على الدَّوَانِي ج ١ ص ١١-١٣ وأعلام النبوة ص ٣٨ وشرح المقاصد للتفتازاني ج ٥ ص ٥ وتفسير القرطبي ج ٧ ص ٤٤٧٢ وتفسير البيضاوي ص ٣٣٠ والمُسامرة ص ٢٣١.

(٣) شرح الجوهرية للباجوري ص ١٩٨. وانظر: الإنصاف للباقلاني ص ٦١. وفي نهاية الإقدام للشهرستاني ص ٤١٧: (صارت الأشعرية وجماعة من أهل السنة إلى القول بجواز وجود النبوات عقلاً ووقوعها في الوجود عياناً، وتتفي استحالتها بتحقيق وجودها كما ثبت تصورها بنفي استحالتها).

(٤) شرح الجوهرية للباجوري ص ١٩٨. وفي نهاية الإقدام للشهرستاني ص ٤١٧: (صارت المعتزلة وجماعة من الشيعة إلى القول بوجوب وجود النبوات عقلاً من جهة اللطف).

ومبنى كلام الفلاسفة هو على قاعدة التعليل أو الطبيعة، فيقولون: يلزم من وجود الله وجود العالم بالتعليل أو بالطبع، ويلزم من وجود العالم وجود من يصلحه. وردّ الأشاعرة على القول بالوجوب، بأنه تعالى فاعل بالاختيار لا بطريق الإجبار^(١).

٣- الاستحالة. فيستحيل على الله تعالى إرسال الرسل. وهو قول السَّمْنِيَّةِ والبراهمة. فزعموا أن إرسال الرسل عبث لا يليق بالحكيم، لأن العقل يغني عن الرسل، فإن الشيء إن كان حسناً عند العقل فعله وإن لم تأت به الرسل. وإن كان قبيحاً عنده تركه وإن لم تأت به الرسل. وإن لم يكن عنده حسناً ولا قبيحاً فإن احتاج إليه فعله وإلا تركه^(٢).

وتقدّم الرّد على هذه الشبهة في موضوع (مناقشة منكري النبوات).

طريق إثبات النبوة

لا يكون إثبات النبوة إلا باجتماع أمرين:

أولهما: ادعاء النبوة.

ثانيهما: إظهار المعجزة.

فكل من ادعى النبوة وأظهر المعجزة تصديقاً لدعواه، فهو نبي^(٣).

(١) شرح الجوهرة للباجوري ص ١٩٨.

(٢) شرح الجوهرة للباجوري ص ١٩٨. وفي نهاية الإقدام للشهرستاني ص ٤١٧: (صارت البراهمة والصابئة إلى القول باستحالة النبوات عقلاً). وذكر هذه الأحكام عثمان الكليسي في خير القلائد ص ١٢٦.

(٣) المسامرة ص ٢٤٠ وشرح المواقف للسيد الشريف ج ٨ ص ٢٤٣ والمقاصد وشرحه للتفتازاني ج ٥ ص ٢٧ وشرح العقائد النسفية للتفتازاني ص ١٦٨ وشرح العقائد العنصرية للدواني ج ٢ ص ٢٧٧ وكشف المُرَاد ص ٣٧٧ والمعاليم الدينية ص ٩٦.

وسياتي تفصيل ذلك فيما بعد.

النُّبُوءَةُ اصطفاءً واختياراً من الله عزَّ وجلَّ

النُّبُوءَةُ فضل وهبة من الله تعالى لمن يشاء من عباده، فلا تُنال بالكسب، ولا بتكلف العبادة واقتحام أشق الطاعات، ولا تدرك بتَهْدِيب الروح وبتصفية النفس وتنقية البدن من رذائل الأخلاق، ولا بالوراثة، ولا أثر للذكاء فيها، ولا تأثير للمجتمع فيها^(١).

قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ - الحج ٧٥.

وقال تعالى: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبْدِلَهُ مِنْ تِلْقَائِي نَفْسِي إِنْ أَتَيْعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ - يونس ١٥.

وقال تعالى: ﴿يُزِلُّ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ - النحل ٢.

بشرية الرسل والأنبياء

الأنبياء والرسل بشر، يأكلون ويشربون، ويمجوعون ويعطشون، ويمزنون ويفرحون، وينامون، ويمرضون، ويغضبون، وينسون، ويتعبون، ويستشيرون، ويتزوجون،... ونحو ذلك من صفات البشر التي لا نقص فيها عليهم.

وإنما اختارهم الله عزَّ وجلَّ من جنس المُرْسَل إليهم، ليكونوا على صلة وثيقة بهم، شاعرين بأحاسيسهم، مطلعين على ما يعانونه من آلام، مقيمين عليهم الحجة الدامغة، بإيضاح الطريق المُستقيم لهم. ودليل ذلك:

(١) انظر: لَوَامِعُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ٢ ص ٢٦٧ وشرح الجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ٢١١ وَالْمَوَاقِفُ وشرحه للسَّيِّدِ الشَّرِيفِ ج ٨ ص ٢١٨ وشرح الْمَقَاصِدِ لِلتَّفْتَازَانِيِّ ج ٥ ص ٨٥ ونهاية الإقدام ص ٤٦٢.

أولاً: من القرآن الكريم:

أ- قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ - التوبة ١٢٨.

ب- وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىٰ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَحْدٌ﴾ - الكهف ١١٠ وفُصِّلَتْ ٦.

ج- وقوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَا سْتَكْبَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾ - الأعراف ١٨٨.

د- وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِيَّةً﴾ - الرعد ٣٨.

هـ - وقوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبِ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ﴾ - الأنعام ٥٠.

ثانياً: ومن السنة النبوية:

أ- حَدِيثُ أَبِي مَسْعُودٍ قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ فَكَلَّمَهُ، فَجَعَلَ تُرْعَدُ فَرَائِصُهُ، فَقَالَ لَهُ: هَوْنٌ عَلَيْكَ، فَإِنِ لَسْتُ بِمَلِكٍ، إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ^(١).

ب- قوله ﷺ: (إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَنْسَىٰ كَمَا تَنْسَوْنَ، فَإِذَا نَسِيتُ فَذَكِّرُونِي)^(٢).

(١) حَدِيثُ أَبِي مَسْعُودٍ فِي: سُنَنِ ابْنِ مَاجَةَ فِي: ٢٩ كِتَابِ الْأَطْعِمَةِ، ٣٠ بَابِ الْقَدِيدِ، رَقْم ٣٣١٢ ج ٢ ص ١١٠١. وَقَالَ الشَّيْخُ شُعَيْبٌ فِي تَحْقِيقِهِ سُنَنِ ابْنِ مَاجَةَ ج ٤ ص ٤٣٠: صَحِيحٌ وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ.

(٢) حَدِيثٌ: إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ... إلخ، فِي: صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ فِي: ٨ كِتَابِ الصَّلَاةِ، ٣١ بَابِ التَّوَجُّهِ نَحْوَ الْقِبْلَةِ، رَقْم ٤٠١، بِهَذَا اللَّفْظِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ. وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ فِي: ٥ كِتَابِ الْمَسَاجِدِ، ١٩ بَابِ السَّهْوِ فِي الصَّلَاةِ، رَقْم ٥٧٢، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ج- تواضع الرَّسُولِ الْأَعْظَم ﷺ وسيرته تشهد ببشريته، ولا مجال لأحد في إنكار ذلك.

د- عبوديته ﷺ لله تعالى الظَّاهِرَة في كلامه وأدعيته، كما في قوله ﷺ: (اللهم إني عبدك وابن عبدك، ابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ فيَّ حكمك، عدلٌ فيَّ قضاؤك) ^(١)، وأمثاله كثير.

فَوَائِدُ وَقُوعِ الْأَعْرَاضِ الْبَشَرِيَّةِ بِالْأَنْبِيَاءِ:

تقدم أن الأنبياء بشر، يقع عليهم من الأعراض البشريَّة كالابتلاء والمرض والنسيان والفقير... إلخ ما يقع على سائر الناس، إلَّا أن لوقوع هذه الأعراض بالأنبياء فَوَائِدُ تتلخص بما يأتي:

١- تَعْظِيمُ أَجُورِهِمْ: فالبلاء والأمراض يترتب عليه الأجر العظيم، لهذا قال النَّبِيُّ ﷺ: أشد الناس بلاءً الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل ^(٢).

وقال الإمام الْقُشَيْرِيُّ: ليس كل أحد أهلاً للبلاء، إذ البلاء للأوليَّاء، وأما الأجانب فيتجاوز عنهم، ويخلي سبيلهم ^(٣).

والله تعالى وإن كان قادراً على أن يعظّم أجورهم من غير ابتلاء ومشقة، إلَّا أن حكمته تعالى اقتضت ترتب ذلك على الابتلاء ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ - الأنبياء ٢٣ ^(٤).

(١) حَدِيث: اللهم إني عبدك... إلخ، رواه أَحْمَدُ في مُسْنَدِهِ ج ١ ص ٤٥٢.

(٢) شَرْحُ أُمِّ الْبَرَاهِينِ لِلْسَّنُوسِيِّ ص ١٨٥-١٨٦ وَشَرْحُ السَّنُوسِيِّ لِلْبَاجُورِيِّ ص ١٣٠. وانظر: شَرْحُ الْخَرِيدَةِ لِلدَّرْدِيرِ ص ١٠١.

وَحَدِيث: أشد الناس بلاءً... إلخ، أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَالبُخَارِيُّ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ، عَنْ سَعْدٍ، وَهُوَ صَحِيحٌ. / الْجَامِعُ الصَّغِيرُ ص ٦٩.

(٣) شَرْحُ السَّنُوسِيِّ لِلْبَاجُورِيِّ ص ١٣٠.

(٤) شَرْحُ الْخَرِيدَةِ لِلدَّرْدِيرِ ص ١٠١ وَشَرْحُ أُمِّ الْبَرَاهِينِ لِلْسَّنُوسِيِّ وَحَاشِيَةُ الدُّسُوقِيِّ عَلَيْهِ

٢- التشريع: فسُهِو رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الصَّلَاةِ تَشْرِيعَ لِلنَّاسِ، وَتَعْلِيمَ لَهُمْ كَيْفِيَّةَ سَجُودِ السُّهُو، لِأَنَّ دَلَالََةَ الْفِعْلِ أَقْوَى مِنْ دَلَالََةِ الْقَوْلِ^(١).

٣- التَّسْلِيُّ بِأَحْوَالِ الْأَنْبِيَاءِ، إِذَا نَزَلَ بِنَا مَا نَزَلَ بِهِمْ: فَإِذَا نَظَرَ الْعَاقِلُ فِي أَحْوَالِ الْأَنْبِيَاءِ، مِنْ مَرَضٍ وَأَسْقَامٍ، وَقَلَّةِ مَالٍ وَأَذَى النَّاسِ لَهُمْ، مَعَ عُلُوِّ مَقَامِهِمْ وَرَفْعَةِ شَأْنِهِمْ، فَإِنَّهُ يَتَسَلَّى وَيَتَصَبَّرُ، فَلَمْ يَحْزَنْ عَلَى مَا نَزَلَ بِهِ مِنْ بَلَاءٍ^(٢).

٤- تَنْبِيْهِ غَيْرِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَى خِسَّةِ قَدْرِ الدُّنْيَا عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، حِينَ يَرُونَ الْأَنْبِيَاءَ قَدْ أَعْرَضُوا عَنْهَا، وَانْصَرَفُوا عَنْ مَلَازِمِهَا وَمَغَانِمِهَا^(٣).

وَذِمَّ الدُّنْيَا الْوَاردُ فِي بَعْضِ النُّصُوصِ، إِنَّمَا هُوَ فِي الدُّنْيَا الشَّاغِلَةُ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى، وَعَلَيْهِ يَحْمَلُ قَوْلُهُ ﷺ: (أَلَا إِنَّ الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ، مَلْعُونٌ مَا فِيهَا، إِلَّا ذِكْرَ اللَّهِ وَمَا وَالَاهُ وَعَالَمًا أَوْ مُتَعَلِّمًا) أَي: مِنَ التَّسْبِيحِ وَالتَّحْمِيدِ وَالتَّهْلِيلِ.

أَمَّا الدُّنْيَا الَّتِي لَمْ تَشْغَلْ عَنْهُ فَلَا ذِمَّ فِيهَا، بَلْ هِيَ مَحْمُودَةٌ، وَعَلَيْهِ يَحْمَلُ قَوْلُهُ ﷺ: (نِعَمَ الدُّنْيَا مَطِيَّةَ الْمُؤْمِنِ، بِهَا يَصِلُ إِلَى الْخَيْرِ، وَبِهَا يَنْجُو مِنَ الشَّرِّ). وَبِذَلِكَ يَعْلَمُ: أَنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ مَحْمُودَةٌ، وَلَا مَذْمُومَةٌ لِدَاتِهَا^(٤).

ص ١٨٥-١٨٦.

(١) شَرْحُ الْخَرِيدَةِ لِلدَّرْدِيرِ ص ١٠١ وَشَرْحُ أُمِّ الْبَرَاهِينِ لِلْسَّنُوسِيِّ وَحَاشِيَةُ الدُّسُوقِيِّ عَلَيْهِ ص ١٨٥ وَشَرْحُ السَّنُوسِيِّ لِلْبَاجُورِيِّ ص ١٣٠.

(٢) شَرْحُ الْخَرِيدَةِ لِلدَّرْدِيرِ وَحَاشِيَةُ الصَّائِي عَلَيْهِ ص ١٠١-١٠٢ وَشَرْحُ أُمِّ الْبَرَاهِينِ لِلْسَّنُوسِيِّ وَحَاشِيَةُ الدُّسُوقِيِّ عَلَيْهِ ص ١٨٥ وَشَرْحُ السَّنُوسِيِّ لِلْبَاجُورِيِّ ص ١٣١.

(٣) شَرْحُ الْخَرِيدَةِ لِلدَّرْدِيرِ ص ١٠١ وَشَرْحُ أُمِّ الْبَرَاهِينِ لِلْسَّنُوسِيِّ ص ١٨٥ وَشَرْحُ السَّنُوسِيِّ لِلْبَاجُورِيِّ ص ١٣١.

(٤) شَرْحُ السَّنُوسِيِّ لِلْبَاجُورِيِّ ص ١٣٢ وَشَرْحُ أُمِّ الْبَرَاهِينِ لِلْسَّنُوسِيِّ السَّابِقِ.

وَحَدِيثُ: (أَلَا إِنَّ الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ... إلخ، فِي: سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ فِي: ٣٣ كِتَابُ الزُّهْدِ، ١٤ بَابُ مِنْهُ، رَقْمُ ٢٣٢٢، ص ٣٨٣، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ. وَفِيهِ: (...إِلَّا ذِكْرُ اللَّهِ

عدد الأنبياء

قدّر الله تعالى ما يحتاج إليه الناس بمجموعهم من المَوَاهِب والكفاءات المُخْتَلِفَةِ التي تهيم لهم الحياة الرغيدة والعيش السَّعيد، فقسمها بين الأفراد بناء على حاجتهم إليها، فرجال الجيش والنَّجَّارون والحدَّادون والزَّراعون وأصحاب المهن كثيرون جداً، بينما يقل عدد ذوي الكفاءات القيادية أو العِلْمِيَّة، ويهبط عدد مَالِكِي المِهارة والحدق في لون معين، ويتضاءل عدد مَالِكِي قيادة العالم الفكرية وأصحاب الهداية إلى سواء السَّيْل وهم الأنبياء والرسل، لأن أعمَّاهم تغني البشر إلى أجيال طَوِيلَة.

فلو أخذنا بحديث الأنبياء وهم (١٢٤٠٠٠) نَبِيٍّ، والرسل منهم (٣١٣) رَسُولاً، نرى العدد ضئيلاً جداً بالنسبة لأُمَم العالم جميعاً من بدء الخليقة إلى زمن الرُّسُول مُحَمَّد ﷺ، ولا يقاس إلى تلك الأجيال القادمة^(١).

لكن لا ينبغي في الإيمان بالأنبياء القطع بحصرهم في عدد معين، لأنه:

أ- لم يرد بحصرهم دليل قطعي، وحصر عددهم يخالف ظاهر قوله تعالى: ﴿مِنْهُمْ مَّنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّنْ لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ - غافر ٧٨، والحديث الوارد في عددهم ضعيف، وهو: خبر واحد، لم يقترن بما يفيد القطع، وخبر الواحد لا يفيد إلا الظن، ولا عبرة بالظن في باب الاعتقادات.

٢- وقد يؤدي حصرهم بهذا العدد إلى أن يدخل فيهم من ليس منهم، أو يخرج من هو منهم^(٢).

وما والآه وعالم أو متعلم).

(١) مبادئ الإسلام ص ٣٣.

(٢) المسيرة وشرحها المسامرة ص ٢٢٥. وانظر: شرح المقاصد للتفتازاني ج ٥ ص ٦١ -

٦٢ وشرح العقائد النسفية ص ١٦٩-١٧٠ وشرح الخريدة للذريير ص ١١١ ولوائح الأنوار البهية ج ٢ ص ٢٥٨ وبحر الكلام للنسفي ص ١٨٧.

لَكِنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ ذَكَرَ أَسْمَاءَ خَمْسَةِ وَعَشْرِينَ، وَهُمْ: آدَمُ، وَإِدْرِيسُ، وَنُوحٌ، وَهُودٌ، وَصَالِحٌ، وَإِبْرَاهِيمُ، وَلُوطٌ، وَإِسْمَاعِيلُ، وَإِسْحَاقُ، وَيَعْقُوبُ، وَيُوسُفُ، وَشُعَيْبٌ، وَأَيُّوبُ، وَذُو الْكِفْلِ، وَمُوسَى، وَهَارُونَ، وَسُلَيْمَانُ، وَدَاوُدُ، وَإِلْيَاسُ، وَالْيَسَعَ، وَيُونُسُ، وَزَكَرِيَّا، وَيَحْيَى، وَعِيسَى، وَمُحَمَّدٌ ﷺ^(١).

مَهْمَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَبَعَثَتُهُمْ إِلَى أُمَّمِ الْعَالَمِ جَمِيعاً

الأنبياء والرسل هُدَاةُ الْبَشَرِ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَأَهْلُ الْمُبَادِيِ التَّهْذِيبِيَّةِ الَّتِي عَاجَلَتْ الْمَشَاكِلَ الْمَادِيَّةَ وَالرُّوحِيَّةَ يَبْشُرُونَ بِالْجَنَّةِ أَهْلَ التَّقَى، وَيَنْذِرُونَ بِالنَّارِ أَهْلَ الْفَسَادِ وَالْكَفْرِ، وَيَبَيِّنُونَ لِلنَّاسِ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ مِنْ أُمُورِ الدِّينِ وَالْدُنْيَا.

الْحَدِيثُ الْوَارِدُ فِي عَدَدِ الْأَنْبِيَاءِ، فِي: مُسْنَدِ أَحْمَدَ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْهُ: (قُلْتُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ: كَمْ عَدَدُ الْأَنْبِيَاءِ؟ قَالَ مِثْلُ أَلْفٍ وَأَرْبَعَةِ عَشْرُونَ، الرِّسْلُ مِنْ ذَلِكَ ثَلَاثِائَةٍ وَخَمْسَةَ عَشَرَ جَمْعاً غَفِيراً).

وَرَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْمُعْجَمِ الْكَبِيرِ بِلَفْظٍ: وَأَرْبَعَةَ عَشْرُونَ أَلْفاً. وَهِيَ مُصَرَّحَةٌ بِمَا أَهَمُّ فِي رِوَايَةِ أَحْمَدَ.

وَمِدَارُ الْحَدِيثِ عَلَى عَلِيِّ بْنِ يَزِيدٍ وَهُوَ ضَعِيفٌ. / الْمُسَامَرَةُ ص ٢٢٦.

وَلَهُ لَفْظٌ آخَرٌ فِي صَحِيحِ ابْنِ حِبَّانَ: عَدَدُ الْأَنْبِيَاءِ مِائَةُ أَلْفٍ وَأَرْبَعَةَ عَشْرُونَ أَلْفاً، الرِّسْلُ مِنْهُمْ ثَلَاثِائَةٍ وَثَلَاثَةَ عَشَرَ. وَفِي رِوَايَةٍ: وَأَرْبَعَةَ عَشَرَ. وَفِي رِوَايَةٍ: وَخَمْسَةَ عَشَرَ. / كِفَايَةُ الطَّلَبِ الرَّبَّانِيِّ ج ١ ص ١٧. وَانْظُرْ: لَوَاعِمُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ٢ ص ٢٥٨.

وَتَكَلَّمَ فِيهِ وَلِي الدِّينِ الْعِرَاقِيِّ، وَرَدَّ عَلَى ابْنِ حِبَّانَ جَمَاعَةً مِنَ الْحُفَظِ، لِإِدْخَالِهِ هَذَا الْحَدِيثَ فِي الصَّحِيحِ. / لَوَاعِمُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ٢ ص ٢٦٤. وَلِلْحَدِيثِ أَلْفَاظٌ أُخْرَى بِأَسَانِيدٍ أُخْرَى فِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ وَابْنِ حِبَّانَ وَابْنِ الْأَوْسَطِ الَّذِي ذَكَرَ فِي مَجْمَعِ الزَّوَائِدِ. / الْمُسَامَرَةُ ص ٢٢٦. وَذَكَرَ قَاسِمُ بْنُ قُطْلُوبُغَا الْخَبَرَ عَنْ رَوَاتِهِ إِسْحَاقَ بْنِ رَاهَوِيَةَ وَابْنَ أَبِي شَيْبَةَ وَمُحَمَّدَ بْنَ أَبِي عُمَرَ وَأَبِي يَعْلَى. / شَرْحُ الْمُسَامَرَةِ لِقَاسِمِ بْنِ قُطْلُوبُغَا ص ٢٢٥.

(١) شَرْحُ الْخَرِيدَةِ لِلدَّرْدِيرِ ص ١١٠-١١١.

وقد أرسلهم الله تعالى إلى أُمَم العالم جميعاً، فكل أُمَّة لها رَسُول، وإن لم يخبرنا الله بأسمائهم بدلالة قوله تعالى:

أ- ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ - فاطر ٢٤.

ب- ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا
الطَّاغُوتَ﴾ - النحل ٣٦.

ج- ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ؕ مَا كُنَّا
مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ - القصص ٥٩.

هذه النصوص جميعاً تدل على أن بعث الأنبياء، لا ينحصر في أُمَّة معينة، أو مكان معين كالجزيرة العربية.

وجوب الإيمان بالأنبياء والرسل

الإيمان بالأنبياء والرسل جميعهم، وتصديقهم في أخبارهم، وطاعتهم في أوامرهم ونواهيهم، فرض على كل مُسلم، بدليل:

أ- قوله تعالى: ﴿قُولُوا ؕ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ - البقرة ١٣٦^(١).

ب- وقال سبحانه: ﴿كُلُّ ؕ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ - البقرة ٢٨٥.

ج- وجعل سبحانه للذين يؤمنون بالجميع الأجر العظيم، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ

(١) لَوَاعِجُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ٢ ص ٢٦٣.

ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ. وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجُورُهُمْ ۖ وَكَانَ اللَّهُ
عَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾ - النساء ١٥٢.

تكذيب الأنبياء أو تنقيصهم كفر:

وهم جميعاً يشتركون في قدر واحد وهو: النُّبُوَّة.

ولذا اتفق علماء الإسلام جميعاً على كفر من كَذَّبَ نَبِيًّا مَّعْلُومَ النُّبُوَّة، وكذا من
سب نَبِيًّا أو انتقصه، ويجب قتله. بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ
وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُوا نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ
وَيُرِيدُونَ أَن يُتَّخَذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ۖ﴾ (١٥٠) أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا
مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ - النساء (١).

الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ وَالْكَتَبُ السَّمَاوِيَّةُ الْآخَرَى

أُصُولُ الرِّسَالَاتِ السَّمَاوِيَّةِ وَعَقَائِدُهَا وَهَدَفُهَا وَاحِدٌ، وهو: توجيه البشر إلى
طريق الصَّلَاح، قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ
وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ۖ﴾ - الشُّورَى ١٣.

وقال سُبْحَانَهُ: ﴿فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ - النساء ٥٩.

ولذلك طلب القرآن الكريم الإيَّان بجميع الرسل، وما أنزل عليهم من كتب:

﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ - البقرة ٤.

لكن الإيمان المطلوب شرعاً بالكتب السماوية - ومنها الإنجيل والتوراة والزبور -، إنما يراد به التّصديق بأن هذه الكتب كانت من عند الله تعالى، وكانت صادقة، وما جاءت إلّا للغرض الذي جاء لإتمامه القرآن. فما جاء بها مخالفاً لما في القرآن الكريم فهو مُحَرَّف قطعاً، لا يعوّل عليه.

وهنا لا بد أن نبين أهم فروق القرآن الكريم عن الكتب السماوية فيما يأتي:

١ - الكتب التي نزلت قبل القرآن ضاعت نُسخُها الأصلية، ولم يبقَ منها إلّا ترجمتها.

أما القرآن فهو محفوظ بلفظه وبكلماته، التي أنزلها الله تعالى على نبيه مُحَمَّد ﷺ، ووصل إلينا بهذا الشكل متواتراً.

٢ - اختلط كلام الناس من فقهاء أو مُفسِّرين أو مؤرخين بتلك الكتب.

أما القرآن فلم يختلط به شيء حتى من كلام رَسُول الله ﷺ. ولقد منع النَّبِيُّ ﷺ من كتابة الحديث في بداية نزول القرآن، لئلا يختلط الحديث بالقرآن. وكتب التّفسير والحديث والفقه مستقلة تماماً عن القرآن، كما هو معروف.

٣ - لم يستطع أحد أن يثبت باستناد تاريخي أن أيّاً من هذه الكتب الموجودة الآن نزل على النَّبِيِّ الذي نسب إليه ذلك الكتاب، كما لم يمكن تعيين الزمن الذي نزل به.

أما القرآن فالتاريخ قاطع بشواهد أنه نزل على مُحَمَّد ﷺ، وأن آياته منها ما عُنِّن مكان نزوله أو زمنه أو سببه.

٤ - لُغات الكتب السماوية القديمة اندرست منذ زمن طَوِيل، فلم نجد متكلماً بها، بل إن من يفهمها قليل جداً.

أما لُغَةُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فَهِيَ لُغَةٌ حَيَّةٌ يَتَكَلَّمُ بِهَا إِلَى الْآنَ مِائَاتُ الْمِلايِينَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي أَقْطَارِ الْعَالَمِ الْمُخْتَلِفَةِ.

٥- أَحْكَامُ كُلِّ مِنَ الْكُتُبِ الْقَدِيمَةِ - كَمَا يَبْدُو مِنْ قِرَاءَتِهَا - خَاصَّةً بِالزَّمَنِ وَبِالْأُمَّةِ الَّتِي نَزَلَ فِيهَا ذَلِكَ الْكِتَابُ، جَاءَتْ تَلْبِيَةً لِحَاجَاتِهِ وَوَفَّقَ أَحْوَالَهُ.

فِي حِينٍ أَنْ أَحْكَامَ الْقُرْآنِ عَامَةٌ لَجَمِيعِ النَّاسِ وَلِكُلِّ زَمَانٍ.

٦- كُلُّ مِنَ الْكُتُبِ الْقَدِيمَةِ وَإِنْ كَانَ فِيهِ مِنَ الدَّعْوَةِ إِلَى الْخَيْرِ وَالصَّالِحِ وَالْأَخْلَاقِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَسْتَوْفِ الْفَضَائِلَ.

لَكِنَّ الْقُرْآنَ اسْتَوْفَى الْفَضَائِلَ كَامِلَةً، سِوَا نُصِّصَ عَلَيْهَا فِي الْكِتَابِ الْقَدِيمِ أَمْ لَمْ يُنْصَّصْ.

٧- تَسَرَّبَ إِلَى كُلِّ مِنَ الْكُتُبِ الْقَدِيمَةِ التَّحْرِيفُ، وَالْأُمُورُ الَّتِي لَا تَوَافُقُ الْعَقْلَ، وَتَقُومُ عَلَى الظُّلْمِ، بَلْ تَحْوِي أُمُورًا مِنْ قَبِيلِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ.

أَمَّا الْقُرْآنُ فَإِنَّهُ صَالِحٌ كُلُّهُ وَمُنَزَّهُ عَنِ الْفَاحِشَةِ وَلَيْسَ فِيهِ مَا يَخَالِفُ الْعَقْلَ^(١).

٨- الشَّرَائِعُ الْقَدِيمَةُ اخْتَصَّتْ بِالْعِلَاجِ الرُّوحِيِّ.

أَمَّا الشَّرِيعَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ فَقَدْ وَضَعَتْ الْمَبَادِئَ الْكَفِيلَةَ بِحُلِّ مَشَاكِلِ الْإِنْسَانِ وَتَلْبِيَةِ حَاجَاتِهِ الْمَادِيَةِ وَالرُّوحِيَةِ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ.

هَذِهِ الْمَزَايَا الَّتِي لِأَجْلِهَا أَمَرَ النَّاسَ بِاتِّبَاعِ الْقُرْآنِ وَحْدَهُ دُونَ سِوَاهُ.

(١) انظر: مبادئ الإسلام ص ٨٠-٨٤.

وانظر الفصل الذي كتبه العالم الجليل رحمه الله الهندي في كتابه (إظهار الحق) الذي أثبت فيه تحريف الكتب السماوية التي سبقت القرآن.

صفات الرُّسل والأنبياء

جَبَلَ اللهُ تَعَالَى بعضَ الناسِ على مَوَاهِبٍ معينة كالقوة والشعر والفنون... يتفوق بها على الآخرين، وَهَبَ الأنبياء والرسل الكفاءة العالية لقيادة الناس وهدايتهم إلى الصراط المُستقيم، لذلك امتازوا بصفات فيها جميع خصال الخير، بعيدة عن جميع النقائص، التي لا تليق بهم.

وهذه الصفات الواجبة في حقهم هي: العِصْمَة، والتبليغ، والفظانة، والذكورة، والسلامة من النقائص^(١).

الصفة الأولى: العِصْمَة

العِصْمَة لُغَةً: الحفظ.

واصْطِلَاحاً: هي أن لا يخلق الله تعالى فيهم ذنباً^(٢).

(١) اختلفوا في تعداد الصفات الواجبة في حق الرسل، فذكر السَّنُوسِيّ ثلاث صفات هي: الصدق، والأمانة، والتبليغ. / أم البراهين وشرحها للسَّنُوسِيّ وَحَاشِيَةُ الدُّسُوقِيّ عليه ص ١٧٣.

وأضاف الدَّرْدِير في شَرْحِ الخَرِيدَةِ ص ٩٦ صفةً رابعةً وهي الفطانة، بقوله:

وصِفَ جميعَ الرُّسلِ بالأمانة والصِّدْقِ والتبليغ والفظانة

وهذه الصفات الأربع ذكرها اللَّقَائِي في جَوْهَرَةِ التَّوْحِيد. / انظرها في شرحها للباجوري ص ٢٠٠.

ويعبر المتكلمون عن الأمانة بالعِصْمَة. / حَاشِيَةُ الدُّسُوقِيّ على شَرْحِ أم البراهين ص ١٧٨.

وهذا التعداد أريد به التَّوَضُّيْح والبيان، وفي بعض جزئياته تداخل، وما عدّدته من الصفات مستقاة من أقوال الجُمَّهُور كما سيأتي، وتعدادها للتَّوَضُّيْح أيضاً.

(٢) شَرْحِ العَقَائِدِ العُضْدِيَّةِ للدَّوَّانِي ج ٢ ص ٢٧٩ والمواقف ج ٨ ص ٢٨٠ وفيه قال: (عندنا، بناءً على ما يقتضيه أصلنا من استناد الأشياء كلها إلى الفاعل المُختار ابتداءً. خلافاً للفلاسفة...).

أو هي لُطْفٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، يَحْمِلُهُ عَلَى فِعْلِ الْخَيْرِ، وَيُزْجِرُهُ عَنْ فِعْلِ الشَّرِّ. مَعَ بَقَاءِ الْأَخْتِيَارِ، تَحْقِيقًا لِلْإِبْتِلَاءِ^(١).

والذنب إما أن يكون من الكبائر أو من الصغائر.

النوع الأول: العِصْمَةُ مِنَ الْكِبَائِرِ

للكبائر تَعَرِيفَاتٌ مُخْتَلِفَةٌ، أَرْجَحُهَا:

أَنَّ الْكِبَائِرَ هِيَ: مَا تَرْتَبُ عَلَيْهَا حَدٌّ أَوْ تَوْعِدُ عَلَيْهِ بِالنَّارِ أَوْ اللَّعْنَةِ أَوْ الْغَضَبِ.

أما الصغائر فهي: ما ليس فيها حَدٌّ فِي الدُّنْيَا، وَلَا وَعِيدُ فِي الْآخِرَةِ^(٢).

والكبائر إما كفر أو كذب أو غيرهما من الذنوب الْكَبِيرَةِ الْآخَرَى. وَتَفْصِيلُ عِصْمَةِ

الأنبياء عَنْ هَذِهِ الْأَنْوَاعِ مِنَ الْكِبَائِرِ هُوَ:

أولاً: العِصْمَةُ مِنَ الْكُفْرِ:

اتَّفَقَ جُمْهُورُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مَعْصُومُونَ مِنَ الْكُفْرِ قَبْلَ

الوحي وبعده، وَلَا يَجُوزُ الْكُفْرُ عَلَيْهِمْ فِي حَالِ صِغَرِهِمْ تَبَعًا لِلْوَالِدَيْنِ، لِأَنَّهُمْ مُؤْمِنُونَ

وَفِي الْمُسَائِرَةِ وَشَرَحَهَا الْمُسَامِرَةُ ص ٢٢٧-٢٢٨: (العِصْمَةُ تَخْصِصُ الْقُدْرَةَ بِالطَّاعَةِ، فَلَا يَخْلُقُ لِمَنْ وُصِفَ بِهَا قُدْرَةُ الْمَعْصِيَةِ. وَلَخَّصَ ابْنُ الْهَمَامِ فِي التَّحْرِيرِ هَذَا التَّعْرِيفَ، وَذَكَرَ مَعَهُ تَعْرِيفًا آخَرَ فَقَالَ: الْعِصْمَةُ عَدَمُ قُدْرَةِ الْمَعْصِيَةِ، أَوْ هِيَ خَلْقُ مَانِعٍ مِنْهَا غَيْرِ مُلْجِئٍ إِلَى تَرْكِهَا، بَلْ يَبْقَى مَعَهُ الْأَخْتِيَارُ. وَالتَّعْرِيفُ الثَّانِي يَلَانِمُ قَوْلَ الْإِمَامِ أَبِي مَنْصُورٍ الْمَآثِرِيِّ: الْعِصْمَةُ لَا تَزِيلُ الْمَحَنَةَ. أَيْ الْإِبْتِلَاءَ الْمُقْتَضِي لِبَقَاءِ الْأَخْتِيَارِ. قَالَ صَاحِبُ الْبِدَايَةِ: وَمَعْنَاهُ - يَعْنِي قَوْلَ أَبِي مَنْصُورٍ - أَنَّهَا لَا تَجْبِرُهُ عَلَى الطَّاعَةِ، وَلَا تَعْجِزُهُ عَنِ الْمَعْصِيَةِ، بَلْ هِيَ لُطْفٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى يَحْمِلُهُ عَلَى فِعْلِ الْخَيْرِ... لِلْإِبْتِلَاءِ). وَانْظُرْ: التَّحْرِيرُ وَشَرَحَهُ التَّقْرِيرُ وَالتَّخْبِيرُ ج ٢ ص ٢٢٣.

(١) الْمُسَامِرَةُ ص ٢٢٩ وَمِفْتَاحُ الْبَابِ ص ١٧٥.

(٢) شَرْحُ الْعَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّةِ لِابْنِ أَبِي الْعَزَّازِ ص ٣٥٦ وَكُتَابُنَا: الشُّورَى بَيْنَ النَّظَرِيَّةِ وَالنَّظَرِيقِ

بالله، عارفون به حقيقة، فلا يجري عليهم حكم الكفر تبعاً^(١).

ثانياً: العِصمة من الكذب:

الصدق: هو مطابقة حكم الخبر للواقع. وأنواعه ثلاثة:

١ - الصدق في دعوى الرّسالة.

٢ - الصدق في ما يبلغونه عن الله عزّ وجلّ إلى الناس من الأحكام الشرعيّة.

٣ - الصدق في جميع ما ينطق به مما يتعلق بأُمور الدنيا^(٢).

وضده: الكذب. فيستحيل صدور الكذب عن الأنبياء فيما دلّ المعجز القاطع على صدقهم فيه كدعوى الرّسالة، وما يبلغونه عن الله تعالى إلى الخلائق، على سبيل العمدة بإجماع أهل الملّ والشرائع كلها، ويستحيل صدوره على سبيل السهو والنسيان عند أكثر الأئمة الأعلام. وهو المعتمد على ما أفاده المحققون^(٣).

(١) شرح المُسَيِّرة لقاسم بن قُطْلُوبُغا ص ٢٢٧-٢٢٨. ونقل الإيجي في المواقف ج ٨ ص ٢٦٤ إجماع الأئمة على عِصمة الأنبياء من الكفر قبل النّبوة وبعدها. وانظر: شرح العقائد العُصديّة للدّواني السّابق، وشرح العقائد النّسفيّة للتفتازاني ص ١٧٠ وشرح المقاصد للتفتازاني ج ٥ ص ٤٩ ولوامع الأنوار البهيّة ج ٢ ص ٣٠٤.

غير أن الأزراقة من الخوارج جَوّزوا عليهم الذنب، وكلّ ذنب عندهم كفرٌ، فلزمهم تجويز الكفر، بل يُحكى عنهم أنهم قالوا بجواز بعثة نبيّ علّم الله تعالى أنه يكفر بعد نبوته. / المواقف وشرحه للسّيد الشّريف ج ٨ ص ٢٦٤. وانظر: المقاصد وشرحه للتفتازاني ج ٥ ص ٤٩-٥٠ والتّقرير والتّحبير ج ٢ ص ٢٢٤ ولوامع الأنوار البهيّة السّابق.

(٢) شرح الحريّة للدّردير ص ٩٧ ورسالة في التّوحيد للطّائي ص ٦٧.

الصدق من الصفات الأربع عند الدّردير واللقاني كما تقدّم، وأنواعه هي هذه الثلاثة، لكنهم قالوا بأن الصدق هو النوعان الأولان، أما النوع الثالث منه فهو من جزئيات الأمانة. / حاشية الدّسوقي على شرح أمّ البراهين للسّنوسي ص ١٧٣ وشرح الجوهرة للباجوري ص ٢٠٢.

(٣) المواقف وشرحه للسّيد الشّريف ج ٨ ص ٢٦٣، وفيه: الخلاف في جواز صدور الكذب عنهم على سبيل السهو والنسيان، قال: (منعه الأستاذ أبو إسحاق وكثير من الأئمة الأعلام لدلالة

أما الكذب فيما يتعلّق بغير الإرسال والتبليغ فالحقُّ أنه من عِدَادِ سائر الذنوب على التفصيل الذي سيأتي^(١).

والدليل العقلي على صدق الأنبياء هو:

أ- لو جاز عليهم الكذب والافتراء، للزم الكذب في خبره تعالى، وهو مُحَال، لأنه تعالى صدّقهم بالمعجزات^(٢).

ب- الكذب معصية، وهم معصومون منها.

ج- لو كذبوا، وعرف الناس منهم ذلك، لانتفت فائدة الرِّسَالَةِ^(٣).

المعجزة على صدقهم في تبليغ الأحكام، فلو جاز الخُلُفُ في ذلك لكان نقضاً لدلالة المعجزة وهو ممتنع. وجَوَزهُ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ مَصِيراً منه إلى عدم دخوله في التَّصْدِيقِ المقصود بالمعجزة، فإن المعجزة إنما دَلَّتْ على صدقه فيما هو مُتَذَكِّرٌ له عامداً إليه، وأما ما كان من النسيان وفَلَتَاتِ اللِّسَانِ فلا دلالة لها على الصدق فيه، فلا يَلْزَمُ من الكذب هناك نقضٌ لدالاتها).

وفي شَرْحِ الْعَقَائِدِ النَّسَفِيَّةِ لِلتَّفَتَّازَانِيِّ ص ١٧٠: (الأنبياء معصومون عن الكذب خصوصاً فيما يتعلّق بأمر الشرائع وتبليغ الأحكام وإرشاد الأُمّة، إما عمداً فبالإجماع، وإما سهواً فعند الأكثرين. وعَلَّقَ الْكَسْتَلِيُّ على قوله: «إما عمداً فبالإجماع، وإما سهواً فعند الأكثرين» بقوله: هَذَا فِي الْكَذِبِ فيما يتعلّق بالتبليغ والإرسال، إذ قد دَلَّتْ المعجزة على صدقهم فيه دلالة قطعية، لكن الْقَاضِي أَبَا بَكْرٍ خَصَّصَهَا بما يعمدونه ويتذكرونه، فَجَوَزَ صدور الكذب عنهم سهواً أو نسياناً في الأمور التبليغية بناءً على أنه لا دلالة للمعجزة على عصمتهم عن ذلك).

وانظر: شَرْحِ الْعَقَائِدِ الْعُصْدِيَّةِ لِلدَّوَانِيِّ ج ٢ ص ٢٧٩ وشَرْحِ الْمَقَاصِدِ لِلتَّفَتَّازَانِيِّ ج ٥ ص ٥٠ والتَّقْرِيرُ وَالتَّخْبِيرُ ج ٢ ص ٢٢٤ وَلَوَامِعُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ٢ ص ٣٠٧ والوسيلة ص ٦٩٥.

(١) حَاشِيَةُ الْكَسْتَلِيِّ ص ١٧٠.

(٢) الْمَوَاقِفُ ج ٨ ص ٢٦٣ وشَرْحِ الْخَرِيدَةِ لِلدَّرْدِيرِ ص ٩٧ ورسالة في التَّوْحِيدِ لِلطَّائِي ص ٦٧ وَلَوَامِعُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ٢ ص ٣٠٧ وشَرْحِ الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ٢٠٢.

(٣) رِسَالَةٌ فِي التَّوْحِيدِ لِلطَّائِي السَّابِقَةِ.

والدليل النقلي على صدقهم:

أ- قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (٤) - النّجْم^(١).

ب- قوله تعالى: ﴿وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ - يس ٥٢.

ج- قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَقُولُ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ﴾ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦) فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِيزٍ (٤٧) - الحاقة.

د- في الحديث: قالوا يا رَسُولَ اللَّهِ: إنك تداعبنا. قال: إني لا أقول إلا حقاً.

أما ما ظاهره الكذب في حق الأنبياء، كما في واقعة إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ حين كسر الأصنام، وأبقى كَبِيرَهَا فقط، فلما سئل ﴿قَالُوا ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِإِلهَتِنَا يَا ابْنِ إِبْرَاهِيمَ﴾ (١٢) قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ (١٣) - الأنبياء، فإنه يؤول بأن قصده عَلَيْهِ السَّلَامُ التهديد والتبكي والاستهزاء، لأنه لم يكن عند الأصنام غيره، فما فائدة قولهم من فعل هذا؟^(٢).

وقيل معناه: سلوهم إن نطقوا فإنهم يصدقون، وإن لم يكونوا ينطقون فليس هو الفاعل. وفي ضمن هذا الكلام اعتراف بأنه هو الفاعل. فقوله هذا من المعارض، وفي المعارض مندوحة عن الكذب، وهو الذي صَحَّحَهُ الْقُرْطُبِيُّ^(٣) وقيل غيره^(٤).

(١) شَرْحُ الْخَرِيدَةِ لِلدَّرْدِيرِ ص ٩٧.

(٢) حَاشِيَةُ الصَّاوِي عَلَى الدَّرْدِيرِ ص ٩٧ وَتَفْسِيرُ الْبَيْضَاوِيِّ ص ٣٢١.

وَحَدِيثُ الْمَدَاعِبَةِ، فِي: سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ فِي: ٢٤ كِتَابُ الْبِرِّ وَالصَّلَاةِ، ٥٧ بَابُ مَا جَاءَ فِي الْمَزَاحِ، رَقْم ١٩٩٠، ص ٣٣٢، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَهُوَ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

(٣) تَفْسِيرُ الْقُرْطُبِيِّ ج ٦ ص ٤٣٤٠.

(٤) انظر: تَفْسِيرُ الْبَيْضَاوِيِّ السَّابِقِ.

ثالثاً: العِصْمَةُ من الكبائر الأخرى:

ونبين هنا حال صدور الكِبِيرَةِ عنهم عمداً أو سهواً، قبل البعثة أو بعدها.

قبل البعثة:

الأنبياء قبل بعثتهم معصومون عن صدور الكِبِيرَةِ، التي توجب النُفْرَةَ منهم مطلقاً، كعُهر الأمّهات والفجور في الآباء^(١).

أما الكبائر الأخرى فلا يمتنع صدورها عنهم عند أكثر الأشاعرة وجمع من المعتزلة، إذ لا دلالة للمعجزة على امتناع الكِبِيرَةِ قبل البعثة. وبه قال الإباضية.

وقال أكثر المعتزلة: يمتنع صدور الكِبِيرَةِ منهم، لأنها توجب النُفْرَةَ عمن ارتكبتها، وهي تمنع عن اتباعه، فتفوت مصلحة البعثة^(٢).

وبعد البعثة:

هم معصومون منها عمداً، وهو قول الجُمهُور من المحققين والأئمة. ومعصومون منها سهواً أو على سبيل الخطأ في التأويل، وهو المُختار^(٣).

وأطلق الزيدية والإمامية المنع من وقوع الكبائر منهم، على ما سيأتي.

(١) المواقف ج ٨ ص ٢٦٥ وشرح العقائد النسفية للتفتازاني ص ١٧١ وشرح العقائد العُصْدِيَّة لِلدَّوَانِي ج ٢ ص ٢٧٩ نقلاً عن شرح العقائد.

(٢) المواقف وشرحه للسيد الشريف ج ٨ ص ٢٦٥. وانظر: شرح العقائد النسفية للتفتازاني ص ١٧١. وقول الإباضية في: مشارق أنوار العقول ج ٢ ص ٢٥.

(٣) المواقف وشرحه للسيد الشريف ج ٨ ص ٢٦٤-٢٦٥ وفيه: (صدور الكبائر عنهم عمداً بعد الوحي منعه الجُمهُور من المحققين والأئمة، ولم يخالف فيه إلا الحشوية. أما صدورها عنهم سهواً أو على سبيل الخطأ في التأويل فجوزّه الأكثرون، والمُختار خلافه). وانظر: المُسَايَرَة وشرحها المُسَامَرَة ص ٢٣٢ وشرح العقائد النسفية للتفتازاني ص ١٧٠-١٧١ وشرح المقاصد للتفتازاني ج ٥ ص ٥١ والوسيلة ص ٦٩٥ ومشارق أنوار العقول ج ٢ ص ٢٥.

النوع الثاني: العَصَمَة من الصغائر

الصغائر نوعان:

أ- صغائر الخِسة التي تلحق فاعلها بالأراذل، كسرقة حَبّة أو لقمة والتطفيف بتمرة.

والأنبياء قبل البعثة: معصومون منها^(١).

وبعد البعثة كذلك، فلا تصدر عنهم أصلاً، لا عمداً ولا سهواً بالاتفاق^(٢).

ب- الصغائر الأخرى:

والأنبياء غير معصومين منها، قبل البعثة عمداً وسهواً.

أما بعد البعثة فهم معصومون منها عمداً، وتجاوز سهواً، لكن لا يُصَرُّون عليها، ولا يُقَرُّون من الله تعالى عليها، بل يُنَبِّهون فيتنبهون. وعليه المحققون من المُحَدِّثِينَ والسَّلَف الصالح^(٣)، لقوله ﷺ: (إنما أنا بشر أنسى كما تنسون، فإذا نسيت فذكروني)^(٤). لهذا قول الأشاعرة.

وذهب المُعْتَزِلَة إلى تجويز الصغائر على الأنبياء، إما على سبيل السهو على

(١) المواقف وشرحه للسيد الشريف ج ٨ ص ٢٦٥ وشرح العقائد النسفية للتفتازاني، وشرح العقائد العزديّة للدواني، السابقان، والمسامرة ص ٢٣٣-٢٣٤.

(٢) المواقف وشرحه للسيد الشريف، وشرح العقائد النسفية للتفتازاني، والوسيلة، ومشارك أنوار العقول، السابقة، والمسامرة ص ٢٣٣.

(٣) شرح العقائد العزديّة للدواني ج ٢ ص ٢٧٩ وشرح المقاصد للتفتازاني ج ٥ ص ٥١. وانظر: المواقف وشرحه للسيد الشريف ج ٨ ص ٢٦٥ ولكوامع الأنوار البهية ج ٢ ص ٣٠٤-٣٠٥ والمسايرة وشرحها للمسامرة ص ٢٣٢. وهناك أقوال أخرى في هذه المصادر وفي شرح العقائد النسفية للتفتازاني ص ١٧١ والوسيلة ص ٦٩٥. وفي شرح المقاصد السابق: ذهب إمام الحرمين وأبو هاشم من المُعْتَزِلَة إلى تجويز الصغائر عمداً.

(٤) المسايرة وشرحها للمسامرة ص ٢٣٤. وقد تقدم تخريج الحديث آنفاً.

قول بعضهم، أو على سبيل التأويل على قول قوم منهم، أو لأنها تقع محبطة بكثرة ثوابهم^(١).

فعصمة الأنبياء عند المعتزلة هي عن الكبائر عمداً أو سهواً، والصغيرة عندهم لا تُخلُّ بالعصمة^(٢).

وذهب الزيدية كالمعتزلة إلى تجويز الصغائر على الأنبياء، والمنع من وقوع الكبائر منهم^(٣).

وقالت الإمامية: يجب عصمتهم عن الذنوب كلها صغيرة أو كبيرة^(٤)، عمداً وسهواً، قبل الوحي وبعده^(٥).

أدلة عصمة الأنبياء

استدل العلماء على عصمة الأنبياء بأدلة كثيرة منها:

- ١- لو صدر منهم الذنب، لحرم أتباعهم فيما يصدر عنهم، مع أن أتباعهم فرض، وللإجماع، ولقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ - آل عمران ٣١.
- ٢- لو أذنبوا لردت شهادتهم، إذ لا شهادة لفاسق بالإجماع، ولقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ جَاءَهُمْ قَوْمٌ فَأَسْقُوا مِنْهُمْ مَاءً فَابْتِغُوا﴾ - الحجرات ٦، لأن من لا تقبل شهادته في القليل الزائل من متاع الدنيا، كيف تسمع شهادته في الدين القيم؟ أي: القائم إلى يوم القيامة.
- ٣- إن صدر عنهم ذنب وجب زجرهم وتعنيفهم، لعموم وجوب الأمر

(١) كشف المراد ص ٣٧٦.

(٢) خلاصة علم الكلام ص ٢٦٧.

(٣) المعالم الدينية ص ٩٥.

(٤) كشف المراد ص ٣٧٦ والباب الحادي عشر وشرحه النافع ص ٣٧ ومفتاح الباب ص ١٧٦

وختلاصة علم الكلام ص ٢٦٧ والمواقف وشرحه للسيد الشريف ج ٨ ص ٢٦٥.

(٥) المصادر السابقة، إلا كشف المراد.

بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا شك أنَّ زجرهم إيذاء لهم، وإيذاؤهم حرام إجماعاً، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾ - الأحزاب ٥٧.

٤- لو أذنبوا لاستحقوا العذاب واللوم والطعن، لدخولهم تحت قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعَصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا﴾ - الجن ٢٣، وقوله سُبْحَانَهُ: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ - البقرة ٤٤، لكن ذلك منتفٍ بالإجماع، ولكونه من أعظم المنفّرات.

٥- قوله تعالى في إبراهيم وإسحاق ويعقوب ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكِرُونَ﴾ - الأنبياء ٩٠، والجمع المحلّ بالالف واللام للعموم، فيتناول جميع الخيِّرات من الأفعال والتروك، وقوله ﴿وَلَهُمْ عِنْدَنَا لِمَنَ الْمُصْطَفِينَ الْآخِرَ﴾ - ص ٤٧، أي: من المصطفين الأخيار في كل الأمور، فلا يجوز صدور ذنب عنهم^(١).

٦- لو جاز عنهم أن يخونوا الله تعالى بفعل محرم أو مكروه، للزم أن يكون ذلك المحرم أو المكروه طاعة، لأن الله تعالى أمرنا باتباعهم في أقوالهم وأفعالهم من غير تفصيل، إلّا فيما ثبت اختصاصهم به، فكل ما صدر منهم فنحن مأمورون به، وكل مأمور به، فهو طاعة، لأن الله تعالى لا يأمر بالفحشاء^(٢).

وما نقل عن الأنبياء مما يشعر بمعصية:

فما نقل بطريق خبر الأحاد فمردود، لأن نسبة الخطأ إلى الرواة أهون من نسبة المعاصي إلى الأنبياء.

أما ما نقل بطريق التواتر فما دام له محمل آخر حملناه عليه وصرناه عن ظاهره

(١) المواقف وشرحه للسيد الشريف ج ٨ ص ٢٦٥-٢٦٧ وشرح المقاصد للتفتازاني ج ٥ ص ٥١-٥٢ وفيها أدلة أخرى.

(٢) شرح الخريدة للذردير ص ٩٧ وشرح أم البراهين للسنوسي وحاشية الدسوقي عليه ص ١٧٦ وشرح السنوسية للباجوري ص ١٢٦ وشرح الجوهر للباجوري ص ٢٠١.

لدلائل العِصْمَةِ، أما إذا لم نجد له مَحْمَلاً فنفسره على:
أنه كان قبل البعثة، أو أنه من قبيل ترك الأوْلَى، أو أنه من قبيل صغائر صدرت
عنهم سهواً^(١).

ومن النصوص التي تشعر بمعاصي الأنبياء:
أولاً: ما ورد في قصة آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ في القرآن الكريم:
قوله تعالى: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ، فَغَوَى﴾ - طه ١٢١.
والعصيان من الكبائر، بدلالة قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ
خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ - الجن ٢٣.

والغواية تؤكد ذَلِكَ لأنها اتباع الشيطان، لقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنْ
الْغَاوِينَ﴾ - الحجر ٤٢. وقوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا
فِيهِ﴾ - البقرة ٣٦. واستحقاق الإخراج من الجنة بسبب إزالال الشيطان لهما، يدلُّ على
أن الصادر منهما كَبِيرَةٌ.

وخالف آدم النهي عن الأكل من الشَّجَرَةِ، وارتكاب المنهي عنه ذنب.
وأجيب عنها:

بأن ذَلِكَ كان قبل النُّبُوَّةِ، لأنه لم تكن له في الجنة أُمَّة. وإنما صار نَبِيًّا بعد خروجه
من الجنة، بدليل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَحْبَبْنَاهُ رَبُّهُ﴾ - طه ١٢٢، إذ الاجتباء كان متأخراً عن
الواقعة.

وكان ذَلِكَ عن نسيان، لقوله تعالى: ﴿فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾ - طه ١١٥.

(١) المَوَاقِفُ وشرحه للسَّيِّدِ الشَّرِيفِ ج ٨ ص ٢٦٨. وانظر: شَرْحُ الْمَقَاصِدِ لِلتَّفْتَازَانِيِّ ج ٥
ص ٥٣ و شَرْحُ الْعَقَائِدِ لِلتَّفْتَازَانِيِّ وَالْخِيَالِي عَلَيْهِ ص ١٧١-١٧٢ و شَرْحُ الْعَقَائِدِ الْعَصْدِيَّةِ
لِلدَّوَانِيِّ ج ٢ ص ٢٧٩ عن شَرْحِ الْعَقَائِدِ.

أو كان زلة وسهواً، حيث ظن آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ المنهي عنها شَجَرَةٌ بعينها، وقد قَرَّبَ فرداً آخر من جنسها^(١).

ثانياً: ما ورد في قصة مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ من قتله المِصْرِيَّ في قوله تعالى: ﴿فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ﴾ - القصص ١٥.

وقتله كان عدواناً، لقوله سُبْحَانَهُ: ﴿قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ - القصص ١٥، وقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾ - القصص ١٦، وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قَالَ فَعَلْنَاهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾ - الشعراء ٢٠. أُجيب:

بأن قتله المِصْرِيَّ كان قبل النُّبُوءَةِ.

وجاز أن يكون قتله خطأً.

وما صدر منه من أقوال، فهو محمول على التواضع وهضم النفس^(٢).

ثالثاً: ما ورد في حق نبينا مُحَمَّدٍ ﷺ من نصوص، مثل:

١ - قوله تعالى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ - الفتح ٢، وقوله تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ - غافر ٥٥ ومُحَمَّدٌ ١٩، وقوله سُبْحَانَهُ: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ﴾ - التوبة ١١٧، فأُسند الذنب للنبي ﷺ وتاب عليه، ولا وجود للتوبة إلا مع الذنب. أُجيب:

(١) المَوَاقِف وشرحه للسَّيِّد الشَّرِيف ج ٨ ص ٢٦٨-٢٦٩ وشرح المَقَاصِد للتَّفْتَازَانِي ج ٥ ص ٥٣ وشرح المُسَايِرَةَ لِقَاسِمِ بْنِ قُطْلُوبَغَا ص ٢٣٢.

(٢) المَوَاقِف وشرحه للسَّيِّد الشَّرِيف ج ٨ ص ٢٧١. وانظر: شرح المَقَاصِد للتَّفْتَازَانِي ج ٥ ص ٥٥.

بأن ذلِكَ الذنب كان قبل النبوة.

أو إنه محمول على ما فرط منه من الزلة وترك الأفضل.

أو نسب إليه ذنب قومه، فإن رئيس القوم قد ينسب إليه ما فعله بعض أتباعه. والمعنى: ليغفر لأجلك ما تقدم من ذنب أمتك، وما تأخر عنه، واستغفر لذنب أمتك، وتاب الله على أمة النبي^(١).

٢- قوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ۖ (١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ۚ (٢)﴾ - عَبَسَ. أُجيب:

بأنه محمول على أنه عتاب على ترك الأفضل والأولى مما يليق بخلقه العظيم، ومثله يُعتاب على مثله^(٢)، فأخطأ في اجتهاده، فعَبَسَ في وجه الأعمى ابن أم مكتوم، حين جاء يسأله عن الدين، لأنه رأى أن مجادلة صناديد قُرَيْش قد تؤدي إلى أنهم سيميلون إليه فيسلمون، وأن الإعراض عنهم قد يزيد في حقدهم ونفرتهم عن الإسلام.

لذلك انشغل بهم عن ابن مكتوم الأعمى المسلم، الذي جاء مستزيداً من الإسلام. فالأولى أن لا يعبس بوجهه، فيتولى عنه، بل يتلطف معه، لما له من منزلة الإسلام.

٣- قوله تعالى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ ۚ﴾ - التوبة ٤٣. أُجيب:

بأنه تلطف في الخطاب، وعتاب على ترك الأفضل، وإرشاد إلى الاحتياط في تدبيره الخيرات^(٣). فإنه ﷺ أذن لجماعة تعللوا بأعذار - كان الأولى أن لا تقبل

(١) المواقف وشرحه للسيّد الشريف ج ٨ ص ٢٧٩ وشرح المقاصد للتفتازاني ج ٥ ص ٥٨.

(٢) المواقف وشرحه للسيّد الشريف ج ٨ ص ٢٧٩ وشرح المقاصد للتفتازاني ج ٥ ص ٥٩.

(٣) شرح المقاصد للتفتازاني ج ٥ ص ٥٩.

منهم - فتخلفوا عن غزوة تبوك، وتارك الأفضل في أمور الحرب قد يعاقب.

٤- قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَتْ لِيَنْيَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يَشْرَحَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٦٧) لَوْلَا كَتَبَ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لِمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ - الأنفال.

أجيب:

بأنه عتاب على ترك الأولى الذي هو الإثخان، فإن تحريم الفداء مُستفاد من هذه الآية، فقبل نزولها لا تحريم. ومعنى قوله تعالى: ﴿ لَوْلَا كَتَبَ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لِمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ - الأنفال ٦٨: أنه لولا سبق تحليل الغنائم لعذبتكم بسبب أخذكم هذا الفداء^(١)، لأن الرسول ﷺ حين استشار أصحابه في أخذ الفداء من أسرى بدر، ومنهم سبعون من أشرف قريش، وآثر أكثرهم أخذ الفداء على القتل، اجتهد فأيدهم، لأنه رق لحالهم، ورجا أن يسلموا، أو يخرج من أصلاهم المؤمنون، وليتفع المسلمون بهال الفدية في شؤونهم، فأخطأ في اجتهاده وكان الأفضل أن لا يؤثر أخذ الفداء على نصرة الإسلام.

وبعد كل هذا:

فإن الله تعالى لم يبق رسوله على خطأ، لأنه لو أقره على الخطأ، لتساوى الخطأ والصواب في الشرع، وفي ذلك تضليل ومدعاة إلى التشكيك في الشريعة.

وكان الرسول ﷺ يرجع إلى الصواب الذي بينه الله تعالى له، ولا يكتم من الوحي شيئاً من تسجيل الخطأ عليه، أو توجيه العتاب إليه^(٢).

(١) المواقف وشرحه للسيد الشريف ج ٨ ص ٢٧٨. وانظر أمثلة أخرى من هذا في: شرح

المواقف، وشرح المقاصد، وشرح المسيرة لقاسم بن فطلوبغا ص ٢٣٢-٢٣٣.

(٢) مناهل العرفان ج ٢ ص ٢٨٨.

حكمة تسجيل زلة الأنبياء

فإن قيل: فما بال زلة الأنبياء حكيت في القرآن، بحيث تتلى على مر الزمان، مع أن الله تعالى غفار ستار، وقد أمرنا بالسُّرِّ على مرتكب الذنب؟

أجيب:

بأن تسجيل زلتهم يَدُلُّ على:

- ١- صدق الأنبياء، وأن ما يبلغونه يكون بأمر الله تعالى بلا إخفاء شيء منه.
- ٢- أن الأنبياء على جَلَالَةٍ قدرهم وكثرة طاعتهم، يلجؤون إلى الله تعالى دائماً بالاستغفار والتضرع في أدنى زلة، فعلى الناس - وهم أدنى مرتبة منهم بكثير - أن يتضرعوا إلى الباري كل حين.
- ٣- أن الصغائر ليست مما يقدح في الإيثار، فلا تكفر الإنسان^(١).

الصفة الثانية: التبليغ

هو إيصال الأحكام التي أمروا بتبليغها إلى المرسل إليهم^(٢)، ليرشدوهم إلى سعادة الدنيا والآخرة، وكل منهم لم يخف عن الناس من ذلك شيئاً عمداً أو سهواً^(٣).

وأقسام الموحى به ثلاثة:

- ١- قسم أمروا بكتابه، كبعض الأسرار الإلهية، فهو خاص بينهم وبين ربهم، لم

(١) انظر: شرح المقاصد للتفتازاني ج ٥ ص ٦٠.

(٢) شرح الخريدة للذُّرِّي ص ١٠٠.

(٣) رسالة في التَّوْحِيدِ للطَّائِي ص ٦٨.

يُبَلِّغُوا مِنْهُ حَرْفًا.

٢- قسم خَيْرُوا فيه بين التبليغ وعدمه، بلغوا بعضه وكنتموا البعض الآخر.

٣- قسم أَمَرُوا بتبليغه، فلم يكتموا منه حرفاً.

وهَذَا الْقِسْمُ (الْأَخِيرُ) هُوَ الَّذِي بَلَّغُوهُ إِلَى مَنْ أُرْسِلُوا إِلَيْهِ، لِأَنَّهُمْ مَأْمُورُونَ بِتَبْلِيغِهِ، لَوْجُوبِهِ عَلَيْهِمْ^(١).

والدليل العقلي على وجوبه:

١- أَنَّهُمْ لَوْ كَتَمُوا شَيْئًا مِمَّا أَمَرُوا بِتَبْلِيغِهِ لِلخَلْقِ، لِأَصْبَحْنَا مَأْمُورِينَ بِكَتْمَانِ الْعِلْمِ، لِأَنَّ اللَّهَ أَمَرَنَا بِالْإِقْدَاءِ بِهِمْ، مَعَ أَنَّ الْأَحَادِيثَ صَرِيحَةٌ فِي أَنَّ كَاتِمَ الْعِلْمِ مُلْعُونٌ^(٢).

٢- أَنَّهُمْ لَوْ كَتَمُوا شَيْئًا مِمَّا أَمَرُوا بِتَبْلِيغِهِ، لَكَانُوا خَائِنِينَ، مَعَ أَنَّهُمْ مُعَصِّمُونَ عَنِ الْخِيَانَةِ^(٣).

٣- أَنَّهُمْ مُبَشِّرُونَ وَمُنْذِرُونَ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾ - النساء ١٦٥، وَلَا يَتِمُّ التَّبَشِيرُ وَالْإِنْدَارُ إِلَّا بِالتَّبْلِيغِ.

٤- لَوْ أَنَّهُمْ كَتَمُوا مَا أَمَرُوا بِتَبْلِيغِهِ لَكَانُوا مُلْعُونِينَ بِنَصِّ الْكِتَابِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَأَهْدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ﴾ - البقرة ١٥٩^(٤).

(١) شَرْحُ الْخَرِيدَةِ لِلدَّرْدِيرِ وَحَاشِيَةِ الصَّائِي عَلَيْهِ ص ١٠١. وانظر: شَرْحُ الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ٢٠٣ وَرِسَالَةُ فِي التَّوْحِيدِ لِلطَّائِي السَّابِقَةِ.

(٢) شَرْحُ الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ٢٠٣.

(٣) شَرْحُ الْخَرِيدَةِ لِلدَّرْدِيرِ ص ١٠٠ وَرِسَالَةُ فِي التَّوْحِيدِ لِلطَّائِي ص ٦٩. وانظر: لَوَامِعُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ٢ ص ٣٠٨.

(٤) شَرْحُ الْخَرِيدَةِ لِلدَّرْدِيرِ ص ١٠٠-١٠١.

والدليل النقلي:

قوله تعالى: ﴿مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَلَعُ﴾ - المائدة ٩٩.

وقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ - المائدة ٦٧^(١).

الصفة الثالثة: الفطنة

هي: التَّيَقُّظُ والتَّفَطُّنُ^(٢) وَحِدَّةُ الْعَقْلِ وَذِكَاءُهُ^(٣) وقوة الرأي^(٤).

فلا يجوز أن يكون النَّبِيُّ مُعَقِّلاً أو بليداً أو أبله^(٥).

الدليل العقلي على وجوب هذه الصفة للأنبياء:

١- لأنهم أرسلوا لإقامة الحجج وإبطال شبه المجادلين، ولا يكون ذلك من أبله ولا من مُعَقِّل^(٦).

٢- لأنهم ساسة الجميع ومرجعهم في المشكلات^(٧).

(١) شَرْحُ الْخَرِيدَةِ لِلدَّرْدِيرِ، وَرِسَالَةٌ فِي التَّوْحِيدِ لِلطَّائِي، السَّابِقَانِ.

(٢) شَرْحُ الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ٢٠٢.

(٣) شَرْحُ الْخَرِيدَةِ لِلدَّرْدِيرِ ص ١٠٠.

(٤) فِي الْمَقَاصِدِ وَشَرْحِهِ لِلتَّفَتَّازَانِيِّ ج ٥ ص ٦١: (مِنْ شُرُوطِ النَّبُوَّةِ: كَمَالُ الْعَقْلِ وَالدِّعَاءُ وَالْفِطْنَةُ وَقُوَّةُ الرَّأْيِ، وَلَوْ فِي الصَّبَا كَعِيسَى وَيَحْيَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ). وَكَذَا فِي لَوَامِعِ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ٢ ص ٢٦٧.

(٥) شَرْحُ الْخَرِيدَةِ لِلدَّرْدِيرِ ص ١٠٠ وَشَرْحُ الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ٢٠٢ وَلَوَامِعِ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ السَّابِقِ.

(٦) شَرْحُ الْخَرِيدَةِ لِلدَّرْدِيرِ، وَشَرْحُ الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ، السَّابِقَانِ، وَرِسَالَةٌ فِي التَّوْحِيدِ لِلطَّائِي ص ٧٠.

(٧) الْمُسَامَرَةُ ص ٢٢٦.

٣- لأننا مأمورون بالاعتداء بهم في الأقوال والأفعال، والمقتدى به لا يكون بليداً.

٤- البلادة صفة نقص، تُخل بمنصبهم الشريف^(١).

والدليل النقلي عليها:

١- قوله تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَهَا سُلَيْمَنَ وَكُلَّاءَ إِنِّنَا حُكَمَا وَعِلْمًا﴾ - الأنبياء ٧٩.

٢- قوله تعالى: ﴿وَشَدَّدْنَا مُلْكَهُ، وَءَاتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَضَّلْنَا لِحَطَابٍ﴾ - ص ٢٠.

٣- قوله تعالى: ﴿وَجَدِدْ لَهُم بِآلَتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ - النحل ١٢٥. أي: بالطريق التي هي أرفق بهم، والجدال لا يكون إلا من فطن ذكي^(٢).

الصفة الرابعة: الذكورة

اختلف العلماء في أن الذكورة شرط في الأنبياء على قولين:

القول الأول: الذكورة شرط في النبي، وهو الذي اتفق عليه جمهور العلماء، فلا يجوز أن تكون المرأة نبيه، بل إن بعضهم^(٣) نقل الإجماع على هذا القول. ومن أدلة هذا الشرط ما يأتي:

أ- قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ﴾ - يوسف ١٠٩^(٤).

(١) شرح الخريدة للذردير ص ١٠٠ ورسالة في التوحيد للطائفي السابقة.

(٢) شرح الجوهره للباجوري ص ٢٠٢ ورسالة في التوحيد للطائفي السابقة.

(٣) قال الإمام جلال الدين جاز الله: اتفق أهل السنة والجماعة أن الذكورة شرط النبوة، خلافاً للأشعرية. / شرح المسيرة لقاسم بن قطلوبغا ص ٢٣٠.

ونقل الإجماع على عدم نبوة النساء، الكرمانلي في شرح البخاري. / حاشية المرجاني على شرح العقائد العبدية ج ١ ص ٩. وحكى الإجماع على عدم نبوة مريم، البيضاوي وغيره. / المسامرة ص ٢٣١ وتفسير البيضاوي ص ٦٨.

(٤) شرح المسيرة لقاسم بن قطلوبغا ص ٢٣٠.

فَأَثَبَتِ الرِّسَالَةَ لِلرِّجَالِ الْمَوْحَى إِلَيْهِمْ، وَأَشْعَرَ بِنَفِي ذَلِكَ عَنْ غَيْرِهِمْ، فَلَا تَكُونُ أَنْثَى نَبِيَّةً^(١).

ب- وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا﴾ - الأنعام ٩.

ج- النبوة والرِّسالة تقتضي: الاشتهار بالدعوة، وإظهار المعجزة، ولزوم الاقتداء. والأنوثة توجب السُّتْرَ، فبينهما تَنَافٍ^(٢).

د- النساء لا يَصْلُحْنَ للإِمَارَةِ وَالسُّلْطَنَةَ وَالْقَضَاءَ وَإِقَامَةَ الصَّلَاةِ بِالْإِجْمَاعِ، فَلَا يَصْلُحْنَ لِلنُّبُوَّةِ مِنْ بَابِ أَوَّلَى^(٣).

القول الثاني: لا تُشْتَرَطُ الذَّكُورَةُ فِي النَّبِيِّ، وَهُوَ قَوْلُ الْأَشْعَرِيِّ^(٤) وَالْقُرْطُبِيِّ^(٥) وَبَعْضُ أَهْلِ الظَّاهِرِ وَالْحَدِيثِ^(٦)، فَقَالُوا بِنُبُوَّةِ مَرْيَمَ، بِدَلِيلِ:

قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ﴾ - مريم ١٦، فَذَكَرَهَا تَعَالَى فِي عِدَادِ الْأَنْبِيَاءِ^(٧).

وبارِسالِ جِبْرِيلَ إِلَيْهَا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ - مريم ١٧^(٨).

(١) لَوَامِعُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ٢ ص ٢٦٥.

(٢) شَرْحُ الْمُسَايَرَةِ لِقَاسِمِ بْنِ قُطْلُوبُغَا ص ٢٣٠ عَنْ الصَّابُونِيِّ الَّذِي صَحَّحَ هَذَا الْقَوْلَ. وَلَوَامِعُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ٢ ص ٢٦٦.

(٣) شَرْحُ الْمُسَايَرَةِ لِقَاسِمِ بْنِ قُطْلُوبُغَا السَّابِقِ.

(٤) شَرْحُ الْمُسَايَرَةِ لِقَاسِمِ بْنِ قُطْلُوبُغَا عَنْ الْإِمَامِ جَلَالِ الدِّينِ جَارِ اللَّهِ، وَلَوَامِعُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ، السَّابِقَانِ.

(٥) لَوَامِعُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ السَّابِقِ. وَانْظُرْ رَأْيَ الْقُرْطُبِيِّ فِي تَفْسِيرِهِ عِنْدَ تَفْسِيرِ الْآيَةِ ٤٢ مِنْ آلِ عِمْرَانَ وَ ١٦ مِنْ مَرْيَمَ.

(٦) الْمُسَايَرَةُ ص ٢٣٠.

(٧) شَرْحُ الْمُسَايَرَةِ لِقَاسِمِ بْنِ قُطْلُوبُغَا ص ٢٣٠-٢٣١ وَذَكَرَ أَنَّهَا حُجَّةُ الْأَشْعَرِيِّ.

(٨) شَرْحُ الْمُسَايَرَةِ لِقَاسِمِ بْنِ قُطْلُوبُغَا ص ٢٣١ وَذَكَرَ أَنَّهَا حُجَّةُ الْأَشْعَرِيِّ. وَالْمُسَامَرَةُ ص ٢٣١.

وباصطفاء الله تعالى لها بقوله: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَكُتُ كُتُ يَمْرِيْمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ﴾ - آل عمران ٤٢^(١).

وقال البعض بنبوة أم موسى^(٢)، بدليل:

وحي الله تعالى إليها، بقوله سبحانه: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيْهِ﴾ - القصص ٧.

وردد الجمهور هذا القول بأن اصطفاء مريم وإرسال جبريل إليها لم يكن وحيًا بشرع، إذ لا دلالة عليه في الآيات المذكورة^(٣)، والوحي إلى أم موسى لا يراد به إلا معنى الإلهام، كقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ - النحل ٦٨.

الصفة الخامسة: السلامة من النقائص

وأعني بهذا الشرط الأمور الآتية:

أ- أن يكون سالمًا من نقص الخلقة. فشرطه أن يكون أكمل أهل زمانه خلقًا حال الإرسال (أي: حال بعثه إلى الناس).

وقد يعترض بعقدة لسان موسى عليه السلام، فيجيب:

بأن عقدة لسان موسى عليه السلام كانت قبل الإرسال، وأزيلت بدعوته عند الإرسال، بدليل:

دعاء موسى عليه السلام حين أوحى الله تعالى إليه، وأمره بالدعوة قال: ﴿وَأَحْلَلْ عُقْدَةَ

(١) المُسَامَرَةُ السَّابِق.

(٢) لَوَامِعُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ٢ ص ٢٦٦. لَكِنْ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْطُبِيِّ عِنْدَ تَفْسِيرِ الْآيَةِ ٧ مِنْ سُورَةِ الْقَصَصِ: (وَأَجْمَعَ الْكُلَّ عَلَى أَنَّ أُمَّ مُوسَى لَمْ تَكُنْ نَبِيَّةً).

(٣) المُسَامَرَةُ ص ٢٣١.

مِنْ لِسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُهُ أَقُولِي ﴿٢٨﴾ - طه، فَأَجَابَهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمُوسَى﴾ - طه ٣٦^(١).

ب- أن يكون سالماً من العيوب المُنْفَرَّةِ لِلطَّبَاعِ مِنَ الْأَمْرَاضِ وَالْأَسْقَامِ كَالْبَرَصِ وَالْجُذَامِ^(٢).

وقد يُعْتَرِضُ بِبَلَاءِ أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الَّذِي أُصِيبَ بِدَاءِ جِلْدِيٍّ نَفَرَ النَّاسَ مِنْهُ، فَيُجَابُ:

بأن بلاءه كان قبل نبوته عَلَيْهِ السَّلَامُ^(٣)، وقد زال بعدها، قال سُبْحَانَهُ: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ﴾ - الْأَنْبِيَاءُ ٨٤.

ج- أن يكون سالماً من دناءة الصَّنَاعَةِ كَالْحِجَامَةِ، وَمِنْ قِلَّةِ الْمُرُوءَةِ كَالْأَكْلِ عَلَى الطَّرِيقِ^(٤). وَهَذَا مَبْنِي عَلَى تَقْدِيرٍ: أَنَّ الْعُرْفَ كَانَ يَسْتَنْكَرُ ذَلِكَ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ^(٥).

د- أن يكون سالماً مِنَ الْقِسْوَةِ^(٦) وَالْمَظَاظَةِ وَالْغَلْظَةِ^(٧)، لِأَنَّ قِسْوَةَ الْقَلْبِ مُوجِبَةٌ لِلْبَعْدِ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى، إِذْ هِيَ مَنَبِعُ الْمَعَاصِي، لِأَنَّ الْقَلْبَ هُوَ الْمُضْغَةُ الَّتِي إِذَا صَلَحَتْ

(١) الْمُسَايَرَةُ وَشَرْحُهَا الْمُسَامَرَةُ ص ٢٢٦.

(٢) الْمُسَامَرَةُ ص ٢٢٦ وَالْمَقَاصِدُ وَشَرْحُهُ لِلتَّفْتَازَانِيِّ ج ٥ ص ٦١ وَلَوَامِعُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ٢ ص ٢٦٧.

(٣) الْمُسَايَرَةُ وَشَرْحُهَا الْمُسَامَرَةُ ص ٢٣٢.

(٤) الْمُسَايَرَةُ وَشَرْحُهَا الْمُسَامَرَةُ ص ٢٢٦ وَالْمَقَاصِدُ وَشَرْحُهُ لِلتَّفْتَازَانِيِّ ج ٥ ص ٦١ وَلَوَامِعُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ٢ ص ٢٦٧ وَالْوَسِيلَةُ ص ٦٩٣.

(٥) الْمُسَايَرَةُ وَشَرْحُهَا الْمُسَامَرَةُ ص ٢٣٢.

(٦) الْمُسَايَرَةُ وَشَرْحُهَا الْمُسَامَرَةُ ص ٢٢٦.

(٧) الْمَقَاصِدُ وَشَرْحُهُ لِلتَّفْتَازَانِيِّ ج ٥ ص ٦١ وَلَوَامِعُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ٢ ص ٢٦٧.

صَلَحَ الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، كما نطق به الْحَدِيثُ الصَّحِيحُ، قال ﷺ: (إِنْ أَبْعَدَ النَّاسُ مِنْ اللَّهِ الْقَلْبُ الْقَاسِي) ^(١).

ولأن الغلظة والشدة وعدم اللين مع الناس، يوجب النُّفْرَةَ مِنَ النَّبِيِّ، لذلِكَ يَقُولُ الله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ - آلِ عِمْرَانَ ١٥٩.

وَأخيراً:

فإن هَذِهِ الصفات التي مرت بنا الواجبة للأنبياء، تعني اتصافهم بكل كَمَالِ إنساني، وتنفي عنهم كل نقص بشري، لأن النُّبُوءَةَ أَشْرَفَ مناصب الخلق، ومقتضية لَغَايَةِ الإِجْلَالِ اللائق بها، فيعتبر لها انتفاء ما ينافي ذلِكَ ^(٢).

لذا يستحيل على الأنبياء أصداد الصفات المتقدِّمة الواجبة في حقهم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فيستحيل عليهم:

ما هو ضد العِصْمَةِ، مثل الخيانة والكذب والكفر وارتكاب الذنوب.

وما هو ضد التبليغ، مثل كتمان ما أمروا بتبليغه.

وما هو ضد الفَطَانَةَ، مثل البلادة والغفلة والَبَلَاهَةُ ^(٣).

وما هو ضد السَّلَامَةَ من النقائص، كالعيوب التي تُخِلُّ بالشخصية، التي تُخِلُّ بحكمة بعثتهم رسلاً مبشرين ومُنْذِرِينَ.

(١) المُسَامَرَةُ ص ٢٢٦.

وَحَدِيث: إِنْ أَبْعَدَ النَّاسُ... إلخ، في: سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ في: ٣٣ كتاب الزهد، ٦٢ باب منه، رقم ٢٤١١، ص ٣٩٤، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ.

(٢) المُسَامَرَةُ ص ٢٢٧.

(٣) شَرْحُ الْخَرِيدَةِ لِلدَّرْدِيرِ ص ١٠٠-١٠١. وانظر: شَرْحُ الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ٢٠٤.

الوحي

الوحي لغةً: قال أبو إسحاق: أصل الوحي في اللغة كلها إعلام في خفاء. ولذلك صار الإلهام يسمى وحيًا، قال الأزهرى: وكذلك الإشارة والإيماء يسمى وحيًا، والكتابة تسمى وحيًا... وكل هذا إعلام، وإن اختلفت أسباب الإعلام فيها^(١).

والوحي اصطلاحاً: هو أن يُعلم الله تعالى من اصطفاه من عباده كل ما أراد اطلاعه عليه من ألوان الهداية والعلم، ولكن بطريقة سرية خفية غير معتادة للبشر^(٢).

سئل الزهري عن الوحي فقال: الوحي ما يوحى الله إلى نبي من الأنبياء، فيشبهه في قلبه، فيتكلم به ويكتبه، وهو كلام الله. ومنه ما لا يتكلم به، ولا يكتبه لأحد، ولا يأمر بكتابته، ولكنه يحدث به الناس حديثاً، ويبين لهم أن الله أمره أن يبينه للناس، ويبلغهم

(١) لسان العرب مادة (وحي).

من المعاني اللغوية لكلمة (الوحي) في القرآن الكريم ما يأتي:

أ- الكلام الخفي: ومنه قوله تعالى: ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً﴾ - الأنعام ١١٢، أي: يُسرّ بعضهم إلى بعض.

ب- الإلهام: ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ - النحل ٦٨، أي: أَلْهَمَ النَّحْلَ.

ج- الإشارة: ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيّاً﴾ - مريم ١١، أي: أشار إليهم.

د- الأمر: ومنه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَطِيعُوا أَرْوَاحَ الْمُرْسَلِينَ﴾ - الزلزلة ٥.

انظر: المفردات للراغب، مادة (وحي).

وذكر القاضي عياض في الشفا ج ١ ص ٢٥٢ قولين في أصل الوحي: أولهما: الإسراع، ومنه تلقي النبي لأنه على عجل، ومنه الإلهام، ومنه الخط لسرعة حركة اليد.... وثانيهما: السر والإخفاء ومنه الإلهام، وإيحاء الشياطين، أي: وسوستهم.

(٢) مناهل العرفان ج ١ ص ٥٦.

إياه^(١).

فإذا أُطلق (الوحي) في لسان أهل الشَّرْع انصرف إلى التَّعْلِيمِ السَّرِيِّ الصادر من الله تعالى الوارد إلى الأنبياء، فهو أخص من المعنى اللُّغَوِيِّ بخصوص مصدره ومورده^(٢).

أنواع الوحي

جمع أنواع الوحي قوله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ لِنَشْرِ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ﴾ - الشُّورَى ٥١.

تفيد هذه الآية الكَرِيمَةَ أنه: ما صح لأحد من البشر أن يكلمه الله إلا على أحد ثلاثة أوجه^(٣):

الوجه الأول: وَحْيًا. أي: إما عن الوحي وهو:

أ- الإلهام والقذف في القلب: كما أوحى الله تعالى إلى أمِّ مُوسَى أن أرضعيه، ومنه قوله ﷺ: (إن رُوحَ القُدُس نَفَثَ في رُوعِي: أن نفساً لن تموت حتى تستكمل أجلها وتستوعب رزقها...).

ب- الرؤيا في المنام: كما أوحى الله إلى إِبْرَاهِيمَ بذبح ولده إِسْمَاعِيلَ، ومنه مبدأ وَحْيِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ الرؤيا الصالحة في النوم، وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، كما جاء في الحديث الصحيح.

(١) الإثْنَان ص ١٢٠، وفيه: أَخْرَجَهُ ابن أبي حَاتِمٍ من طريق عُقَيْلٍ عن الزُّهْرِيِّ.

(٢) الْمُخْتَار من كنوز السُّنَّة النَّبَوِيَّة ص ١.

(٣) قال الإمام الرَّازِي في تَفْسِيرِ هَذِهِ الآية ج ٢٧ ص ١٨٧: (واعلم أن كل واحد من هذه الأقسام الثلاثة وحي، إلا أنه تعالى خصص القسم الأول باسم الوحي لأن ما يقع في القلب على سَبِيلِ الإلهام، فهو يقع دفعة، فكان تخصيص لفظ الوحي به أولى. فهذا هو الكلام في تَمْيِيزِ هَذِهِ الأقسام بعضها عن بعض). وانظر أقوالاً أخرى أيضاً في: سُبُلُ الْهُدَى وَالرَّشَاد ج ٢ ص ٣٥٢.

الوجه الثاني: أو من وراء حجاب. أي: وإما على أن يسمعه من غير واسطة مبلغ، كما أسمع الله تعالى مُوسَى كلامه من غير واسطة، وكذا الملائكة الذين كلمهم الله تعالى في خلق آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

الوجه الثالث: أو يرسل رَسُولاً. أي: وإما على أن يرسل إليه رَسُولاً من الملائكة، فيبلغ ذَلِكَ الْمَلَكُ ذَلِكَ الْوَحْيَ إِلَى الرَّسُولِ الْبَشَرِيِّ. وَرَسُولُ الْمَلَائِكَةِ هُوَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ^(١).

أَسَالِيبُ نَزُولِ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ

لنَزُولِ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ ﷺ أَسَالِيبُ مُخْتَلِفَةٌ هِيَ:

أ- أن يَأْتِيَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ عَلَى صُورَتِهِ الْحَقِيقِيَّةِ الْمَلَكِيَّةِ.

ب- أن يَأْتِيَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ عَلَى صُورَةِ رَجُلٍ فِيكَلِّمُهُ، كَمَا فِي الصَّحِيحِ: (وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِي الْمَلَكُ رَجُلًا فَيَكَلِّمُنِي، فَأَعْيِي مَا يَقُولُ). وزاد أَبُو عَوَانَةَ فِي صَحِيحِهِ: (وَهُوَ أَهْوَنُهُ عَلَيَّ).

فَإِذَا الْخَاضِرُونَ وَيَسْتَمْعُونَ إِلَيْهِ، كَمَا فِي حَدِيثِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ

(١) انظر: تَفْسِيرُ الرَّازِيِّ ج ٢٧ ص ١٨٦ وَتَفْسِيرُ الْقُرْطُبِيِّ ج ٨ ص ٥٨٧٣ وَرُوحُ الْمَعَانِي لِلْأَلَوْسِيِّ ج ٢٥ ص ٥٤ وَزَادَ الْمَعَادِ ج ١ ص ١٨ وَالْإِتْقَانُ ص ١٢٠.

وَحَدِيثُ: إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ... إلخ، رواه أَبُو نُعَيْمٍ فِي الْحِلْيَةِ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ. / الْجَامِعُ الصَّغِيرُ ص ١٣٨ وَضَعْفَةُ السُّيُوطِيِّ.

الرُّوْعُ (بِضْمِ الرَّاءِ): الْعَقْلُ وَالْقَلْبُ.

وَحَدِيثُ: أَوَّلُ مَا بَدَأَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةَ... إلخ، فِي: صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ فِي: ١ كِتَابُ بَدْءِ الْوَحْيِ، ٣ بَابُ، رَقْمُ ٣، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ فِي: ١ كِتَابُ الْإِيمَانِ، ٧١ بَابُ بَدْءِ الْوَحْيِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، رَقْمُ ١٦٠، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي ﷺ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام... إلخ).

وكان قد سأل النبي ﷺ عن الإسلام والإيمان وأمارات الساعة، ورَسُولُ الله ﷺ يجيبه، حتى إذا انتهى من أسئلته وذهب، قال رَسُولُ الله ﷺ: (فإنه جبريل عليه السلام، أتاكم يعلمكم دينكم).

ج- أن يأتي إلى النبي ﷺ خفية دون أن يراه أحد، فيظهر عليه أثر التغير والانفعال.

والرَسُولُ ﷺ يصف حالته عند الوحي فيقول: (أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده علي، فيفصم عني، وقد وعيت عنه ما قال).

قال الخطابي: والمُرَاد أنه صوت متدارك يسمعه، ولا يتبثته أول ما يقرع سمعه، حتى يفهمه من بعد ذلك.

والحكمة في تقدمه: أن يفرغ سمعه للوحي، فلا يبقى فيه مكان لغيره.

وفي الصحيح كما تقدم آنفاً أن هذه الحالة أشد حالات الوحي عليه.

قيل: إنه إنما كان ينزل هكذا، إذا نزلت آية وعيد أو تهديد^(١).

(١) الإثقان، وزاد المعاد، السابقان، وإرشاد الساري ج ١ ص ٥٨ وشرح صحيح مسلم للنووي بهامش إرشاد الساري ج ٩ ص ١٨٣.

وحديث: وأحياناً يتمثل لي الملك... إلخ، في: صحيح البخاري في: ١ كتاب بدء الوحي، ٢ باب، رقم ٢، بهذا اللفظ، عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا. و٥٩ كتاب بدء الخلق، ٦ باب ذكر الملائكة، رقم ٣٢١٥، عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا. وصحيح مسلم في: ٤٣ كتاب الفضائل، ٢٣ باب عرق النبي ﷺ في البرد وحين يأتيه الوحي، رقم ٢٣٣٣، عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

وحديث: بينما نحن عند رَسُولِ الله ﷺ ذات يوم... إلخ، في: صحيح مسلم في: ١ كتاب الإيمان، أول باب الإيمان والإسلام والإحسان...، رقم ٨، عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وسَيأتي كلام آخر عن أحوال النَّبِيِّ ﷺ عند الْوَحْيِ، وَذَلِكَ عند الْكَلَامِ عن الْوَحْيِ (الْوَحْيِ أمر خارج عن النفس) بعد قليل.

كَيْفِيَّةُ الْوَحْيِ وَنُزُولُهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ

العلم بكيفية الْوَحْيِ سرٌّ من الأسرار التي لا يدرك كيفيتها العقل، وَسَمَاعُ الْمَلِكِ من الله تعالى ليس بِحَرْفٍ أو صوت، بل يخلق الله تعالى للسامع علماً ضرورياً. فكما أن كلامه تعالى ليس من جنس كلام البشر، فَسَمَاعُهُ الذي يخلقه لِعَبْدِهِ ليس من جنس سَمَاعِ الْأَصْوَاتِ^(١).

وَلِنُزُولِ الْوَحْيِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ طَرِيقَانِ:

أحدهما: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ انْخَلَعَ من صورة الْبَشَرِيَّةِ إِلَى صورة الْمَلَكِيَّةِ، وَأَخَذَهُ من جِبْرِيلَ.

وثانيهما: أَنَّ الْمَلِكَ انْخَلَعَ إِلَى الْبَشَرِيَّةِ حَتَّى يَأْخُذَهُ الرَّسُولُ مِنْهُ^(٢).

وفي الحالتين صعوبة وشدة على الْجِبَلَةِ الْبَشَرِيَّةِ، لِذَلِكَ كَانَ يَحْدُثُ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ غَيْبَةٌ وَغَطِيطٌ^(٣).

وَحَدِيثٌ: أَحْيَاناً يَأْتِينِي مِثْلُ صَلَاصَةِ الْجَرَسِ... إلخ، فِي الْحَدِيثِ الْمُتَقَدِّمِ: (وَأَحْيَاناً يَتَمَثَّلُ لِي الْمَلِكُ رَجُلًا...)، وَتَحْرِيجُهُ هُنَاكَ.

(١) إِرْشَادُ السَّارِي ج ١ ص ٥٩.

(٢) الْإِثْقَانُ ص ١١٨ وَالْوَحْيُ الْمُحَمَّدِيُّ ص ٨٣ وَفِيهِ قَوْلُ ابْنِ خَلْدُونِ. وَإِرْشَادُ السَّارِي ج ١ ص ٥٩ وَسُبُلُ الْهُدَى وَالرَّشَادُ ج ٢ ص ٣٤٢.

(٣) إِرْشَادُ السَّارِي ج ١ ص ٦٠.

الْجِبَلَةُ: الْخِلْقَةُ وَالطَّبِيعَةُ وَالْغَرِيزَةُ. / الْمُضْبَّاحُ الْمُئَيَّرُ مَادَّةُ (جَبَلْ)، وَالْقَامُوسُ الْمُحِيطُ مَادَّةُ (الْجَبَلْ).

الْغَطِيطُ: تَرَدُّدُ النَّفْسِ صَاعِداً إِلَى الْخَلْقِ حَتَّى يَسْمَعَهُ مِنْ حَوْلِهِ. / الْمُضْبَّاحُ الْمُئَيَّرُ مَادَّةُ (غَطَى).

وصورة اندماج النَّبِيِّ بِالْمَلَكِ يمكن أن يتصورها الذهن، حين يتصور التنويم المغناطيسي، الذي كَشَفَهُ الدكتور مسمر الألماني في القرن الثامن عشر، وأقام عليه البراهين، حتى اعترف به العُلَمَاءُ عِلْمِيًّا، بعد أن اختبروا الآلاف من الخلق، وله في الغرب أنصار كثيرون، وله دور وكتب ومستشفيات يؤمها الناس للتداوي به.

وفيه يسيطر الأستاذ المنوم على الوَسِيط بإيجاءاته، فيغط الوَسِيط بنومه، فيسأله عما يريد، فيجد الجواب حاضراً، وقد يأمره أو ينهيه، فينفذ الوَسِيط ذلك ولو بعد صحوه. ولا بد أن يكون بين نفسين مختلفي الطبائع أحدهما أقوى إرادة من الأخرى، فلا يستطيع امرؤ أن يقوم بهذه التجربة على نفسه.

فالتنويم المغناطيسي يقرب أمر الوَحْي، فاتصال الملك بالرسول يؤثر به لاستعداد خاص فيهما، ففي الملك قوة الإلقاء والتأثير لأنه روحاني محض، والثاني فيه قابلية التلقّي عن هذا الملك، لصفاء روحانيته وطهارة نفسه المناسبة لطهارة الملك، وعند تسلط الملك ينسلخ الرسول عن حالته العادية، فيظهر التغير عليه، فيتلقّى من الملك، وينطبع في قلبه ما تلقاه، حتى إذا انجلى عن الوَحْي، وجد ما تلقاه منقوشاً على قلبه، لا ينساه^(١).

ثم إننا لم نجد ما يدفع هذا الاتصال بين الملك والنبي، بدليل:

أن العلم الحديث يَسَّرَ لنا الأجهزة العلمية، التي أدركنا بها ما كان مجهولاً من قبل. فمن هذه الأجهزة ما سجل تصادم الأشعة الكونية في الفضاء، ومنها ما يدلُّنا على صوت ذباب طائر على بعد بضعة أميال، وكأنه يطير عند أذنك، وهذه الآلات الحديثة تستطيع إدراك ما لا يمكننا سَماعه بالطرق السمعية التقليدية.

وهذه الطاقة غير العادية للسمع لا تخص الآلات العلمية الحديثة وإنما وهبها الله

(١) مناهل العرفان ج ١ ص ٥٩-٦٠ وفيه أمثلة عن تجارب التنويم المغناطيسي، والنبأ العظيم ص ٧٥-٧٦.

تعالى لبعض الحيوانات.

فالكلب يستطيع أن يشم ريح الحيوان الذي مر من الطريق، وقد استُغلت هذه الحاسة لكشف المجرمين، فالقفل الذي كسره اللص يشمه الكلب المدرب، ثم يقتفي أثره، فيميزه من بين الآلاف.

وحشرة (العُثَّة) مَجَنَّة، لو وضعتها على نافذة فستحدث صوتاً يسمعه قرينها على مسافة بعيدة جداً، ويجيبها بطريقته الخاصة.

والجُنْدُب يحك رجليه وجناحيه، ويصوت بطريقة غير عادية، ويسمع على بُعد نصف ميل.

ولأبي النبطية قدرة خارقة، فهو يسمع ويحس بالحركة التي تحدث في نصف قطر من ذرة الهيدروجين....

وهناك أمثلة أخرى كثيرة تدل على أن هناك وسائل غير مرئية لدى ذوي الحواس الخاصة، وإذا كان الأمر كذلك فلا غرابة في ادعاء النبي أنه يسمع صوتاً من ربه لا يدركه عامة الناس، ما دام من الممكن أن توجد في هذا العالم حركات وأصوات لا يسمعها الإنسان، ولكن تسجلها الآلات، وما دامت هناك رسائل تدركها حيوانات دون أخرى^(١).

الْوَحْيُ أَمْرٌ خَارِجٌ عَنِ النَّفْسِ

الاعتقاد بالوحي الإلهي هو الأساس الذي يبنى عليه الإيمان بالنبوءات، وهو الطريقة التي جاءت بها العقائد والأحكام الشرعية وغيرها.

لذلك اهتم كثير من أعداء الإسلام بإثارة الشكوك حول الوحي مقتفين أثر جهلاء قريش، وسفهاء المشركين في ادعاءاتهم الملققة بالكاذبة حول الرسول الأعظم ﷺ،

(١) الإسلام يتحدى ص ٩٦-٩٧.

حين قالوا عنه: إنه ساحر أو مجنون أو شاعر.

حتى قال هؤلاء من المستشرقين^(١) وغيرهم: إن الوحي ما هو إلا حديث النفس وإلهامها.

أما نحن فنعتقد: أن الوحي ليس هو من قبيل الحدس، والشعور الباطني، ودلالات النفس، والفراسة السريعة، التي غالباً ما تتأثر بالرياضات الروحية، والتفكير المستديم الطويل. أي: إنه ليس من قبيل الوحي النفسي، الذي هو الإلهام الفائض من استعداد النفس العالية والسريرة الطاهرة^(٢).

لأن هذه لا تنشئ المعرفة التامة واليقين الكامل، الذي لا ريب فيه فلا تسمو بصاحبها إلى درجة النبوة.

بل إن الوحي هو (أمر طارئ زائد على الطباع البشرية)^(٣)، خارجي عن النفس والباطن، لا يخضع لأي تأثير يطرأ عليهما، يتلقاه النبي ﷺ من الذات الإلهية، بواسطة الملك الموكل بذلك.

والذي يدقق النظر في كيفية الوحي ومعالمه، وما يطرأ على النبي ﷺ من ظواهر، يدرك أن الوحي لا يتصل بهوى النفس. يتضح ذلك في الأمور الآتية^(٤):

١- حين جاء الملك جبريل في غار حراء إلى النبي ﷺ أمره بالقراءة - وهو

(١) انظر: تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ج ١ ص ١٣٤.

(٢) الكلام عن الوحي النفسي في: الوحي المحمدي ص ٦٦.

(٣) إرشاد الساري ج ١ ص ٦٠.

(٤) انظر: الوحي المحمدي ص ٨٩ وما بعدها، ومناهل العرفان ج ١ ص ٥٦ وما بعدها،

وج ٢ ص ٢٨٥ وما بعدها، والنبأ العظيم ص ٢٠ وما بعدها، والظاهرة القرآنية ص ١٦٥ وما

بعدها، ومباحث في علوم القرآن ص ٢٢ وما بعدها، وكبرى اليقنيات الكونية ص ١٩٨ وما

بعدها، والرسول لسعيد حوى ج ٢ ص ١٣ وما بعدها.

أُمِّي - كما جاء في الصَّحِيح: (فقال - له جِبْرِيلُ - اقرأ^(١)). قال: ما أنا بقارئ، قال: - أي: النَّبِيُّ ﷺ - فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقرأ. قلتُ: ما أنا بقارئ. فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ، حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقرأ. فقلتُ: ما أنا بقارئ. فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾﴾ - العَلَق.

فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرْجُفُ فَوَّادُهُ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَقَالَ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي، فَرَمَلُوهُ، حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ. فَقَالَ لَخَدِيجَةَ، وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ: (لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي)^(٢).

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى لِلْبُخَارِيِّ: (فَجِئْتُ مِنْهُ رُعباً)^(٣)، وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى: (فَجِئْتُ

(١) الأمر بالقراءة أمر تكوين لا تكليف، أي: كن قارئاً. ولذلك قال له في الثالثة: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ﴾ - العلق ١، أي: كن قارئاً باسمه ومن قبله وبإقداره إياك على القراءة، لا بحولك وقوتك، فهو يعلم أنك أُمِّي، أما وقد شاء ربك أن يخلق الإنسان من عَلَقٍ، ويجعله بَصِيراً وَسَمِيعاً، شاء أن يجعلك قارئاً، لما يوحيه إليك، لتقرأه على الناس، فأنت تكون قارئاً. / الوَحْيُ الْمُحَمَّدِيُّ هَامِش ص ٨٥.

وَعَطَّ جِبْرِيلُ الرَّسُولَ ﷺ لِيَفْرَغَهُ عَنِ النَّظَرِ إِلَى أُمُورِ الدُّنْيَا، وَيُقْبَلَ بِكُلِّيَّتِهِ إِلَى مَا يُلْقَى إِلَيْهِ، وَكَرَّرَهُ لِلْمُبَالَغَةِ، وَقِيلَ: غَيْرُهُ. / إِرْشَادُ السَّارِي ج ١ ص ٦٣.

(٢) حَدِيثٌ: فَقَالَ: اقرأ. قال: ما أنا بقارئ... إلخ، في: صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ في: ١ كتاب بدء الوَحْيِ، ٣ باب، رقم ٣، بهذا اللفظ، عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وَصَحِيحُ مُسْلِمٍ في: ١ كتاب الإيمان، ٧١ باب بدء الوَحْيِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، رقم ١٦٠، عن عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ.

عَطَّنِي: ضَمَّنِي بِشِدَّةٍ وَعَصْرَنِي.

(٣) كلمة: (فَجِئْتُ مِنْهُ رُعباً)، في: صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ في: ٦٥ كتاب التَّفْسِيرِ - تَفْسِيرُ سُورَةِ الْمُدَّثِّرِ، ٤ باب ﴿وَبَابُكَ فَطَمَرْتُ﴾ - الْمُدَّثِّرُ ٤، رقم ٤٩٢٥، عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

منه حتى هَوِيْتُ إِلَى الْأَرْضِ^(١)، وَجِئْتُ بِمَعْنَى: فزعتُ وخفتُ.

فلجأت زوجته خَدِيجَةَ لَتُطْمِئِنَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى نَفْسِهِ، وَتَطْمِئِنَّ هِيَ عَلَيْهِ، إِلَى سُؤَالِ ابْنِ عَمِّهَا وَرَقَّةَ بْنِ نَوْفَلٍ، الَّذِي قَرَأَ كِتَابَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى فطمأنهما، وَقَالَ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى.

فَضَمَّ جَبْرِيلُ لِلنَّبِيِّ ﷺ بِشَدَّةٍ، وَأَمَرَهُ بِالْقِرَاءَةِ ثَلَاثًا، تَأْكِيدًا لِهَذَا التَّلَقِّيِ الْخَارِجِيِّ، وَنَفْيًا كَوْنِهِ خَيَالِيًّا، وَلِذَلِكَ أَسْرَعَ إِلَى زَوْجَتِهِ خَائِفًا مِنْ هَوْلِ مَا رَأَى، فَقَالَ لَهَا: (زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي)، فَدَثَرُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ.

ويعاوده الوحي بعد مدة، يأمره ﴿يَأْتِيهَا الْمُدَّثِّرُ ١﴾ ﴿فَرَأَنذَرْتُ ٢﴾ - المُدَّثِّرُ، فَقَالَ لَخَدِيجَةَ مَتَحِيرًّا: لَقَدْ أَمَرَنِي جَبْرِيلُ أَنْ أَنْذِرَ النَّاسَ، فَمَنْ ذَا أَدْعُو، وَمَنْ ذَا يَسْتَجِيبُ؟ وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْوَحْيَ أَمْرٌ خَارِجِيٌّ عَنْ نَفْسِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى بِوَاسِطَةِ الْمَلَكِ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

٢- الظواهر التي تصاحب النبي ﷺ حين يوحى إليه، تشهد أن الوحي لم يكن من قبيل حَدِيثِ النَّفْسِ مِنْهَا:

أ- يَسْمَعُ النَّبِيُّ ﷺ صَلَصلةً شَدِيدَةً عَلَيْهِ، كَصَلَصلةِ الْجَرَسِ الْمُتَّصِلَةِ الشَّدِيدَةِ الْمَتَدَارِكَةِ. قَالَ ﷺ: (أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلُ صَلَصلةِ الْجَرَسِ، وَهُوَ أَشَدُّ عَلَيَّ، فَيُفْصَمُ عَنِّي، وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ)^(٢).

(١) كلمة: (فَجِئْتُ مِنْهُ حَتَّى هَوِيْتُ إِلَى الْأَرْضِ)، فِي: صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ فِي: ٦٥ كِتَابِ التَّفْسِيرِ - تَفْسِيرُ سُورَةِ الْمُدَّثِّرِ، ٥ بَابُ قَوْلِهِ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْهَا مُجِرَّوْنَ﴾ - المُدَّثِّرُ ٥، رَقْمُ ٤٩٢٦، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) حَدِيثٌ: أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلُ صَلَصلةِ الْجَرَسِ... إلخ، تَقَدَّمَ آنِفًا.

وَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ ج ٢ ص ٢٢٢: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ هَلْ تَحْسُ بِالْوَحْيِ؟ فَقَالَ: نَعَمْ أَسْمَعُ صَلَاصِلَ ثُمَّ أَسْكُتُ عِنْدَ ذَلِكَ، فَمَا مِنْ مَرَّةٍ يُوْحَى إِلَيَّ، إِلَّا ظَنَنْتُ أَنَّ نَفْسِي تَفِيضُ.

ب- يَتَفَصَّدُ عَرَقًا فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ:

فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: (وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ، فَيُفْصَمُ عَنْهُ، وَإِنْ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا)^(١).

ج- يَغِطُّ فِي رَأْسِهِ، وَيَتَرَبَّدُ وَجْهَهُ، (أَي: يَتَغَيَّرُ فَيَصْبِحُ كُلُّونَ الرَّمَادِ):

قَالَ عَبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (كَانَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ إِذَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ كُرِبَ لَذَلِكَ، وَتَرَبَّدَ وَجْهُهُ)^(٢).

لَذَلِكَ كَانَ يُسْتَرُ وَجْهَهُ بِثَوْبٍ عِنْدَ نُزُولِ الْوَحْيِ عَلَيْهِ، وَلَهُ غَطِيطٌ مِنَ الْأَلَامِ الَّتِي

(١) حَدِيثٌ: وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ... إلخ، فِي: صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ فِي: ١ كِتَابُ بَدْءِ الْوَحْيِ، ٢ بَابُ، رَقْمُ ٢.

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ فِي: ٤٣ كِتَابُ الْفَضَائِلِ، ٢٣ بَابُ عَرَقِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْبَرْدِ وَحِينَ يَأْتِيهِ الْوَحْيُ، رَقْمُ ٢٣٣٣، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: (إِنْ كَانَ لَيُنْزَلُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْعِدَّةِ الْبَارِدَةِ، ثُمَّ تَفِيضُ جَبْهَتُهُ عَرَقًا). وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ فِي: ٤٩ كِتَابُ التَّوْبَةِ، ١٠ بَابُ فِي حَدِيثِ الْإِفْكِ...، رَقْمُ ٢٧٧٠، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: (... حَتَّى أُنْزِلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ فَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنَ الْبُرْحَاءِ عِنْدَ الْوَحْيِ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِثْلُ الْجَمَانِ مِنَ الْعَرَقِ فِي الْيَوْمِ الشَّاتِ، مِنْ ثَقَلِ الْقَوْلِ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْهِ). وَهُوَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ فِي: ٥٢ كِتَابُ الشَّهَادَاتِ، ١٥ بَابُ تَعْدِيلِ النِّسَاءِ بَعْضُهُنَّ بَعْضًا، رَقْمُ ٢٦٦١، عَنْ عَائِشَةَ. وَفِي: ٦٤ كِتَابُ الْمَغَازِي، ٣٤ بَابُ حَدِيثِ الْإِفْكِ، رَقْمُ ٤١٤١، عَنْ عَائِشَةَ. ٦٥ كِتَابُ التَّفْسِيرِ - سُورَةُ النُّورِ، ٦ بَابُ: ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ...﴾ - النُّورُ ١٦، رَقْمُ ٤٧٥٠، عَنْ عَائِشَةَ.

(٢) حَدِيثٌ: كَانَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ إِذَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ... إلخ، فِي: صَحِيحِ مُسْلِمٍ فِي: ٤٣ كِتَابُ الْفَضَائِلِ، ٢٣ بَابُ عَرَقِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْبَرْدِ...، رَقْمُ ٢٣٣٤.

وَفِي رَوَايَةٍ أُخْرَى بَعْدَهَا فِي رَقْمِ ٢٣٣٥، عَنْ عَبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ: (كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ، نَكَسَ رَأْسَهُ، وَنَكَسَ أَصْحَابُهُ رُؤُوسَهُمْ، فَلَمَّا أُتْلِيَ عَنْهُ - أَيْ: ارْتَفَعَ عَنْهُ الْوَحْيُ - رَفَعَ رَأْسَهُ).

يعانيها من الوحي.

فعن يَعْلَى بن أُمَيَّة: أن رجلاً أتى النبي ﷺ وهو بالجعرانة، وعليه جُبَّة، وعليه أثر الخُلُق، أو قال: صُفْرَة، فقال: كيف تأمرني أن أصنع في عُمَرَتِي؟ فأنزل الله على النبي ﷺ، فسُتِر بثوب، وودِدْتُ أَنِّي قد رأيتُ النبي ﷺ وقد أنزل عليه الوحي، فقال عُمَر: تعال، أيسرك أن تنظر إلى النبي ﷺ وقد أنزل الله الوحي؟ قلت: نعم. فرفع طَرَف الثوب، فنظرتُ إليه، له غَطِيطٌ، وأحسبُه قال: كَغَطِيطِ الْبَكْرِ. فلما سُرِّي عنه، قال: أين السائل عن العُمرة؟ اخْلَعْ عنك الجُبَّة، واغسِلْ أثر الخُلُق عنك، وأَنْقِ الصُّفْرَة، واصنع في عُمَرَتِكَ كما تصنع في حَجِّكَ^(١).

د- يسمع الصَّحَابَة عند وجه النبي ﷺ حين الوحي دَوِيًّا شديدًا، كدَوِي النَّحْلِ حين ينطلق من خليته. قال عُمَر بن الْخَطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (كان النبي ﷺ إذا أنزل عليه الوحي، سُمِعَ عند وجهه كدَوِي النَّحْلِ)^(٢).

هـ- يثقل جسمه ﷺ عليه:

ففي حَدِيث الْبُخَارِيِّ عن ابن عَبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (كان رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعَالَج من التنزيل - أي الْقُرْآنِي لِثِقَلِهِ عليه - شدةً).

وسياتي الْحَدِيث بلفظه كاملاً بعد قليل.

وفي زاد المعاد: يذكر حال نُزُولِ الْوَحْيِ عليه ﷺ: (حتى إن رَاحِلَتَهُ لَتَبْرُكُ به إلى

(١) حَدِيث يَعْلَى بن أُمَيَّة: أن رجلاً... إلخ، في: صَحِيح الْبُخَارِيِّ في: ٢٦ كتاب الْعُمَرَة، ١٠ باب يَفْعَلُ في الْعُمَرَة مَا يَفْعَلُ في الْحَجِّ، رقم ١٧٨٩.

الْخُلُق: نوع من الطَّيْب.

الْبَكْر: الْفَتَى من الإبل.

(٢) حَدِيث عُمَر بن الْخَطَّاب: كان النبي ﷺ... إلخ، في: سُنَن التِّرْمِذِيِّ في: ٤٣ كتاب تَفْسِير الْقُرْآن، ٢٣ باب ومن سورة الْمُؤْمِنِينَ، رقم ٣١٧٣، ص ٥٠٤.

الأرض، إذا كان راکبها، ولقد جاء الوحي مرة كذلك وفخذه على فخذ زيد بن ثابت فثقلت عليه، حتى كادت ترثها^(١).

وهذا مصداق قوله تعالى: ﴿إِنَّا سُلِقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ - المزمّل ٥.

ولا يحتمل هذا الثقل إلا نبي، ليرتاض جسده على تحمل عبء النبوة.

كل هذه الظواهر من الآلام، والغطيط، وتربّد الوجه، وتفصّد العرق في اليوم الشديد البرد... تدل على أن الوحي مستقل عن نفس مُحَمَّد ﷺ، لأن حديث النفس والإلهام والتأمل لا يستدعي ظهورها.

٣- الوعي الكامل والحفظ المضبوط لما أنزل عليه ﷺ عند الوحي وبعده.

وعرض جبريل عليه السلام القرآن الكريم كلّ سنة على النبي ﷺ، لا يدخل في هوى النفس، ولا يعتبر من إلهاماتها بأية حال.

ففي صحيح البخاري يقول النبي ﷺ: (أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده عليّ، فيفصم عني، وقد وعيت عنه ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً، فيكلّمني، فأعي ما يقول)، وتقدّم آنفاً.

ففي الحالتين يحصل الوعي الكامل لكل ما أوحى عليه.

وكان رسول الله ﷺ في أول نزول الوحي يحرك لسانه، متابعاً جبريل أثناء الوحي،

(١) زاد المعاد ج ١ ص ١٨.

وحديث الرض، في: صحيح البخاري في: ٥٦ كتاب الجهاد والسير، ٣١ باب قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾ - النساء ٩٥، رقم ٢٨٣٢، عن سهل بن سعد الساعدي. و٦٥ كتاب التفسير، ١٨ باب ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ - النساء ٩٥، رقم ٤٥٩٢، عن سهل بن سعد الساعدي.

وانظر: سُبُلُ الْهُدَى وَالرَّشَاد ج ٢ ص ٣٤٤.

يردد ما أوحى إليه مخافة أن ينساه، فطمأنه تعالى، بأن يتكفل له بحفظه، فلا مُسَوِّغَ لتحريك اللسان به، قال تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ (١٦) ﴿إِنْ عَلَيْنَا جَمْعُهُ وَقُرْآنُهُ﴾ (١٧) ﴿فَإِذَا قَرَأَهُ فَأَنبَحْ وَقُرْآنُهُ﴾ (١٨) ﴿ثُمَّ إِنْ عَلَيْنَا نَبَإَهُ﴾ (١٩) ﴿- القيامة (١)﴾.

(١) وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ. وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ - طه ١١٤.

وفي صحيح البخاري في: ١ كتاب بدء الوحي، ٤ باب، رقم ٥: (عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ - القيامة ١٦، قال: كان رسول الله ﷺ يُعالج من التنزيل - أي: القرآن ليثقله عليه - شدة، وكان مما يحرك شفتيه، فقال ابن عباس: فإنا أحررتهما لكم كما كان رسول الله ﷺ يحركهما. وقال سعيد: أنا أحررتهما، كما رأيت ابن عباس يحركهما، فحرك شفتيه، فأنزل الله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ (١٦) ﴿إِنْ عَلَيْنَا جَمْعُهُ وَقُرْآنُهُ﴾ (١٧) ﴿- القيامة، قال - أي: ابن عباس - : جمعه له في صدرك، وتقرأه. ﴿فَإِذَا قَرَأَهُ فَأَنبَحْ وَقُرْآنُهُ﴾ (١٨) - القيامة ١٨، قال: فاستمع له وأنصت. ﴿ثُمَّ إِنْ عَلَيْنَا نَبَإَهُ﴾ - القيامة ١٩، ثم إن علينا أن تقرأه. فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك إذا أتاه جبريل استمع، فإذا انطلق جبريل، قرأه النبي ﷺ كما قرأه).

وهو في صحيح مسلم في: ٤ كتاب الصلاة، ٣٢ باب الاستماع للقرآن، رقم ٤٤٨، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس.

ولذلك كان جبريل عليه السلام يلقاه في كل ليلة من رمضان، فيدارسه القرآن. ففي صحيح البخاري في: ٦٦ كتاب فضائل القرآن، ٧ باب كان جبريل يعرض القرآن على النبي ﷺ، قبل رقم ٤٩٩٧، عن عائشة رضي الله عنها عن فاطمة عليها السلام: (أسر إلي النبي ﷺ أن جبريل يعارضني بالقرآن كل سنة، وإنه عارضني العام مرتين، ولا أراه إلا حصر أجلي).

قال ابن كثير: هكذا رواه البخاري معلقاً، وقد أسنده في مواضع أخر في أحاديث عن ابن عباس (رقم ٤٩٩٧) وأبي هريرة (رقم ٤٩٩٨)، ورواه أبو داود والنسائي وابن ماجة.

والمُراد من معارضته له بالقرآن كل سنة، مقابلته على ما أوحاه إليه عن الله تعالى، وذلك حتى يكون أثبت وأرسخ. فلا ينساه. وانظر مُعارضة جبريل للنبي ﷺ بالقرآن في: فضائل القرآن لابن كثير وهو ذيل تفسيره ص ٢٦-٢٧.

٤- انقطاع الوحي وإبطاؤه عن النَّبِيِّ ﷺ، وهو يتحرَّق شوقاً إليه، دليل على أن الوحي لا يصدر عن ذاته، فلا ينزل عليه إلا إذا شاء الله. ومن أمثلة انقطاعه:

أ- بعد نُزُولِ جِبْرِيلَ بآيات ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ (١) سورة العلق، انقطع عنه ثلاثة أعوام، وفي بعض الأحاديث سنتين ونصف^(١). فحزن النَّبِيُّ ﷺ حزناً، حتى غدا منه مراراً أن يتردَّى من رؤوس شواهد الجبال، كما روى البخاري^(٢).

ب- وفتر الوحي شهراً كما في صحيح البخاري، والنبي في أشد الشوق إليه، ليحل أزمة الإفك، الذي رمى المنافقون فيه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بالفاحشة، حتى قال لها النبي ﷺ: (يا عائشة، إنه بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بذنب، فاستغفري الله)، فنزلت آيات سورة النور ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ﴾ - النور ١١، في تبرئتها بعد كلام الناس بشهر، كما ورد في الحديث المذكور: (وقد كبث شهراً لا يوحى إليه في شأني بشيء)^(٣).

والتأمل يرى أن هذا الشهر أطول من سنين، والنبي ﷺ فيه ينتظر الوحي مع القلق والشك المستديم، فلو كان الوحي ذاتياً لادعى نُزُوله حين حدث الإفك، وقطع النزاع فيه.

(١) إرشاد الساري ج ١ ص ٦٧.

(٢) في صحيح البخاري في: ٩١ كتاب التعبير، ١ باب أول ما بُدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة، رقم ٦٩٨٢، عن عائشة رضي الله عنها: (وفتر الوحي فترة حتى حزن النبي - فيما بلغنا - حزناً، غدا منه مراراً كي يتردَّى من رؤوس شواهد الجبال، فكلما أوفى منه بذروة جبل، لكي يُلقي منه نفسه، تبدى له جبريل، فقال: يا محمد إنك رسول الله حقاً، فيسكن لذلك جأشه، وتفر نفسه، فيرجع، فإذا طالت عليه فترة الوحي غداً لمثل ذلك، فإذا أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل، فقال له مثل ذلك). وانظر: إرشاد الساري ج ١ ص ١٢١.

(٣) حديث: يا عائشة، إنه بلغني... إلخ، في: صحيح البخاري في: ٦٤ كتاب المغازي، ٣٤ باب حديث الإفك، رقم ٤١٤١، عن عائشة رضي الله عنها.

ج- ولم ينزل الوحي ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً، بشأن تحويل القبلة من بَيْتِ الْمَقْدِسِ إِلَى الْكَعْبَةِ، مع حبه التحويل، فنزل الوحي بعد ذَلِكَ بِالْآيَةِ: ﴿قَدْ رَأَى نَفْلُكَ وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُؤَيِّنَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ - البقرة ١٤٤^(١).

٥- من أسباب نُزُولِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُسْأَلُ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ، فَلَا يَمْلِكُ لِلسُّؤَالِ جَوَاباً، فَيَسْكُتُ، وَقَدْ يَسْتَمِرُّ سَكَوتُهُ مَدَّةً طَوِيلَةً.

فَإِذَا نَزَلَتِ الْآيَةُ، دَعَا بِالسَّائِلِ، وَتَلَا عَلَيْهِ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ بِشَأْنِ سُؤَالِهِ.

وَكَانَ يَجِبُ أَحْيَاناً فَيَأْتِي الْوَحْيُ بِخِلَافِ جَوَابِهِ، وَفِيهِ بَعْضُ الْعِتَابِ أَوْ الْمَلَامَةِ.

فَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْوَحْيَ أَمْرٌ خَارِجِيٌّ عَنِ النَّفْسِ، إِذْ لَوْ كَانَ بَوْحِي نَفْسِي، لَا يَحْتَاجُ إِذَا سُئِلَ إِلَى أَنْتَظَارِ الْجَوَابِ، وَلَا إِلَى تَصْحِيحِ إِذَا أَجَابَ أَوَّلَ الْأَمْرِ.

٦- نَهَى النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَنْ تَدْوِينِ كَلَامِهِ إِبَانَةَ نُزُولِ الْوَحْيِ، خَشْيَةَ اخْتِلَاطِهِ بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، لِأَنَّهُ يَعْلَمُ تَمَاماً، أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامٌ أُوحِيَ إِلَيْهِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بِلَفْظِهِ وَمَعْنَاهُ، وَلَا يَمْلِكُ أَنْ يَغْيِرَ مِنْهُ حَرْفاً وَاحِداً.

وَشَتَّانَ مَا بَيْنَ أَسْلُوبِ الْقُرْآنِ، لِأَنَّهُ مِنَ اللَّهِ رَبِّ الْبَشَرِ، وَبَيْنَ أَسْلُوبِ الْحَدِيثِ، وَإِنْ كَانَ مِنَ أَفْصَحِ النَّاسِ.

(١) فِي سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ فِي: ٤٣ كِتَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ٢ بَابُ وَمِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، رَقْمُ ٢٩٦٢، ص ٤٧٤: (عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ صَلَّى نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ سِتَّةَ أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْراً، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحِبُّ أَنْ يُوجَّهَ إِلَى الْكَعْبَةِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿قَدْ رَأَى نَفْلُكَ وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُؤَيِّنَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ - الْبَقَرَةُ ١٤٤. فَوُجَّهَ نَحْوَ الْكَعْبَةِ، وَكَانَ يُحِبُّ ذَلِكَ). قَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

كَمَا ذَكَرَ هَذِهِ الْمُدَّةَ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ فِي: ٦٥ كِتَابُ التَّفْسِيرِ، ١٢ بَابُ ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّيْنَاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمْ﴾ - الْبَقَرَةُ ١٤٢، رَقْمُ ٤٤٨٦، عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ أَيْضاً.

٧- موضوع الوحي:

الرَّسُولُ ﷺ أُمِّيٌّ، لا يعرف القِرَاءَةَ والكَتَابَةَ^(١)، عاش في بيئة بدويَّة وثنية، ومَعَارِف أهلها وعُلُومهم بدائية بسيطة، لا تقارن بمَعَارِف الرُّوم وفارس.

وكان الرَّسُولُ ﷺ يَتَعَبَّد في غار حِراء، معترلاً النَّاس، ولم يكن له من علم إلَّا ما تعلمه من مجتمعه البدائي.

وهو في هُذِهِ الحال ينزل عليه الوحي بالقرآن الكريم، وفيه من الحَقَائِق التاريخية والكونية والنَّظَرِيَّات الاجتماعية والاقتصاديَّة والسياسية وغيرها مما يعالج جوانب الحياة المُخْتَلِفَة، التي لم يسبق أن فكر بها، أو ذكرها، أو اهتم بها، هو أو أي وَاحِد في عَصْرِهِ من بيئته أو غيرها.

وتلك الحَقَائِق دقيقة محددة - وسيأتي الكلام عنها في إعجاز القرآن - ليس لأحد إنكارها، حتَّى إن أحبار اليهود الذين كانوا يجادلون النَّبِيَّ ﷺ كانوا يذهلون، حين يرون القرآن يقص عليهم أنباء بني إسرائيل وأنبيائهم.

كل ذَلِكَ يَدُلُّ على أن هَذَا النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ في وسطه البدائي لا يستطيع أن يأتي بهُذِهِ التشريعات والحَقَائِق العلميَّة والغيبية من نفسه وفكره. فلا بد إذن من مصدر خارج ذات النَّبِيِّ، هو الوحي المنزل عليه من الله تعالى.

٨- الرَّسُولُ ﷺ بَشَر. وقد تقدَّمت الآيات على بشريَّة الرسل والأنبياء، وَلَكِنَّهُ يَفْتَرِقُ عن البشر بأنه أوحى الله إليه، قال سُبْحَانَهُ: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ﴾ - الكهف ١١٠ وفُصِّلَتْ ٦.

وتصدير الآيات بكلمة ﴿قُلْ﴾، التي تكررت في القرآن أكثر من ثلاثمائة مرة.

وقوله تعالى: ﴿اقْرَأْ﴾ - العلق ١.

(١) انظر كتابنا: أُمِّيَّة الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

﴿وَأَتْلُ﴾ - الكهف ٢٧.

﴿وَرَتِّل﴾ - المزمّل ٤.

دليل على أن هناك من يوجه النَّبِيَّ ﷺ إلى القول بكذا وكذا، ودليل على أن القرآن الكريم من عند الله تعالى بلفظه ومعناه.

٩- تَمَيُّزُ الرَّسُولِ ﷺ بين تجربته الإنسانية الظنية التي تحتل الشك والوهم، وبين يقينه الصادر عن الوحي، يدلّ على أنه يتلقّى ما يوحى إليه تلقياً لا يقبل الشك. وحادثة تأييد النخل شاهدة على ذلك^(١).

١٠- العتاب الشديد أو اللين، الذي جاء في القرآن الكريم للرَّسُولِ ﷺ كقوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ - عَبَسَ ١، وقوله سُبْحَانَهُ: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنَتْ لَهُمْ﴾ - التوبة ٤٣، وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَا كَأَنَّ لِيَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُنْخَفَ فِي الْأَرْضِ﴾ - الأنفال ٦٧... إلخ، مما تقدم ذكره في (عِصْمَةُ الْأَنْبِيَاءِ)، يدلّ على أن النَّبِيَّ ﷺ مُبْلَغٌ، وَأَنَّ مَا أُوحِيَ بِهِ إِلَيْهِ كَانَ أَمراً خارجياً، ولو كان نفسياً لكتمه. وما ذكر منه شيئاً يتلى على ألسنة الناس.

(١) في صَحِيح مُسْلِمٍ في: ٤٣ كتاب الفضائل، ٣٨ باب وجوب امتثال ما قاله شرعاً...، رقم ٢٣٦١، عن مُوسَى بْنِ طَلْحَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: (مَرَرْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِقَوْمٍ عَلَى رُؤُوسِ النَّخْلِ، فَقَالَ: مَا يَصْنَعُ هَؤُلَاءِ؟ فَقَالُوا: يُلْقَحُونَهُ، يَجْعَلُونَ الذَّكَرَ فِي الْأُنْثَى فَتُلْقَحُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا أَظُنُّ يُعْنِي ذَلِكَ شَيْئاً، قَالَ: فَأُخْبِرُوا بِذَلِكَ فَتَرْكُوهُ. فَأُخْبِرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِذَلِكَ فَقَالَ: إِنْ كَانَ يَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ فَلْيَصْنَعُوهُ، فَإِنِ إِنَّمَا ظَنَنْتُ ظَنًّا، فَلَا تُؤَاخِذُونِي بِالظَّنِّ، وَلَكِنْ إِذَا حَدَّثْتُكُمْ عَنْ اللَّهِ شَيْئاً، فَخُذُوا بِهِ، فَإِنِّي لَنْ أَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ).

وفي رواية له بعد هذا الحديث، رقم ٢٣٦٣: (أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ).

وفي رواية لابن مَاجَةَ في سنَّه في: ١٦ كتاب الرهون، ١٥ باب تلقيح النخل، رقم ٢٤٧١، ج ٢ ص ٨٢٥ عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (إِنْ كَانَ شَيْئاً مِنْ أَمْرِ دُنْيَاكُمْ فَشَأْنُكُمْ بِهِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أُمُورِ دِينِكُمْ فَإِلَيَّ). وقال الشَّيْخُ شُعَيْبٌ فِي تَحْقِيقِهِ سُنَنِ ابْنِ مَاجَةَ ج ٣ ص ٥٢٨: إسناده صحيح.

١١ - التهديد الشديد والإنذار المخيف الموجه من الله تعالى إلى نبيه، يدل على أن الله عز وجل هو مصدر الوحي، والنبى شخص مأمور بتبليغ ما كلفه الله به فقط.

قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ تُبَنِّتَكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ (٧٤) إِذَا لَأَذْنَنَكَ ضَعْفَ الْحَيَوةِ وَضَعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا (٧٥) - الإسراء.

وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ نَقُولُ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ﴾ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦) فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ (٤٧) وَإِنَّهُ لَنَذِكُرُ لِّلْمُنْفِقِينَ (٤٨) - الحاقة.

قال الزمخشري في تفسير آيات الحاقة: (والمعنى: ولو ادعى علينا شيئاً لم نقله، لقتلناه صبراً، كما يفعل الملوك بمن يتكذب عليهم، معاملةً بالسخط والانتقام، فصور قتل الصبر بصورته ليكون أهول، وهو: أن يؤخذ بيده، وتضرب رقبته. وخص اليمين عن اليسار، لأن القتال إذا أراد أن يوقع الضرب في قفاه، أخذ بيساره، وإذا أراد أن يوقعه في جيده، وأن يكفحه بالسيف، وهو أشد على المصوبور، لنظره إلى السيف، أخذ بيمينه)^(١).

١٢ - لو كان مصدر القرآن العظيم من ذات النبى عليه السلام ومن عبقريته وذكائه، لكان من الفخر له أن ينسب إلى نفسه، إذ لا يوجد من ينسب لغيره أنفس آثار عقله، وأعلى ما تجود به قريحته، أو أنه يدعي الألوهية لا النبوة، وشتان ما بين مقامها ومقام الألوهية، لكنه ﷺ يؤكد دائماً بأنه عبد لله وبشر، وهو يقيم الليل ويتضرع ويتوسل، فيقول في دعائه: (اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي، وإسرافي في أمري، وما أنت أعلم به مني، اللهم اغفر لي جدي وهزلي، وخطئي وعمدي، وكل ذلك عندي، اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم وأنت المؤخر، وأنت على كل شيء قدير)^(٢).

(١) تفسير الكشاف للزمخشري ج ٣ ص ٢٦٦.

(٢) حديث: اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي... إلخ، في: صحيح مسلم في: ٤٨ كتاب الذكر

١٣ - حين نزل الوحي على مُحَمَّد ﷺ يأمره بالقِرَاءَةِ وإنذار الناس، تحيّر في هذا الأمر الطارئ، وأخذ يشك، أهى النفس أم غيرها؟ فجاء قوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتَ فِي شكٍ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ - يُونُس ٩٤.

لذلك قال ﷺ بعد نزول هذه الآية: (لا أشك ولا أسأل)^(١).

هذه الأمور وغيرها جعلت النبي ﷺ يتيقن الوحي تيقناً دفعه لتحمل الأعباء الشديدة، مع إغراء المُشْرِكِينَ له بالمال والملك إذا ترك دعوته، فرفض إغراءاتهم، وقاسى هو وأصحابه الآلام، التي تنوء بها الرواسي في سبيل دعوته، وعادى أهله وقبيلته، والعرب وغيرهم، فأعلن حرباً شعواء على مُعْتَقِدَاتِهِمْ، فنصره الله تعالى على أعدائه وأظهر رسالة الإسلام في الأرض، فلم يقف أمامه عائق مهمل عظيم، ولم يصمد بوجهه جبار مهمل عتي وتجبّر.

شبهات حول الوحي^(٢)

تَقَوَّلَ البعض على النبي ﷺ فقالوا: بأن الوحي إليه هو رؤى النائم، أو افتراءات الكاذب، أو أخيلة الشاعر، أو أقاويل المجنون، وأن علمه ﷺ مستقى من بحيرا وورقة بن نوفل والحداد الرومي.

والدعاء، ١٨ باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل، رقم ٢٧١٩، عن أبي موسى الأشعري.

(١) الظاهرة القرآنية ص ١٨٨ ناقلاً الحديث عن تفسير السيوطي. وذكره ابن كثير في تفسيره ج ٢ ص ٤٣٢ عن قتادة وقال: وكذا قال ابن عباس وسعيد بن جببر والحسن البصري.

وفيه: حديث: لا أشك ولا أسأل، أخرجه عبد الرزاق وابن جرير عن قتادة.

(٢) انظر: الوحي المحمدي ص ٩٠ وما بعدها، ومناهل العرفان ج ٢ ص ٣١٧ والظاهرة القرآنية ص ١٨٢ ومباحث في علوم القرآن ص ٣٨ والرسل: سعيد حوى ج ٢ ص ١٤.

وتفصيل هذه الشبهات وردّها فيها يأتي:

١- قيل:

إِنَّ الْوَحْيَ مِنْ قَبِيلِ رُؤْيِ النَّائِمِ. وحكى القرآن الكريم هذه الشبهة بقوله سبحانه: ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَامٌ بَلْ أَفْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾ - الأنبياء ٥.

هذه الشبهة مردودة بيقظة النبي ﷺ المستديمة منذ نزول الوحي عليه.

ورواية الصحيحين: البخاري ومسلم^(١)، قاطعة في أن الوحي فاجأه وهو يقظان متأمل في الوجود وخالفه، فقال له: اقرأ، ويعصره حتى يبلغ الجهد ثلاثاً، وبعدها يذهب إلى خديجة زوجته مرتعباً، يرجف فؤاده، يقول: زملوني زملوني، فأخبرها بالخبر... . وهذا يدل على أن الوحي لو كان مناماً لزال خوفه ورعبه في اليقظة.

ويرد على هذا الزعم أيضاً ما تقدم آنفاً من الظواهر التي تبدو على الرسول ﷺ عند الوحي، والعتاب والتهديد وغيرها التي تقطع بأن الوحي لم يكن مناماً، بل هو حقيقة.

٢- وقيل:

إِنَّ الْوَحْيَ مِنْ افتراءات الكاذب. وأشارت الآية الكريمة المذكورة آنفاً إلى هذه الشبهة.

وهي شبهة مردودة بشهادة العرب قبل النبوة حتى سموه بالصادق الأمين، وكانوا يأتمنونه على أموالهم.

وكذلك بعد النبوة بشهادة العرب جميعاً من أعدائه وأنصاره، بدليل سؤال

(١) صحيح البخاري في: ١ كتاب بدء الوحي، ٣ باب، رقم ٣، عن عائشة رضي الله عنها. وصحيح مسلم في: ١ كتاب الإيمان، ٧٣ باب بدء الوحي...، رقم ١٦٠، عن عائشة رضي الله عنها.

هَرَقْلُ مَلِكِ الرُّومِ لِأَبِي سُفْيَانَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ كَمَا وَرَدَ ذَلِكَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ^(١):
(قال - أي: هَرَقْلُ - : فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت - أي: أبو سُفْيَانَ - : لا...).

وحيث أتم هَرَقْلُ أسئلته لأبي سُفْيَانَ، أجابه عن كل سؤال وجَّهه إليه، وكان جوابه عن سؤاله السابق: (وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فذكرت أن لا، فقد أعرف أنه لم يكن ليذَر الكذب على الناس ويكذب على الله).

وما جاء به القرآن من أخبار ماضية ومستقبله وتشريعات نيرة صالحة لكل زمان ومكان، يدل على أن ذلك لا يصدر من كاذب.

وقد تقرر ذلك عند الكلام عن عصمة الأنبياء وعن إعجاز القرآن في هذا الكتاب فراجع.

٣- وقيل:

إِنَّ الْوَحْيَ مِنْ أُخَيْلَةِ الشُّعْرَاءِ. وأشارت الآية الكريمة المذكورة آنفاً إلى هذه الشبهة.

وهي شبهة مردودة بما يظهر من احتقان ورعب عند الوحي، وهذا لا يظهر على الشاعر إن أراد نظم شعره، ولأن المعجزة الكبرى التي جاء بها رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هي القرآن الكريم في أسلوبه وتشريعاته وأخباره... والعرب في وقتهم أرباب الفصاحة والبلاغة بُهروا وتحيروا فيه، حين سمعوا آياته تتلى، كما أن القرآن تحداهم بأن يأتوا بمثله، فعجزوا عن ذلك كما سيأتي في إعجاز القرآن.

(١) سؤال هَرَقْلُ لِأَبِي سُفْيَانَ فِي: صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ فِي: ١ كتاب بدء الوحي، ٦ باب، رقم ٧، عن ابن عَبَّاسٍ عَنْ أَبِي سُفْيَانَ.

٤- وقيل:

إِنَّ الْوَحْيَ قَدْ صَدَرَ مِنْ مَجْنُونٍ. وأشار إلى ذَلِكَ قوله تعالى: ﴿مُعَلِّمٌ لِّلْجَنُونِ﴾ - الدخان ١٤، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ - الشعراء ٢٧.

هَذِهِ الشَّبَهَةُ تَرُدُّهَا حَالَةُ النَّبِيِّ ﷺ عِنْدَ تَلْقَى الْوَحْيِ كُلِّ مَرَّةٍ، بِكَمَالِ الْوَعْيِ، وَوُفُورَةِ النَّشَاطِ، وَقُوَّةِ الْأَعْصَابِ. وَقَوْلُهُ ﷺ لَخَدِيجَةَ: (زَمِّلُونِي) لَا يَفِيدُ أَكْثَرَ مِنْ لُجُوءِهِ إِلَى الْفِرَاشِ، لِيَسْتَرِيحَ بَعْدَ الْمَنْظَرِ الرَّهِيبِ الَّذِي رَأَاهُ.

وَلِذَلِكَ يَأْمُرُهُ بِالْقِيَامِ بِإِنذَارِ النَّاسِ ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ١﴾ ﴿فَرَأَى نُذُرًا ٢﴾ - الْمُدَّثِّرُ.

ثُمَّ إِنَّ الْمَجْنُونِ لَا يُمْكِنُهُ أَنْ يَأْتِيَ بِهَذِهِ الشَّرِيعَةِ الْمُتَكَامِلَةِ لِجَمِيعِ جَوَانِبِ الْحَيَاةِ، الَّتِي لَا يَكُونُ مَصْدَرُهَا إِلَّا الْعَقْلُ الْكَامِلُ النَّيِّرُ الْمُبِينُ.

٥- وإذا قيل:

إِنْ احْتِقَانُ الْوَجْهِ وَالشَّحُوبُ يُمْكِنُ أَنْ يَفْسَرَ بِأَنَّهُ مِنْ أَعْرَاضِ التَّشْنِجِ.

فَيُرَدُّ بِأَنَّ التَّشْنِجَ يُحْدِثُ شَلْلًا ارْتِعَاشِيًّا عِنْدَ الْفَرْدِ الْمَحْرُومِ مُوقْتًا مِنْ قَوَاهِ الْعَقْلِيَّةِ وَالْجَسْمِيَّةِ، لَكِنْ أَحْوَالُ النَّبِيِّ ﷺ حِينَ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ - كَمَا مَرَّ وَصَفُهَا -، تَشْهَدُ: أَنَّ الْوَجْهَ هُوَ وَحْدَهُ الَّذِي يَتَغَيَّرُ، بَيْنَمَا يَتَمَتَّعُ هُوَ بِحَالَةٍ عَادِيَّةٍ وَحَرِيَّةٍ عَقْلِيَّةٍ، بِحَيْثُ يَسْتَخْدِمُ ذَاكِرَتَهُ اسْتِخْدَامًا كَامِلًا خِلَالَ الْوَحْيِ، فِي حِينَ يُمَحِّىُ وَعْيُ التَّشْنِجِ وَذَاكِرَتُهُ خِلَالَ تَشْنِجِهِ.

ثُمَّ إِنَّ تِلْكَ الْأَعْرَاضَ الْجَسْمِيَّةَ الَّتِي تَظْهَرُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ حِينَ نُزُولِ الْوَحْيِ، لَا تَظْهَرُ عَلَيْهِ إِلَّا فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ الْخَاطِفَةِ لِلْوَحْيِ.

وَالْحَالَةُ الْمَرَضِيَّةُ لَا يَرِافِقُهَا تَصَبُّبُ عَرَقٍ، وَلَا يَرِافِقُهَا ظُهُورُ نَصِّ قُرْآنِيٍّ مُعْجَزٍ فِي حَدِّ ذَاتِهِ. وَقَدْ يَكُونُ سُورَةُ طَوِيلَةً كَسُورَةِ الْأَنْعَامِ، أَوْ يَكُونُ نَصًّا فِيهِ تَشْرِيعٌ دَقِيقٌ كَنَصِّ الْمَوَارِيثِ، الَّذِي يَعْتَبَرُ مِنْ أَدَقِّ النُّصُوصِ التَّشْرِيعِيَّةِ فِي الْعَالَمِ.

٦- وقيل:

إِنَّ الرَّسُولَ ﷺ تَلَقَّى عُلُومَهُ مِنَ الرَّاهِبِ بَحِيرَا، وَوَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلٍ، وَالْقَيْنَ (الْحَدَّادِ) الرَّؤُمِيِّ.

فالراهب بَحِيرَا، وهو من أتباع آريوس في التَّوْحِيدِ وينكر ألوهية الْمَسِيحِ وَعَقِيدَةَ التَّثْلِيثِ، عَلَّمَ النَّبِيَّ ذَلِكَ، حَيْثُ التَّقَى بِهِ فِي بُصْرَى بِالشَّامِ. هَذَا مُرَدُّدٌ بِمَا يَأْتِي:

أ- إِنَّ الرَّاهِبَ بَحِيرَا لَقِيَ النَّبِيَّ ﷺ مَعَ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ وَمَعْشَرٍ مِنْ قُرَيْشٍ فِي رَحْلَتِهِمَا إِلَى الشَّامِ مَرَّةً وَاحِدَةً فَقَطْ، وَكَانَ عُمُرُ النَّبِيِّ ﷺ تِسْعَ سِنِينَ، وَقِيلَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً. وَكَانَ الرَّاهِبُ بَحِيرَا قَدْ رَأَى فِي صَوْمَعَتِهِ فِي رُؤْيَاهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ جَاءَ فِي رَكْبٍ، وَقَدْ أَظْلَمَتْهُ غَمَامَةٌ، وَصَنَعَ طَعَامًا لِمَعْشَرِ قُرَيْشٍ، وَكَانَ سَابِقًا لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِمْ، وَهُمْ يَمْرُونَ بِهِ، وَدَعَاهُمْ إِلَيْهِ، فَتَخَلَّفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِحَدَاثَةِ سِنِّهِ، فَقَالَ الرَّاهِبُ لَا يَتَخَلَّفَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ عَنِّي طَعَامِي، فَأَخْبَرُوهُ بِتَخَلُّفِ الْغَلَامِ، أَيِ النَّبِيِّ ﷺ، فَأَتَوْا بِهِ، وَكَانَ يَلْحَظُهُ لِحْظًا شَدِيدًا، وَيَنْظُرُ إِلَى أَشْيَاءٍ مِنْ جَسَدِهِ، وَبَعْدَ فِرَاقِهِمْ مِنَ الطَّعَامِ دَعَا بِهِ، وَاسْتَحْلَفَهُ بِاللَّاتِ وَالْعُزَّى، لِأَنَّهُ سَمِعَ قَوْمَهُ يَحْلِفُونَ بِهِمَا، فَقَالَ لَهُ: لَا تَسْأَلْنِي بِاللَّاتِ وَالْعُزَّى، فَوَاللَّهِ مَا أَبْغَضْتُ شَيْئًا قَطُّ بَغْضَهُمَا، فَقَالَ لَهُ بَحِيرَا: فَبِاللَّهِ إِلَّا مَا أَخْبَرْتَنِي عَمَّا أَسْأَلُكَ عَنْهُ، فَقَالَ لَهُ: سَلْنِي مَا بَدَا لَكَ. وَأَخَذَ يَسْأَلُهُ عَنْ حَالِهِ فِي نَوْمِهِ وَهَيْئَتِهِ وَأَمُورِهِ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُخْبِرُهُ، فَيُوافِقُ ذَلِكَ مَا عِنْدَ بَحِيرَا مِنْ صِفَتِهِ، ثُمَّ نَظَرَ إِلَى ظَهْرِهِ، فَرَأَى خَاتَمَ النَّبُوَّةِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ. فَسَأَلَ عَمَّهُ عَنْ أَبِيهِ، فَقَالَ لَهُ: هُوَ ابْنِي، فَقَالَ لَهُ: مَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ أَبُوهُ حَيًّا. فَأَجَابَهُ: إِنَّهُ ابْنُ أَخِي. فَقَالَ لَهُ أَخِيرًا: ارْجِعْ بِهِ إِلَى بَلَدِهِ، وَاحْذَرِ عَلَيْهِ يَهُودَ، فَإِنَّهُ كَاتِنٌ لِابْنِ أَخِيكَ هَذَا شَأْنٌ عَظِيمٌ. فَاسْرِعْ بِهِ إِلَى بِلَادِهِ^(١).

وَلِلْقِصَّةِ غَيْرُ تِلْكَ الرِّوَايَةِ^(٢)، وَلَيْسَ فِي جَمِيعِ الرِّوَايَاتِ مَا يَفِيدُ أَنَّهُ ﷺ سَمِعَ شَيْئًا مِنْ

(١) سِيرَةُ ابْنِ هِشَامٍ - قِصَّةُ بَحِيرَا الرَّاهِبِ.

(٢) وَمَنْ رَوَاهَا الْحَاكِمُ فِي مُسْتَدْرَكِهِ ج ٢ ص ٦١٥-٦١٦ وَقَالَ هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ

بَحِيرًا عَنْ عَقِيدَتِهِ وَدِينِهِ.

كما أَنَّ هَذِهِ الرَّحْلَةَ الْقَصِيرَةَ - وَهُوَ صَغِيرٌ، وَوُجُودَ عَمِّهِ مَعَهُ، حِينَ التَّقَى بِبَحِيرًا - كُلُّ ذَلِكَ لَا يَعْلَمُ النَّبِيُّ التَّشْرِيعَ، وَلَا يُعْطِيهِ مَفَاتِيحَ الْغَيْبِ، لَكِنْ قَوْلُ بَحِيرًا يُؤَكِّدُ نُبُوَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ حِينَ سَأَلَهُ عَنْ أَحْوَالِهِ الْمُخْتَلِفَةِ، فَيُؤَافِقُ مَا عِنْدَ بَحِيرًا، مِنْ هَيْئَاتِ النَّبِيِّ الَّذِي بَشَّرَ بِهِ عِيسَى وَمُوسَى، فَتَنَبَّأَ أَنْ يَكُونَ لَهُ شَأْنٌ عَظِيمٌ.

ب- أَمَّا بِشَأْنُ وَرَقَةَ بْنِ نَوْفَلٍ، فَإِنَّ الثَّابِتَ فِي الصَّحِيحِ: أَنَّ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا انْطَلَقَتْ بِالنَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، - وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ جَاءَهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي حِرَاءٍ - إِلَى وَرَقَةَ بْنِ نَوْفَلٍ بْنِ أَسَدٍ، ابْنِ عَمِّهَا، وَكَانَ أَمْرًا تَنْصَرَفَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعِبْرَانِيَّ فَيَكْتُبُ مِنَ الْإِنْجِيلِ بِالْعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: يَا ابْنَ عَمِّ، اسْمَعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ. فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِخَبَرِ مَا رَأَى، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّمُوسُ - أَيُّ: أَمِينُ الْوَحْيِ جَبْرِيلُ - الَّذِي نَزَلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَدْعًا، لَيْتَنِي أَكُونَ حَيًّا، إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَوْ مُخْرِجِيَّ هُمْ؟ قَالَ: نَعَمْ. لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ

الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ. لَكِنْ عَلَّقَ الذَّهَبِيُّ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ: قُلْتُ: أَظُنُّهُ مَوْضُوعًا فَبَعْضُهُ بَاطِلٌ. / انْظُرْ: هَامِشُ الْمُسْتَدْرَكِ.

وَرَوَاهَا التِّرْمِذِيُّ فِي سُنَنِهِ فِي: ٤٥ كِتَابِ الْمَنَاقِبِ، ٣ بَابُ مَا جَاءَ فِي بَدْءِ نُبُوَّةِ النَّبِيِّ ﷺ، رَقْمٌ ٣٦٢٠، ص ٥٦٨، وَقَالَ: حَسَنٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ. وَانْظُرْهُ بِشَرْحِ عَارِضَةِ الْأَحْوَذِيِّ ج ١٣ ص ١٠٦

وَاسْتَقْصَى طَرُقَ هَذِهِ الْقِصَّةِ وَرَوَايَاتِهَا الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي السِّيَرَةِ النَّبَوِيَّةِ ج ١ ص ٢٤٣ وَمَا بَعْدَهَا وَقَالَ بَعْدَ ذَلِكَ: وَعَلَى كُلِّ تَقْدِيرٍ فَهُوَ مُرْسَلٌ، فَإِنَّ هَذِهِ الْقِصَّةَ كَانَتْ وَلِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِيهَا ذِكْرُهُ بَعْضُهُمْ اثْنَتَا عَشْرَةَ سَنَةً، وَلَعَلَّ أَبَا مُوسَى تَلَقَّاهُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، فَيَكُونُ أَبْلَغُ، أَوْ مِنْ بَعْضِ كِبَارِ الصَّحَابَةِ، أَوْ كَانَ هَذَا مَشْهُورًا مَذْكُورًا أَخَذَهُ مِنْ طَرِيقِ الْإِسْتِغَاثَةِ.

بمثل ما جئت به إِلَّا عُودِي، وَإِنْ يُدْرِكُنِي يَوْمُكَ أَنْصُرَكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا، ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةٌ أَنْ تُوْفِي^(١).

فَوَرَقَةٌ لَمْ يَلْتَقِ بِالنَّبِيِّ وَحْدَهُ، كَمَا وَرَدَ فِي الصَّحِيحِ، بَلْ كَانَتْ مَعَهُ خَدِيجَةٌ، ثُمَّ إِنَّ وَرَقَةً عَلِمَ بِمُقَارَنَةِ مَا جَرَى لِلنَّبِيِّ ﷺ بِهَا وَقَعَ لِمُوسَى، فَقَالَ لَهُ: هَذَا النَّمُوسُ، أَيُّ أَمِينِ الْوَحْيِ جِبْرِيلُ، لِأَنَّ الْوَحْيَ وَاحِدٌ لِكُلِّ الْأَنْبِيَاءِ، وَتَوَقَّعَ إِخْرَاجَهُ حِينَ يَدْعُوهُمْ. وَتَمَنَّى نَصْرَهُ أَنْثَدُ.

كُلُّ هَذَا يُدَلُّ عَلَى أَنَّ الْوَحْيَ الَّذِي نَزَلَ عَلَيْهِ وَعَلَى الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِهِ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى، الَّذِي عِلْمُهُ وَأَهْلُهُ وَهْدَاهُ، فَلَيْسَ لَوَرَقَةٍ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ سِوَى التَّصْدِيقِ بِأَنَّهُ سَيَكُونُ رَسُولُ النَّاسِ، فَكَيْفَ يَكُونُ مَصْدَرُ عِلْمِ النَّبِيِّ ﷺ؟

ج- الثَّابِتُ هُوَ أَنَّهُ حِينَ التَّقَى بِبَحِيرَا، كَانَ مَعَهُ عَمَّهُ أَبُو طَالِبٍ، وَحِينَ التَّقَى بِوَرَقَةٍ كَانَتْ مَعَهُ خَدِيجَةٌ، وَلَمْ يَكُنْ سِرًّا مَصُونًا، فَلِمَ لَمْ يَذْكُرِ الْمُؤَرِّخُونَ مَا سَمِعَهُ هَذَانِ الرِّفِيقَانِ مِنْ عُلُومِ الْأُسْتَاذِينَ: لِمَ لَمْ يَسْتَفِدْ هَذَانِ الرِّفِيقَانِ مَا اسْتَفَادَهُ مُحَمَّدٌ مِنْ هَذَيْنِ الْأُسْتَاذِينَ؟ إِنْ سَكَوتَ التَّارِيخُ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ حُجَّةٌ كَافِيَةٌ عَلَى أَنَّ هَذِهِ الدَّعْوَى كَلَامٌ فَارِغٌ لَا مَعْنَى لَهُ.

د- إِذَا كَانَ بَحِيرَا وَوَرَقَةٌ بِهَذِهِ الدَّرَجَةِ مِنَ الْعِلْمِ، فَلِمَاذَا لَمْ يَأْتُوا بِمَا أَتَى بِهِ النَّبِيُّ ﷺ كَالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَلِمَاذَا لَمْ يَدَّعُوا النُّبُوءَةَ، وَإِنَّمَا بَشَّرُوا بِنُبُوءَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ؟

(١) الْحَدِيثُ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. / اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ فِيمَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ الشَّيْخَانُ ص ٣٢.

وَهُوَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ فِي: ١ كِتَابُ بَدْءِ الْوَحْيِ، ٣ بَابٌ، رَقْمٌ ٣، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ فِي: ١ كِتَابُ الْإِيمَانِ، ٧١ بَابُ بَدْءِ الْوَحْيِ...، رَقْمٌ ١٦٠، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. جَدْعًا: شَابًّا.

لَمْ يَنْشَبْ: لَمْ يَلْبَثْ.

هـ- لو كان تلقيه على بحيرا وورقة حقاً، لاتهمته قريش بذلك، حين كانت تلفق التهم عليه تلفيقاً. فإنهم اتهموه بأنه كان يتعلم من حداد رومي نصراني في مكة يصنع السيوف، وكان النبي ﷺ يقف عنده أحياناً، ليشاهد صنعته، فرد الله عليهم بقوله: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَبِي وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ - النحل ١٠٣.

و- طبيعة النصرانية، وهي دين بحيرا وورقة والقين (الحداد) الرومي، لا تتفق مع ما جاء به محمد ﷺ فكيف تكون مصدراً لديانته وقُرْآنه؟

ز- في القرآن الكريم أنباء المغيبات حدثت بعد موت بحيرا وورقة، فكيف يتصور أن القرآن من تعلّمهما؟

كما أن المعروف أن آيات القرآن كانت تنزل وفق الحوادث والوقائع الطارئة.

ح- لو تلقى النبي ﷺ عن بحيرا أو غيره، لنقل ذلك أتباعه الذين لم يتركوا شيئاً صغيراً أو كبيراً إلا ودونوه، ولو لم يثبت عندهم، لأنهم يتركون أمره إلى رِوَاة الخبر وإسناده.

ط- لم يثبت في الأحاديث الصحيحة أن محمداً ﷺ كان ينتظر نزول الوحي عليه، ولو روي عنه شيء من ذلك لدونوه.

ي- إن الرسول ﷺ لم يلق أحبار اليهود ولا رهبان النصارى، ولم يثبت اتصاله بهم، وهذا ما أكده الباحثون.

ك- القرآن الكريم بأحكامه القاطعة بالصحة، المتابعة، النازلة في مدة ثلاث وعشرين سنة، المتشعبة الكثيرة، في العقائد والمعاملات والحكم والأخبار الغيبية وغيرها مما يعالج جوانب الحياة المختلفة، يحكم العقل بالبداهة أنها ليست مأخوذة عن جلسة سريعة، والتقاء بسيط مع راهب أو غيره، إذ كيف يقطع بصحة تلك الأحكام على

كثرتها والأخبار الغيبية من وراء تلك الجلسة؟ كل ذلك يدلُّ على أن ما جاء به كان تلقياً من الله تعالى قال عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ - يُونُس ٣٧.

٧- وإذا قيل:

إن سولون فيلسوف اليونان قد جاء بشرع منه، فليس بعجيب أن يأتي الرسول بشريعته من فكره وعبقريته.

فالرد عليه هو:

أن سولون أحد فلاسفة اليونان في القرن السابع قبل الميلاد، ووالدته من أنساب بستراتوس آخر ملوك أثينا.

وكان من رجال المال والحرب، وقد تولَّى في بلاده بعض الإدارات وقيادة الجيش، وانتخب سنة ٥٩٤ قبل الميلاد (أرجونا)، أي: رئيساً للأمة، بإجماع أحزابها كلهم، وأعطوه سلطة مطلقة في نظم البلاد وقائونها، الذي وضعه (زراكوت) من قبله، فوضع سولون نظاماً جديداً اتبعته الحكومة. لكن هذا النظام الجديد كان عبارة عن تنقيح القوانين السابقة التي صنعتها أعظم الأمم فلسفة وحضارة وتقدماً آنئذ، وكان سولون متعلماً فيلسوفاً وقائداً لأعظم الجيوش المنظمة لأكبر دولة في العالم.

فأين هذا من مُحَمَّد ﷺ، الأمي الذي لم يقرأ، ولم يكتب، ولم يعرف السياسة أو قيادة الجيوش. وما جاء به من تشريعات لم يكن مسبقاً بقوانين تحكم جزيرة العرب كقوانين اليونان والرومان، لأن في الجزيرة قبائل متفرقة لا يجمع شملها نظام، ولا يحكمها قانون.

إذن ما جاء به لم يكن إلا وحيًا من الله تعالى، فيه العقائد والآداب والأحكام وكل ما يحتاج إليه الناس، فكان صالحاً لكل زمان ومكان.

المُعْجِزَةُ

المُعْجِزَةُ لُغَةً: مأخوذة من العَجَز ضد القدرة^(١).

واضْطِلَاحاً: هي عبارة عن ما قصد به إظهار صدق من ادَّعى أنه رَسُولُ اللَّهِ^(٢).

- (١) شَرْحُ الْمَقَاصِدِ ج ٥ ص ١١ وَشَرْحُ الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ٢٢٠. وَفِي تَبْصِرَةِ الْأَدَلَّةِ ج ١ ص ٤٦٨: (الهَاءُ الدَّاخِلَةُ فِي لَفْظِهَا هَاءُ الْمُبَالَغَةِ، كَمَا فِي الْعَلَامَةِ وَالنَّسَابَةِ وَالرَّائِيَةِ، فَكَانَتْ دَاخِلَةً فِيهَا لِلْمُبَالَغَةِ فِي الْخَبَرِ عَنْ عَجْزِ الْمُرْسَلِ إِلَيْهِمْ).
- (٢) الْمَوَاقِفُ وَشَرْحُهُ لِلْسَيِّدِ الشَّرِيفِ ج ٨ ص ٢٢٢-٢٢٣.

وَمِنْ تَعَارِيفِ الْمُعْجِزَةِ: هِيَ أَمْرٌ خَارِقٌ لِلْعَادَةِ، مَقْرُونٌ بِالتَّحْدِي، الَّذِي هُوَ دَعْوَى الرَّسَالَةِ أَوْ النَّبُوَّةِ، مَعَ عَدَمِ الْمُعَارَضَةِ. / الْمُحْصَلُ لِلرَّازِيِّ ص ٢٠٧ وَشَرْحُ الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ٢٢٠.

أَوْ: هِيَ أَمْرٌ يَظْهَرُ بِخِلَافِ الْعَادَةِ، عَلَى يَدٍ مِنْ يَدِّعِي النَّبُوَّةِ، عِنْدَ تَحْدِي الْمُنْكَرِينَ، عَلَى وَجْهِ يُعْجِزُ الْمُنْكَرِينَ عَنِ الْإِتْيَانِ بِمِثْلِهِ. / شَرْحُ الْعَقَائِدِ النَّسْفِيَّةِ ص ١٦٦.

وَقَالَ الصَّالِحِيُّ فِي سُبُلِ الْهُدَى وَالرَّشَادِ ج ٩ ص ٥٥٩: (قَالَ الْمُحَقِّقُونَ: الْمُعْجِزَةُ هِيَ الْأَمْرُ الْخَارِقُ لِلْعَادَةِ، الْمَقْرُونُ بِالتَّحْدِي، الدَّالُّ عَلَى صَدَقِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَالْوَاقِعُ عَلَى وَفْقِ دَعْوَى الْمُتَّحِدِي بِهَا، مَعَ أَمْنِ الْمُعَارَضَةِ). وَحِينَ ذَكَرَ شَرْطَ اقْتِرَانِهَا بِالتَّحْدِي، قَالَ: (وَلَمْ يَشْتَرِطْ بَعْضُهُمُ التَّحْدِي، قَالَ: لِأَنَّ أَكْثَرَ الْخَوَارِقِ الصَّادِرَةَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ خَالٍ مِنَ التَّحْدِي، وَعَلَى الْقَوْلِ بِالتَّحْدِي لَا يُسَمَّى مُعْجِزَةً، وَذَلِكَ بَاطِلٌ).

وَفِي الْمَوَاقِفِ وَشَرْحُهُ لِلْسَيِّدِ الشَّرِيفِ ج ٨ ص ٢٢٤: (هَلْ يُشْتَرِطُ التَّصْرِيحُ بِالتَّحْدِي وَطَلَبُ الْمُعَارَضَةِ كَمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ بَعْضُهُمْ؟ الْحَقُّ أَنَّهُ لَا يُشْتَرِطُ، بَلْ يَكْفِي قِرَائِنُ الْأَحْوَالِ، مِثْلُ: أَنْ يُقَالَ لِمُدَّعِي النَّبُوَّةِ: إِنْ كُنْتَ نَبِيًّا فَأَظْهَرْ مُعْجِزًا، فَفَعَلَ بِأَنَّ دَعَا اللَّهَ فَأَظْهَرَهُ، فَيَكُونُ ظُهُورُهُ دَلِيلًا عَلَى صِدْقِهِ وَنَازِلًا مُنْزَلَةً بِالتَّصْرِيحِ بِالتَّحْدِي).

وَلِذَلِكَ قَالَ الْبَاجُورِيُّ فِي شَرْحِ الْجَوْهَرَةِ ص ٢٢٩: (الْمُرَادُ مِنْ مُعْجِزَاتِ نَبِينَا ﷺ هِيَ الْأُمُورُ الْخَارِقَةُ لِلْعَادَةِ، الظَّاهِرَةُ عَلَى يَدِهِ ﷺ، سِوَاءٍ كَانَتْ مَقْرُونَةً بِالتَّحْدِي أَمْ لَا).

شروط المعجزة

اشترط المحققون فيها الشروط الآتية^(١):

١- أن تكون أمراً من الله تعالى، ليصدق مدعي النبوة.

والأمر يشمل:

أ- القول: كالقرآن الكريم.

ب- والفعل: كنبع الماء من بين أصابع الرسول ﷺ.

ج- والترك: كعدم إحراق النار لإبراهيم الخليل عليه السلام.

٢- أن تكون خارقة للعادة، التي اعتاد عليها الناس، واستمروا عليها مرة بعد أخرى.

وهذا الشرط يفيد أن غير الخارق لا يكون معجزة، كما إذا قال آية صدقي طلوع الشمس من حيث تطلع، وغروبها من حيث تغرب.

(١) هذه الشروط الثمانية ذكرها: الباجوري في شرح الجوهرة ص ٢٢١ والسالي في مشارق أنوار العقول ج ٢ ص ١٢ نقلاً عن الباجوري.

وهذه الشروط في: المواقف وشرحه للسيد الشريف ج ٨ ص ٢٢٣-٢٢٧ إلا الشرط الثامن منها.

وانظر بعض هذه الشروط في: أصول الدين للبغداديّ ص ١٧٠-١٧١ والإرشاد للجوينيّ ص ٣٠٨ والعقيدة النظاميّة ص ٢١٨ وتبصرة الأدلة ج ١ ص ٤٦٩ والمقاصد وشرحه للتفتازانيّ ج ٥ ص ١١ والمسامرة ص ٢٤٠-٢٤٢ وسبل الهدى والرشاد ج ٩ ص ٥٥٩ وكشف المراد ص ٣٧٧ ورسالة التوحيد ص ٩٩ ط ١٠ ورسالة في التوحيد للطائيّ ص ٧٣-٧٤ وحجة الله على العالمين في معجزات سيد المرسلين ص ٨ وما بعدها، واليواقيت والجواهر للشعرانيّ ج ١ ص ١٥٦-١٦١.

٣- أن تكون على يد مدعي النبوة أو الرسالة.

أي أن صاحبها يقوم بدعوة إلى دين، فيه سعادة الناس في الدنيا والآخرة. وعندئذ لا تدخل في المعجزة الأمور الآتية:

أ- الإهانة: وهي ما يظهر على يد فاسق أو كافر تكذيباً له، كما وقع لمُسَيْلَمَةَ الكَذَّاب حين بصق في عين أعور لتبرأ، فعميت الصَّحِيحَة.

ب- الاستدراج: وهي ما يظهر على يد فاسق أو كافر، خديعةً أو مكرًا به، أي: استدراجاً لهم، وزيادة في غيهم، حتى يأتيهم أمر الله وهم غافلون، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ٤٤﴾ فَقُطِعَ دَائِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾ - الأنعام.

وقال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إذا رأيت الله يعطي العبد في الدنيا، وهو مُقيمٌ على معاصيه، ما يحب، فإنها هو استدراج). ثم تلا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾... الآية، والآية التي بعدها^(١).

ج- المعونة: وهي ما يظهر على يد العوام تخلصاً لهم من شدة.

د- الكرامة^(٢): وهي ما يظهر على يد صالح تقي ظاهر الصلاح.

(١) حَدِيث: إِذَا رَأَيْتَ اللَّهَ يُعْطِي الْعَبْدَ... إلخ، أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَابْنُ جَرِيرٍ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ وَابْنُ الْمُنْذِرِ وَالطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ وَأَبُو الشَّيْخِ وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ وَابْنُ بَيْهَقٍ فِي الشُّعْبِ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ. / الدَّرُ الْمَشْهُور ج ٣ ص ١٢.

وهو في الجامع الصغير ص ٤٤ وفيه: هو حَدِيثٌ حَسَنٌ، ولم يذكر الآية.

(٢) الكرامة: هي ظهور أمر خارق للعادة على يد الولي، غير مقارن لدعوى النبوة.

والولي: هو العارف بالله تعالى وصفاته بحسب ما يمكن، المواظب على الطاعات، المجتنب

عن المعاصي، المعرض عن الانهماك في اللذات والشهوات^(١).

وسبب الكَرَامَات الإيَّان والتقوى^(٢). قال تعالى يصف الأولياء: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٣) الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ^(٤) لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا بُدَّ لِلَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ^(٥) ﴿٦٤﴾ - يُونُس.

وقد أثبتها جُمهُورُ المُسْلِمِينَ من السَّلف والخلف، وأبو الحُسَيْن البَصْرِيّ من المُعْتزِّلَة^(٦)، حتى أنكر الإمام أَحْمَدُ بن حَنْبَلٍ على من أنكرها، وضلَّه^(٧)، بل جعل بعضهم إنكارها فسقاً وابتداعاً^(٨)، وحجتهم:

أ- ما ورد في القرآن الكريم: مثل:

حل مريم من غير ذكر.

وتساقط الرُّطْبُ الجَنِّي عليها من النخلة اليابسة، قال تعالى: ﴿وَهَزَى إِلَيْكَ بِجَنَاحِ النَّخْلَةِ تُسْقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا﴾ - مريم ٢٥.

ووجود الرزق عندها بلا سبب، قال تعالى: ﴿كَلَّمَآ دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِؤُكُمْ أَنَّى لَئِبْ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ - آل عمران ٣٧.

ولبث أهل الكهف ثلاثمائة وتسع سنوات بلا طعام وشراب، نياماً أحياء بلا آفة، قال

(١) شَرَحَ الْعَقَائِدُ النَّسَفِيَّةُ لِلتَّفْتَازَانِيِّ ص ١٧٥. وانظر: شَرَحَ الْمَقَاصِدِ لِلتَّفْتَازَانِيِّ ج ٥ ص ٧٢ والإزْشَادُ لِلْجَوْنِيِّ ص ٣١٦ وَتَبْصِرَةُ الْأَدِلَّةِ ج ١ ص ٥٣٦ وَشَرَحَ الْعَقَائِدِ الْعَضْدِيَّةُ لِلدَّوَانِيِّ ج ٢ ص ٢٨٢ وَشَرَحَ الْخَزِينَةُ لِلدَّرْدِيرِ وَحَاشِيَةُ الصَّابَوِيِّ عَلَيْهِ ص ١١٣ وَكَوَامِعُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ٢ ص ٣٩٢ وفيه ذكر شروط الولي، والرَّسَالَةُ الْقُسْبِيرِيَّةُ ص ١٥٨ وما بعدها، وكتاب الْفُرْقَانِ بَيْنَ أَوْلِيَاءِ الرَّحْمَنِ وَأَوْلِيَاءِ الشَّيْطَانِ لابن تَيْمِيَّةَ، وَشَرَحَ الْجَوْهَرَةُ لِلْبَاجُورِيِّ ص ٢٥٣ وَحُجَّةُ اللَّهِ عَلَى الْعَالَمِينَ فِي مَعْجَزَاتِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، وَالْيَوَاقِيتُ وَالْجَوَاهِرُ ج ١ ص ١٦٠-١٦٢ وَرِسَالَةُ التَّوْحِيدِ لِمُحَمَّدٍ عَبْدُهُ ط ١٠ ص ٢٣٦.

(٢) الْفُرْقَانُ لابن تَيْمِيَّةَ ص ٨٩.

(٣) كَوَامِعُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ٢ ص ٣٩٣ و٣٩٦. وانظر: الْمَوَاقِفُ ج ٨ ص ٢٨٨. وَوَرَدَ رَأْيُ أَبِي الْحُسَيْنِ فِي: الْفَائِقُ فِي أُصُولِ الدِّينِ ص ٣١٨.

(٤) كَوَامِعُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ٢ ص ٣٩٣ عن نَهَايَةِ الْمُبْتَدِئِينَ لابن حُدَانَ.

(٥) حَاشِيَةُ الصَّابَوِيِّ عَلَى الدَّرْدِيرِ ص ١١٣.

سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَيْسُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تَسْعًا﴾ - الكهف ٢٥.

وإتيان وزير سليمان عليه السلام (أصف بن برخيا) بعرش بلقيس بطرفة عين مع المسافة البعيدة قال تعالى: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ - النمل ٤٠.

ب- تواتر عن الصحابة الكرام عدد كبير من الكرامات بحيث لا يمكن إنكاره منها:

لَمَّا أُرْسِلَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جَيْشًا إِلَى نَهَاوَنْد، أَمَرَ عَلَيْهِمْ رَجُلًا يُسَمَّى سَارِيَةَ، فَبَيْنَمَا عُمَرُ يَخْطُبُ، فَجَعَلَ يَصِيحُ عَلَى الْمَنْبَرِ: يَا سَارِيَةُ الْجَبَلُ. فَقَدِمَ رَسُولُ الْجَيْشِ فَسَأَلَهُ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَقِينَا عَدُوَّنَا فَهَزَمُونَا، فَإِذَا بِصَاحِبِ: يَا سَارِيَةُ الْجَبَلُ، يَا سَارِيَةُ الْجَبَلُ، فَاسْتَدْنَا ظَهْرَنَا بِالْجَبَلِ، فَهَزَمَهُمُ اللَّهُ.

ولما حاصر خالد بن الوليد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حصنًا منيعًا، قالوا لا نسلم حتى تشرب السم، فشربه فلم يضره^(١).

ج- إثبات الكرامة للولي هو إثبات مُعْجَزَةِ الرَّسُولِ ﷺ، لأنه لن يكون وليًا إلا بعد أن يكون محققًا في ديانته، وديانته الإقرار بالقلب واللسان برسالة رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مع الطاعة له في أوامره ونواهيه، لأن الولي لو ادعى الاستقلال بنفسه وعدم المتابعة للنبي، لم يكن وليًا، ولم تظهر الكرامة على يده، ولو فُرض ظهورها فهو حينئذٍ من قبيل الاستدراج^(٢).

د- الكرامة أمر ممكن، ووجود الممكنات مستند إلى قدرته تعالى الشاملة لجميعها، فلا يمتنع شيء منها على قدرته^(٣).

وأنكر الكرامة: أبو إسحاق الإسفراييني، وأبو عبد الله الحلي من الأشاعرة، وأكثر

(١) انظر هذه الأمثلة وغيرها في: المواقف وشرحه للسيد الشريف ج ٨ ص ٢٨٨ وشرح المقاصد للتفتازاني ج ٥ ص ٧٥ وشرح العقائد النسفية للتفتازاني ج ١٧٥ وكوامع الأنوار البهية ج ٢ ص ٣٩٤ وسبل الهدى والرشاد ج ١٠ ص ٨١١ وشرح الجوهرة للباجوري ص ٢٥٢.

(٢) شرح العقائد النسفية للتفتازاني ج ١٧٧ وكوامع الأنوار البهية ج ٢ ص ٣٩٦ وسبل الهدى والرشاد ج ١٠ ص ٨١٠.

(٣) شرح المواقف للسيد الشريف ج ٨ ص ٢٨٨. وانظر: أصول الدين للغزنوي ص ١٦٢.

المُعْزَلَةُ^(١)، وابن حَزْم الظَّاهِرِيُّ^(٢)، بِحُجَّة:

أنها لا تتميز عن الْمُعْجِزَةِ، فلا تكون الْمُعْجِزَةُ حينئذٍ دالَّةً على النُّبُوءَةِ، وَيُنْسَدُ بَابُ إِثْبَاتِهَا^(٣).

وَرُدُّهَا يَأْتِي:

١- الكَرَامَةُ ثَابِتَةٌ بِالْقُرْآنِ، وتواترها في كل عَصْرٍ يشهد بأنها حق لا يمكن إنكاره، كما تَقْدَمُ.

٢- إن الْمُعْجِزَةَ تَفْتَرِقُ عن الكَرَامَةِ بالأُمُور الآتِيَةِ:

أ- الْمُعْجِزَةُ تَتَمَيَّزُ بِالتَّحَدِّيِّ مع ادِّعَاءِ النُّبُوءَةِ، أما الكَرَامَةُ فليس فيها ذَلِكَ^(٤).

ب- الْمُعْجِزَةُ مَقَارِنَةٌ لدَعْوَى النُّبُوءَةِ، أما الكَرَامَةُ فهي غير مَقَارِنَةٍ لها، فصاحب الكَرَامَةِ لا يدعي النُّبُوءَةَ، بل هو متبع للنَّبِيِّ متمسك بشرعه، ولو ادَّعَاها صار عدوًّا لله، لا يستحق الكَرَامَةَ بل اللعنة والإهانة^(٥)، فلا تلتبس عندئذٍ الكَرَامَةُ بِالْمُعْجِزَةِ.

ج- الْمُعْجِزَةُ مَقْدُورَةٌ لِلْأَنْبِيَاءِ متى أرادوها، إما باخْتِيَارِهِمْ، وإما بِاقْتِرَاحِ الْأُمَّةِ. أما الكَرَامَةُ فقد يَأْتِي بها الْوَلِيُّ، وقد لا يستطيع الإتيان بها^(٦).

.....

(١) شَرْحُ الْعَقَائِدِ الْعَصْدِيَّةِ لِلدَّوَانِيِّ ج ٢ ص ٢٨٢، وَشَرْحُ الْمَقَاصِدِ لِلتَّفْتَّازَانِيِّ ج ٥ ص ٧٣، وَالْمَوَاقِفُ وَشَرْحُهُ لِلْسَّيِّدِ الشَّرِيفِ ج ٨ ص ٢٨٨، وَلَوَْامِعُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ٢ ص ٣٩٤، وَحَاشِيَةُ الصَّائِغِ عَلَى الدُّرِّدِيرِ ص ١١٣، وَشَرْحُ الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ٢٥٣. وَالرَّسَالَةُ الْفُشَيْرِيَّةُ ص ١٥٨ وَالْإِزْشَادُ لِلْجُؤِينِيِّ ص ٣١٦ وَالتَّمْهِيدُ لِلْأَمِشِيِّ ص ٩١ وَالْمُحَصَّلُ لِلرَّازِيِّ ص ٢٢١.

وَجاءَ في الْفَائِقِ فِي أُصُولِ الدِّينِ ص ٣١٧: (مَنَعَ شَيْوُخُنَا أَبُو عَلِيٍّ وَأَبُو هَاشِمٍ وَأَصْحَابُهَا مِنْ جَوَازِ ظُهُورِ الْمُعْجِزِ عَلَى الصَّالِحِ، وَالْكَذَّابِ عَلَى الْعَكْسِ، وَعَلَى مَنْ سَبَّعَتْ إِرْهَاصاً لِنُبُوَّتِهِ).

(٢) الْفَصْلُ لَابِنْ حَزْمٍ ج ٥ ص ١٠٩. وَذَكَرَ رَأْيَ أَهْلِ الظَّاهِرِ الطُّوسِيِّ فِي اللَّمَعِ ص ٣٩٣.

(٣) الْمَوَاقِفُ ج ٨ ص ٢٨٩ وَسُبُلُ الْهُدَى وَالرَّشَادُ ج ١٠ ص ٨١٢.

(٤) الْمَوَاقِفُ ج ٨ ص ٢٨٩.

(٥) شَرْحُ الْمَقَاصِدِ لِلتَّفْتَّازَانِيِّ ج ٥ ص ٧٣ وَشَرْحُ الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ٢٥٣.

(٦) شَرْحُ الْعَقَائِدِ النَّسَفِيَّةِ لِرَمْصَانَ أَفَنْدِي ص ٢٨٩-٢٩٠ وَالرَّسَالَةُ الْفُشَيْرِيَّةُ ص ١٥٩ وَبَحْرُ الْكَلَامِ لِلنَّسَفِيِّ ص ١١٦.

٤- أن لا تكون متقدمة على دعوى النبوة، بل مقارنة لها أو متأخرة عنها بزمن يسير يعتاد مثله.

لأن المُعْجِزَةَ شهادة من الله تعالى على صدق المدعي، والشهادة لا تتقدم على الدعوى.

فخرج بذلك: الإِرْهَاص (مشتق من أَرَهَضْتُ الحائِطَ، أي: أَسَسْتُهُ): وهو ما كان قبل النبوة من الخوارق تأسيساً لها، كإِظْلالِ الغَمَامِ له ﷺ قبل بعثته، وشق صدره، وككلام عيسى عليه السلام في المهدي. وهذه الإِرْهَاصات هي كَرَامَات، لأن الأنبياء قبل بُبُوَّتِهِمْ لا يقصرون عن درجة الأولياء.

د- الأنبياء يحتجون بمعجزاتهم على المُشْرِكِينَ، لأن قلوبهم قاسية لا يؤمنون بالله عز وجل، والأولياء يحتجون بالكَرَامَةِ على نفوسهم، حتى تطمئن، وتوقن، ولا تضطرب، ولا تجزع عند فوت الرزق، لأنها أَمَارَةٌ بالسوء جاحدة مُشْرِكَةٌ مجبولة على الشك، ليس عندها يقين بما ضمن لها خالقها من الرزق^(١).

هـ- إن الأنبياء كلما زيدت لهم من المعجزات، يكون أتم لمعانيهم وفضلهم، وهؤلاء الذين لهم الكَرَامَات من الأولياء كلما زيدت في كرامتهم، يكون وجَلُّهم أكثر، وخوفهم أكثر، حذراً أن يكون ذلك من المكر الخفي لهم والاستدراج، وأن يكون ذلك نصيبهم من الله عز وجل، وسبباً لسقوط منزلتهم عند الله عز وجل^(٢).

ولكن الذي يجب الالتفات إليه هو أن أهل السُّنَّة وغيرهم في اتفاقٍ على أنه لا يجب الاعتقاد بوقوع كَرَامَةٍ معينة على يد وليٍّ معين بعد ظهور الإسلام، فيجوز لكل مُسْلِمٍ بإجماع الأمة أن ينكر صدور أي كَرَامَةٍ كانت من أي وليٍّ كان، ولا يكون بإنكار هذا مخالفاً لشيء من أصول الدين، ولا مائلاً عن سُنَّةٍ صَحِيحَةٍ، اللهم إلا أن يكون مما صحَّ في السُّنَّة عن الصَّحَابَةِ^(٣).

.....

(١) اللَّمَعُ لِلطُّوسِيِّ ص ٣٩٣.

(٢) اللَّمَعُ لِلطُّوسِيِّ ص ٣٩٥. وهناك فُرُوقٌ أخرى في: أُصُولُ الدِّينِ لِلْبَغْدَادِيِّ ص ١٧٤-١٧٥.

(٣) رِسَالَةُ التَّوْحِيدِ لِمُحَمَّدٍ عَبْدُهُ ط ١٠ ص ٢٣٨.

٥- أن تكون موافقة لدعوى النُّبُوءَةِ.

فخرج بذلك المخالف لها، كما إذا قال: آية صدقي انفلاق البحر، فانفلق الجبل.

٦- أن لا تكون مكذِّبة له.

فخرج بذلك ما إذا كانت مكذبة له، كما إذا قال: آية صدقي نطق هذا الجهاد، فنطق بأنه مُفْتَرٍ كَذَّابٌ.

٧- أن تتعذر معارضته.

وخرج بذلك:

السَّحَرُ: وهو قَوَاعِدُ تكتسب بالتَّعْلِيمِ يقتدر بها على أفعال غَرِيبَةٍ.

والكَهَانَةُ: وهي التنبؤ بالمغيبات لا عن دليل.

والشَّعْبَدَةُ: (أو الشَّعْوَذَةُ): وهي خفة في اليد يرى أن لها حقيقة ولا حقيقة لها، كما يقع للحَوَاة (جمع حاوي).

٨- أن لا تكون في زمان نقض العادة كزمن طلوع الشمس من مَغْرِبِهَا، لأن ما يظهر عند ظهور أشرار الساعة وانتهاء التكاليف لا يشهد بصدق الدعوى لكونه زمان نقض العادات.

مُعْجَزَةُ الرَّسُولِ دَلِيلُ صَدَقِهِ

إظهار المُعْجَزَةِ على يد مُدَّعِي النُّبُوءَةِ يفيد العلم بصدقه، ويفيد تصديق الله سُبْحَانَهُ لَهُ، فكأنها - على ما قال إمام الحَرَمَيْنِ - بمنزلة أن يقول: جعلته رَسُولاً، أو أنشأت الرِّسَالَةَ فيه^(١).

(١) شرح المَقَاصِد ج ٥ ص ١٨ ونهاية الإقدام ص ٤٢١.

ومثل ذلك مثل من يدَّعي أنه أرسل من مَلِكٍ حاضرٍ محتجبٍ بِسِتْرٍ، والجَمَاعَةُ على كثرتها

مُعْجَزَةُ كُلِّ نَبِيٍّ مِنْ جِنْسٍ مَا اشْتَهَرَ أَهْلُ زَمَانِهِ بِهِ

مُعْجَزَةُ الْأَنْبِيَاءِ بِخَرْقِهَا الْعَادَةَ أَعْجَزَتْ الْمُتَحَدِّثِينَ عَنْ مَعَارَضَتِهَا، مَعَ فِرَاطِ اهْتِمَامِهِمْ بِالْمُعَارَضَةِ وَتَوَفُّرِ دَوَاعِيهِمْ.

وَلِهَذَا كَانَتْ مُعْجَزَةُ كُلِّ نَبِيٍّ مِنْ جِنْسٍ مَا غَلَبَ عَلَى أَهْلِ زَمَانِهِ، وَتَهَالَكُوا عَلَيْهِ وَتَفَاخَرُوا بِهِ، فَاشْتَهَرَ قَوْمُ دَاوُدَ بِالْمُوسِيقَى، وَعَجَزُوا عَنْ مُعَارَضَةِ مُعْجَزَةِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهِيَ مِزَامِيرُهُ.

وَاشْتَهَرَ قَوْمُ مُوسَى بِالسَّحَرِ، وَعَجَزُوا عَنْ مُعَارَضَةِ مُعْجَزَةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَلْبِ الْعَصَا حَيَّةً.

وَاشْتَهَرَ قَوْمُ عِيسَى بِالطَّبِّ، وَعَجَزُوا عَنْ مُعَارَضَةِ مُعْجَزَةِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي إِحْيَاءِ الْمَوْتَى، وَإِبْرَاءِ الْأَكْمَةِ وَالْأَبْرَصِ.

وَاشْتَهَرَ الْعَرَبُ قَوْمُ مُحَمَّدٍ ﷺ بِالْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ، وَعَجَزُوا عَنْ مُعَارَضَةِ مُعْجَزَةِ الرَّسُولِ ﷺ (الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ) فِي بَلَاغَتِهِ^(١).

حُضُور. فَإِذَا قَامَ الْمُدَّعِي بَيْنَ ذَلِكَ الْجَمْعِ وَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ هَذَا الْمَلِكِ إِلَيْكُمْ، وَآيَةُ صَدَقِي فِي دَعْوَايَ أَنَّهُ يُحَرِّكُ هَذَا السِّتْرَ إِذَا طَلَبْتُ ذَلِكَ مِنْهُ، ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، إِنْ كُنْتُ صَادِقًا فِي دَعْوَايَ الرَّسَالَةِ عَنْكَ فَحَرِّكْ هَذَا السِّتْرَ فَحَرِّكْ فِي الْحَالِ، عَلِمَ قَطْعًا وَيَقِينًا بِقَرِينَةِ الْحَالِ أَنَّهُ أَرَادَ بِذَلِكَ الْفِعْلِ تَصْدِيقَ الْمُدَّعِي، وَنَزَلَ تَحْرِيكُ السِّتْرِ مِنْهُ مَنَزَلَةُ التَّصْدِيقِ بِالْقَوْلِ. فَالْمُرَجَّحُ لِلصَّدَقِ فِي الْمُعْجَزَةِ هِيَ الْقَرَأَتُ الْحَاصِلَةُ مِنْ اجْتِمَاعِ أُمُورٍ كَثِيرَةٍ مِنْهَا: الْخَارِقُ لِلْعَادَةِ، وَمِنْهَا كَوْنُهُ مَقْرُونًا بِالِدَعْوَى، وَمِنْهَا سَلَامَتُهُ عَنِ الْمُعَارَضَةِ، فَانْتَهَضَتْ هَذِهِ الْقَرَأَتُ بِمَجْمُوعِهَا دَالَّةً عَلَى صَدَقِ الْمُدَّعِي، نَازِلَةً مَنَزَلَةَ التَّصْدِيقِ بِالْقَوْلِ. / نِهَآيَةُ الْإِقْدَامِ ص ٤٢١-٤٢٢.

(١) الْمَقَاصِدُ وَشَرْحُهُ ج ٥ ص ١٨. وَانْظُرْ: الْإِنْصَافُ لِلْبَاقِلَانِيِّ ص ٦١-٦٢ وَأَعْلَامُ النُّبُوَّةِ لِلْمَآوَرْدِيِّ ص ٥٧ وَالْمَوَاقِفُ وَشَرْحُهُ لِلْسَّيِّدِ الشَّرِيفِ ج ٨ ص ٢٥٢ وَالْبُرْهَانُ لِلزَّرْكَشِيِّ ج ٢ ص ٩٨ وَسُبُلُ الْهُدَى وَالرَّشَادُ ج ٩ ص ٥٧٣ وَالْغُنْيَةُ لِلشَّيْخِ عَبْدِ الْقَادِرِ ج ١ ص ٨٤.

حكم الإيمان بالمُعْجَزَةِ

الإيمان بأن الله تعالى قد أيد أنبياءه ورسله بالمعجزات واجبٌ، لا يجوز الاعتقاد بخلافه، لأن إثبات النُّبُوءَةِ لا يَتِمُّ إِلَّا باجتماع أمرين:
أولهما: ادعاؤه النُّبُوءَةِ.

ثانيهما: إظهاره المُعْجَزَةِ، لكي يظهر صدقه أمام من أُرسل إليهم.

قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ﴾ - الأنعام ٨٣.

وقال النَّبِيُّ ﷺ: (ما من الأنبياء من نبيٍّ إِلَّا قد أُعْطِيَ من الآيات ما مثله آمنَ عليه البَشَرُ، وإنما كان الذي أُوتِيَتْ وَحْيًا أَوْحَى اللهُ إِلَيَّ. فأرجو أن أكون أكثرهم تابِعاً يوم القيامة^(١)).

وَسَبِيلُ تعريف الله تعالى عِبَادَه صدق الرسل بالمعجزات كَسَبِيلِ تعريفه إياهم إلهيَّته بالآيات الدالة عليها، والتعريف قد يكون بالقول وقد يكون بالفعل^(٢).

شبهة ورَدَ

ذهب بعض المعاصرين إلى إنكار المُعْجَزَةِ بحُجَّة:

أ- أنها خروج عن العادة المألوفة المُشَاهَدَةِ.

ب- لأن العلم الحَدِيثُ وَأَصُولُ البَحْثِ يقتضي عدم التعويل على الروايات في

(١) حَدِيث: ما من الأنبياء... إلخ، في: صَحِيحُ البُخَارِيِّ في: ٩٦ كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة، ١ باب قول النَّبِيِّ ﷺ بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الكَلِمِ، رقم ٧٢٧٤، عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. وفي صَحِيحِ مُسْلِمٍ، واللفظ له، في: ١ كتاب الإيمان، ٧٠ باب وجوب الإيمان برسالة نبينا مُحَمَّدٍ ﷺ إلى جميع الناس...، رقم ١٥٢، عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) نَهَايَةُ الإِقْدَام ص ٤٢٥.

هَذَا الشَّانَ.

وَرُدَّ هَذَا الْقَوْلُ بِمَا يَأْتِي:

١- إن طرق إثبات المعجزات صَحِيحَةٌ قَطْعاً، وقد ورد بعضها في الْقُرْآنَ والبعض الآخر في الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ، الذي قد يصل إلى درجة التواتر.

فإنكارها هو إنكار للْقُرْآنِ وصَحِيحِ الروايات من الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ، وبالتالي إنكار كل ما ورد من أخبار دينية أو غير دينية وصلتنا بطرق صَحِيحَةٍ متواترة.

٢- تجاهل المعجزات وعدم الإيمان بها، يعتبر الخطوة الأولى لِإِنْكَارِ الغيبات، وفي مُقَدِّمَتِهَا الإيمان بالله تعالى. وفي ذَلِكَ هدم للشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ من الْأَسَاسِ.

٣- إن نواويس الكون بذاتها معجزات، لأن خلق الإنسان وأعاجيب تَرْكِيبِ أجزائه مُعْجَزَةٌ، وكذلك خلق الشجر وخلق الماء والجمادات والحيوانات كُلُّ مِنْهَا مُعْجَزَةٌ بذاتها. وَهَذَا يَعْنِي أَنَّ الَّذِي أَوْجَدَهَا وَرَعَاهَا بِهَذَا الْإِعْجَازِ، وَهُوَ اللَّهُ تَعَالَى، قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَغْيِرَ مَجْرَى الْأُسْلُوبِ الَّذِي هُوَ عَلَيْهِ، فالمعجزات هي في حَيْزِ الْمُمْكِنِ لَا مِنْ الْمُسْتَحِيلَاتِ، كما هو معروف بالبدهة.

٤- إجماع الأجيال الْمُتَعَاقِبَةِ عَلَى ثُبُوتِ المعجزات، وَلِذَلِكَ آمَنُوا بِالرَّسْلِ وَالْأَنْبِيَاءِ.

المبحث الثالث

النُّبُوَّةُ الْخَاصَّةُ: نُبُوَّةُ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ

إثبات نُبُوَّةِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ

تقدم أن إثبات النُّبُوَّةِ لا يكون إلا باجتماع أمرين:

أولهما: ادِّعاء النُّبُوَّةِ.

وثانيهما: إظهار المُعْجِزَةِ.

فكل من ادَّعى النُّبُوَّةَ وأظهر المُعْجِزَةَ فهو نَبِيٌّ.

وهذان الأمران يشتان نُبُوَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ، وهما يشكلان المبدأ الأول في إثباتها، وهناك أمور أُخرى تُعد شواهد مؤكدة ومقررة لنبوته ﷺ.

وإليك تَوْضِيحُ الأمرين المثبتين لِنُبُوَّةِ الرَّسُولِ الْأَعْظَمِ مُحَمَّدٍ ﷺ وهما:

الأول: ادِّعاء النُّبُوَّةِ

تواتر عن النَّبِيِّ ﷺ أنه ادَّعى النُّبُوَّةَ بلا خلاف من أحد تواتراً ألحقه بالعيان والمُشَاهَدَةِ.

الثاني: إظهار المُعْجِزَةِ

ثبت عن الرَّسُولِ ﷺ أنه أظهر المُعْجِزَةَ.

مُعْجَزَاتُ الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ ﷺ

وَمُعْجَزَاتُهُ نَوْعَانِ^(١):

النوع الأول: كَمُعْجَزَاتِ الرسل والأنبياء السابقين قصيرة الأمد، زالت بزوال أيامها، وبموت من شاهدها، والمتطَّلَعُ إليها لا يجدُها إلَّا في الأخبار، كَمُعْجَزَاتِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ من: قلب العصا حَيَّةً، وفلقها البحرُ، ومُعْجَزَاتِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ كإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى... إلخ.

ومن هُذِهِ الْمُعْجَزَاتِ مَا ثَبَتَ بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، أَوْ نَقَلَ إِلَيْنَا بِالْخَبَرِ الْمُتَوَاتِرِ مِثْلَ:

١- انشقاق القمر الثَّابِتُ بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: ﴿أَقْرَبَتْ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ۚ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ ۚ﴾ - القمر.

وَالْأَحَادِيثُ فِي هَذَا زَاخِرَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْ طَرُقٍ عَدَّةٍ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ وَغَيْرِهِمَا.

٢- نبع الماء من بين أصابعه ﷺ حين التمس الناس مع الرَّسُولِ ﷺ الماءَ لِلْوُضُوءِ فلم يجدوه، فدعا بإناء فيه ماء، فوضع الرَّسُولُ ﷺ يده فِي ذَلِكَ الْإِنَاءِ، فَنَبَعَ الْمَاءُ مِنْ تَحْتِ أَصَابِعِهِ، فَتَوَضَّأَ جَمِيعُ النَّاسِ إِلَى آخِرِهِمْ.

وَهَذِهِ الْمُعْجَزَةُ تَكَرَّرَتْ عَدَّةً مَرَاتٍ، كَمَا ثَبَتَ ذَلِكَ فِي الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ وَغَيْرِهِمَا.

٣- إبراء المريض بلمسه ﷺ، كَمَا فِي الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ وَأَصْحَابِ السُّنَنِ فِي وَقَائِعِ كَثِيرَةٍ.

(١) انظر الكلام عن مُعْجَزَاتِهِ ﷺ فِي: الْمَوَاقِفِ وَشَرْحِهِ لِلسَّيِّدِ الشَّرِيفِ ج ٨ ص ٢٥٦ وَالْمَقَاصِدِ وَشَرْحِهِ لِلتَّفْتَازَانِيِّ ج ٥ ص ٢٥ وَالْإِنْصَافِ لِلْبَاقِلَانِيِّ ص ٦٢ وَتَبْصِرَةِ الْأَدْلَةِ ج ١ ص ٤٨٧ وَبَحْرِ الْكَلَامِ ص ١٢١ وَسُبُلُ الْهُدَى وَالرَّشَادِ ج ٩ ص ٥٧٤ وَج ١٠ وَالْفَائِقِ فِي أَصُولِ الدِّينِ ص ٣٢٨ وَمَا بَعْدَهَا، وَشَرْحُ الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ٢٢٩ وَحُجَّةُ اللَّهِ عَلَى الْعَالَمِينَ فِي مُعْجَزَاتِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ.

٤- إخباره بحوادث قبل وقوعها، وهو كثير جداً مثل:

أ- قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ، كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمَنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنْكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزِعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ، قَالَ قَائِلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ^(١)).

والذي ينظر إلى وضع الْمُسْلِمِينَ منذ أن اضمحل سُلْطَانُهُمْ فِي الْأَرْضِ، يجد طمع العالم بِالْمُسْلِمِينَ والكيد لهم مع كثرتهم الكاثرة.

ب- قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (صَنَفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا: قَوْمٌ مَعَهُمْ سَيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ، يُضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ، رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ، وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا)^(٢).

وَالنَّاظِرُ فِي أُمَّةِ الْإِسْلَامِ بَعْدَ قُرُونِهَا الْأَوَّلَى، يجد الصنف الأول من شيوع الظلم وإيذاء الناس، ويجاد في عَصْرِنَا الْحَاضِرِ صورة النساء في عُرْيِهِنَّ وَفَتْنِهِنَّ الَّتِي رَسَمَهَا الْحَدِيثُ.

ج- قوله ﷺ: (لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، لَا يَبْقَى مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَكَلَ الرَّبَا، فَإِنْ لَمْ

(١) حَدِيثُ: يُوشِكُ الْأُمَمُ... إلخ، فِي: سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ فِي: ٣١ كِتَابِ الْمَلَا حِم، ٥ بَابُ فِي تَدَاعَى الْأُمَمُ عَلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ، رَقْمُ ٤٢٩٧، عَنْ ثَوْبَانَ. وَقَالَ الشَّيْخُ شُعَيْبٌ فِي تَحْقِيقِهِ سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ ج ٦ ص ٣٥٥: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

(٢) حَدِيثُ: صَنَفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ... إلخ، فِي: صَحِيحِ مُسْلِمٍ فِي: ٣٧ كِتَابِ الْبِلَاسِ وَالزَّيْنَةِ، ٣٤ بَابُ النِّسَاءِ الْكَاسِيَاتِ الْعَارِيَاتِ...، رَقْمُ ٢١٢٨، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَ ٥١ كِتَابُ الْجَنَّةِ وَصِفَةُ نَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا، ١٣ بَابُ يَدْخُلُهَا الْجَبَّارُونَ...، رَقْمُ ٢١٢٨ م (٥٢)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

يأكله، أصابه من غُبَارِهِ^(١).

ومن المَعْلُوم أن الحياة الاقْتِصَادِيَّة الحاضرة تقوم على الربا بالمصارف وغيرها، وهذا إخبار عما نحن فيه.

د- قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (لا تقوم الساعة، حتى تَخْرُج نَارٌ من أَرْضِ الْحِجَازِ، تُضِيءُ أعناق الإبل بِبُصْرَى)^(٢) وَبُصْرَى مَدِينَةُ الشَّامِ.

فأنبأنا عن حدوث بركان عَظِيم في أَرْضِ الْحِجَازِ من مكانٍ عَيْنُهُ النَّبِيُّ ﷺ. قال النَّوَوِيُّ: تواتر العلمُ بخروج هَذِهِ النار عن جميع أهل الشَّام. وَوَصَفَ السَّمُهودِيُّ زلزالها ونارها، وكانت في زمنه سنة ٦٥٤ هـ. وَوَصَفَ الْقَسْطَلَانِيُّ في كتابٍ أفرده لهذه الحادثة هَذِهِ النار، فقال: (إِنَّ ضَوْءَهَا اسْتَوَلَى عَلَى مَا بَطْنُ وَمَا ظَهْرُ، حَتَّى كَأَنَّ الْحَرَمَ وَالْمَدِينَةَ قد أشرقت بهما الشمس، وتأثر من لهيبها النيران، وصار نور الشمس على الأرض يعتريه صفرة، ولونها هي يعتريه حمرة، والقمر كأنه خسف). وذكر هَذِهِ النار السَّمُهودِيُّ في تاريخ المَدِينَةِ والقَاضِي سَنَانُ والقَاشَانِيُّ والعِمَادُ بن كَثِيرٍ والمَطَرِيُّ وغيرهم^(٣).

النوع الثاني: نوع خالد خلود الدهر، ماثل كل حين، ألا وهو الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ.

وهنا نتبع بعض جوانبه الدالة على أنه مُعْجِزَةٌ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ ﷺ وأنه من عند الله تعالى.

(١) حَدِيثٌ: لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ... إلخ، أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَابْنُ مَاجَهَ وَالْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَهُوَ صَحِيحٌ. / الْجَامِعُ الصَّغِيرُ ص ٤٦١.

(٢) حَدِيثٌ: لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَخْرُجَ... إلخ، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. / اللَّوْلُو وَالْمَرْجَانُ ص ٨١٣.

رواه البُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ فِي: ٩٢ كتاب الفتن، ٢٤ باب خروج النار، رقم ٧١١٨، عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَمُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ فِي: ٥٢ كتاب الفتن وأُشْرَاطُ السَّاعَةِ، ١٤ باب لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَخْرُجَ نَارٌ مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ، رقم ٢٩٠٢، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَبِهَذَا اللَّفْظِ فِي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ فِي: ٥٢ كتاب الفتن، ١٤ باب لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَخْرُجَ نَارٌ مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ، رقم ٢٩٠٢، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) الرَّسُولُ: سَعِيدٌ حَوْيٌ ج ٢ ص ١٣٠ وَهَذِهِ الْأَمْثَلَةُ غَيْضٌ مِنْ فَيْضٍ.

الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ

الْقُرْآنُ فِي اللُّغَةِ: مَصْدَرُ قَرَأَ. كَالْعُفْرَانِ مَصْدَرُ عَفَرَ.

ومنه قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأَهُ فَأَنبَغْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾ - القيامة.

وفي الاصطلاح: هو كلام الله تعالى، المنزل على الرُّسُولِ مُحَمَّدٍ ﷺ، المكتوب في المصاحف، المُنْقُولُ عنه نَقْلًا متواتراً بلا شُبْهَةٍ، المبدوء بسورة الفاتحة والمختوم بسورة الناس، الْمُتَعَبَّدُ بتلاوته^(١).

وهو الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو التشريع الخالد لكل زمان ومكان.

والْقُرْآنُ الْكَرِيمُ مُعْجِزٌ، أعجز البشر عن أن يأتوا بسورة من مثله. وهنا لا بد أن نقيم الدليل على إعجازه، لتسلم لنا نُبُوءَةُ مُحَمَّدٍ ﷺ، ويسلم الإسلام كله بعد ذلك.

إِعْجَازُ الْقُرْآنِ

الإِعْجَازُ: إثبات العجز للغير.

يقال: أعجز القرآن البشر، أي: أثبت عجزهم عن أن يأتوا بمثله.

ولا يتحقق الإعجاز إلا بأُمُور ثلاثة:

١- التَّحَدِّي، وهو طلب المنازلة والمُعَارَضَة.

٢- وجود المقتضي الذي يدفع المُتَّحَدِّي إلى المنازلة.

(١) فتح الغفَّار لابن نُجَيْم ج ١ ص ١٠. وانظر: جَمْعُ الْجَوَامِعِ بِحَاشِيَةِ الْبَنَانِيِّ ج ١ ص ٢٢٣ وعلم أصول الفقه لعبد الوهَّاب خَلَّاف ص ٢٣.

٣- عدم وجود مَمانع من المِباراة.

فالمِصارع إذا ادَّعى البطولة، وأنكر عليه مِصارع آخر، فتحداه الأول، فلم يستطع الثاني منازلته، كان الأول قد أثبت عجز الثاني، وذلك:

لوجود التَّحدِّي من الأول.

ولحرص الثاني على إبطال دعوى الأول.

ولانعدام المرض أو العذر المانع من المِباراة.

تحقق شروط الإعجاز في القرآن الكريم

لبيان صحة إعجاز القرآن الكريم، لا بد أن نعرض كل شرط من شروط الإعجاز المتقدمة على القرآن، ليتضح لنا إعجازه بجلاء، وذلك على النحو الآتي:

١- التَّحدِّي، وهو طلب المنازلة والمُعَارَضَة.

فالقرآن الكريم تحدَّى العرب، وأثبت عجزهم عن أن يأتوا بمثله، وهم أرباب الفصاحة والبيان شعراً ونشراً، قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُهُ بِلْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٣٣) ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ (٣٤) - الطُّور.

وتحدَّاهم بأن يأتوا بعشر سور مثله، قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَنَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَتٍ وَادْعُوا مَنْ أَسْطَاطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١٣) ﴿فَالَّذِي يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٤) - هُود.

وتحدَّاهم بأن يأتوا بسورة من مثله، قال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٢٣) ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ (٢٤) - البقرة.

فلما عجزوا تحدَّى الإنس والجن بلهجة واخِزة وتهكُّم لاذع، قال تعالى: ﴿قُلْ لِّإِنِّ

أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴿٨٨﴾ - الإسراء ٨٨.

وهَذَا التَّحْدِي لم يقف عند زمن الرُّسُول ﷺ فحسب، بل هو ماضٍ إلى يوم القيامة^(١).

٢- وجود المقتضي الذي يدفع المُتَحَدِّي إلى المنازلة.

فالرُّسُول ﷺ ادَّعى أنه رُسُولُ الله، وجاءهم بكتاب الله (الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ) يَسْفَهُ عِبَادَتَهُمْ، ويسخر من عُقُوبَتِهِمْ، فحرصوا على رده بأن يأتوا بمثله أو ببعضه، ليدحضوا حجته، فلا يقال إنه من الله.

٣- عدم وجود مَمانع من المِباراة.

فالمَمانع الذي يمنع العرب من المِعارضة غير موجود، وذلك متضح في جوانب عدة هي:

أ- جانب اللُّغة: فالعرب كانوا قادة الفصاحة والبيان بشعرهم ونثرهم، وكان الْقُرْآن بِلِسَانِهِمْ.

ب- جانب المعنى: فقد كانوا على بصير وخبرة وَتَجَارِبٍ وَذَكَاءٍ، كما تشير إلى ذَلِكَ خُطْبُهُمْ وَأَشْعَارُهُمْ وَمَنَافِرَتُهُمْ وَأَثَارُهُمْ.

ج- جانب الزمن: فالْقُرْآن لم ينزل جُمْلَةً وَاحِدَةً، بل نزل خلال ثلاث وعشرين سنة، ليتسع مجال المِعارضة^(٢).

(١) انظر تَحْدِي الْقُرْآن الْكَرِيم في: إثبات نُبُوءَةِ النَّبِيِّ ص ٢١ وكتابنا: التَّحْدِي في آيات الإعجاز.

(٢) علم أُصُولِ الْفِقْهِ لَعَبْدِ الْوَهَّابِ خَلَّاف ص ٢٥-٢٧ ومحاضرات في أُصُولِ الْفِقْهِ لِلشَّيْخِ بَدْرِ الْمُتَوَكِّلِيِّ عَبْدِ الْبَاسِطِ ج ١ ص ١٢٩.

وَالْعَرَبُ يَعْلَمُونَ أَنَّ مُعَارَضَةَ الْقُرْآنِ بِنِظْمِ سُورَةٍ مِثْلِهِ أَبْلَغُ فِي تَكْذِيبِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَأَسْرَعُ فِي تَفْرِيقِ أَتْبَاعِهِ، لَكِنَّهُمْ عَجَزُوا عَنْ ذَلِكَ، مَعَ أَنَّهُمْ مَصَاقِعُ الْخُطْبَاءِ، وَأَسَاطِينُ الْبَلَاغَةِ فِي تِلْكَ الْفَتْرَةِ الطَّوِيلَةِ، فَعَدَلُوا عَنْ الْمُعَارَضَةِ، وَسَلَكُوا سَبِيلًا آخَرَ، وَهُوَ بَذْلُ النَفُوسِ، وَالْمُقَارَعَةُ بِالسُّيُوفِ، وَالْخُرُوجُ مِنَ الْأَوْطَانِ، وَإِنْفَاقُ الْأَمْوَالِ بِالْحَرْبِ الضَّارِيَةِ^(١).

وَمَا ذَلِكَ إِلَّا اعْتِرَافٌ كَامِلٌ بِأَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ كِتَابُ اللَّهِ، الَّذِي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ.

وَجُوهُ إِعْجَازِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ كِتَابُ تَشْرِيعٍ وَدُسْتُورٍ لِلنَّاسِ، تَبْنَى بِهِ حَيَاةَ عَزِيزَةٍ كَرِيمَةٍ وَارْفَةٍ الظَّلَالِ، تَعْمُرُ بِهَا الْأَرْضَ.

وَلَمْ يَكُنْ مَقْصَدُهُ الْأَصْلِي أَنْ يَوْصَلَ نَظَرِيَّاتٍ عِلْمِيَّةً، أَوْ أَنْ يَقْصَّ عَلَيْنَا أَنْبَاءَ الْأَوَّلِينَ، أَوْ أَنْ يَكُونَ صُورَةً أَدَبِيَّةً فَرِيدَةً فِي الْأُسْلُوبِ، لَكِنَّهُ ذَكَرَ آيَاتِ اللَّهِ فِي الْخَلْقِ بِذَلِكَ الْأُسْلُوبِ الرَّفِيعِ، لِيَعْلَمَهُمْ أَنَّهُ كَلَامُ إِلَهِيٍّ مُعْجِزٍ فِي حَدِّ ذَاتِهِ، وَلِيُؤَكِّدَ الْإِيمَانَ بِهِ، وَتَتَّخِذَ الْعِبَرُ مِنْ قِصَصِهِ.

وَالْقُرْآنُ الْكَرِيمُ مُعْجِزٌ مِنْ وَجْهِ مُتَعَدِّدٍ، أَظْهَرُهَا مَا يَأْتِي:

الْوَجْهِ الْأَوَّلُ: فَصَاحَةُ أَلْفَاظِهِ، وَبَلَاغَةُ عِبَارَاتِهِ، وَعَجِيبُ نِظْمِهِ

وَالْعُلَمَاءُ اخْتَلَفُوا فِي تَحْدِيدِ هَذَا الْوَجْهِ عَلَى النَّحْوِ الْآتِي:

(١) الْإِتْقَانُ ص ٧١٠-٧١١ وَالْمَوَاقِفُ وَشَرْحُهُ لِلسَّيِّدِ الشَّرِيفِ ج ٨ ص ٢٤٤ وَالْمَقَاصِدُ وَشَرْحُهُ لِلتَّفْتَازَانِيِّ ج ٥ ص ٢٧ وَشَرْحُ الْعَقَائِدِ الْعَضْدِيَّةِ لِلدَّوَّانِيِّ ج ٢ ص ٢٧٨ وَنَهَايَةُ الْإِقْدَامِ ص ٤٤٩ وَسُبُلُ الْهُدَى وَالرَّشَادُ ج ٩ ص ٥٨١ وَالنَّبَأُ الْعَظِيمُ ص ٨٥.

١- إعجاز القرآن في بُلُوغِه الطبقة العليا من الفصاحة، والدرجة القصوى من البلاغة، على ما يعرفه فُصحاء العرب بسليقتهم وعُلماء البيان بمهارتهم وإحاطتهم بأساليب الكلام. وهذا هو قول الجُمهُور^(١).

وأصل البلاغة في القرآن الكريم مُتَّفَق عليه، لا يُنكره من له أدنى تَمَيُّز ومَعْرِفة بصياغة الكلام^(٢).

فجميع ألفاظ القرآن الكريم فصيحة، لا تنبو عن السمع، وعباراته مطابقة لمُقْتَضَى الحال في أعلى مستويات البلاغة، وهذا واضح في تشبيهاته واستعاراته ومجازاته وأساليبه المُخْتَلَفَة^(٣).

٢- إعجاز القرآن الكريم في نظمه (أي: تأليفه) العَرِيب، واسلوبه العجيب. وللنَّظْم معنيان:

المعنى الأول: النَّظْم هو تَرْتِيب الكلمات، وضم بعضها إلى بعض. وهذا النَّظْم يخالف المعتاد من أساليب كلام العرب في:

مَطَالَعِه: أي: أوائل السُّور والقصص، مثل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾، ﴿يَا أَيُّهَا الْمَرْمِلُ﴾، ﴿الْحَاقَّةُ ١﴾ مَا الْحَاقَّةُ ٢ ﴿، ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾.

(١) المقاصد وشرحه للتفتازاني ج ٥ ص ٢٨. وذكر الإيجي في المواقف والسيد الشريف في شرحه عليه ج ٨ ص ٢٤٤: (كونه في الدرجة العالية من البلاغة التي لم يعهد مثلها في تراكيبهم، وتناصرت عنها درجات بلاغتهم، وعليه الجاحظ وأهل العربية). وذكر أيضاً: (للعلماء عبارات مُخْتَلَفَة في تَفْسِيرِ البلاغة، أحسنها قولهم: البلاغة هي التعبير باللفظ الرائع «أي: المُعْجَب بخلوصه عن معاييب المفردات وتأليفاتها واشتماله على منفيها» عن المعنى الصَّحِيح «أي: المناسب للمقام الذي أورد فيه الكلام» بلا زيادة ولا نقصان في البيان والدلالة عليه. فكلما ازداد شرف الألفاظ وروث المعاني ومطابقة الدلالة كان الكلام أبلغ).

(٢) المواقف السابق.

(٣) علم أصول الفقه لعبد الوهاب خلاص ص ٣١.

ومقاطعه: أي: أواخرها، مثل: ﴿يَعْلَمُونَ﴾، ﴿يَفْعَلُونَ﴾.

وفواصله: أي: آخر الآي، التي هي بزنة الأسجاع في كلامهم.

فإن هذه الأمور المذكورة وقعت في القرآن على وجه لم يُعهد في كلامهم وكانوا عاجزين عنه. وبه قال بعض المعتزلة^(١).

المعنى الثاني: النظم هو جمع الكلمات مترتبة المعاني، متناسقة الدلالات على حسب ما يقتضيه العقل. فبلغ نظمه في الفصاحة والمطابقة لمقتضى الحال الحد الخارج عن طوق البشر. وهو قول عبد القاهر الجرجاني^(٢).

لذلك فإن أشراف العرب مع كمال حذاقتهم في أسرار الكلام وفرط عداوتهم للإسلام لم يجدوا للطعن فيه مجالاً، ونسبوه إلى السحر على ما هو ذأب المحجوج المبهوت تعجباً من فصاحته وحسن نظمه وبلاغته، واعترفوا بأنه ليس من جنس خطب الخطباء أو شعر الشعراء^(٣). على ما سيأتي بيانه.

٣- إعجاز القرآن بمجموع الأمرين السابقين: النظم الغريب، وكونه في الدرجة العالية من البلاغة، من غير استقلال لأحدهما. وهو قول القاضي الباقلاني^(٤).

والذي يتبع تاريخ اللغات يجد أنها متطورة تدريجياً، أما اللغة العربية فلم يحدث لها تطور تدريجي حين جاء القرآن، بل بعض ما يشبه الانفجار المبالغ، فظفر باللغة من

(١) المواقف وشرحه للسيّد الشريف ج ٨ ص ٢٤٤ والمقاصد وشرحه للتفتازاني ج ٥ ص ٣٠.

(٢) المقاصد وشرحه للتفتازاني السابق وفيه: هو ما قال عبد القاهر: أن النظم هو توخي معاني النحو فيما بين الكلم على حسب الأغراض التي يُصاغ لها الكلام.

(٣) المقاصد وشرحه للتفتازاني ج ٥ ص ٣٢.

(٤) المواقف وشرحه للسيّد الشريف ج ٨ ص ٢٤٥ والمقاصد وشرحه للتفتازاني ج ٥ ص ٣٠. وانظر: الإنصاف للباقلاني ص ٦٢ وتمهيد الأوائل ص ١٧٧ و١٨٥.

مَرَحَلَةُ اللَّهْجَةِ الْجَاهِلِيَّةِ إِلَى لُغَةٍ مَنْظُمَةٍ فَنِيًّا، مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَسْتَعْمَلْ مُطْلَقًا أَلْفَاظًا أَعْجَنِيَّةً عَنْ لَهْجَةِ الْحِجَازِ. فَكَأَنَّهُ اسْتَحْضَرَ ثَرَوَتَهُ اللفظية الخاصة، وأنشأها بطريقة غَرِيبَةٍ، فأحدث انقلاباً هائلاً في الأدب العَرَبِيِّ بتغييره الأداة الفنية في التعبير، فخلق من الوجهتين الأدبية واللُّغَوِيَّةِ فصلاً تاماً بين اللُّغَةِ الْجَاهِلِيَّةِ وَاللُّغَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ^(١).

قال الشيخ المَوْدُودِي الهِنْدِيُّ: (إِذَا قُرِئَتِ اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ، وَدُرِسَتْ أَدْبَاهَا، ظَهَرَ لَكَ مِنْ دُونِ أَدْنَى ارْتِيَابٍ، أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ فِي الدُّنْيَا لُغَةً أَنْسَبَ مِنْ هَذِهِ اللُّغَةِ، لِأَدَاءِ الْأَفْكَارِ الْعَالِيَةِ، وَالْإِفْصَاحِ عَنْ أَدَقِّ مَعَانِي الْعِلْمِ الْإِلَهِيِّ، وَالتَّأَثُّيرِ فِي الْقُلُوبِ، فَبِالْجُمْلِ الصَّغِيرَةِ مِنْ هَذِهِ اللُّغَةِ، تَوْدِي الْمَوْضُوعَاتِ الْمَهْمَةِ، وَتَكُونُ قُوَّةَ التَّأَثُّيرِ فِي الْقُلُوبِ، إِلَى مِثْلِ هَذِهِ اللُّغَةِ كَانَتْ تَحْتَاجُ مَعَانِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، فَمِنْ حِكْمَةِ اللَّهِ الْبَالِغَةِ، وَرَحْمَتِهِ الشَّامِلَةِ بِعِبَادِهِ إِذْنًا، أَنْ اخْتَارَ أَرْضَ الْعَرَبِ عَلَى غَيْرِهَا لِلنَّبُوَّةِ الْعَالَمِيَّةِ)^(٢).

أُسْلُوبُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

أُسْلُوبُ الْقُرْآنِ^(٣) هُوَ الطَّرِيقَةُ الَّتِي انْفَرَدَ بِهَا فِي تَأْلِيفِ كَلَامِهِ وَاخْتِيَارِ أَلْفَاظِهِ، وَقَدْ

(١) الظَّاهِرَةُ الْقُرْآنِيَّةُ ص ٢٣٢-٢٣٤.

(٢) مَبَادِيُ الْإِسْلَامِ لِأَبِي الْأَعْلَى الْمَوْدُودِيِّ ص ٤٧.

وَانْظُرْ فِي إِعْجَازِ الْقُرْآنِ بَحْثًا مُسْتَفِضًا فِي: الْإِتْقَانِ ص ٧١١ وَقَدْ جَاءَ بَرَاءٌ كَثِيرَةٌ لِلْجَاحِظِ وَالنِّظَامِ وَالْبَاقِلَانِيِّ وَالرَّازِيَّ وَالزَّمْلَكَانِيَّ وَابْنَ عَطِيَّةَ وَالْمُرَّاكُشِيَّ وَالْأَصْبَهَانِيَّ وَالسَّكَاكِيَّ وَالتَّوْجِيدِيَّ وَالْخَطَّابِيَّ وَالزَّرْكَشِيَّ وَالرُّمَّانِيَّ وَالْقَاضِي عِيَّاضَ وَغَيْرِهِمْ.

وَقَدْ طُبِعَتْ بَعْضُ هَذِهِ الْكُتُبِ. وَذَكَرَ الدُّكْتُورُ عُمَرُ مَلَّا حُوشِشَ فِي كِتَابِهِ: (تَطَوُّرُ دِرَاسَاتِ إِعْجَازِ الْقُرْآنِ وَأَثَرُهَا فِي الْبَلَاغَةِ الْعَرَبِيَّةِ) آراءَ بَعْضِ هَؤُلَاءِ مَحَلًّا كَتَبَهُمْ فِي الْإِعْجَازِ. وَانْظُرْ: نِهَآيَةُ الْإِقْدَامِ ص ٤٤٧ وَإِثْبَاتُ نُبُوَّةِ النَّبِيِّ ص ٨٧ وَإِعْجَازُ الْقُرْآنِ لِلرَّافِعِيِّ، وَالنَّبَأُ الْعَظِيمُ ص ٨٠.

(٣) انْظُرْ أُسْلُوبُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَخَصَائِصُهُ السَّبْعَ الْآتِيَةَ فِي: مَنَاهِلُ الْعِرْفَانِ لِلزُّرْقَانِيِّ ج ٢

جاء القرآن الكريم بلسان العرب، فمن حروفهم تألفت كلماته، ومن كلماتهم تألفت تراكيبه، وعلى قواعدهم العامة في صياغة هذه المفردات وتكوين التراكيب جاء تأليفه. ومع ذلك فقد أعجزهم بأسلوبه الفذ.

ومثل البيان اللغوي في أية لغة مثل أي صناعة من الصناعات، فالخياطون يختلفون فيما بينهم فمنهم من هو خامل أو ماهر، أو ضعيف أو بارع. وهذا الاختلاف لم يكن نتيجة الاختلاف في مواد الثياب المخيطة أو الآلات والأدوات العامة المستخدمة في الخياطة، بل جاء الاختلاف من جهة الطريقة الخاصة التي اتبعت في اختيار هذه المواد وتأليفها، واستخدام قواعدهم هذه الصناعة في شكلها وهندستها.

لذلك كان للتعبير القرآني سره العجيب، ومن السابقين الذين نبهوا على أسرار تعبيره الخطيب الإسكافي، المتوفى سنة ٤١٢ هـ، في كتابه (درة التنزيل وغرّة التأويل)، قال مبيناً سر التعبير بالفاء في لفظ (كلوا) من قوله سبحانه في سورة البقرة ٥٨: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ﴾، وعن سر التعبير بالواو لا بالفاء في لفظ (كلوا) من قوله سبحانه في سورة الأعراف ١٦١: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ﴾، مع إن القصة واحدة، ومدلول الحرف واحد. قال:

الأصل أن كل فعل عطف عليه ما تعلق به تعلق الجواب بالابتداء. وكان الأول مع الثاني بمعنى الشرط والجزاء، فالأصل فيه عطف الثاني على الأول بالفاء دون الواو، ومنه: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا﴾ - البقرة ٥٨، فإن وجود الأكل متعلق بالدخول: والدخول موصول إلى الأكل، فالأكل وجوده معلق بوجوده، بخلاف ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا﴾ - الأعراف ١٦١، لأن السكنى مقام مع طول لبث، والأكل لا يختص بوجوده وجوده، لأن من يدخل بستاناً قد يأكل منه مجتازاً، فلما لم يتعلق الثاني بالأول تعلق الجواب بالابتداء وجب العطف بالواو دون الفاء^(١).

(١) انظر: درة التنزيل وغرّة التأويل ص ١٠.

خصائص أُسْلُوبِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

الخصائص التي امتاز بها أُسْلُوبُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ جعلت له طابعاً مُعْجِزاً في لغته وبلاغته، ومن تلك الخصائص:

الخاصة الأولى: مسحة الْقُرْآنِ اللفظية الخلابة العجيبة، المتجلية في نظامه الصوتي، وجماله اللُّغَوِيّ. والمُرَاد بِنِظَامِ الْقُرْآنِ الصوتي: اتساق الْقُرْآنِ وائتلافه في حركاته وسكناته ومدّاته وغُنَّاته، واتصالاته وسكته، اتساقاً عجيباً، وائتلاًفاً رائعاً.

فمن ألقى سمعه إلى مجموعة الْقُرْآنِ الصوتية يشعر ولو كان أعجمياً لا يعرف الْعَرَبِيَّةَ بأنه أمام لحن غريب، وتوقيع عجيب، يفوق في حُسْنِهِ وجماله كل ما عرف من توقيع الموسيقى وترنيم الشعر، لأن الموسيقى تتقارب أنغامها، فلا يفتأ السمع أن يَمَلَّها، ولأن الشعر تتحد فيه الأوزان وتتشابه القوافي في القصيدة الواحدة غالباً على نَمَطٍ يُورث سامعه المِلَلَ والسَّامَ.

أما سامع لحن الْقُرْآنِ فلا يَسَام ولا يَمَلّ، لأنه ينتقل فيه دائماً بين ألحان متنوعة، وأنغام متجددة على أوضاع مُخْتَلِفَةٍ، يهز كل وضع منها أوتار القلوب.

وهذا الجمال الصوتي هو أول شيء أَحَسَّته الأذانُ الْعَرَبِيَّةُ أيام نُزُولِ الْقُرْآنِ ولم تكن عهدت مثله، حتى خيل إليهم أنه شعر أو سحر.

والمُرَاد بجمال الْقُرْآنِ اللُّغَوِيّ ما امتاز به في رصف حروفه، وتَرْتِيبِ كلماته، حين تعطى حروف الْقُرْآنِ حَقَّها ومستَحَقَّها من المخارج والصفات على ما هو مقرر في قَوَاعِدِ علم التجويد.

فتألّف من اجتماع نظامه الصوتي وجماله اللُّغَوِيّ قالبٌ لفظي مذهش، تلاقت عنده أذواق القبائل الْعَرَبِيَّةُ على اختلافها بكل يُسْرٍ وسهولة.

ولقد كان الجمال اللُّغَوِيّ والنَّظَامِ الصوتي دليل الإعجاز من ناحية، وكان من

ناحية أخرى سُوراً منيعاً لحفظ القرآن، يسترعي الأسماع، ويشير الانتباه، فيبقى سائداً على ألسنة الخلق وفي أذانهم، فلا يجرؤ أحد على تغييره.

الخاصة الثانية: إرضاءه العامة والخاصة.

فالعامة والخاصة على حد سواء إذا قرأوه أو قرئَ عليهم أحسوا بجماله، وتذوقوا حلاوته، وفهموا منه ما استطاعوا أن يفهموه.

وليس كذلك كلام البشر، فإنه إن أرضى الخاصة والأذكياء لجنوحه إلى التجوز والإغراب والإشارة لم يرض العامة، لأنهم لا يفهمونه.

وإن أرضى العامة لجنوحه إلى التصريح والحقائق العارية المكشوفة لم يرض الخاصة لنزوله إلى مستوى ليس فيه متاع لأذواقهم ومشاربهم وعُقُولهم.

الخاصة الثالثة: إرضاءه العقل والعاطفة لأنه يخاطب القلب والعقل معاً.

فمثلاً وهو معرض الاستدلال العقلي على البعث والإعادة، يسوق استدلاله سوقاً يهز القلوب ويمتع العاطفة. قال سُبْحَانَهُ فِي سُورَةِ فُصِّلَتْ ٣٩: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

وقال سُبْحَانَهُ فِي سُورَةِ ق ٦-١١: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ بَصِيرَةً وَذَكَرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴿١١﴾﴾.

هَذَا الْأَسْلُوبُ الْبَارِعُ أَقْنَعَ الْعَقْلَ، وَأَمْتَعَ الْعَاطِفَةَ فِي آنٍ وَاحِدٍ، قَالَ فِي الْأَوَّلَى: ﴿إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتِ﴾ - فُصِّلَتْ ٣٩، وَفِي الْآخِرَةِ: ﴿كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾ - ق ١١.

يا للجمال الساحر، ويا للإعجاز الباهر، الذي يستقبل عقل الإنسان وقلبه معاً،
بأنصع الأدلة وأمتع المعروضات في هذه الكلمات المعدودات.

وحين يسوق قصة يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مثلاً يأتي بالعِظَاطِ الْبَالِغَةِ، ويطلع من خلالها
بالْبَرَاهِينِ السَّاطِعَةِ عَلَى وجوب الاعتصام بالعفاف والشرف والأمانة، إذ قال في فصل
منها: ﴿وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ، وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ
اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ - يُوسُفَ ٢٣.

فتأمل كيف قوبلت دواعي الغواية الثلاث بدواعي العفاف الثلاث مُقَابِلَةً صورت
من القصص الممتع جداً عنيفاً بين جند الرَّحْمَنِ وجند الشيطان، ووضعتهما أمام العقل
المنصف في كفتي ميزان.

وهكذا تجد القرآن الكريم كله مزيجاً حلواً سائغاً، يخفف على النفوس تجرُّعها
الأدلة العقلية، ويرفه عن العقول باللفتات العاطفية، ويوجه العقول والعواطف معاً
جنباً إلى جنب لهداية الإنسان وخير الإنسانية.

وهذا ليس ككلام البشر، فإنه إذا وفي حق العقل بخس العاطفة حقها، وإن وفي
العاطفة بخس العقل حقه، حتى أصبح معلوماً عرفاً أن الأساليب الثرية مقسمة إلى
نوعين. أُسْلُوبٌ عِلْمِيٌّ وَأُسْلُوبٌ أدبي.

فطلّاب العلم لا يرضيهم الأسلوب الأدبي، وطلّاب الأدب لا يرضيهم الأسلوب
العلمي، والإنسان مهما أوتي لم يملك هاتين القوتين متكافئتين، وعلى فرض تكافئهما
في شخص فإنهما لا يعملان معاً دفعة واحدة، بل على سبيل البدل والمناوبة ﴿مَا جَعَلَ
اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ - الأحزاب ٤.

أما القرآن فإنه هو المفرد بهذه الميزة بين أنواع الكلام، لأنه تنزيل من القادر الذي
جمع بين الروح والجسد في قرآنه.

الخاصة الرابعة: جودة سبك القرآن وإحكام سرده.

فالقُرْآن بلغ من ترابط أجزائه وتماسك كلماته وجُمَله، وآياته وسُورَه، مبلغاً لا يدانيه فيه أي كلام آخر، مع طول نَفْسِه وتنوع مَقاصِده، وتلويحه في الموضوع الواحد. فكانما هو سبيكة واحدة تأخذ بالأبصار.

هذه سورة الفاتحة، تأمل كيف تترايط وتناسق في حُسْن تخلُّص من معنى إلى معنى، ومن مقصد إلى مقصد.

لقد افتتحت مُتَوَجِّة باسم الله، كما يُتَوَجَّ القَاضِي كُلُّ حَكَمٍ من أَحْكَامِه باسم جَلَالَةِ الْمَلِكِ، لإِعْلَانِ الْجَهَةِ التي يستمد منها نفوذه في صدور أَحْكَامِه، ثم انتقل الكلام فيها سريعاً إلى الاستدلال على أن الاستعانة إنما هي بالله تعالى وحده، وذلك بإضافة الاسم إلى لفظ الْجَلَالَةِ، الذي هو اسم الذات الجَامِعِ لصفات الْكَمَالِ، وبوصف لفظ الْجَلَالَةِ بأنه ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ - الفاتحة ٣.

ثم انتقل الكلام إلى إِعْلَانِ أنه تعالى مستحق للمَحَامِدِ كلها، ما دام أنه المستعان وحده.

ثم انتقل إلى تدعيم هذا الاستحقاق بأدلة ثلاثة جرت على اسم الْجَلَالَةِ مجرى الأوصاف في مقام حمده ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ٢ ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ ٣ ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ ٤ - الفاتحة.

ثم انتقل الكلام إلى إِعْلَانِ وحدانيته ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ما دام أنه هو المعين وحده، ومستحق المحامد كلها وحده.

ثم انتقل الكلام في براعة إلى بَيَانِ المَطْمَحِ الْأَعْلَى لِلْإِنْسَانِ، وهو الْهِدَايَةِ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وأنه لا سَبِيلَ إِلَى الْوُصُولِ إِلَى هَذَا المَطْمَحِ عن طريق أحد إلا عن طريق الله وحده، بقرينة ما سبق من أدلة التَّوْحِيدِ والتَّمَجِيدِ قبله ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.

ثم انتقل الكلام إلى تقسيم الخلق بالنسبة إلى هذه الهداية ثلاثة أقسام، تَنْبِيْهَا وإغراء على المقصود، وتحذيراً وتنفيراً من الوقوع في نقيض هذا المقصود ﴿صِرْطَ الَّذِينَ أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾.

وإذا الناس أمام عينيك بين مُنْعَم عليه بِمَعْرِفَةِ الحق واتباعه، ومغضوب عليه بمخالفة الحق مع العلم به، وضالّ في متاهة الضلال، لا يكلف نفسه عناء البحث عن الحق.

ثم تنظر في سورة البقرة فإذا هي وما بعدها ترتبط بالفاتحة ارتباط المُفَصَّل بالمُجْمَل. فالهداية إلى الصراط المُسْتَقِيم صراط من أنعم الله عليهم من النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشَّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ، تشرحها سورة البقرة وما يليها من سُورِ الْقُرْآنِ، حيث جاءت بتفاصيل هذه الهداية في بيان كامل، وعرضٍ شاملٍ.

فتراه ينتقل من مقصد إلى مقصد بأسلوب أخذ رائع بديع.

هذا بخلاف كلام البشر، حيث يضطر العلماء والمؤلفون في تنقلاتهم بين أغراضهم إلى استِعمال أسماء الإشارة، وأدوات التَّنْبِيْهِ، ولفظ أمّا بعد، ونحو هذا، وتقسيم الكتاب إلى مباحث، وكل مَبْحَثٍ يشتمل على النقاط الآتية...

الخاصة الخامسة: براعته في تصرّف القول وثروته في أفانين الكلام.

فيورد المعنى الواحد بالفاظ وبطرق مُخْتَلِفَةً، بمقدرة فائقة خارقة، تنقطع في حَلَبَتِهَا أنفاس الموهوبين من الفصحاء والبلغاء، من ذَلِكَ: تعبيره عن طلب الفعل من المخاطبين بالوجوه الآتية:

١- الإتيان بصريح مادة الأمر، نحو قوله سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ - النساء ٥٨.

٢- الإخبار بأن الفعل مكتوب على المكلفين، نحو: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ - البقرة ١٨٣.

- ٣- الإخبار بكونه على الناس، نحو: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ - آل عمران ٩٧.
- ٤- الإخبار عن المكلف بالفعل المطلوب منه، نحو: ﴿وَالْمُطَلَقَتُ يَرْبِصْنَ أَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ - البقرة ٢٢٨، أي: مطلوب منهن أن يربصن.
- ٥- الإخبار عن المبتدأ بمعنى يطلب تحقيقه من غيره، نحو: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ - آل عمران ٩٧، أي: مطلوب من المخاطبين تأمين من دخل الحرم.
- ٦- طلب الفعل بصيغة فعل الأمر، نحو: ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾ - البقرة ٢٣٨.
- أو بلام الأمر، نحو: ﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نَدْوَهُمْ وَلِيَطَوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَرَبِيِّ﴾ - الحج ٢٩.
- ٧- الإخبار عن الفعل بأنه خير، نحو: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحُهُمْ خَيْرٌ﴾ - البقرة ٢٢٠.
- ٨- وصف الفعل وصفاً عنوانياً بأنه برّ، نحو: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى﴾ - البقرة ١٨٩.
- ٩- وصف الفعل بالفرضية، نحو: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ﴾ - الأحزاب ٥٠، أي: من بذل المهور والنفقة.
- ١٠- ترتيب الوعد والثواب على الفعل، نحو: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ، وَهُوَ آجِرٌ كَرِيمٌ﴾ - الحديد ١١.
- ١١- ترتيب الفعل على شرط قبله، نحو: ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ - البقرة ١٩٦.
- ١٢- إيقاع الفعل منفياً معطوفاً عقب استفهام، نحو: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ - النحل ١٧، أي: تذكروا.

١٣- إيقاع الفعل عَقِبَ تَرَجٍّ، نحو: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ - البقرة ١٨٥.

١٤- تَرْتِيبٌ وصف شنيع على ترك الفعل، نحو: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ - المائدة ٤٤.

وانظر من ذَلِكَ تعابيره عن النهي والإباحة.

ولقد خلع هَذَا التصرف والافتتان لباساً فضفاضاً من الجِدَّةِ والروعة على القرآن، فلا يَمَلُّ قارئه، ولا يَسَامُ سامعه مهما كثرت القِرَاءَةُ والسَّمَاعُ. وهذا التصرف في القول فن من فُنُونِ إعجازه الأسْلُوبِي.

الخاصة السادسة: جمع القرآن بين الإجمال والبيان، مع أنها غايتان متقابلتان، لا يجتمعان في كلام واحد من الناس، بل كلامهم إما مُجْمَلٌ وإما مُبَيَّنٌ.

والمُجْمَلُ^(١): ما له دلالة غير واضحة، مثل: لفظ (مُخْتَار) فإنه متردد بين الفاعل والمفعول. ولفظ (الْقُرْء) فإنه متردد بين الحيض والطُّهر.

والمُبَيَّن: ما لا خفاء فيه، لا ما وقع إليه السياق. نحو: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ - المائدة ٣٨.

لأن الكلمة إما واضحة المعنى لا تحتاج إلى بَيَان، وإما خفية المعنى تحتاج إلى بَيَان. أما كلمة القرآن فإنك تجدها واضحة المغزى وضوحاً يريح النفس من عناء التعقيب والبحث لأول وهلة، وإذا أمعنت النَّظَرَ فيها لاحت منها معاني جديدة كلها صَحِيح أو محتمل لأن يكون صَحِيحاً، وكلما أمعنت فيها النَّظَرَ زادتكَ من المَعَارِفِ والأسرار بقدر ما تصيب أنت من النَّظَرِ وما تحمل من الاستعداد.

(١) المُجْمَل: هو ما خفي المراد منه بنفس اللفظ خفاءً لا يُدْرِك إلا بَيَان من المُجْمَل، سواء كان ذَلِكَ لتزاحم المعاني المتساوية الأقدام كالمشترك. أو لغرابة اللفظ كالهَلُوع (وهو من يسرع في الجَزَع عند إصَابَةِ المكروه. وفي المنع عند إصَابَةِ الخَيْر)، أو لانتقاله من معناه الظاهر إلى ما هو غير معلوم كالصلاة والزكاة والربا. / انظر: شَرْح التلويح على التَّوَضُّعِ لِلتَّفْتَازَانِي ج ١ ص ١٢٧.

ولهذا السر وجد في كتاب الله جميع أصحاب المذاهب المُخْتَلِفَةِ والمشارب المتباينة شفاء أنفسهم.

وليس كذلك كلام البشر، فإنهم إذا قصدوا إلى توضيح أغراضهم ضاقت ألفاظهم، ولم تتسع لاستنباط وتأويل، وإذا قصدوا إلى إجمالها لم يتضح ما أرادوه وربما التحق بالألغاز.

الخاصة السابعة: قَصْدُ الْقُرْآنِ فِي اللفظ مع وفائه بالمعنى.

ففي ألفاظ القرآن بيان قاصد، مقدر على حاجات البشر من الهداية، دون أن يزيد اللفظ على المعنى، أو يقصر عن الوفاء بحاجات من هداية الخالق.

ومع هذا اتضح المعنى في صورة كاملة، قال ابن عطية: (لو نُزِعَتْ مِنْهُ لَفْظَةٌ، ثُمَّ أُدِيرَ لِسَانُ الْعَرَبِ عَلَى لَفْظَةٍ أَحْسَنَ مِنْهَا لَمْ تَوْجَدْ).

أما البليغ من الناس فإن أراد القصد في اللفظ حمله على الغص من شأن المعنى، وقد يبلغ إلى حد الألغاز.

وإذا أراد الوفاء بالمعنى حمله على الإسهاب، حرصاً على ألا يفوته شيء من المعنى الذي يقصده.

وإذا افترضنا أن بليغاً كتب له التوفيق بين هاتين الغايتين في جملة أو جملتين فإن الكلال يلحقه في بقية الكلام لا محالة.

والنَّاطِرُ فِي مَا أَثَرُ عَنْ أَرْبَعِ الشُّعْرَاءِ وَالْكَتَّابِ وَالْخُطَبَاءِ يَجِدُ ذَلِكَ وَاضِحاً، وَمَا كَانَ اللَّفْظُ الْوَاضِحُ الْجَامِعُ وَالْمَعْنَى النَّاصِعُ إِلَّا فِي آيَاتٍ أَوْ جُمَلٍ مَعْدُودَةٍ.

حَتَّى الرَّسُولُ ﷺ مَعَ أَنَّهُ أُوتِيَ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَأَشْرَقَتْ نَفْسُهُ بِأَنْوَارِ النُّبُوَّةِ، وَسَمَّا كَلَامَهُ عَلَى كَلَامِ كُلِّ إِنْسَانٍ، فَإِنْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقُرْآنِ الْبُؤْسُ الشَّاسِعُ.

الوجه الثاني: تَأْثِيرُهُ وَسُلْطَانُهُ عَلَى الْقُلُوبِ، وَأَخْذُهُ بِمَجَامِعِ الْأَفْتَدَةِ

فقارئه لا يَمَلُّهُ، وسامعه لا يَمُجُّهُ، بل الإكباب على تلاوته يَزِيدُهُ حلاوة، وترديده يوجب له محبة، فإذا قرع السمع خَلَصَ له إلى القلب من اللذة والحلاوة ما تشرح له الصدور، وتستبشر به النفوس^(١).

ودليل ذلك ما يأتي:

١- أنهم كانوا يهيمون على وجوههم ليلاً، فيهجرون لذة النوم ليستمعوا إلى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وهو يتلو الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ، قائماً بالليل أو في صلاة الفجر، فتطرب نفوسهم، وتهش له أفئدتهم.

قال الزُّهْرِيُّ: إِنَّ أَبَا جَهْلٍ وَأَبَا سُفْيَانَ وَالْأَخْنَسَ بْنَ شَرِيقٍ خَرَجُوا لَيْلَةً لِيَسْمَعُوا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وهو يصلي بالليل في بيته، فأخذ كل رجل منهم مجلساً يستمع منه، وكلٌّ لا يعلم بمكان صاحبه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا أصبحوا وطلع الفجر تفرقوا، فجمعهم الطريق، فتلاوموا، وقال بعضهم لبعض: لا تعودوا فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئاً، ثم انصرفوا.

حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد كلُّ رجل منهم إلى مجلسه. فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا، فجمعهم الطريق، فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة، ثم انصرفوا.

فلما كانت الليلة الثالثة أخذ كلُّ رجل منهم مجلسه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا

(١) الشفاج ١ ص ٢٧٣ و ٢٧٦ والإثقان ص ٧١٩ نَقْلًا عَنْهُ وَعَنْ غَيْرِهِ، وَسُبُلُ الْهُدَى وَالرَّشَاد ج ٩ ص ٥٨٧ وعلم أُمُودُ الْفَقْهِ لَعَبْدِ الْوَهَّابِ خَلَّاف ص ٣١. قال الْخَطَّابِيُّ: قلت في إعجاز الْقُرْآنِ وجهاً آخر، ذهب عنه الناس فلا يكاد يعرفه إِلَّا الشَّاذُّ مِنْ أَحَادِهِمْ، وَذَلِكَ صَنِيعُهُ بِالْقُلُوبِ... / انظر: بَيَانُ إعْجَازِ الْقُرْآنِ لِلْخَطَّابِيِّ - ثلاث رَسَائِلُ فِي إعْجَازِ الْقُرْآنِ ص ٧٠.

طلع الفجر تفرقوا، فجمعهم الطريق، فقالوا:

لا نبرح حتى نتعاهد ألا نعود، فتعاهدوا على ذلك، ثم تفرقوا.

فلما أصبح الأحنس بن شريق، أخذ عصاه ثم خرج، حتى أتى أبا سُفْيَانَ في بيته، فقال: أَخْبِرْنِي يَا أَبَا حَنْظَلَةَ عَنْ رَأْيِكَ فِيمَا سَمِعْتَ مِنْ مُحَمَّدٍ؟ فقال: يَا أَبَا ثَعْلَبَةَ وَاللَّهِ لَقَدْ سَمِعْتُ أَشْيَاءَ أَعْرِفُهَا وَأَعْرِفُ مَا يَرَادُ بِهَا، وَأَشْيَاءَ لَا أَعْرِفُهَا وَلَا أَعْرِفُ مَا يَرَادُ بِهَا. فقال الأحنس: وأنا والذي حلفت به.

ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جَهْلٍ، فدخل عليه بيته، فقال:

يَا أَبَا الْحَكَمِ، مَا رَأَيْكَ فِيمَا سَمِعْتَ مِنْ مُحَمَّدٍ؟ فقال: ماذا سمعتُ؟ تنازعنا نحن وبنو عبد مَنَافِ الشَّرَفِ، أَطْعَمُوا فَأَطْعَمْنَا، وَحَمَلُوا فَحَمَلْنَا، وَأَعْطُوا فَأَعْطَيْنَا، حَتَّى إِذَا تَجَائَيْنَا عَلَى الرُّكْبِ، وَكُنَّا كَفَرَسِي رَهَانَ قَالَ: مَنَا نَبِيٌّ يَأْتِيهِ الْوَحْيُ مِنَ السَّمَاءِ، فَمَتَى نَدْرِكُ هَذِهِ؟ وَاللَّهِ لَا نَسْمَعُ بِهِ أَبَدًا وَلَا نَصَدِّقُهُ، فَقَامَ عَنْهُ الْأَحْنَسُ بْنُ شَرِيقٍ^(١).

وهذا دليل واضح على أن نفوسهم مستيقنة بصدق القرآن وإعجازه، لكن عنادهم وحسد هم حال دون التصديق به.

٢- جاء الوليد بن المغيرة إلى النبي ﷺ فقرأ عليه القرآن فكانه رَقَّ له، فبلغ ذلك أبا جهل.

فأتاه فقال: يَا عَمَّ، إِنْ قَوْمُكَ يَرُونَ أَنْ يَجْمَعُوا لَكَ مَا لَا لِيُعْطَوْكَ، فَإِنَّكَ أَتَيْتَ مُحَمَّدًا لَتَتَرَضَّ لِمَا قَبْلَهُ.

(١) السَّيْرَةُ النَّبَوِيَّةُ لابن كثير ج ١ ص ٥٠٥-٥٠٦ (وهي من كتابه البِدَايَةُ وَالنَّهَائَةُ). وَرِوَايَةُ الزُّهْرِيِّ نَقْلَهَا ابْنُ كَثِيرٍ عَنِ الْبَيْهَقِيِّ عَنِ الْحَاكِمِ بِسَنَدِهِ إِلَى الزُّهْرِيِّ. وَهَذَا فِي سِيرَةِ ابْنِ هِشَامٍ ج ٢ ص ٦٦ المطبوعة مع الرُّوضِ الْأَنْفِ، تَحْقِيقُ: طه عبد الرؤوف سعد، وَسُبُلُ الْهُدَى وَالرَّشَادِ ج ٢ ص ٤٧٠.

قال: لقد علمتُ قُرَيْشُ أَنِّي مِنْ أَكْثَرِهَا مَا لَا.

قال: فقل فيهِ قولاً يبلِّغُ قومك أَنَّكَ مُنْكَرٌ لَهُ، وَأَنَّكَ كَارِهِ لَهُ.

قال: وماذا أقول، فوالله ما فيكم رجل أعلم بالشعر مني، ولا بِرَجَزِهِ ولا بِقَصِيدِهِ مني ولا بِأَشْعَارِ الْجَنِّ، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هَذَا، ووالله إِنْ لَقَوْلُهُ لَحَلَاوَةً، وَإِنْ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةً، وَإِنَّهُ لَمُنِيرٌ أَعْلَاهُ، وَإِنَّهُ لَمُشْرِقٌ أَسْفَلُهُ، وَإِنَّهُ لَيَعْلُو وما يُعْلَى، وَإِنَّهُ لَيَحْطِمُ ما تَحْتَهُ.

قال: لا يرضى عنك قومك حتَّى تقول فيهِ.

قال: فدعني حتَّى أفكر، فلما فكر، قال: هَذَا سحر يُؤَثِّرُ، يَأْثُرُهُ عَنْ غَيْرِهِ، فَنَزَلَتْ: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ - الْمُدَّثِّرُ ١١ (١).

وللقصة روايات عديدة من طرق مُخْتَلِفَةٍ (٢)، جاء في بعضها عند الْقُرْطُبِيِّ أَنَّ الْوَلِيدَ قَالَ: ... (وَإِنَّهُ لَيَعْلُو وَلَا يُعْلَى عَلَيْهِ، وَمَا يَقُولُ هَذَا بَشَرًا)، حِينَ جَاءَتْ قُرَيْشُ إِلَى الْوَلِيدِ فَقَالَتْ لَهُ: (فَمَا هُوَ؟ فَفَكَرَ فِي نَفْسِهِ، ثُمَّ نَظَرَ، ثُمَّ عَبَسَ، فَقَالَ: مَا هُوَ إِلَّا سَاحِرٌ، أَمَا رَأَيْتُمُوهُ يَفْرُقُ بَيْنَ الرَّجُلِ وَأَهْلِهِ وَوَلَدِهِ وَمَوَالِيهِ؟ فَقَالَ رَدًّا عَلَيْهِ: ﴿إِنَّهُ، فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾ (١٨) ﴿فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ (١٩) ﴿ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ (٢٠) ﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾ (٢١) ﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ﴾ (٢٢) ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ﴾ (٢٣) فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سَاحِرٌ يُعْرِئُ وَيُؤْتِرُ﴾ (٢٤) إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ (٢٥) سَأَصْلِيهِ سَفَرٌ﴾ (٢٦) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَفَرٌ﴾ (٢٧) - الْمُدَّثِّرُ.

٣- عَنْ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ أَنَّهُ كَلَّمَ النَّبِيَّ ﷺ فِيمَا جَاءَ بِهِ مِنْ خِلَافِ قَوْمِهِ، فَتَلَا عَلَيْهِمْ ﴿حَمْدٌ﴾ (١) تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٢) كُتِبَ فُصِّلَتْ ﴿إِلَى قَوْلِهِ فِي الْآيَةِ ١٣﴾ ﴿فَإِنْ﴾

(١) لُبَّابُ النَّقُولِ فِي أَسْبَابِ النَّزُولِ لِلشُّيُوطِيِّ فِي أَسْبَابِ نَزُولِ الْآيَةِ ١١ مِنْ سُورَةِ الْمُدَّثِّرِ. وَالرُّوَايَةُ أَخْرَجَهَا الْحَاكِمُ وَصَحَّحَهَا عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وَإِسْنَادُهَا صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الْبُخَارِيِّ.

(٢) انظر: السِّيَرَةُ النَّبَوِيَّةُ لِابْنِ كَثِيرٍ ج ١ ص ٤٩٨-٥٠١ وَسِيَرَةُ ابْنِ هِشَامٍ ج ٢ ص ١١ وَتَفْسِيرُ الْقُرْطُبِيِّ ج ١٠ ص ٦٨٦٥-٦٨٦٦ وَالشَّفَا ج ١ ص ٢٦٢ وَتَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ ص ١٣٧٩.

أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١﴾ - فَصَلَّتْ، فَأَمَسَكَ عُتْبَةُ عَلَى فَمِ النَّبِيِّ ﷺ، وَنَاشَدَهُ الرَّحِمَ أَنْ يَكْفَ عَنْهُ، وَلَمْ يَخْرُجْ إِلَى أَهْلِهِ، وَاحْتَبَسَ عَنْهُمْ^(١).

وَفِي رِوَايَةٍ. فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَقْرَأُ وَعُتْبَةُ مُضْغٌ مُلْقٍ يَدِيهِ خَلْفَ ظَهْرِهِ، مُعْتَمِدٌ عَلَيْهِمَا، حَتَّى انْتَهَى إِلَى السَّجْدَةِ، فَسَجَدَ النَّبِيُّ ﷺ، وَقَامَ عُتْبَةُ لَا يَدْرِي بِمَ يَرِاجِعُهُ، وَرَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَلَمْ يَخْرُجْ إِلَى قَوْمِهِ حَتَّى أَتَوْهُ، فَاعْتَذَرُوا لَهُمْ، وَقَالَ: وَاللَّهِ لَقَدْ كَلَّمَنِي بِكَلَامٍ وَاللَّهُ مَا سَمِعْتُ أَذْنَائِي بِمِثْلِهِ قَطُّ، فَمَا دَرَيْتُ مَا أَقُولُ لَهُ^(٢).

وَفِي رِوَايَةٍ:

ثُمَّ قَامَ عُتْبَةُ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: نَحْلِفُ بِاللَّهِ. لَقَدْ جَاءَكُمْ أَبُو الْوَلِيدِ بِغَيْرِ الْوَجْهِ الَّذِي ذَهَبَ بِهِ. فَلَمَّا جَلَسُوا إِلَيْهِ قَالُوا: مَا وَرَاءُكَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ؟

قَالَ: وَرَائِي أَنِي وَاللَّهُ قَدْ سَمِعْتُ قَوْلًا مَا سَمِعْتُ مِثْلَهُ قَطُّ، وَاللَّهُ مَا هُوَ بِالشَّعْرِ وَلَا الْكَهَانَةِ، يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ أَطِيعُونِي وَاجْعَلُونَهَا بِي، خَلُّوا بَيْنَ هَذَا الرَّجُلِ وَبَيْنَ مَا هُوَ فِيهِ، وَاعْتَزَلُوهُ، فَوَاللَّهِ لَيَكُونَنَّ لِقَوْلِهِ الَّذِي سَمِعْتُ نَبَأًا، فَإِنْ تَصَبَّه الْعَرَبُ فَقَدْ كَفَيْتُمُوهُ بِغَيْرِكُمْ، وَإِنْ يَظْهَرُ عَلَى الْعَرَبِ فَمَلِكُهُ مَلِكُكُمْ، وَعِزُّهُ عِزُّكُمْ، وَكُنْتُمْ أَسْعَدَ النَّاسِ بِهِ.

قَالُوا: سَحَرَكُ وَاللَّهُ يَا أَبَا الْوَلِيدِ بِلِسَانِهِ.

قَالَ: هَذَا رَأْيِي لَكُمْ، فَاصْنَعُوا مَا بَدَأَ لَكُمْ^(٣).

وَعُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ بْنُ عَبْدِ شَمْسٍ بْنُ عَبْدِ مَنَافٍ مِمَّنْ قَتَلَ بَدْرَ كَافِرًا.

٤- رَوَى ابْنُ سِنَجَرٍ بِسَنَدِهِ إِلَى شُرَيْحِ بْنِ عُبَيْدٍ قَالَ:

قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: خَرَجْتُ أَتَعَرَّضُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - قَبْلَ أَنْ أُسْلِمَ - فَوَجَدْتُهُ

(١) السِّيَرَةُ النَّبَوِيَّةُ لِابْنِ كَثِيرٍ ج ١ ص ٥٠٢.

(٢) الشَّفَا ج ١ ص ٢٧٤-٢٧٥.

(٣) السِّيَرَةُ النَّبَوِيَّةُ لِابْنِ كَثِيرٍ ج ١ ص ٥٠٤-٥٠٥.

قد سبقني إلى المسجد، فقامت خلفه، فاستفتحت سورة الحَاقَّة، فجعلت أتعجب من تأليف القرآن، قال: قلت: هَذَا والله شاعر، كما قالت قُرَيْش، فقرأ: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ - الحَاقَّة، قال: قلت: كاهن علم ما في نفسي، فقال ﴿وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَا نَذْكُرُونَ﴾ - الحَاقَّة ٤٢ إلى آخر السورة.

قال: فوقع الإسلام في قلبي كل موقع^(١).

٥- إسلام عُمَرُ بن الخطَّاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وملخص رواية ابن إسحاق في السيرة هو: أن عُمَرُ بن الخطَّاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ خرج متوشحاً سيفه يريد رسول الله ﷺ وأصحابه الذين اجتمعوا معه في بيت قرب الصِّفا.

ولقيه في الطريق نُعَيْم بن عبد الله، فسأله عن وجهته، فأخبره بغرضه، فحذَّره بني عبد منَّاف، ودعاه أن يرجع إلى بعض أهله (حَتَّيْهِ سَعِيد بن زَيْد ابن عمه، وأُخْتُهُ فاطمة بنت الخطاب زوج سَعِيد) فقد صَبَا عن دينهما.

فذهب إليهما عُمَرُ فسمع حَبَّاب بن الأَرْت، يتلو عليهما القرآن، فاقتحم الباب وبطش بِحَتَّيْهِ سَعِيد، وشجَّ أُخْتُهُ فاطمة، ثم أخذ الصحيفة - بعد حوار دار بينهم - وفيها سورة طه، فلما قرأ صدرها منها، قال: ما أَحْسَنَ هَذَا الكلام وأكرمه!

ثم ذهب إلى النَّبِيِّ ﷺ فأعلن إسلامه، فكَبَّرَ عليه الصلاة والسلام تكبيرة عرف أهل البيت من أصحابه أن عُمَرُ قد أسلم.

وفي رواية أُخرى: أن عُمَرُ قال: (فلما سمعت القرآن رَقَّ له قلبي، فبكيت، ودخلني الإسلام)^(٢).

(١) الرُّوضُ الْأَنْفُ ج ٢ ص ٩٩-١٠٠.

(٢) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٩٥-٩٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٣٢-٣٩ وبيان إعجاز القرآن للخطابي ص ٧٠.

وهناك روايات أخرى، وكلها تجمع على أن عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد أسلم حين سمع بعض آيات القرآن الكريم تتلى من سورة طه.

٦- كان المُشْرِكُونَ يجتهدون في صد الرُّسُولِ ﷺ عن تلاوة القرآن في الكعبة، وفي مجامعهم وأسواقهم، وكانوا يتواصون بعدم سَماعه، قال تعالى فيهم: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَبُونَ﴾ - فَصَّلَتْ ٢٦، لئلا يسمعها المُشْرِكُونَ، وعندها تعترهم هيبة القرآن فيُسْلِمُونَ.

٧- وكان أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين يقرأ القرآن لا يملك عينيه من البكاء، فكان يجتمع الأولاد والنساء، وهم يعجبون منه وينظرون إليه. فحمل ذَلِكَ قُرَيْشاً على منعه من الصلاة في المسجد الحرام، ثم من داره^(١).

٨- حين قرأ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ القرآن في الموسم على النفر الذين حضروه من الأنصار آمنوا به وعادوا إلى المَدِينَةِ فأظهروا الدِّينَ بها فلم يبق بيت من بيوت الأنصار إلا وفيه قرآن.

وقد روي عن بعضهم أنه قال: فتحت الأمصار بالسيوف، وفتحت المَدِينَةُ بالقرآن^(٢).

٩- روي عن نَصْرَانِيٍّ أنه مر بقارئ - يتلو القرآن جهراً - فوقف يبكي، فقيل له: لِمَ بكيت؟ فقال: لِلشَّجَا وَالنَّظْمِ^(٣).

والمُرَاد بالشَّجَا هو الحزن الذي أصابه من استماعه، فَرَّقَ قلبه وخشع بدنه.

(١) حَدِيثُ أَبِي بَكْرٍ حين يقرأ القرآن، في: صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ في: ٦٣ كتاب مَنَاقِبِ الْأَنْصَارِ، ٤٥

باب هجرة النَّبِيِّ ﷺ وأصحابه إلى المَدِينَةِ، رقم ٣٩٠٥، عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) بَيَانُ إعجاز القرآن ص ٧١.

(٣) الشفاج ١ ص ٢٧٤.

والمُرَاد بالنَّظْم هو رونق انتظامه وحُسن انسجامه.

١٠- وذكر أبو عُبَيْد أن أعرابياً سمع رجلاً يقرأ ﴿ فَأَصْدَغَ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضَ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ - الْحِجْرِ ٩٤، فسجد، وقال: سجدت لفصاحته^(١).

١١- وسمع آخر رجلاً يقرأ ﴿ فَلَمَّا أَسْتَيْسَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا ﴾ - يُوسُف ٨٠، فقال: أشهد أن مخلوقاً لا يقدر على مثل هذا الكلام^(٢).

١٢- وعن جُبَيْر بن مُطْعِم قال: سمعتُ النَّبِيَّ ﷺ يقرأ في المَغْرِب بالطُّور، فلما بلغ هذه الآية: ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴾ ٣٥ أَمْ خَلِقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴾ ٣٦ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَيْكَ أَمْ هُمُ الْمُصِيطِرُونَ ﴾ ٣٧ - الطُّور، كاد قلبي أن يطير. وفي رواية: وذلك أول ما قرأ الإيَّان في قلبي^(٣).

وقال أبو عُبَيْد:

إن جُبَيْراً قال: (فكأنما صُدِعَ قلبي) حين سمع النَّبِيَّ يقرأ في صلاته بأصحابه: ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوْ قَعٌ ﴾ ٧ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ﴾ ٨ - الطُّور^(٤).

١٣- حكي عن بعضهم. أنه كان إذا أخذ المصحف بيده يُغشى عليه من هيئته^(٥).

(١) الشفاج ١ ص ٢٦٢ وسُبُلُ الْهُدَى وَالرَّشَاد ج ٩ ص ٥٧٨.

(٢) المصدران السَّابِقَان.

(٣) الشفاج ١ ص ٢٧٤.

ورواية: كاد قلبي أن يطير، في: صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ في: ٦٥ كتاب التَّفْسِير - سورة الطُّور، ١ باب، رقم ٤٨٥٤ عن جُبَيْر بن مُطْعِم.

والرواية الأخرى: وذلك أول ما قرأ... إلخ، في: صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ في: ٦٤ كتاب المَغَازِي،

١٢ باب، رقم ٤٠٢٣ عن جُبَيْر بن مُطْعِم.

(٤) الأموال لأبي عُبَيْد الْقَاسِمِ بن سَلَام ص ١٦٤.

(٥) معترك الأقران في إعجاز القرآن للشيوطي ج ١ ص ٢٤٤.

وَأَنْ بَعْضَ الصَّالِحِينَ: إِذَا تَلَى الْقُرْآنَ تَوَاجَدُوا وَصَاحُوا، وَقَدْ يَتَعَدَّى ذَلِكَ إِلَى الْعَشِيِّ وَشَقَّ الثِّيَابِ، وَمِثْلُهُ لَا يُنْكَرُ. وَمَنْ لَمْ يَدُقْ لَا يَعْرِفُ^(١).

١٤ - وَقَدْ مَاتَ جَمَاعَةٌ عِنْدَ سَمَاعِ آيَاتِ مِنْهُ، أَفْرَدُوا بِالتَّصْنِيفِ^(٢).

وَأَمْثَالُ هَذَا كَثِيرٌ لَا يَتَسَعُ الْمَجَالُ لِلِإِطَالَةِ بِهِ.

هَذَا التَّأْثِيرُ الْعَجِيبُ فِي أَهْلِ الْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ، وَإِنْ كُنَّا لَا نَحْسُ بِهِ الْآنَ لَغَلْبَةِ الْعُجْمَةِ وَفَشُو الْجَهْلِ بِلِسَانِ الْعَرَبِ فِينَا، وَلَكِنَّهُ حِينَ نَزَلَ بُهَرُوا بِهِ، وَتَذَوَّقُوا حِلَاوَتَهُ، فَجَرَّهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ جَرًّا.

حَتَّى إِنَّهُ وَرَدَ فِي صِفَةِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: أَنَّ الَّذِي كَانَ يَمُرُّ بِبَيْتِهِمْ لَيْلًا يَسْمَعُ مِنْهَا مِثْلَ دَوِيِّ النَّحْلِ مِنْ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ.

وَكَانَ بَعْضُهُمْ يَقُومُ اللَّيْلَ كُلَّهُ، حَتَّى شَكَتَ مِنْهُمْ نِسَاؤُهُمْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ.

وَكَانَ بَعْضُهُمْ يَقِيمُ اللَّيْلَ بِلَايَةٍ وَاحِدَةٍ، يَكْررها وَيَتَدَبَّرُهَا.

وَكَانُوا يَقْرَأُونَهُ فِي كُلِّ حِينٍ مُسْتَلْقِينَ وَقَائِمِينَ، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ - آلِ عِمْرَانَ ١٩١.

وَتَقْشَعِرُ جُلُودُهُمْ لِتِلَاوَتِهِ، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَبِهًا مَثَانِيَ نَقَشِعُرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ - الزَّمَرُ ٢٣^(٣).

حَكَى الْأَصْمَعِيُّ أَنَّهُ سَمِعَ كَلَامَ جَارِيَةٍ فَقَالَ لَهَا: (قَاتِلِي اللَّهَ مَا أَفْصَحَكَ؟ فَقَالَتْ: أَوْ يُعَدُّ هَذَا فَصَاحَةً بَعْدَ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ

(١) نَسِيمُ الرِّيَاضِ ج ٢ ص ٥٢٤.

(٢) الْبُرْهَانُ لِلزَّرْكَشِيِّ ج ٢ ص ١٠٦ وَالْإِتْقَانُ لِلْسُّيُوطِيِّ ص ٧٢٠.

(٣) الْوَحْيُ الْمُحَمَّدِيُّ ص ١٢٢.

فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ - القصص
٧، فجمع في آية واحدة بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين^(١).

وتقصد بالأمرين: أرضعيه وألقيه. وبالنهيين: لا تخافي ولا تحزني. وبالخبرين: وأوحينا، فإذا خفت عليه. وبالبشارتين: رادّوه وجاعلوه^(٢).

الوجه الثالث: إخباره بوقائع غيبية، لا يعلمها إلا الله^(٣)، في الماضي أو الحاضر أو المستقبل

١ - فقد أخبر عن غيب الماضي:

وقصّ علينا قصص الأنبياء السابقين مثل: آدم ونوح وهود وصالح ويعقوب ويوسف وإبراهيم... وأمثهم.

فبعد أن قص قصة نوح، قال: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَقِيبَ لِلْمُنْقِذِينَ﴾ - هود ٤٩.

وبعد أن قص قصة ولادة سيّدتنا مريم عليها السلام وكفالة زكريّا لها، قال: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَفْلَهُمُ أَهْلُكُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ - آل عمران ٤٤.

وفصّل قصة يوسف، ثم قال: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ - يوسف ١٠٢. وغير ذلك من القصص.

(١) الشفاج ١ ص ٢٦٣.

(٢) نسيم الرياض ج ٢ ص ٤٩٠.

(٣) الشفا السابق، والإنصاف للبقلائي ص ٦٣ وتمهيد الأوائل ص ١٨٥ والمواقف ج ٨ ص ٢٤٥ والمقاصد ج ٥ ص ٣٦ وسبل الهدى والرشاد ج ٩ ص ٥٨٨ وإثبات نبوة النبي ص ١٢٣ والفائق في أصول الدين ص ٣٣٥ وعلم أصول الفقه لعبد الوهاب خلاف ص ٣٠.

وهذه القصص حقيقية وردت أكثر أخبارها في التوراة والزبور والإنجيل، حتى جادل الرسول ﷺ اليهود فيها، وصدقوه كما في قصة يوسف وبني إسرائيل، حتى إنهم بهروا بما جاء به، لأنهم يعلمون أنه أُمِّي لا صلة له بكتبهم، وبما عندهم من أخبار.

كما أكدت صحة أخبار القرآن كتب التاريخ القديمة، والحفريات الحديثة التي تنبئ عن وجود تلك الأقوام وملوكها، وبعض أخبارهم المنقوشة في آثارهم العمرانية المطمورة.

٢- وأخبر عن غيب الحاضر:

أ- فتحدث عن الملائكة والجن، وعن الجنة والنار، وما يتصل بالله تعالى من صفات.

ب- كما أوضح حقيقة مسجد الضُّرَّار، الذي بناه المنافقون، وأرادوا به تفريق المؤمنين والإيقاع بينهم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ - التوبة ١٠٧.

ج- وفضح ما عليه المنافقون مما خفي عليه ﷺ فقال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ (٢٤) وَإِذَا تَوَلَّى سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ (٢٥) - البقرة.

٣- وأخبر عن غيب المستقبل:

أ- فقد أخبر عن غلبة الروم. رَوَى التِّرْمِذِيُّ عَنْ نِيَارِ بْنِ مُكْرَمٍ الْأَسْلَمِيِّ قَالَ: لما نزلت ﴿الْم ﴿١﴾ غُلِبَتِ الرُّومُ ﴿٢﴾ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾﴾ في بَضْعِ سِنِينَ ﴿٤﴾ - الروم ١-٤، فكانت فارس يومَ نزلت هذه الآية قَاهِرِينَ لِلرُّومِ، وكان المسلمون يحبون ظهور الروم عليهم، لأنهم وإياهم أهل كتاب، وذلك قول الله تعالى: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يُفْرِجُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ يَنْصُرُ اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ

الرَّحِيمُ ﴿٥﴾ - الرُّوم، وكانت قُرَيْش تحب ظهور فارس، لأنهم وإياهم ليسوا بأهل كتاب، ولا إيمان ببعث، فلما أنزل الله تعالى هذه الآية، خرج أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يصيح في نواحي مَكَّة: ﴿الْمَ (١) غَلَبَتِ الرُّومُ (٢) فِي أَذْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (٣) فِي بَضْعِ سِنِينَ﴾ - الرُّوم ١-٤.

قال ناس من قُرَيْش لأبي بكر: فذلِكَ بيننا وبينكم، زعم صاحبك أن الرُّوم ستغلب فارس في بضع سنين، أفلا نراهنك على ذلك؟ قال: بلى. وذلِكَ قبل تحريم الرِّهَان. فارتهن أبو بكر والمُشْرِكُونَ، وتَوَاصَعُوا الرِّهَانَ، وقالوا لأبي بكر: كم تجعل البِضْع ثلاث سنين إلى تسع سنين، فسمَّ بيننا وبينك وَسطاً تنتهي إليه. قال: فسمَّوا بينهم ستَّ سنين. قال: فمضت الستُّ سنينَ قبل أن يظهروا، فأخذ المُشْرِكُونَ رَهْنَ أبي بكر. فلما دخلت السنة السابعة ظهرت الرُّوم على فارس، فعاب المُسْلِمُونَ على أبي بكر تسمية ستَّ سنين، لأن الله تعالى قال: في بضع سنين، وأسلم عند ذلك ناس كثير^(١). وفي تَفْسِيرِ الْقُرْطُبِيِّ^(٢) روايات مُفَصَّلَةٌ أُخْرَى.

ب- وقال تعالى مخاطباً النَّبِيَّ ﷺ أنه سيدخل مَكَّة، وهو لم يملك بعدُ قوَّة دخولها: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّمِيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾ - الفتح ٢٧.

رأى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ في المنام قبل خروجه إلى الْحُدَيْبِيَّة: أنه هو وأصحابه دخلوا مَكَّة آمنين، وقد حلقوا وقصَّروا، فقصر رؤياه على أصحابه، فاستبشروا، وحسبوا أنهم داخلوها في عامهم، وقالوا: إنَّ رؤيا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حق. فلما تأخر ذلك، اعترض بعض المنافقين كعبد الله بن أبيّ وعبد الله بن نُفَيْل ورفاعة بن الحرث: والله ما حلقنا،

(١) سنن الترمذي في: ٤٣ كتاب تَفْسِيرِ الْقُرْآن، ٣٠ باب ومن سورة الرُّوم، رقم ٣١٩٤، ص ٥٠٨، قال الترمذي: هذا حديث صحيح حسن غريب. وهو بشرح عارضة الأخوذي ج ١٢ ص ٧٠-٧٢.

(٢) تَفْسِيرِ الْقُرْطُبِيِّ ج ٧ ص ٥٠٨٤.

ولا قصرنا، ولا رأينا المسجد الحرام، فأنزل الله تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّسُلَ بِالْحَقِّ﴾ - الفتح ٢٧، فأعلمهم أنهم سيدخلون مكة في غير هذا العام، وأن رؤياه حق^(١).

ج - كما أخبر القرآن الكريم بأن الله عاصم نبيه فلا يمكن اغتياله، مهما دبروا له من مكائد، وحرصوا على التخلص منه وقتله. قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ - المائدة ٦٧.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ يحرس، حتى نزلت هذه الآية: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ - المائدة ٦٧، فأخرج رسول الله ﷺ رأسه من القبة، فقال لهم: (يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمني الله)^(٢). وللحديث رواية أخرى عن عبد الله بن شقيق.

والنبي في معركة أحد أقرب المسلمين إلى العدو، حتى قال الإمام علي رضي الله عنه: (كنا إذا حمي الوطيس، احتمينا برسول الله فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه).

وفي غزوة حنين، حين رمت هوازن المسلمين (فأقبلوا هنالك إلى النبي ﷺ، وهو على بغلته البيضاء، وابن عمه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب يقود به، فنزل واستنصر، ثم قال: أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب، ثم صف أصحابه)^(٣).

(١) روح المعاني ج ٢٦ ص ١٢٠. وانظر: تفسير القرطبي عن فتادة ج ٩ ص ٦١٠٩-٦١١٠.

(٢) حديث: عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ يحرس... إلخ، في: سنن الترمذي في: ٤٣ كتاب تفسير القرآن، ٥ باب ومن سورة المائدة، رقم ٣٠٤٦، ص ٤٨٥. وهو بشرح عارضة الأحوذني ج ١١ ص ١٧٤. وانظر من هذه الأمثلة عن عصمة الله له في: الشفا ج ١ ص ٣٤٦ وما بعدها، وتفسير ابن كثير ص ٤٢٥.

(٣) حديث: فأقبلوا هنالك إلى النبي ﷺ... إلخ، في: صحيح البخاري في: ٥٦ كتاب الجهاد، ٩٧ باب من صف أصحابه عند الهزيمة، رقم ٢٩٣٠، بهذا اللفظ، عن البراء بن عازب. وانظر الحديث فيه أيضاً رقم ٢٨٦٤ و ٢٨٧٤ و ٣٠٤٢ و ٤٣١٥ و ٤٣١٦ و ٤٣١٧ وكلها عن البراء بن

فتحققت نبوءة القرآن الكريم، فلم يَتَمَكَّن أحد من الأعداء أن يصل إليه، مع وفرتهم وكثرة عُدَّتِهِم وتربصهم به كل حين، مع إقدامه في القتال، وشجاعته النادرة، وتعرضه للمُشْرِكِينَ بالحَرْب، وتسفيه آهتِهِم، مع أن كثيرًا من الرؤساء والملوك إذا تربص لهم عدوهم، نالوا منه، فيسقط مضرًا بدمائه.

د- نزل قوله تعالى: ﴿سَيَهْزِمُ الْجَمْعُ وَيُؤْلُونَ الدَّبْرُ﴾ - القمر ٤٥، بمكة، والجهاد لم يشرع إلَّا في السنة الثانية للهجرة، تنبؤًا بهزيمة المُشْرِكِينَ وانتصار المُسْلِمِينَ، حتى إن عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فيما رَوَى ابن أبي حاتم وابن مَرْدَوَيْهِ - جعل يقول حين نزلت هذه الآية: أيُّ جمع هذا؟ فلما كان يوم بَدْر رأيت رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقولها.

هذه الغيبات التي ذكرها القرآن الكريم وغيرها كثير، وردت أنبأؤها بشكل قاطع لا تردد فيه، وقد حدثتنا الأيام والوقائع عن صدقها تمامًا، فهل جاء بها هذا الرجل من عند نفسه؟ مع القطع بأنه ﷺ كان أُمِّيًّا لا يكتب ولا يقرأ، ولم يُعْهَدْ مِنْهُ ﷺ في جميع أزمانه تعاطٍ لدراسة كتب ولا تعلمها، وقد نفى عنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ذَلِكَ بقوله: ﴿وَمَا كُنْتُ تَسْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كُتُبٍ وَلَا تَخْطُهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَأَزْتَابَ الْمُبْطُلُونَ﴾ - العنكبوت ٤٨^(١).

إنه لا بد أن يكون قد استقها من مصدر وثيق لا يقبل الخطأ، هو الوحي من الله تعالى خالق كل شيء، ولا يمكن لعقل أن يحكم بأنها من عبقرية هذا الرجل، لأن المتنبي يتخذ من تجاربه الماضية مضباحًا يكشف بضوئه بعض خطوات من مجرى الحوادث المقبلة، ثم يصدر حكمه بكل تحفظ وحذر، ولا يمكنه أن يبت بما يقول، لأنه عندئذ يكون أحد رجلين:

عازب.

وهو في صحيح مُسْلِم في: ٣٢ كتاب الجهاد، ٢٨ باب غزوة حُنين، رقم ١٧٧٦، عن البراء.

(١) الإنصاف للباقلاني ص ٦٢. وانظر: كتابنا: أُمِّيَّة الرَّسُول مُحَمَّد ﷺ.

إما رجل مجازف لا يبالي بما يقول صدقاً أو كذباً، وهو شأن العَرَّافِينَ والمُنَجِّمِينَ.
وإما رجل اتخذ عند الله عهداً، فلن يخلف الله عهده، وهي سُنَّةُ الأنبياء
والمُرْسَلِينَ.

والنبوءات التي وردت في القرآن تدلُّ دلالة قاطعة على أنها من عند الله تعالى
على لِسَانِ رَسُولِهِ الْكَرِيمِ، ولا يمكن أن تكون من قبيل المجازفة الْوَارِدَةِ على ألسنة
العَرَّافِينَ.

الوجه الرابع: حَقَائِقُهُ الْعِلْمِيَّةُ الَّتِي جَاءَ الْعِلْمُ الْحَدِيثُ بِوُكُودِهَا^(١)

شَدَّ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ أَنْظَارَ النَّاسِ إِلَى الْكُونِ وَنَوَامِيصِهِ، وَإِلَى مَا فِيهِ مِنْ مَخْلُوقَاتٍ،
تَأْكِيداً عَلَى أَنَّهُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، فَمَا عَلَى الْمَرْءِ إِلَّا الْإِمْتِثَالُ لَهُ.

ومن تلك الشَّدَرَاتِ الْعِلْمِيَّةِ الَّتِي ذَكَرَهَا وَأَكْذَبَهَا الْعِلْمُ الْحَدِيثُ بِحَقَائِقِهِ الثَّابِتَةِ
مَا يَأْتِي:

١ - كان عُلَمَاءُ الْفَلَكَ مِنْذُ قُرُونٍ طَوِيلَةٍ قَبْلَ الْمِيلَادِ إِلَى ظُهُورِ الْمُرَاصِدِ الْفَلَكَيَّةِ قَدْ
انْقَسَمُوا إِلَى فَرِيقَيْنِ:

أحدهما: يرى أن الأرض ثابتة، وهي مركز العالم، والسيارات تدور حولها.

وثانيهما: يرى أن الشمس ثابتة والأرض والسيارات تدور حولها.

لَكِنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ أَكَّدَ أَنَّ الْأَجْرَامَ السَّمَاوِيَّةَ مَتَحَرِّكَةٌ سَابِحَةٌ فِي أَفْلَاكِهَا، قَالَ
تَعَالَى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۝٣٨ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ
حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ۝٣٩ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي
فَلَكَ يَسْبَحُونَ ۝٤٠﴾ - يس.

(١) علم أصول الفقه لعبد الوهاب خلاص ص ٢٩.

وجاءت المراسد الحديثة تؤكد ما جاء به القرآن العظيم، وهي أن كل جرم سابح في الفضاء غير ثابت.

٢- قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ - الذاريات ٤٧، يدل على أن الكون في توسع مستمر. يقول السير جيمس جينز: (مقدار هذا التمدد بنحو مائة وخمسة أميال في الثانية، لكل بُعد قدره مليون سنة ضوئية، وإن حجم الفضاء العالمي الآن يبلغ نحو عشرة أمثال حجمه منذ بدء تمدده، أي أن كل بُعد من أبعاده الثلاثة قد زاد قليلاً على ضعف قدره الأصلي)^(١).

ومسألة اتساعه أصبحت من مسلمات العلوم الآن، وهي التي هالت أنشتاين، واكتشف (هابل) عالم الطبيعة أن الكواكب السديمية تتعد عن سديمنا، واستنبط عالم الرياضيات البلجيكي (لومتر) من ذلك نظرية امتداد الكون.

٣- قوله تعالى: ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ - النبأ ٧، الآية تبين هذه الحقيقة، وتصرح بها أدق النظريات الجيولوجية التي تقول: بأن للجبال جذوراً وتدية في الأرض يعدل امتدادها ضعف ارتفاع الجبل عن الأرض.

٤- قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتْا كِتْلَةً وَاحِدَةً، فَفَنَقَّاهُمَا﴾ - الأنبياء ٣٠، الآية مصرية بأن السماوات والأرض كانتا كتلة واحدة، فجزئت إلى هذه الأجزاء. والنظريات الحديثة تذكر أن الأجرام السماوية كانت في الأصل سديماً واحداً.

٥- قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ﴾ - الأنعام ١٢٥، الآية مصرية بأن الذي يرتفع في السماء، يشعر بضيق الصدر وصعوبة التنفس، ومنذ اكتشاف الطبقات الجوية العالية بفضل الطائرات والصواريخ... رأى العلماء أن الأوكسجين ينقص في

تلك الطَّبَقَات، ويؤدي إلى الضيق، ولذلك يستعمل الطيارون حين يرتفعون في السماء أجهزة التنفس الصَّناعِيَّة تفادياً لذلك الضيق.

٦- قوله تعالى: ﴿وَلِنْ لَكُمْ فِي الْأَنْعَمِ لَعِبَةً شُغْيَكُمْ بِمَا فِي بُطُونِهِمْ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾ - النحل ٦٦، يَدُلُّ على أن اللَّبَن الخالص السائغ للشاربين يخرج من بين الفَرْث (وهو الفضلات) والدم. وهذه الحقيقة يوضحها العلم الحديث حين يقرر أن الحليب قبل أن يصبح في الثدي يمر بعملِيَّتِي تصفية: أولاهما: تصفيته من الفضلات، وذلك بعد الهضم، ونُزُول السَّائِل الحليبي إلى الأمعاء، إذ تقوم الزغبيات المعوية بامتصاص المواد الغذائية طارحة إياها في الدم ومبقية الفضلات في الأمعاء، حيث تطرح خارج الجسم، أما المواد الممتصة التي طرحت في الدم فإن قسماً منها يغذي جسم الكائن الحي، وقسماً آخر تصفيه الغدد اللَّبَنِيَّة من الدم وترسله إلى الضرع حليباً خالصاً^(١).

هذه الحَقَائِق الْعِلْمِيَّة وغيرها كثير مما جاء بها النَّبِيُّ ﷺ، وهو أُمِّيٌّ، نشأ في بيئة أُمِّيَّة منعزلة عن أُمَم العالم، هي مَعَالِم وضيئة للفكر الْعِلْمِي الحر، ولم يكن الناس في مُخْتَلَف أنحاء العالم على علم بها، إلى أن ظهرت أدوات العلم الحديث من أجهزة ومختبرات ومراصد فلكية... فإذا بها تقرر حَقَائِق الْقُرْآن الْكَرِيم ناصعة لا كِبَسَ فيها ولا غموض يوماً بعد آخر.

ولم يكن الْقُرْآن الْكَرِيم معجزاً لما فيه من الشَّدَرَات الْعِلْمِيَّة التي ذكرنا أمثلة منها فحسب، بل يتجلى إعجازه في أنه لم يُعَارِض ما استقر عليه العلم، ولم يُنْكَر ما فيه من حَقَائِق عِلْمِيَّة.

(١) الرَّسُول: سَعِيد حَوْي ج ٢ ص ٣٨ وما بعدها وفيه أمثلة أخرى. وانظر حَقَائِق أُخْرَى في: التَّفْسِير الْعِلْمِي لِلآيَات الْكَوْنِيَّة.

شُبْهَةٌ وَرَدَّ

إذا قيل: إن النّظريّات العلميّة قد تتغير، فنحن لا نُخضع القرآن الكريم لأمثال هذه التّفسيّرات، لأنّ البَحْث قد يكشف خطأ نظريّة قديمة.

فالجواب: أن تفسّيرات آيات القرآن الكريم بما يكشفه العلم على وفق قواعد التّفسير وضوابطه من اللّغة وغيرها ما هو إلّا فهم لتلك الآيات، فإذا تبين خطأ النّظريّة تبين خطأ ذلك التّفسير، أما إذا كانت الآية لا تحتمل التّفسير الجديد، فلا تفسر عندئذٍ وفق النّظريّة الجديدة، بل تنتظر أن يجدّ البَحْث فيها، حتى يظهر خطأ تلك النّظريّة^(١).

الوجه الخامس: معانيه وأحكامه وانعدام الاختلاف فيه^(٢)

مجموع ما في القرآن الكريم حوالي ستة آلاف ومائتا آية، اشتملت على موضوعات في شتّى الميادين، للإيفاء بحاجات البشر وإصلاحهم. ومحتوياته نوعان: أحكام وغيرها.

النوع الأول: أحكام القرآن، وهي ثلاثة أقسام:

١- أحكام اعتقاديّة: في وجوب اعتقاد المكلّف بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

٢- أحكام خلقيّة: في وجوب التحلي بالفصائل والتخلي عن الرذائل.

٣- أحكام عمليّة: وهي تنتظم نوعين:

أ- أحكام العبادات، لتنظيم علاقة الإنسان بربه، من صلاة وزكاة وحج وصوم....،

(١) علم أصول الفقه لعبد الوهّاب خالّاف ص ٣٠ ومحاضرات في أصول الفقه لبدر المتوّلي عبد الباسط ج ١ ص ١٣٢.

(٢) علم أصول الفقه لعبد الوهّاب خالّاف ص ٢٧.

وآياتها نحو ١٤٠ آية.

ب- أَحْكَامُ المعاملات وتنوع إلى الأنواع الآتية:

- أَحْكَامُ الأحوال الشخصية المتعلقة بالأسرة، من زواج وطلاق، وآياتها نحو ٧٠ آية.

- الْأَحْكَامُ الْمَدَنِيَّةُ المتعلقة بالبيع والإجارة والرهن والكفالة والشركة... إلخ، وآياتها نحو ٧٠ آية.

- وَالْأَحْكَامُ الْجَنَائِيَّةُ المتعلقة بالعقوبات والحدود، لحفظ حياة الناس وأموالهم وأعراضهم وحقوقهم، وآياتها نحو ٣٠ آية.

- أَحْكَامُ الْمُرَافَعَاتِ المتعلقة بِالْقَضَاءِ والشهادة واليمين، لِتَحْقِيقِ الْعَدْلِ، وآياتها نحو ١٣ آية.

- الْأَحْكَامُ الدِّسْتُورِيَّةُ المتعلقة بِنِظَامِ الْحُكْمِ وَأَصُولِهِ، وآياتها نحو ١٠ آيات.

- الْأَحْكَامُ الدَّوْلِيَّةُ المتعلقة بِمُعَامَلَةِ الدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ لغيرها وَمُعَامَلَةِ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ فِي الدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وآياتها نحو ٢٥ آية.

- الْأَحْكَامُ الْاِقْتِصَادِيَّةُ وَالْمَالِيَّةُ المتعلقة بِحَقِّ السَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ فِي مَالِ الْغَنِيِّ وتنظيم الموارد والمصارف، وآياتها نحو ١٠ آيات^(١).

النوع الثاني: غير الأحكام، وهي ثلاثة أقسام:

١- الْإِرْشَادُ إِلَى النَّظَرِ والتدبر في ملكوت السماوات والأرض لِمَعْرِفَةِ أسرار الخلق، فتمتلئ القلوب إيماناً بجلال الله وعظمته عن طريق النَّظَرِ والاستدلال، وهو

(١) علم أصول الفقه لعبد الوهاب خَلَّاف ص ٣٢-٣٣ والوجيز في أصول الفقه للدكتور عبد الكريم زيدان ص ١٣٠ نقلاً عن خَلَّاف، والإسلام عقيدة وشريعة لمحمود شلتوت ص ٥٠٠ و٥٠٢.

طريق جليل يفتح الآفاق للعلماء وغيرهم لإدراك الله وقدرته، وقد انتفع به غير المسلمين كثيراً حينما خاضوا غمار الكون، وعرفوا أسرارها فاستخدموها في نواحي الحياة.

٢- قصص الأولين أفراداً وأممًا، وقد أوردتها القرآن الكريم للاعتبار والاتعاظ، حتى يصلح الناس فينفوا عنهم الخبث والفساد.

٣- الإنذار والتخويف أو الوعد والوعيد، وللقُرآن في ذلك طريقان:

أحدهما: الوعد والوعيد في الدنيا، فيعد المؤمنين بالاستخلاف في الأرض والتمكين لهم والعز، قال سبحانه: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ - النور ٥٥.

ويعد الكافرين بتقلص السلطان والجوع، والخوف، قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ - النحل ١١٢.

ثانيهما: الترغيب والترهيب بنعيم الآخرة وعذابها.

قال سبحانه: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ١٣﴾ وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٤﴾ - النساء (١).

وقد استغرق نزول القرآن الكريم ثلاثاً وعشرين سنة، فلم يحدث فيه اختلاف:

أ- في بلاغة عباراته: فلا نجد فيه عبارة بليغة وأخرى غير بليغة، لأن كل عبارة

(١) الإسلام عقيدة وشريعة لمحمود شلتوت ص ٥٠٠ و٥٠١. وانظر: تبصرة الأدلة ج ١

مطابقة لمُقْتَضَى الحال الذي وردت من أجله، كما أن كل لفظ فيه هو في موضعه الذي ينبغي أن يكون فيه.

فآيات الأحكام كآيات الميراث تخلو من أُسْلُوب الخطابة والتأثير، بخلاف الآيات المستهزئة بالشرك والأوثان، أو الدالة على قدرة الله تعالى، أو المخوِّفة من شدائد اليوم الآخر، فإنها جاءت ذات طابع مؤثر محرك للوجدان، لأن لكل مقام مقلاً.

ب- ولا في أحكامه وحججه: فليس فيه معنى يعارض معنى، ولا حكم يناقض آخر، وما جاء في القرآن مما ظاهره التعارض، فهو بعد البحث مُتَّفِقٌ مُتَّسِقٌ لا اختلاف فيه، كما هو واضح في كلام المُفَسِّرِينَ، لذلك قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ - النساء ٨٢^(١).

الوجه السادس: القرآن الكريم خالد خلود الدهر

فلا يعدم ما بقيت الدنيا، ولا يطرأ عليه تغيير بزيادة أو نقصان، لأن الله تعالى قد تكفل بحفظه، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ - الحجر ٩^(٢)، ولا

(١) علم أصول الفقه لعبد الوهاب خَلَّاف ص ٢٨ ومحاضرات في أصول الفقه لبدر المتولي عبد الباسط ج ١ ص ١٣٢.

في المواقف وشرحه للسيد الشريف ج ٨ ص ٢٤٥: (وقيل: وجه إعجازه عدم اختلافه وتناقضه، مع ما فيه من الطول والامتداد، وتمسكوا بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ - النساء ٨٢.

(٢) الشفا للقاضي عياض ج ١ ص ٢٧٥ والإتقان ص ٧٢٠ نقلاً عن القاضي عياض. وسُبل الهدى والرشاد ج ٩ ص ٥٨٩.

وذهب البعض إلى أن القرآن معجز بالصُّرْفَةِ، وهي أن الله صرف همم المتحدِّين عن معارضته مع قدرتهم عليها. واختلفوا في كيفية الصُّرف:

يُخْفِي مَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ مِنَ الْمُؤَكَّدَاتِ اللَّغَوِيَّةِ، الدَّالَّةِ عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَفَظَهُ مِنَ التَّحْرِيفِ وَالتَّبْدِيلِ.

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ - فَصَّلَتْ ٤٢.

وبعد عرض وجوه إعجاز القرآن الكريم:

هل يفكر عاقل فيقول: إِنْ مُحَمَّدًا ﷺ جَاءَ بِهَذَا الْقُرْآنِ مِنْ فِكْرِهِ، أَوْ عِبْقَرِيَّتِهِ، أَوْ بِاعْتِمَادِهِ عَلَى بَحِيرَا وَوَرَقَةٍ وَغَيْرِهِمَا...؟

فلو أنصف العاقل ما قرر إِلَّا الْحَقِيقَةَ الْكَبْرَى وَهِيَ: أَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ مُعْجَزٌ، وَهُوَ مِنْ لَدُنْ عَزِيزٍ حَكِيمٍ.

أ- صرفهم الله عنها مع قدرتهم عليها، وذلك بأن صرف دواعيهم إليها مع كونهم مجبولين عليها، خصوصاً عند توفر الأسباب الداعية في حقهم، كالتقريع بالعجز والاستئصال عن الرياسات والتكليف بالانقياد. فهذا الصرف خارق للعادة، فيكون معجزاً. وهذا قول الأستاذ أبي إسحاق الإسفراييني من الأشاعرة، والنظام من الْمُعْتَزِلَةِ.

ب- صرفهم الله بأن سلبهم العلوم التي يُحْتَاجُ إليها في الْمُعَارَضَةِ. أي: أَنَّ الْمُعَارَضَةَ وَالْإِتْيَانَ بِمَثَلِ الْقُرْآنِ يَحْتَاجُ إِلَى عُلُومٍ يُقْتَدَرُ بِهَا عَلَيْهَا، وَكَانَتْ تِلْكَ الْعُلُومُ حَاصِلَةً لَهُمْ، لَكِنَّهُ تَعَالَى سَلَبَهَا عَنْهُمْ، فَلَمْ يُبْقَ لَهُمْ قُدْرَةٌ عَلَيْهَا. وهو قول الْمُرْتَضَى مِنَ الشَّيْخَةِ. / الْمَوَاقِفُ وَشَرْحُهُ لِلسَّيِّدِ الشَّرِيفِ ج ٨ ص ٢٤٦.

وَرَدَّ جُمْهُورُ الْعُلَمَاءِ عَلَى الْقَوْلِ بِالصَّرْفَةِ بِحُجَّةٍ:

أَنَّ الْإِعْجَازَ لَوْ قَصِدَ بِالصَّرْفَةِ لَكَانَ الْأَنْسَبُ تَرْكُ الْإِعْتِنَاءِ بِبَلَغَتِهِ وَعُلُوِّ طَبَقَتِهِ، لِيَكُونَ عَدَمُ مُعَارَضَتِهِ أُبْلَغَ فِي خَرَقِ الْعَادَةِ ...

انظر الكلام عن أَوَّلَةِ الْإِعْجَازِ بِالصَّرْفَةِ وَرَدُّهَا فِي: شَرْحِ الْمَقَاصِدِ لِلتَّفَتَّازَانِيِّ ج ٥ ص ٣١ وَالْمَوَاقِفُ وَشَرْحُهُ لِلسَّيِّدِ الشَّرِيفِ ج ٨ ص ٢٤٩ وَالْإِثْقَانُ ص ٧١٢ وَسُبُلُ الْهُدَى وَالرَّشَادِ ج ٩ ص ٥٨٢.

الشواهد الأخرى على نُبُوَّة الرَّسُولِ الْأَعْظَمِ مُحَمَّدٍ ﷺ

بعد الانتهاء من بَيَانِ رُكْنِي نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وهما: ادِّعَاؤُهُ النُّبُوَّةَ، وإِظْهَارُهُ الْمُعْجِزَةَ، وهما كافيان في إثباتها له، نعزز هَذَيْنِ الْأَسَاسَيْنِ بِوُجُوهِ مُكَمِّلَةٍ ومُقرَّرة تشهد على نُبُوَّتِهِ ﷺ، وهي:

الشَّاهد الأول: ما اجتمع فيه ﷺ من الشَّمَائِلِ والأوصاف سواء كان ذَلِكَ قبل النُّبُوَّةِ أو حالها أو بعدها، وَهَذَا المسلك ارتضاه الجَاحِظُ من الْمُعْتَزِلَةِ والعَزَالِيِّ من الْأَشَاعِرَةِ^(١)، وَهَذِهِ هي:

أ- أوصافه الشَّرِيفَةِ، وَمَحَاسِنُهُ الرِّفِيعَةِ، وَأَخْلَاقُهُ الْحَمِيدَةِ مثل:

الصدق والأمانة: فلم يكذب، ولم يغش، ولم يخن، حتَّى سُمِّيَ بِالصَّادِقِ الْأَمِينِ، فكانوا يَأْتَمِنُونَهُ على أَمْوَالِهِمْ، حتَّى قال النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ لِقُرَيْشٍ: (قد كان مُحَمَّدٌ فيكم غلاماً حَدَثًا، أَرْضَاكُمْ فيكم، وَأَصْدَقَكُمْ حَدِيثًا، وَأَعْظَمَكُمْ أَمَانَةً، حتَّى إِذَا رَأَيْتُمْ فِي صُدْغِيهِ الشَّيْبَ، وَجَاءَكُمْ بِمَا جَاءَكُمْ، قُلْتُمْ إِنَّهُ سَاحِرٌ، لَا وَاللَّهِ مَا هُوَ بِسَاحِرٍ)^(٢).

وَالشَّفَقَةُ عَلَى أُمَّتِهِ، حتَّى خَاطَبَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ﴾ - فاطر ٨، وقوله تَعَالَى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَخِيعُ نَفْسِكَ عَلَىٰ ءَاثَرِهِمْ﴾ - الكهف ٦، فلم يُؤْذِ أَحَدًا بِيدِهِ أو بِلِسَانِهِ، ولم يَقْتُلْ أَحَدًا بِيدِهِ الشَّرِيفَةِ، مع شجاعته الْعَظِيمَةِ كما تَقَدَّمَ، إِلَّا أَبِيَّ بْنَ خَلْفٍ. فكان يَتَأَلَّمُ لما يراه من قومه من نهب وسلب وقتل، وكان يسعَى

(١) الْمَوَاقِفُ وشرحه للشيخ الشَّريف ج ٨ ص ٢٥٩ والمُحَصَّلُ لِلرَّازِيِّ ص ٢٠٨ وفيهما: أن الْعَزَالِيَّ ذَكَرَهُ فِي كِتَابِهِ الْمُنْقَذُ مِنَ الضَّلَالِ. وانظر: الْمَقَاصِدُ وشرحه لِلتَّفَتَّازَانِيِّ ج ٥ ص ٣٧ و٣٩ وَتَبْصِرَةُ الْأَدِلَّةِ ج ١ ص ٤٨٨.

(٢) انظر قول النَّضْرِ فِي: تَهْذِيبِ سِيَرَةِ ابْنِ هِشَامٍ ج ١ ص ٦٩ والشفا ج ١ ص ١٣٥ وإِظْهَارِ الْحَقِّ ج ٢ ص ٢٥٧.

للإصلاح بين المتخاصمين. وكان رَحِيماً رَوْوفاً، يشاطر المصابين آلامهم وينصر اليتامى، ويطعم الجياع.

وحين طمأنته حَدِيَجَة بعد رعبه من نُزُولِ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قالت له: (والله ما يُخْزِيكَ اللهُ أبداً، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ)^(١).

والسخاء: فكان مضيافاً كَرِيماً لأبناء السَّبِيلِ والْفُقَرَاءِ، حتى عوتَبَ بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ - الإسراء ٢٩. والصبر على البلاء خاصة بعد النّبوة.

والزهد، حتى أن قُرَيْشاً عرضوا عليه المال والرياسة حتى يترك دعواه فلم يلتفت إليهم.

والتواضع مع الْفُقَرَاءِ والمساكين.

وَالشَّجَاعَة الفريدة، والنجدة، والعفو مع المقدرة.

والحلم، والوفاء، والعَدْل.

والوقار، والحياء، حتى إنه لم يُبَدِ جَسَدَه عارياً لغيره، مع اعتياد الناس في جاهليتهم ذَلِكَ.

وكان ﷺ حلو الكلام، لَيِّنَ الْعَرِيكَة، طَلَّقَ الْوَجْهَ، يحبه كل من لقيه أو جالسه. مع النظافة والهنّادام الجميل.

(١) حَدِيث: والله ما يخزيك... إلخ، في: صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ في: ١ باب كيف كان بَدْءُ الْوَحْيِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ٣ باب، رقم ٣، بهذا اللفظ، عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وفي صَحِيحِ مُسْلِمٍ في: ١ كتاب الإيمان، ٧١ باب بَدْءُ الْوَحْيِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، رقم ١٦٠، عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

ولم يُقَدِّم على فعل قبيح لا قبل النبوة ولا بعدها، وطريقته المرضية واحدة لم تتغير من أول عمره إلى آخره.

ب- هذا مع صفاء نفسه من الحقد والأناية والشك والشرك. فكان يكره عبادة الأصنام والأوثان، مع أن بيئته نشأت على عبادتها، فلم يحلف بهما، يدلُّ له ما روي في السيرة النبوية لابن هشام في قصة بحيرا الراهب حين استحلفه باللات والعزى لما رأى قومه يحلفون بهما، قال له ﷺ: (لا تسألني باللات والعزى، فوالله ما أبغضت شيئاً قطُّ بغضهما).

ج- وحسن بدنه، سواء في جمال المظهر بسلامته من الأمراض المنفرة وقوته الجسمانية، فقد صارع رُكَّانة المصارع المشهور، وصرعه.

أو في المخبر، فكان ذكي الفؤاد ثاقب القريحة، يهابه كل من رآه، عرفه أو لم يعرفه.

د- ورفعة نسبه، إذ إنه من أشرف بيوت قُرَيْش التي هي أشرف قبائل العرب قاطبة.

هـ- وشرف وطنه، إذ إنه من مكة المكرمة أظهر بقاع الأرض، لأن فيها بيت الله الحرام، وما يجتمع مثل هذا إلا في نبي^(١).

لأن الله تعالى قدَّر ما يحتاج إليه البشر بمجموعه من الكفاءات والمواهب المُخْتَلَفَة، فوزعها بين أفرادهِ، فترى بعضهم يفوق الآخرين بالقوة الجسدية. والبعض الآخر يتفوق بالفن، وآخر يتفوق بالرياضيات أو الهندسة أو الخطابة أو الشعر، وبعضهم يخترع ما يبهز الناس، وامتاز البعض الآخر بأن اجتباهم الله واختارهم لتبليغ شرعه إلى الناس،

(١) انظر: المواقف وشرحه للسيد الشريف ج ٨ ص ٢٥٩ والمقاصد وشرحه للتفتازاني ج ٥ ص ٣٧ وشرح العقائد العضدية للدواني ج ٢ ص ٢٧٨ والمسيرة وشرحها المسامرة ص ٢٤٥-٢٤٩. وفصل الكلام في أخلاقه القاضي عياض في الشفا، والصالح في سبل الهدى والرشاد.

وهم الرسل والأنبياء.

وإذا كان بعض الناس قد جُبِلَ على مَوْهَبَةٍ معينة امتاز بها على غيره، فالأنبياء جُبِلُوا على خِلْقَةٍ خاصَةٍ بهم، وصفات تميزوا بها عن غيرهم، فأَعْمَاهُمْ وأفكارهم فذة لا عهد للناس بها، وقد جعل الله تعالى فيهم الاستعداد الكامل، لتَحْمُلِ هَذِهِ المهمة الشاقة، وهي تبليغ الأحكام إلى البشر.

فلا عجب أن يجمع الله تعالى في هؤلاء الرسل والأنبياء من الصفات والسجايا ما يؤهلهم، لأن يكونوا قادة العالم وهداة البشر إلى الصراط المُسْتَقِيم^(١).

وقد اجتمعت في رَسُولِ اللَّهِ ﷺ المَحَاسِنُ الرائعة، والسجايا البِدِيعَةُ، قبل بعثته - كما تقدّم - وبعد بعثته، حتى وصفه الْقُرْآنُ ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ - القلم ٤، وسئلت عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن أخلاقه فقالت: (كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ، يَرْضَى بِرِضَاهَا، وَيَسْخَطُ بِسَخَطِهِ)^(٢).

فكان الأُسُوةُ الْحَسَنَةُ في كل شيء، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسُوةٌ حَسَنَةٌ﴾ - الأحزاب ٢١، فهو القدوة الْحَسَنَةُ الطَّيِّبَةُ، التي يرى المسلم أن من التقى والصَّالِحَ وَبُلُوغَ الْجَنَّةِ عند الله تعالى، هو أن يقتفي أثرها في الحياة الدنيا.

وما اجتمع هَذِهِ الْخِصَالُ فيه قبل البعثة وبعدها، إِلَّا شَهَادَةُ كَامِلَةٍ بأنه نَبِيٌّ حَقًّا.

الشَّاهِدُ الثَّانِي: ما اشتملت عليه شريعته من أمور تتعلق بِالْعَقَائِدِ والأخلاق والأحكام العامة، وغيرها من دَقَائِقِ التشريع والحكمة^(٣)، وما فيها من الضبط والعدل والمرونة، مما يجعلها صالحة لكل زمان ومكان، كما شَهِدَ بِذَلِكَ الأعداء، (والفضل ما شهدت به الأعداء).

(١) مبادئ الإسلام للمودودي ص ٣٢-٣٤.

(٢) الشفا للقاضي عياض ج ١ ص ٩٦.

(٣) شَرْحُ الْمَقَاصِدِ لِلتَّفَتَّارَانِيِّ ج ٥ ص ٣٩ وَشَرْحُ الْعَقَائِدِ الْعَصْدِيَّةِ لِلدَّوَّانِيِّ ج ٢ ص ٢٧٨.

مع كونه أُمِّيًّا لَا يَعْرِفُ الْقِرَاءَةَ وَالكِتَابَةَ، إِلَى أَنْ مَاتَ ﷺ، وَنَشَأَ بَيْنَ قَوْمٍ، غَلِبَتْ فِيهِمُ الْجَهَالَةُ، وَلَمْ يَبَارَسِ الْخَطَّ وَالتَّعْلِمَ وَالتَّادِبَ^(١)، بَلْ كَانَ قَبْلَ نُبُوته يَقْضِي أَيَّاماً طَوَالاً فِي غَارِ حِرَاءٍ، وَحِيداً مُخْتَلِياً بِنَفْسِهِ، مُتَحَنِّناً وَمَتَأَمِّلاً فِي جَلَالِ اللَّهِ وَعَظَمَتِهِ.

وَمُحْتَوِيَاتُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، الْوَارِدَةُ قَبْلَ قَلِيلٍ، تَفِيدُ أَنَّ هَذِهِ الْأُمُورَ الشَّامِلَةَ لِكُلِّ جَوَانِبِ الْحَيَاةِ، لَنْ يَأْتِيَ بِهَا شَخْصٌ عَبْقَرِيٌّ أَوْ غَيْرُهُ طِفْراً وَاحِداً، وَإِنْ مَلَكَ زِمَامَ الْعِلْمِ وَالْفِكْرِ، وَتَهَيَّأَتْ لَهُ أَسْبَابُ التَّشْرِيعِ، فَمَا هِيَ إِلَّا مِنْ لَدُنْ عَلِيمٍ خَبِيرٍ، أَوْحَى بِهَا إِلَى الرَّسُولِ الْأُمِّيِّ، لِيُبَلِّغَهَا لِلنَّاسِ.

الشَّاهِدُ الثَّلَاثُ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَعَ فَقْرِهِ وَقِلَّةِ أَنْصَارِهِ وَضَعْفِهِمْ قَدْ حَارَبَ الشَّرْكَ وَأَهْلَهُ وَجَبَابِرَةَ الْعَالَمِ، فَضَلَّلَ آرَاءَهُمْ، وَسَفَّهَ أَحْلَامَهُمْ، وَهَدَمَ دَوْلَهُمْ، وَانْتَشَرَ دِينُهُ فِي الْأَفَاقِ، فَانْحَسَرَتْ أَمَامَهُ جَمِيعُ الْأَدْيَانِ وَاتَّسَعَتْ دَوْلَتُهُ بَعْدَهُ، فَحَرَّرَتْ الشَّرْقَ وَالْغَرْبَ وَحَكَمَتْهُمَا، فَلَمْ يَسْتَطِعِ الْعَدُوُّ عَلَى كَثَرَتِهِمْ فِي الْعِدَّةِ وَالْعُدَّةِ، وَعَلَى تَرْبِصِهِمْ بِهِ وَبِأَصْحَابِهِ، وَحَرَصِهِمْ عَلَى اسْتِثْصَالِهِ وَدَعْوَتِهِ، أَنْ يَنَالُوا مِنْهُ، أَوْ يَقْدُرُوا عَلَيْهِ.

وَمَا هَذَا إِلَّا إِمْدَادٌ مِنَ اللَّهِ، لَهُ وَلَمْ يَكُنْ عَلَى دَعْوَتِهِ^(٢)، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ - الرُّومُ ٤٧.

الشَّاهِدُ الرَّابِعُ: ظُهُورُهُ عَلَى فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ وَانْتِشَارُ الضَّلَالَةِ. فَالْعَرَبُ عَلَى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَالْفَرَسُ عَلَى تَعْظِيمِ النَّارِ وَعَلَى الْإِبَاحِيَّةِ، وَالتَّرْكُ عَلَى تَحْرِيبِ الْأَمْصَارِ وَإِذَاءِ النَّاسِ، وَالْهِنُودُ عَلَى عِبَادَةِ الْبَقَرِ وَتَأْلِيهِ الْحَجَرِ، وَالْيَهُودُ عَلَى الْحَقْدِ وَالْأَنَانِيَّةِ وَالشَّرْكَ، وَالنَّصَارَى بَيْنَ التَّوْحِيدِ وَالْإِشْرَاقِ بِاللَّهِ.

وَهَكَذَا النَّاسُ عَلَى الْأَرْضِ، فَلَا بَدَّ مِنْ دَافِعٍ لِهَذَا الْإِلْحَادِ، وَرَافِعٍ لِلْوَاءِ الصَّلَاحِ

(١) شَرْحُ الْعَقَائِدِ الْعَصْدِيَّةِ لِلدَّوَانِيِّ السَّابِقِ، وَالْمُسَايَرَةُ ص ٢٤٩. وَانْظُرْ: نِهَايَةَ الْإِقْدَامِ ص ٤٥٠.

(٢) شَرْحُ الْمَقَاصِدِ لِلتَّفْتَازَانِيِّ ج ٥ ص ٣٩ وَتَبْصِرَةُ الْأَدِلَّةِ ج ١ ص ٤٩٤.

والتقى، ولا يكون هذا إلا من أمدّه الله تعالى بنور النبوة^(١).

الشَّاهد الخامس: البشارات الْوَارِدَة في كتب الْأَنْبِيَاء السَّابِقِينَ^(٢).

ذَلِكَ لِأَنَّ الْكُتُبَ السَّامِيَّةَ مَصْدَرُهَا وَاحِدٌ، وَهُوَ: اللَّهُ تَعَالَى، وَهَدَفَهَا وَاحِدٌ وَهُوَ: إِصْلَاحُ النَّاسِ، لِيَعْبُدُوا اللَّهَ، وَالنَّبِيَّ ﷺ جَعَلَ مِنْ أَرْكَانِ الْإِيْمَانِ: الْإِيْمَانُ بِكُتُبِهِ وَرَسُولِهِ. وَفِي هَذِهِ الْكُتُبِ السَّابِقَةِ بَشَارَاتُ نَبِيٍّ بِظُهُورِ مُحَمَّدٍ ﷺ، حَتَّى ذَكَرَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ أَنَّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَدْ بَشَّرَ بِرَسُولٍ مِنْ بَعْدِهِ اسْمُهُ أَحْمَدُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ - الصَّف ٦.

قال المحقق عبد الحَكِيم السَّيَالْكُوتِيّ في حاشيته على الْبَيْضَاوِيِّ: (يَجِبُ أَنْ يَتَصَوَّرَ أَنَّ كُلَّ نَبِيٍّ أَتَى بِلَفْظَةٍ مُعْرَضَةٍ، وَإِشَارَةٍ مُدْرَجَةٍ، لَا يَعْرِفُهَا إِلَّا الرَّاكِسُونَ فِي الْعِلْمِ. وَذَلِكَ لِحِكْمَةِ الْإِلَهِيَّةِ. وَقَدْ قَالَ الْعُلَمَاءُ: مَا أَنْفَكَ كِتَابُ مَنْزِلٍ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ تَضَمُّنِ ذِكْرِ النَّبِيِّ ﷺ لَكِنْ بِإِشَارَاتٍ، وَلَوْ كَانَ مُتَجَلِّيًا لِلْعَوَامِّ لَمَا عَوَّتْ عَلَيْهِمْ فِي كِتَابِهِ، ثُمَّ أَزْدَادَ ذَلِكَ غُمُوضًا بِنَقْلِهِ مِنْ لِسَانٍ إِلَى لِسَانٍ مِنَ الْعِبْرَانِيِّ إِلَى الشَّرِيَانِيِّ، وَمِنَ الشَّرِيَانِيِّ إِلَى الْعَرَبِيِّ)^(٣).

وَسَأُورِدُ طَرَفًا مِنْ هَذِهِ الْبَشَارَاتِ مِنَ الزُّبُورِ وَالتَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ. فَبِالزُّبُورِ:

١ - قَالَ دَاوُدُ: (اللَّهُمَّ ابْعَثْ جَاعِلَ السُّنَّةِ، حَتَّى يَعْلَمَ النَّاسُ أَنَّهُ بَشَرٌ). يَعْنِي: ابْعَثْ مُحَمَّدًا، حَتَّى يَعْلَمَ النَّاسُ أَنَّ عِيسَى بَشَرٌ.

٢ - وَقَالَ: (تَقْلُدْ أَيْهَا الْعَبَّارُ السَّيْفَ، فَإِنْ نَامُوسُكَ وَشَرَايِعُكَ مَقْرُونَةٌ بِهَيْبَةِ يَمِينِكَ، وَسَهَامُكَ مَسْنُونَةٌ، وَالْأُمَمُ يَخْرُونَ تَحْتِكَ).

(١) شَرْحُ الْمَقَاصِدِ لِلتَّفْتَازَانِيِّ ج ٥ ص ٤٠ وَالْمَوَاقِفُ وَشَرْحُهُ لِلْسَّيِّدِ الشَّرِيفِ ج ٨ ص ٢٦٠ عَنْ الرَّازِيِّ، وَتَبْصِرَةُ الْأَدَلَّةِ ج ١ ص ٤٨٢.

(٢) الْمَوَاقِفُ وَشَرْحُهُ لِلْسَّيِّدِ الشَّرِيفِ، وَشَرْحُ الْمَقَاصِدِ لِلتَّفْتَازَانِيِّ، السَّابِقَانِ.

(٣) إِظْهَارُ الْحَقِّ ج ٢ ص ٢٢٠.

هذه الألفاظ من إحدى الترجمات القديمة العَرَبِيَّة التي نقل عنها النَّسْفِيُّ، المُتَوَفَّى سنة ٥٠٨ هـ، والتَّفْتَازَانِي، المُتَوَفَّى سنة ٧٩٢ هـ^(١).

وقد أورد رحمة الله الهِنْدِي في كتابه (إظهار الحق)^(٢)، في البشارة السادسة من الزبور (الخامس والأربعين) قطعة طَوِيلَة من ١٨ آية، فيها أوصاف النَّبِيِّ الذي بَشَّرَ به، التي تنطبق على النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ تماماً، وفيها القسم الثاني (تقلد أيها الجَبَّار...) بألفاظ أُخرى. هذه الأوصاف هي:

كونه حَسَنًا، وأفضل البشر، والنعمة منسكبة في شفّته، ومُبَارَكًا، ومتقلداً بالسَّيْف، وقَوِيًّا، وذو حَقٍّ وَدَعَةٍ، وصدق وهداية، وأن نَبَلَه مسنونة، ويسقط الشعب تحته، ويجب البرّ، ويبغض الإثم، وتخدمه بنات الملوك، وينقاد أبناء الشعب له، وأبناءؤه رؤساء الأرض، وتأتيه الهدايا، واسمه مذكور جيلاً بعد جيل، وتمدحه الشعوب إلى دهر الداهرين.

وفصّل رحمة الله بن خَلِيل الهِنْدِي هذه الأوصاف جميعاً في مُحَمَّدٍ ﷺ بأدلة محكمة.

وفي التوراة:

١ - ما جاء في السفر الخامس: (جاء الله من طُور سَيْنَاء، وأشرق من سيعير، واستعلن من جبال فاران).

يريد الإخبار عن إنزال التوراة على مُوسَى بطُور سَيْنَاء، والإنجيل على عِيسَى بسيعير، فإنه كان يسكن من سيعير بقرية تسمى ناصرة، وإنزال القرآن على مُحَمَّدٍ بِمَكَّة، فإن (فاران) في طريق مَكَّة قبل العدن بميلين ونصف، وهو كان المنزل، وقد بقي اليوم على يسار الطريق من العراق إلى مَكَّة.

(١) تَبْصَرَةُ الْأَدِلَّةِ لِلنَّسْفِيِّ ج ١ ص ٤٩٨ وشرح المَقَاصِدِ لِلتَّفْتَازَانِيِّ ج ٥ ص ٤٣.

(٢) إظهار الحق ج ٢ ص ٢٥٥.

وهَذَا ما ذكر في التوراة: أن إِسْمَاعِيلَ أَقام بَرِّيَّةَ فاران، يعني بادية الْعَرَب^(١).

وهَذَا هو ما جاء في الباب الثالث والثلاثين من سفر الاستثناء (أي سفر التثنية) في الترجمة الْعَرَبِيَّةُ المطبوعة سنة ١٨٤٤ م: (٢) وقال: جاء الرب من سينا، وأشرق لنا من ساعير، استعلن من جَبَل فاران، ومعه أَلُوف الأَطْهَار. في يمينه سنة من نار).

وفاران جَبَل من جبال مَكَّة، كما جاء في الباب الحادي والعشرين من سفر التكوين في حال إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، هَكَذَا: (٢٠) وكان الله معه، ونها، وسكن في الْبَرِّيَّة، وصار شاباً، يرمي بالسهم، ٢١ وسكن بَرِّيَّةَ فاران، وأخذت له أُمُّهُ امرأةً من أَرْضِ مِصْرَ). ولا شك أن إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كانت سكُونُهُ بِمَكَّة^(٢).

٢- ما جاء في السفر الخامس: (أنه تعالى قال لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: إني مقيم لهم نَبِيًّا من بني إخوانهم مثلك، وأجري قولي في فيه، ويقول لهم ما أمرهم به، والرجل الذي لا يقبل قول النَّبِيِّ هو الذي يتكلم باسمي، فأنا أُنْتَقِمُ منه).

والمُرَاد ببني إخوانه بني إسرائيل بنو إِسْمَاعِيلَ على ما هو المتعارف، فلا يصرف إلى من بعد مُوسَى، لكونه صاحب شريعة مستأنفة، فيها بَيَانُ مصالح الدَّارَيْنِ، فتعين مُحَمَّدٌ ﷺ^(٣).

٣- ما جاء في الآية (٢١) من الباب (٣٢) من سفر الاستثناء: (هم أغاروني بغير إله، وأغضبوني بِمَعْبُودَاتِهِمُ الْباطِلَةِ، وأنا أيضاً أُغَيِّرُهُم بغير شعب، وبشعب جاهل أغضبهم).

(١) شَرْحُ الْمَقَاصِدِ لِلتَّفْتَازَانِيِّ ج ٥ ص ٤٢ وَتَبْصِرَةُ الْأَدِلَّةِ ج ١ ص ٤٩٧. وانظر: الْفِصَلُ لابن حَزْم ج ١ ص ١٩٤ وَتَلْخِيصُ الْمُحْصَلِ ص ٢١١.

اسْتَعْلَنَ: جاء عَلَانِيَةً وَجَهَاراً.

(٢) إظهار الحق ج ٢ ص ٢٥٠.

(٣) شَرْحُ الْمَقَاصِدِ لِلتَّفْتَازَانِيِّ ج ٥ ص ٤٢ وَتَبْصِرَةُ الْأَدِلَّةِ ج ١ ص ٤٩٧. وانظر: الْفِصَلُ لابن حَزْم ج ١ ص ١٩٤ وَتَلْخِيصُ الْمُحْصَلِ ص ٢١١.

والمُرَادُ بِشَعْبِ جَاهِلٍ: الْعَرَبُ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا فِي غَايَةِ الْجَهْلِ وَالضَّلَالِ، وَمَا كَانَ عَنْدهُمْ مِنَ الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ وَلَا مِنَ الْعُلُومِ الْعَقْلِيَّةِ، وَمَا كَانُوا يَعْرِفُونَ سِوَى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ، وَكَانُوا مُحْقِرِينَ عِنْدَ الْيَهُودِ، لَكُونَهُمْ مِنْ أَوْلَادِ هَاجِرِ الْجَارِيَّةِ، فَمَقْصُودُ الْآيَةِ: أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَغَارُونِي بِعِبَادَةِ الْمَعْبُودَاتِ الْبَاطِلَةِ، فَأُغِيرَهُمْ بِاصْطِفَاءِ الَّذِينَ هُمْ عَنْدهُمْ مُحْقَرُونَ وَجَاهِلُونَ، فَأَوْفَى بِمَا وَعَدَ، فَبَعَثَ مِنَ الْعَرَبِ النَّبِيَّ ﷺ، فَهَدَاهُمْ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ^(١).

٤- ما جاء في السفر الأول: (أَنَّهُ تَعَالَى قَالَ لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنْ هَاجَرَ تَلَدٌ، وَيَكُونُ مِنْ وَلَدِهَا مِنْ يَدِهِ فَوْقَ الْجَمِيعِ، وَيَدُ الْجَمِيعِ مَبْسُوطَةٌ إِلَيْهِ بِالْخُشُوعِ)^(٢).
وفي الإنجيل:

١- ورد في الصِّحَاحِ الرَّابِعِ عَشَرَ: (أَنَا أَطْلُبُ لَكُمْ إِلَى أَبِي، حَتَّى يَمْنَحَكُمْ وَيُعْطِيَكُمْ فَارْقَلِيطًا، لِيَكُونَ مَعَكُمْ إِلَى الْأَبَدِ، وَفَارْقَلِيطُ رُوحُ الْحَقِّ وَالْيَقِينِ).
هَذَا فِي إِحْدَى التَّرْجُمَاتِ الْعَرَبِيَّةِ الَّتِي نَقَلَ عَنْهَا التَّفْتَّازَانِيُّ^(٣).

وَأُورِدَ رَحْمَةُ اللَّهِ الْهِندِيِّ هَذَا عَنِ التَّرَاجُمِ الْعَرَبِيَّةِ الْمَطْبُوعَةِ سَنَةِ ١٨٢١ م وَ ١٨٣١ م وَ ١٨٤٤ م فِي لَنْدُنِ فِي الْبَابِ الرَّابِعِ عَشَرَ مِنْ إِنْجِيلِ يُوْحَنَّا: (١٥) إِنْ كُنْتُمْ تَحْبُونَنِي فَاحْفَظُوا وَصَايَايَ، وَأَنَا أَطْلُبُ مِنَ الْأَبِ، فَيُعْطِيكُمْ فَارْقَلِيطَ آخَرَ، لِيُثَبِّتَ مَعَكُمْ إِلَى الْأَبَدِ، ١٧ رُوحُ الْحَقِّ الَّذِي لَنْ يَطِيقَ الْعَالَمُ أَنْ يَقْبَلَهُ، لِأَنَّهُ لَيْسَ يَرَاهُ، وَلَا يَعْرِفُهُ، وَأَنْتُمْ تَعْرِفُونَهُ، لِأَنَّهُ مُقِيمٌ عِنْدَكُمْ، وَهُوَ ثَابِتٌ فِيكُمْ)^(٤).

فَقَوْلُهُ (لِيَكُونَ مَعَكُمْ إِلَى الْأَبَدِ) يُفِيدُ بِأَنَّهُ بِهَذَا النَّبِيِّ تَحْتَمُ النَّبُوءَةُ، فَتَكُونُ شَرِيعَتَهُ

(١) إظهار الحق ج ٢ ص ٢٤٩.

(٢) شَرْحُ الْمَقَاصِدِ لِلتَّفْتَّازَانِيِّ ج ٥ ص ٤٢.

(٣) شَرْحُ الْمَقَاصِدِ لِلتَّفْتَّازَانِيِّ، وَتَلْخِصُ الْمُحْصَلِ، السَّابِقَانِ.

(٤) إظهار الحق ج ٢ ص ٢٧٨.

عامَّةً لا يحتاج الناس بعدها إلى نبيٍّ، فهو يعلم الناس، ويمنحهم جميع الأشياء، ويذكرهم بما قاله السيّد المَسِيح لهم.

٢- وفي الخامس عشر: (وأما فارقليط روح القدس الذي يرسله أبي باسمي هو يعلمكم ويمنحكم جميع الأشياء، وهو يذكركم ما قلته لكم.

ثم قال: وإني أخبرتكم بهذا قبل أن يكون، حتى إذا كان ذلك تؤمنوا به).
وقوله باسمي: يعني بالنُّبُوَّةِ، ومعنى الفارقليط: كاشف الخفيات^(١).

وأورد رحمة الله الهنديّ هَذَا عن الترجمات المذكورة في الباب ١٥ و ١٦ (٢٦) فأما إذا جاء الفارقليط الذي أرسله أنا إليكم من الأب روح الحق، الذي من الأب ينبثق، هو يشهد لأجلي، ٢٧ وأنتم تشهدون، لأنكم معي من الابتداء).

ويفيد أن مُحَمَّدًا يشهد للمَسِيح عَلَيْهِ السَّلَامُ صدقه وبشريته، فلم يكن مُدَّعِيًّا الألوهية، الذي هو أشد أنواع الجهالة والضلال، وبرأ أمّه عن تهمة الزنا، وهذا مذكور في القرآن بكل جلاء^(٢).

٣- وفي السادس عشر: (أقول لكم الآن حقاً وبقيناً: إن انطلاقي عنكم خير لكم، فإن لم أنطلق عنكم إلى أبي، لم يأتكم الفارقليط، وإن انطلقت أرسلت به إليكم، فإذا جاء هو يفيد أهل العالم، ويدينهم ويوبخهم، ويوقفهم على الخطيئة والبر).

ثم قال: (إذا جاء روح الحق واليقين يرشدكم، ويعلمكم، ويدبركم، ويذكركم لجميع الحق، لأنه ليس يتكلم بدعة من تلقاء نفسه)^(٣).

(١) شَرْحُ الْمَقَاصِدِ لِلتَّفْتَازَانِيِّ ج ٥ ص ٤٢-٤٣. وانظر: تَبَصُّرَةُ الْأَدِلَّةِ ج ١ ص ٤٩٨ وتَلْخِيصُ الْمُحَصَّلِ ص ٢١١.

(٢) إظهار الحق ج ٢ ص ٢٨٣.

(٣) شَرْحُ الْمَقَاصِدِ لِلتَّفْتَازَانِيِّ ج ٥ ص ٤٣.

وذكر هذه البشارة رحمة الله الهندي معتمداً على التَّراجم العربيَّة المذكورة قبل قليل، في آخر أبواب إنجيل يوحنا (الباب السادس عشر): (٧) لكني أقول لكم الحق: إنه خير لكم أن أنطلق، لأنني إن لم أنطلق لم يأتكم الفارقليط، فأما إن انطلقت أرسلته إليكم، ٨ فإذا جاء ذلك فهو يوبخ العالم على خَطِيئَةٍ وعلى بر وعلى حكم، ٩ أما على الخَطِيئَةِ فلأنهم لم يؤمنوا بي، ١٠ وأما على البرِّ فلأنني منطلق إلى الأب، ولستم ترونني بعد، ١١ وأما على الحكم فإن أركون هذا العالم قد دين، ١٢ وإن لي كلاماً كثيراً أقوله لكم، ولكنكم لستم تطيقون حمله الآن، ١٣ وإذا جاء روح الحق ذاك فهو يعلمكم جميع الحق، لأنه ليس ينطق من عنده، بل يتكلم بكل ما يسمع، ويخبركم بما سيأتي، ١٤ وهو يمجديني، لأنه يأخذ مما هو لي، ويخبركم، ١٥ جميع ما هو للأب، فهو لي، فمن أجل هذا قلت: إن مما هو لي يأخذ ويخبركم^(١).

وذكر الشيخ رحمة الله الهندي^(٢): أن الفارقليط تعني عندهم (المُعزِّي والمعين والوكيل والشافع)، وهذه المعاني تصدق على النبيِّ مُحَمَّد ﷺ، وأصل اللفظة باليُونَانِيَّة (بيركلوطوس)^(٣) التي تعني قريباً من معنى: مُحَمَّد وأحمد.

وعيسى عَلَيْهِ السَّلَام كان يتكلم بالعبرانيِّ لا باليُونَانِيَّ، وتلفظ عيسى عَلَيْهِ السَّلَام باسم النبيِّ بعده مفقود، أما اللفظ الموجود اليُونَانِيَّ (بيركلوطوس)، فهو من ترجمة يوحنا من العبرانيِّ إلى اليُونَانِيَّ، وحين ترجم من اليُونَانِيَّة إلى العربيَّة صار فارقليط. وعيسى عَلَيْهِ السَّلَام كان يبشر بالفارقليط من بعده، يؤكد هذا ما يأتي:

(١) إظهار الحق ج ٢ ص ٢٧٩.

(٢) إظهار الحق ج ٢ ص ٢٧٩ وما بعدها.

(٣) سأل الشيخ عبد الوهاب النجَّار صاحب كتاب قصص الأنبياء المستشرق الإيطالي كارلو نلينو عن كلمة (بيركلوطوس) الواردة في الأناجيل، فأجابه: أن القُسُس يقولون إن هذه الكلمة معناها (المُعزِّي)، فقال له: إني أسأل الدكتور كارلو نلينو الحاصل على الدكتوراه في آداب اللُّغة اليُونَانِيَّة القديمة، ولست أسأل قِسِّيساً، فقال: إن معناها الذي له حمد كثير، فسأله أيضاً: هل ذلك يوافق أفعال التفضيل من حمد فقال: نعم. / الرُّسُول: سَعِيد حوى ج ٢ ص ٢٨٧.

١- أن البعض من النَّصَارَى قد ادَّعى أنه الفارقليط في القرون الأولى النَّصْرَانِيَّة، وأنه الموعود به الذي وعد بمجيئه المَسِيح عَلَيْهِ السَّلَامُ كما ذكر ذلك وليم ميور.

وقال صاحب لب التواريخ: (إن اليهود والمسيحيين من معاصري مُحَمَّد ﷺ كانوا منتظرين لنبي. فحصل مُحَمَّد من هذا الأمر نفع عَظِيم لأنه ادَّعى أني ذاك المنتظر).

وحين وصل كتاب النبي ﷺ إلى النَّجَاشِيِّ، وكان نصرانياً، (فقال: أشهد بالله أنه للنبي الذي ينتظره أهل الكتاب). فكتب في الجواب إليه: (أشهد أنك رَسُولُ اللَّهِ صَادِقاً ومُصَدِّقاً، قد بايعتك وبايعت ابن عمك، أي: جَعْفَر بن أَبِي طَالِب، وأسلمت على يديه لله رب العالمين).

وكذا في كتاب الْمُقَوْس ملك القِبْط جواباً لكتاب مُحَمَّد ﷺ إليه.

وكذا ما جاء في كلام الجَارُود بن العلاء، وهو من عُلَمَاء النَّصَارَى، حين دخل مع قومه على رَسُولِ اللَّهِ ﷺ^(١).

وكان هِرْقَل عَظِيم الرُّوم كما في حَدِيث البُخَارِيِّ - باب بدء الوحي، ينتظر ظهوره، وكان عُلَمَاء النَّصَارَى ينتظرون ظهوره، كما في قصة إسلام سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فالنَّجَاشِيُّ والمُقَوْس والجَارُود وهِرْقَل من عُلَمَاء النَّصَارَى أكدوا أن النَّصَارَى ينتظرون ظهور نبي، لأن وصفه مذكور في كتبهم كالإنجيل وغيره.

وهؤلاء لم يخافوا من رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شيئاً، لأنهم أصحاب دول وجيوش جرارة، ورسول الله ﷺ في بداية دعوته، وكان هو وأصحابه مستضعفين، يخافون أن يتخطفهم الناس.

٢- قوله (إن لم أنطلق لم يأتكم الفارقليط) يَدُلُّ على أن مجيء النَّبِيِّ ﷺ موقوف على ذهاب عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

٣- القول في الإنجيل (يُبَخِّعُ الْعَالَمَ) بمنزلة النص الجلي على مُحَمَّدٍ ﷺ، لأنه وَبَخَّ الْعَالَمَ، سَيِّمًا الْيَهُودَ على عدم إيمانهم بعيسى، ولذلك قال: (أما على الخَطِيئَةِ فلاَهم لم يؤمنوا بي).

٤- ولم ينطق من عنده، وإنما هو وحي في كلامه وأخباره.

٥- كما أنه يمجِّد عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهذا ثابت بالقرآن في تَمْجِيدِ مُحَمَّدٍ ﷺ لعيسى خاصة، والأنبياء عامة، كما هو معروف.

وبشارات الكتب السماوية بظهور النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ كثيرة.

قال التَّفْتَّازَانِي: (قال في تَلْخِيصِ الْمُحَصَّلِ: وأمثال هذا كثير في كتب الأنبياء المتقدمين، يذكرها الْمُصَنِّفُونَ الواقفون على كتبهم، ولا يقدر المخالف على دفعها أو صرفها إلى ملك أو نبي آخر، ولا على أن يكتمها. ولقد جمع أبو الحُسَيْن البَصْرِيُّ في كتاب غُرَرِ الْأَدِلَّةِ، ما يوقف من نصوص التوراة على صحة بُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ)^(١).

إنجيل برنابا

أما إنجيل برنابا فإنه يبشر بِمُحَمَّدٍ ﷺ، كما يقول الدكتور خَلِيل سَعَادَة، الذي ترجمه إلى الْعَرَبِيَّةِ:

(إن مسيا أو المسيح المنتظر ليس هو يسوع بل مُحَمَّدٌ، وقد ذكر مُحَمَّدٌ باللفظ

(١) شَرْحُ الْمَقَاصِدِ لِلتَّفْتَّازَانِيِّ ج ٥ ص ٤٣. وانظر البشارات أيضاً في: إثبات بُبُوَّةِ النَّبِيِّ ﷺ للهاروني الزَّيْدِيِّ ص ١٥٧ وعبارة تَلْخِيصِ الْمُحَصَّلِ في ص ٢١١: (وأمثال هذا في هَذَيْنِ الْكِتَابَيْنِ وفي كتب سائر الأنبياء التي عندهم كثيرٌ، يطول الكتاب بذكرها، ولا يقدر المخالف على دفعها، أو صرفها إلى ملك أو نبي آخر، ولا على أن يكتمها).

الصريح المتكرر في فُصُول ضافية الذبول، وقال إنه رَسُولُ الله، وإن آدم لما طرد من الجنة، رأى سطوراً فوق بابها بأحرف من نور: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ^(١).

وفي الفصلين الثالث والأربعين والرابع والأربعين كلام كثير في التبشير بِمُحَمَّدٍ ﷺ، لأن التلاميذ طلبوا من الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يصرح لهم، فصرح بما يعلن حقيقة، ويبين ما له من شأن.

وهَذَا الْإِنْجِيلُ وَإِنْ رَدَّه جُلُّ النَّصَارَى بِلا مبرر، إِلَّا أَنْ الْبَيِّنَاتُ شَاهِدَةٌ، تَرْجَحُ صَحَّتَهُ، كَمَا سَيَأْتِي بَيَانُهُ.

وبرنابا من قديسي النَّصَارَى، وَرَسُولٌ مِنْ رُسُلِهِمْ، وَرُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الدَّعَايَةِ الْمَسِيحِيَّةِ الْأُولَى بِاتِّفَاقِهِمْ، وَقَدْ وَجَدَ إِنْجِيلَ بِاسْمِهِ، يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ كَانَ مِنْ حَوَارِيِّي الْمَسِيحِ وَمُلَازِمِهِ فِي سِرَائِهِ وَضَرَائِهِ. وَلَكِنْ الْأَنْجِيلُ الْأُخْرَى لَا تَعْدُهُ مِنَ الْحَوَارِيِّينَ، بَلْ مِنَ الرُّسُلِ الَّذِينَ يَبْلُغُونَ مَكَانَةَ الْحَوَارِيِّينَ بَعْدَ الْمَسِيحِ^(٢).

وإنجيل برنابا يقرر أموراً جوهرية تباين الأنجيل الأربعة المشهورة، وهي:

١- قوله: إن يسوع أنكر ألوهيته وكونه ابن الله، وَذَلِكَ عَلَى مَرَأَى وَمَسْمَعٍ مِنْ سِتِّ مِائَةِ أَلْفِ جُنْدِيٍّ وَسَكَانِ الْيَهُودِيَّةِ مِنْ رِجَالٍ وَنِسَاءٍ وَأَطْفَالٍ. (أي: فيه نفى لعقيدة التثليث).

٢- إن الابن الذي عزم إبراهيم على تقديمه ذبيحة لله، إنما هو إسماعيل لا إسحاق، وإن الموعد إنما كان بإسماعيل.

٣- إن مسياً أو الْمَسِيحِ المنتظر ليس هو يسوع بل مُحَمَّدٌ، وقد ذكر مُحَمَّدًا بِاللَّفْظِ الصريح المتكرر... (سبق أن نقلنا هذه الفقرة قبل قليل).

(١) مُقَدِّمَةُ خَلِيلٍ سَعَادَةٍ لِإِنْجِيلِ بَرْنَابَا ص: م.

(٢) محاضرات في النَّصْرَانِيَّةِ لِلشَّيْخِ مُحَمَّدِ أَبِي زُهْرَةَ ص ٥٧.

٤- إن يسوع لم يُصَلَّب بل حُمِلَ إلى السماء، وإن الذي صلب إنما هو يهوذا الخائن، الذي شُبِّهَ به، فجاء مطابقاً للقرآن: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ - النساء ١٥٧^(١).

تاريخ إنجيل برنابا:

أصدر البابا جيلاسيوس، الذي تسلم منصب البابا سنة ٤٩٢ م أي قبل ميلاد النَّبِيِّ ﷺ، أمراً ينهى فيه عن قِرَاءَةِ كتب منها كتاب اسمه (إنجيل برنابا)^(٢).

وقد عثر لهذا الإنجيل على نسختين إيطالية وإسبانية. أما الإسبانية: فقد أقرضها الدكتور هلم من بلدة هديلي التابعة لمبشير المستشرق سايل، ثم تناولها بعد سايل الدكتور منكهوس عضو الكُليَّة الملكية في أكسفورد، فنقلها إلى الإنكليزية، ثم دفع الترجمة مع الأصل سنة ١٧٨٤ م إلى الدكتور هويت، ثم طمس بعد ذلك خبرها، وانمحي أثرها.

أما الإيطالية: فأول من عثر عليها كريم أحد مستشاري ملك بروسيا، وكان مقيماً حينذاك في أمستردام، فأخذها سنة ١٧٠٩ م من مكتبة أحد مشاهير ووجهاء المَدِينَةِ المذكورة، فأقرضها كريم طولند، ثم أهداها بعد أربع سنين إلى البرنس ايوجين سافوي، ثم انتقلت النسخة المذكورة سنة ١٧٣٨ م مع سائر مكتبة البرنس إلى مكتبة البلاط الملكي في فينَّا، حيث لا تزال هناك حتى الآن.

ويذكر سايل أنه مسطور في صدر النسخة الإسبانية المفقودة: أنها مترجمة حرفياً عن النسخة الإيطالية، ومصدَّرة بمُقَدِّمَةٍ عن كيفية اكتشاف الراهب النسخة الإيطالية، وقصته كما يلي:

إن الراهب اللاتيني فرامرينو عثر على رَسَائِلَ لايريناوس، وفي عدادها رِسَالَةٌ

(١) مُقَدِّمَةُ الدكتور خَلِيل سَعَادَة ص: م ومحاضرات في النَّصْرَانِيَّة ص ٦٢-٦٤.

(٢) مُقَدِّمَةُ الدكتور خَلِيل سَعَادَة لإنجيل برنابا ص: ل ومُقَدِّمَةُ مُحَمَّد رَشِيد رِضَا لإنجيل برنابا ص: رَحِمَ اللَّهُ عَنَّهُ.

يندد فيها بالقديس بولص الرُّسُول، وإن إيريناوس أسند تنديده إلى إنجيل القديس برنابا، فأصبح هَذَا الراهب فرامرينو شغوفاً بالعثور على إنجيل برنابا، واتفق أنه أصبح مقرباً من البابا سكتس الخامس. فحدث يوماً أنها دخلا معاً مكتبة البابا، فأخذت البابا سِنَّةً من النوم، فأحب فرامرينو أن يقتل الوقت بالمَطَالَعَةِ إلى أن يفيق البابا، فكان الكتاب الأول الذي وضع يده عليه هو إنجيل برنابا، فطار فرحاً، فخبَّأه في أحد رديئه، ولبث إلى أن أفاق البابا، فاستأذنه وانصرف، فطالعه بشوق بالغ، ثم اعتنق الإسلام على أثر ذَلِكَ^(١).

ومما يرجح صحة إنجيل برنابا هَذَا على الرغم من أن بعض عُلَمَاء أوروبا ينكرونه، هو:

١ - وجدت نسخة إنجيل برنابا في جو مَسِيحِي خالص، فعثر عليها في خزانة رئيس ديني خَطِير (البابا)، وكاشفها راهب، ثم انتقلت إلى مستشارٍ مَسِيحِيٍّ من مستشاري ملك بروسيا، ثم إلى البلاط الملكي بَفِيئًا. فلم تصل إليها يد مُسْلِمٍ.

٢ - عدم اطلاع عُلَمَاء المُسْلِمِينَ في غابرههم وحاضرهم عليه، لأن المُنَاطَرَات بينهم وبين النَّصَارَى في المشرق والأندَلُس كانت قائمة في كل العصور، وناهيك بما كتبه ابن حَزْم الأَنْدَلُسِيَّ وابن تَيْمِيَّة المَشْرِقي الشَّامِيَّ من دراسات واسعة وكتب في الرد على النَّصَارَى.

فلم نجد أَحَدًا من هَؤُلَاءِ ذكر إنجيل برنابا، مع أن فيه الحُجَّة الدامغة للنَّصَارَى، كما حَقَّقَهُ الدكتور مرجليوث، مُؤَيِّدًا تَحْقِيقَهُ بخلو كتب المُسْلِمِينَ من ذكر هَذَا الإنجيل^(٢).

٣ - إن معظم مباحثه لم تكن معروفة عند أَحَدٍ من المُسْلِمِينَ، وأُسْلُوبُهُ في التعبير

(١) مُقَدِّمَةُ الدكتور خَلِيل لَانْجِيل برنابا ص: د، هـ.

(٢) مُقَدِّمَةُ مُحَمَّد رَشِيد رِضَا لَانْجِيل برنابا ص: ت ومحاضرات في النَّصْرَانِيَّة ص ٦١.

بعيد جداً عن أساليب المُسْلِمِينَ عامةً والعَرَبِ منهم خاصةً - كما يَبَيِّنُ بعضُ القَسِّيسِينَ في مَجَلَّةٍ دينيةٍ - فلا يمكن أن يقال إن هَذَا من صَنَعِ المُسْلِمِينَ، كما ادَّعَى البعض.

فالمسلم إذا ذكر الله أثنى عليه، وإذا ذكر الأنبياء صلى عليهم، ولا يسمى الملائكة إلا بما جاء بالقرآن الكريم أو السنة النبوية، فلا يقول: ميخائيل بدل ميكايل، ويجهل اسم إسرافيل، ويسميه (اوريل)، ولا يقول: (الله سُبْحَان) لأن كلمة (سُبْحَانَ الله) يحفظها كل مُسْلِمٍ، لأنها من أذكار الدين. ولو كان من صَنَعِ المُسْلِمِينَ لما سميت الفُصُولُ سُوراً، لأن المُسْلِمَ العَرَبِيَّ والعَجَمِيَّ لا يطلق لفظ السورة على غير سُورِ القرآن الكريم^(١).

٤ - فيه براعة الحُجَّة، ووضوح المسلك، وسمو التفكير، وتوضيح خفايا في حياة السَّيِّدِ الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وتشابه كبير بين بعض مقاطعه والأنجيل الأخرى^(٢).

٥ - ولولا صحة نسبة هَذَا الإنجيل لما أيقن بها الراهب المكتشف له (فرامرينو)، فاعتنق الإسلام بسبب ذَلِكَ.

ومن البشارات التصريح باسم مُحَمَّد ﷺ:

مما استنكره بعض الباحثين في إنجيل برنابا تصريحه باسم النَّبِيِّ (مُحَمَّد ﷺ)، وقالوا: لا يعقل أن يكون ذَلِكَ كتب قبل ظهور الإسلام.

لأن المعهود في البشارات أن تكون بالكنيات والإشارات. لكن الحق أن البشارات قد تكون بالإشارة والكنية كما أوردنا طرفاً من ذَلِكَ من الزبور والتوراة والإنجيل.

وقد تكون البشارات مُصَرَّحَةً. كما في إنجيل برنابا وفي نسخة الإنجيل بالقلم الحِمِيرِيِّ، فقد نقل الشيخ مُحَمَّد بَيرَم عن رحالة إنجليزي أنه رأى في دار الكتب

(١) مُقَدِّمَةُ السَّيِّدِ مُحَمَّد رَشِيد رِضَا لِإِنْجِيلِ بَرْنَابَا ص: ش، ت.

(٢) الرُّسُول، سَعِيد حَوِي ج ٢ ص ٢٨٠.

البابوية في الفاتيكان نسخة من الإنجيل مكتوبة بالقلم الحَمِيرِيِّ قبل بعثة النَّبِيِّ ﷺ، وفيها يقول الْمَسِيحُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: (ومبشراً بِرَسُولٍ يَأْتِي من بعدي اسمه أَحْمَدُ). وَذَلِكَ موافق لنص الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بالحرف في سورة الصف الآية ٦.

ولَكِنْ لم ينقل عن أَحَدٍ من الْمُسْلِمِينَ أنه رأى شَيْئاً من هَذِهِ الْأَنْجِيلِ التي فيها البشارات الصريحة، فيظهر أن في مكتبة الفاتيكان من بقايا تلك الْأَنْجِيلِ والكتب التي كانت ممنوعة في القرون الْأَوَّلَى ما لو ظهر لأزال كل شبه عن إنجيل برنابا وغيره^(١).

وهناك بشارات كثيرة في الزبور والتوراة والإنجيل تتحدث عن ظهور نَبِيِّ بعد الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو مُحَمَّدٌ ﷺ لا نذكرها خوفاً التَطَوُّيل.

ونحيل المتتبع إلى كتاب (إظهار الحق) للشيخ رحمة الله بن خَلِيلِ الرَّحْمَنِ الْهِنْدِيِّ، وفيه مناقشة النَّصَارَى في الْمَسَائِلِ الْخَمْسِ التي هي مدار النقاش بين الْمُسْلِمِينَ وَالنَّصَارَى، وهي:

(١) إثبات تحريف التوراة والإنجيل. (٢) النسخ. (٣) بطلان التثليث. (٤) الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ كلام الله، وصل إلينا بالتواتر. (٥) نُبُوءَةُ مُحَمَّدٍ ﷺ وأنه خاتم النَّبِيِّينَ.

ويظهر من قِرَاءَةِ كتاب (إظهار الحق) أن المؤلف مُحِيطٌ بنصوص العهدين القديم والجديد، وأنه درسهما بشروحهما وتعليقاتهما دراسةً مضبوطةً، هيأت له الوقوف عند كثير من الجزئيات.

وسبب تأليفه: أن المبشرين النَّصَارَى هاجموا الإسلام بعنف عند الاحتلال البريطاني للهند، وألّفوا كتباً وَرَسَائِلَ في التهجم على الإسلام مُرَكِّزِينَ على هَذِهِ النِّقَاطِ الْخَمْسِ الْمُتَقَدِّمَةِ، فَتَصَدَّى لَهُمْ عُلَمَاءُ أَجْلَاءَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ. وَأَخِيرًا عَقَدَتْ نَدْوَةٌ لِلْمُنَاطَرَةِ بَيْنَ الْقِسْيسِ (فندر)، وكان أبرع المبشرين وأقدرهم على التكلم بالعَرَبِيَّةِ وَالْفَارْسِيَّةِ،

(١) مُقَدِّمَةُ مُحَمَّدٍ رَشِيدٍ رَضَا لِانْجِيلِ بَرْنَابَا ص: ت.

وبين المؤلف رحمة الله بن خَلِيل، وحضرها كبار رجالات الهِنْد والقُضَاة والمفتين وكبار رجال الدِّين الإنجليز، وذلك في بلدة (أكبر آباد) في شهر رَجَب سنة ١٢٧٠ هـ.

وكان يعاون القَسَّيس (فندر) قَسَّيس آخر اسمه (فرنچ). ويعاون الشيخ (رحمة الله) السَّيِّد مُحَمَّد وَزِير خان.

وابتدأت المُنَاطَرَةُ في مَسْأَلَةِ النسخ والتحرير، فَتَفَوَّقَ (رحمة الله)، وتخاذل (فندر) وصاحبه فانسحبا، وقد دُوِّن ما جرى بالمُنَاطَرَةِ من حجج الجانبين، ولم تكمل المُنَاطَرَةُ.

ثم سافر (رحمة الله) إلى مَكَّة للحج، فاجتمع بالسَّيِّد أَحْمَد زَيْنِي دَحْلَان، فأخبره بالمُنَاطَرَةِ، فطلب السَّيِّد أَحْمَد زَيْنِي منه أن يترجم إلى العَرَبِيَّة مباحثه الخمسة.

فألَّف عندئذٍ هَذَا الكتاب (إظهار الحق)، وزاد باباً سادساً تناول فيه العهدين القديم والجديد^(١).

وهناك كتب جَلِيلَةٌ أُخْرَى تذكر هَذِهِ البشارات وغيرها تناقش النَّصَارَى في مُعْتَقَدَاتِهِمْ، من أهمها:

- ١- الجواب الصَّحِيح لمن بَدَّلَ دين المَسِيح لابن تَيْمِيَّة.
- ٢- هِدَايَةُ الْحَيَارَى مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى لابن قَيِّم الْجَوْزِيَّة.
- ٣- الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة للقرافي.
- ٤- الفارق بين المخلوق والخالق لعبد الرَّحْمَنِ بك باجه جي زاده.
- ٥- أَعْلَامُ النُّبُوَّةِ لِلْمَاوَرَدِيِّ.
- ٦- حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى الْعَالَمِينَ فِي مُعْجَزَاتِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ لِلنَّبْهَانِيِّ.

(١) انظر: مُقَدِّمَةُ (إظهار الحق).

رسالته ﷺ خاتمة الشرائع

مُحَمَّدٌ ﷺ خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، بِدَلِيل:

أ- قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ - الأحزاب ٤٠.

ب- قوله ﷺ: (مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ مِن قَبْلِي، كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بُنْيَانًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، إِلَّا مَوْضِعَ لَبَنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ مِنْ رَوَايَاهُ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ، وَيَعْبَجُونَ لَهُ، وَيَقُولُونَ: هَلَّا وُضِعَتِ هَذِهِ اللَّبَنَةُ؟ قَالَ: فَأَنَا اللَّبَنَةُ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ)^(١).

أما ما صح من الأحاديث التي تذكر أن المسيح عليه السلام ينزل قبيل قيام الساعة، فالثابت أنه لا ينزل بوحى جديد، وإنما ينزل فيحكم بشريعة مُحَمَّدٍ ﷺ^(٢). ولذا حين ينزل يكسر الصلبان، ويقتل الخنزير، ولا يقبل الجزية، ولا يقبل إلا الإسلام^(٣).

ولذلك كانت شريعته ﷺ خاتمة الشرائع السماوية وناسخة لها.

وهو مصداق قوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ - آل عمران ١٩.

وقوله سبحانه: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

(١) حديث: مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ... إلخ، في: صحيح البخاري في: ٦١ كتاب المناقب، ١٨ باب خاتم النبيين، رقم ٣٥٣٥، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وفي صحيح مسلم في: ٤٣ كتاب الفضائل، ٧ باب ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين، رقم ٢٢٨٦ (٢٢)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. واللفظ لمسلم.

(٢) شرح العقائد النسفية للتفتازاني ص ١٦٩ وشرح الجوهرية للباजوري ص ٢٢٣ ولوامع الأنوار البهية ج ٢ ص ٢٧٧ وأصول الدين للبعداوي ص ١٦٢. وانظر أيضاً حكم المسيح بشريعة مُحَمَّدٍ ﷺ في: أصول الدين للغزنوي ص ٢٠٧.

(٣) لوامع الأنوار البهية السابق.

الْخَسِرِينَ ﴿ - آلِ عِمْرَانَ ٨٥.

وقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ - المائدة ٣.

أما إذا ذكر في القرآن أو في السنة المطهرة حكم شرعه الله لمن سبقنا من الأمم على السنة رسلهم، فهل هو شرع لنا أم لا؟

هَذَا هو موضوع (شرع من قبلنا) من أدلة أصول الفقه، وخلاصته:

أ- أن الأحكام المشرعة لمن قبلنا وكتبت علينا، فلا خلاف أنها شرع لنا، كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ - البقرة ١٨٣.

ب- أن الأحكام المشرعة لمن قبلنا التي رفعت عنا بحكم ناسخ في شرعنا، فلا خلاف أنها ليست شرعاً لنا، مثل حكم شريعة موسى عَلَيْهِ السَّلَام: (إِنَّ الْعَاصِيَ لَا يُكْفَرُ عَنْ ذَنْبِهِ إِلَّا أَنْ يَقْتُلَ نَفْسَهُ) هَذَا الحكم مرفوع عنا، لأنه منسوخ بتشريع التوبة.

ج- أما الحكم الذي لم يرد في شرعنا ما ينسخه أو يقرره، فقد اختلف فيه الفقهاء على قولين:

القول الأول: يكون شرعاً لنا، وعلينا تطبيقه، لعدم الدليل على نسخه، وهو من الأحكام التي جاء بها الرسل، وهو قول الحنفية وبعض المالكية والشافعية.

القول الثاني: لا يكون شرعاً لنا، لأن شريعتنا ناسخة للشرائع السماوية جميعاً، إلا إذا ورد في شرعنا ما يقرره.

والحق هو المذهب الأول: لأن شريعتنا إنما نسخت من الشرائع السابقة ما يخالفها فقط.

ولأن قص القرآن علينا حكماً شرعياً سابقاً بدون نص على نسخه، هو تشريع لنا ضمناً، لأنه حكم إلهي بلغه الرسول إلينا.

ولأن القرآن مصدق لما بين يديه من التوراة والإنجيل، فما لم ينسخ حكماً في أحدهما فهو مقرر له^(١).

وسبب ختم شريعة الإسلام الرسالات السابقة، هو ما يأتي:

- ١ - شريعة الرُّسُول ﷺ بينة واضحة، ينظر إليها المتزود الطَّالِبُ العلم في أي وقت وفي أي مكان، فينهل منها ما يسد حاجته.
- ٢ - لا حاجة إلى شريعة تضيف إلى الإسلام، أو تنقص منه، لأنه لا قصور فيه عن حل أية مشكلة تواجهه.

وأوضح دليل عليه هو أنها أعطت حكمها في كل المشاكل الكثيرة، التي لا حصر لها، والتي حدثت للمُسْلِمِينَ في جوانب الحياة كافة، من لدن عَصْرِ النَّبِيِّ ﷺ إلى يومنا هذا.

بل الحاجة قائمة إلى من ينشر شريعتنا الإسلامية، ليتزود العالمُ بالعلاج الناجع الذي يستأصل شأفة أمراض الأمم جميعاً.

- ٣ - وَنُبُوءَةُ مُحَمَّدٍ ﷺ عامة إلى جميع أهل الأرض، فلم تختص بها أُمَّة أو بلدة أو زمن^(٢).

عموم رسالته ﷺ

ورسالته ﷺ عامة إلى جميع الناس، على اختلاف ألوانهم وأجناسهم ولغاتهم، بدليل:

- ١ - قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ - الأنبياء ١٠٧.

(١) أَصُولُ الْفِقْهِ لِعَبْدِ الْوَهَّابِ خَلَّاف ص ٩٣-٩٤.

(٢) مبادئ الإسلام للمودودي ص ٦٠.

وقوله سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ - سَبَأ ٢٨ .
 وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ -
 الأعراف ١٥٨ .

٢- قتاله ﷺ لأهل الكتاب، وضرب الجزية عليهم، وفتوحات الخلفاء الراشدين،
 لنشر الإسلام محل الأديان الأخرى.

بينما كان الأنبياء السابقون مُرسَلين إلى أقوامهم خاصة. وهذا واضح في القرآن
 الكريم، قال تعالى:

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾ - الأعراف ٥٩ .
 ﴿وَالِإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَنْقُورِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ - الأعراف ٦٥ .
 ﴿وَالِإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَنْقُورِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ - الأعراف ٧٣ .
 ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ﴾ - الأعراف ٨٠ .
 ﴿وَالِإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ - الأعراف ٨٥ .
 ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾ - الأعراف ١٠٣ .

وقال تعالى في عيسى عَلَيْهِ السَّلَام: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ - آل عِمْرَان ٤٩ .
 وفي الحديث الصَّحِيح: (أعطيت خمسا لم يُعطهن أحد قبلي: كان كل نبي يُبعث
 إلى قومه خاصّة، وُبعثت إلى كل أحمر وأسود...)، وسيأتي بعد قليل.

وبناءً على ذلك: فمن اتبع النبي مُحَمَّدًا ﷺ فقد اتبع الأنبياء جميعاً، ومن أنكر
 نبوته فقد أنكر نُبوّة الأنبياء جميعاً، وما ذلك الإنكار إِلَّا مكابرة وعناد وهدر لقيمة
 العقل، لذلك يستحق صاحبه العقاب الشديد يوم القيامة.

مُحَمَّدٌ ﷺ أَرْفَعَ الْأَنْبِيَاءَ مَنْزِلَةً

الأنبياء جميعاً يشتركون في وصف النبوة، فهم على حدٍّ واحدٍ فيها، لأن النبوة في نفسها لا تتفاضل، إلا أن مُحَمَّدًا ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين أرفعهم منزلة، وأعلاهم مقاماً، فتفضيله ﷺ على غيره من الأنبياء يعود إلى زيادة الأحوال والكرامات والرتب. ودليل تفضيله هو:

١ - قوله ﷺ: (أنا سيّد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر)^(١). أي: لا أقول ذلك فخراً بنفسي، بل تحدثاً بنعمة ربي.

٢ - أنه ﷺ يفضل غيره بأمور، ذكرها في الحديث الصحيح: (أُعْطِيْتُ خَمْساً لم يُعْطَ أَحَدٌ قبلي، كان كُلُّ نَبِيٍّ يُبْعَثُ إلى قومه خاصّةً، وبُعِثْتُ إلى كُلِّ أَحْمَرٍ وَأَسْوَدٍ، وأُحِلَّت لي الغنائم، ولم تُحَلْ لأحدٍ قبلي، وجُعِلَتْ لي الأرض طَيِّبَةً طَهُوراً ومسجداً، فأَيُّما رَجُلٍ أدركته الصلاة صَلَّيْتُ حيثُ كان، ونُصِرْتُ بالرُّعْبِ بين يَدَيَّ مَسِيرَةَ شهرٍ، وأُعْطِيْتُ الشَّفَاعَةَ)^(٢).

٣ - أن أمته أفضل الأمم، قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ - آل عمران ١١٠، وذلك تابع لفضل نبينا مُحَمَّدٍ ﷺ.

(١) حديث: أنا سيّد ولد آدم... إلخ، رواه أحمد في مُسنّده والتِّرْمِذِيُّ وابن مَاجَةَ عن أبي سَعِيدٍ، وهو حديث حسن. / الجامع الصّغير ص ١٦١.

(٢) حديث: أُعْطِيْتُ خَمْساً لم يُعْطَ أَحَدٌ قبلي... إلخ، في: صحيح البخاريّ في: ٧ كتاب التَّيَمُّم، ١ باب التَّيَمُّم، رقم ٣٣٥، عن جابر بن عبد الله. و ٨ كتاب الصلاة، ٥٦ باب قول النَّبِيِّ ﷺ: جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، رقم ٤٣٨، عن جابر.

وفي صحيح مُسلم، واللفظ له، في: أول ٥ كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم ٥٢١، عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أي: أن فضل أُمَّتِهِ لَا يَحْصُلُ إِلَّا بِاتِّبَاعِ أَوَامِرِهِ ﷺ، والانتِهَاءُ عَنْ نَوَاهِيهِ وَالِاهْتِدَاءُ بِهَدْيِهِ ﷺ.

فَإِذَا قِيلَ:

إِنَّ الرَّسُولَ ﷺ نَهَى عَنِ التَّفْضِيلِ بِأَحَادِيثٍ مِنْهَا:

أ- قَوْلُهُ ﷺ: (لَا تُخَيِّرُوا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ)^(١).

ب- وَقَوْلُهُ ﷺ: (لَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُوْنُسَ بْنِ مَتَّى)^(٢).

فَالْجَوَابُ:

أَنَّ هَذِهِ الْأَحَادِيثَ مَحْمُولَةٌ عَلَى أَنَّهُ ﷺ قَالَهَا عَلَى سَبِيلِ التَّوَاضُعِ وَنَفْيِ الْعَجَبِ، أَوْ أَنَّ الْمَقْصُودَ مِنْهَا أَلَّا يُفْضَلَ بَيْنَهُمْ تَفْضِيلًا يُؤَدِّي إِلَى تَنْقُصِ بَعْضُهُمْ أَوْ الْغَضِّ مِنْهُمْ^(٣).

(١) حَدِيثٌ: لَا تُخَيِّرُوا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ، فِي: صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ فِي: ٤٤ كِتَابِ فِي الْخُصُومَاتِ، ١ بَابُ مَا يَذْكَرُ فِي الْإِشْخَاصِ وَالْمَلَازِمَةِ وَالْخُصُومَةِ بَيْنَ الْمُسْلِمِ وَالْيَهُودِ، رَقْمٌ ٢٤١٢، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ.

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ فِي: ٤٣ كِتَابِ الْفَضَائِلِ، ٤٢ بَابُ مِنْ فَضَائِلِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، رَقْمٌ ٢٣٧٤ (١٦٣)، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ.

(٢) حَدِيثٌ: لَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ... إلخ، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي: صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ فِي كِتَابِ الْأَنْبِيَاءِ. وَمُسْلِمٍ فِي كِتَابِ الْفَضَائِلِ. / اللَّوْلُو وَالْمَرْجَانُ ص ٦٢٧.

(٣) تَفْسِيرُ الرَّازِيِّ فِي تَفْسِيرِ آيَةِ الْبَقَرَةِ ٢٥٣: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ ج ٦ ص ١٩٤ وَقَدْ جَاءَ بِتِسْعِ عَشْرَةِ حُجَّةٍ عَلَى هَذَا مَعَ مَنَاقِشَةِ الْمَخَالِفِينَ. وَانْظُرْ: الشَّفَا ج ١ ص ٢٢٥-٢٢٨ وَشَرْحُ الْعَقَائِدِ النَّسَفِيَّةِ لِلتَّفْتَّازَانِيِّ مَعَ شَرْحِ الْكَسْتَلِيِّ ص ١٧٢ وَشَرْحُ الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ٢١٤.

شَفَاعَةُ الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ ﷺ

الشَّفَاعَةُ لُغَةً: الْوَسِيلَةُ وَالطَّلَبُ.

وعرفاً: سَوَالُ الْخَيْرِ لِلغَيْرِ.

وهي مُشْتَقَّةٌ مِنَ الشَّفَعِ الَّذِي هُوَ ضِدُّ الْوَتْرِ. فَكَأَنَّ الشَّافِعَ ضَمَّ سَوَالَهُ إِلَى سَوَالِ الْمَشْفُوعِ لَهُ. وَالْمُشَفَّعُ، بِكسر الفاء: الَّذِي يَقْبَلُ الشَّفَاعَةَ وَتُطْلَبُ مِنْهُ. وَالْمُشَفَّعُ، بِفَتْحِ الْفَاءِ، وَيُسَمَّى الشَّافِعَ وَالشَّفِيعَ وَالْمُسْتَشْفِعَ: هُوَ الَّذِي تَقْبَلُ شَفَاعَتَهُ^(١).

وَالشَّفَاعَةُ قِسْمَانِ مَثْبُتَةٌ وَمَنْفِيَةٌ:

١ - الشَّفَاعَةُ الْمَثْبُتَةُ: وَهِيَ الَّتِي أَثْبَتَهَا اللَّهُ تَعَالَى لِأَهْلِ الْإِحْلَاصِ، وَلَهَا شَرَطَانِ هُمَا: إِذْنُ اللَّهِ تَعَالَى لِلشَّافِعِ، وَرِضَاهُ تَعَالَى. وَهُمَا الْمَذْكُورَانِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ - النَّجْم ٢٦، وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا نَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ - طه ١٠٩^(٢).

فَيَقِفُ الشَّافِعُ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ مَوْقِفَ الضَّارِعِ يَسْتَنْزِلُ رَحْمَةُ اللَّهِ وَإِحْسَانُهُ. فَالشَّفَاعَةُ هَذِهِ دَعَاءٌ مُسْتَجَابٌ، وَسَبَبٌ مِنَ الْأَسْبَابِ الَّتِي يَرْتَبِ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهَا الْمَغْفِرَةُ أَوْ التَّخْفِيفُ أَوْ رَفْعُ الدَّرَجَاتِ، بِدَلِيلِ حَدِيثِ الصَّحِيحَيْنِ وَغَيْرِهِمَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَسْجُدُ تَحْتَ الْعَرْشِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيُشْنِي عَلَى اللَّهِ تَعَالَى الثَّنَاءَ يُلْهِمُهُ يَوْمَئِذٍ، (فَيَقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، وَسَلْ تُعْطَ).

وَلَيْسَ فِي الشَّفَاعَةِ بِهَذَا الْمَعْنَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَرْجِعُ عَنْ إِرَادَةِ كَانَ قَدْ أَرَادَهَا لِأَجْلِ

(١) لَوَائِعُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ٢ ص ٢٠٤.

(٢) الْكَوَاشِفُ الْجَلِيَّةُ عَنْ مَعَانِي الْوَاسِطِيَّةِ ص ٣٥٢.

الشافع، بل مرد ذَلِكَ كله الإرادة الأزلية والعلم القديم^(١).

٢- الشفاعة المنفية: هي التي تطلب من غير الله تعالى، أو بغير إذنه، أو لأهل الشرك. قال سُبْحَانَهُ: ﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا حُلَّةٌ وَلَا شَفْعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمْ الظَّالِمُونَ﴾ - البقرة ٢٥٤^(٢).

فتفسر بأن يحمل الشافع المشفوع عنده (المشفع) على فعل كان قد أراد غيره، كأن يطمع ضعيف في معروف لدى عَظِيم، ويعتقد أنه ينوي حرمانه من معروفه، فيستشفع إليه بوجيه مقرب لديه، يحمله على أن يشمل به معروفه وإحسانه.

والشفاعة بهذا المعنى مستحيلة بالنسبة لله تعالى، لأن المشفوع عنده كان عاقداً النية على أمر خلاف ما شفع عنده فيه، فيجيء الشفيع ويبيدي له أسباباً للفعل أو الترك لم يكن عالماً بها من قبل، والله سُبْحَانَهُ لا يقع في ملكه إلا ما هو به عَلِيمٌ مريد، ولا يستطيع أحد أن يتصرف في إرادته ومشئته.

ويؤدي هذا المعنى أيضاً إلى القول بالبداء، بمعنى أن الله تعالى يبتدئ تدبير الأشياء

(١) الشَّرْحُ الْجَدِيدُ لَجَوْهَرَةِ التَّوْحِيدِ لِلْعَدَوِيِّ ص ١٤٠.

وحديث: فيقال: يا مُحَمَّد، ارفع رأسك... إلخ، في: صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ، واللفظ له، في: ٦٠ أَحَادِيثُ الْأَنْبِيَاء، ٣ باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ﴾ - نُوح ١، رقم ٣٣٤٠، عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وهو بالفاظ مقاربة في: صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ في: ٦٥ كتاب التَّفْسِير - سورة البقرة، ١ باب قول الله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ - البقرة ٣١، رقم ٤٤٧٦، عن أَنَس. و٨١ كتاب الرِّقَاق، ٥١ باب صفة الجنة والنار، رقم ٦٥٦٥، عن أَنَس. و٩٧ كتاب التَّوْحِيد، ١٩ باب قول الله تعالى: ﴿لَمَّا خَلَقْتَ بِيَدِي﴾ - ص ٧٥، رقم ٧٤١٠، عن أَنَس. و٢٤ باب قول الله تعالى: ﴿وَجُودُ يَوْمِذِ نَاصِرَةٍ﴾ - القيامة ٢٢، رقم ٧٤٤٠، عن أَنَس.

وفي صَحِيحِ مُسْلِمٍ في: ١ كتاب الإيمان، ٨٤ باب أدنى أهل الجنة منزلةً فيها، رقم ١٩٣ (٣٢٢ و٣٢٦)، عن أَنَس. و١٩٤، عن أَبِي هُرَيْرَةَ.

(٢) الكواشف الْجَلِيَّةُ السَّابِق.

أولاً فأولاً، ويستأنف علمها من جديد بعد أن لم يكن عالماً بها، وكل ذلك محال على الله سُبْحَانَهُ.

وهذا هو الذي أنكره الله تعالى بالآيات النافية، منها: ﴿فَمَا نَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ - المذثّر ٤٨، و﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ - الانفطار ١٩، و﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمْ الظَّالِمُونَ﴾ - البقرة ٢٥٤^(١).

أنواع الشفاعة المثبتة

ذكر العلماء أنواعاً عديدة للشفاعة المثبتة، منها:

١ - الشفاعة العظمى الخاصة بنبيينا مُحَمَّدٍ ﷺ من بين سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين، وهي التي يشفع فيها لأهل الموقف، حتى يقضى بينهم، ويراحوا من شدة الموقف وهوله، بعد أن يتدافعها الأنبياء أصحاب الشرائع آدم إلى نُوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام. وهي المقام المحمود.

ووردت في ذلك جُمْلَةٌ من الأحاديث الصَّحِيْحَةِ عن جُمْلَةٍ من الصَّحَابَةِ، بلغت حد التواتر.

٢ - شفاعته في إدخال قوم الجنة بغير حساب، بدليل حَدِيثِ عُكَاشَةَ بنِ مِحْصَنٍ فِي الصَّحِيْحَيْنِ حين دعا له رَسُوْلُ اللهِ ﷺ أن يجعله من السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب، وهم الذين لا يَسْتَرْقُونَ ولا يَكْتَوُونَ ولا يَتَطَيَّرُونَ وعلى ربهم يَتَوَكَّلُونَ.

٣ - فيمن استحق دخول النار أن لا يدخلها. وذلك بمحض عفو الله تعالى.

٤- في إخراج الموحّدين من النار بعد انقضاء مدة المؤاخذه المقررة لهم في علم الله تعالى.

٥- الشفاعة في بعض الكفار لتخفيف العذاب عنهم.

٦- في رفع درجات أناس في الجنة^(١).

أما النوع الأول من الشفاعة والثاني والسادس فلا خلاف فيها، وكذلك ينبغي أن لا يكون في الخامس خلاف.

لكن الخلاف في النوعين الثالث والرابع، فهما اللذان تنكرهما الْمُعْتَزِلَةُ والإبَاضِيَّةُ.

وأنكر جَهْمُ الشفاعة، وأن قوماً يخرجون من النار^(٢). وأنكر الشفاعة أيضاً الْمُرْجِئَةُ، لقولهم: لا يضر مع الإيمان ذنب^(٣).

(١) الشَّرْحُ الْجَدِيدُ ص ١٤١. وانظرها وغيرها في: شَرْحُ الْعَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّةِ لابن أبي العزّ ٢٨٢ وما بعدها، وَلَوَامِعُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ٢ ص ٢٠٤ وما بعدها، وَشَرْحُ الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ٣٠٥ ونقل عن السُّيُوطِيِّ وغيره. وانظر روايات الصَّحَابَةِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الشَّفَاعَةِ لِأَهْلِ الْكِبَائِرِ فِي: شَرْحُ أَصُولِ اعْتِقَادِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ ج ٥ ص ٣٨٧ وما بعدها.

وَحَدِيثُ عُمَاةِ بْنِ مَحْصَنٍ، فِي: صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ فِي: ٧٦ كتاب الطب، ١٧ باب من اکتوى أو كوى غيره، رقم ٥٧٠٥، عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ. وَ٨١ كتاب الرِّقَاق، ٢١ باب ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ - الطَّلَاق ٣، رقم ٦٤٧٢، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ.

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ فِي: ١ كتاب الإيمان، ٩٤ باب الدليل على دخول طوائف من المُسْلِمِينَ الْجَنَّةَ...، رقم ٢١٨ (٣٧١ و ٣٧٢)، عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ. وَرَقْم ٢٢٠ (٣٧٤)، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ.

(٢) التَّنْبِيهُ وَالرَّدَّ ص ١٣٤.

(٣) كِفَايَةُ الطَّالِبِ الرَّبَّانِيِّ ج ١ ص ٦٧.

واحتج الْمُعْتَرِلةُ وَالْإِبَاضِيَّةُ عَلَى إنكار الشفاعة فيمن استحق دخول النار (وهو النوع الثالث) بما يأتي:

١- قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ﴾ - البقرة ٤٨.

٢- قوله تعالى: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ - غافر ١٨.
وأجاب الْجُمْهُورُ بما يأتي:

١- بأن الْمُرَادَ بالنفس بالآية الْأَوَّلَى هو النفس الكافرة، لأن مساق الخطاب معهم، والآية نزلت ردًّا عَلَى الْيَهُودِ الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّ آبَاءَهُمْ تَشْفَعُ لَهُمْ. وَالظَّالِمُونَ فِي الْآيَةِ الثَّانِيَةِ هُمُ الْكَافَرُ، فَإِنَّ الظَّالِمَ عَلَى الْإِطْلَاقِ هُوَ الْكَافِرُ.

٢- إن غفران غير الكفر من الذنوب بلا توبة ولا شفاعة جائز، فبالشفاعة أَوْلَى. ولأن العقاب حقه تعالى فله أن يعفو ويصفح، وله أن يعاقب. قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾ - الشُّورَى ٢٥، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ - الزُّمَرُ ٥٣.

وأنكر الْمُعْتَرِلةُ ومثلهم الْإِبَاضِيَّةُ النوع الرابع من الشفاعة في قوم موحدين دخلوا النار، وقالوا: إن من دخل جهنم يخلد فيها، لأنه إما كافر، وإما صاحب كَبِيرَةٍ لم يتب منها.

وحجتهم عَلَى هَذَا الْإِنْكَارِ هِيَ أَنَّ مَنْ أَدْخَلَهُ اللَّهُ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَاهُ، وَالشَّفَاعَةُ لَا تَكُونُ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَاهُ اللَّهُ، وَمَنْ أَخْزَاهُ اللَّهُ لَا يَرْضَاهُ، وَمَنْ ارْتَضَاهُ لَا يَخْزِيهِ.

وأجاب الْجُمْهُورُ بما يأتي:

أ- قوله ﷺ: (شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي)، صريحٌ فِي ذَلِكَ^(١).

(١) شَرْحُ الْعَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّةِ لِابْنِ أَبِي الْعِزِّ ص ٢٩٠. وانظر: الْإِنْصَافُ لِلْبَاقِلَانِيِّ ص ١٧٠.

وَحَدِيث: شَفَاعَتِي... إلخ، قال الشيخ شُعَيْبُ الْأَرْنَؤُوطُ فِي هَامِشِ الصَّفْحَةِ الْمَذْكُورَةِ مِنْ

ب- إننا لا نُسلم أن الفاسق غير مرضي مطلقاً، بل هو مرضي لإيمانه، مبغوض لفسقه. على أن هذا النوع من الشفاعة لم يحل بين المشفوع فيهم وبين العذاب المقدر لهم، بل يخرجون من النار بعد انتهاء مدة المؤاخذة المقدرة لهم في علمه^(١).

شفاعة غيره ﷺ

وبعد شفاعة مُحَمَّد ﷺ يفتح باب الشفاعة لمن ارتضاه الله تعالى. قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا نَنْفَعُ الشَّفَعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ - طه ١٠٩. أي: لمن كان قوله

شرح العقيدة الطحاوية: حديث صحيح بطرقه وشواهد، أخرجه أبو داود والترمذي وأحمد والطيالسي وأبو نعيم في الحلية والطبراني في الصغير من حديث أنس، وصححه ابن حبان والحاكم، وأخرجه الترمذي وابن ماجه والطيالسي وأبو نعيم في الحلية من حديث جابر بن عبد الله، وصححه الحاكم وأخرجه الطبراني من حديث ابن عباس، والخطيب البغدادي من حديث ابن عمر.

(١) الشرح الجديد السابق، ولوامع الأنوار البهية ج ٢ ص ٢١٧. وانظر: تمهيد الأوائل ص ٤١٥ وشرح العقائد النسفية للتفتازاني ص ١٤٨ وشرح الجوهرة لعبد السلام ص ٢٤٤ والمعتزلة لعواد المعتق ص ٢٣٦.

وانظر تفصيل الكلام في الشفاعة عند الإباضية في: البعد الحضاري ص ٦٧٠ وما بعدها. وفيه نقل عن عمرو التلاتي قوله: (إن أصحابنا رحمهم الله تعالى قالوا: إن الشفاعة حق لا شك فيه، وإنها للمؤمنين لا لأهل الكبائر العاصين والفجار الفاسقين)، ونقل في ص ٧٥٢ عن عمرو التلاتي أيضاً إنكار خروج المعتدين في النار من عصاة أمة مُحَمَّد ﷺ منها.

وقال السالبي في مشارق أنوار العقول ج ٢ ص ١٤٣: (مذهب أهل الاستقامة - أي: الإباضية - والمعتزلة أن أهل الكبائر من معاصي الله كانوا مُشركين أو فاسقين مُخلدون في النار دائماً، وأهل الطاعة مُخلدون في الجنة دائماً، لكن أهل الاستقامة يقولون: إن التعذيب بعذر الله والثواب بفضله، والمعتزلة يقولون بوجوب ذلك عليه تعالى عن ذلك، بناءً على أصلهم الفاسد في التحسين والتقيح العقليين). ونقل قول السالبي في البعد الحضاري ص ٧١٦. وانظر: الحق الدامغ ص ١٨٥.

وَاعْتَقَادَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ^(١).

قال ﷺ: ... فيقول الله عز وجل: شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ.

وقال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنْ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَشْفَعُ لِلْفِتَامِ مِنَ النَّاسِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَشْفَعُ لِلْقَبِيلَةِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَشْفَعُ لِلْعَصْبَةِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَشْفَعُ لِلرَّجُلِ حَتَّى يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ.

وقال ﷺ: يُشَفِّعُ الشَّهِيدُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ^(٢).

وقال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَشْفَعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَةٌ: الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الْعُلَمَاءُ، ثُمَّ الشُّهَدَاءُ^(٣).

(١) نور الإسلام لعبد الكريم المدرس ص ٢٩١.

(٢) نور الإسلام ص ٢٩١. وانظر: لَوَائِحُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ٢ ص ٢٠٩ وَشَرْحُ الْعَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّةِ لابن أبي العز ص ٢٩٣.

وَحَدِيث: شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ... إلخ، في: صَحِيح مُسْلِمٍ، وَالْفِظْ لَهُ، فِي: ١ كِتَابُ الْإِيمَانِ، ٨١ بَابُ مَعْرِفَةِ طَرِيقِ الرُّؤْيَةِ، رَقْم ١٨٣، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ. وَالحَدِيثُ فِي: مُسْنَدُ الْإِمَامِ أَحْمَد ج ٣ ص ٩٤، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ.

وَحَدِيث: إِنْ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَشْفَعُ... إلخ، في: سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ فِي: ٣٤ كِتَابُ صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ، ١٢ بَابُ مِنْهُ، رَقْم ٢٤٤٠، ص ٣٩٩، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ. وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

وَحَدِيث: يُشَفِّعُ الشَّهِيدُ فِي سَبْعِينَ... إلخ، في: سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ فِي: ١٥ كِتَابُ الْجِهَادِ، ٢٦ بَابُ فِي الشَّهِيدِ يُشَفِّعُ، رَقْم ٢٥٢٢، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ. وَقَالَ الشَّيْخُ شُعَيْبٌ فِي تَحْقِيقِهِ سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ ج ٤ ص ١٧٦: صَحِيحٌ لغيره، وَهَذَا إِسْنَادٌ حَسَنٌ. وَحَسَنُهُ السُّيُوطِيُّ فِي الْجَامِعِ الصَّغِيرِ ص ٥٩٠.

(٣) نور الإسلام ص ٢٩١ وَشَرْحُ الْعَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّةِ لابن أبي العز ص ٢٩٣.

وَحَدِيث: يَشْفَعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ... إلخ، رواه ابن ماجة، عَنْ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. / الْجَامِعُ الصَّغِيرُ

حكمة الشفاعة

والحكمة من الشفاعة تَكْرِيمُ الشَّافِعِينَ، ورفع شؤونهم على رؤوس الأشهاد، وإفاضة الكرم الإلهي على المشفوع له^(١).

وليس القول بالشفاعة إعداد الناس للجرأة والفساد على المعاصي، كما توهمه البعض، لأنه ليس في علم أي شخص أنه يشفع له، حتى يكون ذلك جالباً لإقدامه عليها^(٢).

أُصُولُ دَعْوَةِ الرَّسُولِ الْأَعْظَمِ مُحَمَّدٍ ﷺ

تتجلى دعوة الرسول مُحَمَّد ﷺ في جزئي الشهادة، اللذين هما الرُّكْنَانِ الْأَسَاسِيَّانِ لها^(٣)، ويندرج تحتها كل ما جاء به الإسلام.

الرُّكْنُ الْأَوَّلُ:

الإيمان بوجود الله تعالى، وبوحدانيته، وأنه يتصف بصفات تليق بكَمَالِهِ. وقد تَحَدَّثْنَا عَنْ هَذَا الرُّكْنِ فِي قِسْمِ الْإِلَهِيَّاتِ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ، وَذَكَرْنَا مَا يَجِبُ وَمَا يَسْتَحِيلُ وَمَا يَجُوزُ فِي حَقِّهِ تَعَالَى.

لِلشُّيُوطِيِّ ص ٥٩٠ وَحَسَنُهُ. وَقَالَ ابْنُ أَبِي الْعَرِ: رَوَاهُ الْحَافِظُ أَبُو يَعْلَى. وَخَرَّجَهُ مُحَقِّقُهُ الشَّيْخُ شُعَيْبٌ فِي الْهَامِشِ.

(١) نور الإسلام ص ٢٨٧.

(٢) نور الإسلام ص ٢٨٨.

(٣) شَرْحُ السَّنُوسِيَّةِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ١٦٥. وَانْظُرْ: شَرْحُ أُمِّ الْبَرَاهِينِ لِلْسَّنُوسِيِّ وَحَاشِيَةُ الدُّسُوقِيِّ عَلَيْهَا ص ١٩٠ وَ ٢١٩ وَشَرْحُ الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ٢٠٨ وَمَشَارِقُ أَنْوَارِ الْعُقُولِ ج ١ ص ٢٧٣ وَشَرْحُ غَايَةِ الْمُرَادِ ص ١٨.

ويكفي أن نشير إلى أن القرآن العظيم نبذ بهذا الركن عقيدة التثليث عند النَّصَارَى والهنود، والإشراك عند اليَهُود، وعبادة الأصنام والنجوم والوثنية بأشكالها عند العرب وغيرهم بآيات كثيرة منها: قوله سبحانه: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثَةٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ - المائدة ٧٣.

ومنها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَنَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَالِمُ الْغُيُوبِ﴾ - المائدة ١١٦.

وعقيدة التَّوْحِيد في القرآن أعلى المعارف التي ترقى بالإنسان إلى الأعلى.

وكان توحيد المسلمين الأولين لله وحبهم له وتوكلهم عليه، هو الذي زكى نفوسهم، وأعلى همهم، وكملهم بعزة النفس، وشدة البأس، وإقامة الحق والعدل، ومكّنهم من فتح البلاد، ومن تحرير الناس من ظلم الملوك، ورقّ الكهنة والأخبار والرهبان، فأقاموا دعائم الحضارة، وأحيوا العلوم والفنون، وتم لهم ما لم يتِم لأية أمة من الأمم، حتى قال الدكتور غوستاف لوبون في كتابه (تطور الأمم): (إن ملكة الفنون لا يتِم تكوينها لأمة من الأمم الناهضة إلا في ثلاثة أجيال، أولها: جيل التقليد، وثانيها: جيل الخضرمة، وثالثها: جيل الاستقلال والاختصاص. قال: إلا العرب وحدهم، فقد استحكمت لهم ملكة الفنون في الجيل الأول، الذي بدؤوا فيه بمزاولتها^(١)، وقد تقدم أثر عقيدة التَّوْحِيد في حياة الإنسان بما فيه الكفاية.

وهذا الركن هو المقصود بالشرط الأول من الشهادة (أشهد أن لا إله إلا الله)^(٢).

(١) الوحي المَحْمَدِي ص ١٣١.

(٢) انظر: شرح أم البراهين وحاشية الدُّسُوقِي عليه ص ٢١٩.

الرُّكْنُ الثَّانِي:

الإيمان بِرَسُولِ اللَّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ. ومعناه:

أ- وجوب التَّصَدِّيقِ بِأَنَّهُ نَبِيُّ اللَّهِ تَعَالَى وَخَاتَمُ الْمُرْسَلِينَ.

ب- وجوب التَّصَدِّيقِ بِمَا أَخْبَرَ بِهِ.

ج- وجوب طاعته في كل ما صدر عنه من قول أو فعل أو تَقَرِيرٍ مِنَ الْأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي، ووجوب اقتفاء آثارهم، والتزام طريقته في سُبُلِ الْحَيَاةِ كُلِّهَا، لِأَن طَاعَتَهُ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ - النساء ٨٠ وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ - الحجر ١٠٨ وقال تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ - الأحزاب ٣٦... إلخ.

فِيَدْخُلُ فِي هَذَا الرُّكْنِ:

الإيمان بالملائكة والجن والمغيبات جميعاً والإيمان بسائر الأنبياء بلا تفریق، وما يجب في حقهم من صفات، وما يستحيل، وما يجوز، وبكتبهم السماوية جميعاً التي أُنْزِلَتْ عَلَيْهِمْ، والتي هي موافقة في أصُولِهَا الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ، لِأَن مَصْدَرَهَا وَاحِدٌ وَهُوَ اللَّهُ تَعَالَى، وَتَكْفُلُ بِالْكَلَامِ عَنْ هَذَا مَوْضُوعِ (النُّبُوءَاتِ) كَمَا تَقَدَّمَ.

والإيمان بِالْيَوْمِ الْآخِرِ، وهو يوم الجزاء عند القيامة، وهو الْبَاعِثُ عَلَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ وَتَرْكِ الْمُنْكَرَاتِ، وَمُقَوِّي الْوَازِعِ النَّفْسِي الَّذِي يَصُدُّ الْإِنْسَانَ عَنِ الشَّرِّ وَالظُّلْمِ. وَسَيَأْتِي كَلَامٌ وَافٍ عَلَى هَذَا فِي فَصْلِ الْحَيَاةِ الْآخِرَى.

وهَذَا الرُّكْنُ هُوَ الْمَقْصُودُ بِالشَّطْرِ الثَّانِي مِنَ الشَّهَادَةِ (وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَّسُولُ اللَّهِ) ^(١).

وبِهَذَا يَتَبَيَّنُ أَنَّ كَلِمَةَ الشَّهَادَةِ بِشَطْرِيهَا، قَدْ تَضَمَّنَتْ مَعَ قَلَّةِ حُرُوفِهَا جَمِيعَ مَا يَجِبُ

(١) المصدر السابق.

على المسلم المُكَلَّف معرفته من عَقَائِدِ الْإِيمَانِ فِي حَقِّهِ تَعَالَى فِي حَقِّ رِسْلِهِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ^(١).

أو بعبارة أُخرى:

هي الْإِيمَانُ بِأَنَّ دِينَ اللَّهِ تَعَالَى الْإِسْلَامُ هُوَ الدِّينُ الْحَقُّ، الَّذِي يَجِبُ أَنْ يُؤْمِنَ الْفَرْدُ بِكُلِّ مَا جَاءَ بِهِ مِنْ جَزْئِيَّاتٍ، وَيَعْمَلُ بِهَا، وَلِذَلِكَ قَالَ السَّنُوسِيُّ: (وَلَعَلَّهَا لاختصارها مع اشتغالها على ما ذكرناه جعلها الشَّرْعُ ترجمةً على ما في القلب من الإسلام، ولم يُقبل من أحد الإيمان إلا بها)^(٢).

فكانت عُنْوَانُ الدِّخُولِ فِي الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ، إِذْ لَا يُقبلُ الْإِسْلَامُ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِالنُّطْقِ بِشَطَرِهَا مَعًا.

فعليه أن يكثر من ذكرها، كما هو المأثور في الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ، مستحضرًا لما حوته من معاني جَلِيلَةٍ، حَتَّى تَمْتَزَجَ مَعَ مَعْنَاهَا بِلَحْمِهِ وَدَمِهِ، فَإِنَّهُ يَرَى لَهَا مِنَ الْأَسْرَارِ وَالْعَجَائِبِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى مَا لَا يَدْخُلُ تَحْتَ الْحَصْرِ^(٣).

واجبنا نحو الرَّسُولِ الْأَعْظَمِ مُحَمَّدٍ ﷺ

بعد أن أنعم الله تعالى على المسلم بأن آمن بالله وبنبيه الأعظم ﷺ، كان عليه أن يعرف واجبه نحوه، وهو:

١ - محبته أكبر من النفس والولد، والمال والناس.

قال النَّبِيُّ ﷺ: (لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ)^(٤).

(١) المصدر السابق ص ٢٢١.

(٢) أمِّ الْبَرَاهِينِ وَشَرْحُهَا لِلْسَّنُوسِيِّ ص ٢٢٢.

(٣) المصدر السابق ص ٢٢٤.

(٤) حَدِيثٌ: لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ... إلخ، أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَابْنُ خَرِيٍّ وَمُسْلِمٌ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ، عَنْ أَنَسٍ. وَهُوَ صَحِيحٌ. / الْجَامِعُ الصَّغِيرُ ص ٥٨٦.

وهذه المحبة لا تتجلى إلا في طاعته طاعةً كاملةً في كل ما يقول.

٢- تبجيله واحترامه حياً وميتاً، ففي حياته: لا يجوز سبقه بالحديث، قال تعالى:

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا نَفْذِمْوَا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَانْقُوا اللَّهَ﴾ - الحُجُرَات ١.

ولا يجوز رفع الصوت أمامه، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ

فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ، بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ - الحُجُرَات ٢.

ويبقى هذا الاحترام حتى بعد مماته، فلا يرفع الصوت عند قبره أو في مسجده ﷺ،

كما يجب التأدب عند سماع حديثه، والرضا بما قال، وعدم الخروج عليه.

٣- عدم إيذائه بأي نوع من أنواع الأذى.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ - التوبة ٦١.

والإيذاء شامل: للسب، أو الطعن به، أو بشره، أو بزواجه الطاهرات، قال

تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ - الأحزاب ٦. أو الطعن
بآل بيته، أو أصحابه، أو سبهم

٤- الصلاة والسلام عليه.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ

وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ - الأحزاب ٥٦^(١).

٥- وجوب التأسي بالرسول ﷺ، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ

حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ - الأحزاب ٢١. والتأسي هو الاقتداء
به في كل أقواله وأفعاله ﷺ.

(١) انظر: الشفا، وسُبُلُ الْهُدَى وَالرَّشَادِ ج ١٢ ص ٤٥٧ وأُصُولُ الدَّعْوَةِ ص ٣٦-٣٧.

الفصل السادس

اليوم الآخر

وفيه ثلاثة مباحث:

المَبْحَثُ الأول: دليل اليوم الآخر والحاجة إلى الإيمان به.

المَبْحَثُ الثاني: اليوم الآخر عند غير المسلمين:

في حَضَارَةِ وادي الرافدين، عند المِصْرِيِّين
القدماء، في الديانة الزَّرَادُشْتِيَّة، عند الإغريق
القدماء، عند الرُّومَان، عند الهِنْدُوس، عند
الصَّابِئَةِ، عند اليَهُود، عند النَّصَارَى.

المَبْحَثُ الثالث: اليوم الآخر في الإسلام:

معناه، حكم الإيمان به، الأَعْمَالُ بالخواتيم، التوبة،
الموت، القبر، البعث والنشور، الساعة، الصور،
الحشر، العرض والحساب، الحوض، المِيزَان،
الصراط، الجنة والنار.

مُقَدِّمَةٌ

عاش الإنسان في حياته البدائية لا يفكر بعواقب الحياة. وحين فتح عينيه أخذ يفكر ويسأل، هل هَذَا المخلوق العاقل مثل الدابة أو الحشرة، ينتهي إلى مصير واحد، وهو الموت فقط، أو أن هناك حياة أُخرى تنتظره؟

ورأى من الأشرار من ينال عقابه قبل موته، ومن الخيِّرين من يثاب في حياته الدنيا. ورأى أيضاً من هؤلاء من يدركه الموت، فلم ينل جزاءه من ثواب أو عقاب، فتساءل:

أيذهب هؤلاء من غير رجعة بلا جزاء؟ أم ينتظرهم الثواب أو العقاب في عالم آخر؟ فربط إيمانه بوجوب الاعتقاد بحياة أُخرى بعد الموت، إذ خلُق هَذَا العالم العجيب الصنع، لا يصدر إلّا من إله قادر يحكم بعدالته هَذِهِ المخلوقات جميعاً.

وما كان هَذَا الاعتقاد إلّا تصديقاً لدَعَوَات جاء بها أنبياء سابقون، وإن كَدَّرَتْ صفوه الوثنية، حيناً بعد حين.

وهَذَا الفصل الذي نعهده للكلام عن اليوم الآخر يتضمن ثلاثة مباحث:

المَبْحَثُ الأول:

وفيه بيان دليل اليوم الآخر، والحاجة إلى الإيمان به.

المَبْحَثُ الثاني:

وفيه بيان عَقِيدَةِ الإيمان باليوم الآخر في مُتَخَلَفِ الديانات العالمية.

المَبْحَثُ الثالث:

وفيه تفصيل القول في عَقِيدَةِ المُسْلِمِينَ باليوم الآخر، ومشاهد القيامة وما يتصل

بها.

المَبْحَثُ الأول

دليل اليوم الآخر، والحاجة إلى الإيمان به

أدلة اليوم الآخر^(١)

يمكن أن نقيم الأدلة على اليوم الآخر بما يأتي:

الدليل الأول: إمكان اليوم الآخر.

اليوم الآخر ممكن الوقوع، والإشارات الدالة على ذلك هي:

١- أن الإنسان والكون ليسا أبديين، فالنَّهَايةُ المروعة آتية عليهما لا محالة، فالإنسان يموت، والكون يفنى، وهذا يعني أن نظام الكون الموجود حالياً سيدمر، وأن الذي نشاهده من معالم هذا النظام ما هو إلا صورة مصغرة أولية، سوف يتجلى عنها في صورة نهائية كبرى، نلقاها غداً في صورة الواقع^(٢).

٢- يتألف الجسم الإنساني من الخلايا، وهي ذرات صغيرة جداً ومعقدة، يزيد عددها في جسم الإنسان على ألف مليون مليون خلية تبني الجسم كما يبنى الجدار، وهذه الخلايا تتغير، فيموت منها ١٢٥ مليون خلية في الثانية الواحدة.

ومعنى ذلك أن جسم الإنسان يموت ويحيا مرات كثيرة في الحياة الدنيا، ولكن مع ذلك فهو محتفظ بشخصيته، وعاداته وأفكاره، وعلمه وأمانيه وهو لا يحس بأن شيئاً من

(١) انظر دليل الآخرة والحاجة إلى الإيمان بها في: الإسلام يتحدّى ص ٧٢ وما بعدها، وقد أحال القارئ إلى مراجع أجنبية.

(٢) انظر تفصيل هذا في الكلام عن الموت وحقيقته وقيام الساعة من هذا الكتاب.

أعضائه قد تغير، ومثله في ذلك مثل النهر الجاري، الذي يتغير ماؤه دائماً، ومع ذلك فهو ذلك النهر بعينه.

فالذي يعيش خمسين سنة كان قد مات خمس مرات، فإذا مات في المرة السادسة فكيف يمكن أن يجزم أنه مات على وجه اليقين، ولا سبيل له إلى الحياة؟

الدليل الثاني: البحوث المؤيِّدة لليوم الآخر.

١ - البَحْثُ النفسي:

سَلَّمَ فرويد وعُلماء النفس بصفةٍ عامةٍ بنظريَّةٍ مقتضاها: (أن كل ما يخطر على بال الإنسان من الخير والشر، ينقش في صفحة اللاشعور، فلا يزول إلى الأبد، ولا يؤثر فيه تغير الزمان وتقلب الحداث، ويحدث هذا على رغم الإرادة الإنسانية طوعاً أو كرهاً).

والبحوث النفسية تؤكد أن الوجود الإنساني الحقيقي هو في (اللاشعور)، لا يطرأ عليه الموت، ولا تحكمه قوانين الزمن. أما الجسم المادي فهو في تغير وتحطم وفناء، فلا يعتبر وجوده وجوداً حقيقياً، وهذا يعني أن الحياة الجارية لن تفنى أبداً، بل ستستأنف مسيرتها بعد الموت، وسوف نكون على قيد الحياة، والموت لم يكن إلا نتيجة الحواجز والقوانين الزمنية.

ثم إن الأفكار التي تخطر على بالنا ونساها، ثم نراها بعد فترة طويِّلة في المنام، أو نتكلم عليها في حالات الهستيريا أو الجنون، ما هي إلا دليل على أن العقل أو الحافظة ليست تلك التي نشعر ونحس بها فقط، وإنما هناك (اللا شعور) الذي يحفظ هذه الصور بكامِل جزئياتها، وهو عالم مستقل بذاته، ولا يفنى بفناء الجسم المادي.

وهذا يؤكد إمكان وجود سجل كامِل لأعمال الإنسان وأقواله^(١) في حياته، يعرفه بعد أن يبدأ حياته الأخرى.

(١) انظر موضوع العَرَض والحساب، وذكرنا هناك شيئاً مما ذكره العلم الحديث في هذا الصدد.

٢- البحوث الروحية:

أثبتت البحوث الروحية الحياة بعد الموت على المستوى التجريبي، فمن خصائص الإنسان التي يتمتع بها من قديم الزمان (الرؤيا)، وَلَكِنْ الْحَقَائِقُ الْمُثِيرَةُ الَّتِي اكْتَشَفَهَا عُلَمَاءُ النَّفْسِ الْيَوْمَ كَانَتْ عِلْمِيَّةً عَمِيقَةً، لَمْ يَكُنْ لِلْقَدَمَاءِ عِلْمُهَا.

والبحوث الروحية وهي فرع من علم النفس الْحَدِيثُ تهدف إلى الْكَشْفِ عن ميزات الإنسان غير العادية، وقد أُقيمت لهذه البحوث معاهد كثيرة في العالم، وأُجريت تَجَارِبُ وَاسِعَةٌ النِّطاقِ على آلاف الناس، وأُثبتت هذه المعاهد:

أن الشخصية الإنسانية تواصل بقاءها بعد فناء الجسد المادي في صورة غَرِيبَةٍ^(١).

٣- الشهادة التجريبية:

والشهادة التجريبية التي تثبت الحياة بعد الموت هي: حَيَاتُنَا الْأَوَّلَى في حد ذاتها^(٢)، فَتَسْلِيْمُنَا بِوُقُوعِ حَادِثٍ فِي الْحَالِ وَإِنْكَارِهِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، مَا هُوَ إِلَّا عِدَاءٌ لِلْمُنْطِقِ وَالْعَقْلِ، وَقَدْ ذَكَرَ جَمِيعُ الْعُلَمَاءِ بِهَا فِيهِمْ دَارُونَ الَّذِينَ حَاوَلُوا شَرْحَ الْكَوْنِ وَالْحَيَاةِ: أَنَّهُ لَوْ هَيِّئَتْ الْأَحْوَالُ نَفْسَهَا الَّتِي سَاعَدَتْ فِي خَلْقِ الْحَيَاةِ الْأَوَّلَى، فَمِنْ الْمُمْكِنِ حَدُوثُ الْحَيَاةِ وَلَوْ أَزَمَهَا مَرَّةً أُخْرَى.

غَايَةُ الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ

حين كرم الله تعالى ابن آدم، وجعله سَيِّدَ الْمَخْلُوقَاتِ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَرْدِ وَالْبَحْرِ﴾ - الإسراء ٧٠، وسخر له ما في السماوات والأرض، وأنزل

(١) انظر أمثلة من هذه التَّجَارِبِ الروحية في كتاب: الإسلام يتحدّى ص ٩٣.

(٢) سيأتي دليل البعث الجسماني من هذا الكتاب.

عليه القرآن الكريم، فيه الآيات البينات، لا يعقل أن يخلقه، وهو الحكيم، عبثاً أو سفهاً من غير قصد حقيقي، قال تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ۝ فَتَعَلَىٰ اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ۝ ﴾ - المؤمنون.

وقال: ﴿ أَيْحَسِبُ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ۝ ﴾ - القيامة ٣٦. أي: أيجب أن يترك مهملاً بلا فائدة، لا يؤمر ولا ينهى؟

إن غاية الخلق واضحة في الآية: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ - الذاريات ٥٦، فهذا تكليف وامتحان يميز به الخبيث من الطيب.

الحاجة إلى الإيمان باليوم الآخر

لما ثبت بما تقدم من الأدلة أن الآخرة ممكنة الحدوث، وأن البحوث النفسية والروحية مؤيدة لهذا الاعتقاد، نبين الآن أن العالم في حاجة إلى الإيمان باليوم الآخر، ويتضح هذا في الجوانب الآتية^(١):

١- الجانب النفسي:

إن أمل الإنسان في الحصول على حياة مفضلة، في عالم حر مثالي مليء بالأفراح، مستقل عن حدود هذا العالم ومشاكله، دليل نفسي قوي على الحاجة إلى وجود عالم آخر، كالظمأ الذي يدلل على الماء، وعلى علاقة خاصة باطنة بين الماء وبين الإنسان.

ثم إن هذه العقيدة موجودة منذ أقدم العصور، فلو كانت باطلة لما أثرت على البشر بهذا الشكل المدهش، إذ إننا لا نجد فكرة إنسانية واهية ظلت باقية إلى العصر الحاضر بهذا التسلسل الرائع.

(١) الكلام عن الحاجة إلى الإيمان بالآخرة في: الإسلام يتحدى ص ٨٢ وما بعدها.

٢- الجانب الأخلاقي:

إن فِطْرَةَ الإنسان تميز بين الظلم والعدْل، وبين الصالح والطالح، وهذه الفطرة هي التي تميزه عن سواه ولكنّه قد يهدر هذه الفطرة فيقتل بني جنسه ويشردهم، والتاريخ يفيض بقصص الظلم والعدوان، وصحفنا تتحدث يومياً عن الاغتيالات، وجرائم الخطف، والنهب، والاتهامات الكاذبة، والدعايات الباطلة، وسحق الشعوب. لكنّ دواعي العدالة والإنصاف في الضمير الإنساني تؤكد أن هذا العالم ناقص في حد ذاته، وهذا النقص في ذاته يقتضي ما يكمله. فلا بد من يوم يجني الظالم والمظلوم ثمارهما، فلا يعقل أن المؤمن المُحْسِن المطيع الذي لم يحصل على أجره في الدنيا يخسره، فتذهب مُجَاهِدَتُهُ لنفسه هدرًا.

ولا يعقل أن الله تعالى يترك الفاجر الظالم سادراً في غِيّه، يعيش في الأرض الفساد، ويقهر الآخرين، دون أن يناله العقاب، فيقتصر منه لمن ظلمه. فكل من المُحْسِن والظالم لا بد أن ينال جزاءه في اليوم الآخر لا محالة، إذ فيه: ﴿وَتُؤْتَى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾ - النحل ١١١، وإلا لزم الظلم بالنسبة لله تعالى، إذا ترك محاسبة الظالم، ومكافأة المطيع. والظلم محال على الباري عَزَّ وَجَلَّ.

فالإيمان باليوم الآخر يجعل رقابة المرء على نفسه مستديمة، ويوفر السكينة والطمأنينة في القلوب، فيشعر المؤمن بأن الدنيا متاع الغرور، فيزهد فيها، ولا يتكالب عليها، ليستأثر بما يريد، وإن أضر بمصلحة الآخرين، فتكون عندئذ غَايَةُ الْحَيَاةِ سَامِيَةً، وهو عَمَلُ الْخَيْرِ، وترك الْمُنْكَرِ، والتحلي بكل فضيلة، والتخلي عن كل رذيلة.

ومن هنا جعل القرآن الكريم هذه العَقِيدَةَ طريقاً للدعوة إلى الْفَضَائِلِ، فقال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلْقَوْنَ﴾ - البقرة ٢٢٣، فقرن أمره بتقوى الله، ببلقائه في الآخرة، لترسيخه في النفس.

وقال سبحانه: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُؤَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ - البقرة

٢٧٢، فقرن الإنفاق في سَبِيلِ الله، بإيفائه لهم في الآخرة.

وقد عني القرآن الكريم بترسيخ هذه العقيدة في ذهن الإنسان، وجعلها هي الخير والأبقى، وأن الحياة الدنيا دار فناء، والساعي وراءها مغرور بمتعها ولذائدها الزائلة، قال تعالى: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ - العنكبوت ٦٤. وقال سبحانه: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۖ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ - الأعلى.

٣- السُّلُوك:

قد يحقق الإنسان ما عهد إليه من أمور خشية العقاب الذي ينتظره، إن لم يقم به على الوجه المراد، ولكن ما الذي يدفع المتمتع بالسلطة السياسية إلى تحقيق العدل؟ ومن يجمع انحراف الإنسان إن لم يجد له رادعاً؟ أو كان في غفلة عن المسؤولين إن مارس الظلم أو الرشوة أو التزوير أو استغلال النفوذ...؟

الحق أن هذا الانحراف لا يقمعه سوى الدافع المنبعث من نفس الإنسان، وهو الضمير. وهذه الميزة غير متاحة إلا في عقيدة الآخرة، إذ إن الإنسان يشعر بأن الله تعالى يراه أينما كان، ويحاسبه حساباً عسيراً.

قال فولتير: (إن أهمية الإله والحياة الآخرة عظيمة جداً، حيث إنها أساسان لإقامة المبادئ الأخلاقية).

ويقول: (إن هذه العقيدة وحدها كفيلة بإيجاد إطار أخلاقي أفضل للمجتمع، ولو أن هذه العقيدة زالت. فلن نجد دافعاً للعمل الطيب، وسيترتب على ذلك انهيار النظام الاجتماعي).

فالحاجة الملحة إلى الآخرة لتنظيم الحياة، وإقامتها على أسس عادلة حقيقية، هي في حد ذاتها تأكيد على أن الآخرة من كبريات حقائق الكون، وهذا دليل منطقي واضح على أحقية الإيمان بها.

٤ - الضرورة الكونية:

لا بد أن تكون هناك علاقة بين الإله والإنسان، ولا بد من ظهورها، لأن العقل يستنكر إلهاً لا علاقة له بأمور الكون، ولا يشهده عباده في مظهر الخالق. ولكن متى تظهر هذه العلاقة بصورة جلية؟

يمكن الجزم بأن هذه العلاقة لم تظهر في الحياة الدنيا، فهذا الملحد يقول: إني لا أخاف الله، ثم نراه يحصل على الرئاسة أو لا يصاب بأذى... والمؤمن قد ترد دعواه بحجة أنها غير شرعية.

فهنا إما أن نؤمن بوجوده أو ننكره، فإن آمنا به فلا بد من أن نؤمن بالآخرة، وفي الآخرة فقط تظهر آثار الربط بين الخالق والمخلوق بجلاء، حيث الحساب فالثواب والعقاب الذي يلقي الإنسان في مشواه الأخير.

إذ إن الخالق لهذا الكون العظيم لا يمكن أن ينهيه دون إبداء الأسباب التي دفعته إلى هذا الخلق، ودون تعريف مخلوقيه بصفاته العديدة.

المبحث الثاني

اليوم الآخر عند غير المسلمين

في هذا المبحث نُبذتُ تاريخية عن فكرة اليوم الآخر، منذ أقدم الأزمنة إلى وقتنا الحاضر، في أشهر الحضارات والديانات العالمية.

١- في حضارة وادي الرافدين

فكرة القيامة وبعث الأموات:

لم يوجد دليل من النصوص المسماة إثبات أن العراقيين القدماء يعتقدون بقيامتهم وبعثهم من الموت، وليس هناك ما يثبت إمكانية عودة روح الميت (الاطمو) إلى جسده^(١).

وهذا المعنى نجده واضحاً على لسان (كلكاش) حين يندب صديقه (أنكيدو) فيقول: (آه لقد غدا صاحبي الذي أحببت تراباً، وأنا سأضطجع مثله فلا أقوم أبد الآبدن)^(٢).

أما حين نتحدث النصوص المسماة القديمة عن عودتها إلى عالم الأحياء، فإنها تقصد عودتها بهيئة أشباح مستقلة عن الجسد^(٣).

(١) عقائد ما بعد الموت في حضارة وادي الرافدين ص ١١٣. وانظر: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة: طه باقر ج ١ ص ٢٣١ والأديان: د. رشدي عليان و د. سعدون الساموك ص ٧٠-٧١.

(٢) عقائد ما بعد الموت ص ١١٥-١١٦.

(٣) المصدر السابق ص ١١٣.

فكرة الحساب:

ذهب الأستاذ هايدل وكريمر وبعض الباحثين إلى أن هناك إشارات واضحة في النصوص المسماة القديمة تدل على اعتقادهم بفكرة الحساب في عقائد ما بعد الموت في العراق القديم^(١)، كما يعتقد المصيريون القدماء.

لكن بعد النظر في ما أوردوه من إشارات في النصوص المسماة، رجح الباحثون انتفاء اعتقادهم بوجود حساب للموتى في عالم الأموات، وبالتالي انتفاء وجود عقاب أو ثواب في ذلك العالم^(٢).

وكان سكان وادي الرافدين القدماء يعتقدون أن الخطيئة قديمة بقدم الإنسان، يتعرض لارتكابها دائماً بقصد أو بدون قصد منه.

وارتكاب أي خطيئة ينجم عنه أضرار جسيمة^(٣) تتجلى في أمرين:

١ - تخلي الآلهة عنه، فيقع عندئذ فريسةً للمصائب والكوارث والأمراض وتلاشي السكينة والهناء^(٤)، يصف الملك آشور بانيبال الأحوال المتردية في دولته، أنها عقاب تقرر عليه، فيقول:

(لماذا يحيط بي المرض وعذاب القلب والشقاء والألم؟ في البلاد تنتشر الاضطرابات، وفي البيت تحاك الدسائس، إنها تلازمني باستمرار، الكوارث والكلمات الشريرة تتجمع ضدي، لقد حنا مرض القلب ومرض الجسد قامتي... أصبح الموت نهايتي، إنني أتعذب بالقلق والحزن، فأقضي النهار والليل، نذبت: أيها الإله سلط هذه على الذي لا يخاف

(١) المصدر السابق ص ١٢٣-١٢٤.

(٢) انظر الحجج ومناقشتها في: عقائد ما بعد الموت ص ١٣٠.

(٣) عقائد ما بعد الموت ص ١٣٢-١٣٣.

(٤) المصدر السابق ص ١٣٥.

الآلهة، ودعني أرى نورك أيها الإله، لم قررت كل هذا عليّ؟ إني أتعذب كمن لا يخاف الآلهة^(١).

٢- تقصير أجل الحياة، وإحلال الموت بالمذنب، عقاباً له على ما ارتكبه من خطيئة. يدُلُّ على ذلك ما ورد من نصوصٍ مسماريةٍ مثل: (إذا قال شخصٌ ما في المستقبل بأن الحقل لم يوهب، فعسى الآلهة: أنو، وأنليل، وإيا، وننا، وشمس، ومردوخ، ونسكو، وسدرننا، ونركال، ولازر، أن يستأصلوه من أساسه، ويمحوا ذريته، عساهم أن ينهوا أمره، وأن يقرروا بأن لا يبقى حياً يوماً واحداً).

وورد معنى هاتين العقوبتين فيما سطره حمورابي في آخر شريعته، من الدّعوات على كل من يتجاهل أحكام شريعته، أو يمحو القوانين المشرعة فيها، أو يمحو اسم حمورابي ليكتب اسمه بدلاً عنه، أو يأمر شخصاً آخر للقيام بذلك^(٢). وعلى عكس ما تقدّم، فإن الثواب وهو: صفاء العيش وطول العمر يلحق من يفعل الفضيلة والحسنات، والأعمال الورعة، كالخوف من الآلهة، وتقديم القرابين، وبناء المعابد، وصنع التماثيل للآلهة، يتجلى هذا في نص مسماري:

(إن الخوف من الآلهة مدعاة للعطف، وإن القرابين تطيل العمر، إن من يخاف الآلهة يطيل الإله «الانوناكي» عمره).

ويقول سرجون الثاني (٧٢١-٧٠٥ ق. م.): (لحفظ راحتي، وإطالة أيامي، واستقرار حكمي، أركع على الدوام بنفسي في العبادة)^(٣). وعلى هذا:

فإن عالم الأحياء في نظرهم هو دار الثواب والعقاب، وليس عالم الأموات. يدُلُّ

(١) المصدر السابق ص ١٣٨.

(٢) المصدر السابق ص ١٣٩-١٤٠.

(٣) المصدر السابق ص ١٤٢-١٤٣.

على ذلك: أن عَقِيدَةَ العقاب والثواب بعد الموت، تمثل الوازع النفسي في تصرفات المرء، وفي لحظات اخْتِيَارِهِ ما بين ما يريد أن يفعله، وبين ما يجب أن يمتنع عنه. وعَقِيدَةُ سكان وادي الرافدين هُذِهِ قد جعلتهم عزلاً من أي ضمان، بانتهزام الشر، وإنصاف المظلومين، وثواب الخَيْرَيْنِ، في الحياة الأُخْرَى في العالم الأسفل، لذلك حمل الحياة في ظل حَضَارَةِ وادي الرافدين بكل أدوارها شحنات من القلق والتوتر والتساؤلات البائسة، إضافةً إلى نوعٍ من الشعور بالإحباط^(١).

والنصوص المسماة توضح هذا الجانب بشكلٍ جلي.

٢- عند المِصْرِيِّين القدماء

يعتقد المِصْرِيُّون القدماء سنة ٢٦٠٠ ق. م، أو قبل ذلك، بحياة أُخْرَى بعد الموت، يلقي الفرد جزاءه على ما فعل من خَيْرٍ أو شر، وهُذِهِ العَقِيدَةُ لم تكن قاصرةً على طبقة الكهنة، بل تعدتهم إلى الأَوْسَاطِ الشَّعْبِيَّةِ.

يقول المرحوم عبد القادر حَمَزَة باشا في كتابه (على هامش التاريخ المِصْرِيِّ القديم) عن هُذِهِ الفترة:

(وفي هُذِهِ الوقت كانت عِبَادَةُ «اوزريس» قد أخذت تنتشر وتصير عِبَادَةً شَّعْبِيَّةً... وعِبَادَةُ اوزريس أساسها الأول أن كل إنسان - ملكاً كان أو فرداً عادياً - مسؤول بعد الموت عن أَعْمَالِهِ في الدنيا، أمام محكمة إلهية يتولى القَضَاءُ فيها اوزريس نفسه، ويساعده فيها توت وهو إله الحكمة والعلم، وأنوبيس وهو مدير دفن الأموات ودليلهم في الدار الآخِرَةِ، وحوريس وهو ابن اوزريس وايزيس، ومعات وهي آلهة الحقيقة والعدْل، واثنان وأربعون قاضياً.

فإذا حكمت المحكمة بأن حَسَنَاتِ الميت ترجح سيئاته، كُوفِيَ بالنَّعِيمِ الخالد،

(١) المصدر السابق ص ١٤٤-١٤٦.

وصار مثل اوزيريس. أما إذا حكمت المحكمة بأنه أساء في حياته فجزاؤه أن يفترسه الوحش، أو أن يلقى في النار، أو أن يضرب عليه نوع آخر من أنواع العذاب^(١).

ثم يتحدث عن هذا الحساب في كتاب (الموتى)^(٢)، الذي وجد في أيام الدولة الوسطى، ملخصاً هذه العقيدة قائلاً:

كانوا يجسمون هذه المحاسبة، فيضعون لها في كتاب الموتى، وعلى التوابيت رسم محكمة ومحكمة وميزان. وفي هذه المحكمة يجلس اوزيريس على عرشه، حاملاً عصاه وكرباجه، ومعه اثنان وأربعون قاضياً من الآلهة، ويلاحظ هنا أن مصر كانت مقسمة إلى اثنين وأربعين إقليماً، فكان كلاً من القضاة يمثل إقليماً من هذه الأقاليم، فإذا جيء بالميت تسلمه انوبيس، وأخذ قلبه، فوضعه في إحدى كفتي ميزان، ووضع في الكفة الأخرى تمثال الآلهة معات أو ريشتها، ثم وقف الإله توت بجانب الميزان، وفي يده اليمنى قلم، وفي يده اليسرى سجل يدون فيه نتيجة الميزان، ثم يرفعها إلى اوزيريس، ويقف بالقرب من توت الوحش (اماييت)، وهو وحش له رأس تمساح وجسم أسد، متأهباً لأن يلتهم الميت الذي يصدر الحكم بالتهامه، وفي بعض الرسوم تضاف نيران إلى المحكمة في مكان خاص منها، ليلقى فيها المذنبون، والقلب في الميزان يمثل أعمال الميت في حياته، وهو الذي يشهد بكل ما فعله صاحبه من خير أو شر.

ثم يثبت نص قصة مصرية قديمة، عثر عليها المصور لوجي جريفت في ورقة بردي. وهي في المتحف البريطاني، تصف رحلة، قام بها فتى، اسمه (سينوزيرس) مع

(١) لكن ورد في الدين المقارن لمحمود أبي الفيض المنوفي ص ٧١: أن المصريين يعتقدون أن حسناته إذا ترجحت، دخل السعادة الأبدية. أما إذا ترجحت السيئات رده إلى الأرض، ليكفر بواسطة أدوار التقمص من حيوان إلى حيوان عن الذنوب التي ارتكبتها، عندما وصل إلى أعلى درجة من المخلوقات وهي درجة الإنسان. وعقيدة التناسخ هذه أخذها المصريون عن الهنود.

(٢) كتاب (الموتى) له شأن كبير، إذ زعموا أن أحد الآلهة قد كتبه بيده، فكانوا يتعبدون به في الحياة، ويوضع معهم في القبور. / الأديان: د. رشدي عليان ود. سعدون الساموك ص ٦٠.

أبيه (ساتني)، ليطلعه على طريقة الحساب والثواب والعقاب في العالم الآخر. وهي تدل على أن الحساب لا علاقة له بالغنَى والفقر، ويصف فيها نُزُولَهُمْ إلى دار محاسبة الأموات، فيدخلان سبع قاعات وَاسِعَةٍ، مملوءة بالناس من جميع الطَّبَقَات، فشاهدا ناساً تَأْكُلُ الحمير من خلفهم، وَأُنَاساً يَثْبُونُ إلى طعام معلق فوق رؤوسهم فلا يدركونه، بينما الحفارون يحفرون تحت أقدامهم، ليزدادوا بُعْدًا عن الطعام المعلق.

وشاهدا رجلاً منظرًا تحت الباب على ظهره، ومحور هَذَا الباب تركز في عينه اليُمْنَى، يدور عليها كلما فتح أو قفل، وهو لا ينفك يفتح ويقفل، والرجل يصيح من الألم.

ثم وجدا أرواحاً من الأبرار، لكل منها مكان تُقِيمُ فيه، وجاء تصوير الخَيْر والشر، الذي يترتب الجزاء عليهما على لِسَانِ أَحَدِ الموتى، في خطاب وجهه إلى اوزيريس، للدفاع، في النص الموجود في كتاب الموتى يقول:

(لقد جئت إليك أجب الحقيقة، وأطرد الخَطِيئَةَ، إنني لم أقارف الشر، ولم أعتد، ولم أسرق، ولم أقتل غدرًا، ولم أمس القرايين، ولم أكذب، ولم أسل دموع أحد، ولم أتدنس، ولم أذبح الحيوانات المقدسة، ولم أتلِف أرضاً مزروعة، ولم أقذف، ولم أترك الغضب يخرجني إلى غير الحق، ولم أزن، ولم أرفض أن أسمع كلمة العدل، ولم أسيء الظن بالملك ولا بأبي، ولم ألوث الماء، ولم أحمل سيِّدًا على أن يسيء إلى عَبْدِهِ، ولم أحلف كاذبًا، ولم أغش في المِيزَان، ولم أمنع اللَّبَنَ عن أفواه الرُّضْع، ولم أصد طيور الآلهة، ولم أرد ماء إلا حين الحاجة إليه، ولم أسد قناة رِيٍّ على غيري، ولم أطفئ ناراً يجب أن تشتعل، ولم يخطر على بالي أن أستخف بالآلهة... إنني طاهر طاهر).

أما تصورهم للعقاب فقد مر طرف منه.

وأما تصورهم للثواب فهو الصعود إلى السماء بعد رحلة جمّة المخاطر، للإقامة مع الآلهة أو مع الإله (رع) في سفينته، ويسمى هؤلاء الممجدين، وهؤلاء يقيمون في حقل

الطعام، يتناولون أطعمة شهية مُخْتَلَفَة، تتجدد ولا تنفد، وصحتهم تزداد تحسناً، فاليوم أَحْسَن من أمس، وغداً أَحْسَن من اليوم، كما أن السماء (نوت) والثعبان الذي يحمي الشمس، يعطيان الصاعد إلى السماء حين وُصُوله إليهما ثدييهما، ليرضع منهما، فمتى رضع عاد صبياً^(١).

٣- في الديانة الزرادشتية

هنالك تشابه كبير في عَقِيدَة الزَرَادَشْتِيَّة ومِصْر القديمة، في الحساب والنَّعِيم والجحيم، ويتضح هذا فيما يأتي:

يرى الزَرَادَشْتِيُّون أنه عندما يموت الميت، تظل الروح ثلاثة أيام وثلاث ليال معلقة إلى جانب الجسم، مُنْعَمَة بنَعِيمه أو مُعَذَّبَة بعذابه، وفي فجر اليوم الرابع تهب عليها ريح: إما عطرة إذا كان الميت خيراً، وإما نتنه إذا كان الميت شريراً، فتحملها إلى موضع يَلْتَقِي فيه: إما بفتاة جميلة، وإما بعجوز مُفْرِعة، وليست الأولى فتاة حقيقية، ولا الثانية عجوزاً حقيقية، وإنما هي صورة أَعْمَال الميت، وهي ضميره الذي يقوده إلى حيث معبر الحساب والحكم الأخير.

وعلى باب هذا المعبر يوجد ثلاثة قُصَاة بينهم (ميتها)، وهناك ينصب مِيزَان، توضع في إحدى كفتيه حَسَنَات الميت، وفي الأخرى سيئاته، وبناء على صعود إحدى الكفتين أو هبوطها، يصدر الحكم على مصير هذا الميت.

وعلى أثر انتهاء الوزن وصدور الحكم، يؤمر المحاسب بالمرور فوق هذا المعبر، أو الصراط الممتد فوق الجحيم، الذي يتسع أمام الأخيار، ويضيق حتى يكون أدق من

(١) مشاهد القيامة في القرآن ص ١٢-١٧ مشيراً إلى كتاب «على هامش التاريخ المصري القديم». وانظر في هذا أيضاً: الأديان: د. رشدي عليان ود. سعدون الساموك ص ٥٨ ومقدمة في تاريخ الحضارات القديمة - طه باقر ج ٢ ص ٩٦-١٠٠.

الشعرة، وأحد من الشفرة أمام الأشرار، فهو لاء الأَخِيرُونَ يهونون في جحيم مظلم ظلاماً كثيفاً إلى حد يستطيع معه لمسه باليد، فإذا هوى في الجحيم كانوا متزاحمين، كأنهم كمية من الشَّعر في مَعْرِفَة حصان، ومع ذلك فكل واحد منهم يشعر في وسط هذا الزحام بوحدة قاسية وعزلة ممضة.

أما الأخيار فيذهبون إلى النُّور، حيث يستقبلهم (أهورا مزدا) - وهو إله الخير خالق الكون، وحافظه من الفساد، الذي يحاوله إله الشر (اهريمان) - بعد أن يمروا في وسط العمل الصالح، والقول والخير، والفكرة الطيبة، وهناك يستمتعون في كنف مازدا بالسَّعادة الأبدية^(١).

٤- عند الإغريق القدماء

ظهرت عَقِيدَةُ الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ في اوديس هوميروس، الذي عاش حوالي القرن التاسع قبل الميلاد، والغالب أنها كانت موجودة قبل هوميروس، فضمنها ملحمته.

يذكر هوميروس على لسان (عوليس)، بطل الاوديسة، أنه رأى في (هيدز)، أي: العالم السفلي تحت الأرض، الإله (مينوس) جالساً على عرشه، والصولجان الذهبي في يده، والموتى يعرضون عليه قضاياهم. وقد تجمعت جموعهم عند البوابات الكبيرة، ينتظرون دورهم في عرض قضاياهم.

ومن ألوان العذاب التي رآها أنه شاهد (تيتوس) الجبار منبطحاً على الأرض، بحيث يشغل تسعة أفدنة، وعلى كل من جنبه أفعوان هائل أرقم، يتغذى بمضغ من

(١) مشاهد القيامة في القرآن ص ١٩-٢٠ مشيراً إلى كتاب الفلسفة الشَّرْقِيَّة للدكتور مُحَمَّد غلاب. وانظر: الأديان السابق ص ١٢٩ وفي العقائد والأديان للدكتور مُحَمَّد جَابِر عبد العال ص ١٦٣ وقصة الديانات لُسُلَيْمَان مظهر ص ٣١٤.

كبدته الكبِير الدامي ومن أحشائه الغلاظ، جزاء على محاولته اجتذاب (لاتونا) عشيقة كَبِير الآلهة.

وشاهد (تانتالوس) يتخبط في عَيْن حَمِيَّة من الماء الساخن، وقد غاص فيها إلى ذقنه، والموج يضرب وجهه، ومع ذَلِكَ يلهث من شدة الظمأ، وفوق رأسه أشجار الفاكهة لا تصل يده إليها.

وشاهد (سيفوس) يدفع صخرة كَبِيرَة، ليصل بها إلى أعلى جَبَل، حتى إذا أراد الوُصُول تدرجت الصَّخرة إلى أرض الجحيم، وقد أضناه التعب الفظيع.

وشاهد (هَرَقُل) الجَبَّار محكوماً عليه بأن يطيع ويخدم ابن عمه (يوريدوس)^(١).
والشاعر (بندار) في القرن الخامس قبل المِيلاد يقول في قصيدته الأولمبية الثانية:
سيجد العظماء في الأرض قَاضِياً في الجحيم، فالذين ارتكبوا منهم أَعْمَالاً محرمة تحَاكِمهم الآلهة (انانكي).

ومع أنه لم يبين كيفية المحاسبة لكنّه بهذا يقرب من عَقِيْدَة المِصْرِيِّين في عدالة الحساب.

ويقول أفلاطون (ولد بين سنتي ٤٢٩-٤٢٧ ق. م.): فإذا جاء الأموات أمام قَاضِيهم، دعاهم (ردامانت) وهو أخو مينوس إلى القرب منه، ثم فحص روح كل واحد منهم من غير أن يعرف لمن هي... فإذا وجدها مملوءة فساداً وخبثاً وكانت قد عاشت بعيداً عن الحقيقة بعث بها إلى السجن، لتتلقى به العقاب الذي تستحقه، وردمانت يرسل المحكوم عليهم إلى قاع الجحيم، بعد أن يسمهم بِمِيسَم تبعاً لقابلياتهم أو عدم قابليتهم للتطهير. أما الروح الذي يرى أنه عاش في الطهر وفي الحقيقة، فإنه يتهج به، ويرسله إلى الجَزَائِر السَّعِيدَة^(٢).

(١) مشاهد القيامة في القرآن ص ٢١-٢٣ عن كتاب الاوديسة للأستاذ دريني خشبة.

(٢) مشاهد القيامة ص ٢٧-٢٨ نَقْلًا عن (مورى) ترجمة: عبد القادر حَمْرَة باشا.

٥- عند الرُّومَان

وذكر صور الحساب أيضاً الشاعر فرجيل شاعر الرُّومَان الأكبر (٧٠-١٩ ق. م.) في ملحمة الإلياذة فيذكر:

أَنْ اَيْنِاس بطل الملحمة يذهب إلى العالم السفلي، للالتقاء بروح أبيه (انشير) لاستفتائها في مستقبله ومستقبل ذريته، ويهبط مع كاهنة تقوده إلى منازل الموتى، وقد امتلأت أشباحاً وأرواحاً، ويعبران نهر (ستكس)، وهو نهر في الجحيم مليء بالحيات، والحيوانات المخيفة، ومرا في عالم كله يأس وقنوط، وأخيراً لقي أباه، فأنبأه بما قد كتب لسلالته من مَجْد وفخار^(١).

٦- عند الهِنْدُوس

لا يعتقد الهِنْدُوس بالحياة الأخرى التي يكون فيها الجزاء، وَلَكِنْهُمْ يَعْتَقِدُونَ بالكارما أي قَانُونُ الجزاء، ويعني:

أَنْ جَمِيعَ أَعْمَالِ الْبَشَرِ الْاِخْتِيَارِيَّةِ خَيْرٌ أَمْ شَرٌّ، لَا بَدَّ أَنْ يَجَازِيَ عَلَيْهِمُ بِالشَّوَابِ أَوْ بِالْعِقَابِ، بِنَاءً عَلَى نَامُوسِ الْعَدْلِ الصَّارِمِ، وَهَذَا الْجَزَاءُ يَكُونُ فِي الْحَيَاةِ.

وَلَكِنْهُمْ حِينَ رَأَوْا أَنَّ الْجَزَاءَ قَدْ لَا يَقَعُ، فَيَمُوتُ الظَّالِمُ، وَلَا يَقْتَصُ مِنْهُ، وَيَمُوتُ الْمُحْسِنُ، دُونَ أَنْ يَحْسُنَ إِلَيْهِ، لَجُؤُوا إِلَى الْقَوْلِ بِالتَّنَاسُخِ.

والتناسخ ويسمى (تكرار المولد) هو: رجوع الروح بعد خروجها من جسم إلى العالم الأرضي في جسم آخر.

وسبب التناسخ أن الروح خرجت ولها شهوات لم تتحقق بعد، وعليها ديون كثيرة لا بد من أدائها، فلا بد من أن تتذوق ثمار أَعْمَالِهَا فِي حَيَاةٍ أُخْرَى، أي في جسد آخر، فإن لم

(١) مشاهد القيامة ص ٢٨ نقلًا عن (قصة الأدب في العالم) لأحمد أمين و(عن أساطير الحب والجمال عند الإغريق) لدريني خشبة.

تصلح في هذا الجسد، ففي جسد آخر، وهكذا إلى أن تكتمل الميول والشهوات، وتستوفي الديون، فإن اكتملت نجت روحه، وتخلصت من التناسخ، وامتزجت بالبراهما^(١).

ونشأ ما هو مشهور عندهم من تعذيب الجسد بالصوم، والزهد المفرط، وأرق الليل، وتعذيب النفس، وتعريضه لأشق التجارب، حتى يبدو هذا دائماً كثير الهموم والخوف والتشاؤم في سبيل تخلص الروح من سيطرة الجسد، لتنتقل منه في النهاية، وتتحد مع البراهما^(٢).

٧- عند الصابئة

يعتقد الصابئة المندائيون أن الموت انتقال من العالم المادي - الذي هو بمثابة سجن ومنفى مؤقت للروح - إلى العالم الروحي، وتخلد هناك، فتحاسب حساباً عسيراً، بأن توزن أعمال صاحبها، فإن رجحت حسناته فإن روحه تذهب إلى عالم الأنوار (الجنة)، فتتعم كالقديسين والروحانيين. وإن رجحت سيئاته فإن روحه تقاد إلى المطهر (المطرائه) في عالم الظلام (النار)، حيث تتعذب فيه بدرجات متفاوتة إلى أن تطهر من ذنوبها، ثم ترسل إلى عالم الأنوار^(٣).

(١) مقارنة الأديان - أديان الهند الكبرى - د. أحمد شلبي ص ٦٢-٦٣ والأديان السابق ص ٨٩.

والهندوسية: دبانة الجمهرة العظمى في الهند الآن، وتسمى الهندوكية، وسميت البرهمية ابتداءً من القرن الثامن قبل الميلاد، نسبة إلى برهما. وهو: القوة السحرية العظيمة الكامنة التي تطلب كثيراً من العبادات كقراءة الأدعية وإنشاد الأناشيد وتقديم القرابين. ومن برهما اشتقت الكلمة (البراهمة) لتكون علماً على رجال الدين الذين كان يعتقد أنهم يتصلون في طبائعهم بالعنصر الإلهي، ولذا كانوا كهنة الأمة، لا تجوز الذبائح إلا بحضرتهم وعلى أيديهم. / أديان الهند الكبرى - د. أحمد شلبي ص ٣٩.

(٢) أديان الهند الكبرى ص ٦٩ ومشاهد القيامة ص ٢٥.

(٣) الأديان السابق ص ١٨٧ والصابئون - حرانين ومندائيين، للدكتور رشدي عليان.

٨- عند اليهود

اليَهُودِيَّةُ في جوهرها أُسْلُوبُ حياة، لا عَقِيدَةُ تعتقد، ومجالها الأُوحد هو هَذَا العالم الحاضر، وليس فيما وراء هَذَا العالم.

وفي دائرة المَعَارِفِ العِبْرِيَّةِ يقرر كوهلر: إن اليَهُودِيَّةَ ليست عَقِيدَةً، أو نِظَامًا من العَقَائِدِ يتوقف على قبولها الفِدَاءُ أو الخلاص في المستقبل، وَلَكِنِهَا نِظَامٌ لِلسُّلُوكِ البشري وناموس البر الذي يتحتم على الإنسان اتباعه.

ولما كانت اليَهُودِيَّةُ دِينَ أَعْمَالٍ لا دين إِيْمَانٍ، لم يتكلم اليَهُودُ في كتبهم عن الآخِرَةِ والبعث والحساب، لأنها أمور متوقفة على العَقِيدَةِ، والثواب والعقاب عندهم يَتِمُّ في الحياة الدنيا. لَكِنَ بعد احتلال الفُرس - الذين يدينون بديانة زَرَادُشْت - بلادَ بَابِلَ ودولتي اليَهُودِ، وبعد أن سمح قورش ملك الفُرس لليَهُودِ بالعودة إلى فِلَسْطِينَ، وإعادة بناء مَعْبَدِهِم، قامت علاقات طيبة بين اليَهُودِ والفُرس، فدرس اليَهُودُ عَقَائِدَ زَرَادُشْت، فاقْتَبَسُوا مِنْهُمْ الاِعْتِقَادَ بالحياة الآخِرَةِ.

وفي هَذَا الوقت بدأ الأنبياء أشعيا ودانيال كما في سفر دانيال، يذَكِّرُونَ الناسَ بيوم البعث والحساب والجزاء، لَكِنَ اليَهُودُ حين تحدثوا عن الآخِرَةِ كانوا يعنون بها غير ما تعنيه الديانات الأُخْرَى من وجود دار حساب على ما قدم في حياته الأوَّلَى، فاليَهُودُ عند الباحثين قسمان:

أ- قسم عاش في حياته الدنيا سَعِيدًا حَرًّا، وهُوَ لَاءِ حَصَلُوا على الجانب المادي من رِضَا إِلَهُهِمْ.

ب- وقسم عاش تحت سُلْطَانٍ الجوييم، أو مشردًا في المنفى، فهُوَ لَاءِ من حقهم العودة للحياة مرة أُخْرَى، لينالوا نصيبهم من النَعِيمِ.

وقد حاول بعض طائفة الفريسيين القول بها، لكن هذه المحاولة لقيت مُعَارَضَةً شديدة، أما باقي الفرق اليهودية فلم تعرف عنها شيئاً^(١).

٩- عند النَّصَارَى

يعتقد النَّصَارَى باليوم الآخر، وبعث الأموات من القبور والحساب على ما قدم الإنسان من عَمَل في الحياة الدنيا، لكنهم يقولون بأن المحاسب هو المَسِيح عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأن الجنة جزاء من يعمل الخير، والنار جزاء من يعمل الشر^(٢).

يقول النَّصَارَى: إن المَسِيح عَلَيْهِ السَّلَامُ قام بالتكفير عن خطايا الناس، والتكفير هو الصلب، لهذا صلب ورَضِيَ اللهُ عن صلبه، وهو ابنه، ودفن بعد الصلب، ولكنه قام بعد ثلاثة من قبره، وإن اختلفت الأناجيل في تفصيل القيامة، فَمَتَّى يقول: إنه ظهر في الجليل، ولوقا: في اورشليم، ويوحنا: في اليهودية والجليل معاً، ومرقس قال: إنه ظهر بين تلاميذه^(٣).

قالوا: ولم يمكث المَسِيح عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد قيامته هذه إلا أربعين يوماً، ثم ارتفع بعدها إلى السماء، وجلس بجوار الأب، والاب لا يدين أحداً، بل أعطى ذلك للابن، لذلك سيأتي المَسِيح عَلَيْهِ السَّلَامُ ليدين الناس يوم القيامة. يحاسب كل إنسان على ما فعل وفكر، فإن خيراً فخير، وإن شراً فشر، وله بهذا الملك الأبدي، فلا فناء للملكه.

ففي إنجيل يوحنا: (الحق أقول لكم إنه تأتي ساعة، وهي الآن حين يسمع الأموات

(١) اليهودية: د. أحمد شلبي ص ١٩٤-١٩٦.

(٢) مشاهد القيامة ص ٣٣ وذكر: ولا نستطيع أن نجزم متى يوم القيامة أو يوم قيامته؟ بعد دفنه بثلاثة أيام، كما ورد في الأناجيل.

(٣) محاضرات في النصيرية: أبو زهرة ص ١٠٥.

صوت ابن الله، والسامعون يحيون، لأنه كما أن الأب له حياة في ذاته كَذَلِكَ أُعْطِيَ الابن أن تكون له حياة في ذاته، وأعطاه سُلْطَانًا أن يدين أيضاً، لأنه ابن الإنسان. لا تعجبوا من هَذَا، فإنه تأتي ساعة فيها يسمع جميع الذين في القبور صوته، فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قِيَامَةِ الْحَيَاةِ، والذين عملوا السيئات إلى قِيَامَةِ الدَّيْنُونَةِ، أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شَيْئًا، كما أسمع أدين، ودينونتي عادلة، لأنني لا أطلب مشيئتي، بل مشيئة الأب الذي أرسلني^(١).

(١) المصدر السَّابِقُ ص ١٠٧.

المبحث الثالث

اليوم الآخر في الإسلام

من الأمور المُسَلَّم بها في الدِّين الإسلاميِّ الاعتقادُ بحياة أُخرى بعد الموت، يُبعثُ الناس بعد موتهم، ويحاسبون على ما قدموا من أَعْمَالٍ، فيُجازون عليها، فأما الذين آمنوا وعَمِلُوا الصالحات فلهم جنة الخلد، وأما الذين كفروا وعَمِلُوا السيئات فلهم النار، يشقون فيها بالعذاب الشديد، قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨) - الزلزلة.

تسميته

سُمِّيَ باليوم الآخر لأنه آخر أيام الدنيا، بمعنى أنه مُتَّصِلٌ بآخر أيام الدنيا، لأنه ليس منها حتى يكون آخرها.

وسمي بيوم القيامة لقيام الناس فيه من قبورهم، وقيامهم بين يدي خالقهم، وقيام الحُجَّة لهم وعليهم، وله نحو ثلاثمائة اسم^(١).

حكم الإيمان باليوم الآخر

الإيمان باليوم الآخر رُكن من أركان الإيمان، يكفر من لا يؤمن به بالإجماع. وقد فَصَّلَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ وَالْحَدِيثُ النَّبَوِيُّ الشَّرِيفُ أخبار اليوم الآخر، وما يتصل به من مشاهد القيامة، وفَصَّلَ أوصاف أهله في الجنة والنار، برزت في المشاهد حية واضحة مكتملة السَّمات، تحقق لها القلوب، وتقشع منها الأبدان.

(١) شرح الجَوْهَرَةُ لِلْبَاجُورِيِّ ص ٢٨٨.

طريق ثبوتَه

أخبار اليوم الآخر وأوصافه من الأمور الغيبية التي لم يدركها أحد، إذ إن وقوعها يكون بعد الموت.

لذلك فإننا سنقتصر في بحثنا هذا على ما ورد فيها من تلك الأخبار والأوصاف، بطريق ينتهي إلى اليقين، وهذا الطريق هو: القرآن الكريم كلام الله تعالى، الذي أثبتنا أنه لا يقبل في خبره شك. والسنة النبوية الصحيحة الثابتة، التي وردت عن لسان النبي مُحَمَّد ﷺ الصادق الأمين في ما يبلغه عن الله تعالى.

تاركين الأحاديث التي فيها ضعف، لأن هذا الكلام يخص الاعتقاد، وهذا السبيل يقطع بالصحة لإثبات عقيدتنا باليوم الآخر.

طريق فهم الغيبات واعتقادها

الإيمان باليوم الآخر من الإيمان بالغيب الذي يجب أن نستيقنه، ويمكن أن نقرب طريقة فهمه بما يأتي:

١- رأى الطبيب في يدك كأساً من الماء، فتأمل به، فقال لك: لا تشرب هذا الماء، فإنه ملوث، يعرض حياتك للخطر. وأنت لا تعلم عن الطب والماء وخصائصه شيئاً سوى أن هذا الطبيب حاذق.

٢- أخبرت أن علماء الأرصاد والفلك حددوا خسوف القمر في ليلة معينة، أو هبوب رياح عاتية في يوم ما، ورأيت أن الخبر يقيني رسمي.

لا شك أنك تستيقن ذلك لأمرين هما:

أ- يقينك بأن الطبيب حاذق، وأن علماء الأرصاد صادقون فيما يخبرون.

ب- يقينك بأن كلام الطبيب وخبر علماء الأرصاد يقيني صادر من جهة رسمية،

على نحو لا يحتمل الكذب.

هَذَانِ الْأَمْرَانِ وَإِنْ كَانَا مِنَ الْأُمُورِ الْغَيْبِيَّةِ، إِلَّا أَنْكَ اسْتَيْقَنْتَهُمَا، فَلَمْ تَعُدْ تَشْكُ فِي جِزْءٍ مِنْهُمَا^(١).

ونحن بعد أن أقمنا الأدلة على وجود الله تعالى، وأنه كالي الكون بعنايته ورعايته، وعلى أن مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا، صَادِقٌ فِيْمَا يُخْبِرُ عَنْ اللَّهِ تَعَالَى، وقد وصل خبره إلى درجة اليقين الذي لا شك فيه، استيقنَّا عندئذٍ أن مَا أَخْبَرَنَا بِهِ عَنْ أَحْوَالِ الْيَوْمِ الْآخِرِ هُوَ حَقٌّ لَا مَرِيَّةَ فِيهِ، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ الْغَيْبِيَّةِ، الَّتِي لَا تَحْكُمُ الْحَوَاسِ فِيهَا بِالْقَطْعِ أَوْ النَفْيِ.

الْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ هُوَ نَتِيجَةُ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ

لَا يَكُونُ الْمَرْءُ مُؤْمِنًا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ إِلَّا إِذَا آمَنَ بِاللَّهِ تَعَالَى، لِذَلِكَ قَرَنَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ بَيْنَهُمَا فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ مِنْهَا:

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ النَّاسُ مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ - البقرة ٨.

وقوله عز وجل: ﴿وَلَكِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّا كَافٍ﴾ - البقرة ١٧٧^(٢).

فلا معنى إذن للإيمان باليوم الآخر من غير الإيمان بالله عز وجل وأنبيائه.

(١) كبرى اليقينية الكونية ص ٣٠٤-٣٠٥.

(٢) وانظر اقتران الإيمان باليوم الآخر والإيمان بالله تعالى في الآيات الآتية: سورة البقرة ٦٢، ١٢٦، ٢٢٨، ٢٣٢، ٢٦٤. آل عمران ١١٤. النساء ٣٨، ٣٩، ٥٩، ١٦٢. المائدة ٦٩. التوبة ١٨، ١٩، ٢٩، ٤٤، ٤٥، ٩٩. النور ٢. العنكبوت ٣٦. الأحزاب ٢١. المجادلة ٢٢. الممتحنة ٦. الطلاق ٢.

لَذَلِكَ كَانَ عَبَثًا أَنْ تَجَادَلَ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ تَعَالَى، لِأَنَّ مَثَلَكَ عِنْدِي مَثَلُ مَنْ يَنْبِئُ شَخْصًا بِوُصُولِ الْإِنْسَانِ إِلَى الْقَمَرِ، وَذَلِكَ يَنْكَرُ وَصُورُهُ، وَهُوَ يَجْهَلُ الْأُمُورَ الْبَدْهِيَّةَ، الَّتِي صَارَ إِلَيْهَا عِلْمُ الْفَلَكَ الْآنَ.

فَالْمُجَادَلُ فِي الْحَيَاةِ الْآخِرَةِ نَحِيلُهُ إِلَى الْبَرَاهِينِ الْقَطْعِيَّةِ عَلَى وَجُودِهِ تَعَالَى، وَقُدْرَتِهِ وَصِفَاتِهِ الْكَامِلَةِ الَّتِي أَسْلَفْنَا فِي بَابِ الْإِلَهِيَّاتِ.

فَإِذَا ثَبَتَ لَنَا وَجُودُهُ تَعَالَى، وَثَبَتَتِ النُّبُوءَةُ، فَيَجِبُ عِنْدِي أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ بَعْثٌ وَمَحَاسِبَةٌ، يَجْزَى الْمَرْءُ حَسَبَ عَمَلِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ. وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (٨) - الزلزلة، وَإِلَّا يَلْزَمُ الظُّلْمُ بِالنِّسْبَةِ لِلْخَالِقِ، إِذَا تَرَكَ مُحَاسِبَةَ الْعَاصِي وَإِثَابَةَ الْمُطِيعِ، وَالظُّلْمُ مُحَالٌ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى.

الْحَيَاةُ الْآخِرَى

انْقِطَاعُ الْعَمَلِ بِالْمَوْتِ

يَقُولُ الرَّسُولُ ﷺ: إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ (١).

فَالْمَوْتُ هُوَ الْحُدُودُ الْفَاصِلُ بَيْنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَبَيْنَ الْآخِرَةِ، وَعَلَيْهِ فَإِنْ مَنَازِلَ الْآخِرَةِ تَبْدَأُ بِمَجْرَدِ مَغَادِرَةِ الرُّوحِ الْبَدَنِ.

وَهُنَا سَتُحَدِّثُ عَنْ هَذِهِ الْمَنَازِلِ مُسَلَّسَةً مُبْتَدَأً بِالْمَوْتِ، وَمَا يَتَّصِلُ بِهِ، وَمَا يَتَّبِعُهُ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ وَمَا يَتْلُوها مِنْ مَشَاهِدٍ، حَتَّى اسْتِقْرَارِ الْإِنْسَانِ فِي الْجَنَّةِ أَوْ النَّارِ.

(١) حَدِيثٌ: إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ... إلخ، فِي: صَحِيحِ مُسْلِمٍ فِي: ٢٥ كِتَابِ الْوَصِيَّةِ، ٣ بَابِ مَا يَلْحَقُ الْإِنْسَانَ مِنَ الثَّوَابِ بَعْدَ وَفَاتِهِ، رَقْمُ ١٦٣١، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

سوء الخاتمة والأعمال بالخواتيم

قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ الزَّمَنَ الطَّوِيلَ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ يُحْتَمُّ لَهُ عَمَلُهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ الزَّمَنَ الطَّوِيلَ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، ثُمَّ يُحْتَمُّ لَهُ عَمَلُهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ^(١).

وقال النَّبِيُّ ﷺ: إِنَّ الْعَبْدَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ وَإِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَإِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِيمِ^(٢).

وتكون سوء الخاتمة:

١- لمن أصر على الكبائر، وأقدم على المحرمات، فربما غلب عليه ذلك، حتى ينزل به الموت قبل التوبة. فيصطلمه الشيطان عند تلك الصدمة.

٢- لمن كان مُستقيماً ثم يتغير عن حاله، ويخرج عن سنته.

لِذَلِكَ قَالَ الْعُلَمَاءُ: (فلا تعجب بإيمانك وعَمَلِك، وصلاتك وصومك، وجميع قُرْبِكَ، فَإِنَّ ذَلِكَ وَإِنْ كَانَ مِنْ كَسْبِكَ فَإِنَّهُ مِنْ خَلْقِ رَبِّكَ... فمهما افتخرت بِذَلِكَ كُنتَ كَالْمُفْتَخِرِ بِمَتَاعِ غَيْرِكَ، وَرَبِّهَا سَلَبَهُ عَنْكَ فَعَادَ قَلْبُكَ مِنَ الْخَيْرِ أَخْلَى مِنْ جَوْفِ الطَّيْرِ، فَكَمْ مِنْ رَوْضَةٍ أُمِسَتْ وَزَهْرُهَا يَانِعٌ عَمِيمٌ، فَأَصْبَحَتْ وَزَهْرُهَا يَابِسٌ هَشِيمٌ... كَذَلِكَ الْعَبْدُ يَمْسِي وَقَلْبُهُ بَطَاعَةَ اللَّهِ مَشْرِقَ سَلِيمٍ، فَيَصْبِحُ وَهُوَ بِمَعْصِيَتِهِ مَظْلَمٌ سَقِيمٌ)^(٣).

وَلِذَلِكَ أَوْجَبَ اللَّهُ تَعَالَى التَّوْبَةَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، لِتَحْسَنَ خَاتِمَتَهُمْ، وَيَكُونَ مَصِيرُهُمْ

(١) حَدِيثٌ: إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ الزَّمَنَ الطَّوِيلَ... إلخ، في: صَحِيحُ مُسْلِمٍ في: ٤٦ كتاب القَدَر، ١ باب كَيْفِيَّةَ خَلْقِ الْآدَمِيِّ فِي بَطْنِ أُمِّهِ...، رَقْم ٢٦٥١، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) حَدِيثٌ: إِنَّ الْعَبْدَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ... إلخ، في: صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ في: ٨٢ كتاب القَدَر، ٥ باب الْعَمَلُ بِالْخَوَاتِيمِ، رَقْم ٦٦٠٧، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) التَّذَكُّرَةُ لِلْقُرْطُبِيِّ ص ٣٦-٣٨.

الجنة، فإن العبد لا يدري متى تقبض روحه، إذ إن الموت يأتي على الصَّغِيرِ والكَبِيرِ، والصَّحِيحِ والسَّقِيمِ.

فلا بد أن يبادر الإنسان إلى طاعة ربه، ما دام مكلفاً شرعاً، لأن سنَّ التكليف يتعلق به الثواب والعقاب. والطاعة سَبِيلُ الوُصُولِ إلى جنة الفردوس.

التَّوْبَةُ

التوبة في أصل اللُّغَةِ: الرجوع. يقال: تاب، أي: رجع.

وفي الاصطِلَاح: الرجوع عما كان مذموماً في الشَّرْعِ إلى ما هو مَحْمُود فيه^(١).

قال النَّبِيُّ ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغْرَغْ)^(٢)، أي: عند الغرغرة وبُلُوغِ الروح الحُلُقُومِ، وإنما يغرغ إذا قُطِعَ الوَتِينُ.

والتوبة فرض على الْمُؤْمِنِينَ باتفاق المُسْلِمِينَ، بدليل:

قوله تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ - النُّور ٣١.

وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ - التحريم ٨.

شروط التوبة

- ١- الندم بالقلب على ما اقترف من معصية.
- ٢- ترك المعصية في الحال.
- ٣- العزم على أن لا يعود إلى مثلها في المستقبل.

(١) الرِّسَالَةُ الْقَشِيرِيَّةُ ص ٤٥.

(٢) حَدِيثٌ: إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ... إلخ، في: سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ في: ٤٤ كتاب الدَّعَوَات، ٩٨ باب، رقم ٣٥٣٧، ص ٥٥٦، عن ابن عُمر. وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ.

٤- أن يكون ذَلِكَ حياءً من الله تعالى وخوفاً منه لا من غيره.

فإذا فقد شرط من هَذِهِ الشروط لم تصح التوبة^(١). فمثلاً: لو ترك المعصية من غير نَدَمٍ لا يكون تابياً شرعاً، وكذلك من نَدَمَ عليها لكونها أَضَرَّتْ ببدنه^(٢).

هَذَا إذا كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى، لا تتعلق بحق لآدمي.

فإن كانت متعلقة بحق آدمي، فيشترط إضافة إلى الشروط المتقدمة: أن يبرأ من حق صاحبها، فإن كانت مالاً أو نحوه رده إليه، وإن كانت حد قذف ونحوه مَكَّنْه منه، أو طلب عَفْوه، وإن كانت غِيْبَةً استحلّه منها^(٣).

أما حَدِيثُ (النَّدَمُ تَوْبَةٌ)^(٤)، فهو نص على معظمه، أي معظم أركانها الندم. فهو كما قال النَّبِيُّ ﷺ: (الحج عَرَفَةٌ)^(٥). أي: معظم أركانه عَرَفَةٌ، أي: الوقوف بها.

ومن أهل التَّحْقِيقِ من قال: يكفي الندم من تَحْقِيقِ ذَلِكَ، لأن الندم يستتبع ما بعده، فإنه يستحيل تقدير أن يكون نادماً على ما هو مُصِرٌّ على مثله، أو عازم على الإتيان بمثله^(٦).

(١) التَّذَكُّرَةُ لِلْقُرْطُبِيِّ ص ٤٥-٤٦. وفي الرَّسَالَةِ الْقُشَيْرِيَّةِ ص ٤٥ ورياض الصَّالِحِينَ ص ١٨-١٩ لم يذكر الرابع. وانظر في التوبة: الْأَسَاسُ ص ١٩٢ والفَائِقُ فِي أَصُولِ الدِّينِ ص ٤٢٥ وَمَشَارِقُ أَنْوَارِ الْعُقُولِ ج ١ ص ٣٤٤ والبعد الحَضَارِيِّ ص ٥٦٩.

(٢) كِفَايَةُ الطَّالِبِ الرَّبَّانِيِّ ج ١ ص ٦٤.

(٣) رياض الصَّالِحِينَ السَّابِقِ، وَكِفَايَةُ الطَّالِبِ الرَّبَّانِيِّ ج ١ ص ٦٤.

(٤) حَدِيثُ: النَّدَمُ تَوْبَةٌ: رواه أَحْمَدُ وابن مَاجَةٍ والْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ وَالْبُخَارِيُّ فِي التَّارِيخِ، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَالْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ وَالْبَيْهَقِيُّ فِي شُعَبِ الْإِيمَانِ، عَنْ أَنَسٍ. وَهُوَ صَحِيحٌ. / الْجَامِعُ الصَّغِيرُ ص ٥٥٧.

(٥) حَدِيثُ: الْحَجُّ عَرَفَةٌ: رواه أَحْمَدُ وَأَصْحَابُ السُّنَنِ الْأَرْبَعَةِ وَالْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ وَالْبَيْهَقِيُّ فِي السُّنَنِ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَعْمَرَ. وَهُوَ صَحِيحٌ. / الْجَامِعُ الصَّغِيرُ ص ٢٣١.

(٦) الرَّسَالَةُ الْقُشَيْرِيَّةِ ص ٤٥-٤٦. وَرَبِّهَا عَنَى بِقَوْلِهِ: (من أهل التَّحْقِيقِ) (الجَوْنِيُّ فِي الْإِرْشَادِ ص ٤٠١).

المَوْت

تعريفه

الموت ليس بَعْدَم محض، ولا فناء صِرْف، وإنما هو انقطاع تعلق الروح بالبدن، ومفارقته، وحيلولة بينهما، وتبدل حال، وانتقال من دار إلى دار^(١).

والروح: جسم لطيف شفاف، مشتبك بالجسم اشتباك الماء بالعود الأخضر، فتكون سارية في جميع البدن^(٢). وعند مفارقتها الجسد ينقطع تصرفه، فإن الأعضاء آلات للروح تستعملها حسب مشيئتها^(٣).

قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ - الزمر ٤٢.

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ - الأنعام ٦١.

فالروح تغادر الجسم، وهو في أكمل حالات الصحة. هذا هو التعريف الذي ذكره المسلمون وآمنوا به.

أما ما ذكره بعضهم من أن:

أ- الموت هو توقف القلب عن النبض.

فقد انهار في السنوات الأخيرة بزراعة القلوب أو الأجهزة الصناعية.

(١) التذكرة للطبري ص ٤.

(٢) شرح الجوهرة للباجوري ص ٢٧٠ نقلاً عن النووي عن إمام الحرمین.

(٣) رسالة في التوحيد والفرق المعاصرة ص ١٠٠.

ب- الموت هو موت خلايا المخ.

فقد انهار أيضاً، حينما أعلنت مستشفى جَامِعَة طوكيو نجاحها في إعادة مخ رجل للحياة، بعد أن توقف نشاطه عدة شهور^(١).

وأخفقت جميع البحوث التي استهدفت أن تجعل من الموت أمراً غير يقيني، فبقي الاحتمال الذي أكدته الأزمان، وهو أن يموت الإنسان في أي عُمر، وفي أي زمن. حتى قال الدكتور كارل بعد أن بحث المشكلة وذكر تلك الجهود المخففة: (إنَّ الإنسان لا يسأم أبداً من البَحْث عن الخلود والسعي وراءه، مع أنه لن يظفر به إلى الأبد، فتركيبه الجسماني يخضع لقوانين معينة، إنه يستطيع أن يوقف الزمن الفسيولوجي لأعضاء الجسد، حتى يؤخر الموت لفترة قصيرة، ولكنّه لن يتغلب على الموت أبداً).

لذلك قال الدكتور (نس بالنج) الحائز على جائزة نوبل للعلوم: (إن الإنسان أبدي إلى حد كبير نظرياً، فإن خلايا جسمه آلات تقوم بإصلاح ما فيه من الأمراض ومعالجتها تلقائياً، وبرغم ذلك فإن الإنسان يعجز ويموت، ولا تزال علل هذه الظاهرة أسراراً تحير العلماء)^(٢).

ما يتبع الميت إلى قبره وبعد موته وما يبقى معه فيه

بَيْنَ الرَّسُولِ ﷺ ذَلِكَ فِي هَذَيْنِ الْحَدِيثَيْنِ:

قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (يَتْبَعُ الْمَيِّتَ ثَلَاثَةٌ، فِيرْجِعُ اثْنَانِ، وَيَبْقَىٰ مَعَهُ وَاحِدٌ، يَتَّبِعُهُ أَهْلُهُ

(١) يوم القيامة: عبد الرزاق نَوَقِلَ ص ٦٠-٦٢. وانظر تعاريف أخرى في: الإسلام يتحدث لوحيد الدين خان، ط ٤ ص ٧٣.

(٢) الإسلام يتحدث، ص ٧٣-٧٤. وانظر قول د. كارل في كتابه: الإنسان ذلك المجهول ص ٢٠٩ في فصل الزمن الداخلي.

وماله وعَمَلُهُ، فِيرْجِعْ أَهْلَهُ وَمَالَهُ، وَيَبْقَى عَمَلُهُ^(١).

وقال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنَّ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ: عِلْمًا عَلَّمَهُ وَنَشَرَهُ، وَوَلَدًا صَالِحًا تَرَكَهُ، وَمُصْحَفًا وَرَّثَهُ، أَوْ مَسْجِدًا بَنَاهُ، أَوْ بَيْتًا لَابْنِ السَّبِيلِ بَنَاهُ، أَوْ نَهْرًا أَجْرَاهُ، أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحَّتِهِ وَحَيَاتِهِ يَلْحَقُهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ)^(٢).

ولا تنافي بين الحَدِيثَيْنِ لما يأتي:

أ- إما لأن مفهوم العدد غير حُجَّة.

ب- وإما لأنه اطلع أولاً على ما في حَدِيثِ مُسْلِمٍ، ثم أطلعه الله على الزائد فأخبر به^(٣).

تمني الموت

النهي عن تمني الموت والدعاء به لضر ينزل به في المال والجسد:

قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ الْمَوْتَ لُضْرٍ نَزَلَ بِهِ، فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ مُتَمَنَّيًّا لِلْمَوْتِ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ احْنِنِي مَا كَانَتْ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتْ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي.

(١) حَدِيثٌ: يَتَّبِعُ الْمَيِّتَ ثَلَاثَةٌ... إلخ، في: صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ في: ٨١ كتاب الرِّقَاق، ٤٢ باب سَكَرَاتِ الْمَوْتِ، رقم ٦٥١٤، واللفظ له، عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ.

وفي صَحِيحِ مُسْلِمٍ في: أول ٥٣ كتاب الزهد والرقائق، رقم ٢٩٦٠، عن أَنَسٍ.

(٢) حَدِيثٌ: إِنَّ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ... إلخ، في: سُنَنُ ابْنِ مَاجَةَ في: الْمُقَدِّمَةُ، ٢٠ باب ثَوَابِ مَعْلَمِ النَّاسِ الْخَيْرِ، رقم ٢٤٢، ج ١ ص ٨٨، عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَحَسَنَةُ السُّيُوطِيِّ في الْجَامِعِ الصَّغِيرِ ص ١٥٠.

(٣) دَلِيلُ الْفَالِحِينَ ج ٣ ص ٤٣٣.

وقال النَّبِيُّ ﷺ: لَا يَتَمَنَّى أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ، إِلَّا مُحْسِنًا فَلَعَلَّهُ يَزْدَادُ، وَإِمَّا مُسِيئًا فَلَعَلَّهُ يَسْتَعْتَبُ.

وقوله: (فَلَعَلَّهُ يَسْتَعْتَبُ): الاستعتاب طلب العُتْبَى، وهو الرضا، وذلك لا يحصل إِلَّا بالتوبة والرجوع عن الذنوب^(١).

ومعنى الحديث: لَا يَتَمَنَّى أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ مُحْسِنًا وَإِمَّا مُسِيئًا، أي: سواء كان على حالة الإحسان أو الإساءة، أما إن كان مُحْسِنًا فَلَا يَتَمَنَّى الْمَوْتَ، لَعَلَّهُ يَزْدَادُ إِحْسَانًا عَلَى إِحْسَانِهِ، فيضاعف أجره وثوابه. وأما إن كان مُسِيئًا فَلَا يَتَمَنَّى أَيْضًا، إِذْ لَعَلَّهُ يَنْدَم عَلَى إِسَاءَتِهِ، ويطلب الرضا عنه، فيكون ذَلِكَ سبباً لمحو سيئاته، التي اقترفها^(٢).

جواز تمني الموت والدعاء به خوف ذهاب الدِّين:

ودليل ذَلِكَ ما يأتي:

١- قال تعالى عَلَى لِسَانِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ - يُوسُف ١٠١.

قال قتادة: لم يَتَمَنَّ الْمَوْتَ أَحَدٌ نَبِيٍّ وَلَا غَيْرِهِ، إِلَّا يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ تَكَامَلَتْ

(١) التَّذَكُّرَةُ لِلْقُرْطُبِيِّ ص ٤-٥.

حَدِيث: لَا يَتَمَنَّى أَحَدٌ مِنْكُمْ... إلخ، في: صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ في: ٨٠ كتاب الدَّعَوَات، ٣٠ باب الدعاء بالموت والحياة، رقم ٦٣٥١، بهذا اللفظ، عن أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وفي صَحِيحِ مُسْلِمٍ في: ٤٨ كتاب الذِّكْرِ والدعاء...، ٤ باب كراهة تمني الموت لَضُرِّ نَزَلَ بِهِ، رقم ٢٦٨٠، عن أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَحَدِيث: لَا يَتَمَنَّى أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ... إلخ، في: صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ في: ٩٤ كتاب التمني، ٦ باب ما يُكْرَهُ مِنَ التمني، رقم ٧٢٣٥، عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) إِرْشَادُ السَّارِيِّ ج ١٠ ص ٢٨٠.

عليه النَّعْمُ، وجمع له الشمل، اشتاق إلى لقاء ربه عَزَّ وَجَلَّ، فقال: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنْ أَلْمَلِكِ﴾ - يُوسُف ١٠١.

وقيل: إن يُوسُف لم يَتَمَنَّ الموت، وإنما تَمَنَّى الموافاة على الإسلام. أي: إذا جاء أجلي توفي مسلماً. وهذا القول هو الْمُخْتَار في تأويل الآية عند الْمُفَسِّرِينَ.

٢- قال تعالى عن مريم: ﴿يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا﴾ - مريم ٢٣.

قالوا: إنها تمنّت الموت لوجهين:

أحدهما: أنها خافت أن يُظَنَّ بها السوء في دينها، وتُعَيَّر فيفتنها ذَلِكَ.

ثانيهما: أن يقع قوم بسببها في البهتان، والنسبة إلى الزنا، وذلك مهلك لهم.

٣- قوله ﷺ: (لا تقوم الساعة حتى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ، فيقول يا ليتني مكانه).

قالوا إنما هو خبر أن ذَلِكَ سيكون، لشدة ما ينزل بالناس من فساد الحال في الدِّين وضعفه وخوف ذهابه، لا لضر ينزل بالمرء في جسمه وماله. ومما يوضح هذا المعنى: قوله ﷺ: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ، وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ، وَحُبَّ الْمَسَاكِينِ، وَإِذَا أَرَدْتَ فِي النَّاسِ فِتْنَةً، فَأَقْبِضْنِي إِلَيْكَ غَيْرَ مَفْتُونٍ)^(١).

(١) التَّذَكُّرَةُ لِلْقُرْطُبِيِّ ص ٦-٧.

حَدِيث: لا تقوم الساعة حتى يَمُرَّ... إلخ، رواه مَالِكُ فِي الْمَوْطَأِ، جَامِعُ الْجَنَائِزِ / تَنْوِيرُ الْحَوَالِكِ شَرْحُ مَوْطَأِ الْإِمَامِ مَالِكِ ج ١ ص ١٨٧، عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَحَدِيث: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ... إلخ، رواه مَالِكُ فِي الْمَوْطَأِ، الْقُرْآنُ، الْعَمَلُ فِي الدُّعَاءِ / تَنْوِيرُ الْحَوَالِكِ ج ١ ص ١٧٠.

البرزخ

الْبَرْزَخُ لُغَةً: ما بين كل شيئين من حاجز، وفي الآية: ﴿يَبْنِيهِمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾ - الرَّحْمَنُ ٢٠. أي: حاجز يمنعهما من أن يختلط أحدهما بالآخر.

وَالْبَرْزَخُ اصْطِلَاحًا: الحاجز بين الدنيا والآخرة. قال تعالى: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ - الْمُؤْمِنُونَ ١٠٠^(١).

القبر أول منازل الآخرة

القبر: مفرد. وجمعه القبور، وهو جمع كثرة. وأَقْبُرُ، وهو جمع قلة. ويقال لمدفن الموتى مَقْبَرٌ ومَقْبَرَةٌ^(٢).

سؤال القبر

ويراد به: أن الله تعالى يحيي العبد المكلف في قبره بردّ الحياة إليه، ويجعله من العقل في مثل الوصف الذي عاش عليه، ليعقل ما يسأل عنه، وما يحييه، ويفهم ما آتاه من ربه، وما أعدّ له في قبره من كرامة أو هوان^(٣).

والأدلة على ثبوت سؤال القبر كثيرة منها:

١ - قوله ﷺ: الْمُسْلِمُ إِذَا سُئِلَ فِي الْقَبْرِ، يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ - إِبْرَاهِيمَ ٢٧. أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ.

(١) انظر: النّهاية لابن الأثير مادة (برزخ). ولَوَاعِجُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ٢ ص ٤ والروح لابن القيم ص ٧٣ و١٠٨.

(٢) لَوَاعِجُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ٢ ص ٤ وَالتَّذْكِرَةُ لِلْقُرْطُبِيِّ ص ٨٨.

(٣) التَّذْكِرَةُ لِلْقُرْطُبِيِّ ص ١٢٤.

ورواه مُسْلِمٌ وفيه: عن البراء بن عازب عن النبي ﷺ قال: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ - إبراهيم ٢٧ قال: نزلت في عذاب القبر، فيُقال له من ربك؟ فيقول: رَبِّيَ اللَّهُ، وَنَبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ. فذلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ - إبراهيم ٢٧.

٢- قوله ﷺ: (إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ، وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، أَتَاهُ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ، فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ لِمُحَمَّدٍ ﷺ؟ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، فيُقالُ له: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ، قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ، فِيرَاهُمَا جَمِيعًا...

وَأَمَّا الْمُنَافِقُ وَالْكَافِرُ، فيُقالُ له: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فيقول: لَا أَدْرِي، كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ. فيُقالُ: لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ. وَيُضْرَبُ بِمِطْرَاقٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ^(١).

حكم الإيمان بسؤال القبر:

الإيمان به واجب، وهو مذهب الجُمهُور^(٢).

(١) انظر من أدلة سؤال القبر في: لَوَامِعُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ٢ ص ٥ والروح ص ٥٣-٥٤.

حَدِيثُ: الْمُسْلِمِ إِذَا سُئِلَ فِي الْقَبْرِ... إلخ، في: صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ في: ٦٥ كتاب التَّفْسِيرِ - سورة إِبْرَاهِيمَ، ٢ باب ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ - إِبْرَاهِيمَ ٢٧، رقم ٤٦٩٩، عن البراء بن عازب.

وفي صَحِيحِ مُسْلِمٍ في: ٥١ كتاب الجنة، ١٧ باب عرض مَقْعَدِ الْمَيِّتِ، رقم ٢٨٧١، عن البراء بن عازب.

وَحَدِيثُ: إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ... إلخ، في: صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ في: ٢٣ كتاب الْجَنَائِزِ، ٨٦ باب ما جاء في عذاب القبر، رقم ١٣٧٤، بهذا اللفظ، عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ.

وفي صَحِيحِ مُسْلِمٍ في: ٥١ كتاب الجنة، ١٧ باب عرض مَقْعَدِ الْمَيِّتِ...، رقم ٢٨٧٠، عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ.

(٢) شَرْحُ الْجَوْهَرَةِ لِعَبْدِ السَّلَامِ ص ٢٢٠.

عذاب القبر

تَصَوُّرُ عَذَابِ الْقَبْرِ وَنَعِيمِهِ:

قال الْجُمْهُورُ: إِنَّا نَوْمنُ بِمَا وَرَدَ فِي الْأَخْبَارِ، وَلِلَّهِ أَنْ يَفْعَلَ مَا يَشَاءُ مِنْ عِقَابٍ وَنَعِيمٍ، وَيَصْرِفُ أَبْصَارَنَا، وَيَغْيِيهِ عَنَا.

فلو كان الميت بيننا، فلا يمتنع أن يأتيه الْمَلَكَانِ، ويسألانه، ويجيبهما من غير أن يشعر الحاضرون بهما، ومثال ذَلِكَ: نائمان بيننا أحدهما ينعم، والآخر يعذب، ولا يشعر بِذَلِكَ أَحَدٌ مِنْ حَوْلِهِمَا^(١).

وليس للعقل وقوف على كيفية عود الروح إلى الجسد، وكيفية عذاب القبر ونعيمه، لكونه لا عهد له به في هَذِهِ الدار، والشَّرْعُ لا يأتي بما يُحِيلُهُ الْمَعْقُولُ، وَلَكِنَّهُ قد يأتي بما تَحَارُّ بِهِ الْعُقُولُ^(٢)، وأخبارهم قسمان:

أ- ما يشهد العقل والفترة السَّليمة به.

ب- لا تدركها الْعُقُولُ كالعيوب.

فكل خبر يظن أن العقل يحيله، فلا يخلو من أحد أمرين:

أ- الخطأ في النقل.

ب- فساد في العقل، فتكون شبهة خيالية^(٣).

وَالْعُلَمَاءُ يَتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَعِيدُ إِلَى الْمَيِّتِ فِي الْقَبْرِ نَوْعَ حَيَاةٍ، قَدَرُ مَا يَتَأَلَّمُ وَيَتَلَذَّذُ، وَيَشْهَدُ بِذَلِكَ الْكِتَابُ وَالْأَخْبَارُ وَالْآثَارُ^(٤).

(١) التَّذَكُّرَةُ لِلْقُرْطُبِيِّ ص ١٢٦. وإحياء عُلُومِ الدِّينِ لِلْغَزَالِيِّ ج ١ ص ١١٩ وج ٤ ص ٤٨٥.

(٢) شَرْحُ الْعَقِيدَةِ الطَّحَاوِيِّ لَابْنِ أَبِي الْعِزِّ ص ٥٧٨.

(٣) الروح ص ٦٢ وَلَوَائِعُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ٢ ص ٢١ نَقْلًا عَنِ الرُّوحِ.

(٤) شَرْحُ الْمَقَاصِدِ لِلتَّفْتَّازَانِيِّ ج ٥ ص ١١٧.

دخول المَلِكِ القبور:

يجوز تأويل دخول المَلِكِ القبور باطلاعه على أهلها، وهم مدركون له عن بُعْدٍ من غير دخول ولا قرب.

ويجوز أن يكون المَلِكُ للطافة أجزائه، يَلْجُ القبور، فيتوصل إليهم من غير نبش.

ويجوز أن ينبشها، ثم يعيدها الله إلى مثل حالها على وجه لا يدركها أهل الدنيا.

ويجوز أن يدخل المَلِكُ من تحت قبورهم من مداخل لا يهتدي الإنسان إليها^(١).

قال ابن القَيِّم: ومن أعظم الجهل استبعاد شق المَلِكِ الأرض والحَجَر، وقد جعلها الله سُبْحَانَهُ له كالهواء للطير^(٢).

القبر رَوْضَةٌ من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار:

قال النَّبِيُّ ﷺ: إنما القبرُ رَوْضَةٌ من رياض الجنة أو حفرة من حُفَرِ النار. وهو بَيَانٌ لما في القبر من نَعِيمٍ وعذاب.

ويجب أن يُعْلَمَ أن ذَلِكَ ليس من جنس نار الدنيا ونَعِيمِهَا، وإن كان الله تعالى قَادِرًا على أن يحمي التراب والحجارة التي فوقه وتحتة، حتى يَكُونَ أعظمَ حَرًّا من جمر الدنيا، ولو مَسَّهَا أهل الدنيا لم يُحِسُّوا بها، بل أعَجَبُ من ذَلِكَ أن الرجلين يُدْفَنُ أحدهما إلى جنب صاحبه، أحدهما في رَوْضَةٍ من رياض الجنة، والآخر في حفرة من النار، لا يصل من أحدهما إلى جاره حر ناره أو نَعِيمِهِ.

ولو أطلَعَ الله تعالى العِبَادَ على ما هو محجوب عن إدراك العُقُولِ، لزالَتِ حكمة التكليف والإيمان بالغيب^(٣).

(١) التَّذَكُّرَةُ لِلْقُرْطُبِيِّ ص ١٢٦.

(٢) الروح ص ٧٢.

(٣) شَرْحُ الْعَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّةِ لابن أبي العزِّ ص ٥٨١ والروح ص ٦٤-٦٦.

حَدِيثٌ: إنما القبرُ رَوْضَةٌ... إلخ، في: سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ في: ٣٤ كتاب صفة القيامة، ٢٦ باب،

وعذاب القبر، وهو عذاب البرزخ، ونعيمه ينال مستحقه، سواء قُبر أم لم يُقبر، أكلته السباع أو احترق، حتى صار رماداً ونسف في الهواء...^(١).

وما وَرَدَ عن النَّبِيِّ ﷺ من إجلال الميت واختلاف أضلاعه ونحو ذلك فيجب أن يفهم عن الرَّسُولِ ﷺ مُرَادُهُ من غير غُلُوٍّ ولا تقصير... لأن الدور ثلاث، لكل دار أَحْكَامٌ تخصها، وهي:

١- دار الدنيا، وأَحْكَامُهَا على الأَبْدَانِ، والأرواح تَبْعاً لها.

٢- دار البرزخ، وأَحْكَامُهَا على الأرواح، والأَبْدَانِ تَبْعاً لها.

٣- دار القرار، وأَحْكَامُهَا على الأرواح والأَبْدَانِ جَمِيعاً^(٢).

أما كيفية وُصُولِ العذاب إلى من تفرقت أجزاؤه في التراب أو الهواء... فإن العذاب يسري في دار البرزخ على الروح، والبدن تَبَعٌ لها، وليس ببعيد على الله تعالى أن يجعل للروح تعلقاً بأجزاء البدن وإن تباعدت، واليوم نرى اللاسلكي والبرق الإذاعي يصل إلى مُخْتَلَفِ أنحاء العالم في وقت وَاحِدٍ، وكذلك الحال في الكهرباء إذ تصل إلى أماكن متباعدة عند فتح الصمام المخصص للإيصال، وتصرف الروح أغرب وأعجب من هذا بكثير.

حكم الإيمان بعذاب القبر:

عذاب القبر للكافر والفاسق حَقٌّ، والإيمان به واجب، وهو قول الجُمهُور^(٣).

رقم ٢٤٦٠، ص ٤٠٢، عن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ. وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ.

(١) الروح ص ٥٨.

(٢) الروح ص ٦٢-٦٣.

(٣) التَّذَكُّرَةُ لِلْقُرْطُبِيِّ ص ١٢٤ وَبَحْرُ الْكَلَامِ لِلنَّسَفِيِّ ص ١٦٠. وانظر الروايات في ذلك في:

شَرْحُ أَصُولِ اعْتِقَادِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ ج ٥ ص ٤٣٦ وما بعدها.

أثبت الْجُبَّائِيُّ من الْمُعْتَرِلةِ وابنه والْبَلْخِيُّ عذاب القبر، لكنهم نفوه عن الْمُؤْمِنِينَ، وأثبتوه

واستدلوا على إثبات عذاب القبر بما يأتي:

١- قوله تعالى في آل فرعون: ﴿الْأَنَارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ - غافر ٤٦ .
أي: قبل يوم القيامة وذلك في القبر، بدليل قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ - غافر ٤٦ .

٢- قوله تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَنَا اثْنَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾ - غافر ١١ . فالمراد بالإماتتين والإحياءين في هذه الآية هو: الإماتة قبل مزار القبور، ثم الإحياء في القبر، ثم الإماتة فيه أيضاً بعد مسألة منكّر ونكير، ثم الإحياء للحشر. قال المفسرُونَ: والغرض بذكر الإحياءين أنهم عرفوا فيهما قدرة الله على البعث، ولهذا قالوا: فاعترفنا بذنوبنا، أي الذنوب التي حصلت بسبب إنكار الحشر، وإنما لم يذكر الإحياء في الدنيا، لأنهم لم يكونوا معترفين بذنوبهم في هذا الإحياء.

وذهب بعضهم إلى أن المراد بالإماتتين ما ذكر، وبالإحياءين الإحياء في الدنيا، والإحياء في القبر، لأن مقصودهم ذكر الأمور الماضية، وأما الحياة الثالثة أعني حياة الحشر فهم فيها، فلا حاجة إلى ذكرها.

وعلى هذين التفسيرين ثبت الإحياء في القبر^(١).

٣- قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ - طه ١٢٤ .

قال أبو سعيد الخُدريّ وعبد الله بن مسعود: ضنكاً، أي: عذاب القبر.

لأصحاب التخليد من الكفار والفساق. / الروح لابن القيم ص ٥٨ ولَوَامِعُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ٢ ص ٢٣ نَفْلًا عَنِ الرُّوحِ.

وأثبتته الإباضية. / مَشَارِقُ أَنْوَارِ الْعُقُولِ ج ٢ ص ١٠٥.

وأثبتته الزيدية أيضاً. / الْمَعَالِمُ الدِّينِيَّةُ ص ١٢٣.

(١) الْمَوَاقِفُ وشرحه للسَّيِّدُ الشَّرِيفُ ج ٨ ص ٣١٨. وانظر: الْمَقَاصِدُ وشرحه للْتَفْتَازَانِي ج ٥ ص ١١٢-١١٣ وَالْمَعَالِمُ الدِّينِيَّةُ ص ١٢٣ وَبَحْرُ الْكَلَامِ ص ١٦٣.

٤ - قال تعالى: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ﴾ - الطُّور ٤٧.

قيل: هو عذاب القبر، لأن الله ذكره عَقِبَ قوله: ﴿فَذَرَهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ - الطُّور ٤٥، وهذا اليوم هو اليوم الآخر من الدنيا، فدل على أن العذاب الذي هم فيه هو عذاب القبر.

٥ - قال تعالى: ﴿أَلْهَنَكُمْ التَّكَاثُرُ﴾ ١ ﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ ٢ ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ٣ - التكاثر، يعني: في القبور.

٦ - قال ﷺ: إنهم - أي: أهل القبور - يُعَذَّبُونَ عَذَابًا تَسْمَعُهُ الْبَهَائِمُ كُلُّهَا.

٧ - حَدِيثُ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ وَأَنْسِ بْنِ مَالِكٍ الْمُتَقَدِّمَانِ فِي أَدَلَّةِ سُؤَالِ الْقَبْرِ^(١).

وأنكر عذاب القبر: جَهْم^(٢)، والمُعْتَزِلَةُ^(٣)، وضَرَارُ بْنُ عَمْرٍو، وبِشْرُ الْمَرْيَسِيِّ^(٤).

(١) التَّذَكُّرَةُ لِلْقُرْطُبِيِّ ص ١١٣-١١٤ و ١٣٣ والروح ص ٥٣-٥٤ و لَوَامِعُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ٢ ص ١٣ و ١٤.

حَدِيث: إنهم يُعَذَّبُونَ عَذَابًا... إلخ، في: صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ في: ٨٠ كتاب الدَّعَوَات، ٣٧ باب التَّعَوُّذُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، رقم ٦٣٦٦، بهذا اللفظ، عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وفي صَحِيحِ مُسْلِمٍ في: ٥ كتاب المساجد، ٢٤ باب استحباب التَّعَوُّذِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، رقم ٥٨٦، عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) التَّنْبِيهُ وَالرَّدَّ ص ١٢٤ وَالتَّمْهِيدُ لِلْأَمَشِيِّ ص ١٢٠ وَبَحْرُ الْكَلَامِ ص ١٥٨.

(٣) الْإِبَانَةُ لِلْأَشْعَرِيِّ ص ٢٤٧ وَرَدَّهُ. وفي الْمَوَاقِفِ ج ٨ ص ٣١٧: أكثر المتأخرين من الْمُعْتَزِلَةِ. وفي التَّمْهِيدِ لِلْأَمَشِيِّ ص ١٢٠ وَالْمَقَاصِدُ وَشَرْحُهُ لِلتَّفْتَازَانِيِّ ج ٥ ص ١١٣: بعض الْمُعْتَزِلَةِ. وفي بَحْرِ الْكَلَامِ ص ١٥٨: الْمُعْتَزِلَةُ وَالتَّجَارِيَةُ.

وَلَكِنْ وَرَدَ فِي الْفَائِقِ فِي أَصُولِ الدِّينِ لِلْخَوَارِزْمِيِّ الْمُعْتَزِلِيِّ ص ٤٦٣: (أَمَّا عَذَابُ الْقَبْرِ فَقَدْ أَثْبَتَهُ أَصْحَابُنَا، وَحَكَى قَاضِي الْقُضَاةِ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّ ضَرَارًا أَنْكَرَ عَذَابَ الْقَبْرِ، فَتُسَبِّحُ ذَلِكَ إِلَى أَصْحَابِنَا لِكثَرَةِ مَخَالَطَتِهِ لَهُمْ)، ثم أورد الأدلة.

(٤) الْمَوَاقِفِ ج ٨ ص ٣١٧. وإنكار ضَرَارٍ في: كَشَفُ الْمُرَادِ ص ٤٥٢.

الْبَعْثُ (المَعَادُ الْجِسْمَانِي) وَالنُّشُورُ

تعريفه

الْبَعْثُ: هو أن يبعث الله تعالى الموتى من القبور، بأن يجمع أجزاءهم الأصلية، ويعيد الأرواح إليها.
والنُّشُورُ: يرادف البعث في المعنى، يقال: نشر الميت: إذا عاش بعد الموت. وأنشره الله: أي: أحياه^(١).

الاختلاف فيه، وحكم الإيمان به

وقد اختلفوا في المَعَادِ على قولين:

الأول: نفاه الطبيعيون^(٢)، ذهاباً إلى أن الإنسان هو هذا الهيكل المحسوس، الذي

(١) لَوَامِعُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ٢ ص ١٥٧-١٥٨.

(٢) حَكِيَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ عَقِيدَةُ (الدَّهْرِيِّينَ) أَوْ (الطَّبِيعِيِّينَ) الْمُمَثِّلَةَ بِإِنْكَارِهِمُ الْحِسَابَ وَالْجَنَّةَ وَالنَّارَ، فَقَالَ: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ - الْجاثية ٢٤.

وهؤلاء يرون بطلان الأدیان كافة، وعدّوها أوهاماً، فترتب على هذا ما يأتي:

- ١- أنكروا أن الإنسان أشرف المخلوقات، بل هو أخس من البهائم خَلْقَةً، وأدنى منها فِطْرَةً. وما يفتخر به من الصَّنَائِعِ، فإنما أخذه بالتقليد عن الحيوانات، فالنسيج أخذه من العنكبوت، والبناء من النحل، وإدخار القوت من النمل، والموسيقى من البلبل....
- وأنكروا أن تكون أُمَّة مُحَمَّدٌ ﷺ أشرف الأمم، فليست هي أولى من غيرها بفضيلة أو مَزِيَّة.

- ٢- وأنكروا بعث الإنسان في اليوم الآخر، ليحاسب على ما اقترف في الدنيا.

يفنى بصورته وأعراضه فلا يعاد^(١). وهم لم يروا بأعينهم ميتاً بُعث حياً، وحكى لهم ما جرى له بعد موته.

الثاني: أثبتته الحكماء والمليّون^(٢).

قال ابن قيّم الجوزيّة: مَعَادُ الْأَبْدَانِ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى^(٣).

وقال الجلال الدّوّانيّ: المعاد الجسماني يجب الاعتقاد به، ويكفر منكره، وهو حق بإجماع أهل الملل الثلاث (أي: المسلمون واليهود والنصارى)، وشهادة نصوص القرآن في المواضع المتعددة، بحيث لا يقبل التأويل^(٤).

حيث توعّد منكري البعث واليوم الآخر بالعذاب الأليم لكفرهم، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أَلَمْ نَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ - الرعد ٥.

٣- وأوجبوا إزالة الحياء والأمانة والصدق، وعزّى الدّين من التفريق بين الحلال والحرام، يقول ابيقور الدهريّ: إذا كان هذا شأن الإنسان من النقص عن الحيوانات فالأولى أن لا يغترّ بأن في الآخرة ثواباً وعقاباً، ويحرم نفسه في هذه الدنيا من حظوظ اللذة، ويقيد نفسه بأوهام الحلال والحرام، واللائق وغير اللائق، والحياء والصدق والأمانة، وغيرها من الأمور الوضعية التي تقيّد بها الناس جهلاً ولم يتقيّد بها الحيوان والبهم.

انظر: مُقَدِّمَةُ الشَّيْخِ مُحَمَّدَ عَبْدَهُ لِرِسَالَةِ إِبْطَالِ مَذْهَبِ الدَّهْرِيِّينَ لِلسَّيِّدِ جَمَالِ الدِّينِ الْأَفْغَانِيِّ. وَذَلِكَ فِي كِتَابِ (خَاطَرَاتِ جَمَالِ الدِّينِ الْأَفْغَانِيِّ الْحُسَيْنِيِّ) ص ٢٨٩-٢٩٢.

(١) الْمَقَاصِدُ وَشَرْحُهُ لِلتَّفَتَّازَانِيِّ ج ٥ ص ٨٨-٨٩.

(٢) الْمَقَاصِدُ وَشَرْحُهُ لِلتَّفَتَّازَانِيِّ السَّابِقِ.

(٣) الرّوح لابن القيم ص ٥٢ وَلَوَامِعُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ٢ ص ١٥٧ نَقْلًا عَنْهُ.

(٤) شَرْحُ الْعَقَائِدِ الْعُضْدِيَّةِ لِلدَّوَّانِيِّ ج ٢ ص ٢٤٧ وَحَاشِيَةُ الْكَلَنْبُورِيِّ عَلَيْهِ، وَلَوَامِعُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ٢ ص ١٥٨ نَقْلًا عَنْهُ.

وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنُكَبُّونَ﴾ - الْمُؤْمِنُونَ ٧٤^(١).

ولَكِنْ اختلفوا في كَيْفِيَّتِهِ عَلَى أَقْوَالٍ هِيَ:

الأول: المَعَادُ رُوحَانِي فَقَطْ، وَهُوَ قَوْلُ الْفَلَّاسِفَةِ لِأَنَّ الْبَدَنَ يَنْعَدَمُ بِصُورِهِ وَأَعْرَاضِهِ، فَلَا يِعَادُ. وَالنَّفْسُ جَوْهَرٌ مَجْرَدٌ بَاقٍ لَا سَبِيلَ إِلَيْهِ لِلْفَنَاءِ، فَيَعُودُ إِلَى عَالَمِ الْمَجْرَدَاتِ بِقَطْعِ التَّعْلُقَاتِ.

الثاني: المَعَادُ جَسْمَانِي فَقَطْ، وَهُوَ قَوْلُ جُمْهُورِ الْمُسْلِمِينَ، لِأَنَّ الرُّوحَ جِسْمٌ سَارٍ فِي الْبَدَنِ سَرِيانَ النَّارِ فِي الْفَحْمِ وَالْمَاءِ فِي الْوَرْدِ.

الثالث: رُوحَانِي وَجَسْمَانِي مَعًا، وَهُوَ قَوْلُ الْغَزَالِيِّ وَالْكَعْبِيِّ وَالْحَلِيمِيِّ وَالرَّاعِبِ وَأَبِي زَيْدِ الدَّبُوسِيِّ، ذَهَابًا إِلَى أَنَّ النَّفْسَ جَوْهَرٌ مُجَرَّدٌ يَعُودُ إِلَى الْبَدَنِ. وَهُوَ رَأْيٌ كَثِيرٌ مِنَ الصُّوفِيَّةِ وَالشَّيْعَةِ وَالْكَرَامِيَّةِ وَجُمْهُورِ النَّصَّارَى وَالتَّنَاسُخِيَّةِ^(٢).

أَدِلَّةٌ وَقُوعُهُ

وَاسْتَدَلَّ أَهْلُ الْحَقِّ عَلَى أَنَّ الْمَعَادَ الْجَسْمَانِيَّ حَقًّا بِالْمَنْقُولِ وَالْمَعْقُولِ.

فَمِنَ الْمَنْقُولِ:

١- مِنَ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ قَوْلُهُ تَعَالَى:

(١) وَانْظُرِ الْآيَاتِ أَيْضًا: النَّحْلُ ٦٠ وَالْإِسْرَاءُ ٤٩-٥١ وَآلْ-عَمْرٍو ٩٧-٩٩ وَمَرْيَمُ ٦٦-٦٨ وَالْحَجَّ ٥-٦ وَالْمُؤْمِنُونَ ٨١-٨٣ وَالنَّمْلُ ٤-٥ وَالتَّوْبَةُ ٦٧، وَالْجَاثِيَةُ ٢٤ وَالتَّغَابُنُ ٧.

(٢) شَرْحُ الْمَقَاصِدِ لِلتَّفْتَازَانِيِّ ج ٥ ص ٨٩-٩٠ وَذَكَرَ بَعْدَ ذَلِكَ: قَالَ الْإِمَامُ الرَّازِيُّ: إِلَّا أَنَّ الْفَرْقَ: أَنَّ الْمُسْلِمِينَ يَقُولُونَ بِحُدُوثِ الْأَرْوَاحِ وَرَدِّهَا إِلَى الْأَبْدَانِ لَا فِي هَذَا الْعَالَمِ بَلْ فِي الْآخِرَةِ. وَالتَّنَاسُخِيَّةُ بِقَدَمِهَا وَرَدَّهَا إِلَيْهَا فِي هَذَا الْعَالَمِ، وَيُنَكِّرُونَ الْآخِرَةَ وَالْجَنَّةَ وَالنَّارَ... وَالتَّنَاسُخِيَّةُ إِنَّمَا يَكْفُرُونَ لِإِنْكَارِهِمُ الْقِيَامَةَ وَالْجَنَّةَ وَالنَّارَ، وَالنَّصَّارَى لِقَوْلِهِمْ بِالتَّثْلِيثِ. وَانْظُرِ: الْمَوَاقِفَ وَشَرْحَهُ لِلسَّيِّدِ الشَّرِيفِ ج ٨ ص ٢٩٧.

أ- ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ - النحل ٣٨.

ب- ﴿قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَابْعَثُنَّ﴾ - التغابن ٧.

ج- ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ تُبْعَثُونَ﴾ - المؤمنون ١٦.

د- ﴿فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾ - يس ٥١.

هـ- ﴿فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ - الإسراء ٥١.

و- ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ - الأعراف ٢٩.

ز- ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا﴾ - الأنبياء ١٠٤.

ح- ﴿فَأَخِينَا بِهِ الْأَرْضَ بِعَدَمَتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ - فاطر ٩.

ط- ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ ٧٨ ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ - يس ٧٨-٧٩^(١).

قال ابن أبي العزّ: فاحتج الله تعالى بالإبداء على الإعادة، وبالنشأة الأولى على النشأة الأخرى، إذ كل عاقل يعلم علماً ضرورياً أن من قَدَرَ على هَذِهِ قَدَرَ على هَذِهِ، وأنه لو كان عاجزاً عن الثانية لكان عن الأولى أعجز وأعجز.

ولما كان الخلق يستلزم قدرة الخالق على مخلوقه، وعلمه بتفاصيل خلقه، أتبع ذلك بقوله: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ - يس ٧٩، فهو عَلِيمٌ بتفاصيل الخلق الأول وجزئياته ومواده وصورته، فكذلك الثاني، فإذا كان تامّ العلم، كَامِلُ القدرة، كيف يتعذر عليه أن يُحْيِي العظام وهي رميم؟

ثم أكّد بأخذ الدلالة من الشيء الأجلّ الأعظم على الأيسر الأصغر، فإن كُلَّ عاقل يعلم أن مَنْ قَدَرَ على العَظِيمِ، فهو على ما دونه بكثير أقدر وأقدر...: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي

(١) لَوَامِعُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ٢ ص ١٥٧-١٥٩.

خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدْرِ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ - يس ٨١^(١).

ي- الأوامر والنواهي في القرآن الكريم كثيرة:

فمن الأوامر: قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ - البقرة ٤٣ و ٨٣ و ١١٠.

وقوله سُبْحَانَهُ: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ - الحج ٧٨... إلخ.

ومن النواهي: قوله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ - الحُجُرَات ١٢.

وقوله سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ﴾ - المائدة ٩٠.

وهذه الأحكام لا اختيار فيها للمسلم، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ - الأحزاب ٣٦.

وقد حذر الله تعالى الناس من مخالفة أمره ونهيه بقوله سُبْحَانَهُ: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ - النور ٦٣.

وبناءً على ما تقدّم من الأوامر والنواهي ونفي الاختيار في أحكامه تعالى والتحذير من مخالفة أمره، لا بد من ترتيب العقوبات البدنية على الفجار العصاة والنعم للمؤمنين، وهذا ما اقتضاه عدله وحكمته وكماله المقدس.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ - سبأ ١٢.

وقال سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا (٣١) حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا (٣٢) وَكَوَاعِبَ أَزْوَاجًا (٣٣) وَكَأْسًا هَاقًا (٣٤) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِدَابًا (٣٥) جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا (٣٦)﴾ - النبأ.

وهذا واضح في أنه ليس مجرد تهديد ووعد، بل يعني أن المعاد أمر ضروري، لا مفر من القول به.

(١) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العزّ ص ٥٩٤-٥٩٥. وانظر: نهاية الإقدام ص ٤٦٨ وعقائد الإمامية ص ١٢٦.

٢- ومن الحديث الشريف:

أ- عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سمعتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَخْطُبُ عَلَى الْمُنْبَرِ يَقُولُ: (إِنَّكُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ حُفَاةً عُرَاةً غُرُلًا).

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قام فينا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَطِيبًا بِمَوْعِظَةٍ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تَحْشَرُونَ إِلَى اللَّهِ حُفَاةً عُرَاةً غُرُلًا، ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ - الأنبياء ١٠٤^(١).

ب- عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: جاء العاص بن وائل إلى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بعظم حائل، ففتته بيده فقال: يا مُحَمَّد، يحيي الله هذا بعد ما أَرَمَ؟ قال: نعم، يبعث الله هذا، ثم يميته، ثم يحييك، ثم يدخلك نار جهنم. فنزلت الآيات من آخر سورة يس: ﴿أَوَلَمْ يَرَأِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ۝ ٧٧ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ۚ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۝ ٧٨ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ۝ ٧٩ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقَدُونَ ۝ ٨٠ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ۝ ٨١ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ۝ ٨٢ فَسُبْحَانَ الَّذِي يَدِيرُ مَلَكُوتَ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝ ٨٣﴾.

وهذا نص صريح في الحشر الجسماني، يقطع عرق التأويل بالكلية.

٣- وعليه إجماع سلف الأمة.

(١) لَوَامِعُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ٢ ص ١٥٩.

الغرل: بضم الغين وإسكان الراء، جمع أغرل، وهو الأكلف.

وَحَدِيث: إِنَّكُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ... إلخ، في: صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ في: ٨١ كتاب الرِّقَاق، ٤٥ باب كيف الحشر، رقم ٦٥٢٥.

وَحَدِيث: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تَحْشَرُونَ... إلخ، في: صَحِيحُ مُسْلِمٍ في: ٥١ كتاب الجنة وصفة نعيمها، ١٤ بَيَانُ فَنَاءِ الدُّنْيَا وَبَيَانُ الْحَشْرِ، رقم ٢٨٦٠ (٥٨).

وَمِنَ الْمَعْقُولِ:

١- أن الأنبياء تأتي بما تدركه العقول، أو تتحير فيه، ولا تأتي بما تحيله العقول أبداً. والمعاد ممكن لأنه: إما إيجاد ما انعدم، أو جمع ما تفرق، أو إحياء بعدما أُميت. وهذه كلها ممكنة لا إحالة في ذلك. وأخبار الأنبياء والكتب السماوية وخاصة القرآن الكريم كثيرة جداً.

٢- الأصل فيما لا دليل على وجوبه ولا على امتناعه هو الإمكان كما يقول الحكماء والمتكلمون: من أن كل ما قرع سمعك من الغرائب قدره في حيز الإمكان، ما لم يردك عنه قائم البرهان، فمن زعم عدم إعادة المعدوم، ألزم بالمبدأ، فإن المبدأ مثل المعاد، بل هو عينه أو أيسر - كما مر - وهو لا يخفى على العاقل الحصيف^(١).

وعليه فإن المعاد الجسماني حق واقع، فصانع الساعة إذا جَزَّأها إلى أجزائها الصغيرة هو قادر على إعادتها إلى ما كانت عليه، متقنة، تضبط الوقت بدقة، ولا يستطيع أحد إنكار ذلك، فالشك في البعث (الخلق الثاني) هو شك في قدرة الله تعالى على الخلق الأول، وفي كونه علّة الوجود.

لا سيّما إذا علمنا أن جسم الكائن الحي يتجدد ما بين وقت وآخر، فجسم الإنسان يستهلك حوالي ١٢٥ مليون خلية في الثانية الواحدة، ويحيا مثل هذا القدر محلها، وهذا يعني أن جسم الإنسان في تجدد ودورة مستمرة، من موت إلى حياة، وحياة إلى موت، قال تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ - الرُّوم ١٩، فجسم الإنسان يموت ويحيا في كل لحظة، فالقادر على إحيائه وإماتته على مرأى من العين في الدنيا،

(١) لَوَاعِجُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ٢ ص ١٥٨-١٥٩، وفيه:

حَدِيث: جاء العاص بن وائل إلى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ... إلخ، أَخْرَجَهُ ابْنُ جَرِيرٍ وَابْنُ الْمُثَنَّرِ وَأَبُو حَاتِمٍ وَالْإِسْمَاعِيلِيُّ فِي مُعْجَمِهِ وَالْحَافِظُ الضَّيَّاءُ فِي الْمُخْتَارَةِ وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي الشُّعَبِ.

قَادِرٌ عَلَىٰ إِحْيَائِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ فِي حَيَاةٍ أُخْرَىٰ.

وهناك صورة أُخْرَىٰ حَيَّةٌ تُمَثِّلُ لَنَا هَذَا الْإِحْيَاءَ: يَأْتِي الْخَرِيفُ فَيَجْرَدُ أَورَاقَ الأشجار... ثم تعود الحياة فيها في الرَّبِيعِ، وينزل الماء على اليابسة الجرداء فتتهتز بالنبات، قال تعالى: ﴿وَأَحْيَيْنَاهُ بَلَدَةً مِّثْلًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾ - ق ١١.

السَّاعَةُ

تعريف يوم الساعة

هو ذَلِكَ اليومُ الْعَظِيمُ الرَّهيبُ، الَّذِي يَضْطَرِبُ فِيهِ الْعَالَمُ، وَيُفْسَدُ نِظَامُهُ، فَتَهْلِكُ جَمِيعُ الْأَحْيَاءِ.

أَسْمَاؤُهُ

وردت في الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ أَسْمَاءٌ عَدِيدَةٌ مِنْهَا: يَوْمُ الْقِيَامَةِ، يَوْمُ الدِّينِ، الطَّامَّةُ، الْحَاقَّةُ، الْعَاشِيَةُ، الْوَاقِعَةُ، الْفَارَعَةُ، الصَّاحَّةُ... .

السَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا

نَفَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ الرَّيْبَ وَالشَّكَّ عَنْ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَأَكَّدَ فِي آيَاتٍ عَدِيدَةٍ أَنَّ الْقِيَامَةَ آتِيَةٌ، فَقَالَ تَعَالَى:

﴿إِنَّ مَأْتَوْعْدُونَ لَا تِرٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ - الْأَنْعَامُ ١٣٤.

﴿وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأِنَّتٌ قَاصِّحَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ - الْحَجَرُ ٨٥^(١).

وهَذَا مَا يَقْرَرُهُ الْعِلْمُ الْحَدِيثُ، يَقُولُ الدُّكْتُورُ مُحَمَّدٌ جَمَالُ الدِّينِ الْفَنْدِي: (يؤكد

(١) وانظر الآيات في: طه ١٥، والحج ٧، والرُّوم ٤٣، وسَبَأُ ٣، والجاثية ٣٢.

عُلَمَاءُ الْفَلَكَ جَمِيعاً أَنَّ الشَّمْسَ، كَأَيِّ نَجْمٍ آخَرَ، لَا بَدَّ أَنْ يَعْتَرِيهَا ازْدِيَادٌ مَفَاجِئٌ فِي حَرَارَتِهَا وَحَجْمِهَا وَإِشْعَاعِهَا بِدَرَجَةٍ لَا تَصْدُقُهَا الْعُقُولُ، وَعِنْدَ ذَلِكَ يَتَمَدَّدُ سَطْحُهَا الْخَارِجِي بِمَا حَوَى مِنْ لَهَبٍ وَدُخَانٍ حَتَّى يَصِلَ الْقَمَرُ، وَيَخْتَلُ تَوَازُنُ الْمَجْمُوعَةِ الشَّمْسِيَّةِ كُلِّهَا، وَكُلُّ شَمْسٍ فِي السَّمَاءِ لَا بَدَّ أَنْ تَمُرَ عَلَى مِثْلِ هَذِهِ الْحَالَةِ قَبْلَ أَنْ تَحْصَلَ عَلَى اتِّزَانِهَا الدَّائِمِ، وَلَمْ تَمُرْ شَمْسُنَا بِالذَّاتِ بِهَذَا الدَّورِ بَعْدَ^(١).

وَالظَّاهِرَةُ الْأَوَّلَى الَّتِي تَنْذِرُنَا بِإِمْكَانِ الْقِيَامَةِ هِيَ الزَّلَازِلُ، فِبَطْنِ الْأَرْضِ شَدِيدَةُ الْحَرَارَةِ تَوْثُرُ عَلَى ظَهَرِهَا بِشَكْلِ بَارِزٍ، فِيمَا أَنْ تَتَفَجَّرَ الْأَرْضُ بِالْحَمَمِ الْبَرْكَانِيَّةِ الْمُدْمَرَةِ، وَإِمَّا أَنْ تَوْثُرَ الزَّلَازِلُ الرَّهِيْبَةُ فِي حَيَاةِ الْإِنْسَانِ رَغْمَ تَقَدُّمِ الْعِلْمِ وَالتَّكْنُولُوجِيَا، إِذْ لَا يَمْلِكُ إِزَاءَهَا شَيْئاً، فَكَثِيراً مَا طَمَسَتْ مَدَنَ بأكملها، أَوْ تَسَاقَطَتِ الْجُدُرَانِ بِصَوْتٍ مَرْعَبٍ، وَلَقِيَ الْمَلَائِكِينَ مِنَ النَّاسِ مَصْرَعُهُمْ خِلَالَ ثَوَانٍ مَعْدُودَاتٍ، كَمَا حَدَثَ فِي الصِّينِ وَالْهِنْدِ وَالْبَرْتَغَالِ...، وَلَا يَسْتَطِيعُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَتَنَبَّأَ بِمَوْعِدِهَا، بَلْ تَأْتِيهِ بَغْتَةً، حَتَّى قَالَ عَالِمُ الْجُغْرَافِيَةِ جُورْجُ جَامُوفُ: (نَحْنُ وَاقِفُونَ عَلَى ظَهَرِ لُغَمٍ - دِينَامِيَّتٍ - عَظِيمٍ، وَمِنْ الْمُمْكِنِ أَنْ يَنْفَجِرَ فِي أَيِّ وَقْتٍ، لِيُدمِرَ النِّظَامَ الْأَرْضِيَّ بأكملها).

أَلَيْسَتْ تِلْكَ قِيَامَةُ صَغْرَى؟

هَذَا شَأْنُ الْأَرْضِ، أَمَّا حَالُ الْكَوْنِ فِيهِ الْأَجْرَامُ السَّمَاوِيَّةُ وَالنُّجُومُ الْجَبَّارَةُ الْعَظِيمَةُ أَشْبَهَ مَا تَكُونُ بِمَلَائِكِينَ الْقَازِفَاتِ لِلْقَنَابِلِ النَّوَوِيَّةِ، تَسِيرُ فِي الْفَضَاءِ بِسُرْعَةٍ خَارِقَةٍ، وَلَيْسَ

(١) الله يَتَجَلَّى فِي عَصْرِ الْعِلْمِ ص ١٦٥. وَانْظُرْ فِيهِ: أَقْوَالُ الدُّكْتُورِ فِرَانِكِ النَّص ٥ وَالدُّكْتُورِ أَيْرَفَنْجِ وَلِيَامِ نُوْبَاوَتَشِ ص ٥٣ وَالْأُسْتَاذِ كَلُودِ م. هَاثَاوِي وَنِيُوتَنِ وَبُولْتَرْمَانِ ص ٩٠-٩١، وَكُلُّهَا تَوْيِدُ مَا ذَكَرْنَاهُ.

قَالَ الدُّكْتُورُ ادْوَارْدُ لُوْتِرْ كَيْسِيلُ: (هَنَالِكَ انْتِقَالَ حَرَارِيٍّ مُسْتَمَرٍّ مِنَ الْأَجْسَامِ الْحَارَةِ إِلَى الْأَجْسَامِ الْبَارِدَةِ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَحْدُثَ الْعَكْسُ بِقُوَّةٍ ذَاتِيَّةٍ... وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ الْكَوْنَ يَتَجَهُّ إِلَى دَرَجَةٍ تَسَاوَى فِيهَا حَرَارَةُ جَمِيعِ الْأَجْسَامِ، وَيَنْضَبُ فِيهَا مَعِينُ الطَّاقَةِ، وَيَوْمُئِذٍ لَنْ تَكُونَ هَنَالِكَ عَمَلِيَّاتُ كِيمِيَاوِيَّةٍ أَوْ طَبِيعِيَّةٍ، وَلَنْ يَكُونَ هُنَاكَ أَثَرٌ لِلْحَيَاةِ نَفْسِهَا فِي هَذَا الْكَوْنِ). / الله يَتَجَلَّى فِي عَصْرِ الْعِلْمِ ص ٢٧.

بَغْرَيْبٍ مُطْلَقاً - كما قرر عُلَمَاءُ الْفَلَكَ - أن تصطدم هذه الأجرام، فيتبدد هذا النِّظَامُ بِأَكْمَلِهِ، وينفطر عقده.

وما رؤيتنا القيامة بصورتها الأولية إلا دليل واضح على أنها في حد الإمكان، وأنها آتية غداً لا ريب فيها^(١).

علم الساعة عند الله

أَخْفَى اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الْعِلْمُ بِمَوْعِدِ السَّاعَةِ عَنِ الْمَخْلُوقَاتِ، فَلَا يَعْلَمُهَا مَلَكٌ أَوْ نَبِيٌّ أَوْ أَيُّ فَرْدٍ مِنَ النَّاسِ، وَهَذَا رَدٌّ عَلَى دَعْوَى بَعْضِ الْجَهْلَةِ أَوْ الدَّجَالِينَ أَنَّ مَوْعِدَهَا السَّنَةُ الْفُلَانِيَّةُ أَوْ الْيَوْمُ الْفُلَانِيُّ ...

وإنما أخفاها الله تعالى لأنه أصلح للعباد، لئلا يتباطؤوا عن التوبة والتأهب والاستعداد لليوم الآخر، كما أن إخفاء وقت الموت أصلح لهم^(٢).

وقد ذكر القرآن الكريم ذلك في آيات عديدة منها:

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجِيبُهَا لَوْفَهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْثَةٌ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ - الأعراف ١٨٧.

﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ - لقمان ٣٤^(٣).

وفي حديث الإيوان والإسلام: سأل جبريل الرسول ﷺ: (متى الساعة؟ قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل)^(٤).

(١) الإسلام يتحدى ص ٧٤-٧٦.

(٢) لَوَاعِجُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ٢ ص ٦٦.

(٣) وانظر الآيات: الأحزاب ٦٣، وفُصِّلَتْ ٤٧، والزخرف ٨٥، والنازعات ٤٢-٤٦.

(٤) حديث الإيوان والإسلام، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. رواه البخاري ومسلم في كتاب الإيمان. / اللؤلؤ

والمَرْجَانُ ص ٢. وتقدّم عند كلامنا عن الإسلام.

مَجِيءُ السَّاعَةِ بَغْتَةً

مَجِيئُهَا بَغْتَةً، وَسُرْعَةً قِيَامُهَا كَرَجْعِ الطَّرْفِ مِنْ أَعْلَى الْحَدَقَةِ إِلَى أَسْفَلِهَا أَوْ هُوَ أَقْرَبُ.

قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمُرُّ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ - النحل ٧٧.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ - الأنبياء ٤٠ (١).

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (تَقُومُ السَّاعَةُ وَالرَّجُلُ يَحْلُبُ اللَّقْحَةَ، فَمَا يَصِلُ الْإِنَاءُ إِلَى فِيهِ حَتَّى تَقُومَ، وَالرَّجُلَانِ يَتَبَايَعَانِ الثَّوبَ، فَمَا يَتَبَايَعَانِهِ حَتَّى تَقُومَ، وَالرَّجُلُ يَلِطُ فِي حَوْضِهِ، فَمَا يَصْدُرُ حَتَّى تَقُومَ) (٢).

يَوْمُ تَقُومُ السَّاعَةُ لَا يَقْبَلُ إِيْمَانٌ مِنْ كَافِرٍ وَلَا مَعْدِرَةٌ

قَالَ تَعَالَى: ﴿هَلْ يُنْظَرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْظُرُوا أَنَا مُنْظَرُونَ﴾ - الأنعام ١٥٨.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعِدْرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ - الرُّوم ٥٧.

(١) وانظر الآيات: الأنعام ٣١، ويوسف ١٠٧، والحج ٥٥، والزخرف ٦٦، ومحمد ١٨.

(٢) اللَّقْحَةُ: القرية العهد بالولادة من الإبل والغنم.

يَلِطُ: يطئن ويُصْلِحُ.

وَحَدِيثُ: تَقُومُ السَّاعَةُ وَالرَّجُلُ... إلخ، في: صَحِيحُ مُسْلِمٍ في: ٥٢ كتاب الفتن، ٢٧ باب قرب الساعة، رقم ٢٩٥٤، عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ومن أنكر الساعة فهو معتد أثيم ونصيبه الخسران المبين في جهنم:

قال تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾ - الفرقان ١١.

وقال سبحانه: ﴿أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ - الشورى ١٨.

وقال عز وجل: ﴿وَبَلِّغْ يَوْمَ ذَلِكَ لِلْمُكَذِّبِينَ ۝١٠ الَّذِينَ يَكْذِبُونَ يَوْمَ الَّذِينَ ۝١١ وَمَا يَكْذِبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢﴾ - المطففين.

أشراط الساعة

أخبرنا القرآن الكريم بأن الساعة قد اقترب موعدها، في آيات عديدة، منها:

قوله تعالى: ﴿أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ - الأنبياء ١.

وقوله سبحانه: ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ - القمر ١^(١).

كما أخبرنا بأن أشراطها - أي: علاماتها - قد جاءت:

قال سبحانه: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ - محمد ١٨.

وهذا يفيد أن ما بقي من عمر العالم هو أقل مما مر.

ومن علاماتها التي أخبرنا بها القرآن الكريم: عَمْرَانُ الْأَرْضِ، والتقدم العلمي بحيث يعتقد أهلها أنهم قَادِرُونَ عَلَى التَّغْيِيرِ بِإِرَادَتِهِمْ، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَّمْ تَغْنَبْ بِالْأَمْسِ﴾ - يونس ٢٤.

(١) وانظر: الشورى ١٧، والنجم ٥٧.

وقد بين الرَّسُولُ الصَّادِقُ أَمَارَاتِ السَّاعَةِ بِأَحَادِيثٍ كَثِيرَةٍ جَدًّا مِنْهَا:

عن حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (قال: أَطْلَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَكَّرُ، فَقَالَ: مَا تَذَكَّرُونَ؟ قَالُوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ. قَالَ: إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ، فذكر: الدُّخَانُ، والدَّجَالُ، والدَّابَّةُ، وُطُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنُزُولُ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ، وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وثَلَاثَةُ خُسُوفٍ: خُسُوفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخُسُوفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخُسُوفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ: نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ، تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مُحْشَرِهِمْ).

هَذِهِ الْآيَاتُ الْعِظَامُ عَلَامَةٌ لَانْتِهَاءِ الدُّنْيَا وَانْقِضَائِهَا.

وقد وردت أَحَادِيثُ تُشِيرُ إِلَى أَنَّ مِنْ عَلَامَاتِ السَّاعَةِ:

بعثة النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ، وموته، وفتح بَيْتِ الْمَقْدِسِ، ورفع الْعِلْمِ، وَغَلَبَةُ الْجَهْلِ، واستيلاء أَهْلِهِ، وكثرة الزَّنا، وشرب الخمر، وقلة الرِّجَالِ، وكثرة النِّسَاءِ، وضياع الأمانة، وإضاعة الصلاة، وأكل الربا، وإطالة البنيان، وزخرفة المساجد، وإمارة الصبيان، ولعن آخر الأُمَّة أولها، وكثرة الْهَرَجِ (القتل)، وَنُزُولُ الْفِتَنِ كَمَوَاقِعِ الْقَطْرِ، وكثرة الْبَلَاءِ حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ فَيَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ مَكَانَ الْمَيِّتِ مِنْ كَثَرَةِ الْبَلَاءِ، وَهَلَاكُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ....

فَهَذِهِ الْعَلَامَاتُ قَدْ تَحَقَّقَ بَعْضُهَا، وَبَقِيَ الْآخَرُ فِي طَيِّ الْغَيْبِ يَكْشِفُهُ مَرُّ الدَّهْرِ وَتَتَابِعُ الْأَيَّامِ. وَإِخْبَارُهُ بِهَا دَلِيلٌ عَلَى صِدْقِ نُبُوَّتِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ^(١).

فَعَلَيْنَا أَنْ نَعْتَقِدَ وَنَصَدِّقَ بِخَبَرِ الرَّسُولِ الْأَعْظَمِ ﷺ، فَكَمَا أَنَّ بَعْضَ هَذِهِ الْعَلَامَاتِ

(١) راجع تفصيل هذه الأَشْرَاطِ وَالْأَحَادِيثِ الْوَارِدَةِ فِيهَا فِي: التَّذَكُّرَةُ لِلْقُرْطُبِيِّ، وَلَوَامِعِ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ٢.

وَحَدِيثُ: أَطْلَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا... إلخ، فِي: صَحِيحِ مُسْلِمٍ فِي: ٥٢ كِتَابِ الْفِتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ، ١٣ بَابُ فِي الْآيَاتِ الَّتِي تَكُونُ قَبْلَ السَّاعَةِ، رَقْمُ ٢٩٠١ (٣٩).

قد تحقق، فإن بقيتها ستتحقق لا مَحَالَةَ. قال القرطبي:

(قال العلماء: والحكمة في تقديم الأشرار، ودلالة الناس عليها، تنبيه الناس على رقتهم، وحثهم على الاحتياط لأنفسهم بالتوبة والإنابة، كي لا يباغتوا بالحوال بينهم وبين تدارك العوارض منهم، فينبغي للناس أن يكونوا بعد ظهور أشرار الساعة قد نظروا لأنفسهم، وانقطعوا عن الدنيا، واستعدوا للساعة الموعود بها)^(١).

أهوال الساعة

يرسم القرآن الكريم ليوم القيامة مشاهد الفظاعة، وهول المنظر، والبؤس، والشقاء، والخوف الذي يلقيه من كفر به، بصور مروعة مرهبة:

قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝ (١) يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ۝ (٢)﴾ - الحج.

وقال سبحانه: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ۝ (٢٠) وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ۝ (٢١) لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ۝ (٢٢)﴾ - ق^(٢).

والهول يشمل الأرض والسماء والحيوان والإنسان والصغار والكبار والجنة والنار، وكلها في موقف الانتظار والرهبة.

قال تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاسُ كُورَتْ ۝ (١) وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ۝ (٢) وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝ (٣) وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝ (٤) وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝ (٥) وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝ (٦) وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝ (٧) وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُيِّلَتْ ۝ (٨) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ۝ (٩) وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝ (١٠) وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ۝ (١١) وَإِذَا

(١) التذكرة للقرطبي ص ٦٢٤.

(٢) حديد: نافذ، لزوال المانع للإبصار.

الْجَحِيمِ سُعِرَتْ ﴿١٣﴾ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾ - التكوير (١).

هول ترتجف له الأرض، وتندك الجبال، وتنفطر السماء، وتتفرق الجموع، ويشيب الولدان، وكلُّ منشغل بنفسه، وهو: إما مُؤْمِنٌ مستبشر، وإما فاجر خيم عليه الذل والعبوس، يرسم ذَلِكَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ في صور حية شاخصة، تراءى للقارئ، فيتملاها، ويهتز لها الوجدان:

قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَيْبًا مَّهِيلًا﴾ - الْمُزَّمِّل ١٤.

وقال سُبْحَانَهُ: ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ ﴿١٧﴾ السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ - الْمُزَّمِّل ١٧ -

١٨.

وقال تعالى: ﴿وَسْتُلْوَكَ مِنَ الْجِبَالِ فُقُلٌ نَسْفُهُا رَبِّي نَسْفًا﴾ ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا

﴿١٠٦﴾ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ - طه.

(١) التكوير: لف ضَوْءُ الشمس، فذهب انبساطه في الأفق، وزال أثره.

انكدت: زالت وانقضت، أو أظلمت.

العشار: النُّوقُ اللاتي مضى عليّ حملهن عشرة أشهر.

عطلت: تركت مُهْمَلَةً.

حشرت: جمعت.

سجرت: فجرت حتى تصير بَحْرًا وَاحِدًا، أو تفجرت بالنار من باطن الأرض، أو تحت

شرر كهربائي شديد، كما يحدث في البراكين.

زوجت: أي قرنت النفوس بالأبدان أو كل منها بشكلها، أو بكتابها وعَمَلِهَا.

وإذا الصحف نشرت: صحف الأَعْمَالِ، فإنها تطوى عند الموت، وتشر عند الحساب.

كشطت: قلعت وأزيلت، كما يكشط الإهاب عن الذبيحة.

أُزْلِفَتْ: قربت من الْمُؤْمِنِينَ.

وقال عز وجل: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نَعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ - الأنبياء ١٠٤.

وقال عز وجل: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ۖ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ۚ﴾ - القارعة.

وقال جل وعز: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۚ وَأُمُّهُ وَأَبِيهِ ۚ وَصَاحِبِهِ وَبَنِيهِ ۚ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ۚ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفَرَةٌ ۚ ۝٣٨ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ۚ ۝٣٩ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ غَبَرَةٌ ۚ ۝٤٠ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ۚ ۝٤١ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْفَجَرَةُ ۚ﴾ - عبس.

وقال تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ۚ ۝١١ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۚ ۝١٢ وَجِئَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَنْذَكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرُ ۚ ۝١٣ يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدِمْتُ لِلْحَيَاتِ ۚ ۝١٤ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدٌ ۚ ۝١٥ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقُهُ أَحَدٌ ۚ﴾ - الفجر (١).

الصُّور

تعريفه

هو قرن كالبُوق، ينفخ فيه إسرافيل، حين يأذن الله تعالى بقيام الساعة.

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: جاء أعرابي إلى النَّبِيِّ ﷺ، فقال ما الصُّور؟ قال: قرنٌ يُنْفَخُ فيه (٢).

قال مُجَاهِد: الصُّور كالبُوق، ذكره البخاري.

(١) انظر هذه الصور وأمثالها في كتاب: مشاهد القيامة في القرآن لسيد قطب.

(٢) حديث: قرنٌ يُنْفَخُ فيه، في: سنن الترمذي في: ٣٤ كتاب صفة القيامة، ٨ باب ما جاء في شأن الصُّور، رقم ٢٤٣٠، ص ٣٩٨، وقال: حديث حسن.

عدد النفخات

اختلفوا في عدد النفخات على قولين:

القول الأول: ثلاث نفخات: وهو اختيار ابن العربي وغيره.

النفخة الأولى: وهي نفخة الفزع، وهي التي يتغير بها هذا العالم، ويفسد نظامه، فيفزع أهل السماوات والأرض لشدة هولها، فتذهل المراضع، وتشيب الولدان، وهي المشار إليها بقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيَّحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهُمِنْ فَوَاقٍ﴾ - ص ١٥. وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ - النمل ٨٧.

النفخة الثانية: وهي نفخة الصَّعَقِ، وفيها هلاك كل شيء.

قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ - الزمر ٦٨. وفسروا الصَّعَقَ بالموت.

قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (يَطْوِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ السماواتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ يَأْخُذُهَا بِيَدِهِ الْيُمْنَى، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ، أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟ ثُمَّ يَطْوِي الْأَرْضَيْنِ بِشِمَالِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ، أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ)^(١).

النفخة الثالثة: وهي نفخة البعث والنُّشُور والقيام لرب العالمين.

قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾ - يس ٥١.

وقال سُبْحَانَهُ: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ - الزمر ٦٨.

القول الثاني: نفختان. ونفخة الفزع هي نفخة الصَّعَقِ، لأنَّ الأمرين لازمان لها،

(١) حَدِيث: يَطْوِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ السماواتِ... إلخ، في: صَحِيح مُسْلِمٍ في: أول ٥٠ كتاب صفة القيامة والجنة والنار، رقم ٢٧٨٨، عن عبد الله بن عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

أي: فزعوا فزعاً ماتوا منه، وهو الذي صَحَّحَهُ الْقُرْطُبِيُّ، بدليل:

أ- حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ. قَالُوا يَا أَبَا هُرَيْرَةَ: أَرْبَعُونَ يَوْمًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ. قَالُوا: أَرْبَعُونَ شَهْرًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ. قَالُوا: أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ أَبَيْتُ...^(١).

ب- رَوَايَةُ ابْنِ الْمُبَارَكِ عَنِ الْحَسَنِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ سَنَةً، الْأُولَى: يَمِيتُ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا كُلَّ حَيٍّ، وَالْآخِرَى: يُحْيِي اللَّهُ بِهَا كُلَّ مَيِّتٍ).

ج- الاستثناء (إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ) الْوَاردُ فِي الْآيَتَيْنِ: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ - الزُّمَرُ ٦٨، ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوِّهٍ دَاخِرِينَ﴾ - النَّمْلُ ٨٧، دَالٌ عَلَى أَنَّهُمَا وَاحِدَةٌ.

قال الحَلِيمِيُّ: اتَّفَقَتِ الرِّوَايَاتُ عَلَى أَنَّ مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ عَامًا، بِدَلِيلِ الْحَدِيثِ الْمُتَقَدِّمِ.

قال الْمُفَسِّرُونَ: الْمُنَادِي هُوَ إِسْرَافِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَنْفِخُ فِي الصُّورِ^(٢).

(١) أي: أَبَيْتُ أَنْ أَجْزِمَ أَنَّ الْمُرَادَ أَرْبَعُونَ يَوْمًا أَوْ شَهْرًا أَوْ سَنَةً، بَلِ الَّذِي أَجْزَمَ أَنَّهَا أَرْبَعُونَ مُجْمَلَةٌ.

وَحَدِيثُ: مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ... إلخ، فِي: صَحِيحِ مُسْلِمٍ فِي: ٥٢ كِتَابِ الْفَتَنِ، ٢٨ بَابِ مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ، رَقْمُ ٢٩٥٥، هَذَا اللفظ.

وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ بِلَفْظٍ مُقَارِبٍ فِي: ٦٥ كِتَابِ التَّفْسِيرِ - سُورَةُ الزُّمَرِ، ٤ بَابِ ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾، رَقْمُ ٤٨١٤. وَ ٦٥ كِتَابِ التَّفْسِيرِ - سُورَةُ عَمِ يَتَسَاءَلُونَ، ١ بَابِ ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾، رَقْمُ ٤٩٣٥.

(٢) لَوَامِعُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ٢ ص ١٦١ وَمَا بَعْدَهَا، وَالتَّذَكُّرَةُ لِلْقُرْطُبِيِّ ص ١٦٥-١٨٥.

الحشر

تعريفه وأدلته

الحشر في أصل اللُّغَةِ: الجمع^(١)، يقال: حشرت الناس إذا جمعتهم. والمقصود من حشر الآخِرَةِ هو:

١- حشر الأموات من قبورهم بعد البعث جميعاً. أي: جمع أجزاء الميت بعد التفرقة^(٢)، ثم إحياء الأبدان بعد موتها. وهذا يرادف البعث والنُّشُور في المعنى.

قال تعالى: ﴿وَأَسْمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادُ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ۖ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ۚ﴾ (٤٢) إِنَّا نَحْنُ نَحْيِ، وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ (٤٣) يَوْمَ تَشَقُّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرُ عَلَيْنَا يَسِيرٌ (٤٤) - ق.

سراعاً: أي إلى المنادي صاحب الصُّور.

يسير: هين سهل.

قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بِيضَاءٍ عَفْرَاءٍ كَقُرْصَةِ النَّقِيِّ، لَيْسَ فِيهَا عِلْمٌ لِأَحَدٍ)^(٣).

وعن ابن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قام فينا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَطِيباً بموعظة فقال: (يا أيها الناس إنكم تحشرون إلى الله حُفَاءَ عُرَاةٍ غُرْلًا). ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًا

(١) القَامُوسُ الْمُحِيطُ مادة (حشر).

(٢) انظر الخلاف بين المتكلمين: هل الحشر هو إيجاد بعد فناء؟ أو جمع بعد تفرق؟ مع بَيَانِ الأدِلَّةِ فِي الْمَقَاصِدِ وشرحه للفتاوان ج ٥ ص ١٠٠-١٠٧.

(٣) حَدِيثُ: يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ... إلخ، في: صَحِيحِ مُسْلِمٍ في: ٥٠ كتاب صفات المنافقين، ٢ باب في البعث والنشور، رقم ٢٧٩٠، عن سهل بن سعد.

عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ - الأنبياء ١٠٤^(١).

٢- حشرهم إلى موقف الحساب، قال تعالى: ﴿وَحْشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نَغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ - الكهف ٤٧.

٣- حشرهم إلى الجنة والنار، قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ - مريم ٨٥، وقال سبحانه: ﴿وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ - طه ١٠٢. وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ - الفرقان ٣٤^(٢).

وقال بعضهم: إن الحشر إذا أطلق يراد به شرعاً الحشر من القبور ما لم يخصه دليل^(٣).

فإذا قيل:

إن كانت الصيحة للخروج - في الآية: ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾ - سورة ق ٤٢ - فكيف يسمعونها وهم أموات؟

أجيب: بأن نفخة الإحياء تمتد وتطول، فتكون أوائلها للإحياء وما بعدها للإزعاج من القبور، فلا يسمعون ما يكون للإحياء، ويسمعون ما كان للإزعاج.

ويحتمل: أن تتناول تلك النفخة، والناس يحيون منها أولاً فأولاً، وكلما حيا واحد سمع ما يحيي به من بعده، إلى أن يتكامل الجميع للخروج^(٤).

(١) حديث: يا أيها الناس إنكم تحشرون... إلخ، في: صحيح مسلم في: ٥١ كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، ١٤ باب فناء الدنيا وبيان الحشر، رقم ٢٨٦٠ (٥٨).

(٢) التذكرة للقرطبي ص ٢٠١ وما بعدها، ولوامع الأنوار البهية ج ٢ ص ١٥٤-١٥٥.

(٣) لوامع الأنوار البهية ج ٢ ص ١٥٥.

(٤) التذكرة للقرطبي ص ٢٠٢.

حكم الإيمان به

الإيمان به واجب، للنصوص الواردة فيه. وهذا ما هو عليه أهل السنة وجمهُور المُعْتَزِلَة^(١).

وأنكره الفلاسفة^(٢)، والمُلَحِّدَة^(٣).

الْعَرَضُ وَالْحِسَابُ

الْعَرَضُ

إذا بُعِثَ الناس من قبورهم إلى الموقف، وقاموا فيه ما شاء الله، يُعرضون على الله تعالى. قال سُبْحَانَهُ: ﴿يَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۚ ﴿١٥﴾ وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ۚ ﴿١٦﴾ وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَجْلُ عَرْشُ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَةٌ ۚ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ۚ ﴿١٨﴾﴾ - الْحَاقَّةُ.

وقال تعالى: ﴿وَعَرِّضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ﴾ - الكهف ٤٨.

وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظِلُّمُ رَبُّكَ أَحَدًا ۚ﴾ - الكهف ٤٩^(٤).

(١) شرح الجوهرة للباجوري ص ٢٧٧.

(٢) المواقف ج ٨ ص ٢٩٤.

(٣) شرح الجوهرة للباجوري السابق.

(٤) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ص ٦٠٠-٦٠١.

وعَرَضُ النَّاسِ هَذَا يَكُونُ ثَلَاثَ عَرَضَاتٍ، بَيْنَتِهَا الْأَحَادِيثُ الشَّرِيفَةُ مِنْهَا:

قوله ﷺ: (يُعَرَضُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَ عَرَضَاتٍ: فَأَمَّا عَرَضَتَانِ فَجِدَالٌ

وَمَعَاذِيرٌ، وَأَمَّا الْعَرَضَةُ الثَّلَاثَةُ فَعِنْدَ ذَلِكَ تَطِيرُ الصُّحُفُ فِي الْأَيْدِي، فَأَخِذْ بِيَمِينِهِ

ثبت بالدليل القطعي في العلم الحديث: أن الأصوات تحرك موجات الأثير، فتبقى إلى الأبد، ومن الممكن سماعها مرة أخرى. إلا أن الصَّعْبُ هنا هو التَّمْيِيزُ بين الأصوات الكثيرة، القديمة والحديثة، وإن كان هناك احتمال قَوِي جداً اختراع الأجهزة الكفيلة بالتَّمْيِيزُ بين هَذِهِ الأصوات.

وليس ذَلِكَ بَعَرِيبَ، إذ إن آلاف المحطات الإذاعية في العالم التي تذيع ليل نهار برامجها الكثيرة، والتي تمر موجاتها في الفضاء بسرعة ١٨٦ ألف ميل بالثانية، يمكن التَّمْيِيزُ بين وَاحِدَةٍ وَأُخْرَى حين يفتح المذياع ويدار مِفْتَاحُهُ عَلَى المحطة المطلوبة. كما أن تسجيل الأصوات بالأشرطة الآن عَلَى آلة التسجيل يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ مِثَالاً لما يحدث في الْآخِرَةِ.

كما أن العلم الحديث يؤكد بأن جميع أَعْمَالِنَا التي نباشرها في الضَّوءِ أو الظلمة، فرادى أو مع الناس، وحتى الأشياء سواء كانت متحركة أم جامدة، تصدر عنها (حرارة) بصفة دائمة في كل مكان وفي كل حال، وهَذِهِ الحرارة تعكس الأشكال وأبعادها تماماً. وقد تم اختراع آلات دقيقة لتصوير الموجات الحرارية التي تخرج عن أي كائن، وبالتالي تعطي هَذِهِ الآلة صورة فوتوغرافية كَامِلَةً للكائن حينما خرجت منه الموجات الحرارية. وذات ليلة حلقت طائرة مجهولة في سماء نيويورك، فصوروا الموجات الحرارية لفضاء نيويورك بهَذِهِ الآلة، وأدَّى ذَلِكَ إِلَى مَعْرِفَةِ طَرَاظِ الطائرة ونوعها.

فإذا أكد العلم الحديث تسجيل الأقوال والأفعال في الفضاء، فلا تبقى مَرِيَّةٌ لمرتاب في أمر حساب الله تعالى للناس، ونشر سجلاتهم أمامهم يوم القيامة، لينالوا جزاء ما فعلوه، فيرى حياته كقصّة مُصَوَّرَةٍ عَلَى فيلم كَامِلٍ، تتجلى فيها حركاته القلبية واللِّسَانِيَّةُ والعضوية مسجلة بآلات تصوير أوتوماتيكية سريعة عَلَى صفحة الفضاء في كل حين ليلاً أو نهاراً، قال سُبْحَانَهُ: ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ - ق ١٨، ويقول هُوَ لَاءِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمَ: ﴿يَوْمَ لَنَبْلُوَنَّ مَا لَكُمْ هَذَا أَالْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَيْنَاهَا﴾ - الكهف ٤٩. / انظر: الإسلام يتحدث ص ٨٠-٨١.

وَأَخَذُ بِشَالِهِ^(١).

فتطير الصحف في اليمين والشمال، هو المقصود بقوله تعالى: ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾ (١٣) ﴿أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ (١٤) - الإسراء.

قال ابن عباس: طائره: عمله.

وقال الحسن: يقرأ الإنسان كتابه، أمياً كان أو غير أمي.

الحساب

تعريفه

الحساب لُغَةً: العدد.

واضطلاحاً: هو توقيف الله الناس على أَعْمَالِهِمْ، خيراً كانت أو شراً، قولاً كانت أو فعلاً، تفصيلاً، بعد أخذهم كتبها^(٢).

فإذا وقف الناس على أَعْمَالِهِمْ من الصحف التي يؤتونها بعد البعث، حوسبوا بها، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ (٧) ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا سَيِّئًا﴾ (٨) - الانشقاق.

والمحاسبة تكون عند إتيان الكتب، لأن الناس إذا بعثوا لا يكونون ذاكرين لأَعْمَالِهِمْ، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَسُوءٌ﴾ - المجادلة ٦.

(١) حديث: يُعْرَضُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَ ... إلخ، في: سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ في: ٣٤ كتاب صفة القيامة، ٤ باب ما جاء في العرض، رقم ٢٤٢٥، ص ٣٩٧، عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وفي: سُنَنِ ابْنِ مَاجَةَ في: ٣٧ كتاب الزهد، ٣٣ باب ذكر البعث، رقم ٤٢٧٧، ج ٢ ص ١٤٣٠، من حديث أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ.

(٢) شرح الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ٢٨٢.

ما يُسأل عنه

وعند الحساب يُسأل العبد.

قال تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ - الإسراء ٣٦.

وقال سُبحانَه: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨) - الزلزلة، أي: يُسأل عن ذلك، ويُجازى.

قال رَسُولُ الله ﷺ: (لا تزولُ قدما عبدٍ يومَ القيامةِ حتى يُسألَ: عن عُمُرِهِ فيمَ أفناه، وعن عِلْمِهِ فيمَ فعل، وعن ماله من أين اكتسبه، وفيم أنفقهُ، وعن جسمه فيمَ أبلاه) (١).

شهادة الجوارح عليه

وحين يُسأل العبد عما اقترف في دنياه، يشهد عليه سمعه وبصره وجلده بتبكيته.

قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا مَا جَاءَهُمْ شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٠) وَقَالُوا لِمَ لُجُودُهُمْ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢١) وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَوُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ (٢٢)﴾ - فَصَّلَتْ.

وقال سُبحانَه: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ - يس ٦٥.

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ - النور ٢٤.

(١) حَدِيث: لا تزولُ قدما عبدٍ... إلخ، في: سُنَن التِّرْمِذِيِّ في: ٣٤ كتاب صفة القيامة، ١ باب في القيامة، رقم ٢٤١٧، ص ٣٩٦، عن أَبِي بَرَزَةَ الْأَسْلَمِيِّ. وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

الحكمة من الحساب

ومحاسبة الله تعالى خلقه هي إعلامهم بما لهم وما عليهم، فيؤتى السَّعْدَاءُ كتبهم بيمينهم، ويؤتى الأشقياء كتبهم بشمالهم، أو وراء ظهورهم.

قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ - آل عمران ١٠٦^(١).

وحكمته هي إظهار تفاوت المراتب في الكمال، وفصائح أهل النقص. ففيه ترغيب في الحسنات وزجر عن السيئات^(٢).

أنواع الحساب

منه، اليسير والعسير، والسر والجر، والتوبيخ والفضل والعدل. قال بعضُ العلماء: ذكر الله تعالى الحساب جُمْلَةً، وجاءت الأخبار بذلك، وفي بعضها ما يدلُّ على أن كثيراً من المؤمنين يدخلون الجنة بغير حساب، فصار الناس إذن ثلاث فِرَق: فِرقة لا يحاسبون أصلاً، وفِرقة تحاسب حساباً يسيراً، وهما من المؤمنين. وفِرقة تحاسب حساباً شديداً يكون منها مُسلم وكافر. وإذا كان من المؤمنين من يكون أدنى إلى رحمة الله، فيدخل الجنة بغير حساب، فلا يبعد أن يكون من الكافرين من يكون هو أدنى إلى غضب الله، فيدخله النار بغير حساب^(٣).

حكم الإيمان به

الإيمان بالحساب واجب. لأنه حقُّ ثبت بالكتاب والسُّنة والإجماع^(٤).

(١) التَّذْكِرَةُ لِلْقُرْطُبِيِّ ص ٢٥٣ وما بعدها، وَلَوَامِعُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ٢ ص ١٧١ و ١٨٠ و ١٨١ والغِنْيَةُ لِلشَّيْخِ عَبْدِ الْقَادِرِ ج ١ ص ٨١.

(٢) شَرْحُ الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ٢٨٣.

(٣) التَّذْكِرَةُ لِلْقُرْطُبِيِّ ص ٢٨٦. وانظر: شَرْحُ الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ٢٨٢-٢٨٣.

(٤) شَرْحُ الْجَوْهَرَةِ لِعَبْدِ السَّلَامِ ص ٢٢٧ وَشَرْحُ الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ٢٨٢.

الحَوْض

أدلته ووصفه

الحَوْض الذي يُعْطَاهُ النَّبِيُّ ﷺ في الآخِرَةِ ثَابِتٌ بِالْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ.

وَالْأَحَادِيثُ الْوَارِدَةُ فِي ذِكْرِ الْحَوْضِ وَوَصْفِهِ تَبْلُغُ حَدَّ التَّوَاتُرِ، رَوَاهَا مِنَ الصَّحَابَةِ بِضْعُ وَثَلَاثُونَ صَحَابِيًّا، اسْتَقْصَاهَا ابْنُ كَثِيرٍ فِي آخِرِ تَارِيخِهِ الْبِدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ^(١)، مِنْهَا:

عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: مَا آتِيَةُ الْحَوْضِ؟ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَبْقَى أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ وَكَوَاكِبِهَا، إِلَّا فِي اللَّيْلَةِ الْمُظْلِمَةِ الْمُصْحِحَةِ، آتِيَةُ الْجَنَّةِ مَنْ شَرِبَ مِنْهَا لَمْ يَظْمَأْ آخِرَ مَا عَلَيْهِ، يَشْخُبُ فِيهِ مِيزَابَانِ مِنَ الْجَنَّةِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ، عَرَضُهُ مِثْلُ طُولِهِ، مَا بَيْنَ عَمَّانَ إِلَى أَيْلَةَ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضاً مِنَ اللَّبَنِ وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ.

وَقَالَ ﷺ: حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ، وَمَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ الْوَرَقِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَكَيْزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَا يَظْمَأُ بَعْدَهُ أَبَداً.

وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ بَيْنَ أَظْهُرِنَا، إِذْ أَغْفَى إِغْفَاءً، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مَتَبَسِّمًا، فَقُلْنَا: مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آيَةً سَوْرَةٌ، فَقَرَأْتُ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَحْسِرْ ۝ إِنَّكَ شَانِئُكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۝﴾، ثُمَّ قَالَ: أَنْتَدِرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟ فَقُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدْنِيهِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، هُوَ حَوْضٌ تَرْدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، آتِيَةُ عَدَدُ

(١) شَرْحُ الْعَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّةِ لِابْنِ أَبِي الْعِزِّ ص ٢٧٧. وَانْظُرْ مِنْ هَذِهِ الرِّوَايَاتِ فِي: شَرْحُ أَصُولِ اعْتِقَادِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ ج ٥ ص ٤٢٢ وَمَا بَعْدَهَا.

النجوم، فَيُخْتَلَجُ الْعَبْدُ مِنْهُمْ، فَأَقُول: رَبِّ، إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي. فيقول: ما تدري ما أحدثتُ بعدك^(١).

والذي يُؤْخَذُ مِنَ الْأَحَادِيثِ الْوَارِدَةِ فِي صِفَةِ الْحَوْضِ: أَنَّهُ حَوْضٌ عَظِيمٌ، وَمَوْرد كَرِيمٌ، يَمْدُ مِنْ شَرَابِ الْجَنَّةِ مِنْ نَهْرِ الْكَوْثَرِ، الَّذِي هُوَ أَشَدُّ بَيَاضاً مِنَ اللَّبَنِ، وَأَبْرَدُ مِنَ الثَّلْجِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، وَأَطْيَبُ رِيحاً مِنَ الْمِسْكِ، وَهُوَ فِي غَايَةِ الْإِتْسَاعِ، عَرْضُهُ وَطَوْلُهُ سَوَاءٌ^(٢).

أما ثُبُوتُهُ بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي سُورَةِ الْكَوْثَرِ فَهُوَ احْتِمَالٌ وَلَيْسَ بِصَرِيحٍ، لِأَنَّ الْعُلَمَاءَ اختلفوا فِي تَفْسِيرِ الْكَوْثَرِ، هَلْ هُوَ الْحَوْضُ، أَوِ الْخَيْرُ الْكَثِيرُ، أَوِ النَّهْرُ الَّذِي فِي الْجَنَّةِ^(٣)؟

من يطرد عن الحوض

قال النَّبِيُّ ﷺ: لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِي الْحَوْضِ، حَتَّى إِذَا عَرَفْتَهُمْ، اخْتَلَجُوا دُونِي، فَأَقُول: أَصْحَابِي؟ فيقول: لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ.

(١) التَّذَكُّرَةُ لِلْقُرْطُبِيِّ ص ٣٠٣-٣٠٤ وَشَرْحُ الْعَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّةِ لابن أبي العزّ ص ٢٧٩.
حَدِيثٌ: وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا نَبِيَّتُهُ... إلخ، فِي: صَحِيحِ مُسْلِمٍ فِي: ٤٣ كِتَابِ الْفَضَائِلِ، ٩ بَابِ إِثْبَاتِ حَوْضِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ وَصِفَاتِهِ، رَقْم ٢٣٠٠.

وَحَدِيثٌ: حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ... إلخ، فِي: صَحِيحِ مُسْلِمٍ فِي: ٤٣ كِتَابِ الْفَضَائِلِ، ٩ بَابِ إِثْبَاتِ حَوْضِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ وَصِفَاتِهِ، رَقْم ٢٢٩٢، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وَحَدِيثٌ: بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ... إلخ، فِي: صَحِيحِ مُسْلِمٍ فِي: ٤ كِتَابِ الصَّلَاةِ، ١٤ بَابِ حُجَّةٍ مِنْ قَالَ: الْبِسْمَلَةُ آيَةٌ مِنْ كُلِّ سُورَةٍ، سَوَى بَرَاءَةٍ، رَقْم ٤٠٠.

(٢) شَرْحُ الْعَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّةِ لابن أبي العزّ ص ٢٨٠.

(٣) انظر الأقوال العديدة فِي الْمُرَادِ بِالْكَوْثَرِ فِي: تَفْسِيرِ الْقُرْطُبِيِّ ج ١٠ ص ٧٣٠٦-٧٣٠٨.

وقال ﷺ: (إِنِّي عَلَى الْحَوْضِ حَتَّى أَنْظَرَ مَنْ يَرِدُ عَلَيَّ مِنْكُمْ، وَسَيُؤْخَذُ أَنْاسٌ دُونِي، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ مِنِّي وَمِنْ أُمَّتِي، فيقال: أَمَا شَعَرْتَ مَا عَمَلُوا بِعَدِّكَ؟ وَاللَّهِ مَا بَرَحُوا بِعَدِّكَ يَرَجِعُونَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ).

قال الْعُلَمَاءُ: فكل من ارتد عن دين الله، أو أحدث فيه ما لا يرضاه، ولم يأذن به الله، فهو من المطرودين عن الحوض المبعدين عنه^(١).

حكم الإيمان به

الإيمان بالحوض واجب، فيثاب عليه من صدق به، ويبدع ويفسق جاحده. وهو مَذْهَبُ الْجُمْهُور. لما مر من الْأَحَادِيثِ الصَّرِيحَةِ بِإِثْبَاتِهِ.

وفي ذَلِكَ رد على الْمُعْتَزِلَةِ الَّذِينَ نَفَوْهُ^(٢).

(١) التَّذَكُّرَةُ لِلْقُرْطُبِيِّ ص ٣٠٦ وَلَوَامِعُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ٢ ص ٢٠٠ وَشَرْحُ الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ٣٠٤.

حَدِيثٌ: لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ نَاسٌ... إلخ، في: صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ في: ٨١ كتاب الرِّقَاق، ٥٣ باب في الحوض، رقم ٦٥٨٢، عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَالْحَدِيثُ بِلَفْظٍ آخَرٍ في: صَحِيحُ مُسْلِمٍ في: ٤٣ كتاب الْفَضَائِلِ، ٩ باب إِبْثَاتِ حَوْضِ نَبِيِّنَا ﷺ وَصِفَاتِهِ، رقم ٢٣٠٣، عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ.

اخْتَلِجُوا: اقْتَطِعُوا.

وَحَدِيثٌ: إِنِّي عَلَى الْحَوْضِ حَتَّى أَنْظَرَ... إلخ، في: صَحِيحُ مُسْلِمٍ في: ٤٣ كتاب الْفَضَائِلِ، ٩ باب إِبْثَاتِ حَوْضِ نَبِيِّنَا ﷺ وَصِفَاتِهِ، رقم ٢٢٩٣، عن أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) شَرْحُ الْجَوْهَرَةِ لِعَبْدِ السَّلَامِ ص ٢٤٠ وَشَرْحُ الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ٣٠٢. وَالْقَوْلُ بِأَنَّ الْحَوْضَ حَقٌّ في: أَوْسُولُ الدِّينِ لِلْغَزْنَويِّ ص ٢٢٨ وَمَشَارِقُ أَنْوَارِ الْعُقُولِ ج ٢ ص ١٢١. وَقَوْلُ الْمُعْتَزِلَةِ في إنْكَارِ الْحَوْضِ في: الْإِبَانَةُ لِلأَشْعَرِيِّ ص ٢٤٥ وَرَدَّهُ.

المِيزَان

تعريفه

الوزن في أصل اللُّغَةِ: مَعْرِفَةُ كَمِيَّةٍ بِأُخْرَى عَلَى وَجْهِ مَخْصُوصٍ^(١). والمِيزَان في اللُّغَةِ: معروف.

وفي الاصطِلَاح هو: أن الله تعالى ينصب مِيزَانًا، وله لِسَانٌ وَكِفَّتَانِ يوم القيامة، توزن به أَعْمَالُ الْعِبَادِ خَيْرُهَا وَشَرُّهَا. وَهَذَا قول الْجُمْهُور. لظَاهِرِ الْأَحَادِيثِ الْوَارِدَةِ فِي ذَلِكَ، كَمَا سَيَأْتِي.

قال الْعُلَمَاءُ: إِذَا انْقَضَى الْحِسَابُ كَانَ بَعْدَهُ وَزْنُ الْأَعْمَالِ، لِأَنَّ الْوِزْنَ لِلْجِزَاءِ فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ بَعْدَ الْمَحَاسِبَةِ، فَإِنَّ الْمَحَاسِبَةَ لَتَقْدِيرُ الْأَعْمَالِ، وَالْوِزْنَ لِإِظْهَارِ مَقَادِيرِهَا، لِيَكُونَ الْجِزَاءُ بِحَسَبِهَا.

ودليل ثُبُوتِ الْمِيزَانِ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ:

قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ - الْأَنْبِيَاءُ ٤٧.

وقوله سُبْحَانَهُ: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ ⑥ ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ ⑦ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ، ﴿فَأَمُّهُ هَكَوِيَةٌ﴾ ⑧ - الْقَارِعَةُ.

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ - الْأَعْرَافُ ٩.

ومن السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ الصَّحِيحَةِ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ^(٢)، سَيَأْتِي بَعْضُهَا.

(١) شَرْحُ الْجَوْهَرَةِ لِعَبْدِ السَّلَامِ ص ٢٣٤.

(٢) التَّذَكُّرَةُ لِلْقُرْطُبِيِّ ص ٣٠٩ وَلَوَامِعُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ٢ ص ١٨٤ نَقْلًا عَنِ التَّذَكُّرَةِ، وَشَرْحُ الْعَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّةِ لَابْنِ أَبِي الْعِزِّ ص ٦٠٩ وَمَا بَعْدَهَا.

الموزون

اختلف العلَماء في ما يوزن تَبَعاً لاختلاف الأحاديث الواردة فيه على أقوال:

القول الأول: صحف الأعمال. وهو ما صحَّحه القُرْطُبِيُّ وابن عبد البرّ، وصَوَّبه الشيخ مَرْعِيّ، وذهب إليه جُمهُور من المُفسِّرين، بدليل:

أ- قوله ﷺ: **إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُنْشَرُ عَلَيْهِ تِسْعَةٌ وَتَسْعِينَ سِجِلًّا، كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتَنْكَرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظْلَمَكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ؟** فيقول: لا يا رب. فيقول: **أَفَلَاكَ عُذْرٌ؟** فيقول: لا يا رب. فيقول: **بَلَى إِنْ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةٌ، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ. فَتُخْرَجُ لَهُ بِطَاقَةٌ، فِيهَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ،** فيقول: **أَحْضِرْ وَزَنَّاكَ،** فيقول يا رب ما هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السَّجِّلاتِ؟ فقال: **إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ.** قال: فتوضع السَّجِّلاتُ فِي كِفَّةٍ، وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتِ السَّجِّلاتُ، وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ.

ب- **إِنَّ الرَّسُولَ ﷺ سئل عما يوزن يوم القيامة. فقال: الصُّحُفُ^(١).**

(١) **لَوَامِعُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ٢ ص ١٨٧.**

حَدِيث: **إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا... إلخ،** فِي: **سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ** فِي: ٣٧ كتاب الإيمان، ١٧ باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله، رقم ٢٦٣٩، ص ٤٢٨، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وقال: **حَسَنٌ غَرِيبٌ.**

وَأَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَةَ فِي سُنَنِهِ فِي: ٣٧ كتاب الزهد، ٣٥ باب ما يُرَجَى مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، رقم ٤٣٠٠، ج ٢ ص ١٤٣٧ عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وقال فِي أَوَّلِ الْحَدِيثِ: (يصاح برجل من أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ). وقال الشَّيْخُ شُعَيْبٌ فِي تَحْقِيقِهِ سُنَنِ ابْنِ مَاجَةَ ج ٥ ص ٣٥٦: **إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ.**

ورواه ابن حَبَّانَ فِي صَحِيحِهِ وَالْحَاكِمُ وَالْبَيْهَقِيُّ، وقال الْحَاكِمُ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ. / **لَوَامِعُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ٢ ص ١٨٧.**

ج- قال ابن عُمر: توزن صحائف الأَعْمَال^(١).

القول الثاني: العامل. بدليل:

أ- حَدِيثُ الْبِطَاقَةِ السَّابِقِ الْوَارد بلفظ آخر: توضع الموازين يوم القيامة، فيؤتى بالرجل فيوضع في كِفَّةٍ... الْحَدِيث.

ب- قوله: إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، وقال: اقْرؤوا: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا﴾ - الكهف ١٠٥.

ج- عن ابن مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَجْتَنِي سِوَاكَاً مِنَ الْأَرَاكِ، وَكَانَ دَقِيقَ السَّاقَيْنِ، فَجَعَلَتِ الرِّيحُ تَكْفُوهُ، فَضَحِكَ الْقَوْمُ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مِمَّ تَضْحَكُونَ؟ قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، مِنْ دَقَّةِ سَاقَيْهِ. فَقَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أَحَدٍ^(٢).

قال مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى: الْبِطَاقَةُ: الرُّفْعَةُ، وَأَهْلُ مِصْرَ يَقُولُونَ لِلرُّفْعَةِ: بِطَاقَةٌ. / سَنَّ ابْنُ مَاجَةَ السَّابِقَ، وَالتَّذَكُّرَةُ لِلْقُرْطُبِيِّ.

وَحَدِيثُ: سئل عما يوزن... إلخ، ذكره الفخر الرازي وغيره، وحكاه ابن عَطِيَّةَ عَنْ أَبِي الْمَعَالِي. / لَوَامِعُ الْأَثْوَارِ الْبَهِيَّةِ السَّابِقِ.

(١) التَّذَكُّرَةُ لِلْقُرْطُبِيِّ ص ٣١٣.

(٢) شَرْحُ الْعَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّةِ لابن أبي العزّ ص ٦١٠.

حَدِيثُ: إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ... إلخ، في: صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ في: ٦٥ كتاب التَّفْسِيرِ، ٦ باب ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ - الكهف ١٠٥، رقم ٤٧٢٩، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وهو في صَحِيحِ مُسْلِمٍ في: ٥٠ كتاب المنافقين، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، رقم ٢٧٨٥، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَحَدِيثُ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَجْتَنِي سِوَاكَاً... إلخ، في: مُسْنَدُ الْإِمَامِ أَحْمَد ج ١ ص ٤٢٠-٤٢١. وهو حَدِيثٌ حَسَنٌ. انظر تَخْرِيجَهُ فِي هَامِشِ ص ٦١١ مِنْ شَرْحِ الْعَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّةِ الْمَذْكُورِ.

القول الثالث: الأَعْمَالُ. بدليل:

أ- قوله ﷺ: الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، والحمدُ لله تَمَلُّؤُ الْمِيزَانِ.

ب- قوله ﷺ: كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ^(١).

(١) شَرْحُ الْعَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّةِ لابن أبي العزِّ ص ٦١١ وشرح الجوهرة للباجوري ص ٢٩٢ وفيهما الأقوال الثلاثة. وذكر القولين الأول والثالث الغزنوي في أصول الدين ص ٢٢٧. وقال الباقلاني في الإنصاف ص ٥٢: الموزون في الميزان هو صحائف الأعمال.

حديث: الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ... إلخ، في: صحيح مسلم في: ٢ كتاب الطهارة، ١ باب فضل الوضوء، رقم ٢٢٣، عن أبي مالك الأشعري.

وحدّث: كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ... إلخ، في: صحيح البخاري في: ٨٣ كتاب الأيمان والندور، ١٩ باب إذا قال والله لا أتكلم اليوم فصل...، رقم ٦٦٨٢، بهذا اللفظ. وفيه حدّيثان مقاربان باللفظ في: ٨٠ كتاب الدَّعَوَات، ٦٥ باب فضل التسبيح، رقم ٦٤٠٦. و٩٧ كتاب التَّوْحِيد، ٥٨ باب قول الله تعالى: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ ﴾ - الأنبياء ٤٧، رقم ٧٥٦٣. وكلها عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وفي صحيح مسلم في: ٤٨ كتاب الذِّكْر والدعاء، ١٠ باب فضل التهليل والتسبيح...، رقم ٢٦٩٤، بهذا اللفظ، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وسنن الترمذي في: ٤٤ كتاب الدَّعَوَات، ٥٩ باب، رقم ٣٤٦٧، ص ٥٤٧. وهو في عَارِضَةِ الْأَحْوَذِيِّ ج ١٣ ص ١٦.

وسنن ابن ماجة في: ٣٣ كتاب الأدب، ٥٦ باب فضل التسبيح، رقم ٣٨٠٦، ج ٢ ص ١٢٥١ عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال الشيخ شعيب في تحقيقه سنن ابن ماجة ج ٤ ص ٧١٥: إسناده صحيح.

ومُسْنَدُ أَحْمَد ج ٢ ص ٢٣٢.

وانظر الحديث مُخَرَّجاً مشروحاً في كتابي: الكَمَالُ بنُ الْهُمَامِ وَتَحْقِيقُ رِسَالَتِهِ: إعراب قوله ﷺ: كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ....

الحكمة من المِيزَان

هي إظهار العدل وبيان الفضل، حيث إنه يزن مثاقيل الذر من خير وشر^(١)، فهو علامة لأهل السعادة والشقاوة، وبه يعرف العباد ما لهم وما عليهم من الخير والشر، فتقام الحجة عليهم^(٢).

كيفية الوزن

ويكون بمقابلة الحسنات بالسيئات، كل في كفة^(٣)، في قول الجمهور.

لمن يكون الوزن؟

توزن أعمال من خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً من المؤمنين، لينال كل جزاءه. وتوزن أعمال المؤمنين المتقين لإظهار فضلهم.

أما السبعون ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب - كما ورد في الحديث - فلا ترفع لهم ميزان. ولا يأخذون صحفاً، وإنما هي براءات مكتوبة: لا إله إلا الله محمد رسول الله، هذه براءة فلان بن فلان، قد غفر له، وسعد سعادة لا يشقى بعدها.

وتوزن أعمال الكافرين، إظهاراً لخزيهم وذلمهم، وتبكيّاً على خلوهم من كل خير^(٤).

(١) لَوَاعِجُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ٢ ص ١٨٨. وانظر: شَرْحُ الْعَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّةِ لابن أبي العزّ ص ٦١٣.

(٢) شَرْحُ الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ٢٩٣.

(٣) التَّذَكُّرَةُ لِلْقُرْطُبِيِّ ص ٣١٢.

(٤) التَّذَكُّرَةُ لِلْقُرْطُبِيِّ ص ٣١١ و ٣١٥.

حكم الإيمان به

الإيمان بالمِيزَان واجب، وهو قول الجُمهُور، لثبُوتِه بالكتاب والسُّنة كما تقدم^(١).

وأنكر المِيزَان جَهْم بن صَفْوَان^(٢)، والمُعْتَزِلَة والإبَاضِيَّة والمُرْجِيَّة والخَوَارِج، وزعموا أن المِيزَان هو العَدْل، لأن الأَعْمَال عندهم هي أعراض، والأعراض يستحيل وزنها، إذ لا تقوم بنفسها^(٣)، ولا توصف بالخفة والثقَل.

وجوابه هو:

أنَّ جسم الإنسان وغيره من الجَوَاهِر على الأرض له وزن معين، وذلك بتأثير الجاذبية الأرضية، ولكن حين يفصل عن جاذبية الأرض ينعدم وزنه، فالجسم في القمر مثلاً ليس له وزن وفي الأرض له وزنه. كذلك الأَعْمَال وهي أعراض في الدنيا لا وزن لها، لكن لا مانع من أن تقلب في الحياة الآخرة أجساماً فتوزن. يؤيد هذا:

أ- ما روي عن ابن عَبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن الله تعالى يقلب الأعراض أجساماً، فيزنها يوم القيامة.

(١) شَرْح الجَوْهَرَة لعبد السَّلَام ص ٢٣٣-٢٣٤. وانظر: أُصُول الدِّين للغَزَنَوِيِّ ص ٢٢٧ وفيه: المِيزَان ذو الكفتين حَقٌّ.

(٢) التَّنْبِيْه والردّ ص ١١٠.

(٣) رِسَالَة فِي التَّوْحِيد لِلطَّائِي ص ١١٤. وَذَكَرَ فِي: مَشَارِقُ أَنْوَارِ الْعُقُول ج ٢ ص ١٢٥ قول الإبَاضِيَّة والجُمهُور المُعْتَزِلَة. وذكر الشيخ عبد القَادِر فِي الْغَنِيَّة ج ١ ص ٨١ قول المُعْتَزِلَة والمُرْجِيَّة والخَوَارِج وَرَدَّ عَلَيْهِمْ. وَذَكَرَ فِي الْمَوَاقِف ج ٨ ص ٣٢١: (أنكره المُعْتَزِلَة عن آخرهم). وفي شَرْح الْمَقَاصِد لِلتَّفْتَازَانِي ج ٥ ص ١٢٠: (وأنكره بعض المُعْتَزِلَة). وفي بَحْر الْكَلَام ص ١٥٠: (قالت المُعْتَزِلَة: لا مِيزَان ولا حِسَاب ولا صِرَاط ولا حَوْض ولا شَفَاعَة... وَكُلُّ مَوْضِع ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ الْمِيزَان وَالْحِسَاب أَرَادَ بِهِ الْعَدْل).

ب- قوله ﷺ: (يُوتَىٰ بِالْمَوْتِ كِبْشًا أَغْثَرُ، فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيَقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيُشْرَبُونَ وَيَنْظُرُونَ. وَيَقَالُ لِأَهْلِ النَّارِ، فَيُشْرَبُونَ وَيَنْظُرُونَ، وَيُرَوْنَ أَنَّ قَدْ جَاءَ الْفَرَجَ، فَيَذْبَحُ فَيَقَالُ: خَلُودًا لَا مَوْتَ) ^(١).

فالموت، وهو عَرَضٌ فِي الدُّنْيَا، يُقَلِّبُ جِسْمًا فِي الْآخِرَةِ وَيُذْبَحُ، فَكَذَلِكَ الْأَعْمَالُ.

الصَّرَاطُ

تعريفه

الصراطُ لُغَةً: الطريق الواضح. من سَرَطَ الشَّيْءَ إِذَا ابْتَلَعَهُ (بالصاد والسين)، لأنه يبتلع المارة. ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ - الأنعام ١٥٣.

واضْطِلَاحًا: هو جسر ممدود على ظهر جهنم، يعبر عليه جميع الخلائق، المؤمن وغير المؤمن ^(٢)، فهو قنطرة جهنم بين الجنة والنار ^(٣).

وَأَدِلَّةٌ تُبَيِّنُ الصَّرَاطَ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ آيَاتٌ مِنْهَا:

أ- ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ﴾ - يس ٦٦.

(١) التَّذَكُّرَةُ لِلْقُرْطُبِيِّ ص ٣١٣ والمَوَاقِفُ وشرحه ج ٨ ص ٣٢١.

وحديث: يُوتَىٰ بِالْمَوْتِ كِبْشًا... إلخ، في: مُسْنَدُ أَحْمَد ج ٢ ص ٤٢٣، عن أَبِي هُرَيْرَةَ. أَغْثَرُ: كثير الصوف.

اشْرَابَ الرَّجُلُ: مَدَّ عُنُقَهُ لِيَنْظُرَ.

(٢) المَوَاقِفُ وشرحه للسَّيِّدِ الشَّرِيف ج ٨ ص ٣٢١. وانظر: شَرْحُ الْمَقَاصِدِ لِلتَّفْتَّازَانِيِّ ج ٥ ص ١٢٠ وَلَوَاعِجُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ٢ ص ١٨٩ وَشَرْحُ الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ٢٩٤.

(٣) لَوَاعِجُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ السَّابِقِ.

ب- ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ۖ﴾ (٧١) ثُمَّ نَجَّى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًّا ۖ ﴿٧٢﴾ - مريم، أي: واردو النار.

وبأحاديث كثيرة منها قوله ﷺ: (ثم يُضْرَبُ الجِسْرُ على جهنم، وتَحُلُّ الشفاعة، ويقولون اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ. قيل: يا رَسُولَ اللَّهِ، وما الجِسْرُ؟ قال: دَحْضُ مَزَلَّةٍ، فيه خَطَاطِيفٌ وَكَلَالِيبٌ وَحَسَكٌ، تكونُ بَنَجْدٍ فيها شُوبِكَةٌ، يقال لها السَّعْدَانُ، فيَمُرُّ الْمُؤْمِنُونَ كَطَرَفِ الْعَيْنِ، وَكَالْبَرْقِ، وَكَالرَّيْحِ، وَكَالطَّيْرِ، وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرَّكَّابِ، فَنَاجٍ مُسَلِّمٌ، وَمَخْدُوشٌ مُرْسَلٌ، وَمَكْدُوشٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ) (١).

وحين يمر المؤمنون على الصراط يُعْطَوْنَ نورهم على قَدَرِ أَعْمَالِهِمْ، فمنهم من يُعْطَى نورُهُ مِثْلَ الْجَبَلِ بَيْنَ يَدَيْهِ، ومنهم فوق ذَلِكَ، ومنهم دونه، كما أشار إلى ذَلِكَ الْحَدِيثُ الَّذِي رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ (٢).

وصف الصراط

قال أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: بَلَغَنِي أَنَّ الْجِسْرَ أَدْقُ مِنَ الشَّعْرَةِ، وَأَحَدٌ مِنَ السَّيْفِ (٣).

وذهب بعض المتكلمين كالقَرَفِيِّ وَالْعَزَّ بْنَ عَبْدِ السَّلَامِ إِلَى تَأْوِيلِ هَذَا الْوَصْفِ،

(١) التَّذَكُّرَةُ لِلْقُرْطُبِيِّ ص ٣٣١.

وَحَدِيثٌ: ثُمَّ يُضْرَبُ الْجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ... إلخ، في: صَحِيحُ مُسْلِمٍ في: ١ كتاب الإيمان، ٨١ باب مَعْرِفَةِ طَرِيقِ الرُّؤْيَةِ، رَقْم ١٨٣، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ.

(٢) شَرْحُ الْعَقِيدَةِ الطَّحَاوِيِّ لَابْنِ أَبِي الْعِزِّ ص ٦٠٥، وَفِيهِ حَدِيثُ الْبَيْهَقِيِّ بِسَنَدِهِ عَنْ مَسْرُوقٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، وَانْظُرْ تَخْرِيجَهُ فِي هَامِشِ ص ٦٠٦.

(٣) التَّذَكُّرَةُ لِلْقُرْطُبِيِّ ص ٣٣١.

وَحَدِيثٌ: بَلَغَنِي أَنَّ الْجِسْرَ... إلخ، في: صَحِيحُ مُسْلِمٍ في: ١ كتاب الإيمان، ٨١ باب مَعْرِفَةِ طَرِيقِ الرُّؤْيَةِ، رَقْم ١٨٣.

فقالوا:

أ- إنه راجع إلى يسره وعسره على قدر الطاعات والمعاصي، ولا يعلم حدود ذلك إلا الله تعالى، وقد جرت العادة بضرب دقة الشَّعَر مثلاً للغامض الخفي، وضرب حدِّ السَّيْف لإسراع الملائكة في المضي، لامثال أمر الله وإجازة الناس عليه.

ب- وهذا الوصف مدفوع بما وصف من أن الملائكة يقومون بجنيبه، وأن فيه كلاليب وحسكاً، أي: أن من يمر عليه يقع على بطنه، ومنهم من يزل ثم يقوم. وفي ذلك إشارة إلى أن للمارين عليه مواطئ للأقدام، ودقة الشَّعَر لا يحتمل هذا كله.

وقال القَرَفِيُّ تَبَعاً لِلْبَيْهَقِيِّ: (كون الصراط أدق من الشَّعَر، وأحد من السَّيْف، لم أجده في الروايات الصَّحِيحَة، وإنما يُرَوَّى عن بعض الصَّحَابَة)^(١).

وردَّ هَذَا القول الإمام القُرْطُبِيُّ فقال: وهذا مردود بما ورد من الأخبار، وأن الإيمان يجب بذلك، وأن القَادِر على إمساك الطير في الهواء قَادِر على أن يمسك عليه المؤمن، فيجريه أو يمشيه. ولا يعدل عن الحقيقة إلى المجاز إلا عند الاستحالة، ولا استحالة في ذلك للأثار الوَارِدَة في ذلك، وبيَّانها بنقل الأئمة العدول، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور^(٢).

الصراط صراطان

ذكر العلماء أن في الآخِرَة صراطين:

الأول: مجاز لأهل الحشر كلهم، ثقلهم وخفيفهم، إلا من دخل الجنة بغير حساب، أو من يلتقطه عنق النار، ولا يخلص منه المؤمنون الذين علم الله منهم أن القصاص لا يستنفد حسناتهم، فيحبسون على صراط آخر ثانٍ، بين الجنة والنار، ولا يرجع إلى النار

(١) التَّذْكِرَة لِلْقُرْطُبِيِّ ص ٣٣٣ ولَوَاعِي الْأَنْوَارِ الْبَيْهَقِيَّةِ ج ٢ ص ١٩٣.

(٢) التَّذْكِرَة لِلْقُرْطُبِيِّ السَّابِق، وَلَوَاعِي الْأَنْوَارِ الْبَيْهَقِيَّةِ ج ٢ ص ١٩٤ نَقْلاً عَنِ التَّذْكِرَة. وانظر:

المَقَاصِدُ وَشَرْحُهُ ج ٥ ص ١٢٠ وإحياء عُلُومِ الدِّينِ ج ١ ص ١٢٠.

من هُوَ لَا أَحَدَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، لَأَنَّهُمْ قَدْ عَبَرُوا الصِّرَاطَ الْأَوَّلَ، الْمَضْرُوبَ عَلَى مَتْنِ جَهَنَّمَ، الَّذِي يَسْقُطُ فِيهَا مِنْ أَوْبَقِهِ ذَنْبُهُ، وَأَرْبَى عَلَى الْحَسَنَاتِ بِالْقِصَاصِ جُزْمُهُ.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (يَخْلُصُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، فَيُحْبَسُونَ عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ فَيُقَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ. مَطَالُمُ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا هُدُّوا وَنُقُوا أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا أَحَدُهُمْ أَهْدَى بِمَنْزِلِهِ فِي الْجَنَّةِ مِنْهُ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا).

ذَكَرَ الدَّارَقُطْنِيُّ حَدِيثًا ذَكَرَ فِيهِ: أَنَّ الْجَنَّةَ بَعْدَ الصِّرَاطِ.

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: وَلَعَلَّهُ بَعْدَ الْقَنْطَرَةِ، بِدَلِيلِ حَدِيثِ الْبُخَارِيِّ^(١).

الحكمة من المرور على الصراط

هِيَ ظُهُورُ النِّجَاةِ مِنَ النَّارِ، وَتَحَسُّرُ الْكَفَّارِ مِنْ فَوْزِ الْمُؤْمِنِينَ بَعْدَ اشْتِرَاكِهِمْ مَعَهُمْ فِي الْمُرُورِ^(٢).

حكم الإيمان به

الْإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ عِنْدَ الْجُمْهُورِ، لَمَّا تَقَدَّمَ مِنَ الْأَدِلَّةِ الصَّرِيحَةِ^(٣). وَوَافَقَهُمْ بَعْضُ

(١) التَّذَكُّرَةُ لِلْقُرْطُبِيِّ ص ٣٣٨-٣٣٩ وَلَوَائِعُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ٢ ص ١٨٩.

وَحَدِيثُ: يَخْلُصُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ... إلخ، فِي: صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ فِي: ٨١ كِتَابُ الرَّقَاقِ، ٤٨ بَابُ الْقِصَاصِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، رَقْمُ ٦٥٣٥، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، بِهَذَا اللَّفْظِ. وَانْظُرْهُ بِلَفْظِ مِقَابَرٍ فِي: ٤٦ كِتَابُ الْمَظَالِمِ وَالْغَضَبِ، ١ (أ) بَابُ قِصَاصِ الْمَظَالِمِ، رَقْمُ ٢٤٤٠، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنَّهُ.

(٢) شَرْحُ الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ٢٩٥.

(٣) شَرْحُ الْجَوْهَرَةِ لِعَبْدِ السَّلَامِ ص ٢٣٥.

الْمُعْتَزِلَةُ^(١)، وبعضُ الإباضِيَّةِ^(٢).

وأنكره أكثرُ الْمُعْتَزِلَةِ^(٣)، وفريقٌ من الإباضِيَّةِ فقالوا: إِنَّ الصِّرَاطَ هو الحقُّ المشروع وأنَّ أصنافَ السَّالِكِينَ فِيهِ تَمَثِيلٌ لِرُتَبِ الْمُكَلَّفِينَ^(٤).

الجنة والنار

تقدم أن الإنسان يبعث من القبر بعثاً جَسَماً - بروحه وجسده - فيتنعم المؤمن، ويتعذب الكافر، فيشهد مشاهد القيامة، حتى ينتهي إلى مكان عقابه أو ثوابه الأخير، وهو الجنة أو النار.

وقد صورتها نصوص القرآن الكريم والسُّنَّة النبوية المطهرة، بما يقطع أن لهما كياناً مادياً محسوساً، لكن صورة ذلك الكيان مقربة إلى تفكير الإنسان في الحياة الدنيا على سبيل المثال، ليعلم مدى العذاب أو اللذة الجسدية والروحية فيها، وإلا فإن الجنة والنار أوسع وأكبر مما يتصوره عقل الإنسان في حياته الدنيا، بدليل:

قوله ﷺ: (يقولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، ذُخْرًا، بَلْهَ (أي: غير أو دَع) مَا أَطْلَعَكُمْ اللهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَرَأَ ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ - السجدة ١٧)^(٥).

(١) تردّد قول الجُبَّائِي فِيهِ، فنفاه تارةً وأثبتته أخرى. وذهب أبو الهذيل وبشر بن المعتز إلى جوازه دون الحكم بوقوعه. / المواقف وشرحه للسيد الشريف ج ٨ ص ٣٢١.

(٢) ذهب بعضُ الإباضِيَّةِ مثل: هود بن محكم، وإسماعيل في القناطر، والقُطْب في الهميان وجامع الشمل، إلى ما ذهب إليه الأشاعرة، أن الصراط جسر ممدود على متن جهنم.... / مشارق أنوار العقول ج ٢ ص ١٢٨.

(٣) المواقف ج ٨ ص ٣٢١.

(٤) مشارق أنوار العقول ج ٢ ص ١٢٨.

(٥) حديث: يقولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ... إلخ، في: صحيح مسلم في: بداية ٥١ كتاب الجنة، رقم ٢٨٢٤ (٤)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وقوله ﷺ: (يُنَادِي مُنَادٍ: إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصْحُوا فَلَا تَسْقَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيُوا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشَبُّوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلَا تَبْأْسُوا أَبَدًا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَنُودُوا أَنْ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ - الأعراف (٤٣) (١).

وهنا أُبين ما ذكره القرآن الكريم خاصةً من أوصافٍ لهما ولأهلها، ترغيباً بالجنة ونعيمها، وترهيباً من النار وفضاعة عذابها.

النار

أهل النار

أعد الله سبحانه وتعالى النار، عقاباً للذين لم يعملوا بما أمر الله تعالى، ولم ينتهوا عما نهى عنه في الحياة الدنيا، وقد وصفهم القرآن الكريم بأوصافٍ هي:

١ - الكافرون:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا﴾ - النساء ٥٦.

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ - الأنفال ٣٦ (٢).

٢ - المكذبون بآيات الله المتكبرون عن سماعها:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ - الأعراف ٤٠.

(١) حديث: يُنَادِي مُنَادٍ: إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصْحُوا... إلخ، في: صحيح مسلم في: ٥١ كتاب الجنة، ٨

باب في دوام نعيم أهل الجنة، رقم ٢٨٣٧، عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) وانظر أيضاً: البقرة ٢٤ وآل عمران ١٣١ والمائدة ١٠ والأنعام ٧٠ ويونس ٤ والإسراء ٨

والكهف ١٠٢ والحج ٧٢ والعنكبوت ٦٨ والأحزاب ٦٤ وفاطر ٣٦ والزمر ٧١ وغافر ٦ والملك

٦ والبيئة ٦.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ - غافر ٦٠^(١).

٣- المنافقون:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ - النساء ١٤٥.
وقال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ﴾ - التوبة ٦٨.

٤- المجرمون:

قال تعالى: ﴿وَسَوْفَ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِدًا﴾ - مريم ٨٦.
وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ - الزخرف ٧٤^(٢).
٥- الغاؤون:

قال تعالى: ﴿وَبُرِزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾ - الشعراء ٩١.
٦- الظالمون:

قال تعالى: ﴿وَمَا أَوْلَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ - المائدة ٧٢.
وقال تعالى: ﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ - الأعراف ٤١.
٧- الطاغون:

قال تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۝٣١ لِلطَّاغِينَ مَنَآبَا ۝٣٢﴾ - النبأ.
وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى ۝٣٧ وَءَاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۝٣٨ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ۝٣٩﴾ - النازعات.

(١) وانظر أيضاً: المائدة ١٠ والفرقان ١١ والزمر ٦٠ وفصلت ٢٨ والمُرسَلات ٣٤ والنبأ ٢٨.

(٢) وانظر أيضاً: القمر ٤٧.

٨- الْمُؤْتِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ:

قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ - الإسراء ١٨.

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى ﴿٣٧﴾ وَآتَى الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٣٩﴾﴾ - النازعات^(١).

٩- الْفُجَّارُ:

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٥﴾﴾ - الانفطار.

١٠- الْفَاسِقُونَ:

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ ﴿٢٠﴾﴾ - السجدة ٢٠.

١١- الْمُعَادُونَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ:

قال تعالى: ﴿مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا﴾ - التوبة ٦٣.

١٢- مَنْ خَفَتِ مَوَازِينُهُ (أي: طاشت كِفَّةُ حَسَنَاتِهِ أَمَامَ كِفَّةِ سَيِّئَاتِهِ الرَّاجِحَةِ، فِي مِيزَانِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ):

قال تعالى: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ - المؤمنون ١٠٣.

وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ، ﴿٨﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَةٌ ﴿١٠﴾ نَارُ حَامِيَةٍ ﴿١١﴾﴾ - القارعة^(٢).

(١) وانظر أيضاً: يُؤْتَس ٧-٨.

(٢) وانظر أيضاً: البقرة ٨١.

أوصاف النار وحال أهلها في القرآن الكريم

- ١- تعرض جهنم على الكافرين يوم القيامة فتظهر بارزة لهم:
قال تعالى: ﴿وَعَرَّضْنَاهُمْ يُومِذِرَ الْكَافِرِينَ عَرَضًا﴾ - الكهف ١٠٠.
وقال تعالى: ﴿وَبُرِزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى﴾ - النازعات ٣٦.
- ٢- تَسَع جهنم مستحقيها من الجن والإنس:
قال تعالى: ﴿لَا مَلَأَنَّا جَهَنَّمَ مِنْ آلِ حَنَّةٍ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ - هود ١١٩ والسجدة ١٣.
- وقال تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَنَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ - ق ٣٠.
- ٣- لها أبواب:
قال تعالى: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾ - الحجر ٤٤.
وقال تعالى: ﴿ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ﴾ - الزمر ٧٢ وغافر ٧٦^(١).
- ٤- لها خزانة تُعْنَفُهُمْ وتذيقهم أصناف العذاب:
قال تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ - الزمر ٧١.
- وقال تعالى: ﴿كَلَّمَ الْأَنْفِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ ٨ ﴿قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾ ٩ ﴿- الْمُلْكِ.
- ٥- عليها ملائكة فيهم الغلظة والشدّة:
قال تعالى: ﴿عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غُلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا

(١) وانظر أيضاً: الزمر ٧١.

يُؤْمَرُونَ ﴿ - التحريم ٦ .

وقال تعالى: ﴿ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ۝٣٠ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً ۝ - المُنَافِقُونَ ٣٠ - ٣١ .

٦ - مبنية على أعمدة وموصدة الأبواب:

قال تعالى: ﴿ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوصَدَةٌ ۝٨ فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ ۝٩ - الهُمَزَة .

٧ - لها سرادق (حائط من نار):

قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۝ - الكهف ٢٩ .

٨ - لها طبقات، طبقة فوق أخرى:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ۝ - النساء ١٤٥ .

٩ - جَوْهَا لَا يُطَاق، فحَرُّ نَارِهَا يَنْفُذُ إِلَى الْمَسَامِ، ودخانها أسود، لا يخفف حرها، بل يَزِيدُ فِيهِ:

قال تعالى: ﴿ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ۝ - التوبة ٨١ .

وقال تعالى: ﴿ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مِمَّا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ۝٤١ فِي سُمُومٍ وَحَمِيمٍ ۝٤٢ وَظِلٍّ مِّنْ يَحُمُومٍ ۝٤٣ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ۝٤٤ - الواقعة (١) .

١٠ - موقدة حامية:

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِرَتْ ۝ - التكوثر ١٢ .

(١) وانظر أيضاً: الواقعة ٩٣-٩٤ .

سموم: حر ينفذ إلى المسام.

يحموم: دخان أسود.

كريم: نافع.

وقال تعالى: ﴿تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً﴾ - الغاشية ٤^(١).

١١- وشررها عَظِيمٌ:

قال تعالى: ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرِّ كَالْقَصْرِ ۖ (٣٢) كَأَنَّهُ جِمْلَتٌ صُفْرٌ ۖ (٣٣)﴾ - المُرْسَلَات.

١٢- تزداد سعيراً كلما خَبَتْ:

قال تعالى: ﴿مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ - الإسراء ٩٧.

١٣- لها أصوات مُنْكَرَةٌ مرعبة:

قال تعالى: ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْطًا وَزَفِيرًا﴾ - الفرقان ١٢.

وقال تعالى: ﴿إِذَا الْفُؤَادُ مِنْهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورٌ ۖ (٧) تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْطِ ۖ﴾ - الملوك

٨-٧

١٤- وهي شديدة، لا تبقي شيئاً إلا أهلكته:

قال تعالى: ﴿سَاصُّبِهِ سَعْرٌ ۖ (٣١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَعْرٌ ۖ (٣٢) لَا بُقْيَ وَلَا نَذْرٌ ۖ (٣٣)﴾ - المدثر.

١٥- وأهلها يحشرون، ليميز الله الخبيث من الطيب:

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ۖ (٣٦) لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ

وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمُهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخٰسِرُونَ ۖ (٣٧)﴾ - الأنفال.

١٦- ويعرضون على النار، فينظرون الهول من طرف خفي، رعباً وخشية:

قال تعالى: ﴿وَتَرَبُّهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَشِيعَاتٍ مِنَ الدَّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ

خَفِيِّ ۖ﴾ - الشورى ٤٥.

(١) وانظر أيضاً: القارعة ١٠-١١ والهمزة ٦.

١٧- لا يفلت منها أحد:

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ - العنكبوت ٥٤.

وقال تعالى: ﴿أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ - الكهف ٢٩.

١٨- ويلقون فيها من مكان ضيق مقرنين:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا^(١٣) لَا نَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا^(١٤)﴾ - الفرقان.

١٩- وقودها الناس والحجارة:

قال تعالى: ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ - البقرة ٢٤ والتحريم ٦.

وقال تعالى: ﴿وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾ - آل عمران ١٠.

٢٠- تتسلط على الأفئدة:

قال تعالى: ﴿الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْآفِتَةِ﴾ - الهُمزة ٧.

٢١- وعذابهم فيها متواصل:

قال تعالى: ﴿لَا يَفْتَرُّ عَنْهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ - الزخرف ٧٥.

٢٢- ولهم فيها ألوان العذاب الأليم:

قال تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ^(١٥)﴾ -

النساء ٥٦^(١).

وقال تعالى: ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ - النبأ ٣٠^(٢).

(١) يقول الطب الحديث: إن الجسم يتكون من جلد وأدمة. والجلد هو موضع الإحساس، أما

الأدمة فلا إحساس بها. وهذا من مواضع الإعجاز العلمي للقرآن.

(٢) وانظر أيضاً: الأنعام ٧٠ ويونس ٤ والتوبة ٣٤ والحج ٢٢ والسجدة ٢٠-٢١ وفاطر ٣٦

وغافر ٤٦ وفصلت ٢٧ والحديد ٢٠.

٢٣- لا صبر ولا طاقة لهم بالعذاب:

قال تعالى: ﴿أَصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ - الطُّور ١٦.

٢٤- الزبانية يسحبونهم في الحميم، والنار والأغلال في أعناقهم، ويضربون بمقامع من حديد:

قال تعالى: ﴿إِذَا الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلْسِلُ يُسْحَبُونَ (٧١) فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ (٧٢)﴾ - غافر.

وقال تعالى: ﴿خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ (٤٧) ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ (٤٨) ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ (٤٩)﴾ - الدخان (١).

٢٥- لهم فيها زفير وشهيق:

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ - هود ١٠٦.

وقال تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾ - الأنبياء ١٠٠.

٢٦- تلفح النار وجوههم وتقلب فيها:

قال تعالى: ﴿تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾ - المؤمنون ١٠٤.

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾ - الأحزاب ٦٦.

٢٧- تنزع الأطراف وجلدة الرأس وتحرق البشرة وتسودها:

قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهَا لَأَطْنَى (١٥) نَزَاعَةً لِّلشَّوْىِ (١٦)﴾ - المعارج.

(١) وانظر أيضاً: الحج ١٩-٢١ وق ٢٤ و٢٦ والطُّور ١٣-١٤ والقمر ٤٨ والحاقة ٣١-٣٢ والمزمل ١٢.

وقال تعالى: ﴿لَوْحَةٌ لِلْبَشَرِ﴾ - المَدَّثَرُ ٢٩^(١).

٢٨- فراشهم وغطاؤهم من النار:

قال تعالى: ﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ - الأعراف ٤١.

وقال تعالى: ﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ﴾ - الزُّمَرُ ١٦^(٢).

٢٩- ملابسهم من نار:

قال تعالى: ﴿سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطَرَانٍ وَتَعَنَّى وُجُوهُهُمْ النَّارُ﴾ - إِبْرَاهِيمَ ٥٠^(٣).

وقال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ - الحج ١٩.

٣٠- الذين يكتزون الذهب والفضة يعذبون بما كنزوا:

قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْذِبُونَ﴾ - التوبة ٣٥.

٣١- طعامهم من شجر الزقوم، يخرج من أصل الجحيم، وهو شجر صَغِيرُ الورق، دَفْرٌ، مر الطعم، وثمره نار، يضطرهم الجوع إلى أكله، لعدم وجود غيره. فيحرق معدهم،

(١) لظى: لهب.

الشوى: الأطراف أو جلدة الرأس.

لواحة: مسوَّدة لأعالي الجلد.

(٢) وانظر أيضاً: العنكبوت ٥٥.

(٣) القطران: ما يطلّى به الإبل الجَرَبَى فيحرق الجرب، وهو أسود متين تشتعل فيه النار

بسرعة.

وشراهم من المهل، وهو دُرْدِي الزَّيْت^(١)، أو ما يمهل في النار، حتى يذوب:

قال تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾﴾ - الدخان.

وقال تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَا يُسَمِّنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ﴿٧﴾﴾ - الغاشية^(٢).

٣٢- شراهم الحميم (الماء المغلي)، والغَسَاق (صديد أهل النار)، فيقطع الأمعاء من شدة حرارته:

قال تعالى: ﴿وَأَسْقَتَهُمْ وَأَخَابَتْهُمُ أَخَابًا وَخَاِبًا كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسَيِّغُهُ، وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَمَيَّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾﴾ - إبراهيم.

وقال تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾﴾ - النبأ^(٣).

٣٣- ويستغيثون، يطلبون الماء من شدة العطش، فيغاثون بماء كالمهل:

قال تعالى: ﴿وَأِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ﴿٢٩﴾﴾ - الكهف.

وقال تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَشِيعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ عَاقِيَةٍ ﴿٥﴾﴾ - الغاشية.

٣٤- وحرّم عليهم طعام وشراب أهل الجنة:

قال تعالى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا

(١) الدَّفَر: التن.

دُرْدِي الزَّيْت: ما يبقى في أسفل إناء الزَّيْت بقوامه الغليظ ولونه الأحمر.

(٢) وانظر أيضاً: الصافات ٦٢-٦٧ والواقعة ٥٢-٥٥ والحاقة ٣٥-٣٧.

ضريع: شيء في النار كالشوك مُرّ متتن.

(٣) وانظر أيضاً: الأنعام ٧٠ ويونس ٤ والكهف ٢٩ ومحمد ١٥ والرحمن ٤٤.

رَزَقَكُمْ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ - الأعراف ٥٠.

٣٥- مصير أهل النار التعاسة والخزي وبئس المصير:

قال تعالى: ﴿فَحَسْبُ جَهَنَّمَ وَلَيْسَ الْمِهَادُ﴾ - البقرة ٢٠٦.

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ أُولَئِكَ سُوءُ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ - الفرقان ٣٤^(١).

٣٦- ويتمنون الرجوع إلى الحياة الدنيا، حين يقفون على العذاب:

قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيْتُنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ - الأنعام ٢٧.

وقال تعالى: ﴿وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُوا هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ﴾ - الشورى ٤٤^(٢).

٣٧- ويدعو الله ليصرف العذاب عنهم أو يخففه:

قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ﴾ - غافر ٤٩.

٣٨- ويتمنون الموت، ليتخلصوا من العذاب، وأنَّى لهم ذلك:

قال تعالى: ﴿وَنَادَوْا يَمْلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَّنكِتُونَ﴾ - الزخرف ٧٧.

٣٩- ولا ينصرهم أحد، وإن طلبوا النصرة:

قال تعالى: ﴿لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ - الأحزاب ٦٥.

(١) وانظر أيضاً: البقرة ١٢٦ والنساء ١٤ والتوبة ٦٣ و٧٣ والرعد ١٨ والحج ٧٢ والفرقان ٦٦

والزمر ٧٢ وغافر ٧٦ والحديد ١٥ والمجادلة ٨ والمُلْك ٦.

(٢) وانظر أيضاً: الحج ٢٢ والمؤمنون ١٠٧-١٠٨ والسجدة ٢٠ والأحزاب ٦٦ وفاطر ٣٧.

وقال تعالى: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ﴾ - الزمر ١٩.

٤٠- ويعترف المذنبون بذنبهم، فينالون قسطهم من العذاب:

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَأَعْرِضُوا بِذُنُوبِهِمْ فَسَحَقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١١﴾﴾ - الملوك.

وقال تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾ - المؤمنون ١٠٦.

٤١- وهم فيها خالدون:

قال تعالى: ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ - البقرة ٣٩^(١).

وقال تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ - البقرة ١٦٢^(٢).

وقال تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ - النساء ١٦٩^(٣).

وقال تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ - البقرة ١٦٢ وآل عمران ٨٨.

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا يَمْعَشَرُ الْجِنَّ قَدْ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ - الأنعام ١٢٨^(٤).

(١) وانظر الآية أيضاً في: البقرة ٨١ و ٢١٧ و ٢٥٧ و ٢٧٥ وآل عمران ١١٦ والأعراف ٣٦ ويونس ٢٧ والرعد ٥ والمجادلة ١٧.

(٢) وانظر الآية أيضاً في: التوبة ٦٨ وهود ١٠٧ والنحل ٢٩ والزمر ٧٢ وغافر ٧٦ والتغابن ١٠ والبيينة ٦.

(٣) وانظر الآية أيضاً في: الأحزاب ٦٥ والجن ٢٣.

(٤) وانظر أيضاً: النساء ١٤ و ٩٣ والمائدة ٨٠ والتوبة ١٧ و ٦٣ والأنبياء ٩٩ والمؤمنون ١٠٣ والسجدة ١٤ وفصلت ٢٨ والزخرف ٧٤ والنبا ٢٣.

قال المُفَسِّرُونَ يراد بالخلود في النار: المكث الطَّوِيل بحق المُسْلِمِينَ والمُؤْمِنِينَ بالله، والمكث الأبدي بحق غير هَؤُلَاءِ، وقيل: غيره^(١).

٤٢ - وبعضهم يلعن الآخر وبتهمه بأنه سبب ضلاله، ودخوله النار، فيدعو الله أن يضاعف له العذاب:

قال تعالى: ﴿كَلَّمَآ دَخَلْتَ أُمَّةً لَعَنْتُ أَخْنَبَهَا حَتَّى إِذَا أَدَارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرِبُهُمْ لِأُولَهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَفَاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِن لَّا نَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَهُمْ لِأُخْرِبُهُمْ فَمَا كَانَتْ لَكُمْ عَلَيْنَا مِّنْ فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾ - الأعراف.

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ يَتَحَاوَتُونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُّعْتَابُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ ﴿٤٧﴾ - غافر ٤٧.

وقال تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا رَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ - البقرة ١٦٦.

٤٣ - ويخاطب أهل الجنة أهل النار بأننا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً، فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً؟

قال تعالى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنَّ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَفُورُونَ ﴿٤٥﴾ - الأعراف.

(١) انظر: شَرْحُ الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ٣٠٨.

الجنة

أهل الجنة

أَعَدَّ اللَّهُ الْجَنَّةَ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ ﷺ وَبِرِسَالَتِهِ الْإِسْلَامِ. وَقَدْ وَصَفَهُم الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ بِأَوْصَافٍ هِيَ:

١- الْمُتَّقُونَ:

قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ﴾ - آل عمران ١٥.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّتِ النَّعِيمِ﴾ - القلم ٣٤^(١).

٢- الْأَبْرَارُ:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ - الإنسان ٥.

وقال تعالى: ﴿لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾ - آل عمران ١٩٨.

٣- الصَّادِقُونَ:

قال تعالى: ﴿هَذَا يَوْمُ نَبْعُ الصَّالِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ﴾ - المائدة ١١٩.

٤- الطَّائِعُونَ:

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ﴾ - النساء ١٣.

٥- الْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ الْمُسْتَقِيمُونَ:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (١٣)

(١) انظر أيضاً: آل عمران ١٣٣ و ١٩٨ والرعد ٣٥ والنحل ٣٠-٣١ والفرقان ١٥ والشعراء

٩٠ والزمر ٢٠ و ٧٣ والدخان ٥١-٥٢ ومحمد ١٥ والذاريات ١٥ والطور ١٧ والحجر ٤٥

والمُرْسَلَات ٤١ والنبأ ٣١.

أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ - الأحقاف.

٦- المقربون:

قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ ﴿٨٩﴾ - الواقعة.

٧- الذين آمنوا وعملوا الصالحات:

قال تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ ﴿٢٥﴾ - البقرة.

وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ - النساء (١).

وقد ذكر القرآن الكريم هذه الصالحات، التي لا تستقيم الحياة إلا بالالتزام بها، والتي يستحق المتمسكون بها الجنة، الذين وصفهم بأنهم:

أ- الْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ورسوله واليوم الآخر، وما جاء به الرُّسُولُ ﷺ جُمْلَةً وتفصيلاً، فهم:

المُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ، لا يشركون به شيئاً، والذَّاكِرُونَ اللَّهَ، والذين إذا مروا بأياتِ ربهم أنصتوا إليها، وعملوا بها، والتائبون إلى الله، والخائفون ربهم وسوء الحساب، والذين آمنوا بالرسول وناصروه.

ب- المؤدِّون العبادات، فهم:

المقيمون الصلاة، والقائمون بالليل، والسجّادون، والمؤتّون الزكاة، والمنفقون بالسراء بلا إسراف ولا إقتار.

(١) انظر أيضاً: البقرة ٨٢ والنساء ٥٧ و١٢٢ والأعراف ٤٢ والتوبة ٧٢ ويونس ٩ وهود ٢٣

وإبراهيم ٢٣ والكهف ٣٠-٣١ و١٠٧ ومريم ٩٦ وطه ٧٥-٧٦ والحج ٢٣ والعنكبوت ٥٨ والسجدة ١٩ وغافر ٤٠ ومحمد ١٢ والفتح ٥ والتغابن ٩ والطلاق ١١ والبروج ١١ والبيّنة

ج- الذين انتهوا عن المحرمات، ودافعوا عن الإسلام فهم:

المُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ الْأَوَّلُونَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ، وَالْمُهَاجِرُونَ الَّذِينَ هَجَرُوا مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ، وَالْمُجَاهِدُونَ الَّذِينَ أُودُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَقَاتَلُوا، وَقَتَلُوا، وَالصَّابِرُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

د- الذين التزموا بالخلق القويم بحُسن معاملاتهم للآخرين، فهم:

الَّذِينَ لَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَلَا يَزْنُونَ، وَلَا يَقُولُونَ الزُّورَ، وَالكَاطِمُونَ الْغَيْظَ، وَالْعَافُونَ عَنِ النَّاسِ، وَالْمُحْسِنُونَ، وَالْمُسْتَغْفِرُونَ لذنوبهم، وَالَّذِينَ لَا يَصْرُونَ عَلَىٰ فَعْلَاهَا، وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ، وَالْمُؤْصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ أَنْ يُوْصَلَ، وَالْمُتَوَاضِعُونَ لِلنَّاسِ، وَالْمَعْرُضُونَ عَنِ الْجَاهِلِينَ بِرَفْقٍ وَسَلَامٍ، وَإِذَا مَرُّوا بِاللُّغُومِ كَرَامًا، وَالْعَامِلُونَ الْحَسَنَاتِ لِيُدْفَعُوا السَّيِّئَاتِ، وَالِدَاعُونَ أَنْ يَهَبَهُمُ اللَّهُ قُرَّةَ أَعْيُنٍ، وَأَنْ يَجْعَلَهُمُ لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا، وَأَنْ يَصْرِفَ عَنْهُمْ عَذَابَ جَهَنَّمَ.

وهذه الأمور الأربعة تجمع ما تحويه رسالة الإسلام، وقد نص القرآن الكريم على كثير من جزئياتها، وعلى أن جزاءها الجنة في الآيات الآتية:

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُفْقُونَ فِي الشَّرَاءِ وَالْبَيْعِ وَالْكَثْمِ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١١٢) ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحْشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ اللَّهُ ذُنُوبَهُ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (١٣٥) ﴿أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ ۖ - آل عمران ١٣٤-١٣٦.

وقال عز وجل: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ (١٦) ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ (٦٤) ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّكَ عَذَابُهَا كَانَ غَرَامًا﴾ (٦٥) ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ (٦٦) ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ (٦٧) ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۖ وَمَنْ يَفْعَلْ

ذَلِكَ يَلْقَى أَثَامًا ﴿٦٨﴾ - الْفُرْقَان ^(١).

وصف الجنة وحال أهلها في القرآن الكريم

١- تُقَرَّبُ الْجَنَّةُ وتبرز لأهلها، قبل أن يدخلوها، ويعلم كل واحد منهم منزله فيها، فيهتدي إليه.

قال تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُنْقِذِينَ﴾ - الشعراء ٩٠.

وقال تعالى: ﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا هُمْ﴾ - مُحَمَّد ٦ ^(٢).

٢- الجنة عالية مرتفعة في المكان، أو الدرجات، أو الأبنية والأشجار:

قال تعالى: ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ - الْحَاقَّة ٢٢ والغاشية ١٠.

٣- عرضها عرض السموات والأرض:

قال تعالى: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ - آل عِمْرَان ١٣٣.

٤- لها أبواب:

قال تعالى: ﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ مُمْنَحَةٌ لَهُمُ الْأَبْوَابُ﴾ - ص ٥٠.

وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ - الزُّمَر ٧٣.

٥- لها خَزَنَةٌ يهنتون ويحيون الداخلين:

قال تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ - الزُّمَر ٧٣.

(١) وانظر أيضاً: آل عِمْرَان ١٩٥ والمائدة ١٢ والتوبة ٨٨-٨٩ و١٠٠ والرعد ٢٠-٢٣ والفرقان

٧١-٧٤.

(٢) وانظر أيضاً: ق ٣١ والتكوير ١٣.

٦- أنهارها من ألوان مُخْتَلِفَةٍ:

قال تعالى: ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ، وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾ - مُحَمَّد ١٥.

وقال تعالى: ﴿وَمَاءٌ مَسْكُوبٌ﴾ - الواقعة ٣١.

٧- وهذه الأنهار تجري من تحتها:

قال تعالى: ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ - البقرة ٢٥ و ٢٦٦^(١).

وقال تعالى: ﴿تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ﴾ - التوبة ١٠٠.

وقال تعالى: ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾ - الأعراف ٤٣ ويونس ٩ والكهف ٣١.

٨- فيها العيون:

قال تعالى: ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ - الغاشية ١٢.

وقال تعالى: ﴿فِيهَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ - الرَّحْمَن ٥٠^(٢).

٩- فيها غرف فوقها غرف كبناء عالٍ ذي طوابق:

قال تعالى: ﴿لَهُمْ عُرْفٌ مِنْ فَوْقِهَا عُرْفٌ مَبْنِيَةٌ﴾ - الزُّمَر ٢٠.

١٠- أشجارها ذات فروع خضر، تميل إلى السواد لخضرتها، طيبة الرائحة:

قال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ ﴿٦٦﴾ فِيْهَا أَيْءٌ الْآءِ رَبِّكُمْ تَكْدِبَانِ ﴿٦٧﴾ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ

(١) وهذه الآية في: آل عمران ١٥ و ١٣٦ و ١٩٥ و ١٩٨ والنساء ١٣ و ٥٧ و ١٢٢ والمائدة ١٢

و ٨٥ و ١١٩ والتوبة ٧٢ و ٨٩ والرعد ٣٥ وإبراهيم ٢٣ والنحل ٣١ وطه ٧٦ والحج ١٤ و ٢٣

والفرقان ١٠ والعنكبوت ٥٨ والزُّمَر ٢٠ ومُحَمَّد ١٢ والفتح ٥ و ١٧ والحديد ١٢ والمجادلة ٢٢

والصف ١٢ والتغابن ٩ والطلاق ١١ والتحريم ٨ والبروج ١١ والبيئة ٨.

(٢) وانظر أيضاً: الرَّحْمَن ٦٦.

﴿٤٨﴾ - الرَّحْمَنُ ^(١).

وقال تعالى: ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٣﴾ فَإِنِ آتَاكَ رِيحٌ مِّنْكَذِبَانِ ﴿٦٤﴾ مُدْهَامَتَانِ ﴿٦٥﴾﴾ - الرَّحْمَنُ ^(٢).

وقال تعالى: ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ ﴿٢٩﴾﴾ - الواقعة ^(٣).

١١ - ظلها ظل ظليل منبسط:

قال تعالى: ﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾﴾ - النساء ٥٧.

وقال تعالى: ﴿أَكُلْهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا ﴿٣٥﴾﴾ - الرعد ٣٥ ^(٤).

١٢ - جَوْهَا معتدل بين الحرارة والبرودة الشديتين:

قال تعالى: ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمَهْرِيرًا ﴿١٣﴾﴾ - الإنسان ١٣.

١٣ - خَيْرَاتُهَا كثيرة:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَرًا رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾﴾ - الإنسان ٢٠.

وقال تعالى: ﴿يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾﴾ - غافر ٤٠ ^(٥).

١٤ - عيشة أهل الجنة راضية هائلة:

قال تعالى: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾﴾ - الحاقة ٢١.

(١) أفنان: جمع فَنَن، أغصان أو ثمار.

(٢) مدهامتان: خضراوتان تضربان إلى السواد من شدة الخضرة.

(٣) مخضود: لا شوك فيه.

طلح: شجر كثير النور طيب الرائحة.

منضود: نضد حملة من أسفله إلى أعلاه.

(٤) وانظر أيضاً: الواقعة ٣٠ والمرسلات ٤١.

(٥) وانظر أيضاً: الطلاق ١١.

١٥ - نَعِيمُهُمْ مُقِيمٌ دَائِمٌ:

قال تعالى: ﴿وَجَنَّتْ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾ - التوبة ٢١.

١٦ - عطاؤهم غير مقطوع:

قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لِرِزْقِنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾ - ص ٥٤.

وقال تعالى: ﴿لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ - الواقعة ٣٣^(١).

١٧ - تقدم لهم أصناف اللحوم:

قال تعالى: ﴿وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ - الطُّور ٢٢.

وقال تعالى: ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ - الواقعة ٢١.

١٨ - وشرابهم بكؤوس فيها جمال المنظر ولذة الشارب:

قال تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ﴾ ٤٥ ﴿بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾ ٤٦ ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ

عَنْهَا يَنْزِفُونَ﴾ ٤٧ - الصافات^(٢).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْتَرَارَ يُشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَتْ مِرْاجِهَا كَافُورًا﴾ ٥٠ ﴿عَيْنَا يُشْرَبُ بِهَا

عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ ٦ - الإنسان^(٣).

١٩ - فيها الفواكه بجميع ألوانها المُخْتَلِفَةِ مما تشتهيها النفوس:

قال تعالى: ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمْنِينَ﴾ - الدخان ٥٥.

(١) وانظر أيضاً: هود ١٠٨ والرعد ٣٥ ومريم ٦٢ والصافات ٤١.

(٢) غول: غائلة كما في خمر الدنيا.

ينزفون: يسكرون، أي: ينزف عقله.

(٣) وانظر أيضاً: ص ٥١ والطُّور ٢٣ والواقعة ١٨-١٩ والإنسان ٢١ والنبأ ٣٤.

وقال تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ - مُحَمَّد ١٥^(١).

٢٠- ثمارها كثمار الدنيا ولكن مع فارق كبير:

قال تعالى: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِءَ مُتَشَبِهًا﴾ - البقرة ٢٥.

٢١- قطوفها في تناول الأيدي:

قال تعالى: ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ - الحاقة ٢٣.

وقال تعالى: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا نَذِيلًا﴾ - الإنسان ١٤.

٢٢- ويقدم إليهم طعامهم وشرابهم بصحاف الذهب والفضة والأكواب البديعة:

قال تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾ - الزخرف ٧١.

وقال تعالى: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِثَانِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا﴾ ١٥ ﴿قَوَارِيرًا مِنْ فِضَّةٍ قَدَرُوهَا نَقِيرًا﴾ ١٦ ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا﴾ ١٧ ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا﴾ ١٨ - الإنسان.

٢٣- ويطوف عليهم بالشراب والطعام غلمان في غاية الجمال المصُون:

قال تعالى: ﴿وَيُطَوَّفُ عَلَيْهِمْ غِلَمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ﴾ - الطُّور ٢٤^(٢).

وقال تعالى: ﴿وَيُطَوَّفُ عَلَيْهِمْ وَلَدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنُشُورًا﴾ - الإنسان ١٩^(٣).

(١) وانظر أيضاً: يس ٥٧ والصفات ٤١-٤٢ وص ٥١ والزخرف ٧٣ والطُّور ٢٢ والرحمن

٥٢ والواقعة ٢٠ و٣٢ والمرسلات ٤٢ والنبأ ٣٢.

(٢) المَكْنُون: المَصُون عما يَضُرُّ به في الصفاء والنقاء.

(٣) وانظر أيضاً: الواقعة ١٧.

٢٤- وحليهم الأساور الذَّهَبِيَّةَ واللُّؤْلُؤَ، ولباسهم الحرير الرقيق والسميك:
قال تعالى: ﴿يَحْلَوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُندُسٍ
وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ - الكهف ٣١^(١).

وقال تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ﴾ - الإنسان ٢١^(٢).

٢٥- لهم الراحة على السرر والفرش الحريرية العجيبة:
قال تعالى: ﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكِفُونَ﴾ - يس ٥٦.
وقال تعالى: ﴿مُتَكِفِينَ عَلَى رَقَفٍ خُضِرَ وَعَبَقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ - الرَّحْمَنُ ٧٦^(٣).
٢٦- وأزواجهم مطهرة حسان، متحبات إلى أزواجهن، قصرن طَرَفَهُنَّ عليهم:
قال تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ - البقرة ٢٥.

وقال تعالى: ﴿فِيهِنَّ قَصِيرَاتُ الْطَّرَفِ لَمْ يَطْمِئِنَّ أَنْسَ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٥٦﴾ فَيَأْتِي الْآءَ رَيْكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾﴾ - الرَّحْمَنُ ٥٨^(٤).

(١) السندس: رقيق الحرير.

الإستبرق: سميك الحرير.

(٢) وانظر أيضاً: الحج ٢٣ وفاطر ٣٣ والدخان ٥٣.

(٣) وانظر أيضاً: الكهف ٣١ ويس ٥٧ والصفات ٤٤ وص ٥١ والطُّور ٢٠ والرَّحْمَنُ ٥٤ والواقعة ١٥-١٦ و٣٤ و٨٩ والإنسان ١٢-١٣ والغاشية ١٣-١٦.

الررف: الوسائد أو البسط.

العبقري: كل شيء عجيب.

(٤) وانظر أيضاً: آل عِمْرَان ١٥ والنساء ٥٧ والصفات ٤٨-٤٩ وص ٥٢ والزخرف ٧٠ والدخان ٥٤ والطُّور ٢٠ والرَّحْمَنُ ٧٠ و٧٢ و٧٤ والواقعة ٢٢-٢٣ و٣٥-٣٨ والنبأ ٣٣.

٢٧- التنعم بالنظر إلى وجهه الكريم:

قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ - يونس ٢٦.

وقال تعالى: ﴿وَجُوهٌ يُّومِذْنَ نَّاظِرَةٌ ۖ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۚ﴾ - القيامة (١).

٢٨- فيها ما تشتهي الأنفس:

قال تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾ - الزخرف ٧١.

وقال تعالى: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ - ق ٣٥ (٢).

٢٩- أهلها خالدون:

قال تعالى: ﴿وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ - البقرة ٢٥.

وقال تعالى: ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ - البقرة ٨٢ (٣).

وقال تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ - آل عمران ١٥ و ١٣٦ و ١٩٨ (٤).

وقال تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ - النساء ٥٧ و ١٢٢ (٥).

وقال تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَّهُمْ عَذَابَ

الْجَحِيمِ﴾ - الدخان ٥٦.

(١) انظر ما كتبه عن رؤية الله تعالى ومذاهب العلماء فيه في باب الإلهيات.

(٢) وانظر أيضاً: النحل ٣١ والأنبياء ١٠٢ والفرقان ١٦.

(٣) وانظر الآية في: آل عمران ١٠٧ والأعراف ٤٢ ويونس ٢٦ وهود ٢٣ والمؤمنون ١١.

(٤) وانظر أيضاً الآية في: النساء ١٣ والمائدة ٨٥ والتوبة ٧٢ و٨٩ وهود ١٠٨ وإبراهيم ٢٣

والكهف ١٠٨ وطه ٧٦ والفرقان ٧٦ والعنكبوت ٥٨ ولقمان ٩ والأحقاف ١٤ والفتح ٥

والحديد ١٢ والمجادلة ٢٢.

(٥) وانظر أيضاً الآية في: المائدة ١١٩ والتوبة ٢٢ و١٠٠ والتغابن ٩ والطلاق ١١ والبينة ٨.

وقال تعالى: ﴿أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾ - ق ٣٤^(١).

٣٠- لا لغو فيها ولا تأثيم:

قال تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ۖ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾ - الواقعة.

وقال تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَابًا﴾ - النبأ ٣٥^(٢).

٣١- لا يشعرون بتعب أو كلال:

قال تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ﴾ - الحجر ٤٨.

وقال تعالى: ﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ - فاطر ٣٥^(٣).

٣٢- ويحمدون الله على ما آتاهم من النعم التي وعدوا بها:

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾ - الزمر ٧٤.

وقال تعالى: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ قَالُوا قَدْ وَدَّ بَيْنَهُمْ أَنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ - الأعراف ٤٤^(٤).

٣٣- لا غل بين أهلها:

قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ﴾ - الأعراف ٤٣.

وقال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ -

الحجر ٤٧.

(١) وانظر أيضاً: الحجر ٤٨ والزمر ٧٣ والزخرف ٧١.

(٢) وانظر أيضاً: مريم ٦٢ والغاشية ١١.

(٣) النصب: التعب.

لغو: كلال.

(٤) وانظر أيضاً: الأعراف ٤٣ ويونس ١٠ واطر ٣٤.

٣٤- يُحْيِي بَعْضَهُمُ الْآخَرَ بِالسَّلَامِ:

قال تعالى: ﴿يَحْيِيهِمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ - إبراهيم ٢٣.

وقال تعالى: ﴿وَيَحْيِيهِمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ - يونس ١٠.

٣٥- تُلْقِي الْمَلَائِكَةُ إِلَيْهِمُ السَّلَامَ:

قال تعالى: ﴿جَنَّتْ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ - الرعد.

وقال تعالى: ﴿لَا يَخْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّيْنَهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ - الأنبياء ١٠٣^(١).

٣٦- لَا خَوْفَ عَلَى أَهْلِهَا وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ:

قال تعالى: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ - الأعراف ٤٩.

وقال تعالى: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَامِنِينَ﴾ - الحجر ٤٦^(٢).

٣٧- لَهُمُ النَّصْرَةُ وَالسَّرُورُ:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْهُمْ نَصْرَةٌ وَسُرُورًا﴾ - الإنسان ١١.

٣٨- لَهُمُ الْإِكْرَامُ:

قال تعالى: ﴿وَهُمْ مُكْرَمُونَ﴾ - الصافات ٤٢.

وقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ﴾ - المعارج ٣٥.

٣٩- الرَّحْمَةُ وَالرِّضْوَانُ لِأَهْلِهَا:

قال تعالى: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ﴾ - التوبة ٢١.

(١) وانظر أيضاً: الفرقان ٧٥.

(٢) وانظر أيضاً: مريم ٦٠ والدخان ٥١ و٥٢ و٥٥ وق ٣٤.

وقال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ - التوبة ٧٢^(١).

٤٠- نواهم الجنة هو الفوز والفلاح الأعظم:

قال تعالى: ﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ - المائدة ١١٩^(٢).

وقال تعالى: ﴿حَسُنْتَ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ - الفرقان ٧٦^(٣).

٤١- البشرى لهم:

قال تعالى: ﴿بَشِّرْكُمْ الْيَوْمَ جَنَّاتٍ﴾ - الحديد ١٢.

٤٢- يُهَنِّوْنَ بِمَا هُمْ فِيهِ مِنْ نَّعِيمٍ:

قال تعالى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ - الطُّور ١٩ والمرسلات ٤٣.

وقال تعالى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ - الحاقة ٢٤.

٤٣- وأهلها مشغولون بما هم فيه، فلا مجال لطرح سؤال، وماذا بعد هذا النعيم

المقيم؟

قال تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكَهُونٍ﴾ - يس ٥٥.

وقال تعالى: ﴿فَكَهِينَ بِمَاءِ النَّهْمِ رَبُّهُمْ﴾ - الطُّور ١٨.

٤٤- وأهلها لا يرضون عنها بديلاً، لما فيها من نعيم:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ۖ خَالِدِينَ فِيهَا لَا

(١) وانظر أيضاً: آل عمران ١٥ والمائدة ١١٩.

(٢) وانظر الآية أيضاً في: التوبة ٨٩ و١٠٠ والصف ١٢ والتغابن ٩.

(٣) وانظر أيضاً: آل عمران ١٨٥ والنساء ١٣ والتوبة ٧٢ والدخان ٥٧ والحديد ١٢ والكهف

٣١ والصفات ٦٠ والفتح ٥ والبروج ١١.

يَبْعُثُونَ عَنْهَا حَوْلًا ﴿١٠٨﴾ - الكهف.

وهكذا تتضح لنا صورة الجنة، وأهلها يحبرون فيها، وينعمون بألوان السعادة والهناء، قال الأستاذ عبد الرزاق نُوْفِل في كتابه: يوم القيامة:

أهل الجنة يختلفون، كما يختلف أهل الدنيا، في طريقة التمتع ولونه وشكله ومصدره، ففي الحياة الدنيا نجد من يبحثون عن المُتعة في الطعام الجيد، والشراب العليل، أو المنظر الجميل، أو اللحن الرتيب، أو الجلسة الهادئة مع صديق، أو الانفراد للتأمل والتفكير، وهناك صَفوة طيبة، مُنتهى لذتها وتمام سعادتها، الخلوة برها في صلاة ودعاء... وهكذا.

فيا ترى عندما يشرق على الوجود في الآخرة نور الله، وترتفع الحجب، لتتعلق القلوب والأنفس قبل العيون بمصدر هذا النور... ويحاول الإنسان بجزأيه الطاهرين، أن يتعلق بأصل النور، وأن يفنى في وجود لا يرى فيه سوى الله... ترى من يبحث عند ذلك عن أكل أو شرب أو مُتعة... فهل هناك مُتعة وإمتاع، وسعادة ونعيم، قدر القرب من الله ورؤيته... إن أمل المؤمنين - وقد وضح لهم نورهم - أن يتم لهم هذا النور، ليصبحوا جزءاً من النور، وهذا هو ما يدعون به الله، ويسألونه بنص الآية الشريفة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَاعْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ - التحريم ٨^(١).

أما الكلام عن مكان الجنة والنار، وهل هما مخلوقتان الآن؟ فلا حاجة لنا به هنا، إذ إنه ليس بالأمر الخطير، الذي يمس صلب العقيدة^(٢).

(١) يوم القيامة لعبد الرزاق نُوْفِل ص ١٥٥-١٥٧ (بتصرف).

(٢) انظر الكلام عن هذا في: المواقف وشرحه للسيد الشريف ج ٨ ص ٣٠١ والمقاصد وشرحه للتفتازاني ج ٥ ص ١٠٧.

الفصل السابع

الكُفر والتَّكْفِيرُ وَجَزَاءُ الْمُرْتَدِّ

وفيه ثلاثة مباحث:

المَبْحَثُ الأول: معنى الكُفر وأنواعه.

المَبْحَثُ الثاني: حُكْمُ تَكْفِيرِ أَهْلِ الْقِبْلَةِ.

المَبْحَثُ الثالث: جزاء المرتد.

المَبْحَثُ الأول

معنى الكُفْر وأنواعه

تقدم في آخر فصل (النَّبَوِيَّات) أُصُولُ دعوة الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وفيها ذكرنا أن الشهادتين: (أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن مُحَمَّدًا رَسُولُ الله) هما عُنْوَانُ الدخول في الإسلام، إذ لا يدخل المرء في الإسلام إلا بالنطق بشطري الشهادة معاً، لأنها ترجمة ما في القلب من الإسلام.

فكانت الشهادتان الرُّكنَ الأول من أركان الإسلام، كما ورد في حَدِيثِ جَبْرِيلَ حين سأل الرَّسُولُ ﷺ عن الإيمان والإسلام، (قال: يا مُحَمَّدُ، أَخْبِرْنِي عن الإسلام. فقال رَسُولُ الله ﷺ: الإسلامُ أنْ تَشْهَدَ أنْ لا إله إلا الله وأنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، وتُقيمَ الصلاةَ، وتؤتيَ الزكاةَ، وتَصُومَ رَمَضَانَ، وتَحْجَّ البيتَ إنْ استطعتَ إليه سَبِيلًا^(١)).

وإذا دخل الإنسان الإسلام كانت له حقوقه وعليه واجباته، على النَحْوِ الذي جاء به القرآن الكريم والسُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ.

لَكِنَّه لا يخرج عن دائرة الإسلام إلا بآتيانه ما يؤدي به إلى الكفر.

وهذا يدعوننا إلى بَيَانِ ما يأتي:

معنى الكفر، وأنواعه، وما يقع به التكفير، وتكفير أهل القِبْلَةِ، وجزاء المُرْتَدَّ.

(١) حَدِيثُ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِهَذَا اللَّفْظِ فِي: صَحِيحِ مُسْلِمٍ فِي: ١ كتاب الإيمان، أول باب بَيَانِ الإيمان والإسلام...، رقم ٨، عن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

معنى الكفر

الكفر في أصل اللُّغَةِ: السُّتْرُ والتَّغْطِيَةُ. لذا يقال للفَلَّاحِ كافرٌ، لأنه يَكْفُرُ البَذَرَ، أي: يَسْتُرُهُ^(١).

والكفر اصطلاحاً: هو عبارة عن ما يَمْنَعُ الكافرَ (وهو الْمُتَّصِفُ بالكفر من الآدميين) عن أن يساهم المُسْلِمِينَ في شيء من جميع الْأَحْكَامِ الْمُخْتَلِفَةِ بِهِمْ^(٢).

ولما كان الكفر شرعاً هو خلاف الإيمان عند كل طائفة^(٣)، اختلفت طوائف المتكلمين في تحديد المعنى الاصطلاحِيَّ للكفر على حسب اختلافهم في تحديد معنى الإيمان.

١ - فمن قال: الإيمان بالله هو مَعْرِفَةُ الله، قال: الكفر هو الجهل بالله^(٤).

لَكِنْ يَرُدُّ عَلَى هَذَا التَّحْدِيدِ:

أَنَّ مَنْ جَحَدَ الرِّسَالَةَ وَسَبَّ الرُّسُولَ وَسَجَدَ لَصْنَمٍ كَفَرَ بِالْإِجْمَاعِ. وليس هذا جهلاً بالله، إذ قد يصدر من عارف بالله جاهل بالدلالة على العلم بامتناع هذه الأمور، أو المَعْرِفَةُ بِهَا^(٥).

٢ - ومن قال: الإيمان هو الطاعة كالمُعْتَزِلَةِ والخَوَارِجِ، قال: الكفر هو المعصية.

لَكِنْ الخَوَارِجُ قالوا: كل معصية كُفْرٌ.

(١) الْمِصْبَاحُ الْمُنِيرُ مادة (كفر).

(٢) الْكُلِّيَّاتُ لِلْكَفَوِيِّ ص ٧٦٤ قال: وهو الأقرب.

(٣) كَشَّافُ اصْطِلَاحَاتِ الْفُنُونِ ص ١٣٦٨.

(٤) الْكُلِّيَّاتُ لِلْكَفَوِيِّ ص ٧٦٤ وَكَشَّافُ اصْطِلَاحَاتِ الْفُنُونِ، السَّابِقِ.

(٥) الْكُلِّيَّاتُ السَّابِقِ. وقال التَّهَانَوِيُّ فِي كَشَّافِ اصْطِلَاحَاتِ الْفُنُونِ: (وبطلانه ظاهراً)، دون

أن يبين وجه البطلان.

أما المُعْتَزِلَةُ فقد قَسَمُوا المعاصي إلى ثلاثة أقسام:

أ- قسم يَدُلُّ على الجهل بالله ووحْدانيته وما لا يجوز عليه. والجهل بِرِسَالَةِ رَسُولِهِ كإلقاء المصحف في القاذورات، والتلفظ بكلمات دالة على ذَلِكَ: كَسَبِّ الرُّسُولِ، والاستخفاف، وهَذِهِ المعاصي هي كُفْرٌ.

ب- قسم يُخْرِجُ عنه مرتكبَهُ إلى مَنْزِلَةٍ بَيْنَ الْمَنْزِلَتَيْنِ، بِمَعْنَى لَا يُحْكَمُ عَلَى صَاحِبِهَا بِالْكَفْرِ وَلَا بِالْإِيمَانِ، بَلْ بِالْفُسُوقِ وَالْفُجُورِ، وَيُعَبَّرُ عَنْ تِلْكَ الْمَعَاصِي بِالْكَبَائِرِ، كَقَتْلِ الْعَمَدِ وَالزَّنا وَشَرْبِ الْخَمْرِ.

ج- قسم لَا يُخْرِجُ مِنْهُ مَرْتَكِبَهُ عَنِ الْإِيمَانِ، وَلَا يُوجِبُ اتِّصَافَ فَاعِلِهِ بِالْكَفْرِ وَلَا بِالْفُسُوقِ، كَكُشْفِ الْعُورَةِ وَالسَّفَهَةِ، وَيُسَمَّى بِالصِّغَاثِرِ.

لَكِنْ يَرُدُّ عَلَيْهِمْ:

أَنَّ كُلَّ مَعْصِيَةٍ لَا تَدُلُّ عَلَى تَكْذِيبِ الرُّسُولِ فِيمَا جَاءَ بِهِ لَا تَكُونُ كُفْرًا^(١).

٣- وَمَنْ قَالَ: الْإِيمَانُ هُوَ الْمَعْرِفَةُ (التَّصْدِيقُ) بِالْجَنَانِ، وَالْإِقْرَارُ بِاللِّسَانِ، وَالْعَمَلُ بِالْأَرْكَانِ، قَالَ: الْكُفْرُ هُوَ الْإِخْلَالُ بِأَحَدِ هَذِهِ الْأُمُورِ^(٢).

٤- وَمَنْ قَالَ: الْإِيمَانُ هُوَ التَّصْدِيقُ بِالْقَلْبِ بِاللَّهِ وَبِمَا جَاءَ بِهِ رُسُلُهُ، قَالَ: الْكُفْرُ هُوَ التَّكْذِيبُ بِشَيْءٍ مِمَّا جَاءَ بِهِ الرُّسُولُ. وَهُوَ اخْتِيَارُ الْإِمَامِ الْغَزَالِيِّ.

وَتَعَقَّبَهُ الْكَفَوِيُّ بِقَوْلِهِ: وَيَرُدُّهُ مَنْ لَيْسَ بِمُصَدِّقٍ وَلَا بِمُكَذِّبٍ بِشَيْءٍ مِمَّا جَاءَ بِهِ الرُّسُولُ، فَإِنَّهُ كَافِرٌ بِالْإِجْمَاعِ وَلَيْسَ بِمُكَذِّبٍ، وَكَذَلِكَ أَطْفَالُ الْكُفَّارِ وَمَجَانِينُهُمْ، فَإِنَّهُمْ كُفَّارٌ، وَلَيْسُوا بِمُصَدِّقِينَ وَلَا مُكَذِّبِينَ^(٣).

(١) المصدران السابقان.

(٢) الكلِّيَّاتُ السَّابِقُ.

(٣) الكلِّيَّاتُ السَّابِقُ.

ونحو اخْتِيَارِ الْإِمَامِ الْغَزَالِيِّ ما ذكره الإمام يَحْيَى بن حَمْزَةَ: (الْكُفْرُ هو تكذيب الرُّسُولِ ﷺ في شيء مما جاء به، كإنكار البعث والثواب والعقاب، وما عَلِمَ ضرورةً دلالته على التكذيب، كلبس الغِيَارِ وشَدَّ الزُّنَّارِ)^(١).

وَيَرِدُ على كَلامِ الْإِمَامِ يَحْيَى ما ورد على اخْتِيَارِ الْإِمَامِ الْغَزَالِيِّ.

أنواع الكفر

قَسَمَ المتكلمون الكُفْرَ إلى أربعة أنواع هي:

١ - كفر إنكار: وهو أن يكفر بقلبه ولسانه، وأن لا يعرف بما يُذكر له من التَّوْحِيدِ.

٢ - كفر جُحود: وهو أن يعرف بقلبه ولا يُقِرُّ بلسانه، ككفر إبليس.

٣ - كفر عناد: وهو أن يعرف بقلبه ويُقِرُّ بلسانه، ولا يدين به.

٤ - كفر نفاق: وهو أن يُقِرَّ بلسانه ولا يَعْتَقِدُ بقلبه.

والجميع سواء في أن من لقي الله تعالى بواحد منهم لا يغفر له^(٢).

(١) الْمَعَالِمُ الدِّينِيَّةُ لِلْإِمَامِ يَحْيَى بن حَمْزَةَ ص ١١٨.

الْغِيَارُ: الْبِدَالُ، وهو علامة أهل الذِّمَّةِ كَالزُّنَّارِ ونحوه. / الْقَامُوسُ الْمُحِيطُ مادة (الغيرة).

وَالزُّنَّارُ: هو ما (شُدَّ) على وسط النَّصَارَى والمجوس. / الْقَامُوسُ الْمُحِيطُ مادة (زَنَرَهُ).

(٢) الْكُلِّيَّاتُ ص ٧٦٤-٧٦٥.

ومن كفر الْجُحُود: كفر فرعون، قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ - النمل ١٤، وكفر أُمَيَّةَ بن أَبِي الصَّلْتِ الذي كان يتطلع إلى النُّبُوَّةِ قبل بعثة مُحَمَّدٍ ﷺ، وكفر بعض الْيَهُودِ الذين كانوا يعرفون نُبُوَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ.

وجعل الإباضية الكفر نوعين: كفر بالله، وكفر بنعمته تعالى.

١- الكفر بالله: هو الإشراك بالله سبحانه. وهذا الإشراك مُخرج عن ملة الإسلام^(١).

٢- الكفر بنعمته تعالى: وهو ما نشأ من تأويل الخطأ، كاستحلال ما حرمه الله تعالى بتأويل الخطأ من فاعله أو قائله^(٢).

وكفر النعمة يسمى النفاق^(٣). وهذا الكفر لا يُخرج صاحبه عن ملة الإسلام، بل يُعامل في الحياة الدنيا معاملة المُسلمين^(٤).

(١) شرح غاية المُراد ص ١٣٤.

والإشراك بالله عند الإباضية نوعان: شرك مساواة، وشرك جحود.

أ- شرك المساواة: وهو أن يسوّي بين الله وبين خلقه في شيء، فمن اتخذ مع الله إلهاً آخر فقد سَوَّى بين الله تعالى وبين غيره.

ومن زعم أن الله تعالى حادث فقد سَوَّى بين الله تعالى وبين خلقه في الاتصاف بالحدوث.

ب- شرك الجُحود: وهو أن يمحّد وجودَ الله تعالى أو صفاته أو أفعاله. كأن يمحّد كونه تعالى عالماً وقادراً...، أو يمحّد إنزاله الكتب السماوية وإرسال الرسل.

وهذا التقسيم ليس منصوباً عليه، وإنما هو اصطلاح لعلماء الإباضية، وإلا فيمكن عند التَّحْقِيق أن يُردَّ الشرك كُلُّهُ إلى المساواة أو إلى الجُحود. / شرح غاية المُراد ص ١٣٦. وانظر: مَسَارِقُ أَنْوَارِ الْعُقُول ج ٢ ص ٣١٢.

(٢) مَسَارِقُ أَنْوَارِ الْعُقُول ج ٢ ص ٣١٣.

(٣) أَنْوَارِ الْعُقُول وشرحها المَسَارِق ج ٢ ص ٣١٢ و ٣١٤.

(٤) شرح غاية المُراد ص ١٣٤-١٣٥.

والنفاق عند الإباضية نوعان:

أ- التكذيب بالقلب مع الإيذان باللسان، وهو ما ورد بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ

والكفر بنوعيه السَّابِقِينَ مُقَيَّدٌ بالكبائر. أما فاعل الصَّغِيرَةِ فهو مُسْلِمٌ، ما لم يُصِرَّ على فعله^(١).

الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴿ - النساء ١٤٥ .

ب- ارتكاب شيء من الكبائر، لقوله ﷺ: (آية المنافق ثلاث: إذا حَدَّثَ كَذَبًا، وإذا وَعَدَ أَخْلَفَ، وإذا أُوْتِيَ خَانًا)^(١).

فيكون هَذَا الكفر بالإعراض عن مَفْرُوضَاتِهِ تعالى أو ارتكاب محظوراتِهِ. وهو بهذا المعنى نقيض الشُّكْرِ^(٢).

ومن أدلته:

قوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ - الإنسان ٣. وأفرد مُسْلِمٌ له باباً في صَحِيحِهِ، وترجم له البخاري بقوله (كُفْرٌ دُونَ كُفْرٍ).

وقوله ﷺ: (سَبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ)^(٣).

(١) مَشَارِقُ أَنْوَارِ الْعُقُولِ ج ٢ ص ٣٠٤.

.....

(١) مَشَارِقُ أَنْوَارِ الْعُقُولِ ج ٢ ص ٣١٣-٣١٤.

وَحَدِيثُ: آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ... إلخ، في: صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ في: ٢ كتاب الإيمان، ٢٤ باب عَلَامَةُ الْمُنَافِقِ، رقم ٣٣، عن أَبِي هُرَيْرَةَ. وهو في صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ رقم ٢٦٨٢ و ٢٧٤٩ و ٦٠٩٥ وكلها عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وفي صَحِيحِ مُسْلِمٍ في: ١ كتاب الإيمان، ٢٣ باب بَيَانُ خِصَالِ الْمُنَافِقِ، رقم ٥٩، عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) شَرْحُ غَايَةِ الْمُرَادِ ص ١٣٤.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَيْءَ عَنِّي كَرْيَمٌ﴾ - النمل ٤٠، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ عَنِّي حَمِيدٌ﴾ - لقمان ١٢، فالمُسْلِمُ العاصي الذي كفر بنعمة الله لا يوصف بأنه كفر كُفْرًا أَكْبَرَ، لأن عدم شكره هنا معصيةٌ لا تُخْرِجُهُ عن الإيمان. / الحكم وقضية تكفير المُسْلِمِ ص ٦٧-٦٨.

(٣) شَرْحُ غَايَةِ الْمُرَادِ ص ١٣٤-١٣٥.

ما يقع به التكفير

يقع الإكفار في أربعة أمور: ما يتعلق بالاغتقاد، أو بالقول، أو بالفعل، أو الترك^(١).

١ - ما يتعلق بالاغتقاد:

أُصُول الدِّين ثلاثة كما قدمنا، وهي: ما يتعلق بالله سُبْحَانَهُ، أو بالنُّبُوَّة، أو باليَوْم الآخر.

فمن أنكر وجود الله تعالى، أو صفة من صفاته كقدرته وعلمه ووحدانيته، أو فعلاً من أفعاله كخلقه ورزقه وإماتته، فقد كَفَرَ. مثل الملحدين والزنادقة والمجوس.

ومن أنكر نُبُوَّة الأنبياء والمرسلين، ونُبُوَّة مُحَمَّد ﷺ، وعموم رسالته، وختمه للرسالات السَّابِقَة، والقرآن الكريم، وما يتصل بذلك، فقد كَفَرَ. كالبراهمة المنكرين لأصل النُّبُوَّة، واليهود والنصارى المنكرين لنُبُوَّة مُحَمَّد ﷺ، والإباحيين.

ومن أنكر الحياة الآخرة ومشاهد القيامة والجنة والنار الثابتة بالنص القاطع، فقد كَفَرَ.

٢ - ما يتعلق بالقول:

وهو كل قول يفيد الاعتراف بعقيدة مُكْفَرَة، أو يفيد إنكار ما ثبت في الإسلام بالضرورة، كالنطق بكلمة الكفر، أو سَبَّ الله تعالى والأنبياء والرسل والكتب السماوية ودين الإسلام، أو الاستهزاء بالإسلام والقرآن وأحكامه.

(١) المَعَالِم الدِّينِيَّة ص ١١٨. وفي التشريع الجنائي الإسلامي ج ٢ ص ٧٠٧: (الرجوع عن الإسلام هو ترك الإسلام... بأحد طرق ثلاثة: بالفعل أو بالامتناع عن الفعل، وبالقول، وبالاغتقاد).

٣- ما يتعلق بالفعل :

وهو كل فعل يدل على الخروج عن أوامر الإسلام، كتمزيق المصحف، أو إلقاءه في القاذورات استخفافاً به، وكالسجود لصنم تعظيماً له، وكتعليق شعار الكفر على الصدر. فإذا أظهر المسلم هذه الأمور، ولم تكن هناك قرائن تفيد أنه معذور في إظهارها، كأن يكون مكرهاً، أو أنه أظهرها لمصلحة الدولة، فإنه عندئذ يكون كافراً مرتدداً، تجري عليه أحكام الردة^(١).

٤- ترك ما يلزم معرفته، كترك معرفة الله تعالى وما يتعلق بالرسول، مثل إهمال النظر في المعجز^(٢).

رأس درجات الكفر

الكفر درجات، يزداد بمقدار زيادة الجحود والعناد وكثرة الطغيان والشر، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾ - آل عمران ٩٠.

وأعلى درجاته الإشراف بالله سبحانه، الذي لا يغفره تعالى لمن مات عليه، فهو قمة الذنوب وأكبر الكبائر، قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ - النساء ١١٦.

أما الذنوب الأخرى وسائر الكبائر أو الصغائر فمرتكبوها من عصاة المؤمنين قد تشملهم رحمة الله تعالى ومغفرته كرماء منه وفضلاً إذا شاء عز وجل^(٣). وهو مذهب جمهور علماء المسلمين، وستأتي الإشارة إليه بعد قليل.

(١) المعالم الدينية، والتشريع الجنائي الإسلامي، السابقان، والعقيدة الإسلامية

لعبد الرحمن حسن حبيكة ص ٦١٨.

(٢) المعالم الدينية السابق.

(٣) العقيدة الإسلامية وأسسها ص ٦٢١-٦٢٢.

المَبْحَثُ الثَّانِي

حُكْمُ تَكْفِيرِ أَهْلِ الْقِبْلَةِ

لَا تُكْفَرُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ بِذَنْبٍ إِذَا لَمْ يَسْتَحِلَّهُ^(١).

(١) قال الإمام أبو حنيفة في الفقه الأكبر: (وَلَا تُكْفَرُ مُسْلِمًا بِذَنْبٍ مِنَ الذُّنُوبِ وَإِنْ كَانَتْ كَبِيرَةً إِذَا لَمْ يَسْتَحِلَّهَا، وَلَا نُزِيلُ عَنْهُ اسْمَ الْإِيْمَانِ، وَنَسْمِيهِ مُؤْمِنًا حَقِيقَةً، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُؤْمِنًا فَاسِقًا غَيْرَ كَافِرٍ). / انظر: الفقه الأكبر في شرحه القول الفصل ص ٣٠٦ وفي شرحه لملا عليّ القاري ص ١١٧.

وقال أبو الحسن الأشعري في كتابه الإبانة ص ٢٦: (وَنَدِينُ بَأْنَ لَا تُكْفَرُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ بِذَنْبٍ يَرْتَكِبُهُ مَا لَمْ يَسْتَحِلَّهُ، كَالزَّوْنِ وَالسَّرْقَةِ وَشَرْبِ الْخَمْرِ، كَمَا دَانَتْ بِذَلِكَ الْخَوَارِجُ، وَزَعَمَتْ أَنَّهُمْ كَافِرُونَ، وَنَقُولُ: إِنْ مِنْ عَمَلٍ كَبِيرَةٍ مِنْ هَذِهِ الْكِبَائِرِ مِثْلَ الزَّوْنِ وَالسَّرْقَةِ وَمَا أَشْبَهَهَا مُسْتَحِلًّا لَهَا غَيْرِ مُعْتَقِدٍ لِتَحْرِيمِهَا كَانَ كَافِرًا).

وَتَقَدَّمَ فِي آرَاءِ الْإِمَامِ الْأَشْعَرِيِّ كَلَامٌ آخَرُ فِي ذَلِكَ، وَمُوَافَقَةُ الذَّهَبِيِّ وَشَيْخِهِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ عَلَيْهِ.

وقال ابن حزم في الفصل ج ٣ ص ٢٩٢: (وَالْحَقُّ هُوَ أَنَّ كُلَّ مَنْ ثَبَّتَ لَهُ عَقْدُ الْإِسْلَامِ فَإِنَّهُ لَا يَزُولُ عَنْهُ إِلَّا بِنَفْيٍ أَوْ إِجْمَاعٍ، وَأَمَّا بِالْأَعْوَى وَالْإِفْتِرَاءِ فَلَا، فَوَجِبَ أَنْ لَا يُكْفَرُ أَحَدٌ بِقَوْلٍ قَالَهُ إِلَّا بِأَنْ يُخَالِفَ مَا قَدْ صَحَّ عَنْهُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَهُ، أَوْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَهُ، فَيَسْتَجِيزُ خِلَافَ اللَّهِ تَعَالَى وَخِلَافَ رَسُولِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ...).

وقال ابن أبي زيد القيرواني الأشعري في رسالته: (لَا يُكْفَرُ أَحَدٌ بِذَنْبٍ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ). / انظر: كِفَايَةُ الطَّالِبِ الرَّبَّانِيِّ شَرْحَ رِسَالَةِ ابْنِ أَبِي زَيْدٍ الْقَيْرَوَانِيِّ ج ١ ص ٨٢ وَشَرْحَ رِسَالَةِ ابْنِ أَبِي زَيْدٍ لِلْقَاضِي عَبْدِ الْوَهَّابِ ص ٣٤٧.

وقال النووي في شرح صحيح مسلم ص ٩٤: (اعْلَمْ أَنَّ مَذْهَبَ أَهْلِ الْحَقِّ: أَنَّهُ لَا يُكْفَرُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ بِذَنْبٍ، وَلَا يُكْفَرُ أَهْلُ الْأَهْوَاءِ وَالْبِدْعِ. وَأَنَّ مَنْ جَحَدَ مَا يُعْلَمُ مِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ

هَذَا هُوَ مَذْهَبُ جَمِيعِ أَهْلِ السُّنَّةِ سَلَفًا وَخَلَفًا^(١).

ضرورة حُكْمِ بَرْدَتِهِ وَكُفْرِهِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ قَرِيبَ عَهْدٍ بِالإِسْلَامِ، أَوْ نَشَأَ بِبَادِيَةِ بَعِيدَةٍ، وَنَحْوَهُ مِمَّا يَخْفَى عَلَيْهِ، فَيُعْرِفُ ذَلِكَ، فَإِنْ اسْتَمَرَّ حُكْمُ بَكْفُرِهِ، وَكَذَا حُكْمُ مِنْ اسْتَحْلَ الزَّنا أَوْ الْخمر أَوْ الْقَتْلَ أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْمُحَرَّمَاتِ الَّتِي يُعْلَمُ تَحْرِيمُهَا ضَرُورَةً.

وَقَالَ الْغَزَوِيُّ الْمَآثِرِيُّ فِي كِتَابِهِ أُصُولُ الدِّينِ ص ٣٠١-٣٠٤: (وَلَا نُكْفِّرُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ بِذَنْبٍ مَا لَمْ يَسْتَحِلَّهُ، وَلَا نُخْرِجَ الْعَبْدَ مِنَ الْإِيْمَانِ إِلَّا بِجُحُودٍ مَا أَدْخَلَهُ فِيهِ...، وَلَا نُنْزِلُ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ جَنَّةً وَلَا نَارًا، وَلَا نَشْهَدُ عَلَيْهِمْ بِكُفْرٍ وَلَا شَرِكٍ وَلَا نِفَاقٍ مَا لَمْ يَظْهَرِ مِنْهُمْ ذَلِكَ، وَنَذَرُ سِرَائِرَهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى).

وَقَالَ الشَّيْخُ عَبْدُ الْقَادِرِ الْجِيلَانِيُّ فِي الْغُنْيَةِ ج ١ ص ٨٩: (وَأَهْلُ السُّنَّةِ أَجْمَعُوا عَلَى أَنْ لَا يَقْطَعُوا لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ بِجَنَّةٍ وَلَا نَارٍ، مَطِيعًا كَانَ أَوْ عَاصِيًا، رَشِيدًا كَانَ أَوْ غَاوِيًا أَوْ عَاتِيًا، إِلَّا أَنْ يُطْلَعَ مِنْهُ عَلَى بَدْعَةٍ وَضَلَالَةٍ).

وَقَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ: (وَلَا يَجُوزُ تَكْفِيرُ الْمُسْلِمِ بِذَنْبٍ فَعَلَهُ وَلَا بِخَطَأٍ أَخْطَأَ فِيهِ، كَالْمَسَائِلِ الَّتِي تَنَازَعُ فِيهَا أَهْلُ الْقِبْلَةِ... وَالْخَوَارِجُ الْمَارْقُونُ الَّذِينَ أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِقِتَالِهِمْ، قَاتَلَهُمْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَاتَّفَقَ عَلَى قِتَالِهِمْ أَيْمَةُ الدِّينِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ، وَلَمْ يُكْفِّرْهُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ وَغَيْرُهُمَا مِنَ الصَّحَابَةِ، بَلْ جَعَلُوهُمْ مُسْلِمِينَ مَعَ قِتَالِهِمْ، وَلَمْ يُقَاتِلْهُمْ عَلِيُّ حَتَّى سَفَكُوا الدَّمَ الْحَرَامَ، وَأَغَارُوا عَلَى أَمْوَالِ الْمُسْلِمِينَ، فَقَاتَلَهُمْ لِدَفْعِ ظُلْمِهِمْ وَبَغْيِهِمْ، لَا لِأَنَّهُمْ كُفَّارٌ، وَلِهَذَا لَمْ يَسْبِ حَرِيمَتُهُمْ، وَلَمْ يَغْنَمْ أَمْوَالُهُمْ.

وَإِذَا كَانَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ ثَبَّتَ ضَلَالَتُهُمْ بِالنَّصِّ وَالْإِجْمَاعِ لَمْ يَكْفُرُوا مَعَ أَمْرِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ بِقِتَالِهِمْ، فَكَيْفَ بِالطَّوَائِفِ الْمُخْتَلِفِينَ الَّذِينَ اشْتَبَهَ عَلَيْهِمُ الْحَقُّ فِي مَسَائِلَ غُلْطَ فِيهَا مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ؟) / انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية ج ٣ ص ٢٨٢.

وَفِي الْعَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّةِ: (وَلَا نُكْفِّرُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ بِذَنْبٍ مَا لَمْ يَسْتَحِلَّهُ). / انظرها في شرحها لابن أبي العزِّ ص ٤٣٢. وَفِيهَا أَيْضًا فِي ص ٤٥٨: (وَلَا يُخْرِجُ الْعَبْدَ مِنَ الْإِيْمَانِ إِلَّا بِجُحُودٍ مَا أَدْخَلَهُ فِيهِ). وَفِيهَا أَيْضًا فِي ص ٥٣٩: (وَلَا نَشْهَدُ عَلَيْهِمْ بِكُفْرٍ وَلَا بِشَرِكٍ وَلَا بِنِفَاقٍ مَا لَمْ يَظْهَرِ مِنْهُمْ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، وَنَذَرُ سِرَائِرَهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى).

(١) كِفَايَةُ الطَّالِبِ الرَّبَّانِيِّ ج ١ ص ٨٢، وَفِيهِ: أَنَّ هَذَا هُوَ قَوْلُ الْفَاكِهَانِي.

وأهل القبلة هم أهل الإسلام^(١)، أو من يدعي الإسلام، ويستقبل الكعبة، وإن كان من أهل الأهواء أو من أهل المعاصي ما لم يكذب بشيء مما جاء به الرسول ﷺ^(٢). وفي العقيدة الطحاوية: (ونسَمِّي أهلَ قِبَلتنا مُسْلِمِينَ مُؤْمِنِينَ، ما داموا بما جاء به النَّبِيِّ ﷺ معترفين، وله بكل ما قال وأخبر مُصَدِّقِينَ)^(٣).

بدليل:

قوله ﷺ: (من صَلَّى صلاتنا، واستقبل قِبَلتنا، وأكل ذبيحتنا، فهو المسلم، له ما لنا وعليه ما علينا)^(٤).

(١) كِفَايَةِ الطَّالِبِ الرَّبَّانِيِّ السَّابِق.

(٢) شَرْحُ الْعَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّةِ لابن أبي العزّ ص ٤٢٦-٤٢٧.

قال ابن تيمية: (كل من كان باغياً أو ظالماً أو معتدياً أو مُرتكباً ما هو ذنبٌ، فهو قسمان: مُتَأَوِّلٌ وغير مُتَأَوِّل).

فالمُتَأَوِّلُ المُجْتَهِدُ كَأهل العلم والدين الذين اجتهدوا، واعتقد بعضهم حلّ أمور، واعتقد الآخر تحريمها، كما استحلَّ بعضهم بعض أنواع الأشربة، وبعضهم بعض المعاملات الربوية، وبعضهم بعض عقود التحليل والمُتَعَّة، وأمثال ذلك، فقد جرى ذلك وأمثاله من خيار السلف. فهو لاء المُتَأَوِّلون المُجْتَهِدون غايتهم أنهم مُحْطِثُونَ، وقد قال تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن مَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ - البقرة ٢٨٦.

أما إذا كان الباغي مُجْتَهِداً مُتَأَوِّلاً، ولم يتبين له أنه باغٍ، بل اعتقد أنه على الحق وإن كان مُحْطِثاً في اعتقاده، لم تكن تسميته باغياً موجبة لإثمه، فضلاً عن أن توجب فسقه. والذين يقولون بقتال البُغَاة المُتَأَوِّلِينَ يقولون مع الأمر بقتالهم: قتالنا لهم لدفع ضرر بغيهم، لا عقوبة لهم، بل للمنع من العدوان، ويقولون: إنهم باقون على العدالة لا يُفْسَقُونَ، ويقولون هم كغير المُكَلَّف... / مجموع الفتاوى ج ٣٥ ص ٧٥-٧٦.

(٣) الْعَقِيدَةُ الطَّحَاوِيَّةُ. انظرها في شرحها لابن أبي العزّ ص ٤٢٦. وتقدّم في كلامنا على أصلي الوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، عند المُعْتَزِلَةِ، ما يتصل بذلك.

(٤) شَرْحُ الْعَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّةِ لابن أبي العزّ ص ٤٢٦.

فإن استحلَّ الذنبَ، وإن كان صَغِيرَةً من الصغائر، كان مُكَذِّباً للشارع في النهي، فيزول التَّصَدِيقُ عن قلبه، فيكونُ كافرًا، نعوذ بالله^(١).

ولا خلاف بين المُسْلِمِينَ في أن الرَّجُلَ لو أظهر إنكارَ الواجباتِ الظَّاهِرَةِ المتواترة، والمحرماتِ الظَّاهِرَةِ المتواترة، ونحو ذلك، فإنه يُسْتَتَابُ، فإن تاب، وإلا قُتِلَ كافرًا مُرْتَدًّا^(٢).

لَكِنْ يَرُدُّ عَلَى الْقَوْلِ بِعَدَمِ تَكْفِيرِ أَهْلِ الْقِبْلَةِ:

أن فيهم المنافقين، الذين منهم من هو أَكْفَرُ من الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، بالكتاب والسُّنَّةِ والإجماع، وفيهم من قد يُظْهِرُ بَعْضَ ذَلِكَ حيث يُمَكِّنُهُمْ وهم يَتَظَاهَرُونَ بالشهادتين. ولهذا امتنع كثيرٌ من الأئمة عن إطلاق القول بأننا لا نُكْفِرُ أَحَدًا بِذَنْبٍ، بل يُقال: لا نُكْفِرُهُمْ بِكُلِّ ذَنْبٍ كما تفعله الْخَوَارِجُ^(٣).

وَفِي هَذَا الْمَقَامِ يَنْبَغِي التَّنْبِيهُ إِلَى أَمْرَيْنِ:

الأمر الأول: الشهادة على كُفْرٍ شَخْصٍ مُعَيَّنٍ.

لا تجوز الشهادة على شخصٍ مُعَيَّنٍ بأنه كافرٌ، إِلَّا بِأَمْرِ تَجُوزُ مَعَهُ الشَّهَادَةُ^(٤)، فإن

وَحَدِيث: مَنْ صَلَّى صَلَاتَنَا... إلخ، في: صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ في: ٨ كتاب الصلاة، ٢٨ باب فضل

استقبال القبلة، رقم ٣٩١ و ٣٩٢ و ٣٩٣، وكلها عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِالْفَاضِلِ مُتَقَارِبَةً.

(١) الْقَوْلُ الْفَصْلُ ص ٣٠٦.

(٢) شَرْحُ الْعَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّةِ لابن أبي العزّ ص ٤٣٣.

(٣) الْمَصْدَرُ السَّابِقُ ص ٤٣٣-٤٣٤.

(٤) وَمَعْنَى هَذَا: أَنْ نَقُولَ مِثْلًا: الشَّيُوعِيُّونَ كُفَّارٌ، أَوْ الْحُكَّامُ الْعُلَمَانِيُّونَ الرَّافِضُونَ لِحُكْمِ

الشَّرْعِ كُفَّارٌ، أَوْ مَنْ قَالَ كَذَا أَوْ دَعَا إِلَى كَذَا فَهُوَ كَافِرٌ، فَهَذَا وَذَلِكَ حُكْمٌ عَلَى النَّوْعِ. فَإِذَا تَعَلَّقَ

الْأَمْرُ بِشَخْصٍ مُعَيَّنٍ يَنْتَسِبُ إِلَى هَؤُلَاءِ أَوْ أُولَئِكَ، وَجَبَ التَّوَقُّفُ لِلتَّحَقُّقِ وَالتَّثَبُّتِ مِنْ حَقِيقَةِ

مَوْقِفِهِ، بِسْؤَالِهِ وَمُنَاقَشَتِهِ، حَتَّى تَقُومَ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ. / فَتَاوَى مُعَاوِرَةِ: د. يُوْسُفُ الْقَرَضَاوِي ج ١

ص ١٢٩.

من أعظم البغي أن يُشْهَدَ عَلَى مُعَيَّنٍ أن الله لا يَغْفِرُ له، ولا يَرْحَمُه، بل يُخَلِّدُه في النار، فإن هَذَا حكم الكافر بعد موته. والدليل عَلَى ذَلِكَ:

أ- قوله ﷺ: (كَانَ رَجُلَانِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مُتَوَاحِشَيْنِ، فَكَانَ أَحَدُهُمَا يُذْنِبُ، وَالْآخَرُ مُجْتَهِدٌ فِي الْعِبَادَةِ، فَكَانَ لَا يَزَالُ الْمُجْتَهِدُ يَرَى الْآخَرَ عَلَى الذَّنْبِ، فَيَقُولُ: أَقْصِرْ. فَوَجَدَهُ يَوْمًا عَلَى ذَنْبٍ، فَقَالَ لَهُ: أَقْصِرْ. فَقَالَ: خَلِّني وَرَبِّي، أَبْعَثْتَ عَلَيَّ رَقِيبًا؟ فَقَالَ: وَاللَّهِ، لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ، أَوْ لَا يُدْخِلُكَ الْجَنَّةَ. فَقَبَضَ أَرْوَاحَهُمَا، فَاجْتَمَعَا عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَقَالَ لَهُذَا الْمُجْتَهِدُ: أَكُنْتُ بِي عَالِمًا؟ أَوْ كُنْتُ عَلَى مَا فِي يَدَيَّ قَادِرًا؟ وَقَالَ لِلْمُذْنِبِ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي. وَقَالَ لِلْآخَرِ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ. قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتَكَلَّمْتُ بِكَلِمَةٍ أَوْ بَقِيتُ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ).

ب- الشخص المُعَيَّنُ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مُجْتَهِدًا مُخْطِئًا مَغْفُورًا لَهُ.

ج- الشخص المُعَيَّنُ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ لَهُ إِيْمَانٌ عَظِيمٌ وَحَسَنَاتٌ أَوْجِبَتْ لَهُ رَحْمَةُ اللَّهِ، كَمَا غَفَرَ لِلَّذِي قَالَ: (إِذَا مِتُّ فَاسْحَقُونِي، ثُمَّ ذَرُونِي، ثُمَّ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ لَخَشْيَتِهِ)، وَكَانَ يَظُنُّ أَنَّ اللَّهَ لَا يَقْدِرُ عَلَى جَمْعِهِ وَإِعَادَتِهِ، أَوْ شَكَّ فِي ذَلِكَ.

قال العُلَمَاءُ: لِكِنْ هَذَا التَّوَقُّفُ فِي أَمْرِ الْآخِرَةِ لَا يَمْنَعُنَا أَنْ نُعَاقِبَهُ فِي الدُّنْيَا، لِمَنْعِ بَدْعَتِهِ، وَأَنْ نَسْتَتِيبَهُ، فَإِنْ تَابَ وَإِلَّا قَتَلْنَاهُ.

وَلِذَلِكَ فَهَمْ يَنْظُرُونَ إِلَى الْقَوْلِ الصَّادِرِ مِنْهُ، فَإِنْ كَانَ الْقَوْلُ كُفْرًا بِنَفْسِهِ قِيلَ: إِنَّهُ كَفَرَ، وَقَائِلُهُ يُكْفَرُ بِشُرُوطٍ وَانْتِفَاءِ مَوَانِعٍ، وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا إِذَا صَارَ مُنَافِقًا زَنْدِيقًا. فَلَا يَتَصَوَّرُ أَنْ يُكْفَرَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ إِلَّا مَنْ يَكُونُ مُنَافِقًا زَنْدِيقًا، بِدَلِيلٍ:

أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى صَنَّفَ النَّاسَ فِي أَوَّلِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ ثَلَاثَةَ أَصْنَافٍ هِيَ: الْمُؤْمِنُونَ بَاطِنًا وَظَاهِرًا، وَالْكَافِرُونَ الَّذِينَ لَا يُقَرُّونَ بِالشَّهَادَتَيْنِ، وَالْمُنَافِقُونَ الَّذِينَ أَقَرُّوا ظَاهِرًا لَا

بَاطِنًا. فَمَنْ ثَبَتَ كُفْرَهُ وَكَانَ مُقِرًّا بِالشَّهَادَتَيْنِ فَلَا يَكُونُ إِلَّا مُنَافِقًا^(١).

وعليه: فإنه لا يكفي في الحُكْم بِكُفْرِ الشَّخْصِ الْمُعَيَّن، بناءً على ظَاهِرِهِ فقط.

قال ابن أبي العزّ: إن من كَفَرَ كُلَّ مَنْ قَالَ الْقَوْلَ الْمُبْتَدِعَ فِي الْبَاطِنِ يَلْزَمُهُ أَنْ يُكْفَرَ أَقْوَامًا لَيْسُوا فِي الْبَاطِنِ مُنَافِقِينَ، بَلْ هُمْ فِي الْبَاطِنِ يُحِبُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَإِنْ كَانُوا مُذْنِبِينَ. بِدَلِيلٍ: (أَنَّ رَجُلًا كَانَ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ، كَانَ اسْمُهُ عَبْدَ اللَّهِ، وَكَانَ يُلَقَّبُ حِمَارًا، وَكَانَ يُضْحِكُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ جَلَدَهُ مِنَ الشَّرَابِ، فَأَتَيْ بِهِ يَوْمًا، فَأَمَرَ بِهِ فَجُلِدَ. فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: اللَّهُمَّ الْعَنَّهُ، مَا أَكْثَرَ مَا يُؤْتَى بِهِ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَا تَلْعَنُهُ، فَإِنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ).

وقال ابن أبي العزّ بعد ذَلِكَ: وَهَذَا أَمْرٌ مُتَيَقِّنٌ بِهِ فِي طَوَائِفَ كَثِيرَةٍ وَأَيْمَّةٌ فِي الْعِلْمِ وَالدِّينِ، وَفِيهِمْ بَعْضُ مَقَالَاتِ الْجَهْمِيَّةِ، أَوِ الْمُرْجِيَّةِ، أَوِ الْقَدَرِيَّةِ، أَوِ الشَّيْعَةِ، أَوِ الْخَوَارِجِ. وَلَكِنَّ الْأَيْمَّةَ فِي الْعِلْمِ وَالدِّينِ لَا يَكُونُونَ قَائِمِينَ بِجُمْلَةٍ تِلْكَ الْبُدْعَةِ، بَلْ يَفْرَعُ مِنْهَا، وَلِهَذَا انْتَحَلَ أَهْلُ هَذِهِ الْأَهْوَاءِ لَطَوَائِفَ مِنَ السَّلَفِ الْمَشَاهِيرِ.

(١) شَرْحُ الْعَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّةِ لِابْنِ أَبِي الْعِزِّ ص ٤٣٦-٤٣٨.

وعدم تكفير الشخص المُعَيَّن قال به ابنُ تَيْمِيَّةَ. انظره في: مجموع الفتاوى بمواضع منها:

ج ١٢ ص ٤٨٤ و ٥٠٠ و ج ٢٣ ص ٣٤٥ و ج ٣٥ ص ٦٦ و ١٦٥.

وَحَدِيثُ: كَانَ رَجُلَانِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ... إلخ، في: سُنَنُ أَبِي دَاوُدَ في: ٣٥ كتاب الأدب، ٥١ باب النهي عن البغي، رقم ٤٩٠١، عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَقَالَ الشَّيْخُ شُعَيْبٌ فِي تَحْقِيقِهِ سُنَنُ أَبِي دَاوُدَ ج ٧ ص ٢٦٢: إِسْنَادُهُ حَسَنٌ، وَذَكَرَ مُخَرَّجِيهِ. وَقَالَ ابْنُ أَبِي الْعِزِّ ص ٤٣٧: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

وَحَدِيثُ: إِذَا مِتُّ فَاسْحَقُونِي... إلخ، رواه الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَهٍ وَأَحْمَدُ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. / انظر: هامش شَرْحِ الْعَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّةِ السَّابِقِ.

قال ابنُ تَيْمِيَّةَ: فَهَذَا رَجُلٌ شَكَّ فِي قُدْرَةِ اللَّهِ وَفِي إِعَادَتِهِ إِذَا ذُرِّي، بَلْ اعْتَقَدَ أَنَّهُ لَا يُعَادُ، وَهَذَا كُفْرٌ بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ، لَكِنَّ كَانَ جَاهِلًا لَا يَعْلَمُ ذَلِكَ، وَكَانَ مُؤْمِنًا يَخَافُ اللَّهَ أَنْ يُعَاقِبَهُ، فَغَفَرَ لَهُ بِذَلِكَ. وَالْمُتَأَوَّلُ مِنْ أَهْلِ الْاجْتِهَادِ الْحَرِيصِ عَلَى مُتَابَعَةِ الرَّسُولِ أَوَّلَى بِالْمَغْفَرَةِ مِنْ مِثْلِ هَذَا. /

مجموع الفتاوى ج ٣ ص ٢٣١.

فمن عيوب أهل البدع تكفير بعضهم بعضاً، ومن ممدوح أهل العلم أنهم يُخطئون ولا يُكفرون^(١).

الأمر الثاني: هو أن نصوصاً من الكتاب والسنة سمّت بعض الذنوب كفراً، مثل: قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ - المائدة ٤٤.

وقوله ﷺ: (سبأب المسلم فسوق وقتاله كفر).

وقوله ﷺ: (لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض).

وقوله ﷺ: (إذا قال الرجل لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما).

وقوله ﷺ: (بين المسلم وبين الكفر ترك الصلاة).

وقوله ﷺ: (من حلف بغير الله فقد كفر) ... إلخ.

وفي هذه النصوص وأمثالها إشكال على القول بعدم تكفير أهل القبلة^(٢)، إذ إن

(١) شرح العقيدة الطحاوية السابق ص ٤٣٨-٤٣٩.

وحديث: أن رجلاً كان على عهد النبي ﷺ ... إلخ، في: صحيح البخاري في: ٨٦ كتاب الحدود، ٥ باب ما يكره من لعن شارب الخمر، وإنه ليس بخارج من الملة، رقم ٦٧٨٠، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

ومراده من أهل العلم هو أهل السنة والجماعة. / هامش شرح العقيدة الطحاوية.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العزّ ص ٤٣٩-٤٤٢.

حديث: سبأب المسلم فسوق وقتاله كفر، أخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه وأحمد وغيرهم، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

وحديث: لا ترجعوا بعدي كفاراً... إلخ، أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه وأحمد وغيرهم، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

وحديث: إذا قال الرجل لأخيه: يا كافر... إلخ، أخرجه البخاري ومسلم والترمذي

المذكورين فيها مُسْلِمُونَ ارتكبوا تلك الذنوب فُنُسِبُوا إِلَى الْكُفْرِ.

وَأُجِيبَ عَنْ هَذَا الْإِشْكَالِ بِأَنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةَ مُتَّفِقُونَ جَمِيعاً عَلَى مَا يَأْتِي:

أ- إن مرتكب الكِبِيرَةِ لَا يَكْفُرُ كُفْرَ الْخَوَارِجِ الَّذِي يَنْقُلُهُ عَنْ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ بِالْكُلِّيَّةِ، إِذْ لَوْ كَفَرَ كُفْرًا يَنْقُلُ عَنْ الْمِلَّةِ لَكَانَ مُرْتَدًّا، يُقْتَلُ عَلَى كُلِّ حَالٍ.

ب- إن مرتكب الكِبِيرَةِ لَا يَكُونُ فِي مَنْزِلَةٍ بَيْنَ الْمَنْزِلَتَيْنِ كَمَا قَالَتِ الْمُعْتَزِلَةُ.

ج- إن مرتكب الكِبِيرَةِ لَا يَخْرُجُ مِنَ الْإِيْمَانِ وَالْإِسْلَامِ، وَلَا يَدْخُلُ فِي الْكُفْرِ، وَلَا يَسْتَحِقُّ الْخُلُودَ فِي النَّارِ، بِدَلِيلٍ:

أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ مَرْتَكِبَ الْكِبِيرَةِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِقَوْلِهِ: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ﴾ - البقرة ١٧٨، فلم يُخْرِجِ الْقَاتِلَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا.

وبقوله تعالى: ﴿وَلِنْ طَآئِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبَغَىٰ حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ ٩١ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ - الْحُجُرَات ٩-١٠، فلم يُخْرِجِ الْمُقْتَتِلِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ.

وَمَالِكٌ وَأَحْمَدُ وَغَيْرُهُمْ، مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وَحَدِيثُ: بَيْنَ الْمُسْلِمِ وَبَيْنَ الْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ، أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهَ وَأَحْمَدُ وَغَيْرُهُمْ، مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَحَدِيثُ: مَنْ حَلَفَ بَغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ كَفَرَ، رَوَاهُ الْحَاكِمُ وَغَيْرُهُ، مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَرَوَاهُ آخَرُونَ.

انظر تَخْرِيجَ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ بِالتَّفْصِيلِ فِي شَرْحِ الْعَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّةِ لِابْنِ أَبِي الْعِزِّ، هَامِش ص ٤٣٩-٤٤١.

ونصوص الكتاب والسُّنَّة والإجماع تَدُلُّ على أن الزاني والسارق والقاذف لا يُقْتَل، بل يُقام عليه الحدُّ، فدَلَّ على أنه ليس بمُرْتَدَّ.

د- إن مرتكب الكِبِيرَةِ يَسْتَحِقُّ الوعيد المُرْتَبَّ على ذَنْبِهِ، كما وَرَدَتْ به النصوص، لا كما يقوله المُرْجِئَةُ من أنه لا يَضُرُّ مع الإيِّان ذَنْبٌ، ولا يَنْفَعُ مع الكُفْرِ طاعةٌ^(١).

والكُفْر عندهم نوعان: اعتقاديّ، وعمليّ.

فمن يقول بأن الإيِّان قولٌ وعَمَلٌ، يَزِيدُ وينقص، قال: هو كُفْرٌ عمليّ لا اعتقاديّ. والكُفْر عنده على مراتب، كُفْرٌ دون كُفْرٍ، كالإيِّان عنده.

ومن يقول بأن الإيِّان هو التَّصْدِيقُ، ولا يَدْخُلُ العَمَلُ في مُسَمَّى الإيِّان، والكُفْر هو الجُحُودُ، ولا يَزِيدَان ولا يَنْقُصَان، قال: هو كُفْرٌ مجازي غير حقيقي، إذ الكُفْر الحقيقي هو الذي يَنْقُلُ عن المِلَّةِ. ولهذا يُحْكَمُ بإسلام الكافر إذا صَلَّى كصلاتنا^(٢).

وبناءً على ما تَقَدَّمَ، أوَّلَ العُلَمَاءُ نصوصَ التكفير الآتية الذكر، على:

أنها محمولةٌ على المُسْتَحِلِّ، فإذا اسْتَحَلَّ مرتكبُ الكِبِيرَةِ كَبِيرَتَهُ كان كافراً اتفاقاً.

أو أن هَذِهِ الكبائر قد تُوْدِي بِمَرْتَكِبِهَا إِلَى الكُفْرِ.

(١) شَرْحُ الْعَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّةِ السَّابِقِ ص ٤٤٢-٤٤٤. وانظر هَذَا فِي: لَوَائِحُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ١ ص ٣٦٨.

(٢) شَرْحُ الْعَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّةِ لِابْنِ أَبِي الْعِزِّ ص ٤٤٤-٤٤٥.

وقال الشيخ عبد القادر في الغُنْيَةِ ج ١ ص ٧٣: (ونعتقد - أي: أهل السُّنَّة والجماعة - أن المؤمن وإن أذنب ذنوباً كثيرةً من الكبائر والصغائر لا يُكْفَرُ بها، وإن خَرَجَ من الدنيا بغير توبة، إذا مات على التَّوْحِيدِ والإخلاص، بل يُرَدُّ أمرُهُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، إن شاء عفا عنه وأدخله الجنة، وإن شاء عَذَّبَهُ وأدخله النار، فلا تَدْخُلُ بَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى وَبَيْنَ خَلْقِهِ مَا لَمْ يُجْهِرِنَا اللَّهُ بِمَصِيرِهِ).

أو أن فعل الكِبِيرَةِ يُشْبِهُ فعلَ الكُفَّارِ^(١).

أو أن الكُفْرَ الوارد في هذه النصوص يُراد به كُفْرُ النعمة والإحسان وأُخُوَّةُ الإسلام، لا كُفْرُ الجُحُود^(٢). وذكرَ الشيخُ الخَلِيلِيُّ أن كُفْرَ النعمة هو نقيض الشُّكْرِ، الذي لا يُخْرِجُ صاحِبَهُ عن مِلَّةِ الإسلام، بل يُعَامَلُ في دُنياه مُعَامَلَةَ المُسْلِمِينَ^(٣).

(١) شَرْحُ صَحِيحِ مُسْلِمٍ لِلنَّوَوِيِّ ص ١٧٠ عند شرحه أَحَادِيثَ: (سَبَابُ المُسْلِمِ فُسُوقٌ...) و(لا ترجعوا بعدي كُفَّارًا...).

وفي صَفْوَةِ الْأَحْكَامِ ص ٦٣ عن الشُّوكَانِيِّ فِي نَيْلِ الْأَوْطَارِ ج ١ ص ٣١٥: أن هَذِهِ من تَأْوِيلَاتِ جُمهُورِ الْعُلَمَاءِ من السَّلَفِ وَالْخَلَفِ، مِنْهُمْ مَالِكٌ وَالشَّافِعِيُّ وَالْعِتْرَةُ مِنَ الزَّيْدِيَّةِ، عند شرحه أَحَادِيثَ كُفْرَ تَارِكِ الصَّلَاةِ تَكَاسُلًا.

ونقل الشيخ أَحْمَدُ الْخَلِيلِيُّ فِي شَرْحِ غَايَةِ الْمُرَادِ ص ١٣٥ هَذِهِ التَّأْوِيلَاتِ، وَلَمْ يَرْتَضِ شَيْئًا مِنْهَا.

(٢) شَرْحُ صَحِيحِ مُسْلِمٍ لِلنَّوَوِيِّ السَّابِقِ.

(٣) هَذَا هو التَّوْجِيهِ الذي ارْتَضَاهُ الشَّيْخُ الْخَلِيلِيُّ فِي شَرْحِ غَايَةِ الْمُرَادِ السَّابِقِ، بِنَاءً عَلَى تَقْسِيمِهِ الْكُفْرَ إِلَى كُفْرَيْنِ: كُفْرٍ جُحُودٍ، وَكُفْرٍ بِنِعْمَتِهِ تَعَالَى. وَهُوَ التَّقْسِيمُ الَّذِي أَثْبَتَهُ الْإِبَاضِيَّةُ بِاتِّفَاقٍ.

المبحث الثالث

جزاء المُرْتَدِّ

إذا ارتدَّ المسلم، والعياذ بالله، فعليه جزاءان:

١ - جزاء أخروي، وهو الخلود في النار.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ - البقرة ٢١٧.

٢ - جزاء دنيوي، وهو ما ورد في كتب الفقه من أحكام تخصه، مثل:

يجب أن يستتبع الحاكم المُرْتَدِّ، ويُزيل الشبهات من ذهنه، ويُقيم عليه الحُجَجَ، فإذا رَفَضَ الرجوع إلى الإسلام جَرَتْ عليه أحكام المُرْتَدِّ، فيجب قتله حَدًّا، بدليل: قوله ﷺ: (من بدل دينه فاقتلوه)، ونُقِلَ الإجماع على وجوب قتله^(١)، ولا تجري عليه أحكام المسلمين فلا يُغسَل، ولا تجوز الصلاة عليه، ولا يجوز دفنه في مقابر المسلمين، وينقطع التوارث بينه وبين أهله، وتُطلَق زوجته منه، لأن المسلمة لا يحلُّ زواجها بكافر، ولا يبقى له سلطان على أولاده، إذ لا يؤتمن عليهم.

وما كانت هذه الأحكام على المُرْتَدِّ إلا لأن الردّة جريمة كبرى في نظر الإسلام باعتبارها خطراً على الفرد والمجتمع، تُغيّر هوية انتهاء المسلم إلى أمته، وتُحوّل ولائه

(١) نقل الصنعاني في سُبُل السَّلام ج ٣ ص ٢٦٥ الإجماع على قتل المُرْتَدِّ. واستدلَّ بحديث:

(من بدل دينه فاقتلوه)، رواه البخاري وغيره عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وانظر أيضاً: صفوة

الأحكام ص ٣٩٢ والتشريع الجنائي الإسلامي ج ٢ ص ٧٢٠.

لأعدائها، فيُبيح لنفسه الاستعانة بالعدو على أهله وأُمَّتِه، لذا وَصَفَهُ ﷺ بأنه: (التارك لدينِه، المفارق للجَمَاعَةِ)^(١)، وأصبح خطره أعظم من خطر العدو الظَّاهِر. **لِذَلِكَ:**

لا يجوز لأحد أن يُسارع في تكفير مُسلم، بحُجَّة أنه يراه على كِبِيرَةٍ من الكبائر، لأن الحُكْمَ بالتكفير ليس بالأمر الهَيِّن، إذ هو سلخٌ لهذا المُسلم عن مجتمعه وأُمَّتِه، فهو كالحُكْم بالموت على إنسان، فيُدْفَن وهو حيٌّ.

وآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

(١) انظر خطورة الرِّدَّة في بحث (جريمة الرِّدَّة وعقوبة المُرتدِّ) للدكتور يُوسُف القَرَصَاوِي ص ٣٧ وما بعدها. وانظر: فتاوى معاصرة له ج ١ ص ١٣٠.

وحديث: التارك لدينِه... إلخ، مُتَّفَق عليه. وهو جزء من حديث: (لا يَحِلُّ دم امرئ مُسلم، يَشْهَد أن لا إله إلا الله، وأني رَسُولُ الله، إلا بإحدى ثلاث: الثَّيِّب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينِه المفارق للجَمَاعَةِ). / انظره في: صَفْوَةُ الْأَحْكَام ص ٣٥٩.

فهرست المصادر^(١)

● الإباضية بين الفرق الإسلامية عند كتّاب المقالات في القديم والحديث: عليّ يحيى معمر، المتوفى سنة ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م.

مكتبة أبي الشعثاء، السيب، سلطنة عُمان، المطبعة العربية في غرداية، سنة ١٩٨٧م.

● الإبانة عن أصول الديانة: الإمام أبو الحسن عليّ بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق الأشعري، المتوفى سنة ٣٢٤هـ = ٩٣٦م.

تحقيق: د. فوقية حسين محمود.

الطبعة الأولى، توزيع دار الأنصار بالقاهرة، مطابع الدجوي بالقاهرة سنة ١٣٩٧هـ = ١٩٧٧م.

● الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة: ابن بطة، أبو عبد الله عبّيد الله بن محمّد بن محمّد بن حمدان العكبري الحنبلي، المتوفى سنة ٣٨٧هـ.

تحقيق: أحمد فريد المزيدي.

الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية ببيروت، سنة ١٤٢٢هـ = ٢٠٠٢م.

● الإبهاج في شرح المنهاج: تقي الدين أبو الحسن عليّ بن عبد الكافي بن عليّ الشبكي، المتوفى سنة ٧٥٦هـ = ١٣٥٥م. وولده تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن عليّ بن عبد الكافي

(١) رتبت المصادر بحسب الحروف الهجائية، وأثبتت التواريخ الميلادية على النحو الوارد في كتاب (معجم الأعلام) لبسام عبد الوهاب الجابي، وهو مختصر كتاب (الأعلام) للزركلي، وكذا الوارد في (معجم المؤلفين) لعمر رضا كحالة، و(تكملة معجم المؤلفين) لمحمّد خير رمضان يوسف.

وقارنت التاريخين الهجري والميلادي للتأكد من توافقهما، بما ورد في كتاب (جدول السنين الهجرية بليالها وشهورها بما يوافقها من السنين الميلادية بأيامها وشهورها) للمستشرق ف. ويستنفلد، الذي ترجمه إلى اللغة العربية: د. عبد المنعم ماجد، وعبد المحسن رمضان.

السُّبُكِّي، المُتَوَفَّى سنة ٧٧١هـ = ١٣٧٠م.

ومنهاج الوصول إلى علم الأصول، للقاضي ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي الشيرازي الشافعي، المُتَوَفَّى سنة ٦٨٥هـ = ١٢٨٦م.

تحقيق: د. شعبان محمد إسماعيل.

الطبعة الأولى، المكتبة المكيّة في مكّة المكرّمة ودار ابن حزم في بيروّت، سنة

١٤٢٥هـ = ٢٠٠٤م.

● إتحاف السادة المتّقين بشرح إحياء علوم الدين: السيّد أبو الفيض محمد مرتضى بن محمد بن محمد الحسيني الزبيدي الحنفي، المُتَوَفَّى سنة ١٢٠٥هـ = ١٧٩٠م. وبهامشه:

إحياء علوم الدين، للإمام أبي حامد محمد بن محمد بن أحمد الغزالي الطوسي الشافعي، المُتَوَفَّى سنة ٥٠٥هـ = ١١١١م.

تعريف الأحياء بفصائل الإحياء، للشيخ عبد القادر بن شيخ بن عبد الله بن شيخ بن عبد الله العيدروس باعلوي، المُتَوَفَّى سنة ١٠٣٨هـ = ١٦٢٨م.

الإملاء في إشكالات الإحياء، للإمام أبي حامد الغزالي، ردّ به على بعض اعتراضات أوردها بعض المعاصرين له على بعض مواضع من الإحياء.

مؤسّسة التاريخ العربيّ بيروّت، لُبْنان سنة ١٤١٤هـ = ١٩٩٤م، وهي طبعة مُصوَّرة على طبعة المطبعة الميمنية بمصر التي انتهى طبعها سنة ١٣١١هـ.

● الإثقان في علوم القرآن: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، المُتَوَفَّى سنة

٩١١هـ = ١٥٠٥م.

تحقيق: فواز أحمد زمرلي.

الطبعة الأولى، دار الكتاب العربيّ بيروّت، سنة ١٤٢٤هـ = ٢٠٠٣م.

● إثبات نبوة النبي ﷺ: أبو الحسين أحمد بن الحسين بن هارون الحسيني الزبيدي

الهاروني، المُتَوَفَّى سنة ٤٢١هـ.

تحقيق: خليل أحمد إبراهيم الحاج.

المكتبة العلميّة.

● الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة: شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن القرافي المصري المالكي، المتوفى سنة ٦٨٤هـ=١٢٨٥م.

طبع بهامش كتاب (الفارق بين المخلوق والخالق).

● إحياء علوم الدين: الإمام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي الطوسي الشافعي، المتوفى سنة ٥٠٥هـ=١١١١م.

ومعه: المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار، لزين الدين أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي، المتوفى سنة ٨٠٦هـ=١٤٠٤م. وبهامشه:

أ- تعريف الأحياء بفضائل الإحياء، لعبد القادر بن شيخ بن عبد الله بن شيخ بن عبد الله العيدروس باعلوي، المتوفى سنة ١٠٣٨هـ=١٦٢٨م.

ب- الإملاء عن إشكالات الإحياء، للإمام أبي حامد الغزالي، ردبه اعتراضات أوردها بعض المعاصرين له على بعض مواضع من الإحياء.

ج- عوارف المعارف، لأبي حفص عمر بن محمد بن عبد الله الشهروردي، المتوفى سنة ٦٣٢هـ=١٢٣٤م.

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، سنة ١٩٣٩م.

وانظر: إتحاف السادة المتقين.

● اختصار علوم الحديث: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي الشافعي، المتوفى سنة ٧٧٤هـ=١٣٧٣م.

وعليه شرح: الباعث الحثيث، لأحمد محمد شاكر، المتوفى سنة ١٣٧٧هـ=١٩٥٨م.

الطبعة الثالثة، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده بالقاهرة، سنة ١٣٧٧هـ=١٩٥٨م.

● أدلة جواز التوسل بالنبي ﷺ: أحمد بن زيني دحلان. انظر: رسالة فيما يتعلق بأدلة جواز التوسل بالنبي وزيارته ﷺ.

● الأديان دراسة تاريخية مقارنة، القسم الأول: الديانات القديمة: د. رشيدي عليان، المتوفى سنة ١٤٠٩هـ=١٩٨٩م، ود. سعدون الساموك.

دار الحرية ببغداد سنة ١٩٧٦م.

● أديان الهند الكبرى: د. أحمد شلبي.

الطبعة الثالثة، القاهرة، سنة ١٩٧٢ م.

● الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد: إمام الحرمین أبو المعالي ضياء الدين

عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني النيسابوري الشافعي، المتوفى سنة ٤٧٨هـ=١٠٨٥ م.

تحقيق: د. محمد يوسف موسى، وعلي عبد المنعم عبد الحميد.

الطبعة الثالثة، الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة، الشركة الدولية للطباعة بالقاهرة، سنة

١٤٢٢هـ=٢٠٠٢ م.

● إرشاد الساري إلى شرح صحيح البخاري: شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني

الشافعي، المتوفى سنة ٩٢٣هـ=١٥١٧ م.

والبخاري هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، المتوفى سنة ٢٥٦هـ=٨٧٠ م.

وبهامشه:

شرح الإمام النووي أبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف بن مري الشافعي، المتوفى

سنة ٦٧٦هـ=١٢٧٧ م، على صحيح مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، المتوفى سنة

٢٦١هـ=٨٧٥ م.

دار الكتاب العربي بيروت، وهي الطبعة المصورة عن الطبعة السابعة التي طبعت بالمطبعة

الأميرية ببولاق مصر سنة ١٣٢٣-١٣٢٧هـ.

● إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول: محمد بن علي بن محمد

الشوكاني، المتوفى سنة ١٢٥٠هـ=١٨٣٤ م. وبهامشه:

شرح الشيخ أحمد بن قاسم العبادي الشافعي، المتوفى سنة ٩٩٢هـ=١٥٨٤ م، على:

شرح جلال الدين محمد بن أحمد بن محمد المحلي الشافعي، المتوفى سنة

٨٦٤هـ=١٤٥٩ م، على الورقات في الأصول، لإمام الحرمین أبي المعالي ضياء الدين عبد الملك بن

عبد الله بن يوسف الجويني النيسابوري الشافعي، المتوفى سنة ٤٧٨هـ=١٠٨٥ م.

الطبعة الأولى، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر سنة ١٩٣٧ م.

● أساس البلاغة: جاز الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، المتوفى سنة ٥٣٨هـ=١١٤٤م.

تحقيق: عبد الرحيم محمود.

الطبعة الأولى، مطبعة أورفاند بالقاهرة، سنة ١٩٥٣م، وهي طبعة مصورة على طبعة دار الكتب المصرية التي طبعت سنة ١٣٤١هـ.

● أساس التقديس في علم الكلام: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين الخطيب التيمي البكري القرشي الشافعي، فخر الدين الرازي، المتوفى سنة ٦٠٦هـ=١٢١٠م.

الطبعة الأولى، مؤسسة الكتب الثقافية ببيروت، سنة ١٤١٥هـ=١٩٩٥م.

● الأساس لعقائد الأكياس في معرفة رب العالمين وعذله في المخلوقين وما يتصل بذلك من أصول الدين: القاسم بن محمد بن علي الزيدي العلوي، المتوفى سنة ١٠٢٩هـ=١٦٢٠م. حقه وقدم له: البير نصري نادر.

الطبعة الأولى، دار الطليعة للطباعة والنشر ببيروت، سنة ١٩٨٠م.

● إسلام بلا مذاهب: د. مصطفى الشكعة.

الطبعة الرابعة عشرة، الدار المصرية اللبنانية، سنة ١٤٢٠هـ=٢٠٠٠م.

● الإسلام عقيدة وشريعة: الإمام محمود شلتوت، المتوفى سنة ١٣٨٣هـ=١٩٦٣م.

الطبعة السادسة عشرة، دار الشروق ببيروت، القاهرة، سنة ١٤١٢هـ=١٩٩٢م.

● الإسلام يتحدى: وحيد الدين خان.

الطبعة الرابعة سنة ١٩٧٣م.

● الأسماء الحسنى: محمد حسنين مخلوف، كتب الخاتمة في سنة ١٣٩٥هـ=١٩٧٥م.

دار المعارف بمصر.

● الإسماعيلية تاريخ وعقائد: إحسان إلهي ظهير، المتوفى سنة ١٤٠٧هـ=١٩٨٧م.

الطبعة الأولى، الناشر: إدارة ترجمان السنة بلاهور باكستان، طباعة دار عالم الكتب بالرياض،

سنة ١٤٠٦هـ=١٩٨٦م.

● الأَسْنَى فِي شَرْحِ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى وَصِفَاتِهِ الْعُلَى: أبو عبد الله شمس الدين مُحَمَّد بن أَحْمَد بن أبي بَكْر بن فَرْح النَّصَارِي الْخَزَرَجِي الْقُرْطُبِي، الْمُتَوَفَّى سنة ٦٧١هـ = ١٢٧٣م.

تَحْقِيق: د. صالح عَطِيَّة الحطمانى.

الطَّبَعَةُ الْأُولَى، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، الجماهيرية العربية الليبية، سنة ١٣٦٩ من وفاة الرَّسُول ﷺ = ٢٠٠١م.

● إَشَارَاتُ الْمَرَامِ مِنْ عِبَارَاتِ الْإِمَامِ (وهو شَرْحُ الْأُصُولِ الْمُئِنَّةِ لِلْإِمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ): كلاهما للإمام كَمَالُ الدِّينِ أَحْمَدُ ابْنُ الْقَاضِي الْحَسَنِ بْنِ يُوسُفَ الْبَيَّاضِيِّ الْحَنْفِيِّ الرَّومِيِّ الْبُسْنَوِيِّ الْأَصْل، الْمُتَوَفَّى بعد سنة ١٠٨٣هـ.

تَحْقِيق: الشيخ يُوسُفُ عبد الرَّازِق.

الناشر: المكتبة الْأَزْهَرِيَّةُ لِلتَّوَارِثِ. وهي مُصَوَّرَةٌ فِي دارِ الطَّبَاعَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ بِالْقَاهِرَةِ، سنة ٢٠٠٨م.

● أَصْلُ الشَّيْعَةِ وَأُصُولُهَا: مُحَمَّدُ الْحُسَيْنُ آلُ كَاشِفِ الْغَطَاءِ، الْمُتَوَفَّى سنة ١٣٧٣هـ = ١٩٥٤م. قَدْ لَه: مُرْتَضَى الْعَسْكَرِيِّ.

منشورات مُؤَسَّسَةِ الْأَعْلَمِيِّ لِلْمَطْبُوعَاتِ بِبَيْرُوتِ.

● أَصُولُ الدَّعْوَةِ: د. عبد الْكَرِيمِ زَيْدَان.

الطَّبَعَةُ الْأُولَى، بَغْدَاد، سنة ١٩٦٨م.

● أَصُولُ الدِّينِ: جمال الدِّينِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْحَنْفِيِّ الْغَزْنَويِّ، الْمُتَوَفَّى سنة ٥٩٣هـ = ١١٩٧م.

تَحْقِيقٌ وَتَعْلِيلٌ: د. عُمَرُ وَفِيقُ الدَّاعِقِ.

الطَّبَعَةُ الْأُولَى، دارُ الْبَشَائِرِ الْإِسْلَامِيَّةِ، سنة ١٤١٩هـ = ١٩٩٨م.

● أَصُولُ الدِّينِ: أَبُو مَنْصُورِ عَبْدِ الْقَاهِرِ بْنِ طَاهِرِ بْنِ مُحَمَّدِ الْبَغْدَادِيِّ الْإِسْفَرَايِينِيِّ التَّمِيمِيِّ، الْمُتَوَفَّى سنة ٤٢٩هـ = ١٠٣٧م.

الناشر: مكتبة الْمُثَنَّى بِبَغْدَادِ وَمُؤَسَّسَةُ الْخَانَجِيِّ بِمِصْرَ، وهي مُصَوَّرَةٌ عَلَى الطَّبَعَةِ الْأُولَى المطبوعة بِمَطْبَعَةِ الدَّوْلَةِ بِإِسْتَنْبُولِ سنة ١٩٢٨م.

- **أُصُولُ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ**: د. قَحْطَانُ عَبْد الرَّحْمَنِ الدُّورِيِّ ود. رُشْدِي عَلِيَّان، المُتَوَفَّى سنة ١٤٠٩هـ=١٩٨٩م.
- طَبْعَةُ دار الفكر الثانية في عَمَّان، الأَزْدُنَّ، سنة ١٤٢٢هـ=٢٠٠٢م، وهي الطَّبْعَةُ السادسة للكتاب.
- **أُصُولُ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ**: مُحَمَّدٌ عَلِيٌّ نَاصِر.
- منشورات المكتبة العَصْرِيَّة، صَيْدَا، بَيْرُوت.
- **الأُصُولُ العامة للْفِقْهِ المِقَارِن**: مُحَمَّدٌ تَقِيَّ الحَكِيم.
- الطَّبْعَةُ الأَوَّلَى، دار الأَنْدَلُس للطَّبَاعَةِ والنَّشْرِ، بَيْرُوت، سنة ١٩٦٣م.
- **أُصُولُ الْفِقْهِ**: د. عبد الكَرِيم زَيْدَان. انظر: الوَجِيزُ فِي أُصُولِ الْفِقْهِ.
- **أُصُولُ الْفِقْهِ**: مُحَمَّدٌ أَبُو النُّورِ زُهَيْرُ الْمَالِكِيِّ الأَزْهَرِيِّ، المُتَوَفَّى سنة ١٤٠٧هـ=١٩٨٧م.
- الطَّبْعَةُ الأَوَّلَى، المكتبة الأَزْهَرِيَّة لِلتُّرَاثِ بالقَاهِرَةِ، دار السَّعَادَةِ للطَّبَاعَةِ بالقَاهِرَةِ، سنة ١٩٩٦-٢٠٠٤م.
- **إظهار الحق**: رحمة الله بن خَلِيلِ الرَّحْمَنِ الهِنْدِيِّ.
- تَحْقِيق**: عُمَرُ الدُّسُوقِيِّ.
- مَطْبَعَةُ الرِّسَالَةِ، القَاهِرَةِ، سنة ١٩٦٤م.
- **اعْتِقَادَاتُ فِرَقِ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُشْرِكِينَ**: أَبُو عبد الله مُحَمَّدُ بنُ عُمَرَ بنِ الْحُسَيْنِ الْخَطِيبِ التَّيْمِيِّ الْبَكْرِيِّ الْقُرَشِيِّ الشَّافِعِيِّ، فَخْرُ الدِّينِ الرَّازِيِّ، المُتَوَفَّى سنة ٦٠٦هـ=١٢١٠م.
- ومعه كتاب: المرشد الأمين إلى اعتقادات فِرَقِ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُشْرِكِينَ، لطفه عبد الرَّؤُوفِ سَعْدٍ، وَمُصْطَفَى الْهَوَّارِيِّ.
- مكتبة الكُلِّيَّاتِ الأَزْهَرِيَّةِ، شركة الطَّبَاعَةِ الْفَنِية الْمُتَّحِدَةِ بالقَاهِرَةِ، سنة ١٣٩٨هـ=١٩٧٨م.
- **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية**: مُصْطَفَى صَادِقِ الرَّافِعِيِّ، المُتَوَفَّى سنة ١٣٥٦هـ=١٩٣٧م.
- الطَّبْعَةُ السادسة، سنة ١٩٥٦م، مِصْر.

● الأعلام - قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين: خير الدين بن محمود بن محمد الزركلي الدمشقي، المتوفى بالقاهرة سنة ١٣٩٦هـ=١٩٧٦م.

الطبعة الرابعة، دار العلم للملايين، سنة ١٩٧٩م.

● أعلام النبوة: أبو الحسن علي بن محمد الماوردي، المتوفى سنة ٤٥٠هـ=١٠٥٨م. مضر، سنة ١٩٧١م.

● الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده، المتوفى سنة ١٣٢٣هـ=١٩٠٥م. جمعها وحققها: محمد عمارة.

الطبعة الأولى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ببيروت، سنة ١٩٧٢-١٩٧٤م.

● الاقتصاد في الاعتقاد: الإمام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي الطوسي الشافعي، المتوفى سنة ٥٠٥هـ=١١١١م. وضع حواشيه: عبد الله محمد الخليلي.

الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية ببيروت، سنة ١٤٢٤هـ=٢٠٠٤م.

● إكمال إكمال المعلم (وهو شرح صحيح مسلم): أبو عبد الله محمد بن خلفه الوشتاني الأبي المالك، المتوفى سنة ٨٢٧هـ=١٤٢٤م. جمع فيه شروح صحيح مسلم الأربعة: للمازري وعياض والقرطبي والنووي مع زيادات.

ومعه: مكمل إكمال الإكمال، لأبي عبد الله محمد بن محمد بن يوسف السنوسي الحسني، المتوفى سنة ٨٩٥هـ.

والمعلم بفوائد مسلم، لأبي عبد الله محمد بن علي بن عمر المازري التميمي، المتوفى سنة ٥٣٦هـ=١١٤١م. والمعلم هو أول شرح لصحيح مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، المتوفى سنة ٢٦١هـ=٨٧٥م.

وإكمال المعلم في شرح مسلم، للقاضي أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي، المتوفى سنة ٥٤٤هـ=١١٤٩م.

الطبعة الأولى، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، سنة ١٤١٥هـ=١٩٩٤م.

- إجماع العوام عن علم الكلام: الإمام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي الطوسي الشافعي، المتوفى سنة ٥٠٥هـ=١١١١م.
- مكتبة الحقيقة بإستانبول، تركيا، سنة ١٤١٠هـ=١٩٩٠م، وهي طبعة مصورة على المطبوعة بمطبعة (محب) في سوق (باب عالي)، سنة ١٢٨٧هـ.
- أم البراهين: السنوسي. انظر: حاشية الدسوقي على شرح أم البراهين.
- الأموال: الحافظ أبو عبيد القاسم بن سلام، المتوفى سنة ٢٢٤هـ=٨٣٨م.
- تحقيق وتعليق: محمد خليل هراس.
- الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية، دار الشرق للطباعة بالقاهرة، سنة ١٩٦٩م.
- أمية الرسول محمد ﷺ: د. قحطان عبد الرحمن الدوري.
- الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة ببيروت، ودار البشير بعمان، الأردن، سنة ١٤١٧هـ=١٩٩٦م.
- الانتصار والرد على ابن الروندي الملحد ما قصد به من الكذب على المسلمين والظعن عليهم: أبو الحسين عبد الرحيم بن محمد بن عثمان الخياط المعتزلي، المتوفى بعد سنة ٣٠٠هـ بقليل.
- مع مقدمة وتحقيق وتعليقات: د. نيرج الأستاذ بجامعة أيسالة من مملكة السويد.
- الطبعة الثانية ببيروت، مكتبة الدار العربية للكتاب بالقاهرة، سنة ١٤١٣هـ=١٩٩٣م.
- إنجيل برنابا.
- ترجمة: د. خليل سعادة.
- القاهرة، سنة ١٩٠٨م.
- الأنساب: أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي الشافعي، المتوفى سنة ٥٦٢هـ=١١٦٦م.
- حقق ج ١-٦ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، المتوفى سنة ١٣٨٦هـ=١٩٦٦م.
- وج ٧-٨ محمد عوامة. وج ٩ محمد عوامة ورياض مراد. وج ١٠ عبد الفتاح محمد الحلو.
- وج ١١ رياض مراد ومطبع الحافظ. وج ١٢ أكرم البوشي.

الناشر: مُحَمَّد أمين دمج، بَيْرُوت، لُبْنَان.

ج ١-٦ الطَّبْعَةُ الثانية سنة ١٤٠٠هـ=١٩٨٠م. ج ٧ الطَّبْعَةُ الأولى سنة ١٣٩٦هـ=١٩٧٦م.
ج ٨ بلا تاريخ ولا طَبْعَة، والجزءان ٧-٨ في مَطْبَعَة مُحَمَّد هَاشِم الكُتَيْبِي بِدِمَشْق. ج ٩ الطَّبْعَةُ الثانية سنة ١٤٠١هـ=١٩٨١م. ج ١٠ الطَّبْعَةُ الأولى سنة ١٤٠١هـ=١٩٨١م. ج ١١ الطَّبْعَةُ الأولى سنة ١٤٠٥هـ=١٩٨٤م. ج ١٢ الطَّبْعَةُ الأولى سنة ١٤٠٤هـ=١٩٨٤م.

● الإنسان ذَلِك المجهول: الكسيس كاريل.

تعريب: شفيق أسعد فريد.

بَيْرُوت، لُبْنَان.

● الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به: القاضي أبو بكر مُحَمَّد بن الطَّيِّب بن مُحَمَّد الباقِلَانِي البَصْرِي، المُتَوَفَّى سنة ٤٠٣هـ=١٠١٣م.

تَحْقِيق: مُحَمَّد زَاهِد بن الحَسَن الكَوَثَرِي، المُتَوَفَّى سنة ١٣٧١هـ=١٩٥٢م.

أَشْرَف على مراجعة أصله وتَصْحِيحِهِ: عبد الوَهَّاب عبد اللطيف.

الطَّبْعَةُ الرابعة، الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة، الشركة الدولية للطباعة بالقاهرة، سنة ١٤٢١هـ=٢٠٠١م.

● الإيمان: أبو عُبَيْد القَاسِم بن سَلَام. انظر: كتاب الإيمان.

● الإيمان: أبو يَعْلَى مُحَمَّد بن الحُسَيْن بن مُحَمَّد بن خَلْف بن أَحْمَد بن الفَرَّاء البَغْدَادِي، المُتَوَفَّى سنة ٤٥٨هـ.

تَحْقِيق وتَعْلِيل: سُعُود بن عبد العزيز الخَلْف.

الطَّبْعَةُ الأولى، دار العاصِمة بالرياض، سنة ١٤١٠هـ.

● الإيمان: أركانهُ، حقيقته، نواقضه: د. مُحَمَّد نَعِيم ياسين.

الطَّبْعَةُ الخامسة، الناشر: دار الفرقان، عَمَّان، الأُرْدُن، مطابع جمعية عُمَّال المطابع التعاونية، عَمَّان، سنة ١٤١٠هـ=١٩٨٩م.

● الإيمان والحياة: د. يُوْسُف القَرَضَاوِي.

الطَّبْعَةُ الثالثة عشرة، مكتبة وهبة بالقاهرة، دار التوفيق النموذجية للطباعة، سنة ١٤٢٣هـ=٢٠٠٢م.

- الباب الحادي عشر: العَلَامَةُ الحِلِّي. انظر: مِفْتَاح الباب.
- البَاعِثُ الحَثِيث: أَحْمَدُ مُحَمَّدَ شَاكِر. انظر: اختِصَارُ عُلُومِ الحَدِيث.
- البَحْرُ الزَّخَارُ الجَامِعُ لِمَذَاهِبِ عُلَمَاءِ الْأُمَصَار: الإمام المَهْدِيّ لدين الله أَحْمَدُ بن يَحْيَى بن المُرْتَضَى، المُتَوَفَى سنة ٨٤٠هـ=١٤٣٧م. وبهامشه: جَوَاهِرُ الْأَخْبَارِ والآثار المستخرجة من لُجَّةِ البَحْرِ الزَّخَار، لِمُحَمَّد بن يَحْيَى بَهْرَان الصَّعْدِيّ، المُتَوَفَى سنة ٩٥٧هـ=١٥٥٠م.
- ومعه: تَعْلِيقات من مراجع مُخْتَلِفَة: لمصححه القاضي عبد الله بن عبد الكريم الجُرَافِيّ اليمَنِيّ الصَّنَعَانِيّ.
- أَشْرَفَ عَلَى الطَّبْعَةِ الْأُولَى: عبد الله بن مُحَمَّد الصَّدِيق وعبد الحَفِيط سَعْد عَطِيَّة.
- مُؤَسَّسَةُ الرِّسَالَةِ بَبِירוْت، طَبْعَةُ مُصَوَّرَة سنة ١٩٧٥م عَلَى الطَّبْعَةِ الْأُولَى التي طبعت في القَاهِرَة سنة ١٩٤٧-١٩٤٩م.
- وقد ضمت طَبْعَةُ مُؤَسَّسَةِ الرِّسَالَةِ مُقَدِّمَة كِتَابِ البَحْرِ الزَّخَار، وجعلته الجزء الأول، في علم الكلام وَأَصُولِ الفِقه وتاريخ الرُّسُول ﷺ والعشرة المشهورين من أصحابه، وتعداد الأئمة الزَّيْدِيَّة... إلخ، حَقَّقَهُ: السَّيِّدُ يَحْيَى عبد الكريم الفضيل، وهو الذي قام بمراجعة الأغلاط التي وقعت في الطَّبْعَةِ الْأُولَى.
- بَحْرُ الْعُلُوم (تَفْسِيرُ السَّمَرْقَنْدِيّ): أَبُو اللَّيْثِ نَصْر بن مُحَمَّد بن أَحْمَد بن إِبْرَاهِيم السَّمَرْقَنْدِيّ، المُتَوَفَى سنة ٣٧٥هـ.
- تَحْقِيق: عَلِيّ مُحَمَّد معوّض، وعادل أَحْمَد عبد الموجود، ود. زَكَرِيَّا عبد المَجِيد النُوتِي. الطَّبْعَةُ الْأُولَى، دار الكتب الْعِلْمِيَّة بَبِירוْت، سنة ١٤١٣هـ=١٩٩٣م.
- بَحْرُ الْكَلَام: أَبُو الْمُعِين مَيْمُون بن مُحَمَّد النَّسْفِيّ، المُتَوَفَى سنة ٥٠٨هـ=١١١٤م.
- تَحْقِيق: السَّيِّدُ يُوْسُفُ أَحْمَد.
- الطَّبْعَةُ الْأُولَى، دار الكتب الْعِلْمِيَّة بَبِירוْت، سنة ١٤٢٦هـ=٢٠٠٥م.
- البَحْرُ الْمُحِيط: أَثِيرُ الدِّينِ أَبُو عبد الله مُحَمَّد بن يُوْسُف بن عَلِيّ بن يُوْسُف بن حَيَّان النَّفْزِيّ الْأَنْدَلُسِيّ، الشهير بابن حَيَّان وبأبي حَيَّان، المُتَوَفَى سنة ٧٤٥هـ=١٣٤٤م. وبهامشه:

- ١- النهر الماد من البحر، لابن حيّان أيضاً.
 - ٢- الدرّ اللقيط من البحر المحييط، لتلميذ ابن حيّان الإمام تاج الدّين أبي محمّد أحمد بن عبد القادر بن أحمد بن مكثوم القيسي الحنفي النحوي، المتوفى سنة ٧٤٩هـ=١٣٤٨م.
- الناشر: مكتبة ومطابع النّصر الحديثة، الرّياض، مطابع أفتست كونر وغرافير ببيروت، وهي طبعة مضمّنة على المطبوعة بمطبعة السّعادة التي تمّ طبعها أوائل سنة ١٣٢٩هـ.
- والطبعة التي حقّقها: عادل أحمد عبد الموجود، وعليّ محمّد معوض، ود. زكريّا عبد المجيد النوتي، ود. أحمد النجولي الجمل.
- الطبعة الأولى، دار الكتب العلميّة ببيروت، سنة ١٤١٣هـ=١٩٩٣م.
- البدء والتاريخ: مطهر بن طاهر المقدسي، المتوفى بعد سنة ٣٥٥هـ - بعد سنة ٩٦٦م. المنسوب تأليفه لأبي زيد أحمد بن سهل البلخي، المتوفى سنة ٣٢٢هـ.
- اعتنى بنشره وترجمته إلى الفرنسية: كلّمان هوار.
- الطبعة التي صورتها بالأوفست مكتبة المثنى ببغداد، على المطبوعة بمديّنة شالون سنة ١٨٩٩-١٩١٩م.
- وللكتاب فهارس صنعها: الأستاذ عبد الله الجبوري.
- الطبعة الأولى، مطبعة المعارف ببغداد سنة ١٣٨٥هـ=١٩٦٥م.
- البداية والنهاية: عماد الدّين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي الشافعي، المتوفى سنة ٧٧٤هـ=١٣٧٣م.
- الناشر: مكتبة المعارف ببيروت ومكتبة النّصر بالرياض، سنة ١٩٦٦م، وهي طبعة مضمّنة على الطبعة الأولى المطبوعة بمصر.
- بذل المجهود في حلّ أبي داود: خليل أحمد السّهارنفوري، المتوفى سنة ١٣٤٦هـ.
- مع تعليل: الشيخ محمّد زكريّا بن يحيى الكاندهلوي، المتوفى سنة ١٤٠٢هـ=١٩٨٢م.
- الطبعة الأولى، دار الريان للتراث بالقاهرة، مطابع الأهرام التجارية بالقاهرة، سنة ١٤٠٨هـ=١٩٨٨م.

- البرهان في علوم القرآن: بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي الشافعي، المتوفى سنة ٧٩٤هـ=١٣٩٢م.
- تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المتوفى سنة ١٤٠١هـ=١٩٨١م.
- الطبعة الثانية، مطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر، سنة ١٩٧٢م.
- البعد الحضاري للعقيدة الإباضية: الدكتور فرحات الجعبري.
- مطبعة الألوان الحديثة بسلطنة عمان، سنة ١٩٨٩م.
- بهجة الأنوار شرح أنوار العقول في التوحيد: نور الدين أبو محمد عبد الله بن حميد أو (حميد كصديق) ابن سلوم السالمي، المتوفى سنة ١٣٣٢هـ=١٩١٤م. وأنوار العقول: منظومة للسالمي أيضاً.
- الطبعة الثالثة، مطابع النهضة بسلطنة عمان، سنة ١٤١٤هـ=١٩٩٤م.
- بيان إعجاز القرآن: الخطابي. انظر: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن.
- بيان مذهب الباطنية وبطلانه، (وهو منقول من كتاب قواعد عقائد آل محمد): محمد بن الحسن الديلمي. أتمه سنة ٧٠٧هـ.
- عني بتصحّحه: ر. شتروطمان.
- إستانبول، مطبعة الدولة سنة ١٩٣٨م. وهو من النشريات الإسلامية لجمعية المستشرقين الألمانية.
- البيان والتبيين: أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ، المتوفى سنة ٢٥٥هـ=٨٦٩م.
- تحقيق: عبد السلام محمد هارون، المتوفى سنة ١٤٠٨هـ=١٩٨٨م.
- الطبعة الخامسة، مكتبة الخانجي بمصر، مطبعة المدني بالقاهرة، سنة ١٤٠٥هـ=١٩٨٥م.
- تأنيب الخطيب على ما ساقه في ترجمة أبي حنيفة من الأكاذيب: محمد زاهد بن الحسن بن علي الكوثري، المتوفى سنة ١٣٧١هـ=١٩٥٢م.
- ويليه:

الترحيب بنقد التأنيب، للكوثري أيضاً.

مع تعليقات الأستاذ أحمد خيرى.

الطبعة الخامسة، سنة ١٤١٠هـ = ١٩٩٠م.

● تأويلات أهل السنة ويسمى (تأويلات القرآن)، وهو تفسير الماتريدي. (الجزء

الأول): أبو منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي السمرقندي الحنفي، المتوفى سنة ٣٣٣هـ = ٩٤٤م.

تحقيق: د. إبراهيم عوضين والسيد عوضين.

الجمهورية العربية المتحدة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة القرآن والسنة. يشرف على إصدارها: محمد توفيق عويضة. القاهرة، مطابع الأهرام التجارية، سنة ١٣٩١هـ = ١٩٧١م.

● تاج التراجم في طبقات الحنفية: أبو الفداء زين الدين قاسم بن قطلوبغا السودوني، المتوفى سنة ٨٧٩هـ = ١٤٧٤م.

تحقيق: محمد خير رمضان يوسف.

الطبعة الأولى، دار القلم بدمشق، سنة ١٤١٣هـ = ١٩٩٢م.

● تاج العروس من جواهر القاموس: السيد أبو الفيض محمد مرتضى بن محمد بن محمد الحسيني الزبيدي الحنفي، المتوفى سنة ١٢٠٥هـ = ١٧٩٠م.

والمُرَاد بالقاموس هو القاموس المحيط للفيروز آبادي، الذي سيرد لاحقاً.

إصدار وزارة الإعلام بالكويت، مطبعة حكومة الكويت، ج ١ سنة ١٩٦٥م - ج ١٩ سنة ١٩٨٠م، بتحقيق عدد من الأساتذة.

والطبعة التي صورتها دار مكتبة الحياة ببيروت على الطبعة الأولى التي طبعت سنة ١٣٠٦هـ بالمطبعة الخيرية بمصر.

● تاريخ الأدب العربي: كارل بروكلمان، المتوفى سنة ١٣٧٥هـ = ١٩٥٦م.

الطبعة الأوربية المطبوعة بالألمانية في ليدن - بريل. الأصل: ج ١ طبع سنة ١٩٤٣م، وج ٢ طبع

سنة ١٩٤٩م. والدليل: ج ١ طبع سنة ١٩٤٧م، وج ٢ طبع سنة ١٩٣٨م، وج ٣ سنة ١٩٤٢م.

والطبعة العربية ج ١-٣ بترجمة الدكتور عبد الحليم النجار، المتوفى سنة ١٣٨٣هـ=١٩٦٤م. وج ٤ بترجمة الدكتور يعقوب بكر والدكتور رمضان عبد التواب. وج ٥ بترجمة الدكتور رمضان عبد التواب، ومراجعة الدكتور يعقوب بكر. وج ٦ بترجمة الدكتور يعقوب بكر، ومراجعة الدكتور رمضان عبد التواب.

دار المعارف بمصر، طبعت مختلفه.

● تاريخ بغداد أو مدينة السلام: الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، المتوفى سنة ٤٦٣هـ=١٠٧١م.

الناشر: دار الكتاب العربي ببيروت، وهي الطبعة المصورة على الطبعة الأولى التي طبعت بمطبعة السعادة بمصر، سنة ١٣٤٩هـ.

● تاريخ الفرق الإسلامية ونشأة علم الكلام عند المسلمين: علي مصطفى الغرابي.

الطبعة الثانية، مكتبة الأنجلو المصرية، سنة ١٩٨٥م.

● تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية: الشيخ محمد بن أحمد أبو زهرة، المتوفى سنة ١٣٩٤هـ=١٩٧٤م.

دار الفكر العربي بالقاهرة.

● تبصرة الأدلة في أصول الدين على طريقة الإمام أبي منصور الماتريدي: أبو المعين ميمون بن محمد النسفي، المتوفى سنة ٥٠٨هـ=١١١٤م.

تحقيق: كلود سلامة.

من منشورات المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية بدمشق، طبع الجزء الأول سنة ١٩٩٠م، والثاني سنة ١٩٩٣م.

● التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكة: أبو المظفر عماد الدين شاهفور (شهفور) بن طاهر بن محمد الإسفراييني الشافعي، المتوفى سنة ٤٧١هـ=١٠٧٨م.

تعليق: محمد زاهد بن الحسن بن علي الكوثري، المتوفى سنة ١٣٧١هـ=١٩٥٢م.

الطبعة الأولى، المكتبة الأزهرية للتراث بالقاهرة، سنة ١٤١٩هـ=١٩٩٩م.

● تَبَيَّنَ كَذِبُ الْمُفْتَرِي فِيمَا نُسِبَ إِلَى الْإِمَامِ أَبِي الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيِّ: أَبُو الْقَاسِمِ عَلِيِّ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ هَبَةَ اللَّهِ بْنِ عَسَاكِرِ الدَّمَشْقِيِّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٥٧١هـ = ١١٧٦م.

الناشر: دار الكتاب العربي ببيروت، سنة ١٩٧٩م، وهي طبعة مُصَوَّرَةٌ عَلَى الطَّبْعَةِ الَّتِي عَنِيَ بِنَشْرِهَا الْقُدْسِيُّ فِي الْقَاهِرَةِ.

● تَبَيَّنَ الْمَعَانِي فِي شَرْحِ دِيَوَانِ ابْنِ هَانِي، الْأَنْدَلُسِيِّ: شَرْحُ الدُّكْتُورِ زَاهِدِ عَلِيٍّ.

مَطْبَعَةُ الْمَعَارِفِ وَمَكْتَبَتُهَا بِمِصْرَ، سَنَةَ ١٣٥٢هـ.

● تَجْرِيدُ الْاِعْتِقَادِ: نَصِيرُ الدِّينِ الطُّوسِيِّ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٦٧٢هـ = ١٢٧٤م.

وشرحہ: كَشَفُ الْمُرَادِ فِي شَرْحِ تَجْرِيدِ الْاِعْتِقَادِ، لِحَالِ الدِّينِ أَبِي مَنْصُورِ الْحَسَنِ بْنِ يُوسُفَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ الْمُطَهَّرِ، الْمَشْهُورِ بِالْعَلَامَةِ الْحَلِّيِّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٧٢٦هـ = ١٣٢٥م. مع حواشٍ وَتَعْلِيلَاتٍ لِآيَةِ اللَّهِ السَّيِّدِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَاجِدِينَ بْنِ بَاقِرِ الْمُوسَوِيِّ الرَّنْجَانِيِّ.

الطَّبْعَةُ الثَّانِيَّةُ، النَّاشر: اِنْتِشَارَاتُ شَكُورِي، قُمْ، مَطْبَعَةُ مَهْر، قُمْ، إِيران، سَنَةَ ١٤١٣هـ.

● التَّحْدِي فِي آيَاتِ الْاِعْجَازِ: د. قَاطَنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدُّورِيِّ.

الطَّبْعَةُ الْأُولَى، دار البشير بعمّان، الأردن، سنة ١٤١٧هـ = ١٩٩٧م.

● التَّحْرِيرُ: الْكَمَالُ بْنُ الْهُمَامِ. اَنْظَر: التَّقْرِيرُ وَالتَّحْيِيرُ.

● التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ (تَفْسِيرُ): الشَّيْخُ مُحَمَّدُ الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ

١٣٩٣هـ = ١٩٧٣م.

الدار التَّوْنُسِيَّةُ لِلنَّشْرِ، وَالدَّارُ الْجَمَاهِيرِيَّةُ لِلنَّشْرِ.

● تُحْفَةُ الْأَخَوَذِيِّ شَرْحُ جَامِعِ التَّرْمِذِيِّ، وَمَعَهُ: مُقَدِّمَةُ تُحْفَةِ الْأَخَوَذِيِّ: أَبُو الْعَلِيِّ مُحَمَّدُ

عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُ الْحَافِظِ عَبْدِ الرَّحِيمِ الْمُبَارَكْفُورِيِّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ١٣٥٣هـ = ١٩٣٥م.

الناشر: دار الكتاب العربي ببيروت، وهي طبعة مُصَوَّرَةٌ عَلَى الطَّبْعَةِ الْهِنْدِيَّةِ الْحَجَرِيَّةِ.

● تُحْفَةُ الْأَعْيَانِ بِسِيرَةِ أَهْلِ عُمَانَ: نُورُ الدِّينِ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُمَيْدٍ أَوْ (حَمِيدٍ

كَصِدِّيقٍ) بْنِ سَلُومِ السَّالِمِيِّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ١٣٣٢هـ = ١٩١٤م.

الناشر: زَاهِرُ وَزْهَيْرُ ابْنَا حَفِيدِ الْمَوْلَفِ سُعُودِ بْنِ حَمْدٍ، الْمَطَابَعُ الدَّهْيِيَّةُ فِي سَلْطَنَةِ عُمَانَ.

- التَذَكُّرَةُ فِي أَحْوالِ المَوْتِ وَأُمُورِ الآخِرَةِ: أبو عبد الله شمس الدِّين مُحَمَّد بن أَحْمَد بن أبي بَكْر بن فَرَح الأنصاري الخزرجي القرطبي، المُتَوَفَّى سنة ٦٧١هـ=١٢٧٣م. مطابع مَدْكُور وأولاده، القاهرة.
- التَّشْرِيعُ الجَنائِي الإسلاميِّ مَقارنًا بالقانُونِ الوَضِعي: عبد القادر عَوْدَة، المُتَوَفَّى سنة ١٣٧٤هـ=١٩٥٤م. الناشر: مكتبة دار العُرُوبَة بالقَاهِرَة، مَطْبَعَة المَدَنِيّ.
- الجزء الأول: القسم العام، الطَّبَعَة الثالثة، سنة ١٩٦٣م.
- الجزء الثاني: القسم الخاص، الطَّبَعَة الثانية، سنة ١٩٦٤م.
- تَشْهِيفُ المَسَامِيعِ بِجَمْعِ الجَوَامِعِ: بَدْر الدِّين مُحَمَّد بن عبد الله بن بهادر الزركشي الشافعي، المُتَوَفَّى سنة ٧٩٤هـ=١٣٩٢م.
- وَجَمْعُ الجَوَامِعِ، لتاج الدِّين أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي بن علي السُّبْكِي، المُتَوَفَّى سنة ٧٧١هـ=١٣٧٠م.
- حَقَّقَهُ: أبو عمرو الحُسَيْنِي بن عَمَر بن عبد الرَّحِيم.
- الطَّبَعَة الأُولَى، دار الكتب العِلْمِيَّة ببيروت، سنة ١٤٢٠هـ=٢٠٠٠م.
- التَّصْوِيرُ الفَنِي فِي القُرْآنِ: سَيِّد قُطْب، المُتَوَفَّى سنة ١٣٨٧هـ=١٩٦٧م. دار المَعَارِف بِمِصْر، سنة ١٩٥٦م.
- تَطَوُّرُ دَراساتِ إعْجازِ القُرْآنِ وأَثَرِها فِي البَلَاغَة العَرَبِيَّة: الدكتور عُمَر مُلَّا حُويش. مَطْبَعَة الأُمَّة، بَغْداد، سنة ١٩٧٢م.
- التَّعْرِيفَات: السَّيِّد الشَّرِيف عَلِي بن مُحَمَّد بن عَلِي الجُرْجَانِي، المُتَوَفَّى سنة ٨١٦هـ=١٤١٣م. مَطْبَعَة الحَلَبِي بِمِصْر، سنة ١٣٥٧هـ.
- تَغْلِيلُ الأَحْكامِ: مُحَمَّد مُصْطَفَى شَلْبِي. الطَّبَعَة الثانية، دار النهضة العَرَبِيَّة ببيروت، سنة ١٤٠١هـ=١٩٨١م.

- تَفْسِيرُ الْبَيْضَاوِيِّ (أَنْوَارُ التَّنْزِيلِ وَأَسْرَارُ التَّأْوِيلِ): الْقَاضِي نَاصِرُ الدِّينِ أَبُو سَعِيدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْبَيْضَاوِيِّ الشَّيرَازِيِّ الشَّافِعِيِّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٦٨٥هـ=١٢٨٦م.
- الطَّبْعَةُ الثَّانِيَّةُ، الْمَطْبَعَةُ الْبَهِيَّةُ الْمِصْرِيَّةُ، سَنَةَ ١٩٢٥م.
- تَفْسِيرُ الرَّازِيِّ، الْمَسْمُومُ بِ(التَّفْسِيرِ الْكَبِيرِ) أَوْ (مِفْتَاحِ الْغَيْبِ): أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْحُسَيْنِ الْخَطِيبِ التَّيْمِيِّ الْبَكْرِيُّ الْقُرَشِيُّ الشَّافِعِيُّ، فَخْرُ الدِّينِ الرَّازِيِّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٦٠٦هـ=١٢١٠م.
- الطَّبْعَةُ الثَّانِيَّةُ، النَّاشِرُ: دَارُ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ بِطَهْرَانَ، وَهِيَ مُصَوَّرَةٌ عَلَى الْمَطْبُوعَةِ الْبَهِيَّةِ الْمِصْرِيَّةِ، بِلَا تَارِيخٍ. وَطَبْعَةُ دَارِ الْفِكْرِ بِبَيْرُوتَ.
- تَفْسِيرُ السَّمَرْقَنْدِيِّ. انْظُرْ: بَحْرُ الْعُلُومِ.
- تَفْسِيرُ ابْنِ عَطِيَّةٍ. انْظُرْ: الْمُحَرَّرُ الْوَجِيزُ فِي تَفْسِيرِ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ.
- التَّفْسِيرُ الْعِلْمِيُّ لِلآيَاتِ الْكُونِيَّةِ فِي الْقُرْآنِ: حَنْفِيٌّ أَحْمَدُ.
- دارُ الْمَعَارِفِ بِمِصْرَ.
- تَفْسِيرُ الْقُرْطُبِيِّ (الْجَامِعُ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ): أَبُو عَبْدِ اللَّهِ شَمْسُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ فَرْحِ الْأَنْصَارِيِّ الْخَزَرَجِيِّ الْقُرْطُبِيِّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٦٧١هـ=١٢٧٣م.
- دارُ الشَّعْبِ بِالْقَاهِرَةِ، وَهِيَ طَبْعَةٌ مُصَوَّرَةٌ عَلَى طَبْعَةِ دَارِ الْكُتُبِ الْمِصْرِيَّةِ.
- التَّفْسِيرُ الْكَبِيرُ: الْفَخْرُ الرَّازِيُّ. انْظُرْ: تَفْسِيرُ الرَّازِيِّ.
- تَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ (تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ): عِمَادُ الدِّينِ أَبُو الْفِدَاءِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عُمَرَ بْنِ كَثِيرٍ الْقُرَشِيُّ الدَّمَشْقِيُّ الشَّافِعِيُّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٧٧٤هـ=١٣٧٣م.
- اعْتَنَى بِهِ: مُحَمَّدُ أَنْسُ مُصْطَفَى الْخَنَ، بِمُسَاعَدَةِ فَرِيقٍ مِنْ مَكْتَبِ تَحْقِيقِ التُّرَاثِ بِمُؤَسَّسَةِ الرَّسَالَةِ.
- الطَّبْعَةُ الْأُولَى، مُؤَسَّسَةُ الرَّسَالَةِ نَاشِرُونَ، بِبَيْرُوتَ، لُبْنَانُ، سَنَةَ ١٤٢١هـ=٢٠٠٠م.
- تَفْسِيرُ الْكَشَّافِ: الزَّمَخْشَرِيُّ. انْظُرْ: الْكَشَّافُ عَنْ حَقَائِقِ التَّنْزِيلِ.

- تَفْسِيرُ الْمَنَارِ (تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ): السَّيِّدُ مُحَمَّدُ رَشِيدُ رِضَا، الْمُتَوَفَّى سنة ١٣٥٣هـ=١٩٣٥م. وفيه صَفْوَةٌ ما قاله الأستاذ الإمام الشيخ مُحَمَّدُ عَبْدُهُ، الْمُتَوَفَّى سنة ١٣٢٣هـ=١٩٠٥م.
- دار الفكر ببيروت، مُصَوَّرَةٌ عن الطَّبْعَةِ الْأُولَى المطبوعة بِمَطْبَعَةِ الْمَنَارِ، سنة ١٣٤٢هـ.
- تَفْسِيرُ النَّسْفِيِّ (مَدَارِكُ التَّنْزِيلِ وَحَقَائِقُ التَّأْوِيلِ): أَبُو الْبَرَكَاتِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مَحْمُودِ النَّسْفِيِّ، الْمُتَوَفَّى سنة ٧١٠هـ.
- حَقَّقَهُ: يُوسُفُ عَلِيٌّ بَدْيَوِي. وراجعه: مُحْيِي الدِّينِ دِيبُ مُسْتَو.
- الطَّبْعَةُ الْأُولَى، دار الْكَلِمِ الطَّيِّبِ ببيروت، سنة ١٤١٩هـ=١٩٩٨م.
- تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة: الشيخ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الْحُرِّ الْعَامِلِيِّ، الْمُتَوَفَّى سنة ١١٠٤هـ=١٦٩٢م.
- تَحْقِيقُ: مُؤَسَّسَةُ آلِ الْبَيْتِ لِأَحْيَاءِ التُّرَاثِ، قُم، إِيْرَان.
- الطَّبْعَةُ الْأُولَى، سنة ١٤١٢هـ.
- التفكير الفلسفي في الإسلام: الدكتور عبد الحليم محمُود، شيخ الأزهر، الْمُتَوَفَّى سنة ١٣٩٨هـ=١٩٧٨م.
- دار الكتاب اللَّبْنَانِيَّ ببيروت، ومكتبة المدرسة ببيروت، سنة ١٤٠٢هـ=١٩٨٢م.
- تَقْرِيبُ التَّهْذِيبِ: شَهَابُ الدِّينِ أَبُو الْفَضْلِ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدِ الْكِنَانِيِّ، المعروف بِابْنِ حَجَرٍ الْعَسْقَلَانِيِّ، الْمُتَوَفَّى سنة ٨٥٢هـ=١٤٤٩م.
- تَحْقِيقُ: مُحَمَّدٌ عَوَّامَةٌ.
- الطَّبْعَةُ الرَّابِعَةُ، دار الرَّشِيدِ، سوريَا، حَلَبَ، طِبَاعَةٌ: دار الْقَلَمِ، دِمَشْقَ، بَيْرُوتَ، سنة ١٤١٨هـ=١٩٩٧م.
- التَّقْرِيرُ وَالتَّخْبِيرُ فِي شَرْحِ كِتَابِ التَّخْرِيرِ: ابْنُ أَمِيرِ الْحَاجِّ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ سُلَيْمَانَ الْحَلَبِيِّ الْحَنْفِيِّ، الْمُتَوَفَّى سنة ٨٧٩هـ=١٤٧٤م.
- والتَّخْرِيرُ الْجَامِعُ بَيْنَ اصْطِلَاحِي الْحَنْفِيَّةِ وَالشَّافِعِيَّةِ، لِلْكَمَالِ بْنِ الْهُمَامِ (مُحَمَّدُ بْنُ

- عبد الواحد السيّواريّ القاهريّ، المتوفى سنة ٨٦١هـ (= ١٤٥٧م). وبهامشه:
- نهاية السؤل في شرح منهاج الوصول إلى علم الأصول، لجمال الدين عبد الرحيم بن الحسن الأسنويّ القرشيّ الشافعيّ، المتوفى سنة ٧٧٢هـ (= ١٣٧٠م).
- ومنهاج الوصول، للقاضي ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد البيضاويّ الشيرازيّ الشافعيّ، المتوفى سنة ٦٨٥هـ (= ١٢٨٦م).
- الطبعة الثانية، دار الكتب العلميّة ببيروت، سنة ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م. وهي مصوّرة على الطبعة الأولى المطبوعة بالمطبعة الكبرى الأميريّة ببولاق القاهرة، سنة ١٣١٦-١٣١٨هـ.
- تلبّيس إبليس، أو (نقد العلم والعلماء): جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن عليّ بن محمد بن الجوزيّ البغداديّ، المتوفى سنة ٥٩٧هـ = ١٢٠١م.
 - صحّحه ونشره: محمد منير الدمشقيّ، كان حيّاً قبل سنة ١٣٤٩هـ = ١٩٣٠م.
 - الطبعة الثانية، المطبعة المنيريّة بالقاهرة.
 - تلخيص المخصّل: نصير الدين الطوسيّ. انظر: مخصّل أفكار المتقدمين.
 - التلويح على التوضيح. انظر: شرح التلويح على التوضيح.
 - تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل: القاضي أبو بكر محمد بن الطيّب بن محمد الباقلاّنيّ البصريّ، المتوفى سنة ٤٠٣هـ = ١٠١٣م.
 - تحقيق: عماد الدين حيدر.
 - الطبعة الثالثة، مؤسّسة الكتب الثقافية ببيروت، سنة ١٤١٤هـ = ١٩٩٣م.
 - التمهيد لقواعد التوحيد: أبو الثناء محمود بن زيد الحنفيّ الماتريديّ اللامشيّ، المتوفى أوائل القرن السادس الهجريّ.
 - تحقيق: عبد المجيد تركي.
 - الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلاميّ ببيروت، سنة ١٩٩٥م.
 - التنبيه والردّ على أهل الأهواء والبدع: أبو الحسين محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الملقبيّ الشافعيّ، المتوفى سنة ٣٧٧هـ.
 - قدّم له وعلّق عليه: محمد زاهد بن الحسن الكوثريّ، المتوفى سنة ١٣٧١هـ = ١٩٥٢م.

الناشر: المكتبة الأزهرية للتراث بالقاهرة، دار السعادة للطباعة بالقاهرة، سنة ١٤١٨هـ=١٩٩٧م.

● تنوير الحوالك شرح مؤطاً الإمام مالك: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، المتوفى سنة ٩١١هـ=١٥٠٥م. ويلي:

إسعاف المبطل برجال المؤط، للسيوطي أيضاً.

والموطأ، للإمام مالك بن أنس الأصبغي، المتوفى سنة ١٧٩هـ=٧٩٥م.

المكتبة التجارية الكبرى بمصر.

● تهذيب الأسماء واللغات: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف بن مري النووي الشافعي، المتوفى سنة ٦٧٦هـ=١٢٧٧م.

الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، وهي طبعة مصورة على الطبعة المنيرية المصرية.

● تهذيب التهذيب: شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد الكناي، المعروف بابن حجر العسقلاني، المتوفى سنة ٨٥٢هـ=١٤٤٩م.

الناشر: دار صادر بيروت، سنة ١٩٦٨م، وهي مصورة على الطبعة الأولى المطبوعة بمطبعة دائرة المعارف النظامية بحيدر آباد الدكن سنة ١٣٢٥هـ.

● تهذيب سيرة ابن هشام: عبد السلام محمد هارون، المتوفى سنة ١٤٠٨هـ=١٩٨٨م.

وسيرة ابن هشام هي: السيرة النبوية، لأبي محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المَعافري البصري، المتوفى سنة ٢١٣هـ=٨٢٨م. وابن هشام جمع السيرة النبوية وهذه ولخصها من المغازي والسير لابن إسحاق (أبي بكر محمد بن إسحاق بن يسار، المتوفى سنة ١٥١هـ=٧٦٨م)، فاشتهرت بسيرة ابن هشام.

القاهرة.

● تهذيب الكمال في أسماء الرجال: الحافظ جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن الزكي عبد الرحمن بن يوسف المزي، المتوفى سنة ٧٤٢هـ=١٣٤١م.

تحقيق وتعليق: الدكتور بشار عواد معروف.

الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة بيروت، سنة ١٤١٨هـ=١٩٩٨م.

● التَّوْحِيد: أبو مَنْصُور مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد المَاتَرِيدِي السَّمَرْقَنْدِي الحَنْفِي، المُتَوَفَى سنة ٣٣٣هـ=٩٤٤م.

تَحْقِيق: د. فتح الله خُلَيْف.

الناشر: دار الجَامِعَات المِصْرِيَّة - الإسْكَندَرِيَّة، مِصْر.

● تَيْسِير التَّفْسِير للْقُرْآن الكَرِيم: مُحَمَّد بن يُوسُف أَطْفَيْش، المُتَوَفَى سنة ١٣٣٢هـ=١٩١٤م.

سَلْطَنَة عُمان، وزارة التُّراث القومي والثقافة، عِيسَى البَابِي الحَلَبِي وشركاه، دار إحياء الكتب العَرَبِيَّة بِمِصْر، سنة ١٤٠٧هـ=١٩٨٧م.

● ثلاث رَسَائِل في إعجاز الْقُرْآن: الرُّمَّانِي والخَطَّابِي والجُرْجَانِي. وهي:

١- النُّكْت في إعجاز الْقُرْآن: أبو الحَسَن عَلِي بن عِيسَى بن عَلِي الرُّمَّانِي، المُتَوَفَى سنة ٣٨٤هـ=٩٩٤م.

٢- بَيَان إعجاز الْقُرْآن: أبو سُلَيْمَان حَمْد بن مُحَمَّد بن إِبْرَاهِيم البُسْتِي الخَطَّابِي، المُتَوَفَى سنة ٣٨٨هـ=٩٩٨م.

٣- الرِّسَالَة الشَّافِيَّة في الإعجاز: أبو بَكْر عبد القاهر بن عبد الرَّحْمَن بن مُحَمَّد الجُرْجَانِي الأشْعَرِي الشَّافِعِي، المُتَوَفَى سنة ٤٧١هـ=١٠٧٨م.

تَحْقِيق: مُحَمَّد خَلَف الله أَحْمَد، المُتَوَفَى سنة ١٤٠٣هـ=١٩٨٣م، و د. مُحَمَّد زَغُول سلام.

الطَّبْعَة الثَّانِيَّة، دار المَعَارِف بِمِصْر، سنة ١٩٦٨م.

● الجَامِع: أبو الحَسَن عَلِي بن مُحَمَّد بن عَلِي البِسيوي، وهو تلميذ ابن بَرَكَة عبد الله بن مُحَمَّد الذي كان حَيًّا سنة ٣٦١هـ.

سَلْطَنَة عُمان، وزارة التُّراث القومي والثقافة، مطابع دار جريدة عُمان للصحافة والنشر، سنة ١٤٠٤هـ=١٩٨٤م.

● الجَامِع الصَّحِيح مُسْنَد الرِّبْع بن حَبِيب. انظر: شَرْح الجَامِع الصَّحِيح.

- **الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير:** جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، المتوفى سنة ٩١١هـ=١٥٠٥م.
- الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية بيروت، سنة ١٤١٠هـ=١٩٩٠م.
- **جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم:** ابن رجب زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن السلامي البغدادي الدمشقي، المتوفى سنة ٧٩٥هـ=١٣٩٣م.
- تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس.
- الطبعة السابعة، مؤسسة الرسالة بيروت، سنة ١٤٢١هـ=٢٠٠٠م.
- **الجامع لأحكام القرآن:** القرطبي. انظر: تفسير القرطبي.
- **جدول السنين الهجرية بلياليها وشهورها بما يوافقها من السنين الميلادية بأيامها وشهورها:** ف. ويستنفلد. ترجمة: الدكتور عبد المنعم ماجد، وعبد المحسن رمضان.
- الطبعة الأولى، مكتبة الأنجلو المصرية، سنة ١٩٨٠م.
- **جريمة الردة وعقوبة المرتد في ضوء القرآن والسنة:** الدكتور يوسف القرضاوي.
- الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة بيروت، سنة ١٤٢٢هـ=٢٠٠١م.
- **جمع الجوامع:** تاج الدين السبكي. انظر: حاشية البناني.
- **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح:** أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني، المتوفى سنة ٧٢٨هـ=١٣٢٨م.
- القاهرة.
- **الجواهر المضية في طبقات الحنفية:** محيي الدين أبو محمد عبد القادر بن محمد بن محمد بن نصر الله بن سالم بن أبي الوفاء القرشي الحنفي، المتوفى سنة ٧٧٥هـ=١٣٧٣م.
- تحقيق: د. عبد الفتاح محمد الحلو، المتوفى سنة ١٤١٤هـ=١٩٩٤م.
- الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، سنة ١٤١٣هـ=١٩٩٣م.

- جَوْهَرَةُ التَّوْحِيدِ. انظر: شَرْحُ جَوْهَرَةِ التَّوْحِيدِ.
- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح: شمس الدين أبو عبد الله مُحَمَّد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزُّرْعِيّ الدَّمَشْقِيّ، المشهور بابن قَيْمِ الجَوْزِيَّة، المُتَوَفَّى سنة ٧٥١هـ = ١٣٥٠م.
- الطَّبَعَةُ الرَّابِعَةُ، مَطْبَعَةُ مُحَمَّد عَلِيّ صَبِيح وأولاده بمصر، سنة ١٣٨١هـ = ١٩٦٢م.
- حَاشِيَةُ بُرْهَانِ الدِّينِ إِبْرَاهِيمَ بن مُحَمَّد بن أَحْمَد الحِيزَاوِي الشَّافِعِيّ البَاجُورِيّ أو البَيْجُورِيّ، المُتَوَفَّى سنة ١٢٧٦هـ = ١٨٦٠م.
- على مَتْنِ السُّلَمِ فِي فَنِّ المنطق، لعبد الرَّحْمَنِ بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن عَامِر الأَخْضَرِيّ المَغْرِبِيّ المَالِكِيّ، المُتَوَفَّى سنة ٩٨٣هـ = ١٥٨٥م.
- ومعه: تَقْرِيرُ المحقق الشيخ الشمس مُحَمَّد الأَنْبَابِيّ.
- مَطْبَعَةُ مُصْطَفَى البَابِي الحَلَبِيِّ وأولاده بمصر، سنة ١٣٤٧هـ.
- حَاشِيَةُ البَتَّانِي عبد الرَّحْمَنِ بن جَادَ اللَّهِ المَغْرِبِيّ، المُتَوَفَّى سنة ١١٩٨هـ = ١٧٨٤م.
- على شَرْحِ جَلَالِ الدِّينِ مُحَمَّد بن أَحْمَد بن مُحَمَّد المَحَلِّي الشَّافِعِيّ، المُتَوَفَّى سنة ٨٦٤هـ = ١٤٥٩م.
- على مَتْنِ جَمْعِ الجَوَامِعِ، للإمام تاج الدِّين أبي نَصْر عبد الوَهَّاب بن عَلِيّ بن عبد الكافي السُّبْكِيّ، المُتَوَفَّى سنة ٧٧١هـ = ١٣٧٠م.
- وبهامش الحَاشِيَةِ:
- تَقْرِيرُ شَيْخِ الإسلام عبد الرَّحْمَنِ الشَّرْبِينِيّ بن مُحَمَّد بن أَحْمَد الشَّافِعِيّ، شَيْخِ الأَزْهَرِ، المُتَوَفَّى سنة ١٣٢٦هـ = ١٩٠٨م.
- الطَّبَعَةُ الثَّانِيَةُ، مَطْبَعَةُ مُصْطَفَى البَابِي الحَلَبِيِّ وأولاده بمصر، سنة ١٩٣٧م.
- حَاشِيَةُ التَّرْتِيبِ: المَحْشَى أبو عبد الله مُحَمَّد بن عُمَر (عَامِر) بن أبي سَته السدويكشي المَغْرِبِيّ الإبَاضِيّ، المُتَوَفَّى سنة ١٠٨٨هـ = ١٦٧٩م.
- وكتاب التَّرْتِيبِ هو مُسْنَدُ الإمام الرَّبِيعِ بن حَبِيبِ بن عَمْرٍو الأَزْدِيّ الفَرَاهِيدِيّ البَصْرِيّ، المُتَوَفَّى بين سنتي ١٧٥-١٨٠هـ، الذي رتبهُ على أبواب الفقه أبو يَعْقُوبَ يُوسُفَ بن إِبْرَاهِيمَ بن مِيَادِ السدراقي الوَازِجَلَانِيّ الإبَاضِيّ، المُتَوَفَّى سنة ٥٧٠هـ.

وزارة التراث القومي والثقافة في سلطنة عُمان، المطبعة الشرقية ومكتبتها في مسقط - عُمان، طبع الجزء الأول سنة ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م، وطبع الجزء الثامن سنة ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م.

- حاشية حسن جلي على المواقف. انظر: المواقف.
- حاشية الخيالي على شرح العقائد النسفية. انظر: شرح العقائد النسفية.
- حاشية الدسوقي محمد بن أحمد بن عرفة المالكي، المتوفى سنة ١٢٣٠هـ = ١٨١٥م على شرح أم البراهين.

وأم البراهين (المسماة بالعقيدة الصغرى، أو السنوسية) وشرحها، كلاهما لأبي عبد الله محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي الحسني المالكي المغربي التلمساني، المتوفى سنة ٨٩٥هـ.

مطبعة دار إحياء الكتب العربية لأصحابها عيسى البابي الحلبي وشركاه بالقاهرة.

- حاشية الدسوقي مصطفى بن محمد بن أحمد عرفة على مغني اللبيب.

ومغني اللبيب عن كتب الأعراب، لابن هشام الأنصاري أبي محمد جمال الدين عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري الخزرجي الشافعي ثم الحنبلي، المتوفى سنة ٧٦١هـ = ١٣٦٠م.

المطبعة الحميدية بمصر، سنة ١٣٥٨هـ.

- حاشية الصاوي على الدردير. انظر: شرح الخريدة للدردير.
- حاشية الطوسي على المحصل. انظر: محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين.
- حاشية عبد الحكيم على المواقف وشرحه. انظر: المواقف.
- حاشية العدوي على كفاية الطالب الرباني شرح أبي الحسن لرسالة ابن أبي زيد القيرواني.

والعدوي هو علي بن أحمد الصعبي المالكي، المتوفى سنة ١١٨٩هـ = ١٧٧٥م.

وأبو الحسن هو علي بن محمد بن محمد بن خلف المنوفي المصري، المتوفى سنة ٩٣٩هـ = ١٥٣٢م، وشرح أبي الحسن للرسالة اسمه: (كفاية الطالب الرباني لرسالة ابن أبي زيد القيرواني).

والرَّسَالَة، لأبي مُحَمَّد عبد الله بن أبي زَيْد عبد الرَّحْمَنِ النَّفْزِيِّ الْقَيْرَوَانِيِّ الْمَالِكِيِّ، الْمُتَوَفَّى سنة ٣٨٦هـ.

مَطْبَعَة دار إحياء الكتب الْعَرَبِيَّة لِأَصْحَابِهَا عَيْسَى الْبَابِي الْحَلَبِيِّ بِمِصْر، بلا تاريخ. وطَبْعَة شركة مكتبة ومطبعة مُصْطَفَى الْبَابِي الْحَلَبِيِّ وأولاده بِمِصْر سنة ١٣٥٧هـ=١٩٣٨م.

● حَاشِيَة الْعَطَّار أَبِي السَّعَادَاتِ حَسَن بن مُحَمَّد الشَّافِعِيِّ الْأَزْهَرِيِّ الْمَغْرِبِيِّ، الْمُتَوَفَّى سنة ١٢٥٠هـ=١٨٣٤م.

على شَرْح جَلَال الدِّين مُحَمَّد بن أَحْمَد بن مُحَمَّد الْمَحَلِّي الشَّافِعِيِّ، الْمُتَوَفَّى سنة ٨٦٤هـ=١٤٥٩م.

على مَتْن جَمْع الْجَوَامِع، لِلْإِمَام تاج الدِّين أَبِي نَصْر عبد الوَهَّاب بن عَلِي بن عبد الكافي السُّبْكِيِّ، الْمُتَوَفَّى سنة ٧٧١هـ=١٣٧٠م.

وبهامش الحَاشِيَة:

تَقْرِير شيخ الإسلام عبد الرَّحْمَنِ الشَّرْبِينِيِّ بن مُحَمَّد بن أَحْمَد الشَّافِعِيِّ، شيخ الْأَزْهَر، الْمُتَوَفَّى سنة ١٣٢٦هـ=١٩٠٨م.

وتَقْرِيرَات الشيخ مُحَمَّد عَلِي بن حُسَيْن الْمَكِّي الْمَالِكِيِّ، الْمُتَوَفَّى سنة ١٣٦٧هـ=١٩٤٨م.

الطَّبْعَة الْأُولَى، دار الكتب الْعِلْمِيَّة بَبَيْرُوت، سنة ١٤٢٠هـ=١٩٩٩م، وهي طَبْعَة مُصَوَّرَة.

● حَاشِيَة الْكَسْتَلِيِّ على شَرْح الْعَقَائِد النَّسَفِيَّة. انظر: شَرْح الْعَقَائِد النَّسَفِيَّة.

● حَاشِيَة الْكَلَنْبُورِيِّ على الدَّوَانِي. انظر: شَرْح الْعَقَائِد الْعُضْدِيَّة.

● حَاشِيَة مُحَمَّد الْأَمِير الْأَزْهَرِيِّ بن مُحَمَّد بن أَحْمَد بن عبد الْقَادِر السِّنَاوِي الْمَنْقَلُوطِيِّ الْمَالِكِيِّ، شمس الدِّين، الْمُتَوَفَّى سنة ١٢٣٢هـ=١٨١٧م، على مُغْنِي اللَّيْث عن كتب الْأَعَارِب، لابن هِشَام الْأَنْصَارِيِّ أَبِي مُحَمَّد جَمَال الدِّين عبد الله بن يُوْسُف بن أَحْمَد بن عبد الله بن هِشَام الْحَنْبَلِيِّ، الْمُتَوَفَّى سنة ٧٦١هـ=١٣٦٠م.

دار إحياء الكتب الْعَرَبِيَّة، عَيْسَى الْبَابِي الْحَلَبِيِّ وشركاها بِمِصْر.

- حاشية المَرْجَانِيّ على الدَّوَانِيّ. انظر: شَرْح العَقَائِد العُصْدِيَّة.
- حُجَّة الله على العالمين في معجزات سيّد المرسلين: يُوسُف بن إِسْمَاعِيل النَّبْهَانِيّ، المُتَوَفَّى سنة ١٣٥٠هـ=١٩٣٢م.
الطَّبْعَةُ المَصَوَّرَةُ، بَيْرُوت.
- الحَرَكَات الهِدَامَةُ في الإسلام، الرَّائِدِيَّة، البَابِكِيَّة: د. فَحطَان عبد الرَّحْمَن الدُّورِيّ.
الطَّبْعَةُ الأوَّلَى، وزارة الثقافة والإعلام العِراقِيَّة، مطابع دار الشؤون الثقافية العامة ببغداد، سنة ١٤٠٩هـ=١٩٨٩م.
- الحق الدامغ: أَحْمَد بن حمد بن سُلَيْمَانَ الخَلِيلِيّ، مفتي سلطنة عُمان.
مطابع النهضة، مَسْقَط، سلطنة عُمان، سنة ١٤٠٩هـ.
- الحُكْم وقضية تكفير المُسْلِم: سالم عَلِيّ البَهْساوِيّ.
الطَّبْعَةُ الثانية، دار البحوث العِلْمِيَّة بالكُوَيْت، سنة ١٤٠١هـ=١٩٨١م.
- الحُور العين، وشرحه: كلاهما تَأْلِيف الأَمِير أبي سَعِيد نَشَوَان بن سَعِيد بن نَشَوَان الحِمَيْرِيّ اليمَنِيّ، المُتَوَفَّى سنة ٥٧٣هـ=١١٧٨م.
تَحْقِيق: كَمَال مُصْطَفَى.
- الطَّبْعَةُ الثانية، المكتبة اليمَنِيَّة بصَنْعَاء، اليمَن، دار آزال للطبَّاعَة والنشر ببَيْرُوت، سنة ١٩٨٥م.
- خاطرات جمال الدِّين الأفْغانِيّ (جمال الدِّين مُحَمَّد بن صَفَدَر بن عَلِيّ بن مُحَمَّد الحُسَيْنِيّ، المُتَوَفَّى سنة ١٣١٤هـ=١٨٩٧م): مُحَمَّد باشا ابن حَسَن سُلْطَان المَخْزُومِيّ، المُتَوَفَّى سنة ١٣٤٨هـ=١٩٣٠م.
- الطَّبْعَةُ الثانية، دار الفكر بدمشق، سنة ١٩٦٥م.
- خَطَط المَقْرِيزِيّ. انظر: المواعظ والاعتبار.
- خُلَاصَة علم الكلام: د. عبد الهادي الفضلي.
دار التعارف للمطبوعات، لُبْنَان، سنة ١٤٠٨هـ=١٩٨٨م.

● **خَيْرُ الْقَلَائِدِ شَرْحُ جَوَاهِرِ الْعَقَائِدِ:** عُثْمَانُ الْعَرِيَانِيُّ الْكَلِيسِيُّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ١١٦٨ هـ. وَجَوَاهِرُ الْعَقَائِدِ، مَنْظُومَةٌ نُونِيَّةٌ عَلَى مَذْهَبِ الْمَآثِرِيَّةِ، لِلْعَلَّامَةِ خَضِرِ بَيْكِ بْنِ جَلَّالِ الدِّينِ بْنِ أَحْمَدَ بَاشَا، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٨٦٣ هـ.

تَحْقِيقُ: أَحْمَدُ فَرِيدُ الْمَزِيدِي.

الطَّبْعَةُ الْأُولَى، دَارُ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ بَبْرُوتْ، سَنَةَ ١٤٢٤ هـ = ٢٠٠٣ م.

● **دَائِرَةُ الْمَعَارِفِ الْإِسْلَامِيَّةِ.** تَرْجَمَةُ: أَحْمَدُ الشُّنْتَنَاوِي، وَإِبْرَاهِيمُ زَكِيَّ خَوْرَشِيد، وَعَبْدُ الْحَمِيدِ يُوسُف. وَمِرَاجِعَةٌ: د. مُحَمَّدٌ مَهْدِيَّ عَلَّام، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ١٤١٢ هـ = ١٩٩٢ م.

دَارُ الْفِكْرِ بَبْرُوتْ، وَهِيَ مُصَوَّرَةٌ عَلَى الطَّبْعَةِ الْمَصْرِيَّةِ.

● **دِرَاسَاتُ فِي الْفِرَقِ وَالْعَقَائِدِ الْإِسْلَامِيَّةِ:** د. عِزْفَانُ عَبْدُ الْحَمِيدِ فَتَّاح، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ

١٤٢٨ هـ = ٢٠٠٧ م.

الطَّبْعَةُ الثَّانِيَّةُ، مُؤَسَّسَةُ الرِّسَالَةِ بَبْرُوتْ، دَارُ الْبَشِيرِ بَعْمَان، الْأَرْدُنُّ، سَنَةَ

١٤١٧ هـ = ١٩٩٧ م.

● **دُرَّةُ التَّنْزِيلِ وَغُرَّةُ التَّأْوِيلِ فِي بَيَانِ الْآيَاتِ الْمُتَشَابِهَاتِ فِي كِتَابِ اللَّهِ الْعَزِيزِ:** أَبُو عَبْدِ اللَّهِ

مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَصْبَهَانِيِّ، الْمَعْرُوفُ بِالْخَطِيبِ الْإِسْكَافِيِّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٤٣١ هـ.

رِوَايَةٌ: الْإِمَامُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدٍ، الْمَعْرُوفُ بِأَبِي الْفَرَجِ الْأُرْدِسْتَانِيِّ.

اعْتَنَى بِهِ: خَلِيلُ مَأْمُونُ شَيْحَا.

الطَّبْعَةُ الْأُولَى، دَارُ الْمَعْرِفَةِ بَبْرُوتْ، سَنَةَ ١٤٢٢ هـ = ٢٠٠٢ م.

● **الدَّرَرُ السَّنِيَّةُ فِي الرَّدِّ عَلَى الْوَهَابِيَّةِ:** أَحْمَدُ بْنُ زَيْنِي دَحْلَانَ الشَّافِعِيِّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ

١٣٠٤ هـ = ١٨٨٦ م.

مُصَوَّرَةٌ مَكْتَبَةُ الْحَقِيقَةِ بِإِسْتَنْبُول، تُرْكِيَا، سَنَةَ ١٤١١ هـ = ١٩٩١ م، عَلَى الْمَطْبُوعَةِ بِالْمَطْبَعَةِ

الْمِمْنِيَّةِ لِأَصْحَابِهَا مُصْطَفَى الْبَابِي الْحَلْبِيِّ وَأَخُوهُ بِمِصْرَ، سَنَةَ ١٣١٩ هـ = ١٩٢١ م.

● **الدَّرَرُ الْمَنْثُورُ فِي التَّفْسِيرِ بِالْمَأْثُورِ:** جَلَّالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ،

الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٩١١ هـ = ١٥٠٥ م. وَهَامِشُهُ:

تَنْوِيرُ الْمُقْبَّاسِ تَفْسِيرُ سَيِّدِنَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٦٨ هـ = ٦٨٧ م، لِمَجْدِ الدِّينِ

أبي الطاهر محمد بن يعقوب الصديقي الشيرازي الفيروزآبادي، المتوفى سنة ٨١٧هـ = ١٤١٥م.
الناشر: محمد أمين دمج، بيروت، وهي مصورة على المطبوعة سنة ١٣١٤هـ بالمطبعة
الميمنية بالقاهرة.

● دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن
الجوزي البغدادی، المتوفى سنة ٥٩٧هـ = ١٢٠١م.
بعناية: طارق السعود.

الطبعة الثانية، دار الهجرة بيروت، سنة ١٤١٠هـ = ١٩٩٠م.
● دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين: محمد بن علان الصديقي المكي، المتوفى
سنة ١٠٥٧هـ.

ورياض الصالحين، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف بن مري النوي الشافعي،
المتوفى سنة ٦٧٦هـ = ١٢٧٧م.

دار الكتاب العربي بيروت، وهي طبعة مصورة.

● الدين المقارن: محمود أبو الفيض المنوفي.

الطبعة الأولى، دار نهضة مصر، سنة ١٩٧٠م.

● الرازي مفسراً: د. محسن عبد الحميد.

دار الحرية، بغداد، سنة ١٩٧٤م.

● الرد الجميل للإلهية عيسى بصريح الإنجيل: الإمام أبو حامد محمد بن محمد بن
محمد بن أحمد الغزالي الطوسي الشافعي، المتوفى سنة ٥٠٥هـ = ١١١١م.

مكتبة الحقيقة بإستانبول، تركيا، سنة ١٤١٢هـ = ١٩٩١م، وهي طبعة مصورة.

● رسالة إلى أهل الثغر: الإمام أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق
الأشعري، المتوفى سنة ٣٢٤هـ = ٩٣٦م.

تحقيق: عبد الله شاکر محمد الجنيد.

الطبعة الثانية، مكتبة العلوم والحكم بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، سنة
١٤٢٢هـ = ٢٠٠٢م.

- رِسَالَةُ التَّوْحِيدِ: الشَّيْخُ مُحَمَّدُ عَبْدُهُ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ١٣٢٣هـ = ١٩٠٥م.
- وَعَلَيْهَا تَعْلِيلَاتٌ لِلسَّيِّدِ مُحَمَّدِ رَشِيدِ رِضَا، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ١٣٥٣هـ = ١٩٣٥م.
- الطَّبَعَةُ السَّابِعَةُ عَشْرَةَ، دَارُ الْمَنَارِ بِمِصْرَ، سَنَةَ ١٣٧٦هـ.
- رِسَالَةُ ابْنِ أَبِي زَيْدٍ الْقَيْرَوَانِيِّ. انْظُرْ: حَاشِيَةُ الْعَدَوِيِّ عَلَى كِفَايَةِ الطَّلِبِ الرَّبَّانِيِّ.
- رِسَالَةُ فِي التَّوْحِيدِ وَالْفِرْقِ الْمَعَاصِرَةِ: كَمَالُ الدِّينِ عَبْدِ الْمُحْسِنِ الطَّائِي، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ١٣٩٧هـ = ١٩٧٧م.
- مَطْبَعَةُ سُلْهَانَ الْأَعْظَمِيِّ، بَغْدَادَ، سَنَةَ ١٣٩٢هـ = ١٩٧٢م.
- رِسَالَةٌ فِيهَا يَتَعَلَّقُ بِأَدِلَّةِ جَوَازِ التَّوَسُّلِ بِالنَّبِيِّ وَزِيَارَتِهِ ﷺ: أَحْمَدُ بْنُ زَيْنِيِّ دَحْلَانَ الشَّافِعِيِّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ١٣٠٤هـ = ١٨٨٦م.
- مَكْتَبَةُ الْحَقِيقَةِ بِإِسْتَانْبُولَ، تُرْكِيَا، سَنَةَ ١٤١٦هـ = ١٩٩٦م، وَهِيَ طَبْعَةٌ مُصَوَّرَةٌ.
- الرِّسَالَةُ الْقُشَيْرِيَّةُ فِي عِلْمِ التَّصَوُّفِ: أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدِ الْكَرِيمِ بْنُ هَوَازِنِ الْقُشَيْرِيِّ النَّيْسَابُورِيِّ الشَّافِعِيِّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٤٦٥هـ = ١٠٧٣م.
- مَكْتَبَةُ مُحَمَّدٍ عَلِيِّ صَبِيحٍ، سَنَةَ ١٩٥٧م.
- الرِّسُولُ ﷺ: سَعِيدُ مُحَمَّدٍ حَوَّيْ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ١٤٠٩هـ = ١٩٨٩م.
- الطَّبَعَةُ الثَّالِثَةُ، مُؤَسَّسَةُ الرِّسَالَةِ بَبَيْرُوتَ، سَنَةَ ١٣٩٣هـ = ١٩٧٣م.
- الرِّفْعُ وَالتَّكْمِيلُ فِي الْجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ: أَبُو الْحَسَنَاتِ مُحَمَّدُ عَبْدُ الْحَيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ عَبْدِ الْحَلِيمِ اللَّكْنَويِّ الْأَنْصَارِيِّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ١٣٠٤هـ.
- تَحْقِيقُ: عَبْدِ الْفَتَّاحِ أَبُو غُدَّةَ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ١٤١٧هـ = ١٩٩٧م.
- الطَّبَعَةُ السَّادِسَةُ، النَّاشِرُ: مَكْتَبُ الْمَطْبُوعَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ، دَارُ الْبَشَائِرِ الْإِسْلَامِيَّةِ لِلطَّبَاعَةِ، بَبَيْرُوتَ، سَنَةَ ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م.
- الرُّوحُ: شَمْسُ الدِّينِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ بْنُ أَيُّوبَ بْنِ سَعْدِ الزَّرْعِيِّ الدَّمَشْقِيِّ، الْمَشْهُورُ بِابْنِ قَيْمٍ الْجَوْزِيَّةِ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٧٥١هـ = ١٣٥٠م.
- الطَّبَعَةُ الثَّالِثَةُ، مَطْبَعَةُ مُحَمَّدٍ عَلِيِّ صَبِيحٍ وَأَوْلَادِهِ بِمِصْرَ، سَنَةَ ١٣٨٦هـ = ١٩٦٧م.

● روح الدّين الإسلاميّ: عفيف عبد الفتّاح طبارة.

الطّبعة الأولى، بيروت.

● رُوح المَعاني في تَفْسير القرآن العَظيم والسَّبع المَثاني: أبو الثّناء شهاب الدّين السيّد محمود بن عبد الله الألوسيّ البَغداديّ، المُتوفّى سنة ١٢٧٠هـ=١٨٥٤م.

الناشر: دار إحياء الثّراث العربيّ بيروت، وهي مُصوَّرة على الطّبعة الثانية المُنيَريّة المُصرّيّة، بلا تاريخ.

● الرّوض الأنف في تَفْسير السّيرة النّبويّة لابن هشام: أبو القاسم عبد الرّحمن بن عبد الله بن أحمد الخنعميّ السّهيّليّ، المُتوفّى سنة ٥٨١هـ=١١٨٥م.

والسّيرة النّبويّة، لأبي مُحمّد عبد الملك بن هشام بن أيّوب الجُميريّ المَعافريّ البَصريّ، المُتوفّى سنة ٢١٣هـ=٨٢٨م. وابن هشام جمع السّيرة النّبويّة وهذبها ولخصّها من المَعازي والسّير لابن إسحاق (أبي بكر مُحمّد بن إسحاق بن يسار، المُتوفّى سنة ١٥١هـ=٧٦٨م)، فاشتهرت بسيرة ابن هشام.

تقديم وتعليق: طه عبد الرؤوف سعد.

مطبوعات مكتبة ومطبعة الحاج عبد السّلام بن مُحمّد بن شقرون. طبع ج ١ في شركة الطّباعة الفنية المُتّحدة بالقاهرة سنة ١٩٧١م، وطبع ج ٢-٤ في مؤسّسة نبع الفكر العربيّ للطّباعة بالقاهرة سنة ١٩٧٢-١٩٧٣م.

● الرّوضة البهيّة فيما بين الأشاعرة والماتريدية: حسن بن عبد المُحسن، ابن أبي عذبة، المُتوفّى سنة ١١٧٢هـ=١٧٥٨م.

تَحْقِيق وتقديم: د. عليّ فريد دحروج.

الطّبعة الأولى، دار سبيل الرّشاد، بيروت، سنة ١٤١٦هـ=١٩٩٦م.

● رَوْضَةُ النَّاظِر وَجَنَّةُ الْمُناظِر: مُوقِّق الدّين بن قُدّامة. انظر: نُرّه الخاطر العاطر.

● رياض الصّالحين: أبو زكريّا مُحيي الدّين يحيى بن شَرَف بن مُري النّوويّ الشّافعيّ، المُتوفّى سنة ٦٧٦هـ=١٢٧٧م.

الطّبعة الرابعة، مطبعة الاستقامة بالقاهرة.

- زاد المعاد في هدي خير العباد: شمس الدين أبو عبد الله مُحَمَّد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزُّرْعِيُّ الدَّمَشْقِيُّ، المشهور بابن قَيِّم الجَوْزِيَّة، المُتَوَفَّى سنة ٧٥١هـ=١٣٥٠م.
- الطَّبْعَةُ الثَّانِيَّة، مكتبة ومطبعة مُصْطَفَى البَابِي الْحَلَبِيِّ وأولاده بِمِصْر، سنة ١٩٥٠م.
- الزَّيْدِيَّة، نشأتها ومعتقداتها: الْقَاضِي إِسْمَاعِيل بن عَلِيٍّ الْأَكْوَع.
- الطَّبْعَةُ الثَّالِثَة، دار الفكر بِدَمَشْق، ودار الفكر المعاصر بِبَيْرُوت، سنة ١٤١٨هـ=١٩٩٧م.
- الزَّيْدِيَّة، نَظَرِيَّة وَتَطْبِيق: عَلِي بن عبد الكريم الفضيل شرف الدين.
- الطَّبْعَةُ الْأُولَى، جمعية عمّال المطابع التعاونية بعمّان، الْأُرْدُن، سنة ١٤٠٥هـ=١٩٨٥م.
- الزَّيْنَة. انظر: الغلو والفرق الغالية.
- سُبُل السَّلَام شَرْح بُلُوغ المَرَام من جمع أدلة الأحكام: الإمام مُحَمَّد بن إِسْمَاعِيل الأَمِير الصَّنْعَانِي، المُتَوَفَّى سنة ١١٨٢هـ=١٧٦٨م.
- وَبُلُوغ المَرَام من جمع أدلة الأحكام، للحافظ شهاب الدين أبي الفضل أَحْمَد بن عَلِي بن مُحَمَّد الْكِنَانِي، المعروف بابن حجر العسقلاني، المُتَوَفَّى سنة ٨٥٢هـ=١٤٤٩م.
- مراجعة وتعليق: الشيخ مُحَمَّد عبد العزيز الْخَوْلِي، المُتَوَفَّى سنة ١٣٤٩هـ=١٩٣١م.
- الطَّبْعَةُ الثَّانِيَّة، مَطْبَعَة مُصْطَفَى البَابِي الْحَلَبِيِّ وأولاده بِمِصْر، سنة ١٩٥٠م.
- سُبُل الْهُدَى وَالرَّشَاد فِي سِيرَةِ خَيْر الْعِبَاد: شمس الدين أبو عبد الله مُحَمَّد بن يُوسُف الصَّالِحِي الشَّامِي، المُتَوَفَّى سنة ٩٤٢هـ=١٥٣٦م.
- تَحْقِيق: مجموعة من الأساتذة.
- وزارة الأوقاف بِمِصْر، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، الْقَاهِرَة، مطابع مُخْتَلِفَة. طُبِعَ الجزء الأول سنة ١٣٩٢هـ=١٩٧٢م، وطُبِعَ الجزء الثالث عشر سنة ١٤٣٠هـ=٢٠٠٩م.
- السَّرَاج الْوَهَّاج من كَشَف مَطَالِب صَحِيح مُسْلِم بن الْحَجَّاج: أبو الطَّيِّب صَدِّيق بن حَسَن خان بن عَلِيٍّ الْحُسَيْنِي الْقَنُوجِي الْبُخَارِي، المُتَوَفَّى سنة ١٣٠٧هـ=١٨٨٩م.
- وهو شَرْح على مُلَخَّص صَحِيح مُسْلِم، للحافظ الْمُنْذِرِي زَكِيَّ الدِّين عبد الْعَظِيم بن عبد الْقَوِي، المُتَوَفَّى سنة ٦٥٦هـ=١٢٥٨م.

وَمُسْلِمُ بْنُ الْحَجَّاجِ الْقُشَيْرِيُّ النَّيْسَابُورِيُّ صَاحِبُ الصَّحِيحِ تُوْفِي سَنَةَ ٢٦١هـ = ٨٧٥م.

تَحْقِيقُ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْأَنْصَارِيِّ، وَعَبْدُ التَّوَّابِ هَيْكَل.

الطَّبَعَةُ الْأُولَى، وَزَارَةُ الْأَوْقَافِ وَالشُّؤُونِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِدَوْلَةِ قَطَرٍ، مَطَابَعُ الدَّوْحَةِ الْحَدِيثَةِ بِقَطَرٍ، وَالْمَطْبَعَةُ الْأَهْلِيَّةُ بِقَطَرٍ. انْتَهَى طَبْعُهُ سَنَةَ ١٩٩٧م.

● سَرَحُ الْمُئُونِ فِي شَرْحِ رِسَالَةِ ابْنِ زَيْدُون: أَبُو بَكْرُ جَمَالُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ شَمْسِ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ شَرَفِ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ صَالِحٍ، بِنُتَابَةِ الْفَارَقِيِّ الْجَدَامِيِّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٧٦٨هـ = ١٣٦٦م.

وَابْنُ زَيْدُونُ هُوَ الْوَزِيرُ أَبُو الْوَلِيدِ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ غَالِبِ بْنِ زَيْدُونِ الْمَخْزُومِيِّ الْأَنْدَلُسِيِّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٤٦٣هـ = ١٠٧١م.

وَرِسَالَتُهُ هَذِهِ هِيَ الرَّسَالَةُ الْهَزْلِيَّةُ.

تَحْقِيقُ: مُحَمَّدُ أَبُو الْفَضْلِ إِبْرَاهِيمُ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ١٤٠١هـ = ١٩٨١م.

الْمَكْتَبَةُ الْعَصْرِيَّةُ بِبَيْرُوتَ، سَنَةَ ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م.

● السَّلَافِيَّةُ مَرَحَلَةٌ زَمَنِيَّةٌ مُبَارَكَةٌ لَا مَذْهَبٌ إِسْلَامِيٌّ: د. مُحَمَّدُ سَعِيدُ رَمَضَانَ الْبُوطِي.

دَارُ الْفِكْرِ الْمَعَاصِرِ بِبَيْرُوتَ، وَدَارُ الْفِكْرِ بِدِمَشْقَ، الْمَطْبَعَةُ الْعِلْمِيَّةُ بِدِمَشْقَ، سَنَةَ ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م.

● سُنَنُ التِّرْمِذِيِّ، أَبِي عِيْسَى مُحَمَّدُ بْنُ عِيْسَى بْنِ سُوْرَةَ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٢٧٩هـ = ٨٩٢م.

اعْتَنَى بِهِ: فَرِيقُ بَيْتِ الْأَفْكَارِ الدَّوْلِيَّةِ، وَطُبِعَ بِاسْمِ: (جَامِعِ التِّرْمِذِيِّ).

شَرَكَةُ بَيْتِ الْأَفْكَارِ الدَّوْلِيَّةِ، لُبْنَانُ، سَنَةَ ٢٠٠٤م.

● سُنَنُ أَبِي دَاوُدَ، سُلَيْمَانُ بْنُ الْأَشْعَثِ السَّجِسْتَانِيُّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٢٧٥هـ = ٨٨٩م. وَمَعَهُ:

مَعَالِمُ السُّنَنِ شَرَحَ سُنَنُ أَبِي دَاوُدَ، لِلْخَطَّابِيِّ حَمْدُ بْنُ مُحَمَّدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْبُسْتِيِّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٣٨٨هـ = ٩٩٨م.

تَحْقِيقُ: عَزَّتْ عُبَيْدُ الدَّعَّاسُ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ١٤٢٢هـ = ٢٠٠١م.

الطَّبَعَةُ الْأُولَى، حِمَصُ، سَنَةَ ١٩٦٩م.

● سُنَنُ أَبِي دَاوُدَ.

تَحْقِيقٌ وَتَحْرِيجٌ وَتَعْلِيقٌ: الشَّيْخُ شُعَيْبُ الْأَزْزُوطُ وَآخَرِينَ.
الطَّبْعَةُ الْأُولَى، دَارُ الرِّسَالَةِ الْعَالَمِيَّةِ - بَيْرُوتَ، سَنَةُ ١٤٣٠هـ = ٢٠٠٩م.
وَأَشْرَتْ إِلَيْهَا عِنْدَ الْإِحَالَةِ عَلَيْهَا.

● سُنَنُ ابْنِ مَاجَهَ، أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ الرَّبْعِيِّ الْقَزْوِينِيِّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٢٧٣هـ = ٨٨٧م.

تَحْقِيقٌ: مُحَمَّدُ فُؤَادُ عَبْدِ الْبَاقِي، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ١٣٨٨هـ = ١٩٦٨م.
دَارُ إِحْيَاءِ الْكُتُبِ الْعَرَبِيَّةِ، عَيْسَى الْبَابِي الْحَلَبِيِّ بِمِصْرَ، سَنَةَ ١٩٥٢م.
● سُنَنُ ابْنِ مَاجَهَ.

تَحْقِيقٌ وَتَحْرِيجٌ وَتَعْلِيقٌ: الشَّيْخُ شُعَيْبُ الْأَزْزُوطُ وَآخَرِينَ.
الطَّبْعَةُ الْأُولَى، دَارُ الرِّسَالَةِ الْعَالَمِيَّةِ - بَيْرُوتَ، سَنَةَ ١٤٣٠هـ = ٢٠٠٩م.
وَأَشْرَتْ إِلَيْهَا عِنْدَ الْإِحَالَةِ عَلَيْهَا.

● سُنَنُ النَّسَائِيِّ الْكُفْرِيِّ (طُبِعَ بِاسْمِ السُّنَنِ الْكُفْرِيِّ): أَحْمَدُ بْنُ شُعَيْبَ بْنِ عَلِيٍّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٣٠٣هـ = ٩١٥م.

تَحْقِيقٌ: د. عَبْدِ الْغَفَّارِ سُلَيْمَانَ الْبَنْدَارِي، وَسَيِّدُ كَسْرَوِي حَسَنَ.
الطَّبْعَةُ الْأُولَى، دَارُ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ بِبَيْرُوتَ، لُبْنَانَ، سَنَةَ ١٤١١هـ = ١٩٩١م.
● السِّيَادَةُ الْعَرَبِيَّةُ وَالشَّيْعَةُ وَالْإِسْرَائِيلِيَّاتُ فِي عَهْدِ بَنِي أُمَيَّةٍ: فَانَ فُلُوتَن.

تَرْجَمَهُ عَنِ الْفَرَنْسِيَّةِ وَعَلَّقَ عَلَيْهِ: د. حَسَنُ إِبْرَاهِيمَ حَسَنَ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ١٣٨٨هـ = ١٩٦٨م،
وَمُحَمَّدُ زَكِيَّ إِبْرَاهِيمَ.

الطَّبْعَةُ الثَّانِيَّةُ، مَكْتَبَةُ النُّهْضَةِ الْمِصْرِيَّةِ، مَطْبَعَةُ السَّنَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ بِالْقَاهِرَةِ، سَنَةَ ١٩٦٥م.
● السَّيْرُ: أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ سَعِيدَ بْنِ عَبْدِ الْوَاحِدِ الشَّمَاخِيِّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٩٢٨هـ.
تَحْقِيقٌ: الشَّيْخُ أَحْمَدُ بْنُ سَعُودِ السِّيَابِي.

الطَّبْعَةُ الثَّانِيَّةُ، وَزَارَةُ التُّرَاثِ الْقَوْمِيَّ وَالثَّقَافَةِ، سُلْطَنَةُ عُمَانَ، مَطْبَعَةُ الْأَلْوَانِ الْحَدِيثَةِ، سَنَةَ ١٤١٢هـ = ١٩٩٢م.

- سِير أَعْلَام النُّبَلَاء: شمس الدِّين أبو عبد الله مُحَمَّد بن أَحْمَد بن عُثْمَان بن قَائِمَاز التُّرْكْمَانِي الدَّمَشْقِي الذَّهَبِي، المُتَوَفَّى سنة ٥٧٤٨هـ=١٣٤٨م.
- حَقَّق الجزء الخامس عشر: إِبْرَاهِيم الزبيق.
- وَأَشْرَف على تَحْقِيق الكتاب وَخَرَجَ أَحَادِيثه: الشيخ شُعَيْب الأَرْنَؤُوط.
- الطَّبْعَة العاشرة، مُؤَسَّسَة الرِّسَالَة بَيْرُوت، سنة ١٤١٤هـ=١٩٩٤م.
- السِّيَرَة النَّبَوِيَّة: عِمَاد الدِّين أَبُو الْفِدَاء إِسْمَاعِيل بن عُمَر بن كَثِير الْقُرَشِي الدَّمَشْقِي الشَّافِعِي، المُتَوَفَّى سنة ٧٧٤هـ=١٣٧٣م، وهي قسم السِّيَرَة من كتابه (الْبِدَايَة وَالنِّهَايَة).
- تَحْقِيق: مُصْطَفَى عبد الْوَاحِد.
- مُطَبَّعَة عِيسَى الْبَابِي الْحَلَبِي وشركاه بِمِصْر، سنة ١٩٦٤-١٩٦٦م.
- سِيَرَة ابن هِشَام. وهي التي تقدم ذكرها في الرُّوض الْأَنْف.
- الطَّبْعَة الثالثة، دار إحياء التُّرَاث الْعَرَبِي، بَيْرُوت، سنة ١٣٩١هـ.
- السِّيفُ الْحَادِي فِي الرَّد عَلَى مَنْ أَخَذَ بِحَدِيثِ الْآحَاد فِي مَسَائِلِ الْاِعْتِقَاد: سَعِيد بن مبروك بن حمود القنوبي.
- الطَّبْعَة الثالثة، مطابع النهضة، عُمان، سنة ١٤١٨هـ.
- شَذَرَات الدَّهَب فِي أَخْبَار مَنْ ذَهَب: أَبُو الْفَلَاح عَبْد الْحَيَّ بن أَحْمَد بن مُحَمَّد، بن الْعِمَاد الْحَنْبَلِي، المُتَوَفَّى سنة ١٠٨٩هـ=١٦٧٩م.
- الناشر: دار الآفاق الجديدة بَيْرُوت، وهي طَبْعَة مُصَوَّرَة.
- شَرْح الْأَبْيِّ وَالسَّنُوسِي عَلَى صَحِيح مُسْلِم. انظر: إِكْمَالُ إِكْمَالِ الْمُعْلِم.
- شَرْح أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى، الْمُسَمَّى بِ(لَوَائِعِ الْبَيِّنَاتِ شَرْحُ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَالصِّفَاتِ): أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّد بن عُمَر بن الْحُسَيْنِ الْخَطِيبِ التَّيْمِي الْبَكْرِي الْقُرَشِي الشَّافِعِي، فَخْر الدِّين الرَّازِي، المُتَوَفَّى سنة ٦٠٦هـ=١٢١٠م.
- راجعه وَقَدَّمَ لَهُ وَعَلَّقَ عَلَيْهِ: طه عبد الرُّؤُوف سَعْد.
- المكتبة الْأَزْهَرِيَّة لِلتُّرَاث بِالْقَاهِرَة، دار التوفيق النموزجية للطَّبَاعَة، سنة ١٤٢٠هـ=٢٠٠٠م.

● **شرح الأشْمُونِي** نور الدين أبي الحسن علي بن مُحَمَّد الشَّافِعِي المِصْرِي، المُتَوَفَّى سنة ٩٠٠هـ=١٤٩٥م، على أَلْفِيَّة ابن مَالِك، المسمى بـ(مَنْهَج السَّالِكِ إِلَى أَلْفِيَّةِ ابن مَالِك). وهذه الأَلْفِيَّة منظومة في النُّحُو، لجمال الدِّين أبي عبد الله مُحَمَّد بن عبد الله بن عبد الله بن مَالِك الطَّائِي الدَّمَشْقِي الجَيَانِي الأَنْدَلُسِي الشَّافِعِي، المُتَوَفَّى سنة ٦٧٢هـ=١٢٧٤م.

ومعه: حَاشِيَةُ الصَّبَّانِ أَبِي العِرْفَانِ مُحَمَّد بن عَلِي المِصْرِي الشَّافِعِي الحَنَفِي، المُتَوَفَّى سنة ١٢٠٦هـ=١٧٩١م، على شرح الأشْمُونِي.

دار إحياء الكتب العربيَّة بالقاهرة.

● **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة** من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين من بعدهم والخالفين لهم من علماء الأمة رَحِمَهُمُ اللهُ أَجْمَعِينَ: اللَّالِكَايِي أَبُو الْقَاسِمِ هبة الله بن الحسن بن منصور الطَّبْرِي الرَّازِي البَغْدَادِي الشَّافِعِي، المُتَوَفَّى سنة ٤١٨هـ. حَقَّقَهُ: أَبُو يَعْقُوب نَشَات بن كَمَال المِصْرِي.

الطبعة الثانية، المكتبة الإسلامية بالقاهرة، مطابع الفاروق الحديثة بالقاهرة، سنة ١٤٢٥هـ=٢٠٠٤م.

● **شرح الأصول الخمسة**: القاضي عبد الجبار بن أحمد الهَمْدَانِي الأَسَدَابَاذِي المَعْتَزَلِي، المُتَوَفَّى سنة ٤١٥هـ=١٠٢٥م.

تعلیق: الإمام المستظهر بالله قوام الدين أحمد بن الحسين بن أبي هاشم الحسيني الرازي، المعروف بـ(مانكديم وششديو)، المُتَوَفَّى سنة ٤٢٥هـ.

تحقيق: د. عبد الكريم عثمان.

الطبعة الثالثة، الناشر: مكتبة وهبة بالقاهرة، سنة ١٤١٦هـ=١٩٩٦م.

● **شرح أم البراهين: السنوسي**. انظر: حاشية الدُّسُوقِي على شرح أم البراهين.

● **شرح التلويح على التوضيح** لمن التنقيح في أصول الفقه.

تنقيح الأصول، وشرحه: التَّوْضِيحُ في حلِّ غوامض التنقيح، كلاهما من تأليف صدر الشريعة عبيد الله بن مسعود بن تاج الشريعة مُحَمَّد المَحْبُوبِي البُخَارِي الحَنَفِي، المُتَوَفَّى سنة ٧٤٧هـ=١٣٤٦م.

والتلويح في كشف حقائق التنقيح، لسعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني

الشَّافِعِيّ، الْمُتَوَفَّى سنة ٧٩٣هـ = ١٣٩٠م.

مَطْبَعَةُ مُحَمَّدٍ عَلِيٍّ صَبِيحٍ وأولاده بالأزهر، القاهرة، سنة ١٣٧٧هـ = ١٩٥٧م.

● شرح الجامع الصحيح مُسْنَدُ الرَّبِيع: نور الدِّين أبو مُحَمَّد عبد الله بن حَمِيد أو (حَمِيد كَصِدِّيق) بن سلّوم السَّالِمِيّ، المُتَوَفَّى سنة ١٣٣٢هـ = ١٩١٤م.

والجامع الصحيح مُسْنَدُ الرَّبِيع بن حَبِيب بن عمرو الأَزْدِيّ الْفَرَاهِيدِيّ الْبَصْرِيّ، المُتَوَفَّى بين سنتي ١٧٥-١٨٠هـ، الذي رتبهُ على أبواب الفقه: أبو يَعْقُوب يُوسُف بن إِبْرَاهِيم بن مِياد السدراقي الْوَارِثِيّ الْإِبَاضِيّ، المُتَوَفَّى سنة ٥٧٠هـ.

الناشر: سُعُود بن حمد بن نور الدِّين السَّالِمِيّ، المطابع الذَّهَبِيَّة في سُلْطَنَة عُمان، مُصَوَّرَة على الطَّبْعَة التي كتب مُقَدِّمَتها: عز الدِّين التَّنُوخِيّ.

● الشَّرح الجديد لجَوْهَرَة التَّوْحِيد: الشيخ مُحَمَّد أَحْمَد الْعَدَوِيّ.

وجَوْهَرَة التَّوْحِيد منظومة لِبُرْهَان الدِّين أبي الأمداد إِبْرَاهِيم بن إِبْرَاهِيم بن حَسَن بن عَلِيّ الْمَالِكِيّ اللَّقَانِيّ، المُتَوَفَّى سنة ١٠٤١هـ.

الطَّبْعَة الْأَوَّلَى، مَطْبَعَة مُصْطَفَى الْبَابِي الْحَلَبِيّ بِمِصْر، سنة ١٩٤٧م.

● شرح الْجَلال الْمَحَلِّيّ على جَمْع الْجَوَامِع. انظر: حَاشِيَة الْبَنَّاوِيّ.

● شرح جَوْهَرَة التَّوْحِيد: أَحْمَد بن مُحَمَّد الْمَالِكِيّ الصَّاوِيّ الْخَلَوْتِيّ، المُتَوَفَّى سنة ١٢٤١هـ = ١٨٢٥م.

وجَوْهَرَة التَّوْحِيد منظومة لِبُرْهَان الدِّين أبي الأمداد إِبْرَاهِيم بن إِبْرَاهِيم بن حَسَن بن عَلِيّ الْمَالِكِيّ اللَّقَانِيّ، المُتَوَفَّى سنة ١٠٤١هـ.

تَحْقِيقٌ وَتَعْلِيلٌ: عبد الْفَتَّاح الْبِزْم.

الطَّبْعَة الْأَوَّلَى، دار ابن كَثِير بِدِمَشْق وَبَيْرُوت، سنة ١٤١٨هـ = ١٩٩٧م.

● شرح جَوْهَرَة التَّوْحِيد: بُرْهَان الدِّين إِبْرَاهِيم بن مُحَمَّد بن أَحْمَد الْجِيزَاوِيّ الشَّافِعِيّ الْبَاجُورِيّ أو الْبَيْجُورِيّ، المُتَوَفَّى سنة ١٢٧٦هـ = ١٨٦٠م. طَبْعُهُ مُحَقَّقُهُ بِاسْم: حَاشِيَة على جَوْهَرَة التَّوْحِيد، المسمى (تُحْفَة الْمُرِيد على جَوْهَرَة التَّوْحِيد).

وجَوْهَرَة التَّوْحِيد منظومة لِبُرْهَان الدِّين أبي الأمداد إِبْرَاهِيم بن إِبْرَاهِيم بن حَسَن بن عَلِيّ الْمَالِكِيّ اللَّقَانِيّ، المُتَوَفَّى سنة ١٠٤١هـ.

تَحْقِيق: أ. د. عَلِيّ جَمْعَة مُحَمَّد الشَّافِعِيّ.

الطَّبْعَةُ الْأُولَى، دار السَّلَام للطَّبَاعَةِ والنَّشْر بالقَاهِرَة، سنة ١٤٢٢هـ = ٢٠٠٢م.

● شَرْحُ جَوْهَرَةِ التَّوْحِيدِ، الْمُسَمَّى بِ(إِتْحَافِ الْمُرِيدِ بِجَوْهَرَةِ التَّوْحِيدِ): عَبْدُ السَّلَامِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ اللَّقَانِيّ الْمَالِكِيّ، الْمُتَوَفَّى سنة ١٠٧٨هـ. وقد شَرَحَ منظومة جَوْهَرَةِ التَّوْحِيدِ لوالده بُرْهَانَ الدِّينِ أَبِي الْأَمْدَادِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ حَسَنَ بْنِ عَلِيٍّ الْمَالِكِيّ اللَّقَانِيّ، الْمُتَوَفَّى سنة ١٠٤١هـ.

الطَّبْعَةُ الثَّانِيَّة، مَطْبَعَةُ السَّعَادَةِ بِمُصْر، سنة ١٩٥٥م.

● شَرْحُ الْحُورِ الْعَيْنِ. انظر: الْحُورِ الْعَيْنِ.

● شَرْحُ الْخَرِيدَةِ الْبَهِيَّةِ: أَبُو الْبَرَكَاتِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدَ بْنِ أَحْمَدَ الدَّرْدِيرِ الْعَدَوِيّ الْمَالِكِيّ، الْمُتَوَفَّى سنة ١٢٠١هـ = ١٧٨٦م.

وَالْخَرِيدَةُ الْبَهِيَّةُ منظومة في الْعَقَائِدِ، لشارحها أَبِي الْبَرَكَاتِ أَحْمَدَ الدَّرْدِيرِ.

وعليها حَاشِيَةُ الصَّاوِي أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدَ الْمَالِكِيّ الْخَلَوْتِيّ، الْمُتَوَفَّى سنة ١٢٤١هـ = ١٨٢٥م.

مكتبة الْقَاهِرَة، مَطْبَعَةُ حِجَازِيّ.

● شَرْحُ الدَّوَانِيّ عَلَى الْعَقَائِدِ الْعُصْدِيَّةِ. انظر: الْعَقَائِدِ الْعُصْدِيَّةِ.

● شَرْحُ رَمَضَانَ أَفَنْدِي، عَلَى شَرْحِ الْعَقَائِدِ النَّسْفِيَّةِ، لِسَعْدِ الدِّينِ مَسْعُودِ بْنِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ التَّفْتَّازَانِيّ الشَّافِعِيّ، الْمُتَوَفَّى سنة ٧٩٣هـ = ١٣٩٠م.

در سعادت، سنة ١٣١٤هـ.

● شَرْحُ سُنَنِ ابْنِ مَاجَةَ: أَبُو الْحَسَنِ نَوْرُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْهَادِي التَّيْمُونِيّ الْمَدَنِيّ الْكَبِيرُ الْحَنْفِيّ، الْمَعْرُوفُ بِالسَّنْدِيّ، الْمُتَوَفَّى سنة ١١٣٨هـ.

وَابْنُ مَاجَةَ صَاحِبُ السُّنَنِ هُوَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ الرَّبَّيعِيّ الْقَزْوِينِيّ، الْمُتَوَفَّى سنة ٢٧٣هـ = ٨٨٧م.

ومعه: حَاشِيَةُ تَعْلِيلَاتِ مِصْبَاحِ الزَّجَاجَةِ فِي زَوَائِدِ ابْنِ مَاجَةَ، لِلْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الْبُوصَيْرِيّ، الْمُتَوَفَّى سنة ٨٤٠هـ.

تَحْقِيق: الشَّيْخُ خَلِيلُ مَأْمُونِ شَيْحَا.

الطبعة الأولى، دار المعرفة ببيروت، سنة ١٤١٦هـ = ١٩٩٦م.

● شرح السنوسي على أم البراهين. انظر: حاشية الدسوقي على شرح أم البراهين.

● شرح السنوسية: برهان الدين إبراهيم بن محمد بن أحمد الجيزاوي الشافعي الباجوري أو البيجوري، المتوفى سنة ١٢٧٦هـ = ١٨٦٠م.

وطبعه مُحَقِّقُهُ باسم: حاشية على متن السنوسية في العقيدة.

ومتن السنوسية هو المسمى بـ (أم البراهين، أو العقيدة الصغرى)، لأبي عبد الله محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي الحسني المالكي المغربي التلمساني، المتوفى سنة ٨٩٥هـ.

ضبطه وعلّق عليه: عبد السلام بن عبد الهادي سنار.

الطبعة الأولى، دار الفرقور بدمشق، سنة ١٤٢١هـ = ٢٠٠١م.

● شرح صحيح مسلم: النووي. انظر: المنهاج بشرح صحيح مسلم بن الحجاج، وإرشاد الساري.

● شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، المسمى بالكشاف عن حقائق السنن: شرف الدين الحسين بن عبد الله بن محمد الطيبي، المتوفى سنة ٧٤٣هـ.

إعداد: مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار الباز.

تحقيق: د. عبد الحميد هندواوي.

الطبعة الأولى، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، سنة ١٤١٧هـ = ١٩٩٧م.

● شرح عبد السلام على الجوهرة. انظر: شرح جوهرة التوحيد.

● شرح العقائد العضدية للدواني. انظر: العقائد العضدية.

● شرح العقائد النسفية: سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني الشافعي، المتوفى سنة ٧٩٣هـ = ١٣٩٠م.

ومتن العقائد النسفية، لنجم الدين أبي حفص عمر بن محمد النسفي، المتوفى سنة

٥٣٧هـ = ١١٤٢م.

وبهامشه: حَاشِيَةٌ عَلَى الشَّرْحِ، لِلْمَوْلَى مَصْلَح الدِّينِ مُصْطَفَى بْنِ مُحَمَّدِ الْكَسْتَلِيِّ (الْقَسْطَلَانِيِّ)، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٩٠١هـ = ١٤٦٠م.

تليها: حَاشِيَةٌ أُخْرَى عَلَى الشَّرْحِ الْمَذْكُورِ، لِلْمَوْلَى أَحْمَدَ بْنِ مُوسَى الْخَيَالِيِّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٨٦٠هـ.

وبهامشها: حَاشِيَةُ الشَّيْخِ رَمْضَانَ الْبَهْشَتِيِّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٩٧٩هـ.

الطَّبْعَةُ الْأُولَى سَنَةَ ١٣٢٦هـ، تُرْكِيَا. أَعَادَتْ مَكْتَبَةُ الْمُثَنَّى طَبْعَهَا بِالْأَوْفَسْتِ.

● شَرْحُ عَقِيدَةِ التَّوْحِيدِ: مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ بْنِ عِيسَى أَطْفَيْشٍ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ١٣٣٢هـ = ١٩١٤م.

سَلْطَنَةُ عُومَانَ، وَزَارَةُ التُّرَاثِ الْقَوْمِي وَالْثَّقَافَةِ، سَنَةَ ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م.

● شَرْحُ عَقِيدَةِ ابْنِ أَبِي زَيْدٍ الْقَيْرَوَانِيِّ فِي كِتَابِهِ الرَّسَالَةِ.

وَالرَّسَالَةُ لِابْنِ أَبِي زَيْدٍ الْقَيْرَوَانِيِّ، أَبِي مُحَمَّدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي زَيْدٍ عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّفَرِيِّ الْمَالِكِيِّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٣٨٦هـ.

وَالشَّرْحُ، لِلْقَاضِي عَبْدِ الْوَهَّابِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ نَصْرِ الْبَغْدَادِيِّ الْمَالِكِيِّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٤٢٢هـ = ١٠٣١م.

دِرَاسَةٌ وَتَحْقِيقٌ: أ. د. أَحْمَدُ مُحَمَّدُ نُورِ سَيْفٍ.

الطَّبْعَةُ الْأُولَى، دَارُ الْبَحْثِ لِلدِّرَاسَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَإِحْيَاءِ التُّرَاثِ، دُبَيِّ، الْإِمَارَاتِ الْعَرَبِيَّةِ الْمُتَّحِدَةِ، سَنَةَ ١٤٢٤هـ = ٢٠٠٤م.

● شَرْحُ الْعَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّةِ: الْقَاضِي صَدْرُ الدِّينِ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيٍّ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ أَبِي الْعِزِّ الْحَنْفِيِّ الدَّمَشْقِيِّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٧٩٢هـ = ١٣٩٠م.

وَالْعَقِيدَةُ الطَّحَاوِيَّةُ، لِلْإِمَامِ أَبِي جَعْفَرٍ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ سَلَامَةَ الْأَزْدِيِّ الْحَجَرِيِّ الطَّحَاوِيِّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٣٢١هـ = ٩٣٣م.

تَحْقِيقٌ: د. عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُحْسِنِ التُّرْكِيِّ، وَشُعَيْبُ الْأَرْزَنْوُوطُ.

الطَّبْعَةُ الثَّانِيَّةُ، مُؤَسَّسَةُ الرَّسَالَةِ بَبَيْرُوتَ، سَنَةَ ١٤١٣هـ = ١٩٩٣م.

● شرح غَايَةِ الْمُرَادِ فِي نَظْمِ الْاِعْتِقَادِ: أَحْمَدُ بْنُ حَمْدِ بْنِ سُلَيْمَانَ الْخَلِيلِيِّ، مفتي سُلْطَنَةِ عُمان.

وَعَايَةِ الْمُرَادِ منظومة لنور الدِّين أبي مُحَمَّد عبد الله بن حُمَيْد (أو حَمِيد كَصِدِّيق) بن سَلُوم السَّالِمِيِّ، المُتَوَفَّى سنة ١٣٣٢هـ=١٩١٤م.

مكتبة الجيل الواعد، مطابع النهضة، مَسْقَط، سنة ١٤٢٤هـ=٢٠٠٣م.

● شرح الْفَهْمِ الْأَكْبَرِ: عَلِيّ الْقَارِي بن سُلْطَان مُحَمَّد الْهَرَوِيّ الْحَنْفِيّ، المُتَوَفَّى سنة ١٠١٤هـ=١٦٠٦م.

وَالْفَهْمِ الْأَكْبَرِ، للإمام أبي حَنِيفَةَ النُّعْمَانِ بن ثَابِت، المُتَوَفَّى سنة ١٥٠هـ=٧٦٧م.
تَحْقِيق: عَلِيّ مُحَمَّد دَنْدَل.

الطَّبَعَةُ الْأُولَى، دار الكتب الْعِلْمِيَّة بَبْرُوت، سنة ١٤١٦هـ=١٩٩٥م.

● شرح قَاسِمِ بن قُطْلُوبُغَا عَلَى الْمُسَايَرَةِ. انظر: الْمُسَامَرَةُ.

● شرح الْمَقَاصِدِ: سَعْدُ الدِّين مَسْعُودُ بن عُمَرُ بن عبد الله التَّفْتَازَانِيّ الشَّافِعِيّ، المُتَوَفَّى سنة ٧٩٣هـ=١٣٩٠م.

وَالْمَقَاصِدِ (مَقَاصِدِ الطَّالِبِينَ) لَهُ أَيْضاً.

تَحْقِيق: د. عبد الرَّحْمَن عَمِيرَةَ.

الطَّبَعَةُ الْأُولَى، عالم الكتب بَبْرُوت، سنة ١٤٠٩هـ=١٩٨٩م.

● شرح الْمَوَاقِفِ لِلسَّيِّدِ الشَّرِيف. انظر: الْمَوَاقِفِ.

● شرح النَّوَوِيِّ عَلَى مُسْلِمٍ. انظر: الْمِنْهَاجُ بِشَرْحِ صَحِيحِ مُسْلِمِ بْنِ الْحَجَّاجِ. وهامش إِرْشَادِ السَّارِي.

● شُعَبُ الْإِيمَانِ: أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بن الْحُسَيْنِ الْبَيْهَقِيّ، المُتَوَفَّى سنة ٤٥٨هـ=١٠٦٦م.

تَحْقِيق: أبي هاجر مُحَمَّد السَّعِيدُ بن بَسِيوْنِي زَغْلُول.

الطَّبَعَةُ الْأُولَى، دار الكتب الْعِلْمِيَّة بَبْرُوت، سنة ١٤١٠هـ=١٩٩٠م.

- الشِّفَا بتعريف حقوق المُصْطَفَى: القَاضِي أَبُو الْفَضْلِ عِيَاضُ بْنُ مُوسَى بْنِ عِيَاضِ الْيَحْصِي السَّبْئِي الْمَالِكِي، المُتَوَفَى سنة ٥٤٤هـ=١١٤٩م. وبذيله: حَاشِيَةٌ مُزِيلُ الْخَفَاءِ عَنْ أَلْفَاظِ الشِّفَاءِ، لِلْعَلَّامَةِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ مُحَمَّدِ الشُّمْنِي، المُتَوَفَى سنة ٨٧٢هـ=١٤٦٨م.
- المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة، الشركة الشرقيّة للنشر والتوزيع ببغروت، سنة ١٩٧١م.
- شِفَاءُ السَّقَامِ فِي زِيَارَةِ خَيْرِ الْأَنَامِ: تَقِيّ الدِّينِ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيّ بْنُ عَبْدِ الْكَافِي بْنِ عَلِيّ السُّبْكِي، المُتَوَفَى سنة ٧٥٦هـ=١٣٥٥م.
- مُصَوَّرَةٌ عَلَى طَبْعَةِ الْمَطْبَعَةِ الْعَامِرَةِ بِبُؤْلَاق، مِصْر، الَّتِي تَمَّ طَبْعُهَا سَنَةَ ١٣١٩هـ، مَكْتَبَةُ الْحَقِيقَةِ بِإِسْتَنْبُول، تُرْكِيَا، سَنَةَ ١٤١٦هـ=١٩٩٥م.
- شِفَاءُ الْعَلِيلِ فِي مَسَائِلِ الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ وَالْحِكْمَةِ وَالتَّعْلِيلِ: شَمْسُ الدِّينِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ بْنُ أَيُّوبَ بْنِ سَعْدِ الزُّرْعِيِّ الدَّمَشْقِيِّ، الْمَشْهُورُ بِابْنِ قَيْمِ الْجَوْزِيَّةِ، المُتَوَفَى سَنَةَ ٧٥١هـ=١٣٥٠م.
- تَحْقِيقُ: الشَّيْخِ إِبْرَاهِيمَ أَحْمَدَ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْحَنْبَلِيِّ.
- دار إحياء الكتب العربيّة بالقاهرة.
- شَوَاهِدُ الْحَقِّ فِي الْإِسْتِغَاثَةِ بِسَيِّدِ الْخَلْقِ ﷺ. وَبِإِيَّاهُ: الْأَسَالِيبُ الْبَدِيعَةُ فِي فَضْلِ الصَّحَابَةِ وَإِفْنَاعِ الشَّيْئَةِ: كِلَاهُمَا لِلشَّيْخِ يُوسُفَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ النَّبْهَانِيِّ، المُتَوَفَى سَنَةَ ١٣٥٠هـ=١٩٣٢م.
- دار الفكر ببغروت، سنة ١٤١٠هـ=١٩٩٠م.
- الشُّوْرَى بَيْنَ النَّظَرِيَّةِ وَالتَّطْبِيقِ: د. قَحْطَانُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدُّورِيِّ.
- الطَّبْعَةُ الْأُولَى، مَطْبَعَةُ الْأُمَّةِ، بَغْدَاد، سَنَةَ ١٣٩٤هـ=١٩٧٤م.
- الشَّيْئَةُ بَيْنَ الْأَشَاعِرَةِ وَالْمُعْتَزَلَةِ: هَاشِمُ مَعْرُوفُ الْحَسَنِيِّ، المُتَوَفَى سَنَةَ ١٤٠٤هـ=١٩٨٤م.
- الطَّبْعَةُ الْأُولَى، سَنَةَ ١٩٦٤م.
- الصَّابِتُونَ، حَرَانِيَّتَيْنِ وَمَنْدَائِيَّتَيْنِ: د. رُشْدِي عَلِيَّان، المُتَوَفَى سَنَةَ ١٤٠٩هـ=١٩٨٩م.
- مَطْبَعَةُ دَارِ السَّلَامِ، بَغْدَاد، سَنَةَ ١٩٧٧م.

● **صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ**، المسمى **الْجَامِعُ الْمُسْنَدُ الصَّحِيحُ الْمُخْتَصَرُ** من **أُمُورِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ** و**سُنَنِهِ** وأيامه: الإمام أبو عبد الله مُحَمَّد بن إِسْمَاعِيل بن إِبْرَاهِيم بن الْمُغِيرَةَ بن بَرْدِزْبَةَ الْجُعْفِيِّ الْبُخَارِيِّ، المَتَوَفَى سنة ٢٥٦هـ = ٨٧٠م.

رَقْمُ كُتُبِهِ وَأَبْوَابِهِ وَفَقًّا لِلْمُعْجَمِ الْمُفْهَرَسِ وَتُخْفَةِ الْأَشْرَافِ، وَصَنَعَ فَهَارِسُهُ: مُحَمَّد بن زَار تَمِيم، وَهَيْثُم بن زَار تَمِيم، معتمدين النسخة السُّلْطَانِيَّةَ المعتمدة على النسخة اليُونَنِيَّةَ. شركة دار الأَرْقَم بن أَبِي الأَرْقَم للطَّبَاعَةِ، بَيْرُوت. تاريخ مُقَدِّمَةِ المحقِّقَيْنِ سنة ١٤١٦هـ = ١٩٩٥م.

● **صَحِيحُ التِّرْمِذِيِّ**. انظر: **عَارِضَةُ الْأَحْوَذِيِّ**.

● **صَحِيحُ مُسْلِمٍ**، المسمى **الْمُسْنَدُ الصَّحِيحُ الْمُخْتَصَرُ** من **السُّنَنِ** بنقل العَدْل عن العَدْل عن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: الإمام مُسْلِم بن الْحَجَّاج الْقُشَيْرِيُّ النَّيْسَابُورِيُّ، المَتَوَفَى سنة ٢٦١هـ = ٨٧٥م.

رَقْمُ كُتُبِهِ وَأَبْوَابِهِ وَفَقًّا لِلْمُعْجَمِ الْمُفْهَرَسِ وَتُخْفَةِ الْأَشْرَافِ، وَصَنَعَ فَهَارِسُهُ: مُحَمَّد بن زَار تَمِيم، وَهَيْثُم بن زَار تَمِيم.

الطَّبْعَةُ الْأُولَى، شركة دار الأَرْقَم بن أَبِي الأَرْقَم للطَّبَاعَةِ بَيْرُوت، سنة ١٤١٩هـ = ١٩٩٩م.

● **صَفْوَةُ الْأَحْكَامِ** من **نَيْلِ الْأَوْطَارِ** وَ**سُبُلِ السَّلَامِ**: د. قَحْطَان عبد الرَّحْمَنِ الدُّورِيِّ.

الطَّبْعَةُ الثَّانِيَّةُ فِي دارِ الْفُرْقَانِ للنشر والتوزيع، عَمَّان، المَمْلَكَةُ الْأُرْدُنِّيَّةُ الْهَاشِمِيَّةُ، سنة ١٤٢٤هـ = ٢٠٠٣م. وهي الطَّبْعَةُ الرَّابِعَةُ للكتاب.

● **الطَّبْ** محراب الإِيَّان: د. خالص كنجو.

دِمَشْق، سنة ١٣٩١هـ = ١٩٧١م.

● **طَبَقَاتُ الشَّافِعِيَّةِ الْكُبْرَى**: تاج الدِّين أَبُو نَصْر عبد الوَهَّاب بن عَلِيِّ بن عبد الكافي السُّبْكِيِّ، المَتَوَفَى سنة ٧٧١هـ = ١٣٧٠م.

تَحْقِيق: مَحْمُود مُحَمَّد الطَّنَاحِيِّ، المَتَوَفَى سنة ١٤١٩هـ = ١٩٩٩م، وعبد الفَتَّاح مُحَمَّد الحُلُو، المَتَوَفَى سنة ١٤١٤هـ = ١٩٩٤م.

الطَّبْعَةُ الْأُولَى، مَطْبَعَةُ عِيْسَى الْبَابِي الْحَلَبِيِّ بِالْقَاهِرَةِ، سنة ١٩٦٤-١٩٧٦م.

● طبقات المشايخ بالمغرب: أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجيني، المتوفى حوالى

سنة ٦٧٠هـ.

حقيقه: إبراهيم طلاي. بلا طبعة ولا تاريخ.

● الطريق إلى النجوم: فان دريت ولي. نقله إلى العربية: د. عمر فروخ، المتوفى سنة

١٤٠٨هـ=١٩٨٧م.

الطبعة الثانية، دار العلم للملايين، بيروت، سنة ١٩٧٤م.

● طوابع الأنوار من مطالع الأنظار: القاضي ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن

محمد البضاوي الشيرازي الشافعي، المتوفى سنة ٦٨٥هـ=١٢٨٦م.

تحقيق: عباس سليمان.

الطبعة الأولى، دار الجيل ببيروت، والمكتبة الأزهرية للتراث بالقاهرة، سنة

١٤١١هـ=١٩٩١م.

● الظاهرة القرآنية: مالك بن نبي، المتوفى سنة ١٣٩٣هـ=١٩٧٣م.

ترجمة: د. عبد الصبور شاهين.

دار الفكر ببيروت.

● عارضة الأخوذي بشرح صحيح الترمذي: أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن

عبد الله بن أحمد المعافري الإشيلي، المعروف بابن العربي، المالكي، المتوفى سنة

٥٤٣هـ=١١٤٨م.

الناشر: دار العلم للجميع ببيروت، وهي طبعة مصورة.

● العالم والمتعلم: رواية أبي مقاتل حفص بن سلم السمرقندي، عن أبي حنيفة

النعمان بن ثابت الكوفي، المتوفى سنة ١٥٠هـ=٧٦٧م. ويلي:

رسالة أبي حنيفة إلى عالم البصرة عثمان بن مسلم البتي، المتوفى سنة ١٤٣هـ، رواية أبي

يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري، المتوفى سنة ١٨٢هـ=٧٩٨م، عن أبي حنيفة رضي الله عنه.

ويليه:

الفقه الأيسط، وهو الفقه الأكبر، رواية أبي مطيع الحكيم بن عبد الله البلخي، المتوفى سنة ١٩٩هـ، عن أبي حنيفة رضي الله عنه. وعرف بالفقه الأيسط تمييزاً له عن الفقه الأكبر رواية حماد بن أبي حنيفة عن أبيه.

تحقيق: محمد زاهد بن الحسن بن علي الكوثري، المتوفى سنة ١٣٧١هـ=١٩٥٢م.
مطبعة الأنوار بالقاهرة، سنة ١٣٦٨هـ.

● العبر في خبر من عبر: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز التركماني الدمشقي الذهبي، المتوفى سنة ٧٤٨هـ=١٣٤٨م.

حققه: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول.

الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية بيروت، سنة ١٤٠٥هـ=١٩٨٥م.

● عصمة الأئمة عند الشيعة: أنور الباز.

الطبعة الأولى، دار الوفاء، المنصورة، مصر، سنة ١٤١٩هـ=١٩٩٨م.

● عقائد الإمامية: محمد رضا المظفر.

قدم له: د. حامد حفي داود.

مطابع النعمان، النجف.

● عقائد الإمامية الاثني عشرية: إبراهيم الزنجاني.

الطبعة الثانية، سنة ١٩٧٣م.

● العقائد العزدية: عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، المتوفى سنة

٧٥٦هـ=١٣٥٥م.

ومعه: شرح جلال الدين محمد بن أسعد الدواني الصديقي، المتوفى ٩١٨هـ.

ومعه: حاشية إسماعيل الكلنوي، المتوفى سنة ١٢٠٥هـ.

وبهامشه: حاشية المرحاني، وحاشية الخلالي، المتوفى سنة ١٠١٤هـ.

درساعات، مطبعة عثمانية، سنة ١٣١٦هـ.

- عقائد ما بعد الموت في حضارة وادي الرافدين القديمة. رسالة ماجستير على الآلة الكاتبة تقدم بها: نائل حنون عليوي، كلية الآداب، جامعة بغداد سنة ١٩٧٥ م.
- العقائد النسفية. انظر: شرح العقائد النسفية.
- العقد الثمين في شرح أحاديث أصول الدين: حسين بن أبي بكر بن غنام الإحصائي النجدي التميمي المالكي، المتوفى سنة ١٢٢٥ هـ.
- تحقيق: إبراهيم يوسف الماس.
- الطبعة الأولى، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في قطر، الشركة الحديثة للطباعة في الدوحة، قطر، سنة ١٤١٤ هـ = ١٩٩٣ م.
- العقيدة الإسلامية وأسسها: عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني.
- الطبعة السابعة، دار القلم بدمشق، سنة ١٤١٥ هـ = ١٩٩٤ م.
- عقيدة التوحيد في القرآن الكريم: د. محمد أحمد محمد عبد القادر ملكاوي.
- الطبعة الأولى، دار ابن تيمية للنشر والتوزيع بالرياض، مطابع الفرزدق التجارية بالرياض، المملكة العربية السعودية، سنة ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م.
- العقيدة النظامية: إمام الحرمين أبو المعالي ضياء الدين عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني النيسابوري الشافعي، المتوفى سنة ٤٧٨ هـ = ١٠٨٥ م.
- تحقيق: د. محمد الزبيدي.
- الطبعة الأولى، دار سبيل الرشاد ببيروت، ودار النفائس ببيروت، مركز الطباعة الحديثة ببيروت، سنة ١٤٢٤ هـ = ٢٠٠٣ م.
- علم أصول الفقه: عبد الوهاب بن عبد الواحد خالاف، المتوفى سنة ١٣٧٥ هـ = ١٩٥٦ م.
- الطبعة الأولى، الزهراء للنشر والتوزيع، الجزائر، سنة ١٩٩٠ م.
- علم الكلام على مذهب أهل السنة والجماعة: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري الأندلسي، المتوفى سنة ٤٥٦ هـ = ١٠٦٤ م.
- تحقيق: أحمد حجازي أحمد السقا.

الطبعة الأولى، المكتب الثقافي للنشر والتوزيع بالقاهرة، دار الجيل للطباعة بمصر، سنة ١٩٨٩م.

● العلم ليس كافراً: د. مُحسِن عبد الحميد.

مقال في مجلة التربية الإسلامية، بغداد، العدد الثالث، سنة ١٩٧٣م، ونشر برِسالة مستقلة.

● العلم يدعو للإيمان: كريسي موريسون.

ترجمة: مَحْمُود صالح الفلكي.

الطبعة الرابعة سنة ١٩٦٢م، والخامسة سنة ١٩٦٥م.

● عُمدة القاري شرح صحيح البخاري: بدر الدين أبو الثناء وأبو مُحَمَّد مَحْمُود بن أَحْمَد بن مُوسَى العيني العيني الحنفي، المتوفى سنة ٨٥٥هـ=١٤٥١م.

دار إحياء التراث العربي ببيروت، طبعة مصورة على الطبعة المنيرية المصرية المطبوعة سنة ١٣٤٨هـ.

● غاية المرام في عقائد أهل الإسلام: الحاج حمدي بن عبد الله بن الملا مُحَمَّد بن عبد الله العبيدي الحنفي الأعظمي، المتوفى سنة ١٣٩١هـ=١٩٧١م.

الطبعة الثانية، بغداد، سنة ١٣٦٧هـ.

● الغلو والفرق الغالية في الحضارة الإسلامية: الدكتور عبد الله سلوم السامرائي. وبذيله:

كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية العربية. القسم الثالث، وهو قسم الفرق والمذاهب، لأبي حاتم أحمد بن حمدان الرازي، المتوفى سنة ٣٢٢هـ=٩٣٤م.

تحقيق: الدكتور عبد الله سلوم السامرائي.

من مطبوعات وزارة الإعلام العراقية، دار الحرية للطباعة، مطبعة الحكومة ببغداد سنة ١٣٩٢هـ=١٩٧٢م.

● الغنية لطالبي طريق الحق عز وجل: الشيخ عبد القادر الجيلاني بن موسى بن عبد الله الحسني، المتوفى سنة ٥٦١هـ=١١١٦م.

مطبعة مُحَمَّد علي صبيح وأولاده بمصر، سنة ١٣٤٦هـ.

● الفَائِقُ فِي أَصُولِ الدِّينِ: رُكْنُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَلَاهِمِي الْخَوَارِزْمِيُّ الْمُعْتَزَلِيُّ،
الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٥٣٦هـ = ١١٤١م.

تَحْقِيقٌ وَتَقْدِيمٌ: وَيْلْفَرْد مَادْلونْغ، مَارْتِن مَكْدِرْمُوت.

انتشارات: مُؤَسَّسَةُ پُزُوهْشِي حَكَمَت وَفَلَسَفَةُ إِيرَان، وَمُؤَسَّسَةُ مَطَالَعَاتِ إِسْلَامِي دَانِشْغَاه آزَاد
برلين - أَلْمَان جَامِعَةُ بَرَلِين. طُبِعَ فِي طَهْرَان، سَنَةَ ١٣٨٦هـ.

● الْفَارِقُ بَيْنَ الْمَخْلُوقِ وَالْحَالِقِ: عَبْدُ الرَّحْمَنِ بَكْ بِنِ سَلِيمٍ بَاجِه جِي زَادَه.

الطَّبْعَةُ الْأُولَى، مَطْبَعَةُ التَّقْدِيمِ بِمَضَر، سَنَةَ ١٣٢٢هـ.

● الْفَتَاوَى، دَرَاةٌ لِمَشْكَلَاتِ الْمُسْلِمِ الْمَعَاوِرِ فِي حَيَاتِهِ الْيَوْمِيَّةِ وَالْعَامَةِ: الشَّيْخُ مُحَمَّدُ
شَلْتُوت، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ١٣٨٣هـ = ١٩٦٣م.

الطَّبْعَةُ السَّادِسَةُ عَشْرَةَ، دَارُ الشُّرُوقِ، الْقَاهِرَةُ وَبَيْرُوتُ، سَنَةَ ١٤١١هـ = ١٩٩١م.

● فَتَاوَى ابْنِ تَيْمِيَّةٍ. انْظُرْ: مَجْمُوعُ فَتَاوَى شَيْخِ الْإِسْلَامِ تَقِيَّ الدِّينِ.

● فَتَاوَى مُعَاوِرَةٍ: د. يُوسُفُ الْقَرَصَاوِي.

الطَّبْعَةُ الْأُولَى، الْمَكْتَبُ الْإِسْلَامِيُّ، ج ١ وَ ٢ سَنَةَ ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م، وَج ٣ سَنَةَ

١٤٢٤هـ = ٢٠٠٣م.

● فَتْحُ الْبَارِي بِشَرْحِ صَحِيحِ الْإِمَامِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْبُخَارِيِّ، الْمُتَوَفَّى

سَنَةَ ٢٥٦هـ = ٨٧٠م. وَمُقَدِّمَتُهُ: هَذِي السَّارِي: شَهَابُ الدِّينِ أَبُو الْفَضْلِ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدٍ

الْكِنَانِيِّ، الْمَعْرُوفُ بِابْنِ حَجَرِ الْعَسْقَلَانِيِّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٨٥٢هـ = ١٤٤٩م.

قَرَأَ أَصْلَهُ تَصْحِيحًا وَتَحْقِيقًا وَقَابَلَ نُسخَهُ: عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَازٍ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ

١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م.

رَقَمَ كُتُبَهُ وَأَبْوَابَهُ وَأَحَادِيثَهُ، وَاسْتَقْصَى أَطْرَافَهُ، وَنَبَّهَ عَلَى أَرْقَامِهَا فِي كُلِّ حَدِيثٍ: مُحَمَّدُ فُؤَادُ

عَبْدُ الْبَاقِي، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ١٣٨٨هـ = ١٩٦٨م.

قَامَ بِإِخْرَاجِهِ، وَتَصْحِيحِ تَجَارِيهِ، وَأَشْرَفَ عَلَى طَبْعِهِ: مُجِيبُ الدِّينِ الْخَطِيبُ ابْنُ أَبِي الْفَتْحِ

مُحَمَّدُ عَبْدُ الْقَادِرِ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ١٣٨٩هـ = ١٩٦٩م.

الناشر: دار المعرفة ببيروت، وهي طبعة مصورة على طبعة المكتبة السلفية بالقاهرة. وهي المُرادة عند الإطلاق.

والطبعة الثانية بدار الريان للتراث بالقاهرة، سنة ١٤٠٧هـ=١٩٨٦م، التي إذا عُدت إليها ذكرت طبعتها معها.

● فتح الغفار بشرح المنار، المعروف بمشكاة الأنوار في أصول المنار: زين الدين بن إبراهيم بن محمد، الشهير بابن نجيم الحنفي، المتوفى سنة ٩٧٠هـ.

وعليه بعض حواشٍ للشيخ عبد الرحمن البحراوي الحنفي المصري، المتوفى سنة ١٣٢٢هـ.

ومتن المنار، للإمام أبي البركات عبد الله بن أحمد، المعروف بحافظ الدين النسفي، صاحب كنز الدقائق، المتوفى سنة ٧١٠هـ.

صححه: أحمد سعد علي، وراجعته: محمود أبو دققة.

الطبعة الأولى، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، سنة ١٣٥٥هـ=١٩٣٦م.

● فتح المجيد شرح كتاب التوحيد: عبد الرحمن بن حسن ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي الحنبلي، المتوفى سنة ١٢٨٥هـ=١٨٦٩م.

وكتاب التوحيد، للشيخ محمد بن عبد الوهاب (جدّه)، المتوفى سنة ١٢٠٦هـ=١٧٩٢م.

تحقيق: محمد حامد ابن الشيخ سيّد أحمد الفقي، المتوفى سنة ١٣٧٨هـ=١٩٥٩م.

راجع حواشيه وصححه وعلّق عليه: الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، المتوفى سنة ١٤٢٠هـ=١٩٩٩م.

مكتبة التراث الإسلامي بالقاهرة، دار طيبة للنشر بالرياض، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر.

● فجر الإسلام: أحمد أمين، المتوفى سنة ١٣٧٣هـ=١٩٥٤م.

الطبعة العاشرة، لجنة التأليف والنشر بالقاهرة، سنة ١٩٦٥م.

- الفرق الإسلامية. وهو ذيل كتاب شرح المواقف: شمس الدين محمد بن يوسف بن علي الكرمانلي البغدادي الشافعي، المتوفى سنة ٧٨٦هـ=١٣٨٥م.
تحقيق: سليمة عبد الرسول.
مطبعة الإرشاد ببغداد، سنة ١٩٧٣م.
- الفرق الإسلامية في بلاد الشام في العصر الأموي: د. حسين عطوان.
الطبعة الأولى، دار الجليل ببيروت، سنة ١٩٨٦م.
- الفرق بين الإباضية والخوارج: أبو إسحاق إبراهيم أطفيش.
قدم له: أحمد بن سعود السيابي.
الطبعة الرابعة، مكتبة الضامري، سلطنة عمان، سنة ١٤١٤هـ=١٩٩٣م.
- الفرق بين الفرق: أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي الإسفرائيني التميمي، المتوفى سنة ٤٢٩هـ=١٠٣٧م.
تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المتوفى سنة ١٣٩٢هـ=١٩٧٢م.
الناشر: مكتبة محمد علي صبيح وأولاده بمصر، مطبعة المدني بالقاهرة.
- فرق الشيعة: أبو محمد الحسن بن موسى بن الحسن النوبختي، المتوفى سنة ٣١٠هـ=٩٢٢م.
علق عليه: محمد صادق بحر العلوم.
الطبعة الرابعة، المطبعة الحيدرية بالنجف، سنة ١٩٦٩م. والطبعة الثانية، دار الأضواء ببيروت، سنة ١٤٠٤هـ=١٩٨٤م.
- الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان: أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن تيمية الحراني، المتوفى سنة ٧٢٨هـ=١٣٢٨م.
دار النذير، بغداد، سنة ١٩٦٩م.
- الفصل في الملل والأهواء والنحل: الإمام أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي الظاهري، المتوفى سنة ٤٥٦هـ=١٠٦٤م.

تَحْقِيقُ: د. مُحَمَّدُ إِبرَاهِيمُ نَصْر، ود. عبد الرَّحْمَنِ عَمِيرَة.

الطبعة الثانية، دار الجليل ببيروت، سنة ١٤١٦هـ = ١٩٩٦م.

● فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال: أبو الوليد مُحَمَّد بن أَحْمَد ابن الإمام أبي الوليد مُحَمَّد بن أَحْمَد بن رُشد القُرْطُبِي، الملقَّب بابن رُشد الحَفِيد، المتوفى سنة ٥٩٥هـ = ١١٩٨م.

دار المعارف بمصر.

● فضائح الباطنية، وفضائل المستظهرية، ويسمى: المستظهرى: الإمام أبو حامد مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن أَحْمَد الغزالي الطوسي الشافعي، المتوفى سنة ٥٠٥هـ = ١١١١م.

حَقَّقَهُ: عبد الرَّحْمَنِ بَدَوِي.

الناشر: الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، سنة ١٩٦٤م.

● الفقه الأيسر. انظر: العالم والمتعلم.

● الفقه الأكبر، للإمام أبي حنيفة. انظر: شرحه لعلِّي القاري، والقول الفصل.

● الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي: مُحَمَّد بن الحسن الحجوي الثعالبي الفاسي، المتوفى سنة ١٣٧٦هـ.

اعتنى به: أيمن صالح شعبان.

الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية ببيروت، سنة ١٤١٦هـ = ١٩٩٥م.

● الفهرست: أبو الفرج مُحَمَّد بن أبي يَعْقُوب إِسْحَاق بن مُحَمَّد النديم البغدادي، المتوفى سنة ٣٨٥هـ.

الناشر: دار المعرفة ببيروت، سنة ١٩٧٨م، وهي طبعة مُصَوَّرة على المطبوعة بمصر.

● الفوائد البهية في تراجم الحنفية، ومعه: التعليقات السنية على الفوائد البهية، ومعه أيضاً: طرب الأمثال بتراجم الأفاضل: وكلها لأبي الحسنات مُحَمَّد عبد الحي بن مُحَمَّد عبد الحليم بن مُحَمَّد أمين الله اللكنوي الأنصاري الهندي، المتوفى سنة ١٣٠٤هـ = ١٨٨٧م.

الناشر: نور مُحَمَّد كارخانه تجارت كتب آرام باغ كراچي، مشهور بريس كراچي سنة ١٣٩٣ هـ، وهي مَصَوَّرَةٌ عَلَى الطَّبْعَةِ الْأُولَى بِمَطْبَعَةِ السَّعَادَةِ بِمُصْرَ سنة ١٣٢٤ هـ.

وَالطَّبْعَةُ الْأُخْرَى وَهِيَ الْأُولَى الَّتِي اعْتَنَى بِهَا أَحْمَدُ الرَّعْبِيُّ، شَرَكَةَ دَارِ الْأَرْقَمِ بْنِ أَبِي الْأَرْقَمِ بَيْرُوتَ، سنة ١٤١٨ هـ=١٩٩٨ م.

● فِي الْعَقَائِدِ وَالْأَدْيَانِ: د. مُحَمَّد جَابِر الحِنِي.

الطَّبْعَةُ الْأُولَى، سنة ١٩٧١ م.

● فَيْضُ الْقَدِيرِ شَرْحُ الْجَامِعِ الصَّغِيرِ: مُحَمَّدُ عَبْدِ الرَّؤُوفِ بْنِ تَاجِ الْعَارِفِينَ بْنِ عَلِيٍّ الْمُنَاوِيِّ الْقَاهِرِيِّ الشَّافِعِيِّ، الْمُتَوَفَّى سنة ١٠٣١ هـ=١٦٢٢ م.

وَالْجَامِعُ الصَّغِيرُ فِي أَحَادِيثِ الْبَشِيرِ النَّذِيرِ، لَجَلَالِ الدِّينِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الشُّيُوطِيِّ، الْمُتَوَفَّى سنة ٩١١ هـ=١٥٠٥ م.

الطَّبْعَةُ الْأُولَى، مَطْبَعَةُ مُصْطَفَى مُحَمَّد بِمُصْرَ، سنة ١٩٣٨ م.

● فِي عِلْمِ الْكَلَامِ، دَرَاةٌ فِلْسَفِيَّةٌ لِأَرَاءِ الْفِرَاقِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي أَصُولِ الدِّينِ، ج ١ الْمُعْتَزَلَةُ، ج ٢ الْأَشَاعِرَةُ، ج ٣ الزَّيْدِيَّةُ: د. أَحْمَدُ مُحَمَّدُ صَبْحِي.

دَارُ النَّهْضَةِ الْعَرَبِيَّةِ بَيْرُوتَ، ج ١ و ٢ الطَّبْعَةُ الْخَامِسَةُ، سنة ١٤٠٥ هـ=١٩٨٥ م، وَج ٣ الطَّبْعَةُ الثَّلَاثَةُ، سنة ١٤١١ هـ=١٩٩١ م.

● قَاعِدَةُ جَلِيلَةٍ فِي التَّوَسُّلِ وَالْوَسِيلَةِ: أَبُو الْعَبَّاسِ تَقِيُّ الدِّينِ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْحَلِيمِ بْنِ عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ تَيْمِيَّةَ الْحَرَّانِيِّ، الْمُتَوَفَّى سنة ٧٢٨ هـ=١٣٢٨ م. وَهِيَ مُتَضَمِّنَةٌ فِي الْجُزْءِ الْأَوَّلِ مِنْ مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى لِابْنِ تَيْمِيَّةَ.

● الْقَامُوسُ الْمُحِيطُ: مَجْدُ الدِّينِ أَبُو الطَّاهِرِ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ الصَّدِّيقِيِّ الشَّيْرَازِيِّ الْفَيْرُوزَابَادِيِّ، الْمُتَوَفَّى سنة ٨١٧ هـ=١٤١٥ م.

الْمَكْتَبَةُ التِّجَارِيَّةُ بِمُصْرَ، مَوْسَسَةُ فَنَّ الطَّبَاعَةِ بِمُصْرَ.

وَالطَّبْعَةُ الثَّانِيَّةُ فِي مَوْسَسَةِ الرِّسَالَةِ بَيْرُوتَ سنة ١٤٠٧ هـ=١٩٨٧ م.

● الْقِسْطَاسُ الْمُسْتَقِيمُ: الْإِمَامُ أَبُو حَامِدٍ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ أَحْمَدَ الْغَزَالِيِّ الطُّوسِيِّ الشَّافِعِيِّ، الْمُتَوَفَّى سنة ٥٠٥ هـ=١١١١ م.

تَحْقِيق: فكتور شلحت.

الطبعة الأولى، المطبعة الكاثوليكية، سنة ١٩٥٩ م.

● قصة الإيمان: نديم الجسر (عبد الله نديم بن حسين الجسر)، المتوفى سنة ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠ م.

الطبعة الثالثة، مطابع المكتب الإسلامي، بيروت، سنة ١٩٦٩ م.

● قصة الديانات: سليمان مظهر.

الطبعة الأولى، دار الوطن العربي للطبع والنشر.

● القضاء والقدر: محمد متولي الشعراوي، المتوفى سنة ١٤١٩ هـ = ١٩٩٨ م.

دار الشروق بمصر.

● قواعد في علوم الحديث: ظفر أحمد بن لطيف العثماني التهانوي.

تَحْقِيق: عبد الفتاح أبو غدة، المتوفى سنة ١٤١٧ هـ = ١٩٩٧ م.

الطبعة الثالثة، مطابع دار القلم بلبنان، سنة ١٩٧٢ م.

● القول الفصل شرح الفقه الأكبر: محيي الدين محمد بن بهاء الدين، المتوفى سنة ٩٥٦ هـ = ١٥٤٩ م.

والفقه الأكبر، للإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت، المتوفى سنة ١٥٠ هـ = ٧٦٧ م.

مكتبة الحقيقة بإستانبول، تركيا، سنة ١٤١٤ هـ = ١٩٩٤ م.

● الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز التركماني الدمشقي الذهبي، المتوفى سنة ٧٤٨ هـ = ١٣٤٨ م.

وحاشيته، للإمام برهان الدين أبي الوفاء إبراهيم بن محمد سبط ابن العجوي الحلبي، المتوفى سنة ٨٤١ هـ = ١٤٣٧ م.

قابلكهما بأصل مؤلفيهما وقدم لهما وعلق عليهما: محمد عوامة. وخرج نصوصهما: أحمد محمد نمر الخطيب.

الطبعة الأولى، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، ومؤسسة علوم القرآن، جدة، المملكة العربية السعودية، سنة ١٤١٣ هـ = ١٩٩٢ م.

- الكَامِل: أبو العباس مُحَمَّد بن يزيد المُبرِّد الأَزْدِي، المُتَوَفَّى سنة ٢٨٦هـ=٨٩٩م.
- تَحْقِيق: مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، المُتَوَفَّى سنة ١٤٠١هـ=١٩٨١م، والسَّيِّد شحاتة.
- دار نهضة مصر للطبع والنشر في الفجالة بالقاهرة، مطبعة نهضة مصر في الفجالة بالقاهرة.
- الكَامِل في التاريخ: عز الدين أبو الحسن عَلِي بن أبي الكرم مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن عبد الكريم الشَّيْبَانِي الجَزَرِي، المعروف بابن الأثير، المُتَوَفَّى سنة ٦٣٠هـ=١٢٣٣م.
- دار صادر، ودار بيروت، بيروت، سنة ١٩٦٥م.
- كبرى البقنيات الكونية: د. مُحَمَّد سعيد رَمَضَان البُوَطي.
- الطبعة الثانية، سنة ١٣٩٠هـ.
- كتاب الإيمان: أبو بكر عبد الله بن مُحَمَّد بن أبي شَيْبَةَ العبَّسِي، المُتَوَفَّى سنة ٢٣٥هـ=٨٤٩م. ومعه ثلاث رسائل هي:
- ١- كتاب الإيمان ومَعَالِمُه وسُنَنُه واستِكْمَالُه ودرجاته، لأبي عُبَيْد القَاسِم بن سَلَام، المُتَوَفَّى سنة ٢٢٤هـ=٨٣٨م.
- ٢- كتاب العلم، للحافظ أبي خَيْثَمَة زُهَيْر بن حَرْب النَّسَائِي، المُتَوَفَّى سنة ٢٣٤هـ=٨٤٨م.
- ٣- كتاب اقتضاء العلم العمل، لأبي بكر أَحْمَد بن عَلِي بن ثَابِت الخَطِيب البَغْدَادِي، المُتَوَفَّى سنة ٤٦٣هـ=١٠٧١م.
- حَقَّق الرِّسَالِ الأربعة وَخَرَّجَ أَحَادِيثُهَا وَعَلَّقَ عَلَيْهَا: مُحَمَّد نَاصِر الدِّين الأَلْبَانِي، المُتَوَفَّى سنة ١٤٢٠هـ=١٩٩٩م.
- المطبعة العمومية بدمشق.
- الكتاب المصنَّف في الحديث والآثار: الحافظ أبو بكر عبد الله بن مُحَمَّد بن أبي شَيْبَةَ الكُوفِي العبَّسِي، المُتَوَفَّى سنة ٢٣٥هـ.
- تَحْقِيق: مُحَمَّد عبد السَّلَام شَاهِين.
- الطبعة الأولى، دار الكتب العلميَّة ببيروت، سنة ١٤١٦هـ=١٩٩٥م.
- كَشَاف اصطِلَاحَات الفُنُون والعُلُوم: مُحَمَّد أَعْلَى بن شَيْخ عَلِي بن قَاضِي مُحَمَّد

حامد الفاروقي الحنفي التهانوي، كان حياً سنة ١١٥٨ هـ.

إشراف ومراجعة: الدكتور رفيق العجم. تحقيق: الدكتور عليّ دحروج. نقل النص الفارسي إلى العربية: الدكتور عبد الله الخالدي. الترجمة الأجنبية: الدكتور جورج زيناقي.

الطبعة الأولى، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، سنة ١٩٩٦ م.

● الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبو القاسم جابر الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، المتوفى سنة ٥٣٨ هـ = ١١٤٤ م.

ومعه: حاشية السيد الشريف عليّ بن محمد الحسيني الجرجاني، المتوفى سنة ٨١٦ هـ = ١٤١٣ م.

وبهامشه: الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال، للإمام ناصر الدين أحمد بن محمد بن المنير الإسكندري المالكي، المتوفى سنة ٦٨٣ هـ = ١٢٨٤ م.

وبآخره: تنزيل الآيات على الشواهد من الأبيات: وهو شرح شواهد الكشاف، للأستاذ محب الدين أفندي محمد بن أبي بكر بن داود بن عبد الرحمن الحموي الدمشقي الحنفي، المتوفى سنة ١٠١٦ هـ.

مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، سنة ١٩٤٨ م.

والطبعة الأولى، دار الفكر بيروت، سنة ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م.

● كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس: إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي العجلوني الجراحي الشافعي، المتوفى سنة ١١٦٢ هـ = ١٧٤٩ م.

الطبعة الثالثة، دار إحياء التراث العربي بيروت، وهي طبعة مصورة على المطبوعة بمصر، سنة ١٣٥١ - ١٣٥٢ هـ.

● كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: مصطفى بن عبد الله، الشهير بحاجي خليفة وبكاتب جلبي، المتوفى سنة ١٠٦٧ هـ = ١٦٥٧ م.

طبع بعناية: محمد شرف الدين بالتقايا، ورفعت بيلكه الكليسي.

منشورات مكتبة المثنى ببغداد، وهي الطبعة المصورة على طبعة إستانبول، سنة ١٩٤١ م.

- كشف المراد: جمال الدين الحسن بن يوسف بن علي بن مطهر، المشهور بالعلامة الحلبي، المتوفى سنة ٧٢٦هـ=١٣٢٥م. انظر: تجريد الاعتقاد.
- كفاية الطالب الرباني. انظر: حاشية العدوي على كفاية الطالب الرباني.
- الكلبيات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكوفي، المتوفى سنة ١٠٩٤هـ=١٦٨٣م.
- تحقيق: الدكتور عدنان درويش، ومحمد المصري.
- الطبعة الثانية، مؤسسه الرسالة بيروت، سنة ١٤١٩هـ=١٩٩٨م.
- الكمال بن الهمام، المتوفى سنة ٨٦١هـ، وتحقيق رسالته: إعراب قوله ﷺ: كلمتان خفيفتان على اللسان... د. فحطان عبد الرحمن الدوري.
- الطبعة الأولى، مطبعة جامعة بغداد، بغداد، سنة ١٤٠٠هـ=١٩٨٠م.
- الكواشف الجليلة عن معاني الواسطية: عبد العزيز المحمد سلمان.
- والعقيدة الواسطية، لأبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن تيمية الحراني، المتوفى سنة ٧٢٨هـ=١٣٢٨م.
- الطبعة الرابعة، مؤسسه مكة للطباعة والإعلام، من مطبوعات رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة.
- اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان: جمعه: محمد فؤاد عبد الباقي، المتوفى سنة ١٣٨٨هـ=١٩٦٨م. راجعه: الدكتور عبد الستار أبو غدة.
- وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت، المطبعة العصرية بالكويت، سنة ١٩٧٧م.
- اللباب في تهذيب الأنساب: عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري، المعروف بابن الأثير، المتوفى سنة ٦٣٠هـ=١٢٣٣م.
- الناشر: مكتبة المثنى ببغداد.
- لباب النقول في أسباب النزول: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، المتوفى سنة ٩١١هـ=١٥٠٥م. مطبوع بهامش تفسير الجلالين.
- المطبعة الهاشمية بدمشق، سنة ١٣٥٨هـ.

● لِسَانُ الْعَرَبِ: أَبُو الْفَضْلِ جَمَالُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ مُكْرَمٍ، بْنِ مَنْظُورِ الْإِفْرِيقِيِّ، الْمُتَوَفَّى
سنة ٧١١هـ=١٣١١م.

دار صادر بَيْرُوت، سنة ١٩٦٨م.

● لِسَانُ الْمُيَزَّانِ: شَهَابُ الدِّينِ أَبُو الْفَضْلِ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدٍ الْكِنَانِيِّ، الْمَعْرُوفُ
بِابْنِ حَجَرٍ الْعَسْقَلَانِيِّ، الْمُتَوَفَّى سنة ٨٥٢هـ=١٤٤٩م.

الناشر: مُؤَسَّسَةُ الْأَعْلَمِيَّ لِلْمَطْبُوعَاتِ بَيْرُوت، سنة ١٩٧١م، وهي مُصَوَّرَةٌ عَنِ الطَّبَعَةِ
الْأُولَى الْمَطْبُوعَةِ بِمَطْبَعَةِ دَائِرَةِ الْمَعَارِفِ النَّظَامِيَّةِ بِحَيْدَرُ أَبَادِ الدِّكْنِ، سنة ١٣٢٩هـ.

● اللَّمَعُ: أَبُو نَصْرِ السَّرَّاجُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلِيٍّ الطُّوسِيُّ، الْمُتَوَفَّى سنة ٣٧٨هـ=٩٨٨م.
تَحْقِيقُ: د. عَبْدُ الْحَلِيمِ مَحْمُودُ، الْمُتَوَفَّى سنة ١٣٩٨هـ=١٩٧٨م، وَطَهُ عَبْدُ الْبَاقِي سُرُور.
مَطْبَعَةُ السَّعَادَةِ بِمِصْرَ، سنة ١٩٦٠م.

● اللَّمَعُ فِي الرَّدِّ عَلَى أَهْلِ الزَّيْغِ وَالْبِدْعِ: الْإِمَامُ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي بَشَرَ
إِسْحَاقُ الْأَشْعَرِيُّ، الْمُتَوَفَّى سنة ٣٢٤هـ=٩٣٦م.
صَحَّحَهُ وَقَدَّمَ لَهُ وَعَلَّقَ عَلَيْهِ: هُمُودَةُ غَرَابَةِ.

الناشر: المكتبة الأزهرية للتراث بالقاهرة، دار التوفيق النموذجية بالقاهرة.

● اللَّهُ: عَبَّاسُ مَحْمُودُ الْعَقَّادُ، الْمُتَوَفَّى سنة ١٣٨٣هـ=١٩٦٤م.
دار الهلال بمِصْرَ.

● اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ: سَعِيدُ مُحَمَّدَ حَوْي، الْمُتَوَفَّى سنة ١٤٠٩هـ=١٩٨٩م.
الطَّبَعَةُ الثَّلَاثَةُ، سنة ١٩٧٢م.

● اللَّهُ يَتَجَلَّى فِي عَصْرِ الْعِلْمِ: نَخْبَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْأَمْرِيكِيِّينَ.

أَشْرَفَ عَلَى تَحْرِيرِهِ: جُونُ كُلُوفَرْمُونَسَا. ترجمة: د. الدامر دَاش.

الطَّبَعَةُ الثَّلَاثَةُ، مُؤَسَّسَةُ الْحَلَبِيِّ وَشُرَكَاهُ بِمِصْرَ، سنة ١٩٦٨م.

- لَوَامِعُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ وَسَوَاطِعُ الْأَسْرَارِ الْأَثَرِيَّةِ: مُحَمَّدٌ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ سَالِمِ بْنِ سُلَيْمَانَ الْحَنْبَلِيِّ السَّفَارِينِيِّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ١١٨٨ هـ. وَهُوَ شَرْحُ مَنْظُومَةِ: الدُّرَّةُ الْمُضِيَّةُ فِي عَقِيدَةِ الْفِرْقَةِ الْمَرْصِيَّةِ. وَالشَّرْحُ وَالْمَنْظُومَةُ كِلَاهُمَا لِلْسَّفَارِينِيِّ.
- الطَّبَعَةُ الثَّلَاثَةُ، الْمَكْتَبُ الْإِسْلَامِيُّ بِبَيْرُوتَ، وَدَارُ الْخَانِي بِالرِّيَاضِ، سَنَةَ ١٤١١ هـ = ١٩٩١ م.
- مَبَاحِثُ فِي غُلُومِ الْقُرْآنِ: د. صَبْحِي الصَّالِحُ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٦ م.
- الطَّبَعَةُ الرَّابِعَةُ، دَارُ الْعِلْمِ لِلْمَلَايِينِ، بَيْرُوتَ.
- مَبَادِيُ الْإِسْلَامِ: أَبُو الْأَعْلَى الْمَوْدُودِيُّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩ م.
- الطَّبَعَةُ الثَّانِيَّةُ، دِمَشْقُ، سَنَةَ ١٩٥٧ م.
- مَجْمُوعُ فَتَاوَى شَيْخِ الْإِسْلَامِ تَقِيِّ الدِّينِ أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْحَلِيمِ بْنِ عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ تَيْمِيَّةَ الْحَرَانِيِّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٧٢٨ هـ = ١٣٢٨ م.
- جَمْعُ وَتَرْتِيبُ: عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ قَاسِمِ الْعَاصِمِيِّ النَّجْدِيِّ الْحَنْبَلِيِّ، وَسَاعَدَهُ ابْنُهُ مُحَمَّدٌ.
- طَبَعَ بِأَمْرِ الْمَلِكِ سُعُودِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ آلِ سُعُودَ، وَعَلَى نَفَقَتِهِ الْخَاصَةِ. الطَّبَعَةُ الْأُولَى، ج ١ - ٣٠ مَطَابِعُ الرِّيَاضِ سَنَةَ ١٣٨١ - ١٣٨٣ هـ، وَج ٣١ - ٣٧ مَطْبَعَةُ الْحُكُومَةِ بِمَكَّةِ الْمُكْرَّمَةِ سَنَةَ ١٣٨٦ هـ.
- مُحَاضِرَاتُ فِي أَصُولِ الْفِقْهِ عَلَى مَذَاهِبِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْإِمَامِيَّةِ: بَدْرُ الْمُتَوَلَّى عَبْدِ الْبَاسِطِ. الطَّبَعَةُ الْأُولَى، بَغْدَادُ.
- مُحَاضِرَاتُ فِي النَّصْرَانِيَّةِ: مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ أَبُو زُهْرَةَ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ١٣٩٤ هـ = ١٩٧٤ م.
- مَطْبَعَةُ الْعُلُومِ، مِصْرُ، سَنَةَ ١٣٦١ هـ = ١٩٤٢ م.
- الْمُحَرَّرُ الْوَجِيزُ فِي تَفْسِيرِ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ: عَبْدُ الْحَقِّ بْنُ غَالِبِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمُحَارِبِيِّ الْغُرْنَاطِيِّ، ابْنُ عَطِيَّةَ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٥٤٢ هـ = ١١٤٨ م.
- تَحْقِيقُ وَتَعْلِيلُ: عَبْدِ اللَّهِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْأَنْصَارِيِّ، وَالرَّحَالِي الْفَارُوقُ، وَالسَّيِّدُ عَبْدِ الْعَالِ السَّيِّدُ إِبْرَاهِيمُ، وَمُحَمَّدُ الشَّافِعِيُّ صَادِقُ الْعَنَانِيِّ.
- الطَّبَعَةُ الْأُولَى، مُؤَسَّسَةُ دَارِ الْعُلُومِ بِالذَّوْحَةِ، قَطْرَ، سَنَةَ ١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢ م.

● **مُحَصِّل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين:** أبو عبد الله مُحَمَّد بن عُمَر بن الحُسَيْن الخطيب التيمي البكري القرشي الشافعي، فخر الدين الرازي، المتوفى سنة ٦٠٦هـ=١٢١٠م. وبذيله:

تلخيص المُحَصِّل، لنصير الدين أبي عبد الله مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن الحسن الطوسي، المتوفى سنة ٦٧٢هـ=١٢٧٤م.

مراجعة وتقديم: طه عبد الرؤوف سعد.

مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة.

● **المَحْصُول في علم أصول الفقه:** أبو عبد الله مُحَمَّد بن عُمَر بن الحُسَيْن الخطيب التيمي البكري القرشي الشافعي، فخر الدين الرازي، المتوفى سنة ٦٠٦هـ=١٢١٠م. تحقيق: د. طه جابر فياض العلواني.

الطبعة الثانية، مؤسسه الرسالة ببيروت، سنة ١٤١٢هـ=١٩٩٢م.

● **المُحِيط بالتكليف في العقائد.** ويسمى (المجموع المحيط بالتكليف في العقائد): القاضي عبد الجبار بن أحمد الهمداني الأسدبازي المعتزلي، المتوفى سنة ٤١٥هـ=١٠٢٥م. جمعه: الحسن بن أحمد بن متويه.

تحقيق: عمر السيد عزمي. ومراجعة: د. أحمد فؤاد الأهواني.

المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر - ثرائنا، الشركة المصرية للطباعة بالقاهرة.

● **المُخْتَار من كنوز السنة النبوية،** شرح أربعين حديثاً في أصول الدين: د. مُحَمَّد عبد الله دراز، المتوفى سنة ١٣٧٧هـ=١٩٥٨م.

الطبعة الرابعة، إدارة الشؤون الإسلامية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة قطر، العالمية للطباعة والنشر، الدوحة، قطر، سنة ١٤١٧هـ=١٩٩٦م.

● **مُخْتَصَر تاريخ الإباضية:** أبو ربيع سليمان الباروني.

الطبعة الرابعة، مكتب الضامري بالسَّيب، سلطنة عُمان.

● مُخْتَصَرُ تَارِيخِ دِمَشْقَ لابْنِ عَسَاكِر: ابْنُ مَنْظُور، أَبُو الْفَضْلِ جَمَالُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ مُكْرَمِ الْإِفْرِيقِيِّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٧١١هـ = ١٣١١م.

وَابْنُ عَسَاكِرْ هُوَ أَبُو الْقَاسِمِ عَلِيِّ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ هَبَةَ اللَّهِ الدَّمَشَقِيِّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٥٧١هـ = ١١٧٦م.

تَحْقِيقُ: مُحَمَّدٌ مَطِيحُ الْحَافِظِ، وَنَزَارُ أَبَاظَةَ. وَمِرَاجَعَةُ: رُوحِيَةُ النَّحَاسِ.
الطَّبَعَةُ الْأُولَى، دَارُ الْفِكْرِ لِلطَّبَاعَةِ بِدِمَشْقَ، الْمَطْبَعَةُ الْعِلْمِيَّةُ بِدِمَشْقَ، سَنَةَ ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م.

● الْمُخْتَصَرُ الْمُفِيدُ فِي شَرْحِ جَوْهَرَةِ التَّوْحِيدِ: د. نُوحُ عَلِيُّ سَلْمَانَ الْقُضَاةِ.
وَجَوْهَرَةُ التَّوْحِيدِ: مَنْظُومَةٌ لِبُرْهَانَ الدِّينِ أَبِي الْأَمْدَادِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ حَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ الْمَالِكِيِّ اللَّقْنَانِيِّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ١٠٤١هـ.

الطَّبَعَةُ الْأُولَى، دَارُ الرَّازِيِّ لِلنَّشْرِ، عَمَّانُ، الْأُرْدُنُّ، سَنَةَ ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م.
● المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية: الدكتور عبد الكريم زيدان.
الطَّبَعَةُ الْحَادِيَةُ عَشْرَةَ، مَوْسَسَةُ الرِّسَالَةِ بَبَيْرُوتَ، مَكْتَبَةُ الْقُدْسِ بِبَغْدَادَ، سَنَةَ ١٤١٠هـ = ١٩٨٩م.

● مَذَاهِبُ الْإِسْلَامِيِّينَ: عَبْدُ الرَّحْمَنِ بَدَوِي، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ١٤٢٣هـ = ٢٠٠٢م.
الطَّبَعَةُ الْأُولَى، دَارُ الْعِلْمِ لِلْمَلَايِينِ، بَيْرُوتَ.
● مِرْقَاةُ الْمَفَاتِيحِ شَرْحُ مَشْكَاتِ الْمَصَابِيحِ: عَلِيُّ الْقَارِي بْنُ سُلْطَانَ مُحَمَّدِ الْهَرَوِيِّ الْحَنْفِيِّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ١٠١٤هـ = ١٦٠٦م.

ومعه: أجوبة الحافظ ابن حجر العسقلاني على رسالة القزويني.
قَدَّمَ لَهُ: الشَّيْخُ خَلِيلُ الْمَيْسِ. وَحَقَّقَهُ: صَدِيقِي مُحَمَّدُ جَمِيلُ الْعَطَارِ.
الطَّبَعَةُ الْأُولَى، دَارُ الْفِكْرِ بِبَيْرُوتَ، سَنَةَ ١٤١٢هـ = ١٩٩٢م.

● الْمُسَامَرَةُ بِشَرْحِ الْمُسَايِرَةِ: كَمَالُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، الْمَعْرُوفُ بِابْنِ أَبِي شَرِيفِ الْقُدْسِيِّ الشَّافِعِيِّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٩٠٦هـ = ١٥٠٠م.

والمُسَايَرَة فِي الْعَقَائِدِ الْمُنْجِيَةِ فِي الْآخِرَةِ، لَكَمَالِ الدِّينِ مُحَمَّدَ بْنِ هُمَامِ الدِّينِ
عبد الواحد بن حميد الدِّين عبد الحميد السُّيُوسِي السَّكَنْدَرِي الحَنْفِي، المعروف بالكَمَال بن
الهَمَام، المُتَوَفَّى سنة ٨٦١هـ=١٤٥٧م. وبهامشه:

شَرَحَ الْمُسَايَرَة، لِأَبِي الْفِدَاءِ زَيْنِ الدِّينِ قَاسِمِ بْنِ قُطْلُوبَغَا الحَنْفِي السُّودُونِي، المُتَوَفَّى سنة
٨٧٩هـ=١٤٧٤م.

وَتَنَائِجُ الْمَذَاكِرَةِ بِتَحْقِيقِ مَبَاحِثِ الْمُسَايَرَةِ، لِمُحَمَّدِ مَحْيِي الدِّينِ عبد الحميد، المُتَوَفَّى سنة
١٣٩٢هـ=١٩٧٢م.

المكتبة التجارية الكبرى بِمِصْر، مَطْبَعَةُ السَّعَادَةِ بِمِصْر.

● الْمُسَايَرَة: الْكَمَالُ بْنُ هُمَامٍ. انظر: الْمُسَامَرَة.

● الْمُسْتَدْرَكُ عَلَى الصَّحِيحَيْنِ: الْحَافِظُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْحَاكِمُ النَّيْسَابُورِي،
الْمُتَوَفَّى سنة ٤٠٥هـ=١٠١٤م. وفي ذيله:

تَلَخِيصُ الْمُسْتَدْرَكِ، لِشَمْسِ الدِّينِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عُثْمَانَ بْنِ قَايِمَازِ
التُّرْكُمَانِي الدَّمَشَقِيِّ الذَّهَبِيِّ، المُتَوَفَّى سنة ٧٤٨هـ=١٣٤٨م.

الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية بِحَلَب، طُبِعَ فِي بَيْرُوت، شَرَكَةُ عَلَاءِ الدِّين. وَهِيَ طَبْعَةٌ
مُصَوَّرَةٌ عَلَى طَبْعَةِ دَائِرَةِ الْمَعَارِفِ النَّظَامِيَّةِ، حَيْدَرُ آبَادِ الدَّكَّن.

● مُسْنَدُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، المُتَوَفَّى سنة ٢٤١هـ=٨٥٥م. وبهامشه:

مُنْتَحَبُ كُنُزِ الْعُمَالِ فِي سُنَنِ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ، لِعَلَاءِ الدِّينِ عَلِيِّ الْمُتَّقِي بْنِ حُسَامِ الدِّينِ
عبد الملك بن قَاضِي خَانَ الْهِنْدِيِّ الْبُرْهَانَ فُورِي، الشَّهِيرَ بِالْمُتَّقِي الْهِنْدِيِّ، المُتَوَفَّى سنة
٩٧٥هـ=١٥٦٧م.

نشر المكتب الإسلامي ودار صادر بِبَيْرُوت، سنة ١٩٦٩م، وَهِيَ طَبْعَةٌ مُصَوَّرَةٌ عَلَى الْمَطْبُوعَةِ
بِالْمَطْبَعَةِ الْمِیْمَنِيَّةِ بِمِصْر، سنة ١٣١٣هـ.

وَالطَّبْعَةُ الَّتِي أَشْرَفَ عَلَى تَحْقِيقِهَا الشَّيْخُ شُعَيْبُ الْأَرْزَنْوُوط، الطَّبْعَةُ الْأُولَى، مُؤَسَّسَةُ الرِّسَالَةِ
بِبَيْرُوت، سنة ١٤١٧هـ=١٩٩٧م.

● مَشَارِقُ أَنْوَارِ الْعُقُولِ: نور الدِّين أبو مُحَمَّد عبد الله بن حُمَيْد (أو حَمِيد كَصِدِّيق) بن سلَّوم السَّالِمِي، المُتَوَفَّى سنة ١٣٣٢هـ=١٩١٤م. وهو شَرْح منظومة (أَنْوَارِ الْعُقُولِ). والشَّرْح والمنظومة كلاهما للسَّالِمِي.

حَقَّقَهُ: عبد الرَّحْمَن عَمِيرَة. صَحَّحَهُ وَعَلَّقَ عَلَيْهِ: الشيخ أَحْمَد بن حمد الخَلِيلِي.

الطَّبَعَةُ الْأُولَى، دار الجليل ببيروت، سنة ١٤٠٩هـ=١٩٨٩م.

● مَشَاهِدُ الْقِيَامَةِ فِي الْقُرْآن: سَيِّد قُطْب، المُتَوَفَّى سنة ١٣٨٧هـ=١٩٦٧م.

دار المَعَارِف بِمِصْر.

● الْمَصَابِيح: أبو الْعَبَّاس أَحْمَد بن إِبْرَاهِيم بن الْحَسَن، المُتَوَفَّى سنة ٣٥٣هـ=٩٦٤م.

تَحْقِيق: عبد الله بن عبد الله بن أَحْمَد الْحُوثِي. تقديم: مَجْد الدِّين بن مُحَمَّد بن مَنصُور المؤيَّدِي.

الطَّبَعَةُ الثَّانِيَّة، مُؤَسَّسَةُ الْإِمَام زَيْد بن عَلِيٍّ الثَّقَافِيَّة، صَنْعَاء، الْيَمَن، سنة ١٤٢٣هـ=٢٠٠٢م.

● الْمُضْبَاحُ الْمُنِيرُ فِي غَرِيبِ الشَّرْحِ الْكَبِير: أَحْمَد بن مُحَمَّد بن عَلِيٍّ الْفَيُّومِي الْمُقْرِي، المُتَوَفَّى سنة ٧٧٠هـ=١٣٦٨م.

وَالشَّرْحُ الْكَبِير، هُوَ فَتْحُ الْعَزِيزِ عَلَى كِتَابِ الْوَجِيز، لِلْإِمَام أَبِي الْقَاسِمِ عَبْدِ الْكَرِيم بن مُحَمَّد الْقَزْوِينِي الرَّافِعِي، المُتَوَفَّى سنة ٦٢٣هـ=١٢٢٦م.

وَكِتَابُ الْوَجِيز، هُوَ فِي فِقْهِ الشَّافِعِيَّة، لِلْإِمَام أَبِي حَامِدٍ مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن أَحْمَد الْغَزَالِي الطُّوسِي الشَّافِعِي، المُتَوَفَّى سنة ٥٠٥هـ=١١١١م.

الطَّبَعَةُ الْأُولَى، دار الكُتُب الْعِلْمِيَّة ببيروت، سنة ١٤١٤هـ=١٩٩٤م.

● الْمُصْطَلَحَاتُ الْأَرْبَعَةُ فِي الْقُرْآن: الْإِلَه، الرَّبُّ، الْعِبَادَة، الدِّين: أَبُو الْأَعْلَى الْمُؤدُّودِي، المُتَوَفَّى سنة ١٣٩٩هـ=١٩٧٩م.

تعريب: مُحَمَّد كاظم سباق.

الطَّبَعَةُ الْخَامِسَة، دار القلم بِالْكُوَيْت، سنة ١٤١٣هـ=١٩٩٣م.

- المَطَالِبُ الْعَالِيَةُ مِنَ الْعِلْمِ الْإِلَهِيِّ: أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْحُسَيْنِ الْخَطِيبِ التِّيمِي الْبَكْرِي الْقُرَشِي الشَّافِعِي، فَخْرُ الدِّينِ الرَّازِي، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٦٠٦هـ=١٢١٠م. تَحْقِيقُ: د. أَحْمَدُ حِجَازِي السَّقَا.
- الطَّبْعَةُ الْأُولَى، دار الكتاب العربي ببيروت، سنة ١٤٠٧هـ=١٩٨٧م.
- الْمَعَارِفُ: ابْنُ قُتَيْبَةَ الدِّينَوْرِي، أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُسْلِمٍ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٢٧٦هـ=٨٨٩م. تَحْقِيقُ وَتَقْدِيمُ: الدُّكْتُورُ ثُرُوتُ عُكَّاشَةُ.
- الطَّبْعَةُ الثَّانِيَّةُ، دار المعارف بمصر، سنة ١٩٦٩م.
- مَعَالِمُ أَصُولِ الدِّينِ: أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْحُسَيْنِ الْخَطِيبِ التِّيمِي الْبَكْرِي الْقُرَشِي الشَّافِعِي، فَخْرُ الدِّينِ الرَّازِي، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٦٠٦هـ=١٢١٠م. تَحْقِيقُ: د. أَحْمَدُ حِجَازِي السَّقَا.
- الطَّبْعَةُ الْأُولَى، مكتبة الإبيان بالمنصورة، مصر، سنة ١٤٢٠هـ=١٩٩٩م.
- الْمَعَالِمُ الدِّينِيَّةُ فِي الْعَقَائِدِ الْإِلَهِيَّةِ: يَحْيَى بْنُ حَمَزَةَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْحُسَيْنِيِّ الْعَلَوِيِّ الرَّيْدِيِّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٧٤٩هـ=١٣٤٤م. تَحْقِيقُ: سَيِّدُ مُخْتَارٍ مُحَمَّدٌ أَحْمَدُ حِشَاد.
- الطَّبْعَةُ الْأُولَى، دار الفكر المعاصر ببيروت، سنة ١٤٠٨هـ=١٩٨٨م.
- مَعَالِمُ السُّنَنِ، لِلْخَطَّابِيِّ. انظر: سُنَنُ أَبِي دَاوُدَ.
- وَالطَّبْعَةُ الثَّانِيَّةُ، الْمَكْتَبَةُ الْعِلْمِيَّةُ ببيروت، سنة ١٤٠١هـ=١٩٨١م، الْمُصَوَّرَةُ عَلَى الطَّبْعَةِ الْأُولَى الْمَطْبُوعَةِ سَنَةَ ١٣٥٢هـ=١٩٣٤م بِالْقَاهِرَةِ.
- مُعْتَرَكُ الْأَقْرَانِ فِي إِعْجَازِ الْقُرْآنِ: جَلَالُ الدِّينِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٩١١هـ=١٥٠٥م. تَحْقِيقُ: عَلِيُّ مُحَمَّدٍ الْبَجَاوِي.
- الْقَاهِرَةُ، سنة ١٩٦٩م.

- **المُعْتَزِلَةُ وَأَصُولُهَا الْخَمْسَةُ وَمَوْقِفُ أَهْلِ السُّنَّةِ مِنْهَا:** عَوَادُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمُعْتِقِ.
الطَّبْعَةُ الثَّالِثَةُ، مَكْتَبَةُ الرَّشْدِ بِالرِّيَاضِ، الْمَمْلَكَةُ الْعَرَبِيَّةُ السُّعُودِيَّةُ، سَنَةُ ١٤١٧هـ = ١٩٩٦م.
- **المُعْتَقَدُ الْإِسْلَامِيُّ:** أَبُو الْبَقَاءِ الْأَحْمَدِيُّ الشَّافِعِيُّ.
وَهُوَ شَرْحُ عَقِيدَةِ الْإِمَامِ الشَّيْبَانِيِّ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدَ.
نَشَرَهُ: مُحَمَّدُ رَزُوفُ الْغُلَامِيِّ.
مَطْبَعَةُ شَفِيقٍ بِبَغْدَادَ، سَنَةُ ١٩٦٢م.
- **المُعْتَقَدُ الْمُتَنَقِّدُ:** الشَّاهُ فَضْلُ الرَّسُولِ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْعُثْمَانِيِّ الْأُمَوِيِّ الْقَادِرِيِّ
الْبَرْكَاتِيِّ الْبَدَايُونِيِّ الْحَنْفِيِّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ١٢٨٩هـ = ١٨٧٢م.
وَطُبِعَ مَعَهُ تَعْلِيقٌ: الْمُسْتَنَدُ الْمُعْتَمَدُ بِنَاءِ نَجَاةِ الْأَبَدِ، لِلْإِمَامِ الْمُجَدِّدِ أَحْمَدَ رِضَا خَانَ الْقَادِرِيِّ
الْبَرْكَاتِيِّ الْحَنْفِيِّ الْبَرْيَلَوِيِّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ١٣٤٠هـ.
- الناشر: مَكْتَبَةُ إِيشِيقِ بِاسْتَانْبُولَ، سَنَةُ ١٩٧٥م، وَهِيَ طَبْعَةٌ مُصَوَّرَةٌ عَلَى الْمَطْبُوعَةِ بِالْهِنْدِ الَّتِي
نَشَرَهَا مُحَمَّدُ أَنْوَارُ الْإِسْلَامِ السُّنِّيُّ الْحَنْفِيُّ الْقَادِرِيُّ الرَّضَوِيُّ، مَكْتَبَةُ حَامِدِيَّةَ بِلَاهُورَ.
- **مُعْجَمُ الْمُؤَلِّفِينَ، تَرَاوُجُ مُصَنِّفِي الْكُتُبِ الْعَرَبِيَّةِ:** عُمَرُ رِضَا كَحَّالَةٌ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ
١٤٠٨هـ = ١٩٨٧م.
- الطَّبْعَةُ الْأُولَى، مُؤَسَّسَةُ الرِّسَالَةِ بَبَيْرُوتَ، سَنَةُ ١٤١٤هـ = ١٩٩٣م.
- وَيْلِيهِ: تَكْمِلَةُ مُعْجَمِ الْمُؤَلِّفِينَ، وَفَيَاتُ ١٣٩٧-١٤١٥هـ / ١٩٧٧-١٩٩٥م، لِمُحَمَّدِ خَيْرِ
رَمَضَانَ يُونُسَ.
- الطَّبْعَةُ الْأُولَى، دَارُ ابْنِ حَزْمٍ بِبَيْرُوتَ، سَنَةُ ١٤١٨هـ = ١٩٩٧م.
- **مُعْجَمُ مَقَالِيْسِ اللُّغَةِ:** أَبُو الْحُسَيْنِ أَحْمَدُ بْنُ فَارِسَ بْنِ زَكَرِيَّا، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ
٣٩٥هـ = ١٠٠٤م.
- تَحْقِيقُ: عَبْدِ السَّلَامِ مُحَمَّدُ هَارُونُ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م.
- الطَّبْعَةُ الْأُولَى، دَارُ الْجِيلِ بِبَيْرُوتَ، سَنَةُ ١٤١١هـ = ١٩٩١م.
- **مَعَ اللَّهِ فِي السَّمَاءِ:** د. أَحْمَدُ زَكِيَّ.
دَارُ الْهَلَالِ بِمِصْرَ.

- **المُغْنِي فِي الضَعْفَاء**: شمس الدِّين أبو عبد الله مُحَمَّد بن أَحْمَد بن عُثْمَان بن قَائِمَاز التُّرْكْمَانِي الدَّمَشْقِي الذَّهَبِي، المُتَوَفَّى سنة ١٣٤٨هـ=١٣٤٨م.
تَحْقِيق: د. نور الدِّين عتر.
طَبْعَة مَصَوَّرَة.
- **مفاتيح العلوم**: أبو عبد الله مُحَمَّد بن أَحْمَد بن يُوسُف الكاتب الخَوَارِزْمِي، المُتَوَفَّى سنة ٣٨٧هـ=٩٩٧م.
الطَّبْعَة الثانية، منشورات مكتبة الكُلِّيَّات الأزْهَرِيَّة بالقَاهِرَة، سنة ١٤٠١هـ=١٩٨١م.
- **مِفْتَاح الباب**: ابن مَخْدُوم، أبو الفَتْح بن مَخْدُوم الخَادِم الحُسَيْنِي العَرَبِي الشَّاهِي، المُتَوَفَّى سنة ٩٧٦هـ. والمُرَاد بالباب هو الباب الحادي عشر، للعلامة الحلي حسن بن يوسف بن علي بن المطهر، المُتَوَفَّى سنة ٧٢٦هـ=١٣٢٥م.
ومعه شَرْح آخر على الباب هو: النَّافِع يوم الحشر، لمِقْدَاد بن عبد الله بن مُحَمَّد السُّيُورِي الحلي، المُتَوَفَّى سنة ٨٢٦هـ=١٤٢٣م.
تَحْقِيق: د. مَهْدِي محقق.
- **مُؤَسَّسَة جَاب وانتشارات آستان قدس رضوى - مشهد**، سنة ١٣٧٤هـ.
- **المُفْهِم لما أَشْكَل من تَلْخِص كتاب مُسْلِم**: أبو العَبَّاس أَحْمَد بن عُمَر بن إِبْرَاهِيم القُرْطُبي، المُتَوَفَّى سنة ٦٥٦هـ=١٢٥٨م.
تَحْقِيق: مُحْيِي الدِّين ديب مستو وآخرين.
- **الطَّبْعَة الأوْلَى**، دار ابن كَثِير ودار الكَلِم الطَّيِّب بِدَمَشْق وبَيْرُوت، سنة ١٤١٧هـ=١٩٩٦م.
- **مفهوم الإيمان عند الفرق الإسلامية**: د. قَحْطَان عبد الرَّحْمَن الدُّورِي.
وهو بحث نشر ضمن بحوث (المُلْتَقَى العِلْمِي الأول حول تراث سُلْطَنَة عُمَان الشَّقِيقَة قديماً وحديثاً)، الذي نظَّمته وَحْدَة الدِّرَاسَات العُمَانِيَّة بِجَامِعَة آل البيت، من منشورات جَامِعَة آل البيت - الأُرْدُنَّ سنة ١٤٢٣هـ=٢٠٠٢م.
- **المَقَاصِد (مَقَاصِد الطَّالِبِينَ) لِلتَّفْتَازَانِي**. انظر: شَرْح المَقَاصِد.

- مَقَالَاتُ الْإِسْلَامِيِّينَ وَاخْتِلَافُ الْمُصَلِّينَ: الإمام أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق الأشعري، المتوفى سنة ٣٢٤هـ=٩٣٦م.
تَحْقِيق: مُحَمَّدٌ مُحْيِي الدِّين عبد الحميد، المتوفى سنة ١٣٩٢هـ=١٩٧٢م.
الطَّبَعَةُ الْأُولَى، مكتبة النهضة المصرية، مطبعة السعادة بمصر، الجزء الأول سنة ١٩٥٠م، والجزء الثاني سنة ١٩٥٤م. وطبعة المكتبة العصرية ببغروت وصيدا، الدار النموذجية والمطبعة العصرية ببغروت، سنة ١٤١٩هـ=١٩٩٩م، وهي مَصَوَّرَةٌ عَلَى الطَّبَعَةِ الْمِصْرِيَّةِ.
- الْمَقَالَاتُ وَالْفِرَقُ: سعد بن عبد الله بن أبي خلف الأشعري القمي، المتوفى سنة ٣٠١هـ=٩١٣م.
تَحْقِيق: الدكتور مُحَمَّدٌ جَوَادٌ مَشْكُورٌ.
الطَّبَعَةُ الْأُولَى، مطبعة حيدر، طهران، سنة ١٩٦٣م.
- الْمُقَدِّمَةُ: عبد الرحمن بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد، بن خلدون الحضرمي الشيبلي، المتوفى سنة ٨٠٨هـ=١٤٠٦م.
تَحْقِيق: درويش الجويدي.
الطَّبَعَةُ الْأُولَى، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، الدار النموذجية، المطبعة العصرية، ببغروت سنة ١٤١٥هـ=١٩٩٥م.
- مُقَدِّمَةُ الْبَحْرِ الرَّخَّارِ. انظر: الْبَحْرُ الرَّخَّارِ.
- مُقَدِّمَةُ فِي تَارِيخِ الْحَضَارَاتِ الْقَدِيمَةِ: طه باقر، المتوفى سنة ١٤٠٤هـ=١٩٨٤م.
الطَّبَعَةُ الثَّانِيَّة، من مطبوعات دار المعلمين العالية، شركة التجارة والطباعة المحدودة ببغداد، سنة ١٣٧٥هـ=١٩٥٥م.
- الْمَقْصِدُ الْأَسْنَى فِي شَرْحِ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى: الإمام أبو حامد مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن أَحْمَد الغزالي الطوسي الشافعي، المتوفى سنة ٥٠٥هـ=١١١١م.
تَحْقِيق: د. مُحَمَّدٌ عَثْمَانُ الْخَشْتِ.
- مكتبة القرآن بالقاهرة، مطابع ابن سينا بالقاهرة، تاريخ المُقَدِّمَةِ سنة ١٤٠٤هـ=١٩٨٤م.

- الملّ والنحل: أبو الفتح مُحمّد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني الشافعي، المتوفى سنة ٥٤٨هـ=١١٥٣م.
تصحيح وتعليق: أحمد فهمي مُحمّد.
- الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية بيروت، سنة ١٤١٣هـ=١٩٩٢م.
- مناهج الاجتهاد في الإسلام في الأحكام الفقهية والعقائدية: د. مُحمّد سلام مدكور.
- الطبعة الأولى، مطبوعات جامعة الكويت، المطبعة العصرية بالكويت، سنة ١٣٩٣هـ=١٩٧٣م.
- مناهج الأدلة في عقائد الملة: أبو الوليد مُحمّد بن أحمد ابن الإمام أبي الوليد مُحمّد بن أحمد بن رشد القرطبي، الملقّب بابن رشد الحفيد، المتوفى سنة ٥٩٥هـ=١١٩٨م.
تقديم وتحقيق: د. محمود قاسم.
- الطبعة الثانية، مكتبة الأنجلو المصرية بالقاهرة، مطبعة خيمر بالقاهرة، سنة ١٩٦٤م.
- مناهل العرفان في علوم القرآن: مُحمّد عبد العظيم الزرقاني، المتوفى سنة ١٣٦٧هـ=١٩٤٨م.
دار إحياء الكتب العربية بمصر.
- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن مُحمّد بن الجوزي البغدادي، المتوفى سنة ٥٩٧هـ=١٢٠١م.
تحقيق: مُحمّد عبد القادر عطا، ومُصطفي عبد القادر عطا. راجعه: نعيم زرزور.
- الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية بيروت، سنة ١٤١٢هـ=١٩٩٢م.
- المنهاج بشرح صحيح مُسلم بن الحجاج: أبو زكريّا مُحيي الدين يحيى بن شرف بن مري النَوَوِي الشافعي، المتوفى سنة ٦٧٦هـ=١٢٧٧م.
ومُسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، المتوفى سنة ٢٦١هـ=٨٧٥م.
- الطبعة الأولى، دار ابن حزم بيروت، سنة ١٤٢٣هـ=٢٠٠٢م.

● **منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية:** أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن تيمية الحراني، المتوفى سنة ٧٢٨هـ=١٣٢٨م.

تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم.

الناشر: مكتبة دار العروبة بمصر، مطبعة المدني بالقاهرة، طبع ج ١ سنة ١٩٦٢م، وأرخت مقدمة ج ٢ سنة ١٩٦٤م.

والطبعة الأخرى التي بها مشها: بيان موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول، لتقي الدين بن تيمية أيضاً، المطبوعة في المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق مصر، الطبعة الأولى، طبع ج ١-٢ سنة ١٣٢١هـ، وطبع ج ٣-٤ سنة ١٣٢٢هـ.

● **المنية والأمل في شرح الملل والنحل:** الأصل والشرح معاً من تأليف المهدي لدين الله أحمد بن يحيى بن المرتضى الحسني اليماني، المتوفى سنة ٨٤٠هـ=١٤٣٧م.

تحقيق: الدكتور محمد جواد مشكور.

الطبعة الأولى، دار الفكر ببيروت، سنة ١٩٧٩م.

● **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار في مصر والقاهرة والنيل وما يتعلق بها من الأخبار، المعروف بالخطط المقرئية:** تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد المقرئ، المتوفى سنة ٨٤٥هـ=١٤٤١م.

الناشر: دار صادر ببيروت، وهي طبعة مصورة على طبعة دار الطباعة المصرية ببولاق القاهرة التي طبعت سنة ١٢٧٠هـ.

● **المواقف:** عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي الشافعي، المتوفى سنة ٧٥٦هـ=١٣٥٥م. وطبع معه:

شرح المواقف، للسيد الشريف علي بن محمد بن علي الجرجاني، المتوفى سنة ٨١٦هـ=١٤١٣م. وعليه:

حاشية عبد الحكيم بن شمس الدين محمد السيالكوتي اللاهوري البنجابي الهندي الحنفي، المتوفى سنة ١٠٦٧هـ=١٦٥٦م.

وحاشية المولى حسن چلبی بن محمد شاه بن حمزة الرومي الحنفي الفناري، المتوفى

سنة ٨٨٦هـ = ١٤٨١م.

صَحَّحَهُ: مُحَمَّدُ بَدْرُ الدِّينِ النَّعْسَانِيُّ الْحَلَبِيُّ.

الطَّبْعَةُ الثَّانِيَّةُ، منشورات الشَّريف الرَّضِيِّ، مَطْبَعَةُ أَمِيرٍ، قُمْ، سنة ١٤١٥هـ، وهي مُصَوَّرَةٌ عَلَى الطَّبْعَةِ الْأُولَى التي طُبعت بنفقة مُحَمَّدٍ أَفندي سَاسِي التُّونِسِيِّ بِمَطْبَعَةِ السَّعَادَةِ بِمِصْرَ، سنة ١٣٢٥هـ = ١٩٠٧م.

● الموجز: أَبُو عَمَّارِ عَبْدِ الْكَافِي الْإِبَاضِيِّ، الْمُتَوَفَّى قَبْلَ سَنَةِ ٥٧٠هـ.

تَعْلِيْقٌ: د. عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَمِيْرَةَ.

الطَّبْعَةُ الْأُولَى، دار الجليل ببيروت، سنة ١٤١٠هـ = ١٩٩٠م.

● الْمُوطَأُ، لِلْإِمَامِ مَالِكٍ. انظر: تَنْوِيرُ الْحَوَالِكِ.

● مَوْقِفُ ابْنِ تَيْمِيَّةٍ مِنَ الْأَشَاعِرَةِ: د. عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ صَالِحِ بْنِ صَالِحِ الْمَحْمُودِ.

الطَّبْعَةُ الْأُولَى، مكتبة الرُّشد للنشر والتوزيع بالرياض، الْمَمْلَكَةُ الْعَرَبِيَّةُ السُّعُودِيَّةُ، سنة ١٤١٥هـ = ١٩٩٥م.

● مَوْقِفُ الْعَقْلِ وَالْعِلْمِ وَالْعَالَمِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ: الْأُسْتَاذُ مُصْطَفَى صَبْرِي، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ١٣٧٣هـ = ١٩٥٤م.

القَاهِرَةُ، سنة ١٩٥٠م.

● مِيزَانُ الْإِعْتِدَالِ فِي نَقْدِ الرِّجَالِ: شَمْسُ الدِّينِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عُثْمَانَ بْنِ قَايِمَازِ التُّرْكْمَانِيِّ الدَّمَشَقِيِّ الذَّهَبِيِّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٧٤٨هـ = ١٣٤٨م.

تَحْقِيقٌ: عَلِيٌّ مُحَمَّدُ الْبَجَاوِي.

الناشر: دار الْمَعْرِفَةِ ببيروت، وهي مُصَوَّرَةٌ عَلَى الطَّبْعَةِ الْأُولَى الْمَطْبُوعَةِ سَنَةَ ١٩٦٣م بِمِصْرَ.

● النَّافِعُ يَوْمَ الْحِشْرِ. انظر: مِفْتَاحُ الْبَابِ.

● النَّبَأُ الْعَظِيمُ، نظرات جديدة في الْقُرْآن: د. مُحَمَّدُ عَبْدِ اللَّهِ دِرَاز، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ١٣٧٧هـ = ١٩٥٨م.

الطَّبْعَةُ الثَّالِثَةُ، سنة ١٩٧٤م.

- النجوم في مَسَالِكِهَا: الدكتور جيمس جينز.
- مَطْبَعَةُ لَجَةِ التَّأْلِيفِ وَالتَّرْجُمَةِ وَالنَّشْرِ بِالقَاهِرَةِ، سنة ١٩٦٢ م.
- نُجْبَةُ اللَّائِلِي لِشَرْحِ بَدْءِ الْأَمَالِي: مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ الْحَلَبِيِّ الْحَنْفِيِّ الرَّيْحَاوِيِّ، الْمُتَوَفَّى سنة ١٢٢٨ هـ.
- وبَدْءِ الْأَمَالِي، منظومة لسراج الدِّين أبي الحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ عُثْمَانَ الْأَوْشِيِّ الْفَرَّغَانِيِّ، الْمُتَوَفَّى سنة ٥٦٩ هـ = ١١٧٣ م.
- مَكْتَبَةُ الْحَقِيقَةِ بِإِسْتَنْبُول، تُرْكِيَا، سنة ١٤١٢ هـ = ١٩٩١ م.
- نداء الروح: د. فاضل صالح السَّامَرَّايِّ.
- المَطْبَعَةُ الإِسْلَامِيَّةُ، بَغْدَاد، سنة ١٣٧٨ هـ = ١٩٥٨ م.
- نَزْهَةُ الْخَاطِرِ الْعَاطِر: عبد القَادِر بن أَحْمَد بن مُصْطَفَى، المعروف بابن بَذْرَانَ الدومِي الدَّمَشْقِيِّ، انتهى من تأليفه سنة ١٣٤١ هـ. وهو شَرْحُ رَوْضَةِ النَّاظِرِ وَجَنَّةِ الْمُنَاطِرِ، فِي أَصُولِ الْفِقْهِ عَلَى مَذْهَبِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، لِمُؤَوِّقِ الدِّينِ أَبِي مُحَمَّدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ قُدَّامَةَ الْمَقْدِسِيِّ الدَّمَشْقِيِّ الصَّالِحِيِّ، الْمُتَوَفَّى سنة ٦٢٠ هـ.
- الطَّبْعَةُ الثَّانِيَّةُ، مَكْتَبَةُ الْمَعَارِفِ بِالرِّيَاضِ، الْمَمْلَكَةُ الْعَرَبِيَّةُ السُّعُودِيَّةُ، سنة ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤ م، وهي طَبْعَةٌ مُصَوَّرَةٌ.
- نسيم الرِّيَاضِ فِي شَرْحِ شِفَاءِ الْقَاضِي عِيَّاض: شِهَابُ الدِّينِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدَ بْنِ عُمَرَ الْخَفَّاجِيِّ الْمِصْرِيِّ الْحَنْفِيِّ، الْمُتَوَفَّى سنة ١٠٦٩ هـ = ١٦٥٩ م، أتم الكتاب سنة ١٠٥٨ هـ.
- والشِّفَاءُ بِتَعْرِيفِ حَقُوقِ الْمُصْطَفَى، لِلْقَاضِي أَبِي الْفَضْلِ عِيَّاضَ بْنِ مُوسَى بْنِ عِيَّاضِ الْيَحْصِيَّيِّ، الْمُتَوَفَّى ٥٤٤ هـ = ١١٤٩ م.
- وبهامشه: شَرْحُ الشِّفَاءِ، لِعَلِيِّ الْقَارِي بْنِ سُلْطَانَ مُحَمَّدَ الْهَرَوِيِّ الْحَنْفِيِّ، الْمُتَوَفَّى سنة ١٠١٤ هـ = ١٦٠٦ م، أتمه سنة ١٠١١ هـ.
- الناشر: دار الفكر ببيروت، وهي طَبْعَةٌ مُصَوَّرَةٌ عَلَى الْمَطْبُوعَةِ بِالْمَطْبَعَةِ الْأَزْهَرِيَّةِ الْمِصْرِيَّةِ، التي تم طبعها سنة ١٣٢٧ هـ.

- نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: الدكتور عليّ سامي النشار، المتوفى سنة ١٤٠٠هـ=١٩٨٠م.
- الطبعة التاسعة ج ١، ٣، والطبعة الثامنة ج ٢، دار المعارف بمصر.
- نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي: أحمد الريسوني.
- الطبعة الرابعة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، سنة ١٤١٥هـ=١٩٩٥م.
- نظم الفرائد وجمع الفوائد في بيان المسائل التي وقع فيها الاختلاف بين الماتريديّة والأشعرية في العقائد: العلامة عبد الرحيم بن عليّ بن المؤيد الأماصي الرّوميّ الحنفيّ، الشهير بشيخ زاده، المتوفى سنة ٩٤٤هـ=١٥٣٧م.
- الطبعة الأولى، المطبعة الأدبية بمصر، سنة ١٣١٧هـ.
- نهاية الإقدام في علم الكلام: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني الشافعيّ، المتوفى سنة ٥٤٨هـ=١١٥٣م.
- صححه: الفرد جيوم.
- مكتبة الثقافة الدينيّة بالقاهرة، وهي طبعة مصورة.
- النهاية في غريب الحديث والأثر: مجد الدين أبو السّعادات المبارك بن أبي الكرّم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيبانيّ الجزريّ، المعروف بابن الأثير، المتوفى سنة ٦٠٦هـ=١٢١٠م.
- تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، المتوفى سنة ١٤٠٦هـ=١٩٨٦م، ومحمود محمد الطناحيّ، المتوفى سنة ١٤١٩هـ=١٩٩٩م.
- الناشر: المكتبة الإسلاميّة، وهي طبعة مصورة على الطبعة المصريّة التي طبعت سنة ١٩٦٥م.
- النور: عثمان بن أبي عبد الله الأصم.
- وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، مطبعة عيسى البابي الحلبيّ بمصر، سنة ١٤٠٤هـ=١٩٨٤م.

- نور الإسلام: الشيخ عبد الكريم مُحَمَّد المدرّس، المُتوفى سنة ١٤٢٦هـ=٢٠٠٥م.
- الدار العربيّة للطباعة ببغداد، سنة ١٩٧٨م.
- هداية الحيارى من اليهود والنصارى: شمس الدين أبو عبد الله مُحَمَّد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزُرعيّ الدمشقيّ، المشهور بابن قيم الجوزيّة، المُتوفى سنة ٧٥١هـ=١٣٥٠م.
- مطبوع بهامش كتاب (الفارق).
- هداية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنّفين: إسماعيل باشا ابن مُحَمَّد أمين بن مير سليم الباباني أصلاً والبغداديّ مولداً ومسكناً، المُتوفى سنة ١٣٣٩هـ=١٩٢٠م.
- طبع بعناية: مُحَمَّد شرف الدين يالتقاي، ورفعت بيلكه الكليسي.
- منشورات مكتبة المثنى ببغداد، وهي الطبعة المصوّرة على طبعة إستانبول، سنة ١٩٥١م.
- الوجيز في أصول الفقه: الدكتور عبد الكريم زيدان.
- الطبعة الثالثة، مطبعة سلمان الأعظمي ببغداد، سنة ١٩٦٧م.
- الوحي المحمديّ: السيّد مُحَمَّد رشيد رضا، المُتوفى سنة ١٣٥٣هـ=١٩٣٥م.
- الطبعة السادسة، شركة الطباعة الفنية بالقاهرة، سنة ١٩٦٠م.
- وسائل الشيعة. انظر: تفصيل وسائل الشيعة.
- الوسيلة في شرح الفضيلة: الشيخ عبد الكريم مُحَمَّد المدرّس، المُتوفى سنة ١٤٢٦هـ=٢٠٠٥م.
- والفضيلة، منظومة في أصول الدين نظمها عبد الرّحيم المولويّ، وعدد أبياتها ٢٠٣١ بيتاً.
- الطبعة الأولى، مطبعة الإرشاد ببغداد، سنة ١٩٧٢م.
- وقفات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن مُحَمَّد بن إبراهيم بن خلّكان، المُتوفى سنة ٦٨١هـ=١٢٨٢م.
- تحقيق: د. إحسان عباس، المُتوفى سنة ١٤٢٤هـ=٢٠٠٣م.
- دار صادر بيروت، سنة ١٩٧٧م.

● اليَهُودِيَّة: د. أَحْمَد شَلْبِي.

الطبعة الثالثة، مطبعة السنة المحمدية، مصر، سنة ١٩٧٣ م.

● اليَواقِيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر: عبد الوهاب بن أحمد بن عليّ الشَّعرانيّ،
المتوفى سنة ٩٧٣هـ=١٥٦٥ م.

مصر، سنة ١٩٥٩ م.

● يوم القيامة: عبد الرزاق نوفل، المتوفى سنة ١٤٠٤هـ=١٩٨٤ م.

دار الشعب، القاهرة، سنة ١٩٦٩ م.

فَهْرِسْتُ الْمَوْضُوعَاتِ

٥	مُقَدِّمَةُ الطَّبَعَةِ الثَّانِيَةِ
٧	مُقَدِّمَةُ الطَّبَعَةِ الْأُولَى

الفصل الأول: المدخل إلى العقيدة الإسلامية

١٣	المَبْحَثُ الأول: العقيدة الإسلامية وأدلة إثباتها:
١٤	تعريف العقيدة الإسلامية لغةً
١٣	أسماء علم العقائد
١٤	أهمية العقيدة الإسلامية
١٥	أدلة إثبات العقيدة الإسلامية
٢١	القطعي والظني من النصوص
٢٣	واضطلاحاً
٢٤	علم العقائد أساس العلوم الشرعية
٢٨	خصائص العقيدة الإسلامية
٢٩	إثبات العقيدة بخبر الواحد

المَبْحَثُ الثاني: منهج القرآن الكريم في عرض العقيدة الإسلامية

المَبْحَثُ الثالث: حالة العقائد زمن الرسول مُحَمَّد ﷺ وبعده

الفصل الثاني: المذاهب الإسلامية

المَبْحَثُ الأول: تفسير نشأة المذاهب الإسلامية

حديث افتراق الأمة

المَبْحَثُ الثاني: أهم المذاهب الإسلامية في العقائد

٥٤	الخوارج: أسماؤهم
٥٨	فرقهم
٦٤	انفصالهم عن الخوارج
٦٨	عبادة الخوارج
٥٧	آراؤهم
٦٤	الإباضية: رؤساؤهم
٦٧	من آرائهم

٧٤	أولاً: الغلاة وآراؤهم	٧٢	الشَّيْعَةُ: فِرَقُ الشَّيْعَةِ:
٨٣	فِرَقُ الزَّيْدِيَّةِ	٨٢	ثانياً: الزَّيْدِيَّةِ
٨٧	ثالثاً: الإمامية	٨٥	آراء الزَّيْدِيَّةِ
٩٣	عقائد الإسماعيلية	٨٨	أشهر فِرَق الإمامية: الإسماعيلية
		١٠٠	الإمامية الاثنا عشرية وآراؤهم
١٠٥	نشأة المُرَجَّة	١٠٤	المُرَجَّة: معنى الإرجاء
١١١	آراؤهم	١٠٨	فِرَقهم
١١٦	سبب تسمية القَدَرِيَّة	١١٥	القَدَرِيَّة: مصدر آرائهم
١٢١	آثارهم	١١٧	رِجَالُ القَدَرِيَّةِ
		١٢٢	آراؤهم
١٢٦	آراء الجَعْدِ بْنِ دِرْهَمٍ		الجَبَرِيَّة: معنى الجَبَر وأشهر رِجَالُ
		١٢٥	الجَبَرِيَّةِ
		١٣٠	آراء الجَبَرِيَّةِ
	أُصُولُ الْمُعْتَزَلَةِ الْخَمْسَةُ: الأصل	١٣٧	المُعْتَزَلَةُ: تسميتهم
	الأول: التَّوْحِيدُ، ما بني عليه: نفي		
١٤٠	الصفات، واستحالة الرؤية		
	بناءً على هَذَا الأصل تكلموا في:	١٤١	الأصل الثاني: العَدْلُ ومعناه
١٤٥	وجوب تَعْلِيلِ أفعال الله تعالى		
١٥٠	خلق أفعال العباد	١٤٧	التَّحْسِينُ والتَّقْيِينُ العقليين
١٥٣	وجوب الصَّلَاحِ والأَصْلَحِ	١٥٢	وجوب اللطف الإلهي
	الأصل الثالث: الوعد والوعيد	١٥٥	وجوب بعثة الرسل على الله تعالى
١٥٦	ومعناه		
	الأصل الرابع: المَنْزِلَةُ بين	١٥٧	بنوا عليه إنكار الشفاعة
١٦٠	المَنْزِلَتَيْنِ		

اختلاف الفرق الإسلامية فيها	١٦١	الأصل الخامس: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	١٦٣
فِرَقُ الْمُعْتَزِلَةِ	١٦٦		
الأشاعرة: شيخ المذهب وولادته	١٦٩	من شيوخه	١٧١
وفاته	١٧٤	مذهب الأشعري الكلامي	١٧٧
مناظرة الأشعري مع شيخه الجبائي	١٧٨	تصانيفه	١٨٠
مذهبه الفقهي	١٨١	عيشته	١٨٢
علمه	١٨٣	موقفه من التأويل	١٨٨
عبادته، آراؤه	١٩٣		
أعيان مذهبه			
الماتريديّة: شيخ المذهب	١٩٥	من شيوخه	١٩٦
من تلاميذه، مصنّفاته	١٩٧	ثناء العلماء عليه	٢٠٠
وفاته	٢٠١	مذهبه مذهب الإمام أبي حنيفة	٢٠٢
أهل السنة والجماعة	٢٠٢	الخلاف بين الأشاعرة والماتريديّة	٢٠٣
آراء الإمام أبي منصور الماتريدي	٢٠٥		
السلفيّة: معنى السلف	٢١٠	آراؤهم، تقسيمهم التوحيد: توحيد الربوبية	٢١٣
توحيد الألوهية وما رتبوه عليه: منع التقرب إلى الله سبحانه بالصالحين والأوليّاء	٢١٩	ومنع التوسل بالموتى	٢١٩
ردّ العلماء على ابن تيمية	٢٢٠	منع زيارة قبور الصالحين والأنبياء	٢٢٣
توحيد الأسماء والصفات	٢٢٤	للتيمّن، والردّ عليه	

المَبْحَثُ الثالث: أُصُولُ الدِّينِ عِنْدَ الْمَذَاهِبِ الْإِسْلَامِيَّةِ ٢٢٦

أُصُولُ الدِّينِ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ ٢٢٦	عِنْدَ الشَّيْعَةِ الْإِمَامِيَّةِ الْاِثْنِي عَشَرِيَّةِ ٢٣١
عِنْدَ الْمُعْتَزِلَةِ ٢٣٣	
الأَصْلُ الدِّينِيّ والأَصْلُ الْمَذْهَبِيّ ٢٣٤	أُصُولُ الدِّينِ الَّتِي أَجْمَعُوا عَلَيْهَا ٢٣٥
أُصُولُ الدِّينِ الَّتِي اخْتَلَفُوا فِيهَا ٢٣٥	خُلَاصَةُ الْقَوْلِ فِي تِلْكَ الْأُصُولِ ٢٣٨

الفَصْلُ الثالث: حَقِيقَةُ الْإِيمَانِ وَأَهْمِيَّتُهُ فِي الْحَيَاةِ

المَبْحَثُ الأول: حَقِيقَةُ الْإِيمَانِ ٢٤١

الإِيمَانُ لُغَةً ٢٤١	وَأَصْطِلَاحاً ٢٤٢
الْخُلَاصَةُ ٢٥٣	زِيَادَةُ الْإِيمَانِ وَنَقْصَانُهُ ٢٥٥
وَجُوهُ زِيَادَةِ الْإِيمَانِ ٢٥٧	الْإِسْلَامُ، الْإِسْلَامُ وَالْإِيمَانُ ٢٦٢
الإِحْسَانُ ٢٦٧	

المَبْحَثُ الثاني: أَهْمِيَّةُ الْإِيمَانِ فِي الْحَيَاةِ ٢٧١

الفَصْلُ الرَّابِع: الْإِلَهِيَّاتُ

المَبْحَثُ الأول: وَجُودُ اللَّهِ تَعَالَى وَأَدْلَتُهُ: ٢٧٧

وَجُودُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ٢٧٧	أَدِلَّةُ وَجُودِ اللَّهِ تَعَالَى: الدَّلِيلُ الأول: ٢٧٨
حدوث الجَوَاهِرِ والأَعْرَاضِ ٢٧٩	دليل الحدوث ٢٧٨
الدَّلِيلُ الثاني: دليل الوجوب، أقسام الحكم ٢٨٢	الرجحان بلا مرجح ٢٨١
والحكم العقلي ٢٨٢	معنى الدَّوْرُ ودليل بطلانه ٢٨٤
معنى التسلسل ودليل بطلانه ٢٨٥	الدليل الثالث: دليل العِنَايَةِ والاختراع (الْبُرْهَانُ الْعِلْمِيّ) ٢٨٨
دليل العِنَايَةِ ٢٨٩	دليل الاختراع ٢٩٠

شواهد عِلْمِيَّةٌ عَلَى هَذَا الدَّلِيلِ	٢٩٢	الدليل الرابع: الدليل الوجودي	٢٩٨
الدليل الخامس: الدليل الأخلاقي	٢٩٨	المصادفة ورَدُّ الْعُلَمَاءِ عَلَى مَنْ يَقُولُ	
لا محل للإلحاد في ذهن المتفتح	٣٠٦	بحدوث العالم صدفة	٢٩٩
سبب الإلحاد	٣٠٨	خداع الحواس	٣٠٧
		العلم داعية الإيمان	٣١٠

المَبْحَثُ الثَّانِي: الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى: ٣١٣

ورود اللفظ في الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، سَبَبُ نَزُولِ الْآيَةِ ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ - الْأَعْرَافُ ١٨٠، معْنَى الدَّعَاءِ الْوَاردِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾ - الْإِسْرَاءُ ١١٠	٣١٣	المُرَادُ بِالْأَسْمَاءِ	٣١٤
المُرَادُ بِالْحُسْنَى	٣١٥	أقسام أسماء الله تعالى	٣١٦
عدد أسماء الله تعالى	٣١٨	اختلاف الْعُلَمَاءِ فِي الْعَدَدِ الْوَاردِ بِالْحَدِيثِ	٣٢١
معْنَى أَحْصَاها	٣٢٢	التوقيف في أسماء الله تعالى	٣٢٣
معْنَى الْإِلْحَادِ فِي أَسْمَائِهِ تَعَالَى	٣٢٧	معاني بعض أسماء الله الْحُسْنَى	٣٢٩

المَبْحَثُ الثَّالِثُ: الصِّفَاتُ الْإِلَهِيَّةُ، وَمَا يَتَرْتَبُ عَلَيْهَا ٣٣٨

أولاً: مَا يَجِبُ فِي حَقِّهِ تَعَالَى مِنَ الصِّفَاتِ ٣٣٩			
١ - الصِّفَةُ النَّفْسِيَّةُ (الوجود)	٣٣٩		
٢ - الصِّفَاتُ السَّلْبِيَّةُ	٣٤١	الْقِدَمُ، تَصَوُّرُ صِفَةِ الْقِدَمِ	٣٤٢
الْبَقَاءُ	٣٤٤	المخالفة للحوادث	٣٤٥
نفي المماثلة يفيد أموراً عديدة	٣٤٧	النصوص الموهمة للمشابهة ومذاهب	
		الْعُلَمَاءُ فِيهَا: التوقف	٣٥٣
التوغل في التشبيه	٣٥٤	التأويل	٣٥٥

٣٦٤	تصور عدم تحيزه في مكان	٣٦٢	القيام بالنفس
٣٦٦	أدلة نفي الكموم الخمسة	٣٦٤	الوحدانية
٣٧٢	النزاع في صفات المعاني	٣٧١	٣- صفات المعاني
	تاريخ المشكلة، صفات المعاني	٣٧٨	سبب ظهور المشكلة
٣٧٩	وتعلقاتها		
٣٨١	تعلق القدرة	٣٨٠	صفة القدرة
٣٨٤	تعلق الإرادة	٣٨٣	الإرادة
٣٨٩	السمع والبصر	٣٨٥	الإرادة لا تستلزم الرضا
٣٩٢	العلم	٣٩١	تعلق السمع والبصر
٣٩٤	الكلام	٣٩٣	تعلق العلم
	المُعْتَرِزَةُ وَالشَّيْعَةُ الْإِمَامِيَّةُ وَالزَّيْدِيَّةُ		اختلاف المتكلمين في كلامه تعالى: الْأَشَاعِرَةُ
٣٩٧	وَالْإِبَاضِيَّةُ	٣٩٥	وَالْمَأْثُرِيَّةُ
٤٠٢	مبتدعة الحنابلة، والكرامية		أساس الخلاف بين الْمُعْتَرِزَةِ وَأَهْلِ السُّنَّةِ
		٤٠٠	في مسألة الكلام
٤٠٣	الحياة	٤٠٣	تعلق صفة الكلام
		٤٠٤	تعلق صفة الحياة
		٤٠٥	ثانياً: ما يستحيل في حقه تعالى
	رؤية الله تعالى من قبل المؤمنين في	٤٠٥	ثالثاً: ما يجوز في حقه تعالى
٤٠٧	الآخرة		
		٤١٥	رؤية الله تعالى في الدنيا
	الإيمان بالقضاء والقدر وعلاقته	٤١٦	القضاء والقدر
٤١٧	بالجبر		
٤١٩	ظهور مسألة القضاء والقدر		الأخذ بالأسباب والإيمان بالقضاء
		٤١٨	والقدر

٤٢١	المُعْتَرِلة	مَذَاهِبُ الْمُسْلِمِينَ فِي الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ، الأفعال الاضطرارية والاختيارية، آراء المتكلمين: الجبرية	٤٢٠
٤٢٦	الإمامية	الأشاعرة والكسب	٤٢٣
٤٢٧	أسئلة وأجوبتها	ابن رشد	٤٢٧

الفصل الخامس: النبويات

٤٣٧	المُبَحِّثُ الأول: حاجة الإنسان إلى النبوة:		
٤٣٩	مناقشة منكري النبوات	٤٣٧	مُنْكَرُو النبوة فريقان
٤٤٤	المُبَحِّثُ الثاني: النبوة العامة:		
٤٤٥	في الاصطلاح	٤٤٤	النَّبِيُّ والرَّسُولُ في اللُّغَةِ
٤٤٨	طريق إثبات النبوة	٤٤٧	حُكْمُ إرسال الرسل
٤٤٩	بشرية الرسل والأنبياء	٤٤٩	النبوة اصطفاء واختيار من الله عَزَّ وَجَلَّ
٤٥٣	عدد الأنبياء	٤٥١	فَوَائِدُ وقوع الأعراض البَشَرِيَّةِ بالأنبياء
٤٥٥	وجوب الإيمان بالأنبياء والرسل		مهمة الأنبياء وبعثتهم إلى أُمَمِ العالم جَمِيعاً
٤٥٦	القُرْآنُ الكَرِيمُ والكتب السماوية الأخرى	٤٥٤	تَكْذِيبُ الأنبياء أو تنقيصهم كفر
٤٥٩	الصفة الأولى: العِصْمَةُ	٤٥٨	صفات الرسل والأنبياء:
٤٦١	من الكذب	٤٦٠	العِصْمَةُ من الكبائر: من الكفر
٤٦٤	العِصْمَةُ من الصغائر	٤٦٣	من الكبائر الأخرى
٤٦٧	القول في ما نقل عن الأنبياء مما يشعر بمعصية	٤٦٦	أَدِلَّةُ عِصْمَةِ الأنبياء
٤٧٢	الصفة الثانية: التبليغ	٤٧٢	حكمة تسجيل زلة الأنبياء

٤٧٥	الصفة الرابعة: الذكورة	٤٧٤	الصفة الثالثة: الفطانة
٤٧٩	الوحي: في أصل اللُّغة	٤٧٧	الصفة الخامسة: السَّلامة من النقائص
٤٨١	أنواع الوحي	٤٨٠	في الاضطلاح
٤٨٤	كيفية الوحي ونزوله على النَّبي ﷺ وتَقَرُّبُ ذَلِكَ عِلْمِيًّا	٤٨٢	أساليب نُزُولِ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ
٤٩٩	شبهات حول الوحي:	٤٨٦	الوحي أمر خارج عن النفس وأدلة ذلك والرد على أقوال المستشرقين
٥٠١	أو أخيلة الشاعر	٥٠٠	كونه من قبيل رؤى النائم أو افتراءات الكاذب
٥٠٢	احتقان الوجه من أعراض التشنج	٥٠٢	أو أقاويل المجنون
٥٠٧	احتجاجهم بسولون اليوناني	٥٠٣	شبهة استمداده من بحيرا وورقة بن نوفل والقيّن الروميّ
٥٠٩	شروطها	٥٠٨	المُعْجِزَة
٥١٥	مُعْجِزَة الرَّسُولِ دليل صدقه	٥١٠	الكَرَامَة
٥١٧	حكم الإيِّان بالمُعْجِزَة	٥١٦	مُعْجِزَة كُلِّ نَبِيٍّ مِنْ جِنْسِ مَا اشْتَهَرَ أَهْلُ زَمَانِهِ بِهِ
		٥١٧	شبهة ورَدِّ

المَبْحَثُ الثَّالِثُ: النُّبُوَّةُ الْخَاصَّةُ: نُبُوَّةُ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ: ٥١٩

٥١٩	معجزات الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ ﷺ	٥١٩	إثبات نُبُوَّةِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ
٥٢٠	نوعان: الأول: كمعجزات الأنبياء السَّابِقِينَ قصيرة الأمد	٥٢٢	النوع الثاني: خالد خلود الدهر وهو الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ
٥٢٣	الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ لُغَةً وَاصْطِلَاحًا		

٥٢٣	إِعْجَازُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ	٥٢٣	تحقق شروط الإعجاز في القرآن الكريم
٥٢٦	وجوه إعجاز القرآن الكريم	٥٢٦	فصاحة ألفاظه وبلاغته وعجيب نظمه
٥٢٩	أُسْلُوبُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ	٥٢٩	خصائص أُسْلُوبِهِ
٥٣٩	تَأْثِيرُهُ وَسُلْطَانُهُ عَلَى الْقُلُوبِ وَأَخْذُهُ بِمَجَامِعِ الْأَفْتَدَةِ	٥٣٩	إخباره بوقائع غيبية لا يعلمها إلا الله في الماضي أو الحاضر أو المستقبل
٥٥٢	حَقَائِقُهُ الْعِلْمِيَّةُ الَّتِي جَاءَ الْعِلْمُ الْحَدِيثُ بِرُكْدِهَا	٥٥٢	شبهة وردّ
٥٥٥	معانيه وأحكامه وانعدام الاختلاف فيه	٥٥٥	القرآن الكريم خالد خلود الدهر
٥٥٨	الإعجاز بالصرّة	٥٥٨	الشواهد الأخرى على نبوته ﷺ: ما اجتمع فيه من الشّمائل والأوصاف
٥٦٣	شمول شريعته، محتويات القرآن الكريم	٥٦٣	انتشار دعوته في الآفاق مع فقره وقلة أنصاره
٥٦٤	ظهوره على فترة من الرسل	٥٦٤	البشارات الواردة في الكتب السماوية السابقة: الزبور والتوراة والإنجيل
٥٧٢	إنجيل برنابا	٥٧٢	تاريخه
٥٧٦	من البشارات التصريح باسم مُحَمَّدٍ ﷺ	٥٧٦	كتاب إظهار الحق وسبب تأليفه
٥٧٩	رسالته ﷺ خاتمة الشرائع	٥٧٩	شرع من قبلنا
٥٨١	سبب ختم الإسلام الرسالات السابقة	٥٨١	عموم رسالته ﷺ
٥٨٣	مُحَمَّدٌ ﷺ أرفع الأنبياء منزلة	٥٨٣	شفاعة مُحَمَّدٍ ﷺ
٥٨٧	أنواع الشفاعة المثبتة	٥٨٧	شفاعة غيره ﷺ
٥٩٢	حكمة الشفاعة	٥٩٢	أصول دعوته ﷺ
٥٩٥	واجبنا نحوه ﷺ	٥٩٥	

الفصل السادس: اليوم الآخر

٥٩٩

مُقَدِّمَةٌ

٦٠٠ المَبْحَثُ الأول: دليل اليوم الآخر والحاجة إلى الإيمان به:

٦٠٠	الدليل الأول: إمكان اليوم الآخر	٦٠٠	الدليل الثاني: البحوث المؤيِّدة لليوم الآخر، البَحْثُ النفسي
٦٠١		٦٠٢	الشهادة التجريبية
٦٠٢	البحوث الروحية	٦٠٢	الحاجة إلى الإيمان باليوم الآخر،
٦٠٣	غَايَةُ الإيمان باليوم الآخر	٦٠٣	الجانب النفسي
٦٠٤	الجانب الأخلاقي	٦٠٥	السُّلُوكُ
٦٠٦	الضرورة الكونية		

٦٠٧ المَبْحَثُ الثاني: اليوم الآخر عند غير المسلمين:

٦١٠	عند المِصْرِيِّين القدماء	٦٠٧	في حَضَارَةِ وادي الرافدين
٦١٤	عند الإغريق القدماء	٦١٣	في الديانة الزَّرَادَشْتِيَّة
٦١٦	عند الهِنْدُوس	٦١٦	عند الرُّومَان
٦١٨	عند اليَهُود	٦١٧	عند الصَّابِئَةِ
		٦١٩	عند النَّصَارَى

٦٢١ المَبْحَثُ الثالث: اليوم الآخر في الإسلام:

٦٢٢	طريق ثُبُوتِهِ	٦٢١	معناه، تسميته، حكم الإيمان باليوم الآخر
	الإيمان باليوم الآخر هو نتيجة الإيمان بالله	٦٢٢	طريق فهم الغيبات واعتقادها
٦٢٣		٦٢٤	الحياة الأخرى: انقطاع العمل بالموت
٦٢٥	سوء الخاتمة والأعمال بالخواتيم	٦٢٦	التوبة، شروط التوبة
٦٢٨	الموت: تعريفه	٦٢٩	ما يتبع الميت إلى قبره
٦٣٠	تمني الموت: النهي عن تمني الموت والدعاء به لضرر		

٦٣٣	البرزخ: تعريفه لُغَةً وَاصْطِلَاحاً	٦٣١	جواز تمنّي الموت والدعاء به خوف ذهاب الدِّين
٦٣٣	سؤال القبر وأدلة ثبوته	٦٣٣	القبر أول منازل الآخرة: معنى القبر
٦٣٥	عذاب القبر، تصور عذاب القبر ونعيمه	٦٣٤	حكم الإيمان به
٦٣٦	القبر رَوْضَةٌ من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار	٦٣٦	دخول المَلَك القبور
٦٣٦	البعث (المعاد الجسماني) والنشور: تعريفه، الاختلاف فيه وحكم الإيمان به	٦٣٧	حكم الإيمان بعذاب القبر
٦٤٠	أدلة وقوعه	٦٤٢	كيفية المعاد
٦٤٩	علم الساعة عند الله	٦٤٧	الساعة: تعريف يوم الساعة، أسماؤه، الساعة لا ريب فيها
٦٥٠	يوم تقوم الساعة لا يقبل إيمان من كافر ولا معذرة	٦٥٠	مجيء الساعة بغتة
٦٥١	أشراط الساعة	٦٥١	من أنكر الساعة فهو معتدّ أثيم
		٦٥٣	أهوال الساعة
٦٥٦	عدد النفخات فيه	٦٥٥	الصور: تعريفه
٦٦٠	حكم الإيمان به	٦٥٨	الحشر: تعريفه وأدلته
٦٦٢	الحساب	٦٦٠	العرض والحساب: العرض
٦٦٤	الحكمة من الحساب	٦٦٣	ما يسأل عنه، شهادة الجوارح عليه
		٦٦٤	أنواع الحساب، حكم الإيمان به

٦٦٦	من يطرد عن الحوض	٦٦٥	الحوض: أدلته ووصفه
		٦٦٧	حكم الإتيان به
٦٦٩	الموزون	٦٦٨	المِيزَان: تعريف الوزن والمِيزَان، محله، أدلته
٦٧٢	كيفية الوزن، لمن يكون الوزن	٦٧٢	الحكمة من المِيزَان
		٦٧٣	حكم الإتيان به
٦٧٥	وصفه	٦٧٤	الصراط: تعريفه وأدلته
	الحكمة من المرور على الصراط،	٦٧٦	الصراط صراطان
٦٧٧	حكم الإتيان به		
٦٧٩	النار: أهل النار	٦٧٨	الجنة والنار:
٦٩٢	الجنة: أهل الجنة		أوصاف النار وحال أهلها في القرآن الكريم
		٦٨٢	وصف الجنة وحال أهلها في القرآن الكريم
		٦٩٥	

الفصل السابع: الكُفْر والتَّكْفِيرُ وَجَزَاءُ الْمُرْتَدِّ

٧٠٩	المَبْحَثُ الأول: معنى الكُفْر وأنواعه
٧١٥	أنواع الكفر
	رأس درجات الكفر
٧١٧	المَبْحَثُ الثاني: حُكْمُ تَكْفِيرِ أَهْلِ الْقِبْلَةِ
	الشهادة على كفر شخص معين
٧٢٣	نصوص من القرآن والسُّنَّة سَمَّتْ بعض الذنوب كفراً
٧٢٧	المَبْحَثُ الثالث: جزاء المرتد
٧٢٩	فَهْرِسْتُ الْمَصَادِر
٨٠٢	فَهْرِسْتُ الْمَوْضُوعَات

الأثار المطبوعة للمؤلف

الكتب:

- ١- الاحتكار وآثاره في الفقه الإسلامي. الطبعة الأولى بمطبعة الأمة ببغداد سنة ١٣٩٤هـ=١٩٧٤م. والطبعة الثانية بدار الرشيد بالرياض سنة ١٤٠٣هـ=١٩٨٣م. والطبعة الثالثة بدار الفرقان بعمّان - الأردن سنة ١٤٢١هـ=٢٠٠٠م. والطبعة الرابعة بدار (كتاب - ناشرون) ببيروت سنة ١٤٣٢هـ=٢٠١١م.
- ٢- الشورى بين النظرية والتطبيق. الطبعة الأولى بمطبعة الأمة ببغداد سنة ١٣٩٤هـ=١٩٧٤م.
- ٣- صفوة الأحكام من نيل الأوطار وسبل السلام. الطبعة الأولى بمطبعة دار السلام ببغداد سنة ١٣٩٤هـ=١٩٧٤م. والطبعة الثانية بمطبعة الإرشاد ببغداد سنة ١٤٠٦هـ=١٩٨٦م، ووزارة التعليم العالي والبحث العلمي العراقيّة - جامعة بغداد - كلية الشريعة. والطبعة الثالثة بدار الفرقان بعمّان - الأردن سنة ١٤١٩هـ=١٩٩٩م. والطبعة الرابعة بدار الفرقان بعمّان - الأردن سنة ١٤٢٤هـ=٢٠٠٣م. والطبعة الخامسة بدار الفرقان بعمّان - الأردن سنة ١٤٢٨هـ=٢٠٠٨م.
- ٤- الكمال بن الهمّام، (المؤلف سنة ٨٦١هـ=١٤٥٧م)، وتحقيق رسالته: إعراب قوله ﷺ: كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ... الطبعة الأولى بمطبعة جامعة بغداد سنة ١٤٠٠هـ=١٩٨٠م. والطبعة الثانية بدار (كتاب - ناشرون) ببيروت سنة ١٤٣٢هـ=٢٠١١م.
- ٥- الافتراح في بيان الاصطلاح وما أضيف إلى ذلك من الأحاديث المصدّقة من الصحاح: بقيّ الدين محمد بن عليّ، ابن دقيق العيد، المؤتوف سنة ٧٠٢هـ=١٣٠٢م، دراسة وتحقيق. الطبعة الأولى بمطبعة الإرشاد ببغداد سنة ١٤٠٢هـ=١٩٨٢م، ووزارة الأوقاف والشؤون الدينيّة العراقيّة - إحياء التراث الإسلامي. والطبعة الثانية بدار العلوم بعمّان - الأردن سنة ١٤٢٧هـ=٢٠٠٧م.
- ٦- القرآن الكريم كلمات ومعانيه (ج ٢٧-٢٨). الطبعة الأولى بمطبعة الخلود ببغداد سنة ١٤٠٣هـ=١٩٨٣م، ووزارة التربية العراقيّة.
- ٧- عقد التحكيم في الفقه الإسلامي والقانون الوضعي. الطبعة الأولى بمطبعة الخلود ببغداد سنة ١٤٥٥هـ=١٩٨٥م، ووزارة الأوقاف والشؤون الدينيّة العراقيّة - إحياء التراث الإسلامي، سلسلة الكتب الحديثة. والطبعة الثانية بدار الفرقان بعمّان - الأردن سنة ١٤٢٢هـ=٢٠٠٢م.
- ٨- المحركات الهدّامة في الإسلام - الرأونيّة، الجاهليّة. الطبعة الأولى بطابع دار الشؤون الثقافية العامة ببغداد سنة ١٤٠٩هـ=١٩٨٩م، ووزارة الثقافة والإعلام العراقيّة.
- ٩- التحدّي في آيات الإعجاز. الطبعة الأولى بدار البشير بعمّان - الأردن سنة ١٤١٧هـ=١٩٩٧م، ونشر أصله في مجلّة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلاميّة بالجزائر - العدد الرابع سنة ١٤١٣هـ=١٩٩٣م.
- ١٠- أميّة الرسول محمد ﷺ. الطبعة الأولى بدار البشير بعمّان - الأردن سنة ١٤١٧هـ=١٩٩٦م، ونشر أصله في مجلّة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلاميّة بالجزائر - العدد الخامس سنة ١٤١٤هـ=١٩٩٤م.
- ١١- العقيدة الإسلاميّة ومذاهبها. الطبعة الأولى بدار العلوم بعمّان - الأردن سنة ١٤٢٨هـ=٢٠٠٧م. والطبعة الثانية بدار (كتاب - ناشرون) ببيروت سنة ١٤٣٢هـ=٢٠١١م. والطبعة الثالثة بدار (كتاب - ناشرون) ببيروت، وهي هذبة الطبعة.
- ١٢- البحث الفقهي. الطبعة الأولى، عماد الدين للنشر والتوزيع بعمّان - الأردن سنة ١٤٣٠هـ=٢٠٠٩م. والطبعة الثانية، عماد الدين للنشر والتوزيع بعمّان - الأردن سنة ١٤٣٢هـ=٢٠١١م.
- ١٣- مناهج الفقهاء في استنباط الأحكام. الطبعة الأولى بدار (كتاب - ناشرون) ببيروت سنة ١٤٣٢هـ=٢٠١١م.

الكتب بالاشتراك مع آخرين:

أ- لوزارة التعليم العالي العراقيّة:

- ١- المداخل إلى الدين الإسلامي. بالاشتراك مع الدكتور مثير حويد النجّاني. الطبعة الأولى بدار الحرية للطباعة ببغداد سنة ١٣٩٦هـ=١٩٧٦م.
- ٢- أصول الدين الإسلامي. بالاشتراك مع الدكتور رشدي عليّان. الطبعة الأولى بدار الحرية للطباعة ببغداد سنة ١٣٩٧هـ=١٩٧٧م. والطبعة الثانية بمطبعة جامعة بغداد ببغداد سنة ١٤٠١هـ=١٩٨١م. والطبعة الثالثة بمطبعة الإرشاد ببغداد سنة ١٤٠٦هـ=١٩٨٦م. والطبعة الرابعة بطابع دار الحكمة ببغداد سنة ١٤١١هـ=١٩٩٠م، وهذبة الطبعات الثانية والثالثة والرابعة نشرها وزارة التعليم العالي والبحث العلمي العراقيّة - جامعة بغداد. والطبعة الخامسة بدار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بعمّان - الأردن سنة ١٤١٦هـ=١٩٩٦م. والطبعة السادسة بدار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بعمّان - الأردن سنة ١٤٢٢هـ=٢٠٠٢م.
- ٣- قواعد التلاوة. بالاشتراك مع الدكتور قرّج توفيق الوليد. الطبعة الأولى بمطبعة جامعة بغداد سنة ١٤٠٠هـ=١٩٨٠م. والطبعة الثانية ببغداد. والطبعة الثالثة بمطبعة وزارة التعليم العالي ببغداد سنة ١٤١١هـ=١٩٩١م.

- ٤- علّوم القرآن. بالاشتراك مع الدكتور رُشدي عليّان وكاظم فتحي الرّاوي. الطّبعة الأولى بمطابع مُؤسّسة دار الكتب بالسّوّل سنة ١٤٠٠هـ=١٩٨٠م.
- ٥- علّوم الحديث ونصوص من الأثر. بالاشتراك مع الدكتور رُشدي عليّان وكاظم فتحي الرّاوي. الطّبعة الأولى بمطبعة جامعة بغداد سنة ١٤٠٠هـ=١٩٨٠م.
- ٦- التّفسير. بالاشتراك مع الدكتور مُحمّد عبد الحميد. الطّبعة الأولى بدار المعرفة سنة ١٤٠٠هـ=١٩٨٠م.
- ب- لوزارة التربية العراقيّة:
- ١- ٦- التربية الإسلاميّة (للمدارس الإسلاميّة). ستة كتب، للصفوف: الرابع والخامس والسادس الابتدائي، والأول والثاني والثالث المتوسط، بغداد سنة ١٣٩٩هـ=١٩٧٩م.
- ٧- ١٢- الحديث الشّريف وعلّومه (للمدارس الإسلاميّة). ستة كتب، للصفوف: الأول والثاني والثالث المتوسط، والرابع والخامس والسادس الإعدادي، بغداد سنة ١٣٩٩هـ=١٩٧٩م.
- ١٣- التربية الإسلاميّة (للفف السادس من المدارس الشّعبيّة). المجلس الأعلى للمحملة الشّاملة لمحو الأميّة الإنزامي، بغداد سنة ١٤٠٠هـ=١٩٨٠م.
- ١٤- علم التجويد (للمدارس الإسلاميّة). بالاشتراك مع الشيخ جلال الحنفيّ والدكتور فرّج توفيق الوليد، بغداد سنة ١٤٠٢هـ=١٩٨٢م.

البحوث:

- ١- عقد التّحكيم في الفقه الإسلاميّ. نشر في مجلّة كُليّة الدراسات الإسلاميّة - العدد الرابع سنة ١٣٩٢هـ=١٩٧٢م ببغداد، وطبع ضمن كتاب عقد التّحكيم في الفقه الإسلاميّ والقانون الوضعي.
- ٢- التّشعير في الفقه الإسلاميّ. نشر في مجلّة كُليّة الدراسات الإسلاميّة - العدد الخامس سنة ١٣٩٣هـ=١٩٧٣م ببغداد، وطبع ضمن كتاب الاحتكار وآثاره في الفقه الإسلاميّ.
- ٣- مُحمّد عبّنه - المصلح الأستاذ. نشر في تسع مقالات في مجلّة الرّسالة الإسلاميّة ببغداد سنة ١٤٠٢هـ=١٩٨٢م.
- ٤- مُحمّد رشيد رضا. نشر في مجلّة دراسات عربيّة إسلاميّة - العدد الثالث - السنة الثالثة، بغداد سنة ١٤٠٣هـ=١٩٨٣م، أصدرتها اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجريّ - مطبعة الأوقاف والشؤون الدّينيّة العراقيّة.
- ٥- الادخار. نشر في مجلّة الرّسالة الإسلاميّة، العدد ١٦٠-١٦١، بغداد سنة ١٩٨٣م.
- ٦- علّوم الحديث الشّريف. نشر في كتاب (حضارة العراق) ج ٧ و ١١. بغداد سنة ١٩٨٥م، وزارة الإعلام العراقيّة.
- ٧- تأثير المُحدّثين العراقيّين في خارج البلاد العربيّة. نشر ضمن كتاب (العراق في موكب الحضارة - الأصالة والتّأثير) سنة ١٤٠٨هـ=١٩٨٨م، وزارة الإعلام العراقيّة ببغداد.
- ٨- مُصطلح (كمن). نشر في المؤسّسة الفقهية التي تصدرها وزارة الأوقاف الكُويّت سنة ١٤٠٦هـ=١٩٨٦م.
- ٩- مُصطلح (مُقابضة). المؤسّسة الفقهية الكُويّتية أيضاً سنة ١٤٠٩هـ=١٩٨٩م.
- ١٠- الحركات الهدّامة في الإسلام. نشر ضمن بحوث ندوة (النّصيريّة حركة هذوميّة)، من منشورات كُليّة الشّريعة بجامعة بغداد، مطبعة الإزّشاد ببغداد سنة ١٤٠٦هـ=١٩٨٦م، وطبع ضمن كتاب الحركات الهدّامة في الإسلام - الرّاونديّة، الباكّيّة.
- ١١- التّطرّف الدّينيّ. نشر ضمن بحوث ندوة (التّطرّف الدّينيّ) من منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الدّينيّة ببغداد سنة ١٩٨٦م، لكُليّة الشّريعة بجامعة بغداد.
- ١٢- الإسلام والإرهاب. نشر ضمن بحوث ندوة (الدّين والإرهاب) من منشورات منظمة المؤتمر الإسلاميّ الشّعبيّ، مطبعة الرّشاد ببغداد سنة ١٤٠٨هـ=١٩٨٨م.
- ١٣- الحركة الباطنيّة - الوسائل والغايات. نشر ضمن بحوث ندوة (الحركة الباطنيّة ودورها التخريبي في الفكر العربيّ الإسلاميّ) من منشورات كُليّة الشّريعة بجامعة بغداد، بغداد سنة ١٤٠٩هـ=١٩٨٩م.
- ١٤- البَحْثُ الفُفْهِيّ. نشر في مجلّة جامعة الأُمير عبد القادر للعلّوم الإسلاميّة بالجزائر، العدد الخامس سنة ١٤١٤هـ=١٩٩٤م. وطبع ضمن كتاب البَحْثُ الفُفْهِيّ.

- ١٥- الضمير أنا في القرآن الكريم. نشر في مجلّة البيان - جامعة آل البيت بالأردن، المجلد الأول - العدد الرابع سنة ١٤١٩هـ=١٩٩٨م.
- ١٦- مفهوم الإيمان عند الفرق الإسلاميّة. نشر ضمن بحوث (المُلتقى العلميّ الأول حول ثرّات سلطنة عمّان الشّقيقة قديماً وحديثاً)، الذي نظّمته وُحدة الدراسات العُمانيّة بجامعة آل البيت، من منشورات جامعة آل البيت - الأردنّ سنة ١٤٢٣هـ=٢٠٠٢م.
- ١٧- مُقابلة النصوص عند كتّبة الحديث الشّريف. نشر في الجزء الثالث من كتاب (تَحْقِيقُ الثَّرَاتِ، الرّؤى والآفاق)، وهو أوراق المؤتمر الدوليّ لتَحْقِيقِ الثَّرَاتِ العربيّ الإسلاميّ المنعقد في جامعة آل البيت، في المدة ٩-١١ من ذي القعدة سنة ١٤٢٥هـ الموافق ٢١-٢٣ من كانون الأول سنة ٢٠٠٤م. إعداد وتحرير: د. مُحمّد محمود الدروبي. منشورات جامعة آل البيت، المملكة الأردنيّة الهاشميّة، سنة ١٤٢٧هـ=٢٠٠٦م.

وَأَخِرُ دَعْوَانَا

أَنْ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ